

الأوضاع السياسية في العراق والحجاز

من سنة ٦٠-٦٥هـ / ٦٧٩-٦٨٤م

رسالة تقدم بها

الطالب

حيدر حسين حمزة سلمان الشريفي

إلى

مجلس كلية التربية – جامعة بابل وهي جزء من
متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف الدكتورة

زينب فاضل مرجان

١٤٢٧هـ

٢٠٠٦م

الإهداء

إلى ...

من رعاني في طفولتي وشبابي
وتعهد بتدريسي وتهذيبي

إلى ...

مثلي الأعلى ونبراس ظلمتي

إلى ...

والدي سيد حسين - رحمه الله تعالى -



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ

وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾

المؤمنون : آية ٧٠



THE POLITICAL SITUATION IN IRAQ AND HIJAZ FROM 60-65 A.H / 679-684 AD

An M.A. thesis presented by the student

Hayder Hussein Hamza Salman Al-Shereifi

ty of the college of Education , Babil University
he requirements of the M.A. degree in Islamic History

under the supervision of
Assistant – professor

Dr. Zainab Fadhul Merjan

١٤٢٧ A.H

٢٠٠٦ AD

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة قد جرى تحت إشرافي في كلية التربية – جامعة بابل ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي .

التوقيع :

الاسم : أ. د. م. زينب فاضل مرجان

التاريخ :

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :

الاسم : أ. د. م. زينب فاضل مرجان

رئيس قسم التاريخ – جامعة بابل

التاريخ :

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة قد أطلعنا على هذه الرسالة الموسومة
(الأوضاع السياسية في العراق والحجاز من سنة ٦٠ - ٦٥ هـ / ٦٧٩ - ٦٨٤ م)
وقد ناقشنا الطالب (حيدر حسين حمزة سلمان الشريفي)
في محتوياتها وفيما يتعلق بها ، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي بتقدير (

التوقيع

الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم

رئيس اللجنة

التوقيع

أ. م. د. فاضل كاظم صادق

عضواً

التوقيع

أ. م. د. محمد حسين الفلاحي

عضواً

التوقيع

أ. م. د. زينب فاضل مرجان

عضواً

مصادقة عمادة كلية التربية / جامعة بابل

أصادق على ما جاء في قرار اللجنة أعلاه .

الاسم :لؤي عبدالهاني السويدي

الرتبة العلمية : أستاذ مساعد

العنوان : كلية التربية / جامعة بابل

التاريخ : / / ٢٠٠٦

شكر وتقدير

بعد إنهاء متطلبات الدراسة أبدأ أولاً بشكر الله سبحانه وتعالى على فضله ونعمته ورسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم .

ثم يسعدني ويشرفني ان أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذتي الفاضلة (الدكتورة زينب فاضل مرجان) لتفضلها بالإشراف على إعداد هذه الدراسة عرفاناً ووفاءً للجهود العلمية القيمة والتوجيهات السديدة التي كان لها الأثر الأكبر في إنجاز هذه الدراسة .

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذتي في قسم التاريخ ، لتدريسهم إياي في مرحلة الدراسة الأولية والتحضيرية ، كما لا يسعني إلا أن أقدم شكري الخاص والكبير إلى الأستاذين (الدكتور عبدالأمير دكسن والدكتور عبدالحسين الرحيم) لإعطائهما التوجيهات السديدة على الدراسة .

وأتقدم بالشكر إلى إدارة وموظفي المكتبة المركزية في مدينة كربلاء المقدسة لتعاونهم الجاد معي .

وأقدم شكري الكبير إلى الأستاذ (جمال شويخ) أستاذ اللغة العربية لمساعدته في تنقيح الدراسة ، كما لا أنسى أن أشكر الأخوان الذين ساهموا في طباعة هذه الرسالة .

وأخيراً من القلب أتقدم بالشكر والتقدير والاحترام إلى والدتي وأخواني وأخواتي وزوجتي ، وإلى كل شخص تابع أو ظل يتابع هذه الدراسة .

ومن الله التوفيق

الطالب

د

الرموز المستعملة في الرسالة

الرمز	معناه
بلا ت	بلا تاريخ
بلا ت ط	بلا تاريخ طبع
ت	توفي
ج	جزء
د.	الدكتور
ص	صفحة
ط	طبعة
ق	قسم
م	السنة الميلادية
هـ	السنة الهجرية
فص	الفصل
تع	تعليق
تح	تحقيق
مب	مبحث
تق	تقديم

مختصرات أسماء أهل البيت (ع)

١. الإمام علي بن أبي طالب (ع) : الإمام علي (ع)
٢. الإمام الحسن بن علي (ع) : الإمام الحسن (ع)
٣. الإمام الحسين بن علي (ع) : الإمام (ع)
٤. الإمام علي بن الحسين (ع) : الإمام علي بن الحسين (ع)

ت	الخطأ	الصواب	رقم الصفحة	السطر
١	لمسلم	مسلم	١	
٢	مؤتمر لجابية	مجريات مؤتمر الجابية	٣	
٣	التوابين وموقفهم	التوابون وموقفهم	٤	
	موقف الاتجاه العلوي من الحركة	الاتجاه العلوي وموقفهم من الحركة	٤	
	موقف الإمام علي بن الحسين (ع)	الإمام علي بن الحسين (ع) وموقفه من الحركة		
٤	حيان	حيان	٨	٢٢
٥	الذهبي ت ٨٧هـ	ت ٤٨٧هـ	٨	٢٤
٦	مضاضة	وخاصة	١٢	١٢
٧	دحضه	رخصة	٢٧	٧
٨	فأته	فأته	٢٨	١٠
٩	فألفوا	فألفوا	٣٧	٢
١٠	مسلم بن عقيل (ع)	مسلم بن عقيل	٤٦	١٨
١١	الحسين بن علي (ع)	الحسين بن علي	٥٣	الآخر
١٢	خلتان	خصلتان	٥٥	١٩
١٣	صلى الله عليه وآله وسلم	صلى الله عليه وسلم	٨٧	٤
١٤	يعلون	يعلمون	٩٧	٧
١٥	يزعم	بزعم	١٠٤	٥
١٦	ين	بين	١٥٥	٢
١٧	يقول	ذكروا	١٥٧	٧
١٨	صلى الله عليه وآله وسلم	صلى الله عليه وسلم	١٦١	١٢
١٩	عقبة	ابن عقبة	١٦١	١٦
٢٠	المسيب بن نجبة	المسيب بن نجبة	١٨٥	٩
٢١	المسيب بن نجبة	المسيب بن نجبة	١٨٦	١٠
٢٢	المسيب بن نجبة	المسيب بن نجبة	١٩١	١٩
٢٣	الأول	الثاني	١٩٢	٤
٢٤	المسيب بن نجبة	المسيب بن نجبة	٢٠٤	٢٣

٢٥	زينب بنت علي (ع)	زينب بنت علي	٢١٢	١٥
٢٦	زينب بنت علي (ع)	زينب بنت علي	٢١٢	١٧
٢٧	٦٢٣ هـ / ٦١٨ هـ	٦٢٣ هـ / ٦١٧ هـ	٢١٣	٧

استدراك الهامش

ت	الخطأ	الصواب	رقم الصفحة	السطر	الملاحظات
١	المصحب	المصعب	١١	٢	
٢	مسيرة	سيرة	٣٠	٣	
٣	الأخبار	الاخبار	٣٠	٤	
٤	نجية	نجبة	٣٧	٣-٢	بين هامش ٣-٢
٥	البلاذري ف٢	البلاذري ق٢	٤١	٢	
٦	البلاذري ف٢	البلاذري ق٢	٤٧	٨ ، ٧ ، ٤	
٧	انساب العرب	انساب الاشراف	٦٦	١	
٨	الأخبار	الاخبار	٩٣	٣	
٩	ين	بين	٩٦	٥-٤	بين هامش ٥-٤
١٠	رسو	رسول	١٠٦	٢-١	بين هامش ٢-١
١١	فص ١ ص ١٠٠	فص ٢ ص ١٠٠	١٠٧	٢	
١٢	ق ٢٠	ق ٢	١٤٥	٦	
١٣	ق ٢٠	ق ٢	١٤٧	١٠	
١٤	ص ٩٥	فص ٢ ص ٩٥	١٨٢	٣-٢	بين هامش ٣-٢

◌Abstract

The student's of the subject " The Political Situations In Iraq And Hijaz From ٦٠ to ٦٥ A.H (٦٧٩-٦٨٤) m is interesting because this period id the beginning of a new Caliph regime , that of (Yazeed) , the son of (Mu'awaya) which is one of the important and critical periods in Islamic History , especially in these two territories owing to its consequence and the great loss of life that resulted from his bad policy towards the subjects . The student's choice of these particular regions was because of the complexity of the political events in them . Yet , their aim is the same : The people of Iraq hated the caliphate of the Umayyat caliphate and the people of Hijaz believed that they were the sons of the " Companions " and they have the priority to the caliphate .

The study is divided into a preface , an introduction and six chapters . In the preface the student mentioned why he chose this subject . In the introduction the student referred to an essential and important question , i.e , the succession to (Yazeed) , the son of (Mu'awaya) in the year ٥٦ A.H (٦٧٥ A.D) . He also referred to the preparations to that succession and whether the matter of the succession was hidden to (Mu'awaya) , in addition to the attitude of (Al-Khawarij) toward the Umayyat caliphate up to the year ٦٠ A.H (٦٧٩ A.D) .

One of the important matters that researchers should know is that there wasn't an important role to the Mosul province as that of the role of Kufa despite the fact that both provinces were of Iraq . Furthermore , the student mentioned the people of Iraq while he intended the Shiatt among the Iraqis . The student didn't mention any major role of the people of " Al-Ta'if " within

the region of Hijaz and perhaps their attitude was for the Umayyat family , therefore the study was confined to Medina .

In the first the student talked about the reception of the caliphate by Yazeed , the son of Mu'away and his procedures in this respect , whether he abided by his father's will , the reasons why the sons of the " companions " left Medina for Mecca , the reaction of the people of Iraq , the situation in Kufa , why Imam Hussein sent (Moslem Ibn Aqeel) to them , how the people of Kufa received Moslem and the role of the Umayyat party in Kuffa after the coming of the representative of Imam Hussein .

The student then showed the most important stage of this revolution , how the Umayyat treated Al-Hussein , Ibn Ziyad's procedures against him , the causes and effects of the revolution . Then he explained the attitude of " Al-Khawarig " during this period (٦٠-٦١ A.H , ٦٧٠-٦٨٠ A.D) because they were the other apposing group to the Umayyat authority in Iraq .

After this I deals with " Abdullah Ibn Al-Zubayr " movement , its roots , how Abdulla the situation of Al-Hussein's martyrdom , his attitude toward the people of Medina in " Al-Hurra " battle , why he didn't take part in it with the Imam (Ali Ibnul Hussein) though both of them were against the Umayyat family , how the political trends that were hostile to the Umayyat caliphate were unified during the siege of " Al-Kaba " in the year ٦٢ A.H (٦٨٣ A.D) and their commitment to (Abdullah ibn-alZubayr) especially " Al-Khawarij) , in the same chapter the student pointed out the uprising of the people of Medina in (Al-Hurra) famous battle , the importance of this uprising , the attitude of (Ali Ibnul Hussein) toward it , its cause and effects .

It was necessary to mention (Mu'awaya Ibn Yazeed's) caliphate in order to know the political situation in Al-Sham (Syria) and their effects on Hijaz and Iraq , the attitude of Umayyat family in (Al-Jabiya) conference and its consequences .

In the last part of the study the student pointed out (Al-Tawabin's) movement , its aims , the reasons of its failure and results . He also dealt with (Al-Khawarij) in the year ٦٥ A.H. (٦٨٤ A.D) .

The study made the following major conclusions :

١. *The Umayyat policy was against the principles of the religion of Islam . This can be seen clearly in the mayhem of deal bodies , the cursing of the companions of the messenger of God , especially Imam Ali as well as breaking the sanctity of the sacred cities for maintaining their political positions .*
٢. *The revolution of Imam Hussein reflected the reasons of Imam Al-Hassan conciliation with Mu'away because in his revolution he showed the social nature of the people of Kufa and its distinctive contrasts , so Imam Hassan's conciliation with Mu'away was not a random one . The fact was that he knew too well the people of Kufa and his sacrifice served to affirm the betrayal of the people of Kufa and the conciliation was caused only by their betrayal .*
٣. *Imam Hussein's revolution proved to the people of (Alsham) - Syria - that he and his followers were not (Khawarij) as counter misleading information pictured them , Imam (Ali Ibnul Hussein) and his aunt (Zainab) clearly and truthfully revealed that deceptive information against them , That was their major role . Therefore , the student believes that this revolution was both political and informative . It was a political revolution led by Imam (Ali Ibnul Hussein) and his aunt (Zainab) , Ali's daughter .*

٤. *Abdulla Ibnul Zubayr's movement had its roots but it did not appear until the martyrdom of Imam Hussein for at that time people's discontent with Yazid's policy against Hussein and his household in the territories especially in Iraq and Hijaz .*
٥. *Abdulla Ibnul Zubayr's movement encompassed all the political trends that were hostile to the Umayyad caliphate as to siege of Kaba but they deserted him (Abdulla Ibnul Zubayr) because of his lack of political insight .*
٦. *Abdulla Ibnul Zubayr's movement extended to Al-Sham territory and this shows us how this movement expanded .*
٧. *The revolution of the people of Madina against Yazeed was caused by his misconduct . Moreover , it was exclusively a revolution of the people of Madina . No assistance was sent to them from other Arab Territories .*
٨. *Mu'away Ibn Yazeed's admittance that the caliphate was a right to Hashim's dynasty .*
٩. *The transition of the Umayyad caliphate in AlSham from the Sufyani's section to the Marwani's section in Al-Jabiya's conference in ٦٤٤ A.H (٦٨٣ A.D) .*
١٠. *Al-Tawwabeen's Movement was a secret movement in the centre of Kufa and it did not attract people outside it and that was probably one of the causes of its failure .*
١١. *The role of Al-Khawarij wasn't prominent except after the death of Yazeed Ibn Mu'awaya and this shows us the policy of violence that Ubaydillah Ibn Ziyad practiced against them .*

المغيرة وفكرة ولاية العهد سنة ٥٦ هـ / ٦٧٥ م

كان المغيرة بن شعبة الثقفي أول من أشار إلى الخليفة معاوية بولاية* أبنه يزيد للعهد ، وسبب ذلك أنه أراد عزل المغيرة عن ولاية الكوفة ، فبلغ المغيرة ذلك الخبر ، فأراد أن يقدم للخليفة شيئاً

*ولاية : الولي هو من يتولى أمر غيره ويكون ولياً شرعياً عليه . ينظر : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ط ١ ، مطبعة شريعت ، دار الشريف الرضي للنشر (قم / بلات) ، ط ١ ج ٥ ص ٤٩١ .

يجعله يعدل عن عزله فسار إلى الشام^(١) ، فدخل على يزيد فقال له " أنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي (ﺉ) وكبراء قريش وذوو أسنانهم ، وإنما بقي أنباؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة والسياسة ، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة** ، قال : أو ترى ذلك يتم ؟ قال : نعم " ^(٢) .

والذي يمكن أن نستنتجه من خلال هذا النص الأمور الآتية :

١. إن المغيرة أراد من هذا أن يعود إلى منصبه بخداع الخليفة معاوية وأبنيه يزيد ، وفعلاً قد تحقق له ذلك ، فقد ذكر المغيرة بعد دخوله وكلامه مع الخليفة معاوية بأمر ولاية العهد فقال : " لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية ، على أمة محمد (ﺉ) ، وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً " ^(٣) .

٢. إن المغيرة قد خدع يزيد حينما وصفه بأنه من أفضل وأحسن ما موجود من أبناء الصحابة بالسنة والسياسة ، لأنه يدرك من هو يزيد لذلك كان وصفه غير مقبول حتى عند المقربين عند معاوية فمثلاً قد أوضح زياد عندما كتب معاوية إليه يستشير به - البيعة - فكره زياد ذلك لأنه يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد^(٤) .
والسؤال هل الخليفة معاوية لم يفكر بأمر ولاية أبنه وأعتمد على رأي المغيرة بذلك؟ أجمع المؤرخون^(٥) وبعض الكتاب المحدثين إن المغيرة بن شعبة هو أول من أشار على الخليفة معاوية بأن يكون يزيد ولياً للعهد من بعده ، ولكن فيما نراه أن الخليفة معاوية وما يحمل من صفات المكر والخداع والدهاء السياسي ، كان قد فكر بهذا الأمر ولم يعتمد على مشورة المغيرة فقط ، فهناك من الأمور التي تثبت أنه كان يهوى أبنه يزيد لولاية العهد منها :

١. حرص الخليفة معاوية على الزواج من امرأة تلد ولداً نجيباً وكان دائماً يسأل عن صفات المرأة التي تلد هذا الولد^(٦) .
٢. رغبة الخليفة معاوية الكاملة في أن يكون أبنه يزيد ولياً للعهد وقول معاوية فيه " لولا هوائي في يزيد لأبصرت طريقي " ^(٧) ودافع معاوية عن هذه الرغبة مع كثير من الصحابة وأبنائهم فقد قتل قسماً منهم وابعد قسماً آخر ، فقد قتل الإمام الحسن (ﺕ) بتعاونه مع جعدة زوجته^(٨) بعد

(١) الراوي ، ثابت إسماعيل ، الدولة العربية الإسلامية في الخلافة الراشدة والأموية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ١٥٢ .

**البيعة : هي العهد على الطاعة ، فإن المبايع يعاهد أميره على أنه مسلم له النظر في أمر نفسه وأمر المسلمين ولا ينافي

شيء من ذلك وبطبعه فيما يكلفه به من الأمر على المحبوب والمكروه . ينظر : ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك (ت ٦٠٦ هـ) ، النهاية في غريب الحديث ، تح طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، مطبعة ودار إسماعيليان للنشر ، (قم / ١٣٦٤ هـ) ، ج ٤ ص ١٦٩ - ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) ، مقدمة ابن خلدون ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، (بيروت ، بلات) ، ط ١ ص ٢٤١ .

(٢) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر للطباعة ، (بيروت / ١٩٩٦) ، ج ٣ ص ٥٠٣ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٤ .

(٤) ابن كثير ، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية ، ط ١ ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، (بلات) ، مج ٤ ص ٨٢٥ .

(٥) ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) ، الإمامة والسياسة ، تع ، خليل المنصور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢ هـ) ، ج ١ ص ١٣٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٢ - أطروحة القيسي ، عاطف عباس حمودي ، تحقيق ودورها في التاريخ الأموي ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، (جامعة بغداد / ١٩٩١ م) ، ص ١٣٨ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٤٥٣ .

(٧) الزبيري ، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦ هـ) ، نسب قريش ، تح .إ. ليفي ، بروفنسال ، دار المعارف للطباعة والنشر (باريس / ١٩٥٣) ، ج ٣ ص ١٢٧ .

(٨) ابن سعد ، محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) الطبقات الكبير ، تح علي محمد عمير ، ط ١ ، مكتبة الخانجي (القاهرة / ١٤٢٦ هـ) ، ج ٦ ص ٣٨٧ - ابن عنبه ، جمال الدين أحمد بن علي (ت ٨٣٨ هـ) ، عمدة الطالب في أنساب أبي طالب

- أن عرف إن بينها وبين الإمام الحسن (t) منازعة وهم بطلاقها فاستغل معاوية ذلك^(٤) .
وأبعد سعيد بن عثمان بن عفان* إلى خراسان** سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م^(٥) ، عندما عاتبه بأنه وصل إلى الخلافة باسم أبيه وليس بيزيد أفضل منه حينما قال له " انتمك أبي واصطنعك حتي بلغك باصطناعه وإياك الذي يجاري والغاية التي لا تسامي فما جازيت أبي بالألأه حتى قدمت هذا علي وجعلت له الأمور دينه " ^(٦) ، فقال له الخليفة معاوية : " وأما أن تكون خيراً من يزيد ، فوالله مما أحسب أن داري مملوءة رجلاً إلا مثلاً لك بيزيد " ^(٧) ، هذا فضلاً عن وجود تأكيد لهذه الرغبة عند مقولته : " رجلان إن ماتا لم يموتا ورجل إن مات مات ، أنا إن مت خلفني أبني ، وسعيد إن مات خلفه عمرو ، وعبدالله بن عامر إن مات مات ، فبلغ مروان ، فقال : أما ذكر عبدالملك ، قالوا : لا " ^(٨) .
٣. ذكر ابن حبيب البغدادي^(٩) عن خالد بن سعيد عن أبيه إن معاوية لما أراد أن يبيع يزيد قال لأهل الشام : " أن أمير المؤمنين قد كبرت سنه ودنا من أجله وقد أردت أن أولي الأمور رجلاً بعدي فما ترون ؟ فقالوا : عليك بعد الرحمن بن خالد بن الوليد* " ، فسكت معاوية ، وأضرها في نفسه ثم إن عبدالرحمن أشتكى فدعا ابن أثال وكان من عظماء الروم وكان متطيباً يختلف إلى معاوية فقال : انت عبدالرحمن فأفضل* له ، فأتى عبدالرحمن فسقاه شربة ثم مات بعدها . وهذا النص يؤكد إن أهل الشام قد فضلوا عبدالرحمن لما معروف عندهم من الفضل والزهد ، لذلك قتله الخليفة معاوية كونه يقف في طريق تحقيق رغباته .
٤. قول معاوية ليزيد : من أجلك أثرت الدنيا على الآخرة ، ودفعت حق علي بن أبي طالب وحملت الوزر على ظهري^(١٠) .
٥. إرسال يزيد في الغزوات العسكرية وخصوصاً إلى القسطنطينية*** على الرغم من إن يزيد كان كارهاً ومتناقلاً لها ، كل هذا من أجل تهنيته عسكرياً^(١١) .

، مطبعة حيدر ، مؤسسة أنصاريان ، (قم / ١٤٢٥ هـ) ، ص ٦٣ - السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١) ، تاريخ الخلفاء ، تح قاسم الشماخي ، محمد العثماني ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، (بلات) ، ص ١٤٩ .
^(٢) الاسترأبادي ، محمد بن الحسن (ت ٦٨٦ هـ) ، شرح شافية ابن الحاجب ، تح ، محمد نور الحسن وأخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٣٩٥ هـ) ، ج ٣ ص ١٢٢ .
*سعيد بن عثمان : سعيد بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ، قليل الحديث ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٥٢ - الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، طه
دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٩٨٠) ، ج ٣ ص ٩٨ .
**خراسان : بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق : أزاد وارقية وجوين وبيهق ، واخر حدودها مما يلي الهند : طخارس
وغزنة وسجستان وكرمان . ينظر : الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان ، ط ٢ ، دار صادر للطباعة ، (بيروت / ١٩٩٥ م) ، ج ٢ ص ٣٥٠ .
^(٥) الطبري ، محمد بن جرير (ت ٢١٠ هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٤ ، دار المعارف ، مصر ، (بلات) ، ج ٥ ص ٣٣٦ .
^(٦) الفلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، تح د. علي الطويل ، دار الفكر ، (دمشق / ١٩٨٧ م) ، ج ١ ص ٣٠٣ .
^(٧) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٥٤ - الخصيبي ، أبو عبدالله الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤ هـ) ، الهداية الكبرى ، ط ٤ ، مؤسسة البلاغة للطباعة ، (بيروت / ١٤١١ هـ) ، ص ١٨٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٤ .
^(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك) ، ج ٥ ص ٣٣٦ .
^(٩) محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) ، المنمق في أخبار قریش ، تصحيح خورشيد احمد فاروق ، (بلات) ، ص ٣٦٠ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٢٢٧ .
*عبدالرحمن بن خالد : عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن لؤي بن غالب ، له ص
ينظر : ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد (ت ٣٥٤ هـ) ، الثقات ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الركن (الهند / بلات) ، ص ٢٥٠ .
**أضل : أي ضل له شيء ، ينظر : الزبيدي ، محب الدين أبو الفيقي السيد محمد (ت ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مكتبة الحياة ، (بيروت / بلات) ، ج ٢ ص ٥١٤ .
^(١١) الكوفي ، أبو محمد أحمد بن أعثم (ت ٣١٤ هـ) ، الفتوح ، علي شريعتي ، ط ١ ، دار الأضواء للطباعة ، (١٩٩١ م) ، ج ٤ ص ٣٤٨ .

٦. إحضار النسابة وخاصة دغفل بن حنظلة**** ليزيد من أجل أن يعلمه أنساب العرب وقبائلهم^(٤) .

٧. يذكر ابن ظفر^(٥) أنه لما قدم زياد بن أبيه من العراق وافداً على معاوية بمال كثير وتحف وأوفد معه وجوه أهل العراق فظهر له الشر في وجه معاوية ، ففرط منه ذلك فقال : " يا أمير المؤمنين أني ذلت لك أهل العراق وحملت إليك أموالها فقال له يزيد : ومن أولى منك بذلك ، وقد نقلناك من القلم إلى المنبر ومن عبيد إلى أبي سفیان ومن ثقيف إلى عبد مناف ، فقال معاوية : فداك أبوك يا يزيد " .

بعد كل هذا نرى أن أمر ولاية العهد من الخليفة معاوية لأبنه يزيد كان أمراً لا يخفى عليه ، وأنه قد مهد له قبل مشورة المغيرة وأما رأي المغيرة فلأنه أراد الحفاظ على مصالحه وإبعاد شره عنه^(١) ، لأنه يعلم أن شر الناس آنذاك هو معاوية فيذكر الحلي^(٢) إن مطرف بن المغيرة بن شعبة قال : " وفدت مع أبي المغيرة على معاوية ، ... ، فقلت : ما لي أراك مغتماً منذ الليلة ، فقال : يا بني جئت من أخبت الناس " .

موقف الأمصار العربية من ولاية العهد

١. موقف أهل العراق

لم يكن موقف أهل العراق متوحداً في البيعة بولاية العهد ليزيد بن معاوية ، فأما الكوفة فقد سار المغيرة إليها وذاكر من يثق به ومن يعلم أنه شيعة لبني أمية أمر يزيد ، فأجابوا إلى بيعته فأوفد منهم عشرة ، ويقال أكثر من عشرة أعطاهم ثلاثين ألف درهم وجعل عليهم أبنه موسى بن المغيرة وقدموا على الخليفة معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها ، فقال لهم " لا تعجلوا بإظهار هذا وكونوا على رأيكم ، ثم قال لموسى : بكم أشتري أبوك من هؤلاء دينهم ؟ فقال : ثلاثين ألف : قال : لقد هان عليهم دينهم " ^(١) .

***القسطنطينية : هي دار ملك الروم ، بينها وبينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح ، عمّرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٤٧ .

^(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٤٥٨ .

****دغفل بن حنظلة بن زيد السدوسي النسابة ، مخضرم ويقال له صحبة . ينظر : ابن حجر ، شهاب الدين بن الفضل بن أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) ، تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، دار صادر ، (بيروت / ٣٢٥ هـ) ، ج ١ ص ٢٨٤ .

^(٤) الذهبي ، أبو عبدالله بن شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تح علي محمد معروف ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٥ م) ، ج ٤ ص ٢٧ .

^(٥) الصقلي ، محمد بن محمد بن ظفر (ت هـ) ، أبناء نجباء الأبناء ، مطبعة التقدم ، (مصر / بلات) ص ١٠٧ .

^(١) ابن نما الحلي ، الحسن بن يوسف بن مطهر (ت ٧٢١ هـ) ، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (ع) ، تح حسين الدراكهي ، ط ١ ، (طهران / ١٤١١ هـ) ، ص ٤٧٤ - العسكري ، نجم الدين الشريف ، أبو طالب حامي الرسول ، مطبعة الآداب ، (النجف / بلات) ، ص ١٦٣ .

^(٢) كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (ع) ، ص ٤٧٤ .

^(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٤ .

والذي يمكن الخروج به من هذا النص الأمور الآتية :

١. تخوف الخليفة معاوية من إشاعة هذا الخبر في بداية أمره بسبب وجود الأفضل من بين الناس^(٢) ، وعدم وجود نظام ثابت معين لولاية العهد^(٣) ، لأن التقاليد العربية تنص على إن الحكم ينتقل في القبيلة نفسها وفي العشيرة ولا ينتقل في الأسرة من الأب إلى الابن^(٤) .
٢. سياسة المال والعطاء التي أستخدمها معاوية في أهل العراق فقد بيتاً قبل أسطر كيف كانتبيعة أهل الكوفة لمعاوية بولاية العهد ، وسوف نجد في الصفحات المقبلة القليلة كيف تكونبيعة أهل البصرة للخليفة معاوية والمتمثلة بالأحنف بن قيس* ، وفي ثورة الإمام (ت) تتجلى هذه السياسة أكثر وضوحاً من خلال اختراق مسلم بن عقيل** في مهمته .
- أما موقف أهل البصرة فكان الخليفة معاوية يتخوف من أهل البصرة وزياد بن أبيه لأنه كان يتوقع نفرة الناس عنه بسبب أمر ولاية العهد وهو كان يرجو طاعتهم ، لذلك أرسل إلى زياد يستشير به بأمره فأحضر زياد عبيد بن كعب النميري^(١) ، وكان صديقاً لزياد ، وقال له : أني دعوتك لأمر أن أمير المؤمنين كتب يستشيرني في كذا كذا ، فأشار عبيد بن كعب النميري أن يذهب - يعني نفسه - إلى دمشق ويجتمع بيزيد سرّاً ، فيكلمه عن زياد وتخوفه من خلاف الناس عليه وترك ما ينقم عليه فيكون بذلك قد نصح يزيد وأرضى الخليفة معاوية ، وكتب زياد إلى الخليفة معاوية يأمره بالتؤدة وألا يعجل فقبل ذلك معاوية وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع ، فلما مات زياد شرع الخليفة معاوية في نظم ذلك والدعاء إليه^(٢) ، وهذا قد يوضح لنا تخوف الخليفة معاوية من زياد في أمر ولاية العهد وموقف زياد غير الموالي لهذا الأمر وما يدل على ذلك إن زياد كان يعرف يزيد جيداً لذلك فقد وضع صفاته لعبيد الله بن كعب النميري والتي لا تليق بيزيد أن يكون خليفة للمسلمين ، وبعد وفاة زياد لم يبق من يقف أمامه في أمر ولاية العهد ليزيد من بعده لذلك عزم على الأمر^(٣) .

ثم كتب الخليفة معاوية إلى عماله بتقريب يزيد ووصفه وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار ، فكان فيمن أتاه الأحنف بن قيس في وفد من أهل البصرة ، فأمر معاوية أن يدخل على يزيد ، فدخل عليه ، فلما خرج من عنده قال له : " كيف رأيت ابن أخيك ؟ قال : رأيت شاباً ونشاطاً وجلداً ومزاحاً " ^(٤) لكن بالرغم من هذا المديح إلا إن الأحنف بن قيس كان له رأي آخر في يزيد ، وقد وضع ذلك عندما سألته

(٢) الحوفي ، أحمد محمد ، أدب السياسة في العصر الأموي ، ط ١ ، مكتبة النهضة للطباعة والنشر ، (مصر / ١٩٦٠ م) ، ص ١٣٣ .
(٣) حتي ، فيليب ، الدولتان الأموية والعباسية ، نقله إلى العربية محمد يرموك نافع ، مطبعة النجاح ، (بغداد / ١٩٤٥) ، ص ١١٣ .
(٤) فلهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية وسقوطها ، نقله إلى العربية د. يوسف العش ، مطبعة الجامعة السورية ، (١٣٧٩ هـ) ، ص ١١٥ .

*الأحنف بن قيس : الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن عباد بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب

السعدي ، وقيل أسمه الضحاك وقيل صخر ، وهو من التابعين وكان عاملاً لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على الاهواز . ينظر : السمعاني ، عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ) ، الأنساب ، تح عبدالله عمر البارودي ، ط ١ ، مطبعة دار الجنان ، (١٤٠٨ هـ) ، ج ٣ ص ٢٥٥ - ابن الأثير ، علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ) ، أسد الغاية في معرفة الصحابة ، ترجمة شهاب الدين النجفي ، مطبعة الأفسيت ، المكتبة الإسلامية ، (طهران / ١٣٤٢ هـ) ، ج ١ ص ٥٥ - الذهبي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، ط ١ ، مطبعة دار الثقليين ، مؤسسة علوم القرآن للنشر ، (جدة / ١٤١٣ هـ) ، ج ١ ص ٢٢٩ - أبو المحاسن ، شمس الدين محمد بن علي بن الحسن (ت ٧٦٥ هـ) ، الأكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد ، تح ، عبدالعاطي أمين قلمجي ، ط ١ ، جامعة الدراسات الإسلامية ، (كراتشي / بلات) ، ص ١٦ .

**مسلم بن عقيل : مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهو واحد من اثني عشر ولداً لأبيه . ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ،

ج ١ ص ٦٩ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٠٢ - ابن الأثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٤٥٢ - الاميني ، الشيخ محسن ، الغدير ، ط ١ ، دار الكتاب العربي للنشر ، (بيروت / ٣٩٧ هـ) ، ج ١٠ ص ٢٢٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٠٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٤٥٢ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٦ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٧ .

ال خليفة معاوية ماذا تقول يا أبا بحر في يزيد ؟ قال : " نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلايته ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه الله تعالى وللأمة رضا فلا تشاور فيه ، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة ، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا^(٥) !

والذي يمكن أن نكتشفه من هذا النص عدة أمور منها :

١. إن معاوية قد هيا الجو لأبنه يزيد بولاية العهد فكان الناس يسلمون عليه ثم يميلون إلى يزيد^(٦) .
٢. إن الأحنف بن قيس كان موقفه سامعاً ومطيعاً لأوامر معاوية ، فيذكر المبرد^(٧) إن معاوية بعد مقولة الأحنف هذه قال له : جزاك الله عن الطاعة خيراً وأمر له بالوف فلما خرج الأحنف لقيه الرجال بالباب فقال أبو بحر : أني لا أعلم أن شر من خلق الله هذا وأبنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلنسنا نطمع باستخراجها إلا بما سمعت ! وهذه هي سياسة المال التي اشترى بها الخليفة معاوية بيعة أهل البصرة والكوفة ولكن كيف كانت بيعة أهل المدينة كونهم أشخاصاً أصحاب عقائد دينية لا يميلون إلى المال أو الهوى وإنما العمل لله وحده .

٢. موقف أهل الحجاز

بعد أن تمت بيعة أهل العراق ليزيد بن معاوية بالمال ، لم يبق أمامه سوى أهل الحجاز* ، لذلك كتب إلى مروان بن الحكم ، بأمر بيعة أبنه بولاية العهد وأن يعرضها على أبناء الصحابة** وأهل الحل والعقد*** في المدينة " أني قد كبرت سني ودق عظمي ، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي ، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي ، وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك ، فأعرض ذلك عليهم وأعلمهم بالذي يردون عليك ، فقام مروان في الناس فأخبرهم به فقال الناس ، أصاب ووفق ، وقد أحببنا أن يتغير لنا فلا يألو^(٨) " (١)

والذي يمكن أن نستخرجه من هذا النص الأمور الآتية :

(٥) أبن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٨ - الأصفهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل (ت ٤٠٠ هـ) ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء ، تح راجي عفو ربه الكريم ، مطبعة العامرية الشرقية ، (١٣٢٦ هـ) ، ج ١ ص ٧٨ .
(٦) المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ) ، الكامل للمبرد ، المطبعة الأزهرية ، (مصر / بلات) ، ج ١ ص ٣٦ .
(٧) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ١ ص ٣٦ .

*الحجاز : قال أبن الكلبي ما حجز بين اليمامة والعروض وفيما بين اليمن ونجد ، فصارت نجد ما بين الحجاز إلى الشام ، إلى العذيب والطائف من نجد ، وأرض العالية والبحرين إلى عمان من العروض وتهامة ما سير البحر منها مكة والعيبر والطور والجزيرة . فالعير ما اخذ على الفرات إلى برية العرب والطور ما بين دجلة ومسانيدها ، وتشمل ثلاثة أمصار هي الطائف ، مكة ، المدينة . ينظر : البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧ هـ) ، معجم ما أستعجم ، تح مصطفى السقا ، ط ٣ ، دار عالم الكتب ، (بيروت / ١٤٠٣ هـ) ، ج ١ ص ١٠ .
**هم الحسين بن علي وعبدالله بن بن الزبير وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عباس . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٠٣ .

***أهل الحل والعقد : ذوو الشركة والسطوة والرأي والتدبير في البلاد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يسهل حضورهم ويرجع الناس إلى أقوالهم وهم المجتهدون بالأحكام الشرعية - ينظر : الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦ هـ) ، المحصول في علم أصول الفقه ، تح ، د. طه جابر فياض العلواني ، ط ٢ ، مطبعة ودار مؤسسة الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٤١٢ هـ) ، ج ٤ ص ٢٠ - الحلي ، الحسن بن يوسف بن علي (ت ٧٦٢ هـ) ، تذكرة الفقهاء ، تح ونشر مؤسسة آل البيت (١) لإحياء التراث ، ط ١ ، مطبعة ستارة ، (قم / ١٤١٧ هـ) ، ج ٩ ص ٣٩٨ - قلنجي ، محمد ، معجم لغة الفقهاء ، ط ٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر ، (بيروت / ١٤٠٨ هـ) ، ص ٩٥ .
(٨) أبن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٦ .

١. أن الخليفة معاوية أراد أخذ موافقة الناس على فكرة الاختيار أولاً من دون أن يعرفوا من هو الشخص المختار لهذا المنصب ، لأنه يدرك أن باختيار ابنه يزيد ولياً للعهد لن تحصل موافقة أبناء الصحابة البارزين آنذاك ولا حتى من الأمويين ، فيذكر المقدسي^(٢) أن مروان بن الحكم عندما سمع أن البيعة ليزيد غضب وسار إلى الشام لأنه كان يرى أن يجعل معاوية ولاية العهد له ، فأقنعه بأنه سوف يكون ولياً للعهد من بعد يزيد ، وهذه هي سياسة المكر ، هذا فضلاً عن تدخل معاوية في شؤون أهل الحل والعقد وسلبهم حقهم في ترشيح من يأتي خليفة وفي كل هذا خروج عن القاعدة الفكرية الإسلامية^(٣) .

٢. إن الخليفة معاوية كان يعول في تأييده على فكرته بالدهاء والسياسة والحزم حتى لو كان فيها خرق لحرمة الدين وإهانة لأهله^(٤) .

لم يكن موقف أبناء الصحابة إيجابياً مع معاوية لأنهم يعلمون ويدركون النوايا في نفوس بني أمية وكان عبدالرحمن بن أبي بكر* من أقوى العناصر المعادية لبيعة يزيد^(٥) ، لذلك قال لمروان بن الحكم : " ما الخيار ؟ أردتما لأمة محمد ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل " ^(٦) ، أي تباعون لأبنائكم^(٧) ، فقال مروان : هذا الذي يقول الله تعالى فيه ((وَالَّذِي قَالَ لِلرَّأْسِ أَلْفَ لَكَا))^(٨) ، فسمعت أم المؤمنين عائشة بذلك فغضبت وقالت : والله ما هو ولو شئت لسميته^(٩) ، ولم يختلف موقف بقية أبناء الصحابة البارزين من ذلك الموقف من أمثال عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر والإمام (ت) .

وعندما علم الخليفة معاوية من مروان موقف أبناء الصحابة في المدينة من أمر البيعة وما بعده من أمره غضب عليهم فسار إلى الحجاز بألف رجل^(١٠) ، من أجل أن يأخذ بيعتهم ، وهذا غير مألوف لأن المبايع هو الذي يذهب من أجل إعطاء البيعة^(١١) ، وحين أقرب من المدينة ، لقيه الإمام (ت) أول الناس ، فلما نظر إليه قال : " لا مرحباً ولا أهلاً ، بدنه يترقرق دمها والله مهريقه ، قال الحسين : مهلاً فإني - والله - لست بأهل لهذه المقالة ، فقال معاوية : بل ولشر منها ، ثم لقيه ابن الزبير ، فقال له : لا أهلاً ولا مرحباً ضب خب تلعه يدخل رأسه ويضرب بذنبه ، ويوشك - والله - أن يؤخذ بذنبه ويدق ظهره - نحياه عني - فضرب وجه راحلته ، ثم لقيه عبدالرحمن بن أبي بكر فقال له معاوية : لا أهلاً ولا مرحباً ، شيخ قد خرف وذهب عقله ، ثم أمر بضرب راحلته ، ثم فعل بابن عمر نحو ذلك^(١٢) .

(٢) مظهر بن طاهر (ت ٣٢٢ هـ) ، البدء والتاريخ ، ترجمة كلمان هوار ، مطبعة برطوند ، (مدينة شالون / بلات) ، ج ٥ ص ٦ .

(٣) فاضل زكي محمد ، الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره ، ط ٢ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد / ١٩٧٦ م) ، ص ١٨٧ .

(٤) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ط ٢ ، مطبعة الهلال ، (مصر / ١٩١٤ م) ، ج ٢ ص ٧٨ .
* عبدالرحمن بن أبي بكر : عبدالله بن أبي قحافة وأسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة ، وأمه أم

رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن مالك بن كنانة وهو من الصحابة شهد بدرًا مع المشركين واسلم في هدنة الحديبية . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ٢١ .

(٥) القرشي ، باقر شريف ، حياة الإمام الحسين (ت) ، ط ١ ، مطبعة الآداب ، (النجف / ١٣٩٥ هـ) ، ج ٢ ص ٢١٦ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٦ .

(٧) ابن طاووس الحلبي ، أحمد بن موسى (ت ٦٧٣ هـ) ، عين العبرة ، دار الشهاب للنشر ، (قم / بلات) ، ص ٥٢ .

(٨) سورة الاحقاف ، آية ١٧ .

(٩) ابن طاووس الحلبي ، عين العبرة ، ص ٥٢ .

(١٠) المالكي ، محمد بن عبدالله محمد (ت ٥٤٣ هـ) ، العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة ، تح د. محمد جميل غازي ، ط ٢ ، دار الجبل للنشر ، (بيروت / ١٤٠٧ هـ) ، ص ٢٢١-٢٢٢ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٠٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٤

٨ ص ٤٢٥ .

(١٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٨ .

والذي يمكن إن نستنتج من هذا الأمور الآتية :

١. غضب الخليفة معاوية من أبناء الصحابة لأنهم لم يبايعوا أبنه يزيد وما خروجه إلى مكة^(١) إلا دليل على هذا الغضب .
٢. أظهر الخليفة معاوية وجهه الحقيقي من أجل أخذ البيعة لأبنه يزيد ، لذلك كانت كلماته في أول دخوله مخالفة لكلماته عندما لحق بهم إلى مكة فقال للإمام (t) : مرحباً وأهلاً يا ابن رسول الله وسيد شباب المسلمين^(٢) ، ثم فعل بالباقيين مثل ذلك وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة .

أما موقف أبناء الصحابة منه في مكة فأنهم قد اتفقوا على أن يكون المخاطب له نيابة عنهم هو عبدالله بن الزبير ، فأحضرهم الخليفة معاوية وقال لهم : " قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم وحملتي ما كان منكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم . وأردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتحبون المال وتقسّمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك ، فسكتوا فقال : إلا تجيبون ، مرتين^(٣) ، وربما كان غرض معاوية من هذا هو جس نبض أبناء الصحابة ومعرفة موقفهم من يزيد بن معاوية ، هذا فضلاً أنه أراد أن يعرف منهم من هو الأبرز فيهم وصاحب الدور الفعال ، لذلك قال لأبن الزبير ، هات لعمرى إنك خطيبهم^(٤) ، فقال : " نعم ، نخيرك بين ثلاث خصال ، قال : أعرضهن ، قال : تصنع كما صنع رسول الله (ﷺ) ، أو كما صنع أبو بكر ، وأن شئت فاصنع كما صنع عمر ، جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه ، قال معاوية : هل عندك غير هذا ؟ قال : لا ، ثم قال : فأنتم ، قالوا : قولنا قوله ، قال : فإني قد أحببت أن أتقدم إليكم ، أنه قد أعذر من أنذر " ^(٥) .

والذي يمكن الخروج من هذا هو :

١. أن أبناء الصحابة اتفقوا وأجمعوا على أن يكون ولي عهد معاوية بإحدى الطرائق التي وصل إليها الخلفاء الأوائل وهذا ما سبب غضبه وحقده عليهم ، لذلك أخذ بحسبانته أمراً مهماً هو أخذ البيعة لأبنه يزيد وهو يعد لها منذ طفولة يزيد .
 ٢. أن معاوية قد استخدم سياسة التهديد والوعيد من أجل أخذ البيعة ليزيد حينما قال لهم " أعذر من أنذر " ويبدو أنه قد عد خطة لذلك بعد الخطاب بأبناء الصحابة حينما استدعى الفرسان من أنصاره وأوقفهم على رؤوس الناس ، فقال لهم : " أني قائم بمقالة فأقسم بالله لنن رد عليّ أحكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يبقين رجلاً إلا على نفسه " ^(٦) ، وفعلاً وزع معاوية حرسه واقفين على رؤوس أبناء الصحابة فقال : " أن هؤلاء الرهط سادة المسلمين لا يبيت أمراً دونهم ولا يقضي إلا عن مشورتهم ، وأنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله ، فبايع الناس " ^(٧) .
- والذي يمكن أن نستكشفه من هذا النص الأمور الآتية :

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٨ .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٩ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٠ .

(٣) القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦ هـ) ، ذيل الأمالي والنوادر ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة / ١٩٩٢) ، ص ١٧٦ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٠ - فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية ، نقله عن الألمانية د. محمد عبدالهادي ، ترجمة د. حسين مؤنس ، (القاهرة / ١٩٨٥) ، ص ١١٧ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١١ .

أ. أنها بيعة قسرية لذلك قال عنها أرنولد^(١) : بأنها بدعة أجبر معاوية أهل المدينة على قبولها كرهاً وخوفاً .

ب. أن الخليفة معاوية خدع أهل مكة بتلك البيعة لأنها لم تطابق ما أشار إليه في رسالته إلى مروان حينما كتب إليه في أمرهم " فاعرض عليهم بالذي يردون عليك " ^(٢) .

ج. تخوف أبناء الصحابة من سياسة المكر والخداع التي مارسها الخليفة معاوية مع غيرهم من الشخصيات البارزة في الأمصار العربية التي فيها لهم شأن عظيم كما حصل ذلك مع محمد بن أبي بكر* ، بعد أن مثل جلاوزة معاوية به أبشع تمثيل فالقوه بعد قتله في جيفة حمار وأحرقوه^(٣) ، أو قتله لعبدالرحمن بن خالد بن الوليد بسبب منزلته الرفيعة في أهل الشام^(٤) ، أو سمه للإمام الحسن (t) أو قتله لحجر بن عدي الكندي وأصحابه في مرج عذراء^(٥) .

د. أن أبناء الصحابة ربما لا يعطون أي أهمية لمنصب ولاية العهد ، كونه منصباً غير مألوف عندهم سابقاً .

لم يبق من أوضاع العراق السياسي سوى الخوارج ودورهم في أحداث العراق حتى سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م .

(١) أرنولد ، توماس ، الخلافة ، تاريخ الحضارة الإسلامية حتى آخر العهد العثماني ، ترجمة الأستاذ حسن حيدر اللبناني ، ط ٢ ، مطبعة أوفست ، دار التضامن للطباعة والنشر ، (بغداد / ١٩٦١م) ، ص ١٧ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥٠٦ .

*محمد بن أبي بكر بن قحافة من أصفياء الإمام علي (t) والتزم الإمام بناءً على مشورة أخته عائشة أم المؤمنين حينما قالت له الزم علي بن أبي طالب . ينظر : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١ هـ) ، الهداية ، تح مؤسسة الإمام المهدي ، ط ١ ، مطبعة الأعتد ، (قم / ١٤١٨ هـ) ، ص ١٠١ - ابن جبير ، زين الدين علي بن يوسف (ت القرن السابع) ، نهج الإيمان ، تح السيد احمد الحسيني ، ط ١ ، مطبعة ستارة ، مجمع الهادي للنشر ، (شهد / ١٤١٨ هـ) ، ص ١٨٧ - .

(٣) العاملي ، زين الدين علي بن أحمد (ت ٩٦٦ هـ) ، مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد ، مطبعة مهر ، تح ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، (قم / ١٤٠٧ هـ) ، ص ٧١ - الحسيني ، محمد بن عقيل بن عبدالله ، تقوية الإيمان ، ط ١ ، دار البيان العربي ، (بيروت / ١٤١٤ هـ) ، ص ٨٢ - العسكري ، مرتضى ، أحاديث أم المؤمنين عائشة ، مطبعة النهضة ، (١٤١٨ هـ) ، ج ١ ص ٣٥٠ .

(٤) البغدادي ، المنمق في أخبار قريش ، ص ٣٦٠ - أبو رية ، محمود ، شيخ الغيرة أبو هريرة ، ط ٣ ، مطبعة المعارف ، (مصر / بلات) ، ص ١٧٥ .

*مرج عذراء : بغوطة دمشق ، العذراء ، العذراء قرية من قرى دمشق . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٠١ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ص ١٢٧ .

(٥) الحسيني ، تقوية الإيمان ، ص ٨٢ .

موقف الخوارج من الخلافة الأموية لغاية سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ هـ

لم يكن موقف الخوارج* السياسي حسناً مع الخليفة معاوية لأنهم كانوا متيقنين ببطلان سلطانه فبعد صلح الإمام الحسن (ت) لم يجد الخوارج غير الجهاد لذلك قالوا : " قد جاء الآن ما لا شك فيه ، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه "(١) وكانت قيادتهم بزعامة فروة بن نوفل الأشجعي** فأرسل إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام فكشفوا أهل الشام ، فقال الخليفة معاوية لأهل الكوفة ، لا أمان لكم عندي والله حتى تكفوا ، فخرج أهل الكوفة لقتال الخوارج فقاتلوه وبذلك أستطاع أن يخلص منهم .

والذي يبدو لنا إن حركات الخوارج كان موقفها متغيراً تبعاً لموقف الولاة ، فنجد مثلاً إن عهد المغيرة بن شعبة كان يتصف باللين لذلك ازداد نشاطهم وتحركهم ، " كانت الخوارج يلقي بعضهم بعضاً "*** لذلك كثرت الحركات في عهده ، أما في البصرة فقد كان للخوارج موقف مشابه لخوارج الكوفة فقد كانوا أكثر نشاطاً وتحركاً بالرغم مما أتصف به الولاة من قسوة وبطش وشدة وربما لأن هذا التحرك هو بسبب قربهم من المناطق الفارسية وهذا ما يسهل حركتهم وهروبهم إلى خارج مصر البصرة ، فيذكر ابن الأثير(٢) أن زياد بن أبيه قد أصبح والياً على العراق بعد وفاة المغيرة بن شعبة ، فأصبح يقيم سنة أشهر في البصرة وأخرى في الكوفة ، وعندما تحرك زياد إلى الكوفة ترك سمرة بن جندب*** نائباً عنه ، فعاد الخوارج ثوراتهم ونشاطهم ، ولكن سمرة تتبعهم بالقتل في كل مكان فقتل منهم ثمانية آلاف ، فقال له زياد : أتخاف أن تكون قتلت بريئاً ؟ فقال : لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت ، وكان ضمن هؤلاء القتلى سبعة وأربعون كلهم قد جمع القرآن قتلهم في غداة واحدة(٣) ، ثم خطب فيهم زياد بعد مجيئه إلى البصرة فقال : " يا أهل البصرة والله لتكفني هؤلاء أو لأبدان بكم ، والله لنن أفلت منهم رجلاً لا تأخذون العام من عطائكم درهماً ، فثار الناس بهم فقتلوه "(٤) .

وهكذا كانت سياسة الشدة والقتل والحبس هي سياسته وهي نفس سياسة أبه عبيدالله بن زياد عندما ولي البصرة سنة ٥٥ هـ / ٦٧٥ م(١) ، فكان من سياسته معهم أنه يحبسهم ثم يدعوهم إلى القتال فيما بينهم ويخلي سبيل القاتلين ، فيذكر ابن الأثير(٢) " أن عبيدالله دعاهم وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً ويخلي سبيل القاتلين ففعلوا فأطلقهم " وكان ممن قتل طواف* ، فغدلهم أصحابهم وقالوا

*الخوارج : كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه ، سواء كان في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والأئمة في كل مكان . ينظر : الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨ هـ) ، الملل والنحل ، تح د. حسين جمعة ، ط ١ ، منشورات دار دانية للطباعة والنشر ، (بيروت / ١٩٩٠) ، ص ٥٠ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ١٦٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٤٠٩ .
**فروة بن نوفل : فروة بن نوفل الأشجعي ، قيل له صحبة وله رواية في الجزية ، روى عن عائشة وروى عنه أبو إسحاق السبيعي . ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج ٥ ص ٢٩٧ - الذهبي ، من له رواية في الكتب الستة ، ج ٢ ص ١٢١ - الحلي ، الحسن بن يوسف (ت ٧٦٢ هـ) ، منتهى المطلب ، (تبريز / ١٣٣٣ هـ) ، ج ٢ ص ٩٦٠ .
***للمزيد من الإطلاع على هذه الحركات حتى نهاية سنة ٦٥ هـ ، وخاصة في الكوفة . ينظر : الطائي ، أسامة كاظم عم

، الاتجاهات السياسية القبلية في الكوفة خلال العصر الأموي ٤١ - ٦٥ هـ / ٦٦١ - ٦٨٤ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بابل / ٢٠٠٥ م) ، ص ٢٢٩-٢٥٨ .

(٢) الكامل ، ج ٣ ص ٤٠٩ .
***سمرة بن جندب : سمرة بن جندب بن هلال بن صريح بن حرة بن حزن بن عمرو بن جابر بن خشين بن فزارة ، من صحابة رسول الله وله حلف في الأنصار . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٤ ص ٣٦٤ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٤٦٣ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٤٦٣ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣٠٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٤٦٣ .

(٢) الكامل ، ج ٣ ص ٥١٦ .

* طواف : طواف بن غلاق ، من زعماء الخوارج في البصرة وكان شجاعاً تقياً . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٦ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٢٣٣ .

: أقتلتم إخوانكم ، قالوا : أكرهنا ، وقد يكره الرجل علي الكفر وهو مطمئن بالإيمان^(٣) . لكن ما نؤي عليه وفكر به ابن زياد لم يحصل ، فإنه أراد زرع الفتنة القبيلة بين الخوارج أنفسهم لكنهم توحدوا بعد أن تابوا من عملهم هذا بعد مشاورة الهنثاء بن ثور السدوسي^١ ، لذلك خرجوا للتوبة والجهاد على أن يقتلوا من يلحق بهم عملاً بالآية القرآنية ((ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ))^(٤) ، فدعا طواف أصحابه إلى الخروج فبايعه ستون رجلاً من عبد القيس^٢ ، واجمعوا أمرهم بيد طواف^(٥) ، فعلم بن زياد ذلك وكذلك علم طواف أن ابن زياد أدرك خروجهم لذلك عجل الخروج في نفس الليلة بعد أن قتلوا رجلاً ومضوا إلى الجلماء^٣ فأرسل إليهم ابن زياد الشرطة المحاربة لقتالهم فقاتلهم فانهزم الشرطة حتى دخلوا البصرة وأتبعوهم وذلك يوم عيد الفطر ، وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا^(٦) .

أما الخروج الآخر لهم – الخوارج – كان على يد عروة بن أدية التميمي^٤ ، بعد أن خسر ابن زياد رهاناً له ، فلما جلس ينتظر الخيل أجمع إليه الناس وفيهم عروة ، فأقبل على ابن زياد يعظه وكان مما قال له قوله تعالى : ((الَّذِينَ يَكُلُّ رِيعَ آيَةٍ تَعْبُثُونَ * وَتَخْذُونَ مَصَافِحَ لَكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ))^(٧) فظن ابن زياد أن عروة قال ذلك لأنه معه جماعة من أنصاره^(١) ، فقام وترك رهانه ، فعلم الناس أن عروة مقتول عن قريب لذلك قيل له " ليقتلنك "^(٢) فاختلف عروة نتيجة ذلك فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة ، فأخذ وقدم به إلى علي ابن زياد ، فقطع يديه ورجليه وقتله ، وقتل أبنته ، لأن ابن زياد كان لا يتردد في قتاله حتى النساء من الخوارج وخاصة المجتهدين منهم ، فقد قتل – البلجاء^{*} – التي كانت تثير الناس حوله وتذكر تجبره وسوء سيرته^(٣) ، ولم يكتف بقتلها بل قطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق ، فمر بها أبو بلال^{*} في السوق فعرض على لحيتها ، وقال : أهذه أطيب نفساً بالموت منك يا مرداس^(٤) .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٦ .

**الهنثاء بن ثور السدوسي : لم أجد له ترجمة في كتب التاريخ .

(٤) سورة النحل ، آية ١١٠ .

***عبد القيس : عبد القيس بن أفصن بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وقيل ربيعة الفرس أبو قبيلة ، وهو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وقال همدان أن عبد القيس قبيلة من اليمن – ينظر : البرقي ، أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤ هـ) ، المحاسن ، تح السيد جلال الحسين ، ط ١ ، دار الكتب الإسلامية ، (بلات) ، ج ١ ص ١٤٧ – المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١١ هـ) ، بحار الأنوار ، ط ٣ ، دار إحياء التراث ، (بيروت / ١٤٠٣ هـ) ، ج ٦٥ ص ٨٨ – الزركلي ، الاعلام ، ج ١ ص ١٩٨ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٧ .

***الجلماء : موضع من البصرة على فرسخين وبها اعتزل الأحنف وأصحابه عند وقعة الجمل – ينظر : البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ٢ ص ٣٨٩ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٧ .

*****عروة بن أدية : عروة بن جدير أحد بني ربيعة بن حنظلة وهو من رؤساء الخوارج وهو أخو مرداس بن أدية ، وهو صاحب أول سيف شهر في التحكيم . ينظر : البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) ، أنساب الأشراف ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت / ١٣٩٤ هـ) ، ص ٣٣٦ – الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج ٣ ص ٦٣ .

(٧) سورة الشعراء ، آية (١٢٨ - ١٣٠) .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣١٣ – ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٨ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٨ .

*البلجاء : وهي امرأة من بني حرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن مناة بن تميم ، قتلها ابن زياد وليس مثلما يذهب إليه الأستاذ ثابت إسماعيل الراوي بأنها قتلت في عهد زياد بن أبيه . ينظر : ابن أبي الحديد المعتزلي ، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ) ، شرح نهج البلاغة ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة آية الله المرعشي ، (قم / بلات) ، ج ٥ ص ٨٢ – الراوي ، ثابت إسماعيل ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١٠١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٨ – ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٥ ص ٨٣ .

**أبو بلال : مرداس بن أدية ، وهو مرداس بن جدير ، وهو تابعي يعد من كبار الخوارج ، وأمه من عظماء الشراة ، وهو احد الخطباء الابطال العباد شهد معركة صفين مع الإمام علي (ع) . ينظر : السجستاني ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥

والذي يمكن الخروج به من قتل البلجاء الأمور الآتية :

١. منع النساء من الخروج مرة أخرى ضده ، وبهذه الحالة أستطاع من السيطرة على أمرهن ولم نجد في التاريخ خروجاً لامرأة غيرها في حياة ابن زياد .
٢. إن زياد كان يدرك وجود النساء مع الرجال في القوة العسكرية يزيد من حماسة المقاتلين وبالتالي تزيد من إصرارهم على القتال ، ولذلك فعل فعلته هذه .

ثم إن ابن زياد تابع وبشدة تحركات الخوارج فملاً بهم السجن وأخذ الناس بسبهم وحبس أبا بلال قبل قتل أخيه عروة ، فرأى السجن عبادته فأذن له كل ليلة في إيتائه أهله^(٥) ، فكان يأتهم ليلاً ويعود مع الصبح ، وكان صديق لمرداس يسامر ابن زياد ، فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم ، فأنطلق صديق لمرداس إليه فأعلمه بالخبر ، وبات السجن بليلة سوء خوفاً أن يعلم مرداس فلا يرجع ، فلما كان الوقت الذي كان يعود فيه إذا به قد أتى فقال له السجن : ما بلغك ما عزم إليه الأمير ، قال : بلى ، قال : ثم جئت ، قال : نعم ، لم يكن جزاؤك مني مع إحسانك إلي أن تعاقب ، وأصبح عبيد الله فقتل الخوارج ، فلما أحضر مرداس ، قام السجن ، وكان ظنراً لعبيد الله فشفع فيه وقص عليه قصته فوهب له وخلي سبيله^(١) .

ونجا مرداس من السجن فلما خرج ورأى جد ابن زياد في طلب الشراة** عزم على الخروج فقال لأصحابه : والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجري علينا أحكامهم مجانين للعدل مفارقين للفعل والله إن الصبر على هذا لعظيم وإن تجرد السيف وإضافة السبيل لعظيم ولكننا ننتبذ عنهم ، ولا نجر سيفاً ولا نقاتل إلا من قاتلنا ، فأجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً^(٣) ، وخرج بهم إلى الأهواز*** ، فراراً من سياسة ابن زياد ، فلما مضى بأصحابه لقيه عبدالله بن رباح الأنصاري وكان فقيهاً للأنصار^(٤) ، وصديقاً لمرداس ، وممن يتخوف سياسة ابن زياد فقال له : " أين تريد ، قال : أريد أن أهرب من رب ديني وأديني أصحابي

(هـ) ، سؤالات الأجرى داود ، تح عبدالمعطي البستوني ، ط ١ ، مطبعة ودار الاستقامة للنشر ، (١٤١٨ هـ) ، ج ٢ ص ٤٨ - الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج ٤ ص ٨٨ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢٠٢ .
(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٥ ص ٨٣ .
(٥) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ص ١٧٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣١٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٨-٥١٩ .

*ظنراً : المرضعة لغير ولدها . ينظر : ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) ، لسان العرب ، تح لجنة من الأساتذة ، دار الحديث للطباعة ، (القاهرة / ٢٠٠٣) ، ج ٦ ص ٥ .
(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣١٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٩ .
**الشراة : وهم الخوارج والنسبة إليهم شاري أي البائع الذي يبيع نفسه لله ومن ذلك سمي الخوارج الشراة ، لأنهم زعموا أنهم باعوا أنفسهم لله بالمنية حين فارقوا الأئمة الجائرة وعملاً بالآية ((ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)) سورة البقرة آية ٢٠٧ ، وكذلك قوله تعالى : ((أن الله اشتري المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وذلك هو الفوز العظيم)) سورة التوبة ، آية ١١١ . ينظر : المنقري ، نصر بن مزاحم (ت ٢٦٢ هـ) ، وقعة صفين ، ، تح عبدالسلام محمد هارون ، ط ٢ ، المؤسسة الحديثة للطبع ، (القاهرة / ١٣٨٢ هـ) ، ص ١٨٢ - الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح أحمد عبدالغفور عطا ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٤٠٧ هـ) ، ج ٦ ص ٢٣٩٢ - السمعاني ، الأنساب ، ج ٣ ص ٢٧٤ - محمد جواد مشكور ، موسوعة الفرق الإسلامية ، تعريب علي هاشم ، ط ١ ، مجمع البحوث الإسلامية ، (بيروت / ١٤١٥ هـ) ، ص ٢٣٢ - الاسترأبادي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج ٤ ص ٣٦٦ .
(٣) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ص ١٤٨ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣١٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٩ ، ذكران

ينهما اربعون رجلاً ، يبدو أن المبرد هو أكثر صواباً لأن معلوماته أوفر بالنسبة لغيره في مسألة الخوارج . .
***الأهواز : بلد يجمع سبع كور ، وكورة الأهواز واحدة منهن . ينظر : البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ١ ص ٢٠٦ .
(٤) الدرامي ، عبدالله بن بهرام (ت ٢٥٥ هـ) ، سنن الدرامي ، مطبعة الاعتدال ، (بلات) ، ج ٢ ص ٢١٨ .

من أحكام هؤلاء الجورة " ، وبعد أن سار مرداس نزل أسك*** ، وفيها أخذ مال كان قد حمل إلى ابن زياد^(٥) ، فأعطي أصحابه منه وأرسل الباقي منه بيد الرسل وقال له : " قولوا لصاحبكم ، إنما قبضنا اعطياتنا " ^(٦) ، لذلك ربما يرى البعض من المؤرخين^(٧) إن سبب تسميتهم بالخوارج كونهم يأخذون العشر من الأموال ، وهذا غير صحيح لأن سبق أن وضعنا في بداية الموضوع إن الخوارج كانوا متيقنين ببطلان سلطان الخليفة معاوية وربما كانت سياستهم هذه الغرض منها هو إثارة الوالي الأموي في البصرة .

بعد أن علم ابن زياد إن الخوارج قد أخذوا الأموال فزع فرعاً شديداً لذلك لم يتردد في إرسال قوة عسكرية بقيادة أسلم بن زرعة الكلابي* ، في ألفين وتنامي أصحاب مرداس إلى أربعين رجلاً^(٨) ، فلما وصل إليهم صاح به أبو بلال : اتق الله يا أسلم فإننا لا نريد قتالاً ولا نحتاج فيناً ، فما الذي تريد ؟ قال : أريد أن أردكم إلى ابن زياد ، قال مرداس إذن يقتلنا ، قال : وإن قتلكم ، قال : تشركه في دماننا ، قال : أني أدین بأنه محق وأنتم مبطلون ، فصاح به حريث بن حجل السدوسي* ، أهو محق وهو يطيع الفجرة ، وهو أحدكم ويقتل بالظنة ويخص بالفيء ويجور في الحكم ، فرمى أصحاب أسلم رجلاً من أصحاب أبي بلال فقتلوه ، فقال أبو بلال : قد بدوكم بالقتال ، فشد الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم فقدموا البصرة ، فلام ابن زياد أسلم وقال : هزمك أربعون وأنت في ألفين لا خير فيك^(٩) .

ما خرجنا من موقف الخوارج من الخلافة الأموية هو :

١ . كثرة الحركات والثورات الخارجية على الساسة الأمويين إلا إنها غير منظمة ومتفرقة على الرغم من انتصارهم في قسم منها ، مما سهل على الأمويين القضاء عليهم لذلك سوف نجد إن دورهم لم يبرز إلا في حصار الكعبة*** وكان أحد أسباب خروجهم هو السياسة القسرية لابن زياد .

****أسك : موضع ببلاد فارس بالأهواز بين رامهرمز وأرجان . ينظر : البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ١ ص ٩١ – الزركلي

الاعلام ، ج ٧ ص ٢٠٢ .

^(٥) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ص ١٤٨ – ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٩ .

^(٦) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ص ١٤٨ – الأستراباذي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج ٤ ص ٣٦٦ .

^(٧) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ) ، التعريفات ، تح إبراهيم الايباري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٤٠٥ هـ) ، ج ١ ص ١٣٧ – المناوي ، محمد عبدالرؤوف (ت ١٠٣١ هـ) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تح د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، (بيروت / ١٤١١ هـ) ، ج ١ ص ٣٢٨ .

*أسلم بن زرعة : أسلم بن زرعة البصري الكلابي ، روى عن أبي موسى الاشعري وروى عنه عبدالله بن بريدة – ينظر : الرازي ، عبدالرحمن بن علي بن حاتم (ت ٣٢٧ هـ) ، الجرح والتعديل ، ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت / ١٣٧١ هـ) ، ج ٢ ص ٣٠٦ – ابن حبان ، الثقات ، ج ٤ ص ٤٥ .

^(٨) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ص ١٤٩ – ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٥ ص ٨٥ .

**حريث بن حجل : حريث بن حجل السدوسي واحد من رؤساء المشهورين الذين رفضوا زعامة الخوارج . ينظر : المبر

الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٤٨ .

^(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٥١٩ – الأستراباذي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج ٤ ص ٣٦٦ .

***في حصار الكعبة نوضح كيف خرجوا من البصرة إلى الكوفة . ينظر : فص ٣ ص ١٢٩-١٣٠ .

٢. انقسام الولاء السياسي في القبيلة نفسها فنجد على سبيل المثال إن قبيلة عبدالقيس الشيعية هناك من يقف معها مع الشيعة ويحارب الخوارج من أمثال صعصعة بن صوحان**** وقيس بن معقل الرياحي***** ، وهناك من خرج مع طواف وكان عددهم سبعين رجلاً كما ذكرنا سابقاً .

المقدمة

قدمتُ هذا الجهد المتواضع خطوة أولى في بداية المسيرة العلمية لدراسة الأوضاع السياسية في العراق والحجاز من سنة (٦٠-٦٥هـ / ٦٧٩-٦٨٤م) ، وجاء اختيار هذه الدراسة كونها مدة بداية عهد جديد - يزيد بن معاوية - وهي من الفترات المهمة والدرجة في التاريخ الإسلامي خصوصاً في هذين المصرين ، لما نتج عنها من عواقب وخسائر بشرية كبيرة جاءت نتيجة سوء سياسته تجاه الرعية ، وأن اختيارنا لهذين المصرين دون غيرهما بسبب تشابك الأحداث السياسية فيهما وكون هدفهما واحد فأهل العراق كانوا كارهين لخلافة بني أمية وأهل الحجاز كانوا يرون أنهم أبناء الصحابة ولهم الأفضلية في الخلافة .

فُسمت الدراسة على مقدمة وتمهيد وستة فصول ، في المقدمة ذكرنا سبب اختيار الموضوع ، وفي التمهيد أشرنا إلى موضوع جوهرى ومهم هو ولاية العهد ليزيد بن معاوية سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م ، وكيف تم ترتيب الأوضاع السياسية للبيعة في العراق بالمال وكيف كانت البيعة بالسيف في الحجاز ، وهناك سؤال مهم هو هل ولاية العهد أمر لم يفكر به معاوية أم جاء نتيجة مشورة المغيرة بن شعبة ؟ كما ذكرنا موضوع الخوارج لغاية سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م ، وسياسة بني أمية أ تجاههم ، كذلك بينا أنه لم يكن لهم دور واضح خلال الدراسة إلا في بعض الفترات التاريخية .

إن من الأمور المهمة التي لابد للمتبعين أن يعرفوها أنه لم يكن هناك دور بارز لمصر الموصل مثلما كان لمصر الكوفة رغم أنهما من أمصار العراق ، إضافة إلى أننا حين نذكر أحياناً أهل العراق فإن المقصود بهم الشيعة من أهل العراق .

أما في إقليم الحجاز الذي يتكون من ثلاثة أمصار هي الطائف ، مكة والمدينة ، فلم يكن هناك دور بارز لأهل الطائف ضد الخلافة الأموية ، وربما أن موقفهم كان موالياً للبيت الأموي ، لذلك اقتضت الدراسة أن تكون حصراً في المدينة ومكة .

****صعصعة بن صوحان : صعصعة بن صوحان بن حارث العبدي من سادات عبدالقيس ، من أهل الكوفة ، نفاه المغيرة إلى جزيرة (أوال) في البحرين بأمر من معاوية فمات بها في سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م وكان من أصحاب الإمام علي (ع) وهو ثقة . ينظر : ابن شبة النميري ، أبو زيد عمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ) ، تاريخ المدينة المنورة ، تح فهم محمد شلتوت ، ط ٢ ، مطبعة قدس ، منشورات دار الفكر ، (قم / ١٤١٠ هـ) ، ج ٣ ص ١٠٦٣ - الطريحي ، فخرالدين (ت ١٠٨٥ هـ) ، مجمع البحرين ، تح السيد أحمد الحسيني ، ط ٢ ، مكتبة الثقافة الإسلامية للنشر ، (بلات) ، ج ٢ ص ٦١٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٢٠٥ .

*****قيس بن معقل : قيس بن معقل الرياحي ، أحد الأبطال الشيعة وشجعانها . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢ ص ١٥٣ .

في الفصل الأول ذكرنا تسلم يزيد بن معاوية الخلافة ، وإجراءاته إزاءها وهل تمسك بوصية والده ، وأسباب خروج أبناء الصحابة من المدينة إلى مكة ، ولماذا مكة ، وردة الفعل عند أهل العراق لما علموا ان الإمام (t) لم يبايع يزيد بن معاوية ومراسلتهم الإمام (t) ، ولماذا أرسل إليهم مسلم بن عقيل ، وكيف كانت الأوضاع السياسية في الكوفة ، وموقف الحزب الأموي من مجيء مسلم ، واستقبال أهل الكوفة لأبن زياد ، بالإضافة إلى أسباب أخفاق مسلم في مهمته .

وفي الفصل الثاني بينا الرحلة الأهم في هذه الثورة وهو مجيء الإمام (t) إلى الكوفة ، وتعامل الأمويين معه ، وإجراءات أبن زياد ضده ، وموقف أهل الكوفة إزاء هذه الظروف والأوضاع ، فضلاً عن أهم أسباب الثورة ، وأبرز نتائجها ، كما وضعنا موقف الساسة الأمويين من الخوارج باعتبارهم الفئة المناوئة لحكمهم ، وكيف حسم أمرهم في البصرة سنة (٦٠-٦١هـ/٦٧٩-٦٨٠ م) .

و الفصل الثالث وكان عن حركة عبدالله بن الزبير وجذورها ، وكيف استغل ابن الزبير موقف استشهاد الإمام (t) ، وهل هناك علاقة له بواقعة الحرة في المدينة سنة ٦٣هـ/٦٨٢ م ، وموقف الإمام علي بن الحسين (t) من هذه الحركة بالرغم من أن الاثنين موقفهما ضد البيت الأموي ، لكن ما نجده ان الإمام علي بن الحسين (t) لم يشترك في هذه الحركة ، كما بينا كيف توحدت التيارات السياسية المناوئة للبيت الأموي في حصار الكعبة الأول سنة ٦٤هـ/٦٨٣ م ، وملازماتها لعبدالله بن الزبير ولاسيما الخوارج ، والأسباب التي دعته لذلك ، فضلاً عن مبايعة أبن الزبير بالخلافة وموقف المختار منه وعلامات إخفاق الحركة .

وفي الفصل الرابع بينا جذور ثورة أهل المدينة وأسبابها وكيف كانت سياسة الأمويين والمتمثلة بمسلم بن عقبة المرى تجاه أهل المدينة بعد دخوله إليها وأسباب إخفاق الثورة ونتائجها .

وفي الفصل الخامس كان لابد من ذكر خلافة معاوية بن يزيد لمعرفة الأوضاع السياسية في الشام وانعكاساتها على الحجاز والعراق ، وموقف بني أمية في مؤتمر الجابية والنتائج المترتبة عليه .

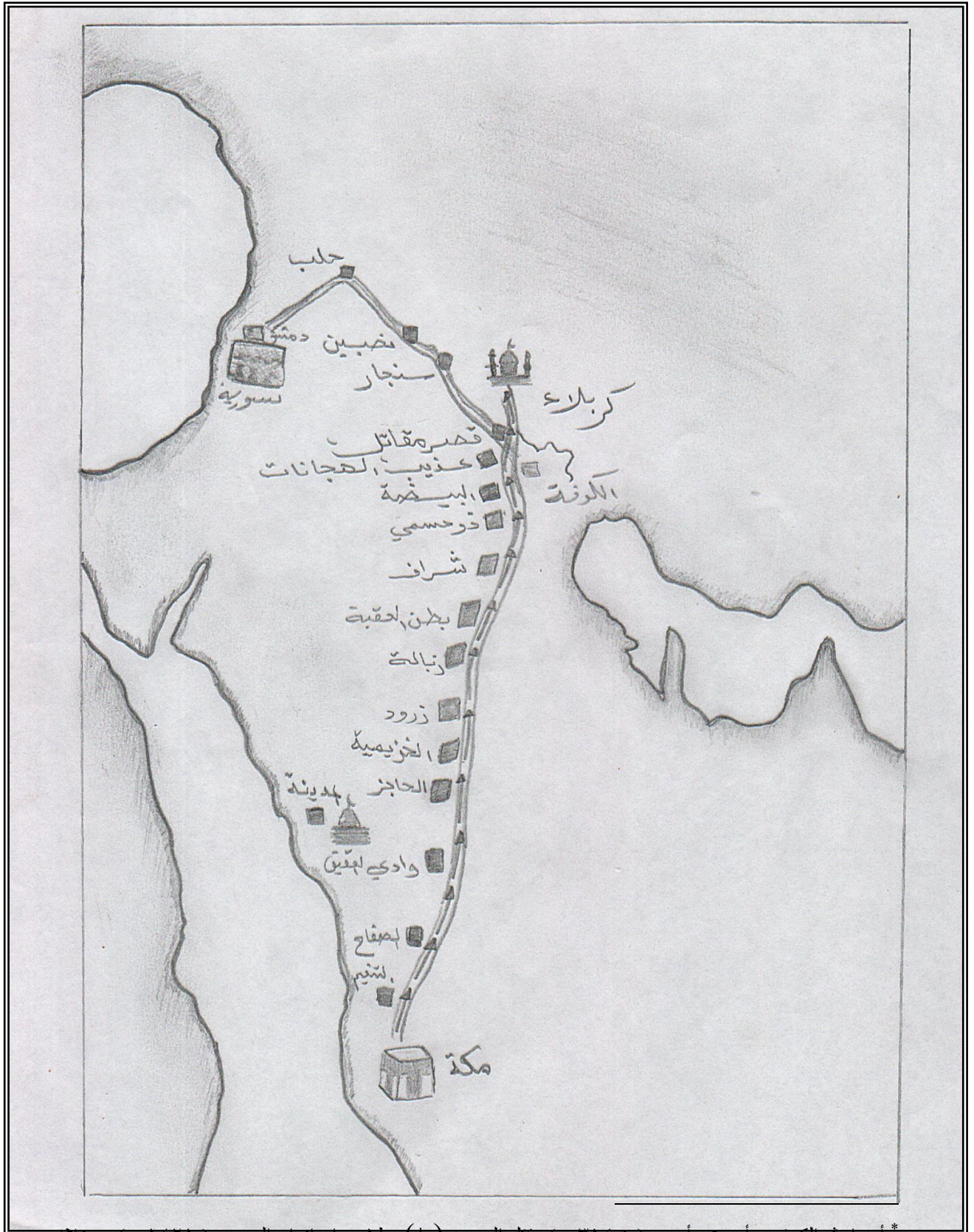
وفي الفصل السادس وضحنا حركة التوابون وطبيعتها واتصالاتها وموقف الاتجاه العلوي منها وكذلك موقف الخلافة الزبيرية وأسباب إخفاقها ونتائجها ، كما ذكر وضع الخوارج في سنة ٦٥هـ / ٦٨٤ م .

الصعوبات العلمية

عدم توفر بعض المصادر الخاصة بالخوارج ربما بسبب تعرض المكتبات الى الحرق او السرقة ، وصعوبة الحصول على ترجمة بعض الشخصيات حيث لم يتم ترجمة بعضاً من الشخصيات المهمة لعدم توفرها في كتب الطبقات او التراجم .

اما الصعوبات الاخرى في الدراسة فما يمر به البلد من ظروف امنية وعدم استقرار لذلك اصبح الانتقال من جامعة الى اخرى او محافظة الى اخرى صعباً هذا فضلاً عن انقطاع التيار الكهربائي مما ولد صعوبة في الكتابة والحصول على المعلومات ، وصعوبة الانتقال بين الجامعات العراقية بسبب الوضع الراهن الذي يمر به العراق .

مسيرة الإمام الحسين (ع) *

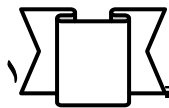


* ابن اعلم الكوفي، أبي محمد أحمد (ت ٣١٤ هـ) مقتل الحسين (ع)، ط ١، دار انوار الهدى، (١٤١١ هـ)، غلاف الكتاب

ولاية الكوفة والبصرة

من سنة ٤٢ هـ لغاية ٦٠ هـ*

ولاية الكوفة	السنة	ولاية البصرة	السنة
عبدالله بن عمرو بن العاص	٤٢ هـ	بسر بن أبي أرطاة	ستة أشهر - ٤٢ هـ
المغيرة بن شعبة	٤٣ هـ	عبدالله بن عامر	٤٢ هـ - ٤١ هـ
زياد بن أبيه	٤٩ هـ	عبدالله بن عامر	٤٣ هـ
عبدالله بن أسيد	٥٤ هـ	الحارث بن عبدالله الأزدي	أربعة أشهر - ٤٤ هـ
الضحاك بن قيس الفهري	٥٥ هـ	زياد بن أبيه	٤٥ هـ - ٥٤ هـ
عبدالرحمن بن أم الحكم	٥٨ هـ	عبدالله بن عمرو بن غيلان	٥٤ هـ - ٥٥ هـ
النعمان بن بشير الأنصاري	٥٩ هـ	عبيدالله بن زياد	٥٥ هـ
النعمان بن بشير الأنصاري	٦٠ هـ	عبيدالله بن زياد	٦٠ هـ



أولاً. خلافة يزيد بن معاوية ٦٠-٦١هـ / ٦٧٩-٦٨٠م

بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ستين من الهجرة^(١)، كان قد أوصى لأبنيه يزيد وصية تدل على عقله وخبرته بالأمور ومعرفته بالرجال "يا بني أني قد كفيتك الشد والترحال، ووطأت لك الأمور، وذلت لك الأعداء، وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد، فأنظر أهل الحجاز فأنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهّد من غاب، وأنظر أهل العراق فأن سألوك أن تعزل كل يوم عاملاً فأفعل، فأن عزل عامل أيسر أن يشهر مائة ألف سيف، وأنظر أهل الشام، وليكونوا بطانتك وعيبك فأن نابتك شيء من عدوك فأنتصر بهم، فإذا أجليتهم فأردد أهل الشام إلى بلادهم، فأنهم أن قاموا بها تغيرت أخلاقهم"^(٢).

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا النص عدة أمور منها :

١. أخذ البيعة على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعد والإخافة والتهديد والرغبة^(٣).
 ٢. أوصاه بأهل الحجاز خيراً بعد أن جعل النخبة منهم (قريش وغيرهم) تغرق في الترف واللهو مما جعلهم يحاذرون من أي نشاط يعرض ترفهم للزوال^(٤).
 ٣. أدرك الخليفة معاوية أن الروح الثورية موجودة عند أهل العراق بسبب المناخ الثقافي الذي زرعه فيهم الإمام علي (ت) مما جعلهم أكثر إدراكاً ووعياً للانحرافات عند الحاكمين^(٥).
 ٤. أن معاوية أوصى يزيد بأهل الشام خيراً لأنهم أكثر طاعة في المخلوق ضد الخالق^(٦)، هذا فضلاً عن أنهم أقل ذكاءً ووعياً من أهل العراق^(٧)، لذلك سيطر عليهم إعلامياً ومنع الأمصار الأخرى من الاختلاط معهم، فيذكر الحموي^(٨) أن الخليفة معاوية كان يأمر أصحابه بإخفاء كتب الإمام علي (ت) المرسل إليه لكي لا يميلوا إليه، لذلك أوصاه بأن لا يقيموا في غير ديارهم، مما سهل عليه قيادتهم وفق مشيئته الخاصة لأن سياسة الأغبياء أسهل عليهم^(٩).
- بعث الضحاك بن قيس*، البريد إلى يزيد بن معاوية^(١)، الذي كان بحوارين* بمرض معاوية فقال يزيد في ذلك^(٢) :

(١) الدنيوري، أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) الاخبار الطوال، تح عبد المنعم عامر، طبع مكتبة المثني، (بغداد / ١٩٥٩) ص ٢٢٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٢٢ - ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، تح محمد بن عوض بك وعلي حازم، مطبعة المعارف، (مصر / ١٩٢٣ م)، ص ١٠٤.

(٣) القرشي، مهدي، معاوية امام محكمة الجزاء، ط ١، دار الحجة البيضاء للطباعة، (بيروت / ١٩٨٨ م)، ص ٢٤٧ - ادريس حسن، الخلافة المغتصبة، دار البيضاء للنشر، (١٩٩٤ م)، ص ١٨٩.

(٤) شمس الدين، محمد مهدي، انصار الحسين (ت)، ط ٣، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، (بيروت / ١٩٦٠ م)، ص ٢١٦.

(٥) محمد مهدي، انصار الحسين (ت)، ص ٢١٧.

(٦) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ)، أنساب الاشراف، مطبعة مكتبة المثني، (بلاط)، ج ٥ ص ٣٧٨.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٢٢.

(٨) شهاب الدين أحمد (ت ٦٢٦ هـ)، معجم الادباء، تح د. أحمد فريد رفاعي، المطبعة الاميرة، دار احياء التراث، (لبنان / بلاط)، ج ١ ص ٤٧-٤٨ - أبن كثير، البداية والنهاية، مج ٧ ص ٣٧٤.

(٩) الفيرواني، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣ هـ)، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تح علي محمد البجاوي، ط ١، مكتبة عيسى البابي الحلبي، دار احياء الكتب المصرية، (١٩٥٣ م)، ص ٨٧.

* الضحاك بن قيس: الضحاك بن قيس بن خالد الاكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة القرشي أبو أنيس الفهري، روى عن النبي محمد وعن حبيب بن مسلمة الفهري وعمر بن الخطاب وروى عنه الحسن البصري، شهد فتح دمشق وسكنها إلى حين وفاته. ينظر: أبن عساكر، علي بن الحسين (ت ٥٧١ هـ)، تاريخ دمشق، تح علي عاشور، ط ١، دار احياء التراث،

فأوجس القلب من قرطاسه فزعاً

جاء البريد بقرطاس يخب به

قالوا الخليفة أمسى منبتاً وجعاً

قلنا : لك الويل ماذا في كتابكم

وبعد مجيء يزيد إلى الشام ، دخل عليه الناس يهنئونه بالخلافة ويعزونه في أبيه ، وأول من دخل عليه عبدالله بن همام السلولي ، الذي قام إلى يزيد فأنشده شعراً في الخليفة معاوية وحثه على البيعة^(٣) ، وبقاء الخلافة في بني أمية حينما قال " تلقفها يزيد عن أبيه وخذها يا معاوية عن يزيد ، فإن عرفت لكم فتلقوها ولا ترموا بها الغرض البعيدا "^(٤) وعند ذلك قال لهم يزيد " نحن أهل الحق وأنصار الدين ، وابشروا يا أهل الشام فإن الخير لم يزل فيكم وسيكون بيني وبين أهل العراق حرب شديد ، ، فأجابه أهل الشام ، قالوا أمض بنا حيث شئت وأقدم بنا على من أحببت ، فنحن بين يديك ، وسيوفنا تعرفها أهل العراق يوم صفين فقال لهم يزيد ، أنتم لعمرى كذلك "^(٥) .

والذي يمكن أن نستخرجه من هذا هو أمران مهمان هما :

١. نظرية الحكم الإلهي للأمويين وفق سياسة الجبر التي أرادها وما مقولته " نحن أهل الحق "^(٦) إلا دليل على ذلك ، وكان لابد من أن يوجد هناك من يواجه نظريته في الحكم ويخالفه وربما يصل حد الاختلاف إلى المواجهة المسلحة^(٧) .

٢. أن يزيد سلك طريق إثارة الضغائن القبلية والتهديد^(٨) . ويتبين لنا من هذه الخطبة أن يزيد قد فقد شرطاً أساسياً من شروط الخلافة وهو العدالة^(٩) بين الرعية

قال تعالى ((وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً))^(١) ، وقد أدرك معاوية أن ابنه يحمل شراً من خلال آخر خطبة له في الشام " وأنه لا يأتيكم بعدي إلا من هو شر مني "^(٢) .

وبعد مجيء يزيد إلى الشام لم يكن همه إلا بيعة أهل الحجاز وساكنيه^(٣) ، لذلك كتب إلى الوليد بن عتبة والي المدينة آنذاك كتاباً وأرفق معه صحيفة كأنها أنذ فارة ، الزم^(٤) فيها الوليد بأخذ بيعتهم

(بيروت / ١٤٢١) ، ج ٦ ص ٤٦٤ - المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح د. بشار عواد معروف ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت / ١٩٩٨) ، ج ٣ ص ٤٧٧ .
(١) العمراني ، محمد بن علي (ت ٥٨٠هـ) ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، تح د. قاسم السيد أحمد ، (ليدن / ١٩٧٣) ، ص ٤٩ .

**حوارين : حصن من ناحية حمص . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣١٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٢ .

(٣) الجمحي ، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ) ، طبقات فحول الشعراء ، تح د. محمود محمد شاكر ، ط ٣ ، دار المدني للنشر ، (جدة / ١٩٨٣) ، ج ٢ ص ٦٢٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٨ .

(٤) الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج ٢ ص ٦٢٨ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٨ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٨ .

(٧) الفراجي ، عدنان علي ، حركات المعارضة للخلافة الاموية ، ط ١ ، منشورات المكتبة العالمية ، (بغداد / ١٩٩٠) ، ص ٣ .

(٨) أسد حيدر ، مع الحسين في نهضته ، مطبعة المعارف ، (لبنان / بلات) ، ص ٦٢ .

(٩) الرفاعي ، د. مصطفى ، حضارة العرب في العصور الاسلامية ، ط ٢ ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت / ١٩٧٨) ، ص ١٠٦ .

(١) سورة النساء ، آية ٥٨ .

(٢) القالي ، ذيل الامالي والنوادر ، ص ٣١١ .

(٣) محمد صبيح عبدالقادر ، معاوية ، دار الثقافة العامة ، (مصر / ١٩٣٨) ، ص ١٥١ .

وأرسلها بيد مولاة رزيق^(٥) ، وفيها " أما بعد ، فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام " ^(٦) ، من هذا يتضح لنا أمره بأخذ البيعة بشكل قسري ليس في الحجاز فحسب بل حتى في مصر فيذكر الكندي^(٧) إن عبدالله بن عمرو بن العاص قد رفض بيعة يزيد أول الأمر لكن عندما جلب عابس النار وأراد حرقه بايع عبدالله بن عمرو مرغماً .

ولكن لماذا هم دون غيرهم من أهل المدينة ؟ اختلف المؤرخون في ذلك ، فيرى الدكتور سرور^(٨) أن يزيد شرع بعد أن ولي الخلافة في أخذ البيعة من زعماء الحجاز لمكانتهم ، لكن الأصفي^(٩) يرى أن يزيد أراد فرض البيعة على الحرمين الشريفين بسبب ثقلهما السياسي في إعطاء الشرعية ، بينما يرى الشيخ شمس الدين^(١٠) أن كل هم يزيد كان في بيعة النفر* الذين آبوا على معاوية بيعة يزيد .

نرى أن الرأي الأول هو الأكثر صواباً لسببين هما :

١. إن بيعة أبناء الصحابة في الحجاز تعني إعطاء الصفة الشرعية ليزيد بخلافته .
٢. بيعة الإمام (ت) لا تعني بيعته مع بني هاشم فقط ، وإنما تعني بيعة أهل الكوفة معهم^(١) ، لذلك ركز على بيعة الإمام (ت) حسب وصية والده بأن أهل العراق لن يتركوه^(٢) ، ودليل هذا هو عندما رفض الإمام (ت) بيعتهم وذهب إلى مكة ، بدأت الرسل والأشخاص يتوافدون عليه ويحثونه على الذهاب معهم إلى الكوفة .
- ف عندما وصل الكتاب إلى الوليد بن عتبة فرز عند ذلك إلى مروان ودعاه فلما قرأ الكتاب مروان قال : " أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فأن فعلوا أقبلت

(٤) ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ) ، تاريخ ابن الوردي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٦) ، ج ١ ص ١٦٢ - القزويني ، السيد جواد ، يزيد في محكمة التاريخ ، مطبعة امير ، (ايران / ١٩٩٩ م) ، ص ٦٥ .

(٥) العصفري ، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تح اكرم ضياء العمر ، (بلات . ط .) ، ج ١ ص ٢٢٢ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ١٢ ، يضيف كلمة هودة بعد كلمة رخصة - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٣٨ .

(٧) أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ) ، الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح رفن كست ، طبع بمطبعة الأيا اليسوعيين ، (بيروت / ١٩٠٨) ، ص ١٩ .

(٨) محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية في الدولة العربية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، (القاهرة / ١٩٦٤) ، ص ١٠٥ .

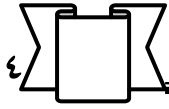
(٩) الأصفي ، محمد مهدي ، في رحاب عاشوراء ، ط ٣ ، تح مؤسسة النشر الثقافية ، (ايران / ١٤٢٤ هـ) ، ص ٣٤٣-٣٤٨ .

(١٠) محمد مهدي شمس الدين ، ثورة الامام الحسين (ت) ، ط ٥ ، دار التعارف للمطبوعات ، (بيروت / ١٩٧٩) ، ص ١٧١ .

* النفر : الحسين بن علي ، عبدالله بن الزبير ، عبدالله بن عمر . ينظر : البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) ، جمل من انساب الاشراف ، تح د. سهيل زكار ود. رياض زركلي ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة ، (بيروت / ١٤١٧ هـ) ، ج ٥ ص ٣١٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٣٨ .

(١) الخربوطلي ، علي حسني ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي والاجتماعي والديني ، دار المعارف ، (مصر / ١٩٥٩ م) ، ص ١١٣ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦ .



منهم وكففت عنهم وان آبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ^(٣) ، وهنا قد يتساءل البعض لماذا أستشار مروان ؟

يبدو لنا إن استشارته لمروان بسبب أنه سبق وأن كان والياً على المدينة أغلب فترة خلافة معاوية لذا فإنه أعرف بكيفية حل أمور السياسة منه هذا فضلاً عن معرفته بأهلها اجتماعياً وسياسياً إضافة إلى إن مروان كان من أشرف بني أمية في المدينة .

يذكر معظم المؤرخين ^(٤) أن الوليد لم يرض استشارة مروان لأن فيها هلاك دينه ، وهذا ما عبر به الوليد في كلامه لمروان ؟ حينما قال له " أنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ، والله ما أحب ان لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها ، وأني قتلت حسيناً ، سبحان الله ، اقتل حسيناً ان قال لا أباع ، والله أني لأظن امرأ يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة " .

لماذا طرح مروان على الوليد والي المدينة فكرة قتلها من دون أي حل آخر ؟

يذكر السيد أبو سعيدة ^(٥) أن مروان كان يطمح بالوصول إلى الحكم ، ويتطلع للرئاسة ولم يصل إليها ما لم يحرض يزيد وأتباعه للفتك بالحسين ، وأنه يعلم يقيناً أن يزيد لا يفلح بقتله الحسين . ويرى السيد بدران ^(٦) أن مروان يريد الخلافة لنفسه ولكنه علم بعد موت معاوية وقيام يزيد أن الأمر اليوم أمر بني أمية ، فأن خرج منهم فقد خرج منهم أجمعين فنصح الوليد نصيحة ذات وجهين ظاهرها الشدة في الدعوة ليزيد ، وباطنها السعي إلى الخلاص من يزيد نفسه ومنافسيه ، وضرب عنق الإمام (t) وابن الزبير معناه الخلاص من أعظم المنافسين ليزيد ثم الخلاص من يزيد نفسه .

والذي يبدو لنا أن مروان إنما نصح بهذه النصيحة لغايتين :

١. إن مروان يدرك إدراكاً تاماً بأن أبناء الصحابة سيعارضونبيعة يزيد لذلك فهو يمهّد للقضاء على يزيد نفسه من خلال قتله أبناء الصحابة .
٢. التخلص من منافسي يزيد في الخلافة وهم أبناء الصحابة حتى تبقى الساحة خالية وممهدة لوصوله إلى الحكم .

وكان الوليد قد أرسل عبدالله بن عمرو بن عثمان* ليلاً ^(٧) ، يدعوها فوجدهما في المسجد جالسين فأخبرها ما أراد منهما الوالي ، فجاءا إليه في ساعة لم يكن أحد يدخل عليه ^(٨) ، فدخل عليه الإمام

(t)

^(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٣٩ - المالكي ، العواصم من القواصم ، ج١ ص٢٣٥ .

^(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٤٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٥ .

^(٥) حسين الموسوي ، بلاغة الحسين (t) ، ط١ ، مركز العترة للدراسات والبحوث ، (بيروت / ١٩٩٨) ، ج٢ ص٥٠ .

^(٦) محمد بن فتح الله ، غصن الرسول ، تح جواد علي رضا ، ط٢ ، مكتبة المعارف ، (بيروت / ١٩٧٣) ، ص١٠٤-١٠٥ .

*عبدالله بن عمرو : عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية ، امه حفص بنت عبدالله بن عمر الخطاب وكان يسمى المطرف لجماله . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٠٧ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص٨٣ .

^(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٤٢٤ - الديار بكري ، حسين بن محمد (ت ٩٨٢هـ) ، تاريخ الخميس في احوال أنفس

نفيس ، مطبعة عثمان بن عبدالرزاق ، (مصر / ١٣٠٢هـ) ، ج٢ ص٢٩٧ .

^(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٣٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٥ .

فلما رأى عنده مروان وقد كانت بينه وبين الوليد تلك النفرة ، قال : " الصلة خير من القطيعة والصلح خير من العداوة وقد آن لكما أن تجتمعا له ، أصلح الله ذات بينكما ، فلم يجيباه بشيء وأقرراه الوليد كتاب يزيد " (٣) ، فقال له الإمام (ت) وبشكل معلن (٤) : " أيها الأمير ، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد رجل شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظروننا أينما أحق بالخلافة والبيعة " (٥)

وبعد أن سمع مروان كلامه قال للوليد : " أحبس هذا الرجل ولا يخرج من عندك ، حتى يبايع أو تضرب عنقه " (٦) فردّه الإمام (ت) : يابن الزرقاء ** ، أنت تقتلني أم هو ، كذبت والله وأثمت " (٧) ، فرأى الإمام (ت) أمورا اقتضت منه ان يخرج من المدينة (٨) ، لأن بقاءه في المدينة من دون مبايعة يزيد سوف يؤدي إلى قتله (٩) ، لذا فقد أحس بحراجة الموقف وأخذ يستعد للخروج من المدينة (١٠) . وكان الوليد ذا رفقّة فقد وصفه ابن عباس بأنه لم يترك فيهم عانياً " فوالله ما ترك فينا عانياً إلا فكه ، ... ، ينظر إلى ابن الزرقاء بعين أرق من الماء " (١١) ، لذلك رفض نصيحة مروان وقال له : " والله ما أحب أن لي ، ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسينا ، أن قال لا أبايع " (١٢) ، وانتهى الأمر بينهما بخروج الإمام (ت) من عند الوليد بن عتبة دون مبايعة .

نستدل من هذا أن الإمام (ت) قد رفض البيعة لرجل شارب الخمر (١٣) ، ومدمنه (١٤) ، ونحن نعلم أن الخمر قد حرم من بعض القبائل الحنفية حتى قبل الإسلام (١٥) ، وقد حرّمه الإسلام بإجماع المؤرخين

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص١٤-١٥ .

(٤) الأصفى ، محمد مهدي ، دراسات وبحوث مؤتمر الحسين (ت) ، ط١ ، المجمع العالمي لاهل البيت ، (إيران / ٢٠٠٣) ص١٧٧ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٥٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٤٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٥ .

** الزرقاء : إحدى امهات مروان بن الحكم وكانت لها راية وكانوا يسبونهم بالزرقاء . ينظر : البكري ، ابو عبيدة (ت٢٣١ هـ) ، فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، تح د . احسان عباس ود . عبدالمجيد عابدين ، دار الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٩٨٣) ، ج١ ص٤٩٩ - النيسابوري ، ابو الفضل احمد بن محمد (ت٥١٨ هـ) ، مجمع الامثال ، تح محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٢ ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / ١٩٨٨) ، ج١ ص٤٠٩ - الزمخشري ، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨ هـ) ، المستقصى في امثال العرب ، تح طاهر احمد الزاوي ومحمد محمد الطناحي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ج١ ص٢٠٢ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٥ .

(٨) الشافعي ، كمال الدين محمد بن طلحة (ت٦٥٢ هـ) ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، ط١ ، طبع مؤسسة البلاغ ، (بيروت / ١٩٩٩ م) ، ص٢٥٨ .

(٩) الحائري ، محمد مهدي ، معالم السبطين في احوال الحسن والحسين ، ط٢ ، مطبعة أمير ، منشورات الشريف الرضي ، قم ، (إيران / ١٣٤٧ هـ) ، ص٢٤٥ .

(١٠) الحسيني ، هاشم معروف ، سيرة الائمة الاثني عشر ، دار التعارف للمطبوعات ، (لبنان / ١٤٢٢ هـ) ، ج٥ ص٥٤ .

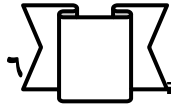
(١١) الزمخشري ، محمود بن عمر (ت٥٣٨ هـ) ، ربيع الابرار ونصوص الاخيار ، تح د . سليم النعيمي ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٨٢) ، ج١ ص١٣ .

(١٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٥-١٦ .

(١٣) الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨ هـ) ، دول الاسلام ، ط٢ ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند / ١٣٦٤ هـ) ، ج١ ص٢٩ .

(١٤) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥ هـ) ، كتاب التاج في اخلاق الملوك ، تح أحمد زكي باشا ، ط١ ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة / ١٩١٤) ، ص١٥١ .

(١٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٤ ص٦٧ .



والفقهاء^(٩) ، لأنه صفة أهل السوء ومن منطق الجاهلية^(١٠) ، هذا فضلاً عن أن الإمام (ت) كان يرى أن البيعة تصلح إذا كان المبايع صالحاً ومؤملاً ومنصباً تنصيباً شرعياً^(١١) ، إضافة إلى أن يزيد ولد في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ولم يدرك النبي محمد (ﷺ) ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح^(١٢) .

لذلك خرج الإمام (ت) من المدينة إلى مكة بعد خروج ابن الزبير بليدة واحدة^(١٣) ، وهو يقول هو يزيد الذي يعرف والله ما حدث له حزم ولا مروءة^(١٤) ، وأخذ معه بنيه وأخوته وبني أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية^(١٥) ، الذي أمره بأن يكون له العين الساهرة في المدينة^(١٦) ، فخرج يقول أبيات يزيد بن المفرغ الحميري^{**} :

لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دعوت يزيداً
يوم أعطى من النهاية خيماً والمايا يرصدني أن أحيداً^(١٧)

فعلم من سمع هذه الأبيات من الإمام (ت) أنه سينازع يزيد في الأمر^(١٨) ، وبهذه الأبيات رفض الإمام (ت) الظلم ، وامتنع عن الخضوع وعدم المبالاة بالموت^(١٩) ، وعند خروجه أخذ يتلو الآية

(٩) أنس ، مالك (ت ١٧٩هـ) ، الموطأ ، تح محمد فواد عبد الباقي ، مكتبة عيسى البابي وشركاؤه ، دار احياء الكتب المصرية (١٩٥١م) ، ج ٢ ص ٨٤٥ - الاسدي ، عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله (ت ٢٥٦هـ) ، الاخبار الموفقيات ، تح د. سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٧٢) ، ص ٤٩٣ - الحجاج ، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) ، صحيح مسلم ، تح فاضل عرفات العش حسونة ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت / بلات) ، ج ٧ ص ٦٧ - النسائي ، عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، سنن النسائي ، ضبط نصها أحمد شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ٢٠٠٢م) ، ص ٨٩٩ - الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ) ، الاحكام السلطانية ، تح القاضي نبيل عبدالرحمن حيادي ، دار الارقم بن الارقم للطباعة ، (بيروت / بلات) ، ص ٣٠٦ .

(١٠) الناصر ، محمد حامد ، الحياة السياسية عند العرب ، ط ٢ ، مكتبة السنة ، دار الجيل ، (بيروت / ١٤١٤هـ) ، ص ٢٨٢ .

(١١) الغريزي ، سامي ، البيعة وولاية العهد ، ط ١ ، مطبعة تكارش ، (قم / ١٤١٥هـ) ، ص ٢٥ .

(١٢) ابن تيمية ، احمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨هـ) ، كتب ورسائل فتاوى ابن تيمية في العقيدة ، تح عبدالرحمن محمد قاسم ، مكتبة ابن تيمية ، (بلات) ج ٣ ص ٤٠٨ .

(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣٤١ .

(١٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١٤ ص ٢٠٣ .

*محمد بن الحنفية : هو محمد الأكبر بن علي بن ابي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن مناف ، امه الحنفية هي خولة بنت جعفر بن قيس وكانت من سبايا اليمامة . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٩٣ .

(١٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٥ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣٤١ .

(١٦) الهاشمي ، علي بن الحسين ، محمد بن الحنفية ، تح المؤسسة الاسلامية ، ط ١ ، دار الهدى للنشر ، (١٤٢٤هـ) ، ص ١١٠ .

**يزيد بن المفرغ : يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب المفرغ الحميري ابو عثمان شاعر الغزل ، وفرغ لقب ربيعة لأنه راهن على ان يشرب عساً من لبن فشربه حتى فرغه فلقب مفرغاً . ينظر : الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) ، الاغاني ، تح سمير جابر ، ط ٢ ، دار الفكر للنشر ، (بيروت / ١٩٨٥) ، ج ٧ ص ٢٤٩ - الحموي ، معجم الادباء ، ج ٢٠ ص ٤٣ .

(١٧) التقي ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد (ت ٢٨٣هـ) ، الغارات ، تح عبدالزهرء الحسين ، ط ١ ، دار الاضواء للنشر ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ص ٤٤٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٢ .

(١٨) ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تح د. احسان عباس ، دار الثقافة ، (بيروت / ١٩٦٨) ، ج ٦ ص ٣٥٣ .

(١٩) حسين أبو سعيدة ، بلاغة الامام الحسين (ت) ، ج ٢ ص ٢٣٧ .

القرآنية ((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))^(٨) . وهذا يؤكد خوف الإمام من السلطة الأموية^(٩) ، وليس كما يذهب إليه أحد الكتاب المحدثين^(١٠) بأنه كان يدعو لنفسه بالخلافة في مكة .

وفي الطريق لقيه عبدالله بن مطيع العدوي *** فسأل الإمام (t) : أين تريد ؟ فأجابه الإمام (t) : أما الآن فأريد مكة وبعدها أستخير الله ، فقدم ابن مطيع نصيحته للإمام (t) بأن يلزم الحرم ، وحذره أن يقرب الكوفة وقال : " فوالله لئن قتلت ليتخذونا خولاً وعبداً " ^(١١) ، وعندما تقرب الإمام (t) من مكة ولما رأى جبالها قال مقولة موسى بن عمران (t) حينما خرج من مصر إلى مدين^(١٢) ((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ))^(١٣) وهذا يوضح لنا بأن الإمام (t) شبه وضعه بوضع نبي الله موسى (t) .

وصل الإمام (t) إلى مكة بعد أن أمن الله له ذلك فدخلها لثلاث مضي من شعبان^(١٤) ، فنزل دار العباس بن عبدالمطلب^(١٥) ، والسؤال هو لماذا أختار الإمام (t) مكة دون غيرها من الأمصار الإسلامية آنذاك ؟ .

أجمع المؤرخون على أن اختيار الإمام (t) لمكة بسبب قدسيته ، فيرى البعض^(١٦) أن لهذه المدينة قدسية وأنها آمن الخائف وهيبة البيت وامتناع الطير من العلو عليها ، ويرى السيد البصري^(١٧) أن كل

(٨) سورة القصص ، آية ٢١ .

(٩) النيسابوري ، محمد بن القتال (ت ٥٠٨هـ) ، روضة الواعظين ، تح السيد محمد مهدي وآخرون ، منشورات الشريف الرضي ، (قم / بلاط) ، ص ١٦٩ - القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، ط ١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، (بلاط) ، ج ١ ص ٢٠٢ - ابن كثير ، إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) قصص الأنبياء ، تح مصطفى عبدالواحد ، دار الكتب الحديثة ، (١٣٨٨هـ) ، ج ٢ ص ١٤ .

(١٠) الفاتح ، حسن شيخ ، الحرب الأهلية في صدر الإسلام ، دار الجبل ، (بيروت / ١٩٩٩) ، ص ٣٨ .
***عبدالله بن مطيع : عبدالله بن مطيع بن الاسود بن حارثة بن فضلة بن عون بن عبيد بن عدي ولد على عهد رسول الله (ﷺ) ، وهو من اشرف قريش من حيث الشرف والسن ، ولي الكوفة في عهد ابن الزبير . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٤٣-١٤٤ - ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد (ت ٩٧٣هـ) ، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، تح ، عبدالرحمن بن عبدالله وآخرون ، ط ١ ، دار الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٩٩٧م) ، ج ٢ ص ٥٤ .

(١١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٥٤ - ابن عساكر ، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ) ، ترجمة الامام الحسين (t) ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ٢ ، مطبعة فروردين ، مجمع احياء الثقافة الإسلامية ، (١٤١٤هـ) ، ص ٢٩٣ - الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تح شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوي ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٤١٣هـ) ، ج ٣ ص ٢٩٦ .

(١٢) الطوسي ، أبو جعفر محمد (ت ٤٦٠هـ) ، البيان في تفسير في القرآن ، تح أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، مكتب مطبعة الاعلام الاسلامي ، (١٤٠٩هـ) ، ج ٨ ص ١٤٠ .

(١٣) سورة القصص ، آية ٢٢ . ويرى قسم من المؤرخين ان من قرأ هذه الآية آمن من سبع ضار او من كل لص . ينظر : النيسابوري ، روضة الواعظين ، ج ١ ص ١٧٢ - الديلمي ، الحسن بن ابي الحسن (ت ٨٤١هـ) ، اعلام الدين ، مؤسسة آل البيت (ع) للنشر ، (قم / ١٤٠٨هـ) ، ص ٣٩٥ - المجلسي ، بحار الانوار ، ج ١٣ ص ١٨ .

(١٤) الطبرسي ، الشيخ بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) ، اعلام الوري بأعلام الهدى ، تح علي أكبر الغفاري ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ٢٠٠٤م) ، ص ٢٢٩ .

(١٥) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح عمر عبدالسلام ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٩٩٠م) ، حوادث سنة ٦١-٨٠هـ ، ص ٧ .

(١٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٣٣ - الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٨٣ .

(١٧) البصري ، الحسن بن يسار (١١٠هـ) ، فضائل مكة والسكن فيها ، تح سامي مكي العاني ، مكتبة الفلاح للنشر ، (الكويت / ١٤٠٠هـ) ، ج ٢ ص ١٦-٢٠ .

نبي من الأنبياء (١) إذ كذبه قومه خرج من بين أظهرهم إلى مكة لقوله تعالى ((فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ))^(٨) ، ويرى ابن ظهيرة^(٩) أن مكة بلد آمن ولها فضائل في قوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا))^(١٠) ، لأن الآية الكريمة في سورة البقرة ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا))^(١١) يقصد بها مكة من جملة البلاد التي يأمن أهلها ، لكن أحد الدارسين المحدثين^(١٢) يرى بأن مركزها الاجتماعي والسياسي هو سبب اختيار الإمام (ت) لها دون سائر البلاد ، بينما يرى القاسم^(١) أن اختيار الإمام (ت) لمكة هو بسبب كونها قاعدة الإسلام الكبرى حيث منها بدأ الإمام (ت) يعلن من خلال اتصاله بالناس ضرورة رفض مبايعة يزيد ، ويقول الربيعي^(٢) أن اختيار الإمام (ت) لمكة دون غيرها لأنه لم يسبق لأحد انتهاك حرمتها لا في الجاهلية ولا في الإسلام .

وفي رأينا أن لا تناقض بين كل هذه الأسباب وإنها بمجموعها تمثل سبب اختيار الإمام (ت) لها دون غيرها .

وبعد أن وصل الإمام (ت) مكة ، كان يزيد قد أمر بعزل والي المدينة وتعيين عمرو بن سعيد الأشدق * بدلا عنه^(٣) .

أما بالنسبة إلى عبدالله بن عمر فقد اختلف المؤرخون في وصف موقفه فيذكر ابن قتيبة^(٤) أن ابن عمر قال في أمربيعة معاوية ليزيد " أما بعد فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يوارثها الابناء عن الاباء " ، أما اليعقوبي^(٥) فقد ذكر أنه لما أصبح معاوية وحاول أخذ البيعة من أهل الكوفة والمدينة ، أبى عبدالله بن عمر وقال : " نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق ، وما حجتنا عند الله " ، ويذكر ابن الأثير^(٦) أن معاوية كان قد أرسل مائة ألف درهم إلى

(٨) سورة قريش ، آية رقم ٤ .

(٩) محمد بن أبي بكر (ت ٩٨٦هـ) ، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها ، تح د. عمر علي ، ط ١ ، مكتبة الثقافة ، (القاهرة ٢٠٠٣) ، ص ١٣٧ .

(١٠) سورة إبراهيم ، آية ٣٥ .

(١١) سورة البقرة ، آية ١٢٦ .

(١٢) مطهري ، السيد مرتضى ، الملحة الحسينية ، ط ١ ، مطبعة فيضية ، (إيران / ١٤٢٥هـ) ، ج ٢ ص ٢٢ .

(١) أسعد ، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة ، ط ١ ، مركز الغدير ، (بيروت / ١٩٩٧م) ، ص ١٣٢ .

(٢) عبدالعظيم ، سياسة الحسين ، مطبعة الرشدية ، بالافست ، (١٣٧٨هـ) ، ج ١ ص ٣١ .

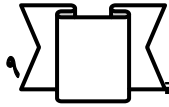
* عمرو بن سعيد : عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي أبو أمية ، أمير من الخطباء والبلغاء سمي بالأشدق لفصاحته . ينظر : الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ) ، المعجم الكبير ، تح حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط ٢ ، مكتبة ابن تيمية ، دار إحياء التراث للنشر ، (القاهرة / بلات) ، ج ٨ ص ٢٦٧ - الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ) ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تح د. ناجي حسن ، ط ١ ، دار العربية للنشر ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٣) المالكي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٣٨٢هـ) ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، تح نخبة من كبار العلماء ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (١٩٥٦م) ، ج ٢ ص ٦٧ .

(٤) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٤١ .

(٥) أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، تح خليل منصور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٩هـ) ، ج ٢ ص ١٥٩ .

(٦) الكامل ، ج ٤ ص ٥٠٦ .



عبدالله بن عمر فقبلها منه فلما ذكر امر البيعة قال ابن عمر " هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص " ،
لذلك ذكر ابن خلدون^(٧) بأن قراره محمول على الورع المعروف عنه ، لكن القلقشندي^(٨) ذكر بأنه قال :
إذا لم يبايع الناس ولم يبق غيري بايعت ، لذلك تركوه وكانوا لا يتخوفونه .

ونرى أن عبدالله بن عمر ممن أبى البيعة على الإمام علي (ع) وكان من المبايعين لمعاوية ثم من
المبايعين إلى يزيد بن معاوية ولم يبايع عبدالله بن الزبير في خلافته على ما سوف نرى ، لذلك نقول أن
بيعته لبني أمية بسبب تخوفه منهم " لا يخلعن أحد منكم يزيد ، فتكون الفيصل ويروى الصيلم* بيني
وبينه "^(٩) .

^(٧) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤٢

^(٨) أبو العباس بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١هـ) مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تح عبدالستار أحمد خراج ، ط ١ ، عالم
الكتب ، (بيروت / ١٩٦٨م) ، ص ١١٠ .

*الصيلم : أي القطيعة المنكرة . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٣ ص ٤٩ .

^(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٩ .

ثانياً: الإمام في مكة

١. أوضاع مكة السياسية

دخل الإمام (ت) مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان^(١) ، وكان لدخوله أثر مهم في أحداثها السياسية بسبب نزول أبناء الصحابة فيها تاركين مدينة رسول الله (ﷺ) ، وأجمع المؤرخون في أمر استقبال الإمام (ت) بالحفاوة من أهل مكة ، فيذكر قسم منهم^(٢) ان الناس قالوا للحسين تقدم فصل بنا فقال الإمام (ت) : " الصلاة في الجماعة أفضل " ، ويذكر القسم الآخر^(٣) أن الإمام (ت) عندما نزل مكة أقبل أهلها ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه ويأتونه ، ويذكر ابن أعثم الكوفي^(٤) بأن أهلها فرحوا فرحاً شديداً ، أما ابن كثير^(٥) فيذكر إن الناس عكفت على الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون من حواليه ويستمعون كلامه .

والذي يتضح لنا أن المؤرخين ذكروا أن أهل مكة فرحوا بقدوم الإمام عليهم ، ولكن لم يكن عندهم الاستعداد الكامل للوقوف ضد يزيد أو الوقوف بجانب الإمام في ثورته ، لأن في مكة من المكيين القليل ممن ليسوا من بطون قريش ، ممن سكن مكة بعد الفتح ، وبعد انتشار الإسلام في الأرض ، والظاهر أن جل المكيين آنذاك هم من قريش وبسبب توارث قريش عداها للإمام علي وأهل علي (ت) ، كما لا ننسى ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعبد الله بن عباس ، حينما أراد أن يختار واحداً من الصحابة للخلافة " كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم " ^(٦) ، كل هذا كان عاملاً أساسياً في نفور قريش من الإمام (ت) ، ويبدو هذا واضحاً في مشاركتهم مع الإمام (ت) في ثورته حيث كانت مشاركة أفراد^(٧) وأن دل هذا على شيء فيدل على أن موقفهم كان غير موال للإمام (ت) ، إضافة إلى وجود شخصية سياسية بارزة في مكة إلى جانب الإمام (ت) وهو ابن الزبير الذي وصل

(١) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) ، الارشاد ، تح حسين الاعلمي ، ط ٥ ، (بيروت / ٢٠٠١) ، ص ١٤١ .

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٦٥ ، ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) ، العقد الفريد ، شرح أحمد أمين وآخرون ، مكتبة المثنى ، (بغداد / ١٩٦٧) ، ج ٤ ص ٣٧٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥١ ، الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤١ .

(٤) الفتوح ، مج ٣ ص ٢٣ .

(٥) البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٤ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٣ .

(٧) المغربي ، النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ) ، شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تح محمد الحسيني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / بلا ت) ، ج ٣ ص ٢٤٨ - ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٥٣ ، يذكرون عددهم أربعة إلى خمسة أفراد وهناك ملحق في آخر الدراسة يبين اسماءهم .

إلى مكة قبل الإمام بليلة واحدة^(٨)، ولقب نفسه "عائذ البيت"^(٩)، ولم يظهر ابن الزبير نواياه ورغباته بسبب معرفته المسبقة أولاً بأن منزلة الإمام (ت) عند مكة أفضل منه، لذلك كان الإمام (ت) أثقل خلق الله على عبدالله^(١٠)، بالرغم مما قدمه له من آراء حول البقاء معه في مكة وأن يأخذ بيعة الناس له أو يسنده ويرشح هو نفسه لأخذ البيعة للناس^(١١)، وثانياً لأن الإمام (ت) كان يدرك نوايا عبدالله وما قاله الإمام له "وأن الناس لم يعدلوه بي، فود أني خرجت منها لتخلو له"^(١٢) وليس مثلاً قال أحد الدارسين المحدثين^(١٣) بأن الاثنين يعرف كل منهما أنه يطلب الأمر لنفسه.

إزاء هذه الأوضاع في مكة كتب واليها إلى يزيد بن معاوية يخبره بقدوم الناس حول الإمام (ت) وتعظيمهم له وإقبالهم عليه، وأن ذلك يشكل خطراً على الدولة الأموية، ولما قرأ يزيد رسالة واليه فزع أشد الفزع بسبب موقع الحجاز الديني وأهميتها بالنسبة إلى الخلافة الأموية لذلك كتب رسالة إلى عبدالله بن عباس يستجلب فيها وده ويهدد الإمام (ت) وفيها "أحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق ضمنوه الخلافة، وعندك منهم خبر وتجربة، فأن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه فأكففه عن السعي في الفرقة"^(١٤) ويبدو أن مراسلة يزيد بن معاوية لعبدالله بن عباس بسبب منزلته الرفيعة في بني هاشم وأنه حبر الأمة لكثرة علومه^(١٥)، فكتب إليه ابن عباس أن لا يكون خروج الإمام (ت) في أمر تكرهه^(١٦)، ويبدو أن السلطة الحاكمة لم ترع مقامه ولم تحترم مركزه فلذلك لجأ إلى البيت الحرام عائداً به، وحتى الإمام (ع) نفسه وضح بأن فترة بقائه في مكة تعتمد على معاملة أهلها له أن تغيرت فإنه سوف يختار بلداً آخر^(١٧)، وهذا أن دل على شيء فإنه يدل على أن اختياره لمكة آنذاك هو لغرض تكوين صورة واضحة للموقف النهائي إزاء موقفه.

٢. رسائل أهل الكوفة إلى الإمام (ت)

بعد أن علم الشيعة من أهل الكوفة بأن الإمام (ت) قد رفض البيعة ليزيد بن معاوية^(١٨)، راحت انديتهم تتحدث عن مساوئ معاوية وسوء معاملته وما الحقه ببلدهم من الدمار الشامل وما استهدفه

(٨) ابن الاثير، الكامل، ج٤ ص١٦.

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٤٣ - ابن الاثير، الكامل، ج٤ ص١٧.

(١٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٥١ - ابن الاثير، الكامل، ج٤ ص٢٠.

(١١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٨٤.

(١٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٨٣.

(١٣) القبلان، قبلان محمد، عبدالله بن الزبير حركته وخلافته، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية، (جامعة بغداد / ١٩٧٣)، ص٨١-٨٢.

(١٤) ابن كثير البداية والنهاية، مج٤ ج٨ ص٥٣٦.

(١٥) ابن زفر، ابناء نجباء الابناء، ص٦٥.

(١٦) ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٦ ص٤٢٧ - ابن كثير البداية والنهاية، مج٤ ج٨ ص٥٣٧.

(١٧) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، مج٣ ص٢٢.

(١٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٥١ - ابن الاثير، الكامل، ج٤ ص٢٠.

من تصفية لأعلام الشيعة في الكوفة مثل حجر بن عدي الكندي* وعمرو بن الحمق الخزاعي** ، وغيرهم من الاخيار والعلماء^(١). لذلك عقدوا مؤتمراً عاماً في بيت أكبر زعمائهم ، فألقوا الخطب الحماسية التي شجبت الحكم الأموي واشادت بالإمام (ت) ، فقد ذكر الطبري^(٢) ، أن سليمان بن صرد*** خطب خطاباً بليغاً جاء فيه : " أن معاوية قد هلك وأن حسيناً تقبض**** على القوم ببيعته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فأن كنتم تعلمون أنكم ناصروه فجاهدوا عدوه فاكتبوا إليه ، وأن خفتم الوهل والفشل ، فلا تغروا الرجل من نفسه " ، فكانت إجاباتهم بحماس : " نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه " . وهذا يوضح دعمهم للإمام (ت) من خلال إرسال الوفود والرسائل له ، هذا فضلاً عن خروجهم على بيعة يزيد بن معاوية مما سبب رد فعل قوياً من أهل الكوفة ومن مختلف طبقاتهم فكانت أول الكتب من وجهاء الشيعة أمثال سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة***** وحبيب بن مظاهر الاسدي***** وفيه " الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فينها وتأمر عليها بغير رضا منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها " (٣) ، والذي نجده في رسالة الوجهاء أنهم وضحو كيف كانت سياسة معاوية في أهل العراق طوال فترة خلافته ، إضافة إلى أنهم قد وضحو بأن ليس لهم إمام عادل وأن النعمان بن بشير الانصاري في مقر الامارة معزولون عنه لا يجمعهم معه جمعة أو عيد ، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام^(٤) ، وحمل هذه الرسالة عبدالله بن وال* وعبدالله بن سبع الهمداني** ، وقد أوصيا بالإسراع وكتمان أمرهما خوفاً من السلطات الأموية .

*حجر بن عدي : حُجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الاكرمين ، جاهلي ، اسلامي ، حُجر الخير قتل سنة ٥١هـ / ٦٧١م في مرج عذراء بأمر من معاوية بن أبي سفيان . ينظر : أبين سعد الطبقات الكبير ، ج٦ ص٢٣٩ - الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ص١٦٩ .

**عمرو بن الحمق : عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمر بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعيد بن كعب ، بايع النبي (ﷺ) في حجة الوداع وله صحبة قتل سنة ٥١هـ / ٦٧١م في الموصل بأمر من معاوية وحمل رأسه على الرمح وهو أول رأس حمل في الإسلام . ينظر : أبين سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٢٨٣ - العصفري ، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) طبقات خليفة بن خياط ، تح سهيل زكار ، دار الفكر للنشر ، (١٤١٤هـ) ، ص٢٣٠ - البغدادي ، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) ، المحبر ، ورقة الاصل الخطية ، (بلا ت) ، ص٢٦٢ - الاصفهاني ، الاغانى ، ج٣ ص٤١٢ - الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ص٣٦ .

(١) القرشي ، باقر شريف ، مسلم بن عقيل ، ط١ ، مطبعة شريعت ، دار الهدى ، (١٤٢٤هـ) ، ص١٠٥ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ .

***سليمان بن صرد : سليمان بن صرد بن ربيعة بن ربيعة بن احرم بن خبيس بن حبشية ابو الطرف الخزاعي ، من الصحابة روى عن النبي (ﷺ) وعن الإمام علي (ت) وروى عنه أبو إسحاق . ينظر : البغدادي ، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، (بلا ت) ، ج١ ص٢٠٠ - أبين الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٢ ص٣٥١ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ص٣٩٤ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص٢٨٤ - سبط أبين العجمي ، برهان الدين أبو الوفاء ابراهيم بن محمد (ت ٨٤١هـ) ، نهاية الرسول في رواة السنة الاصول ، تح عبدالمنعم ابراهيم ، ط١ ، دار الفكر ، (بيروت / ٢٠٠٣م) ، ج٣ ص٩٦٦ .

****تقبض : امتنع وامتنع . ينظر : ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، ج١ ص٢٦ ، هامش الصفحة .
*****المسيب بن نجبة : المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شمع بن فرارة الفزاري ، ادرك النبي محمد (ﷺ) شهد القادسية وفتوح العراق ، روى عن النبي وليس له صحبة . ينظر : أبين حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، الاصابة في تمييز الصحابة ، تح علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار الجيل ، (بيروت / ١٩٩٣) ، ج٦ ص٢٩٧ .

*****حبيب بن مظاهر : حبيب بن مظاهر الاسدي من اصحاب الامام علي والحسن والحسين (عليهم السلام) . ينظر : البرقي ، احمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ) ، رجال البرقي ، مؤسسة النشر في جامعة طهران ، (١٣٨٣هـ) ، ص٧ - التفرشي ، مصطفى (ت ١٠١٥هـ) ، نقد الرجال ، تح مؤسسة آل البيت (ع) ، مطبعة ستارة ، (قم / ١٤١٨هـ) ، ج١ ص٣٩٩ - الخوئي ، السيد أبو القاسم الموسوي ، معجم رجال الحديث ، ط٥ ، (١٤١٣هـ) ، ج٥ ص٢٠١ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ .
(٤) أبين قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج٢ ص١٨٢ .

*عبدالله بن وال : عبدالله بن وائل بن قاسط بن هنب بن أخص بن وعص بن جديلة بن أسد من عدنان . ينظر : أبين حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٣٠٢ .

رويم وعزرة بن قيس ، وقد كتبوا إلى الإمام (t) بشيوع الامل وازدهار الحياة وتهينة البلاد عسكرياً وجاء في كتابهم " أما بعد ، فقد اخضر الجنب ، واينعت الثمار ، وطمت الجمام ، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند " (١) ، والحق أهل الكوفة على الإمام (t) طالبين إليه ان يخرج إليهم ليبياعوه (٢) ، وبعد أن جمع هذه الرسائل والكتب سأل الرسل عن أمر الناس ، ورأى ان الواجب الشرعي يدعوه للقيام بهذه المهمة الخطيرة التي لا يقوم بها أحد سواه لذلك استجاب لهم مع علمه بنفسيات الكوفيين واتجاهاتهم السياسية وغدرهم فرأى أنه من الأفضل إرسال سفير عنه ليعلمه صدق ما كتبوا به أهل الكوفة فلم يجد أفضل من ابن عمه مسلم بن عقيل لأخذ البيعة له (٣)

(٣) ابن حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، لسان الميزان ، ط ٢ ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت / ١٣٩٠هـ) ، ج ٦ ص ٢٩٤ .

ثم كتب الإمام (ت) كتاباً إلى أهل الكوفة وأرسله بيد هاني بن هاني السبيعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي ، وكانا آخر الرسل وفيه " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من الحسين بن علي إلى الملاء* من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد ، فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتابكم ، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم ، وقد فهِمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جلکم ، أنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق ، وقد بعثت إليكم أخي وأبن عمي وثقتي من أهل بيتي ، ... ، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله والسلام " (٤) ، وقد حدد الإمام (ت) صفات الإمام الواجب طاعته وهذا يدل لنا عدم اعترافه بخلافة يزيد .

٣. موقف أهل البصرة من الإمام (ت)

المعروف من ظاهر الحياة السياسية والاجتماعية في البصرة سنة ستين للهجرة كانت توحى بأن عبيد الله بن زياد قد هيمن هيمنة سياسية وإدارية كاملة على مجرى أمورها لذلك نجد إن اجتماعات الشيعة المواليين للإمام (ت) كانت تتم في منزل مارية بنت سعد وهي امرأة من عبد القيس (٥) ، وكان منزلها لهم موئلاً يتحدثون فيه (٦) ، إضافة إلى أن خروجهم للإمام (ت) كان خروج أفراد بعدد الأصابع ، فقد ذكر الطبري (٧) إن يزيد بن نبيط أراد الخروج إلى الإمام (ت) وكان له عشرة بنين ، فقال : أياكم يخرج معي فأتندب معه اثنين هما عبد الله وعبيد الله ، فقالا له أصحابه : نخاف عليك ابن زياد ، فقال : أي والله لفرقد استوت اخفافها بالجدد* لهان على طلب من طلبني .

ذكر قسم من المؤرخين (٨) إن عبيد الله عندما جاءه أمر يزيد بن معاوية بالذهاب إلى الكوفة فإنه قد جمع أهل البصرة وخطب فيهم قائلاً " ... ، فوالله ما تقرن بي الصعبة ، ولا يقعق لي بالشنان** ، ... ، أنصف القارة*** من رامها ، يا أهل البصرة ، ... ، إياكم والخلاف والإرجاف ، فوالذي لا إله غيره ،

* الملاء : الجماعة . ينظر : الحربي ، غريب الحديث ، ج ١ ص ١٣٣٩ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .
(٥) أبو مخنف ، لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ) ، مقتل الحسين (ت) ، تح ميرزا حسن الغفاري ، المطبعة العلمية ، (قم / ١٣٩٨هـ) ، ص ١٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .
(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .
(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .
*الجدد : الخطط والطرق تكون في الجبال . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢ ص ٣١٤ .
(٨) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٣ .

** هذا مثل يضرب به وهو البغض . ينظر : الجوهرى ، الصحاح ، ج ٥ ص ١٢٤٦ .
*** القارة : قوم رماة من العرب ، وقيل أنه التقى قاري وأسدي فقال القاري للأسدي ان شئت صارعتك وان شئت راميتك وان شئت سابتك فاختار الاسدي المراماة فقال القاري :

قد علمت سلمى ومن والاها
قد أنصف القارة من رامها
ترد أولاها على أخرها
إنا نصد الخيل من هواها
إنا إذا ما فئة نلقاها

لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه**** ووليه ، ولاخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي ."

نستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

١. أن شخصية ابن زياد هي نفس شخصية أبيه ، وأنه يعيد نفس كلمات خطب والده في أهل البصرة عندما كان يقول لهم : " وأني أقسم بالله لأخذن الولي بالولي ، والمقيم بالظاعن ، والمقبـل بالمـدبر ، والصحيح منكم بالسقيم "(٢) ، وكان غرضهما من هذه الخطب والكلمات هو زرع اوبئة الخوف .

٢. عدم مخالفة نائب الوالي عثمان بن زياد وفي حالة المخالفة تكون العقوبة للمخالف وللولي والعريف ، أي ليس عنده للناس منزلة سواء كان كبيراً في قومه أو صغيراً .

وكان الامام (ت) قد كتب الى أهل البصرة وأرسله بيد مولاهم سليمان فيه " أما بعد ، ... ، وكنا اهله واولياؤه واوصياه وورثته واحق الناس بمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، واحببنا العافية ، ونحن نعلم انا احق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، ... ، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وانا ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه (ع) ، فإن السنة قد أمُيتت وان البدعة قد أُحييت "(١) .

ونستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

١. ان الامام (ت) وضح انهم اهل بيت النبوة وهم احق بالخلافة من يزيد .
٢. دعوة اهل البصرة الى كتاب الله وسنة نبيه ، وهذا يدل لنا ان الخلافة الاموية غير شرعية
وكان الامام (ت) قد بعث بهذا الكتاب الى اشراف البصرة ، وكل من قرأ هذا الكتاب كتبه ألا المنذر بن الجارود* .

ينظر : البكري ، فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، ج ١ ص ٢٠٥ - الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٢ - الزمخشري ، المستقصى من امثال العرب ، ج ٢ ص ١٨-١٩٠ .

****العريف : وهو النقيب دون الرئيس ، وهو المسؤول عن جماعة من عشيرته أو قبيلته ، ومنه الحديث " فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم " والعريف هو القائم بأمور القبيلة والجماعة من الناس يلي أمورهم ويتعرف الأمير منه احوالهم . ينظر : الكوفي ، ابن أبي شيبه (ت ٢٣٥هـ) ، المصنف ابن أبي شيبه في الأحاديث والآثار ، تح سعي محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة ، (١٤٠٩هـ) ، ج ٦ ص ٢٦٦ - ابن سلامة ، القاضي أبو عبدالله محمد (ت ٤٥٤هـ) ، دستور معالم الحكم ، مطبعة محمد ، المكتبة الازهرية ، (قم / بلات) ، ص ٩٢ - العتبي ، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ) ، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، تقديم محمد أحمد خلاف ، ط ١ ، دار احياء التراث ، (بيروت / ٢٠٠٣م) ، ج ٢٤ ص ٣٦٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٢١٩ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

*المنذر بن الجارود : بشر بن عمرو بن حنيس بن المعلي بن يزيد بن الحارثة بن معاوية العبدلي ، ولد في عهد رسول الله (ﷺ) وشهد الجمل مع الامام علي (ت) وولاه اصطخر ثم عزله بسبب عدم عدله . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ٤ ص ١٣٨ - ابن الحاجب ، شرح الشافعية ، ج ٤ ص ٢١٥ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ص ٦٩ .

ولكن لماذا لم يكتب المنذر رسالة الإمام (ت) !؟

اختلف المؤرخون في ذلك فيرى البلاذري^(١) ان المنذر كان صديقاً له ، لكن الدنيوري^(٢) يقول : ان المنذر لم يكتب الكتاب بسبب تزويجه ابنته هند من عبيد الله ، بينما يرى قسم منهم^(٣) أنه خشي بزعمه ان يكون دسيسة من قبل عبيد الله ، ويرى أحد الكتاب المحدثين^(٤) ان المنذر كان شديد الحذر من أبين زياد .

وفي رأينا ان الرأي الأول هو الأصوب لسبب واحد هو ان المنذر سبق له ان سلم الشاعر يزيد بن المفرغ الحميري الذي هجا أبين زياد في شعره من دون أي دفاع عنه^(٥) .

وبعد ان علم أبين زياد من ابن الجارود ما كتبه الإمام (ت) إلى اهل البصرة ، قدم الرسول فضرب عنقه وخطب فيهم ما تم ذكره ، لكن كيف كان موقف أهل البصرة بعد ان تسلموا الكتاب وهم رؤساء الاخماس ويمثلون قبائلهم !؟ :

١. الاحنف بن قيس

رد الاحنف بن قيس على كتاب الامام (ت) رداً يدعو بالتمسك بالصبر ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْخِفَنَّ الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ))^(٦) ولم يزد على هذه الآية شيئاً^(٧) ، وعندما نتابع تاريخه فأننا سوف نجد بأنه تردد عن مناصرة الامام (ت) وهذه ليست بجديدة عليه حيث سبق ان وقف موقفه الضعيف مع الامام علي (ت) في معركة صفين ، عندما بعث اليه " اني مقيم على طاعتك في قومي فأنا شئت أتيتك في مائتين من اهل بيتي فعلت ، وان شئت حبست عنك اربعة الاف سيف من بني سعد " ، فقال له الإمام علي (ت) : " بل احبس وكف "^(٨) ، هذا فضلاً عن موقفه الاخر في فتنة عبدالله بن الحضرمي* بعد واقعة صفين الذي دعا الى نكت بيعة الامام علي (ت) حيث يقول الاحنف على ما دعا اليه الحضرمي رسول معاوية " أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل "^(٩) .

٢. المنذر بن الجارود

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٨٤ .
 (٢) الاخبار الطوال ، ص ٤٣١ .
 (٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ - أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٥٣٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٣ - المقرم ، مقتل الحسين ، ص ١٤٢ .
 (٤) أسد حيدر ، مع الحسين في نهضته ، ص ٩١ .
 (٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣١٨ .
 (٦) سورة الروم ، آية ٦٠ .
 (٧) أبين نما الحلبي ، جعفر بن أبي ابراهيم (ت ٦٤٥هـ) ، مثير الأحزان ، الناشر مؤسسة الإمام المهدي (عج) ، ط ٣ ، (قم / ١٤٠٦هـ) ، ص ٢٧-٢٨ .
 (٨) الشيخ المفيد ، محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ) ، الجمل ، تح علي مير شريفي ، ط ٢ ، مكتب الاعلام الإسلامي ، (قم / ١٣٧٤هـ) ، ص ٢٩٥ .
 *عبدالله بن الحضرمي : هو عبيدالله بن أبي مسلم الحضرمي ، صحابي له حديثان ويقال تابعي . ينظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ١ ص ٦٣٩ .
 (٩) الثقفي ، الغارات ، ص ٢٦٣ .

وقد تم ذكر كيف أنه أفشى سر كتاب الامام (t) إلى عبيدالله بن زياد .

٣. يزيد بن مسعود النهشلي**

من شخصيات تميم المعروفة فأنه أحضر بني تميم وبني حنظلة وبني سعد فقال " اما معاوية فقد هلك فاهون به هالكاً ومفقوداً فقد انكسر باب الجور ، ... ، وأنا اقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين افضل من جهاد المشركين "(٣) .

وعلى ما يبدو فإن أهل البصرة كانوا منقسمين إلى ثلاث فئات أولها موالون للبيت الأموي حرصاً منهم على مصالحهم الشخصية كالمنذر بن الجارود ، وفئة ثانية تنتظر ما تصير إليه الأمور مثل الاحنف بن قيس والفئة الثالثة وهي الموالية للإمام (t) متمثلة بيزيد بن مسعود .

لكن بالرغم من هذا كانت البصرة حالها حال الكوفة قد اصبحت بمرض الخوف الذي زرعه فيهم زياد بن أبيه ومن ثم بعده ابنه عبيدالله وما قدوم شريك بن الاعور وعبدالله بن الحارث بن نوفل مع عبيدالله من البصرة الى الكوفة الا دليل على ذلك حينما اظهروا بأنهم عاجزون عن متابعة السير من البصرة الى الكوفة وسقوطهم في السير وأول من سقط هو شريك راجياً ان يقف اليهم أبين زياد ويسبقه الامام (t) الى الكوفة(٤) .

لكن لماذا كتب إليهم الإمام (t) وهم لم يكتبوا إليه ؟

اختلف المؤرخون في ذلك فيرى قسم منهم(١) ان الامام اراد القاء الحجة عليهم ، لانه يدرك انهم غير مقاتلين ولا يحبون الحرب وهذا ما جعل الإمام علي (t) يصفهم " أهل المؤتفكة ، ويا جند المرأة واتباع البهيمة ، أحلامكم رقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وانتم فسقة مراق " ، ويرى السيد العاملي(٢) بانها دعوة للجهاد مع الامام العادل ، ويرى السيد خالد(٣) ان رسالة الإمام (t) توضح لنا

**يزيد بن مسعود : يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعة بن سلمى بن جندل بن نهشل . ينظر : أبين حنبل ، أحمد بن محمد (ت ٢٦٦هـ) ، مسائل الإمام أحمد ، تح د. فضل الرحمن بن محمد ، ط ١ ن دار الكتب العلمية ، (داهي / ١٩٨٨) ، ج ٥ ص ٢٤١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤١ .

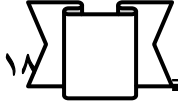
(٣) أبين نما الحلي ، مثير الأحران ، ص ٢٧-٢٨ - المقرم ، السيد عبدالرزاق ، مقتل الحسين (t) ، ط ١ ، مطبعة غدير ، (١٤٢١هـ) ، ص ١٤٢ .

(٤) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ) ، نهارية الأرب في فنون الأدب ، تح محمد رفعت فتح الله ، الهيئة المصرية للكتاب ، (١٩٧٥) ، ج ٢٠ ص ٣٨٩ .

(١) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص ٤٠٧ - الأبي ، أبو سعيد منصور بن الحسين (ت ٤٢١هـ) ، نثر الثور ، تح عدة من الفضلاء ، دار النهضة العربية العامة ، (مصر / ١٩٨٩) ، ج ١ ص ٣١٥ - الخوارزمي ، موفق بن أحمد بن محمد (ت ٥٦٨هـ) ، المناقب ، إعداد مالك المحمودي ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، (قم / ١٤١١هـ) ، ص ١٨٩ .

(٢) محمد بن الحسن الحر (ت ١١٠٤هـ) ، وسائل الشيعة ، الناشر مؤسسة آل البيت (t) ، (قم / ١٤٠٩هـ) ، ج ١ ص ٤٥ .

(٣) خالد محمد ، ابناء الرسول في كربلاء ، (بلات . ط .) ، ص ٦٥ .



كيف كان يعرف مسؤوليته ويمضي إليها ، بينما يرى السيد أبو سعيدة^(٤) ان الامام (t) هب لأقبار الانحراف وازالة الباطل الذي صار يهدد دوام الرسالة .

والذي يبدو أن الرأي الاول هو الاصول لسبب مهم هو ان الامام (t) قد وضع اليهم بأن هناك شروطاً للامام يجب ان تتوافر فيه وبهذا فقد ذكر اهل البصرة بأنه قد القى الحجة عليهم .

ثالثاً . موقف الإمام (t) من أهل الكوفة

^(٤) بلاغة الإمام الحسين ، ج ٢ ص ١٩٩ .

١. إرسال مسلم بن عقيل

بعد أن أرسل أهل الكوفة الرسائل إلى الإمام (t) تدعوه للمجيء إليهم ، أرسل إليهم ابن عمه مسلم^(١) ، الذي غادر مكة ليلة النصف من رمضان^(٢) ، وعرج في طريقه على المدينة فوصل في جامع الرسول (ﷺ) وطاف بضريحه ، وودع أهله وأصحابه وأتجه صوب العراق ومعه قيس بن مسهر الصيدائي وعمار بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي ، واستأجر من المدينة دليلين من قيس يدلانه على الطريق ، فأقبلا به ، فضلاً عن الطريق وعطشوا ، فمات الدليلان من العطش وقالوا لمسلم : هذا الطريق إلى الماء ، فكتب مسلم إلى الحسين (t) وهو في مضيق الخبت* : إني ، ... ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا ، ... ، وقد تطيرت فأنت رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري " ، فكتب إليه الإمام (t) : أما بعد ، فقد خشيت ألا يكون عملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن ، فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام " (٣) . فمضى مسلم في طريقه إلى أن وصل إلى الكوفة^(٤) .

والذي يبدو بالرغم من وجود هذه الرواية الوحيدة عند المؤرخين إلا أنها لا تخلو من بعض المسائل المهمة كان الغرض منها الخدش بشخصية مسلم بن عقيل وإعطاءه صفة الجبن التي لا تتوافق مع ما وصف به من شجاعة عند المؤرخين ومنها :

١. يقول البلاذري^(٥) أن مسلم بن عقيل كان أرجل** ولد عقيل وأشجعها فقدمه الإمام (t) إلى الكوفة حين كاتبه أهلها .

٢. أن الإمام (t) كما ذكرنا وصف مسلم بأنه ثقة من أهل بيته فكيف يكون ثقته جباناً ؟
٣. وصف محمد بن الأشعث لمسلم عند ابن زياد " أيها الأمير أما تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كف بطل همام من آل خير الأنام " (٦) .
٤. أن مضيق الخبت يقع بين مكة والمدينة كما ذكره الحموي ، وقد نصت الرواية على أنه استأجر دليلين من المدينة ، وخرجوا من المدينة إلى العراق وأنه راسل الإمام (t) من مضيق الخبت وذكر ما حلّ بالدليلين أي قبل وصوله إلى المدينة وهذا تناقض واضح فكيف يستأجر مسلم الدليلين وهو لم يكن قد التقى بهم أصلاً لأنه لم يصل إلى المدينة بعد ، يقول السيد

(١) ابن عتبة ، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ١٧١ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٥٦ .

* مضيق الخبت : موضع بين مكة والمدينة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

(٣) أبو مخنف ، مقتل الحسين ، ص ١٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١-٢٢ .

(٤) ابن تيمية ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، رأس الحسين (t) ، تح د. السيد الجميلي ، (بلاط. ط.) ، ص ٢٠٠ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص ٧٧ .

** أرجل : أكمل الرجال وأشدهم وأقواهم . ينظر : إلى هامش أنساب الأشراف للبلاذري ، ص ٧٧ .

(٦) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٥٢ .

القرشي^(١) " لو سلمنا ان هناك مكاناً يسمى بمضيق الخبت يقع ما بين المدينة والكوفة لم يذكره الحموي ، فإن السفر منه إلى مكة لمقابلة الإمام (ت) يستوعب زمناً يزيد على عشرة أيام ، في حين أن سفر مسلم من مكة إلى العراق مع مروره بالمدينة وتوديعه إلى أهله قد حددته المؤرخون بعشرين يوماً وهي أسرع مدة يقطعها المسافر فإذا استثنينا مدة سفر رسول من ذلك المكان ورجوعه إليه وهو يقارب عشرة أيام على الأقل فيكون مجموع المدة في سفر مسلم عشرة أيام ويستحيل ان يقطع الطريق من مكة إلى الكوفة بعشرة أيام " .

٢. أهل الكوفة ومبايعتهم لمسلم بن عقيل

بعد أن وصل مسلم بن عقيل وجماعته الكوفة ، نزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي* ، بسبب وصية الإمام (ت) له حينما قال " فأنزل عند أوثق أهلها وأدع الناس طاعتي "^(٢) ، وهذا يجعلنا نقول بأن المختار هو من أبرز رجال الشيعة في الكوفة آنذاك ، هذا فضلاً عن وجود سبب آخر لاختياره دار المختار هو علاقة المصاهرة التي تجمع المختار مع والي الكوفة النعمان بن بشير الاتصاري كونه زوجاً لابنته عمرة^(٣) ، وبهذا أصبح دار المختار مركزاً سياسياً مناهضاً للدولة الاموية .

أما موقف أهل الكوفة من مسلم فذكر أغلب المؤرخين^(٤) بأن الشيعة من أهل الكوفة كانوا يأتون مسلماً وهو يقرأ عليهم كتاب الإمام (ت) وهم يبكون وكان مسلم يوصي بتقوى الله تعالى وكتمان أمره حتى يقدم إليهم الإمام (ت) بناءً على طلب الإمام (ت)^(٥) ، واثالث الجماهير على مسلم تباعيه ، فباعه ثمانية عشر ألف من أهل الكوفة^(٦) ، وكان حبيب بن مظاهر يأخذ البيعة له^(٧) .

أما موقف والي الكوفة إزاء هذه الأحداث فيذكر قسم من المؤرخين^(٨) أنه سعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال " أما بعد ، فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء ، ... ، أني لم أقاتل من لم يقاتل ، ولا أثب على من لا يثب علي ، ولا أشاتمكم ولا أتحرش بكم ، ولا أخذ بالعرف ولا الظنة ولا التهمة ، ولكنكم أن أبتدئتم صفحتكم لي ونكتتم ببيعتكم وخالفتم إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لا ضرينكم بسيفي ، ... ، أما أني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرون الباطل " ، والذي يبدو ان موقف الوالي كان موالياً لمسلم بن عقيل وأنه لم يرد

(١) مسلم بن عقيل ، ص ١١٨ .

*المختار بن أبي عبيد الثقفي يكنى أبا إسحاق ولد عام الهجرة وليست له صحبة ولا رؤية وأخباره كانت غير مرضية ، حكاها عنه الشعبي . ينظر : الحموي ، المقتضب ، مج ١ ص ١٦٤ - ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ص ٣٣٦ - ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ ص ٣٤٩ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٣١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ص ٧٢ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٥ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٣٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .

(٦) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(٧) القاضي نعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

بكلمته " نكتم بيعتكم وخالفتم إمامكم " ^(٢) إلا التمويه على العامة بصورة خلافة يذكر بها البيعة ليزيد وأنه إمام لا تجوز مخالفته وإلا فهو جد عليم بأن ما رماه من القول لا صلة له بالحقيقة لولا تأليفه ^(٣).
 أليس هو القائل : " أن ابن رسول الله أحب إلينا من ابن بحدل " ^(٤) ، وما يؤكد هذا ما قاله عبدالله بن مسلم الحضرمي وهو من الموالين واحد العيون والجواسيس للأمويين في الكوفة " أنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم أن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين " ^(٥) ، فإنه أراد استفزاز النعمان الذي أجابه " لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قوياً في معصية الله وما كنت لأهتك سترأ ستره الله " ^(٦) ، وبهذا دافع النعمان عن نفسه بأنه لا يعتمد على أية وسيلة تبعده عن الله تعالى وتتجافى مع دينه ، واستبان للحزب الأموي ضعف سياسة النعمان وبموقف النعمان هذا أعطى للشيعة الموجودين في الكوفة قوة وزخماً شجعهم على العمل ضد يزيد وربما كان هذا الموقف يعود بسبب أن النعمان كان ناقماً على يزيد وذلك لبغضه وكراهيته للأنصار ، فقد أغرى يزيد الشاعر المسيحي الأخطل بهجائهم ^(٧).

٣. دور الحزب الأموي في الكوفة

فزع الحزب الأموي من تجاوب الرأي العام مع مسلم بن عقيل وأتساع نطاق الحركة ، في حين أن السلطة المحلية في الكوفة قد غضت النظر عن مجريات الأحداث واتهمت بالضعف أو التواطؤ مع الحركة . لذلك كتبوا إلى السلطة الأموية في الشام ، فكان أول من كتب إلى يزيد بن معاوية عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي ^(١) يخبره بالأوضاع السياسية في الكوفة : " أما بعد ، فأن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعه الشيعة للحسين بن علي ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف " ^(٢) ، ثم كتب إليه عمار بن عقبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص * بمثل ذلك ^(٣).

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

(٣) المقدم ، السيد عبدالرزاق ، مسلم بن عقيل ، ط ١ ، دار الأضواء للنشر ، (بيروت / ٢٠٠١) ، ص ٩١ .

* ابن بحدل : حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة ، أبو سليمان الكلبي ، زعيم بني كلب ومقدمهم ، شهد صفين مع معاوية وكانت له منزلة عند بني أمية كونه خال يزيد بن معاوية . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١٣ ص ٣١٦ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ١٧٦ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، مج ١ ج ٢ ص ١٨٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

(٧) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ١ ص ١٢١ .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ .

* عمار بن عقبة : عمار بن عقبة بن كديم بن عدي بن حارثة عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك قتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٢٦٢ .

** عمر بن سعد : عمر بن سعد بن أبي وقاص بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، قاتل الإمام (ع) ، قتله المختار بن أبي عبيدة الثقفي . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - الجهشيار ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ) ، الوزراء والكتاب ، تخ عبدالله إسماعيل الصاوي ، ط ١ ، مطبعة عبدالحميد أحمد ، (مصر / ١٩٣٠) ، ص ١٥-١٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٥٢٥ - .

وبعد وصول هذه الرسائل من شيعته*** من اهل الكوفة تخوف يزيد أكثر مما كان ، بسبب بروز الكوفة كمصر آخر موالٍ ومناصر للإمام (ت) فضلاً عن مكة التي كانت تمثل هماً آخر من همومه ، فراودته الهواجس وظل ينفق ليله ساهراً فهو يعلم ان العراق مركز القوة في العالم الإسلامي آنذاك لذلك دعا يزيد سرجون بن منصور الرومي**** وكان كاتباً لمعاوية^(٤) ، فقال له : " ما رأيك ، فأنا حسيناً قد توجه نحو الكوفة ومسلم بن عقيل يبايع للحسين ، وقد بلغني عن النعمان ضعف واعطني رأياً" ك ف ي من أض ع ع على الكوفة^(٥) ، وكان يزيد عاتباً على عبيدالله بن زياد وغير مرتاح منه وأراد عزله من البصرة وذلك لمعارضة أبيه زياد البيعة له^(٦) ، فقال سرجون : " رأيك معاوية لو نشر إليك أكنت أخذاً برأيه ، قال : نعم ، فأخرج عهد عبيدالله بن زياد على الكوفة فقال هذا رأي معاوية^(٧) ، لذلك استجاب يزيد لسرجون من أجل الحفاظ على ملكه ، فعهد له بولاية البصرة والكوفة معاً^(٨) .

ولكن لماذا اختار يزيد عبيدالله بن زياد دون غيره ؟

اختلفت الآراء في ذلك فيرى البلاذري^(١) أن سرجون كان كاتبه وانيسه لذلك أخذ برأيه بينما يرى قسم آخر من المؤرخين^(٢) أن اختياره لعبيدالله جاء بناءً على عهد من أبيه إليه قبل وفاته ، لكن ابن عبدربه^(٣) يقول أن اختياره لعبيدالله بن زياد جاء بعد استشارة أهل الشام في ذلك ، ولكن المستشرق فلهاوزن^(٤) يرى ان سبب اختياره كونه شخصاً أقل تحفظاً وورعاً ، بينما يرى السيد أسد^(٥) ان اختيار سرجون لعبيدالله بسبب أنهما من عقيدة مجوسية ، ويرى الشيخ القرشي^(٦) ان سبب اختيار عبيدالله كونهم يعرفون قساوته وبطشه وانه لا يقوى على إخضاع العراق إلا هو ، ويرى السيد الصدر^(٧) أن يكون سرجون كاذباً وإنما يريد ان يخدع يزيد لأجل تنفيذ أغراضه التي يدركها أجماً .

***شيعته : الشيعة أي أولياؤه وأنصاره ، وأهل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والاثنتين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى علماً وأهل بيته (ت) حتى صار لهم اسماً خاصاً فإذا قيل فلان من الشيعة عُرف أنه منهم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٢٥٠ .

****سرجون بن منصور الرومي : كان على ديوان الخراج في عهد معاوية وبقي على نفس الديوان في عهد يزيد بن معاوية . ينظر : الجهشيري ، ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥-١٩ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٨٢ - القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج ١ ص ٦٩ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٥٥ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٨٢ - الجهشيري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٩ - النويري ، نهاية الأرب ج ٢ ص ٣٨٨ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٨٢ - الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٤ .

(١) انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٨٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٥٥ .

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٧٧-٣٧٨ .

(٤) يوليوس ، الخوارج والشيعة ، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي ، ط ٢ ، (الكويت / ١٩٧٦) ، ص ١٢١ .

(٥) مع الحسين في نهضته ، ص ٨٩ .

(٦) مسلم بن عقيل ، ص ١٢٦ .

(٧) محمد محمد صادق ، شذرات من فلسفة تاريخ الامام الحسين (ت) ، تح الشيخ أسعد الناصري ، دار الاضواء للنشر ، (بيروت / ١٤٢٣ هـ) ، ص ٢٦٩ .

والذي يبدو بأن الرأي الثاني هو الصائب بسبب اتفاق اكبر عدد من المؤرخين عليه ، فضلاً عن احتياج يزيد آنذاك إلى رجل ذي سياسة ظالمة وبطش ضد رعيته ، فلم يكن هناك أفضل من عبيد الله بن زياد مطيعاً لأوامره .

مربعاً . ابن زياد ومهمته تجاه مسلم

١. ابن زياد ومكره مع أهل الكوفة

بعث يزيد الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي* ، وعندما تسلم ابن زياد العهد بولاية الكوفة من الباهلي^(١) ، طار فرحاً ، فقد تم له الحكم المطلق على جميع أنحاء العراق بعدما كان مهدداً بالعزل عن ولاية البصرة ، هذا فضلاً عن تخويله الحكم المطلق من حكومة دمشق بإباحة الشدة والقسوة وسفك الدماء لكل من يقف بوجه يزيد وبالأذات مسلم بن عقيل ، " فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تتثقفه** فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام" ^(٢) ، وهي إمارة الاستكفاء*** التي اعتاد بنو أمية إعطاءها لجميع قادتهم على أهل العراق^(٣) .

خرج ابن زياد من البصرة وأستخلف أخاه عثمان بن زياد^(٤) ، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وانتخب من أهل البصرة خمسمائة رجل فيهم عبدالله بن الحارث**** وشريك بن الأعور***** وهما من شيعة الإمام علي (t) لمكانتهم في نفوس الشيعة من أهل الكوفة^(٥) .

*مسلم بن عمرو : مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخضير بن قضاعي بن هلال بن وائل ، أبو قتيبة بن مسلم تمت ترجمته عن طريق ترجمة ابنه قتيبة. ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج١ ص٢٧٥ - الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ص١٨٩ .

^(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٧٨ - المجلسي ، بحار الانوار ، ج٤٤ ص٣٣٧ .

**تثقفه : تطفر به . ينظر : هامش الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٥ ص٣٥٧ .

^(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٥ .

***إمارة الاستكفاء : هي الإمارة التي تتعقد عن اختيار الخليفة ليس اضطراراً وتشمل سبعة أمور . ينظر : الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٩٢ .

^(٣) الخربوطلي ، علي حسني ، الحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة / بلات) ، ص٣٦ .

^(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٨ .

****عبدالله بن الحارث : عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ويلقب ببه وهو الذي اتفق عليه أهل البصرة في قتلهم بعد وفاة يزيد بن معاوية . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص٧٠ .

*****شريك بن الأعور : شريك بن الحارث بن عبد يغوث بن خلف بن سلمة بن دهلي المذحجي ، شهد الجمل وصفين

مع الامام علي (t) ، وهو من اخيار الشيعة في البصرة . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٧٩ - ابن ماکولا ، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ) ، اكمال الكمال في رفع الارتياب ، تح نايف عباس ، دار الكتاب الإسلامي ، (القاهرة / بلات) ، ج٣ ص٤٠٠ .

^(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٤ .

كان عبيدالله بن زياد يسارع أنصاره بالوصول إلى الكوفة وبعد أن تساقط أنصاره ومولاه مروان^(١) ، نزل عبيدالله فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن ، ثم اعتجر ***** بمعجزة يمانية فركب بغلته ثم انحدر راجلاً وحده فجعل يمر بالمجالس ، فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الإمام (t) فيقولون له : مرحباً بك يا ابن رسول الله ، وجعل لا يكلمهم ، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم^(٢) لاستقباله والترحيب به ، والذي يبدو أن عبيدالله كان قد تهيأ لدخول الكوفة واعد العدة لذلك خاصة بعد ان عرف طبيعة الأوضاع في الكوفة من خلال مسلم الباهلي ، لذلك جلب معه ملابس مشابهة إلى ملابس أهل البيت (i) من أجل خداع الناس وخاصة الشيعة منهم لكي لا يقتلوه^(٣) ، وفعلاً استطاع النجاح في ذلك لأنه لم يجب الناس عند السلام عليه وهذا ما يجعلنا نشكك من تصرفاته بأمرين هما :

١. أنه كان حريصاً على عدم معرفة الناس له سواء من خلال الملابس أو من خلال عدم الرد على السلام عليه .

٢. أنه ربما كان يستحقر الناس فلم يرد عليهم ، لكن الذي يبدو بأنه كان يرمي ليس خداع الناس فقط بل حتى خداع النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة عندما كلمه فقال : " أنشدك الله إلا تنحي

عني ، ما أنا بمسلم إليك أمانتي " ^(٤) . كما يتضح لنا ان ابن زياد قد عرف طريقة خداع أهل الكوفة ودخوله إليهم ، وانه يعلم بطرقها وأبوابها وإلا كيف استطاع من دخولها وما يعزز هذا الكلام ان زياد بن ابيه قد حكم الكوفة فترة ثلاث سنوات (٤٩ - ٥٣ هـ / ٦٧٢ م - ٦٧٩ م) ، وهذه الفترة يمكن ان تُعرف عبيدالله على أشرف الكوفة هذا فضلاً عن معرفته بطرقها ومساكنها^(٥) .

٢. سياسة ابن زياد بعد أن وصل إلى الكوفة

بعد ان دخل ابن زياد قصر الأمانة وفي الصباح أمر بجمع الناس في المسجد الأعظم فأسمرت الناس إليه وقد خيم عليهم الفرع والذعر وخرج إليهم متقلداً سيفه ومعتماً بعمامة فخطب قال : " أما بعد ، فأن أمير المؤمنين أصلحه الله ، ولاني مصركم وثغركم وفيئكم ، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم ، فانا لمطيعكم كالوالد البر الشفيق

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٩ .

*****اعتجر : لبس قطعة قماش على رأسه . ينظر : أبين الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٧ ص٢٠٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٩ - أبين عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (t) ، ص٣٢ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٤ - أبين شهر آشوب ، مجد (ت ٥٨٨هـ) ، مناقب آل أبي طالب ، مؤسسة العلامة للنشر ، (قم / ١٣٧٩هـ) ، ج٣ ص٢٤٢ .

(٣) الراوي ، ثابت اسماعيل ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص١١٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٠ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٤ .

(٥) الصدر ، شذرات من فلسفة تاريخ الامام الحسين (t) ، ص٢٧٩-٢٨٠ .

وسيفي وسوطي على من ترك أمري ، وخالف عهدي ، فليبق امرؤ على نفسه ، الصدق ينبيء عنك لا الوعيد ^(٥) .

ونستنتج من هذا ان ابن زياد قد حدد منهاج عمله في الكوفة وكانت فيها الأمور الآتية :

١. إعلام أهل الكوفة بولايته على مصرهم ، وعزل النعمان بن بشير الأنصاري عنها .
٢. إمارة ابن زياد وكانت إمارة استكفاء مطلق في جباية الخراج وتفويض له في الفيء والعطاء .
٣. إعلام أهل الكوفة بأن السيف هو مصير كل من يخالف سياسة يزيد بن معاوية والذي يبدو أن ابن زياد لم يحدد واجبه المهم وهو قتل أو نفي مسلم بن عقيل وهناك سببان مهمان لهذا :
أ. انه يعرف عدد المبايعين لمسلم بن عقيل والذين كانوا قادرين على مواجهته وإفشال دوره في قيادة أهل الكوفة نحو السلطة الأموية وقد اعلمه يزيد بذلك ^(١) .

ب. أن المبايعين للإمام (ت) كان أغلبهم من الشباب لذلك خاف الانتفاضة والخروج عليه ومما يدل على أن أغلبهم من الشباب هو أن المرأة كانت تأتي أبناها أو أخاها أو زوجها تقول له الناس يكفونك ^(٢) .

وكانت لهذه الخطبة أثرها الواضح في استفزاز الناس فقام إليه أسد بن عبدالله المري* وقال : أن الله تبارك وتعالى يقول : ((أَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّةً أُخْرَى)) ^(٣) ولم يجبه بن زياد عن ذلك مع انه قد وقف ضد نهجه وهذا يدل لنا على تخوفه من أهل الكوفة أول مجيئه .

ثم حدد منهاج عمل العرفاء في الكوفة من خلال خطبته فيهم فقد ذكر أبو مخنف الأزدي ^(٤) " فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً ، فقال اكتبوا إلى الغرباء ، ومن فيكم من طلبه أمير المؤمنين ، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب ، الذين رأيهم الخلاف والشقاق ، فمن كتبهم لنا فبريء ، ومن لم يكتب لنا احد فيضمن لنا ما في عرافته إلا يخالفنا منهم مخالف ، ولا يبغي علينا منهم باغ ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة ، وحلال لنا ماله وسفك دمه ، وإيما عريف ، وجد من عرافته من بغيه أمير المؤمنين احد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره ، وألغيت تلك العرافة من العطاء ، وسير إلى موضع بعمان الزارة ^(٥) " .

وأحتوى منهاج عمل ابن زياد الأمور الآتية :

١. الكتابة إلى عبيدالله عن الغرباء الذين يأتون إلى الأمصار لأنه كان لديهم سجلات عامة فيها أسماء الرجال والنساء والأطفال .
٢. تحديد الناس في الكوفة ، أهم إتباع يزيد بن معاوية أو ضده ؟
٣. تحميل العريف مسؤولية ما موجود في عرافته من الغرباء إن لم يكتب وبذلك يكون حق لابن زياد صلبه على باب داره .
٤. اعتماد أهل الكوفة على العطاء بسبب قلة المهن والحرف الصناعية إذ أغلبهم فقراء يعتمدون على الحرب كوسيلة للعيش لذلك لجأ ابن زياد إلى نقطة الضعف هذه عندهم هذا فضلاً عن ان العريف قد ينفي إلى منطقة ليس فيها سوى زنير الأسد والذي يتضح بأن عبيدالله قد حدد

^(٥) الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) ، مقاتل الطالبين ، تح السيد أحمد صقر ، ط ١ ، مطبعة عترة ، (إيران / ١٤٢٥هـ) ، ص ١٠٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٨ .

^(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

^(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣١ .

*أسد بن عبدالله المري : لم أجد ترجمته .

^(٣) سورة النجم ، آية ٣٨ .

^(٤) مقتل الحسين (ت) ، ص ٢٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٩ .

**الزارة : الأجمة ، أجمة القصب ، وهي مأوى الأسد . ينظر : البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ٢ ص ٦٩٢ .

سياسته بالعراق (البصرة والكوفة) باتصاله بالعرفاء كونهم يعرفون قبائلهم جيداً وبذلك سهلت عليه الأمور في قيادتهم .

أما بالنسبة لمسلم بن عقيل فبعد أن سمع بمجيء عبيد الله ومقاتله التي قالها ، وما أخذ به العرفاء والناس ، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هاني بن عروة المرادي* فدخل بابه^(١) ، ويبدو أن سبب اختياره لدار هاني بن عروة أنه لم يكن عنده قوة تحميه لذلك لجأ إلى هاني كونه سيد مصر وزعيم مراد ، وعنده من القوة ما يضمن حمايته وحماية أنصاره ، فقد ذكر قسم من المؤرخين^(٢) " إذا ركب يركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل ، وإذا أجابته أحلافه من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع " ، هذا فضلاً عن كونه أكبر مشايخ الكوفة سناً وشأناً^(٣) ، وليس مثلما يقول قسم من المؤرخين^(٤) من أنه ثقل على هاني استجارة مسلم به ولولا دخوله داره لرغب هاني في الخروج منه ، لأن هناك من الأمور ما يحمل على رفض هذه الرواية ، فيقول القرشي^(٥) أن مسلم لو شعر بعدم الرضا والقبول من هاني لما ركن إليه وتخرج من دخول داره وذلك لما توافرت في مسلم من الطاقات التربوية الدينية التي تصده من الالتجاء إلى من يكره وفادته ، مضافاً إلى ما عرف به مسلم من الشمم والإباء الذي يبعده كل البعد من أن يفرض نفسه على أحد لا يرغب فيه . ثم كيف أن الشيعة تذهب إليه وتباعيه وهو في دار هاني الذي أواه مجبراً^(٦) ، ثم تثبت الأيام التي مر بها هاني واعتقاله أنه رفض أوامر ابن زياد بأن يذهب ويجلب له مسلم فقال هاني : " والله لا أجيبك أبداً ، أنا أجيبك بضيقي تقتله " ^(٧) ، هذا فضلاً عن ما ذكره ابن كثير^(٨) أن هاني قال لعبيد الله : " والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه " ، وقد ضربه ابن زياد وتحمل هاني الضرب من أجل عدم خيانة مسلم بن عقيل .

٣. التجسس على مسلم

أن أول بادرة سلكها ابن زياد هي التجسس على مسلم ومعرفة جميع نشاطاته السياسية والوقوف على نقاط القوة والضعف عنده وقد اختار لهذه المهمة مولاة معقل التميمي^(١) ، وكان ابن زياد قد دعاه وأعطاه ثلاثة آلاف درهم ، وقال له اطلب مسلم بن عقيل ، وأطلب لنا أصحابه ثم أعطهم هذه الثلاثة

*هاني بن عروة : هاني بن عروة بن تمران بن عمرو بن قعاس بن عبد يغوث بن مخدش بن عصم بن مالك بن عرف بن ناجية . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤٠٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٥ ص ٤٠ - المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح السيدين أبي ليلي ، المكتبة التوفيقية ، (مصر / بلات) ، ج ٣ ص ٦١ - المشهدي ، محمد بن جعفر (ت ٦٠٠ هـ) ، فضل الكوفة ومساجدها ، تح محمد سعيد الطريحي ، دار المرتضى للنشر ، (بيروت / بلات) ، ص ٨٧ .

(٣) الاسفرايني ، أبو إسحاق ، نور العين في مشهد الحسين (ت) ، مطبعة المنار ، (تونس / بلات) ، ص ٢٣ - البراقي ، السيد حسين بن أحمد ، (ت - هـ) ، تاريخ الكوفة ، تح محمد صادق بحر العلوم ، ط ٤ ، دار الاضواء ، (بيروت / ١٤٠٧) ، ص ٢٩٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥ .

(٥) مسلم بن عقيل ، ص ١٣٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٠ - ابن نما الحلبي ، مثير الاحزان ، ص ٢٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٦ .

(٨) البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٧ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٦ .

آلاف فقل لهم " استعينوا بها على حرب عدوكم ، وأعلمهم انك منهم ، فأنك لو قد أعطيتها إياهم اطمئنوا إليك ، ووثقوا بك ، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم " (٢) .

نستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

١. خداع أنصار مسلم بن عقيل بالأموال ، وهذه الخديعة لها مدلولان هما :
أ. افتقار مسلم بن عقيل وأنصاره إلى الأموال
ب. عدم سرية عمل مسلم بن عقيل وإلا كيف يقول ابن زياد لمولاه اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبيعه أهل الكوفة (٣) .
٢. ان وصية ابن زياد لمعقل فيها من اليقظة الشيء الكثير وهي ان دلت علي شيء فأنها تدل على معرفته بطبائع مجتمع الكوفة الاجتماعي والاقتصادي وهذا غير بعيد عنه لأنه حكم البصرة من سنة (٥٣-٦٠ هـ / ٦٢-٦٧٩ م) وهذه الفترة تكفيه لمعرفة أطباع أهل الكوفة بسبب الترابط القبلي الموجود بين القبائل الموجودة في المصريين (٤) .
- كما لا ننسى ان اختيار ابن زياد لمعقل لهذه المهمة تدل على خبرته بالطبيعة النفسية لأهل الكوفة ولمعقل معاً وقد اثبت معقل بأنه خير صنيع له بانتحال صفة احد الموالى لذي الكلاع ومن أهل الشام لكي ينفي الشك والريب عنه (٥) .

وقام معقل بالتمثيل والتمسك بأنه من محبي أهل البيت (i) (٦) . وتردد إلى المسجد فنظر إلى رجل يكثر الصلاة فقال في نفسه " أن هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة واحسب هذا منهم " (٧) ثم قرب معقل منه وبعد الانتهاء من صلاته قال لمعقل له " جعلت فداك أني رجل من أهل الشام ، مولى لذي الكلاع ، ... ، ومعى ثلاثة آلاف درهم ، أحب إيصالها إلى رجل منهم ، بلغني انه قدم هذا المصر داعية الحسين بن علي ، ... ، فهل تدلني عليه لأوصل هذا المال إليه ، ليستعين به على بعض أموره ، ويضعه حيث أحب من شيعته " (٨) ، قال له الرجل " وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيري ممن في المسجد " (٩) ، قال " لأنني رأيت عليك سيما الخير ، فرجوت ان تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله (ع) " (١٠) ، قال له الرجل " ويحك ، قد وقعت علي بعينك " (١١) . وبهذه الكلمات استطاع معقل

(٢) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٣١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٤) ل. ماسينيون ، خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة تقي محمد المصبيعي ، مطبعة العرفان ، صيدا ، (بيروت / ١٩٣٩ م) ، ص ٣٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣١٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥ .

(٧) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(٨) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(٩) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(١٠) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(١١) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

خداع مسلم بن عوسجة* وان يعترف له بأنه من شيعة أهل البيت ولم يعمل بشكل علني خوفاً من ابن زياد وطلب مسلم بن عوسجة من معقل ان يكتم هذا عن جميع الناس^(٥).

وبهذا استطاع معقل الوصول إلى إخبار مسلم بن عقيل بل حتى الدخول عليه وما يؤخذ على مسلم بن عوسجة أنه وثق بمعقل من دون ان يعرفه بشكل جيد هذا فضلاً عن عدم فطنته مع أصحابه على فترة مكوث معقل يومياً في دار هاني فكان أول القوم دخولاً وآخرهم خروجاً^(٦)، إضافة إلى ان المحاورات والمناقشات في أمورهم السياسية كانت تجري أمامه من دون ريبية، وقد دفع هاني ثمن ذلك عندما قال له ابن زياد " جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، ... ، وأبى هاني إلا مجاهدته ومناكرته، فدعا ابن زياد معقلاً، ... ، أتعرف هذا، قال: نعم " ^(٧) هذا فضلاً عن نقله كل الأخبار التي دارت في دار هاني بن عروة فقد ذكر ابن الأثير^(٨) ان معقل بعد خروجه من دار هاني يذهب إلى ابن زياد آخر الليل ليطلععه على آخر الأخبار.

٤. مسلم والغدر

يذكر قسم من المؤرخين^(٩) في مرض هاني بن عروة، جاء عبيدالله عائداً له، فقال له عمارة بن عبد السلولي: " إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية فقد أمكنك الله قتله فأقتله، قال هاني: ما أحب ان يقتل في داري ". والذي يبدو ان هاني كره قتل ابن زياد في داره وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على تمسكه بالعادات العربية التي لا تبيح قتل الضيف والقاصد إليها في بيوتها بالرغم مما يحمل القادم من صفات غدر ومكر.

وبعد أسبوع مرض شريك بن الأعور مرضاً شديداً في دار هاني بن عروة، فانتهى خبره إلى ابن زياد، فأرسل إليه رسولاً يعلمه انه آت لعيادته، فاعتنم شريك هذه الفرصة فقال لمسلم: " إنما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنك الله منه وهو صائر الي ليعودني، فقم فادخل الخزانة حتى إذا أطمأن عندي فأخرج إليه فاقتله ثم صر إلى قصر الإمارة، فاجلس فيه فإنه لا ينازعك فيه احد من الناس، وأن رزقني الله العافية صرت إلى البصرة فكفيتك أمرها، وبائع لك أهلها " ^(١٠). ثم اختلفت الآراء فيما بينهم على قتل ابن زياد وكره هاني ان يقتل ابن زياد في داره، وأجابه شريك بأن قتله قربان إلى الله وقال لمسلم لا تقصر في ذلك^(١١). وبينما هم في الحديث وإذا بابن زياد وحاشيته على

* مسلم بن عوسجة: مسلم بن عوسجة من بني سعد بن ثعلبة السعدي يكنى بأبي جعل، من ابطال العرب المشهورين، وهو من اصحاب الإمام علي (ع). ينظر: القاضي، المغرب في شرح الاخبار، ج ٣ ص ٢٤٥ - الزبيدي، تاج العروس

، ج ٧ ص ٢٥٢ - الزركلي، الاعلام، ج ٧ ص ٢٢٢.

^(٥) الدنيوري، الاخبار الطوال، ص ٢٣٦.

^(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٦٤.

^(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٢٨ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٧.

^(٨) الكامل، ج ٤ ص ٢٧.

^(٩) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٢٦.

^(١٠) الدنيوري، الاخبار الطوال، ص ٢٣٤.

^(١١) الدنيوري، الاخبار الطوال، ص ٢٣٤.

الباب ، فقام مسلم ودخل الخزانة مختفياً فيها ، ودخل ابن زياد فجعل يسأل شريكاً عن مرضه وشريك يجيبه ، ولما أستبطن شريك خروج مسلم جعل يقول :

ما الانتظار بسلمى ان تحيوها حيوا سلمى وحيوا من يحييها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها^(٣)

ورفع صوته ليسمع قائلاً " لله أبوك ! اسقينها وأن كانت فيها نفسها "^(٤) قال ذلك مرتين أو ثلاث مرات فقال ابن زياد : " هو لا يفتن ما شأنه أترونه يهجر ، فقال له هاني : نعم ، احلمك الله ، ما زال هكذا قبل غياب الشمس إلى ساعتك هذه "^(٥) . وفطن مهران مولى لابن زياد إلى ما دبر لسيدته ، فغمزه ونهض به سريعاً ، فقال له شريك : أيها الأمير ، أني أريد أن أوصي إليك ، فقال ابن زياد : " سأعود "^(٦) والتفت مهران وهو مذعور إلى ابن زياد فقال : " ان القوم أرادوا قتلك "^(٧) فبهر ابن زياد من ذلك .

وبعد خروجه من دار هاني بن عروة أعتذر مسلم من شريك^(٨) ، وعندما سأل شريك مسلماً : ما منعك من قتله ، فقال مسلم : " منعني منه خصلتان : أحدهما كراهية هاني لقتله في منزله والأخرى قول رسول الله (ﷺ) " أن الإيمان قيد الفتك ، لا يفتك مؤمن "^(٩) ، رفض مسلم سياسة الغدر لأي شخص لأنه اعم من الفتك^(١٠) ، هذا فضلاً عن ان إيمان مسلم يمنعه سفك الدم الحرام^(١١) .

فقال شريك : " أما لو قتلته لجلست في القصر لم يستعد منه احد وليكفينك أمر البصرة ، ولو قتلته لقتلت ظالماً فاجراً "^(١٢) ، وبعد ثلاثة أيام توفي شريك وصلى عليه ابن زياد وعندها علم أن شريك في كلامه كان يحرض مسلم على قتله فعندها أقسم ابن زياد على ان لا يصلي على جنازة من أهل العراق^(١٣) .

والسؤال أن أراد شريك قتل ابن زياد لماذا يرسم خطة ويطلب من مسلم تنفيذها ولا ينفذها هو نفسه ؟ ولماذا لم يقتله شريك في أثناء مسيره معه من البصرة إلى الكوفة ؟ وللإجابة عن السؤال الأول وجهان ، الوجه الأول : ان الرواة يذكرون ان شريك كان مريضاً مرضاً شديداً وهذا سبب كاف لعدم استطاعته قتله والوجه الثاني : ان مسلم بن عقيل هو رسول الإمام (t) إلى أهل الكوفة وهو صاحب الأمر بأخذ البيعة للإمام وتصفية الخصوم وبذلك فهو الأجدر بقتل ابن زياد . أما الإجابة عن السؤال الثاني فلا يخفى أن ابن زياد عند مجيئه من البصرة كان معه خمسمائة رجل وقتله في ذلك الوقت يعد انتحاراً لأنه لا يسلم ان يقتل بعد ذلك من حاشية وشرطة ابن زياد هذا إذا كان مستطاعاً قتله وهو مع

(٣) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠١ .

(٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠١ .

(٥) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(٧) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(٨) الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، تنزيه الانبياء ، ط ٢ ، دار الاضواء ، (بيروت / بلات) ، ص ٢٢٨ .

(٩) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ - الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، المجازات النبوية ، تح طه محمد ، مكتبة بصيرتي ، (قم / بلات) ، ص ٣٥٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ يذكر ضد بدلاً من قيد .

(١٠) العاملي ، جعفر مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ط ١ ، دار الهادي ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ج ٦ ص ٤٤ .

(١١) الشريف المرتضى ، تنزيه الانبياء ، ص ٢٢٨ .

(١٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(١٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٣٣ - الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٧ .

حاشيته وجنوده . هذا هو جواب السؤالين إلا أنه لا يمكن الجزم بذلك لأنه ربما تكون المصالح الشخصية لأشراف البصرة والكوفة ومن ضمنهم شريك حافزاً آخر في عدم دخول هذه المجازفة الخطيرة كـ _____ون شـ _____ريك كـ _____ان واليـ _____اً لكرمـ _____ان سنة ٥٩هـ / ٦٧٨م^(٣) .

يبقى سؤال آخر إذا كان معقل مولى أبين زياد أول القوم دخولاً وأخرهم خروجاً لدار هاني بن عروة لماذا لم يتم أخبار أبين زياد بمحاولة قتله ؟ وللجواب عن هذا السؤال يذكر الطبري^(٤) أن معقل مولى ابن زياد كان يأتي إلى مسلم بن عوسجة أياماً ولم يأت إلى دار هاني بن عروة إلا بعد موت شريك الأعور ، والظاهر أنه علم بمحاولة قتل ابن زياد بعد موت شريك .

أسباب عدم قتل مسلم بن عقيل لعبيدالله بن زياد

هناك عدد من الأسباب في عدم قتل مسلم لعبيدالله بن زياد منها :

١. قول مسلم بن عقيل نفسه عن رسول الله (ﷺ) : " أن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن " ^(٥) ، هذه الكلمة تدل على أن آل البيت (ﷺ) من قوة تمسكهم بالحق والصدق نبذوا الغدر حتى لدى الضرورة^(٦) .
٢. كان مسلم بن عقيل يمثل الحكومة الدينية التي تعنى قبل كل شيء بمبادئ الدين والالتزام بتطبيق سننه وأحكامه وليس من الإسلام في شيء للقيام بعملية الاغتيال^(٧) .
٣. كان أهل البيت (ﷺ) ينعون على الأمويين شذوذ أعمالهم التي لا تتفق مع نوااميس الدين وما قام به الإمام (ﷺ) بنهضته لإلتصحيح الأوضاع الراهنة وإعادة المنهج الإسلامي إلى الناس " ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب " ^(٨) .
٤. معرفة مسلم بن عقيل بكراهية قتل أبين زياد في دار هاني بن عروة نفسه^(٩) .
٥. كان واجب مسلم بن عقيل هو أخذ البيعة ومعرفة هوى أهلها والكتابة عنهم إلى الإمام (ﷺ) ولم يكن واجبه القتل وقد أشار إلى ذلك أبين الأثير^(١٠) " أمره بتقوى الله وكتمان أمره واللفظ وأن رأى الناس مجتمعين له يحمل إليه بذلك " .

^(٣) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة / ١٣٧٩هـ) ، ج ٢ ص ٤٨٣ .

^(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٤ .

^(٥) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ - أبين سلام ، القاسم بن الهروي (٢٢٤هـ) ، غريب الحديث ، تح محمد عبدالمعبد خان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٣٩٤هـ) ، ج ٣ ص ١٠٣ .

^(٦) السيد البرقي ، تاريخ الكوفة ، ص ٢٩٧ .

^(٧) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٢ .

^(٨) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٣ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ .

^(١٠) الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .

٦. ومن القرائن على كراهة هاني من قتل ابن زياد في داره ، ان مهرا ن الحارس لعبيد الله القائم على رأسه بالسيف يصارع مسلم دفاعاً عن عبيد الله حتى يقوم هو أيضاً بالدفاع عن نفسه ، هل كان مسلم بوحده مع شجاعته البالغة ينال أمه من قتل عبيد الله^(٥) .

خامساً . ابن زياد وإجراءاته تجاه هاني

١. اعتقال هاني بن عروة

كان هاني يغدو ويروح إلى عبيد الله ، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض فجعل لا يخرج ، فقال ابن زياد لجلسائه : ما لي لا أرى هانئاً ، فقالوا : هو شاك ، فقال : لو علمت بمرضه لعدته^(١) . ويبدو ان معقل قد أخبر ابن زياد بأن هاني هو العضو البارز في أنصار مسلم بن عقيل لذلك كان يطيل التفكير ويطيل البحث في شأن هاني فهو أعز من في المصر ، وأقوى شخصية يستطيع حماية مسلم وأنصاره ، لذلك تناقش مع أعوانه وقد اتفق رأيهم على خديعته بإرسال وفد إليه من السلطة يعرض عليه رغبة ابن زياد في زيارته ، فإذا وقع تحت قبضته ، فقد تم كل شيء ، ويكون تشتيت إتباعه ليس بالأمر العسير ، فشكروا وفداً لدعوته من أسماء بن خارجة* ومحمد بن الأشعث** وعمر بن الحجاج الزبيدي^(٢) .

ولم يكن لأسماء بن خارجة علم بالمؤامرة التي دبرت ضد هاني^(٣) ، وإنما كان يعلم بها محمد بن الأشعث وعمر بن الحجاج وقد أمرهم ابن زياد أن يحملوا له عواطفه ورغبته الملحة في زيارته ويعملوا جاهدين على إقناعه^(٤) .

وعندما ذهب الوفد إلى هاني عشية فوجده جالساً على باب داره ، فسلموا عليه وقالوا له : " ما يمنعك من لقاء الأمير فإنه ذكرك ، وقال لو أعلم أنه شاك لعدته ، فقال : الشكوى تمنعني ، وأبطلوا هذا

(٥) الشافعي ، محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧١هـ) ، جواهر المطالب في مناقب الامام الجليل علي بن أبي طالب ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، مكتبة احياء ، مطبعة باسدار السلام ، ، (قم / ١٤١٦هـ) ، ج ٢ ص ٢٦٥ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٧ .
* اسماء بن خارجة : اسماء بن حصين بن حذيفة بن بدر الفراري ، زعيم فرارة ومن سادات أهل الكوفة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٥٧ .

** محمد بن الأشعث : محمد بن الأشعث بن قيس بن معد بن يكر بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية يكنى بأبي القاسم ، روى عن عمر وعثمان . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٦٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٥ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

الزعم وقالوا له : " أنه قد بلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك ، وقد استبطاك والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان ، اقسنا عليك لما ركبت معنا " (٥) .

وأخذوا يلحون عليه في زيارته فاستجاب لهم على كره ، فدعا بثيابه فلبسها ودعا ببغلة فركبها فلما كان قريباً من القصر أحست نفسه بالشر فعزم على الانصراف وقال لابن خارجة " يا ابن أخي ، أني والله لخائف من هذا الرجل ، فماذا ترى (٦) ؟ فقال ابن خارجة : " يا عم والله ما أخوف عليك شيئاً ولم تجع لعل على نفسك " (٧) .

سبيلاً (٨) (٩) ودخل القوم على ابن زياد ، فاستقبله ابن زياد وقال له : " أنتك بخائن رجلاه " (١٠) وكان شريح القاضي * إلى جانبه فالتفت نحوه وقال ابن زياد :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وذعر هاني منه فقال له : ما ذاك أيها الأمير (١١) ، فقال له ابن زياد : " إيه يا هاني ما هذه الأمور التي تربص في دورك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين ، جنت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك وظننت ان ذلك يخفى علي " (١٢) والذي يتضح من هذا ان معقلاً كان يوصل الأخبار التي تمارس أمام العين إلى ابن زياد أولاً بأول وهذا ما جعل ابن زياد يقول ذلك لهاني ، وعندما انكر ذلك اخرج له معقل ، وعلم هاني عند ذلك انه كان عيناً عليهم ، وأنه قد أتاه باخبارهم (١٣) .

وقد حاول هاني ان يدافع عن نفسه فقال لابن زياد " قد كان الذي بلغك ، ولن أضع يدك عندي ، وأنت آمن " (١٤) ، ويضيف المسعودي (١٥) بأن هاني قال لابن زياد : " تشخص أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم ، فإنه جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك " .

(٥) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٢ - الخوارزمي ، الموفق بن أحمد بن محمد (ت ٥٦٨هـ) ، مقتل الحسين (ت) ، تح محمد السماوي ، مطبعة مهر ، (قم / ١٤٢٣) ، ج١ ص٢٩٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٥ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج١ ص٢٩٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٨ .

(٧) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٨ .

(٨) أنتك بخائن رجلاه : هذا المثل أستخدمة الحارث بن جبلة الغساني للحارث بن العيف العبدلي حين أسره في هزيمة المنذر وكان قد هجاه ، ويضرب هذا المثل للرجل يسعى الى المكروه حتى يقع فيه . ينظر : النيسابوري ، مجمع الامثال ، ج١ ص١١٩ - الزمخشري ، المستقصى في امثال العرب ، ج١ ص٣٧ .

* شريح القاضي : شريح بن الحارث بن قبيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الراش من كندة ، يكنى أبا أمية ، وليس

من بني الراش في الكوفة غيره وكان شاعراً قلي القضاء في الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . ينظر : ابن

سعد ، الطبقات الكبير ، ج٨ ص٢٥٢-٢٥٣ - الاصفهاني ، أحمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ) ، معرفة الصحابة ، تح

محمد حسن محمد وآخرين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢هـ) ، ج٣ ص٢١ - سبط ابن العجمي ، نهاية الرسول

في الرواة الستة الاصول ، ج٣ ص١٠٤٨ - ابن حجر ، الاصابة في معرفة الصحابة ، ج٣ ص٣٣٤ .

(٩) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٣٧ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٨ .

(١١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٥ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج١ ص٢٩٥ - ابن الاثير ، الكامل ،

ج٤ ص٢٨ .

(١٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٩٤ .

(١٣) مروج الذهب ، ج٣ ص٥٩ .

وهذه النصوص تدل لنا على شجاعة هاني بن عروة المرادي في إيضاح الحق مع مسلم وآل بيته (t) وليس مع ابن زياد وخليفته يزيد بن معاوية لذلك استفز ابن زياد من كلام هاني فقال له والله لا تفارقني حتى تأتيني به^(٨) ، فرفض هاني ذلك وقال : والله لا آتيك بضيفي أبداً^(٩) .

ولما طال الجدل بينهما أنبرى مسلم بن عمرو الباهلي ولم يكن رجل غريب في المجلس غيره فطلب من ابن زياد ان يختلي بهاني ليقنعه فأذن له ، فقام وخلا به ناحية بحيث يراهما ابن زياد ويسمع صوتهما إذا علا ، وحاول الباهلي إقناع هاني وحذره من نقمة السلطان وان السلطة لا تنوي السوء بمسلم قائلاً : " يا هاني أشدك الله إلا تقتل نفسك ، وتدخل البلاء على قومك ، ان هذا الرجل ابن عم القوم ، وليسوا بقاتليه ، ولا ضائريه ، فادفعه إليه ، فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنما تدفعه إلى السلطان "^(١٠) .

نستنتج من هذا ان أعوان ابن زياد أرادوا الأمور الآتية من هاني بن عروة .

١. تسليم مسلم بن عقيل إلى ابن زياد ، وقد رفض هاني ذلك لأسباب كثيرة أهمها :
 - أ. معرفة هاني بأن آل البيت (i) هم أفضل من يتولى الخلافة وان الخلافة حق لهم " فإنه قد جاء من هو أحق من حقك وحق صاحبك "^(١١) .
 - ب. أن هاني بن عروة يمثل زعيم قبيلة كبيرة في الكوفة وبالتالي فإن سياسة التهديد والوعيد التي استخدمها ابن زياد وأعوانه ليست هي السياسة المطلوبة من أجل إنهاء المسائل .
 - ج. كيف يسلم هاني مسلم بن عقيل وهو ضيفه وهذا مناف للعادات العربية الأصيلة " أن علي في ذاك الخزي والعار ، ان ادفع جاري وضيفي "^(١٢) .

- د. قوة هاني البدنية وهذه القوة قد عبر عنها هاني نفسه عندما قال " أنا حي صحيح أسمع وأرى ، الساعد ، كثير الأعوان "^(١٣) .

٢. أقناع هاني بأن بتسليمه لمسلم بن عقيل ليس منقصة ولا مخزاة له ولعشيرته وهي سياسة ترغيب وسياسة تهديد ليس ضد الشخص فقط وإنما ضد عشيرته وفي هذه الحالة يكون البلاء على العشيرة بالكامل من منع العطاء الكامل في ابسط عمل ضدهم ، وهذه هي من سمات الحكم الأموي التي زرعتها معاوية .
- ولما فشل الباهلي من إقناع هاني انطلق نحو ابن زياد وقال له : " قد أبى ان يسلم مسلماً أو يقتل ، فغضب ابن زياد وقال : والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك فقال : إذا والله تكثر البارقة* حول دارك فقال

(٨) ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ج ١ ص ٢٩٥ .

(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

(١١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٥٩ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

(١٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٦ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ج ١ ص ٢٩٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

أبن زياد : وبالبارقة تخوفني ^(٥) . وظن هاني ان عشيرته ستقف معه وستمنع أبن زياد من ضرب عنقه ^(٦) . فتحدى أبن زياد هاني فطلب منه ان يدنو منه ، فلما دنا منه ضربه بالقضيب على وجهه ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخذه حتى كسر أنفه ، وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب ، وحاول هاني أن يأخذ سيف أحد الشرطة والدفاع عن نفسه فمنع من ذلك فقال أبن زياد له " احروري * سائر اليوم " ^(٧) ويبدو ان عبيدالله بن زياد قد تحدى هاني بن عروة وضربه في قصر الأمارة وخاصة بعد ان هدد هاني بالبارقة ولم يقف تصرف ابن زياد هذا ضد هاني فحسب بل يذكر قسم من المؤرخين ^(٨) ان أسماء بن خارجة قد عاتبه بسبب ضربه لهاني فقال له : " أرسل غدر سائر اليوم ، أمرتنا ان نجينك بالرجل حتى إذا جئناك به ، ... ، وزعمت انك تقتله " فغضب ابن زياد منه فأوعز إلى شرطته بتأديبه فضربه بجمعة بحركة عنيفة ^(٩) ثم حبس فقال أسماء في السجن " ، ... ، إلى نفسي أنعاك * يا هاني " ^(١٠) . وهذا معناه ان ابن زياد لا يريد ان يقف أحداً ضده في سياسته حتى وان كان من أعوانه وربما أدرك محمد بن الأشعث ذلك فعندما رأى الموقف قال : " قد رضينا بما رأى الأمير ، لنا كان أم علينا ، إنما الأمير مودب " ^(١١) ، إزاء هذه الأوضاع تدارك ابن زياد الموقف لتخوفه من ان يثب عليه الناس فخرج عند ذلك وصعد المنبر ومعه أشراف الكوفة وشرطته وحشمه فقال : " اما بعد ، أيها الناس اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتخيفوا وتحرموا ، ان أخاك من صدقك وقد اعذر من انذر " ^(١٢) .

والذي يمكن ان يستنتج من هذا النص أمر مهم جداً هو ان الأمويين وأعوانهم كانوا دائماً يسعون إلى إفهام الناس بأن الخلافة لهم وفق نظرية الحكم الإلهي أو وفق سياسة الجبر وما قوله " اعتصموا بحبل الله وطاعة أئمتكم " إلا دليل ذلك .

أما موقف قبيلة مذحج من هذا العمل المضاد لزعيم قبيلتهم فقد ذكر قسم من المؤرخين ^(١٣) : " أن عمرو بن الحجاج قد سمع خبر ان هانئاً قد قتل ، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ، نادى : " أنا عمرو بن الحجاج ، هذه فرسان مذحج ووجوهها ، لم نخلع طاعة ، ولم نفارق جماعة وقد

* البارقة : السيوف ، تقول رأيت بارقة القوة إذا رأيت بريق سيوفهم ، ويقال : أبرق فلان بسيفه يبرق إذا لمع بسيفه . ينظر : الدنيوري ، عبدالله بن مسلم (ت ٧٢٦هـ) ، غريب الحديث ، تح عبدالله الجبوري ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٨هـ) ، ج ٢ ص ١٤ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٤٧ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج ١ ص ٢٩٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ - أبن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

* يقول الجاحظ أن ابن زياد قال لهاني : " أهروري سائر اليوم " يريد احروري بسبب وجود لكنة فارسية في كلامه . ينظر : الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، تح المحامي فوزي عطور ، ط ٢ ، دار صعب ، (بيروت ١٩٦٨م) ، ج ١ ص ٥٣ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج ١ ص ٢٩٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ .

* أنعاك : مفردا نعي ، هو الذي يأتي يخبر الموت . ينظر : محمد عبدالقادر ، مختار الصحاح ص ٣٤٢ - الطريحي ، مجمع البحرين ، ج ٤ ص ٣٣٩ .

(٤) أبن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٤٨ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج ١ ص ٢٩٦ .

(٥) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ - أبن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - أحمد زكي صفوت (ت ١٢٧٢هـ / ١٤٢٣م) ، جمهرة خطب العرب ، المكتبة العلمية ، (بيروت / بلات) ، ج ٢ ص ٩٣ .

(٧) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٣٩ - الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ - الخوارزمي ، مقتل

الحسين (ت) ج ١ ص ٢٩٦ - أبن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٠ - أبن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص ٢٣ - بحر العلوم ، السيد محمد مهدي (ت ١٢١٢هـ) ، الفوائد الرجالية ، تح محمد صادق بحر العلوم ، ط ١ ، مكتبة الصادق ، (ايران / ١٣٦٣هـ) ، ج ٤ ص ٢٤ .

بلغ ان صاحبهم يقتل ، فاعظمو ذلك " . ونرى فيه من الخنوع والمسالمة إلى السلطة وليس فيه اندفاع لإنقاذ هاني ، ولذا لم يحفل به ابن زياد فالتفت إلى شريح وقال له : " ادخل على صاحبهم فأنظر إليه ، ثم اخرج إليهم وأعلمهم بأنه حي " (١) .

وهذا يوضح لنا أمرين مهمين هما :

١. ان أمر إدخال شريح القاضي على هاني قد تم بإيعاز من ابن زياد ، وكان قد اعلمه بما سيقوله بعد خروجه إليهم ولزيادة الاطمئنان إليه فإنه ادخل معه حميد بن بكير الاحمري وهو احد حراسه من اجل عدم قدرة شريح على الكلام وما قاله شريح إلا دليل على ذلك : " فخرجت إليهم ، ... ، وايم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما امرني به " (٢) .
٢. ربما هناك اتفاق مسبق ما بين عمرو بن الحجاج وعبيدالله بن زياد حول عملية خروج القبيلة ، وما يؤكد هذا ان ابن زياد لم يخش القبيلة التي جاءت بفرسانها ، هذا فضلاً عن عدم وجود نية للقتال من أشرف القبيلة التي جاءت إليه بفرسانها وبضمنهم عمرو بن الحجاج ، وما يجعل هذا الكلام واضحاً هو قول هاني لشريح عندما دخل عليه : " يا شريح أني لاظنها أصوات مذبح وشيعتي من المسلمين ، ان دخل علي عشرة نفر أنقذوني " (٣) .
- والذي نراه ان الاتفاق قد تم بين أشرف القبيلة فيما بينهم وبين ابن زياد من اجل قتل هاني ، وفعلاً تم قتله في سوق الحذائين وفي وضح النهار ولم يحرك أهله ساكناً ، ولكن بمرور الوقت نجد ان عبدالرحمن بن الحصين المرادي بصر إلى مولى عبيدالله بن زياد يقال له رشيد في خازر* ، فقال الناس له : هذا قاتل هاني بن عروة فقال ابن الحصين قتلني الله ان لم يقتله أو اقتل دونه ، فحمل عليه الرمح فطعنه فقتله (٤) ، وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على وجود حواجز لم يستطع أهل مذبح تجاوزها للخروج والدفاع عن هاني آنذاك .

٢. انتفاضة مسلم بن عقيل

لما علم مسلم بما جرى بادر لإعلان الثورة على ابن زياد لعلمه بأنه سوف يلقي نفس المصير الذي لاقاه هاني ، أوعز إلى عبدالله بن خازم** أن ينادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله ، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً (١) وفي الدور أربعة آلاف (٢) . لربما أدرك مسلم أنها أول بوادر الغدر عند أهل الكوفة

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

*الخازر : نهر بين أربل والموصل ثم بين الزاب الاعلى والموصل وعليه كورة يقال لها نخلا . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص٣٣٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٧٩ .

**عبدالله بن خازم : عبدالله بن خازم من أنصار مسلم بن عقيل وممن استشهد في عين الورد سنة ٦٥هـ . ينظر : أبو

مخنف ، مقتل الحسين (٦) ، ص٣٠٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ .

(٢) أبين كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٥٢٧ .

لذلك أوعز مرة أخرى إلى عبدالله بن خازم أن ينادي في الناس شعار يوم بدر : " يا منصور أمت " (٣) بسبب ما يحتويه هذا الشعار من الاندفاع للتغلب على الأعداء وفيه تفاؤل بالنصر (٤).

فقام مسلم بتوزيع قيادات جيشه على من عرف بالولاء والإخلاص لأهل البيت (١) وهم عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي ، وجعله على ربع كندة وربيعه ، ومسلم بن عوسجة جعله على ربع مذحج ، وأبو ثمامة الصائدي وجعله على ربع قبائل بني تميم وهمدان ، والعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة (٥). وبعد أن أنهى مسلم تحديد مسؤوليات القيادات خرج لثمانى ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين (٦)، واقتبلوا نحو القصر ، فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز في القصر وغلق الأبواب (٧).

وقد ذكر الطبري (٨) أن ابن عقيل خرج في أربعة آلاف وعند وصولهم إلى القصر بلغوا نحو ثلاثمائة رجل ، ثم بقي منهم ثلاثون رجلاً وعند المساء لم يبق معه إلا أولئك نفر وبعد وصوله إلى أبواب كندة بلغ عددهم عشرة وإذا خرج من الباب ليس معه إنسان يدلّه على الطريق (٩).

فما هي أسباب هذا التحول في أنصار مسلم بن عقيل ؟!

٣. أسباب فشل مسلم بن عقيل في مهمته

تجمعت عدة أسباب لفشل مسلم في مهمته ولكن أبرزها هو :

أ. العامل الاجتماعي

ب. العامل النفسي

ج. العامل الاقتصادي

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠.

(٤) الصدر ، شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين (ع) ، ص٢٨٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٩ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ع) ج١ ص٢٩٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٦ .

(٧) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٨) تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٧٠-٣٧١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٨ .

أ. العامل الاجتماعي

امتاز مجتمع الكوفة دون غيره من مجتمعات الامصار العربية الاسلامية بعدد من الصفات التي سببت في اخفاق مسلم بن عقيل في مهمته ابرزها هو :

١. الغدر

فقد اشتهر مجتمع الكوفة بظاهرة الغدر وقد ضرب بهم المثل " اغدر من كوفي " ^(١) ، وقد وصفهم الامام علي (ع) " أسود روعة و ثعالب روعة عند الناس " ^(٢) وربما ان سبب وجود هذه الظاهرة هو الظروف السياسية القاسية التي مرت عليهم خلال فترة خلافة معاوية لاختياره لهم الولاة القساة .

٢. التمرد على الولاة

والطابع الخاص الذي عرف به المجتمع الكوفي ، التمرد على الولاة والتبرم منهم ، فقد ذكر الطبري ^(٣) ان أهل الكوفة عزلوا عمار بن ياسر في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعينوا بدلاً عنه أبا موسى الأشعري برضائهم وعزل بعد سنة أيضاً برضائهم هذا فضلاً عن وصية الخليفة معاوية إلى ابنه يزيد " وأما أهل العراق فأن سألوك ان تعزل كل يوم عاملاً فافعل " ^(٤) ويبدو من وصية الخليفة معاوية أنه يريد بأهل العراق الكوفة ليس إلا بسبب كثرة الولاة عليها خلال فترة حكمه لذا فقد لاحظنا ظاهرة تعيين وعزل الولاة في العراق ومن خلال المتابعة وجد عدد الولاة في الكوفة والبصرة خلال فترة حكم الخليفة معاوية كانت ثمانية ولاة لكل مصر من الأمصار * .

٣. التناقض في السلوك

وهذه الظاهرة وجدت في مجتمع الكوفة الذي بدأ في تناقض صريح مع حياته الواقعية فهو يقول شيئاً ويفعل ضده ، ويؤمن بشيء ويفعل ما ينفيه ، والحال أنه يجب ان تتطابق أعمال الإنسان مع ما

(١) البغدادي ، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) ، الفرق بين الفرق ، تح مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية ، (القاهرة / بلات) ، ص ٣٤ .

(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٤ ص ٣٦٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦ .

* هناك ملحق للطبري استعنت به لتبيان عدد الولاة للمصريين في خلافة معاوية .

يؤمن به ، وقد أدلى الفرزدق بهذا التناقض حينما سأله الإمام (ت) عن أهل الكوفة فقال : " من الخبير سألت ، قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية " (٥) .

٤. عدم المجابهة أو الانهزامية
ويمكن ملاحظة ظاهرة الهروب أو الانهزامية في مجتمع الكوفة ، لأنه قد عرفنا ان عدد المبايعين لمسلم بلغوا ثمانية عشر ألفا ولكن عندما خرج مسلم بمهمته لم يخرج معه إلا نفر قليل منهم ثم لم يبق إلا وحده وحيداً فريداً . ولم يجد شخصاً واحداً يدلّه على الطريق (١) . وربما جاءت إليهم هذه الصفة كونهم قد ملوا الحروب لأنهم خاضوا حروب الجمل وصفين والنهروان .

٥. الطمع في المال
لقد فطن ابن زياد ان الأموال هي سلاحه ضد أهل الكوفة لذلك فقد بذل الأموال بسخاء لأشراف الكوفة وقد وصف مجمع بن عبدالله العائذي* حالتهم للإمام (ت) حينما قال له : " أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ، وملئت غرائرهم " (٢) وقد وصفهم عمر بن عبدالرحمن** للإمام (ت) قبل خروجه إليهم : " إنما الناس عبيد لهذا الدرهم أو الدينار " (٣) .

ب. العامل النفسي

أوعز عبدالله بن زياد إلى أشراف أهل الكوفة ان يبادروا إلى بث الذعر ونشر الخوف بين الناس ، وقد انتدب للقيام بهذه المهمة كثير بن شهاب الحارثي*** وأمره ان يخرج الى مذحج ومجد بن الاشعث ان يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وكذلك كان دور القعقاع

(٥) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - العاملي ، علي بن يونس (ت ٨٧٧هـ) ، الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم ، تح محمد الباقر البهبودي ، مطبعة الحيدري ، دار المكتبة المرتضوية للنشر ، (بلاط) ، ج ٢ ص ٣٦ .
(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣١ .

* مجمع بن عبدالله : مجمع بن عبدالله بن مجمع بن مالك بن أياس بن عبد مناة بن عايذ الله ، قتل مع الإمام (ت) . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ٤ ص ١٢١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧١-٣٧٥ .
** عمر بن عبدالرحمن : عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي المدني ، ثقة من الطبقة الثانية ، ولد يوم وفاة الخليفة عمر (رضي الله عنه) ، وولاه ابن الزبير الكوفة ثم صار مع الحجاج ومات بعد السبعين . ينظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ١ ص ٧٢١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٧ .
*** كثير بن شهاب : كثير بن شهاب بن الحصين بن يزيد بن شلد بن قنان بن سلمة المذحجي ، وكان والياً على الري في عهد معاوية واختال أموالاً كثيرة من معاوية واستتر بهاني بن عروة ، ومن المبغضين للإمام علي (ت) . ينظر : أبين سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٨ ص ٢٧٠ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ص ٣٧٨ - المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ج ١ ص ٨٤ - المرصفي ، سيد بن علي (ت ٤٨٠هـ) ، رغبة الأمل من كتاب الكامل ، مطبعة النهضة ، ط ١ (مصر / ١٩٢٧) ، ج ٢ ص ٨٦ .

بن شور الذهلي**** وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن ابجراد العملي وشمر بن ذي الجوشن العامري**** وترك وجوه الناس عنده استئناساً بهم لقلته من معه^(٤).

ولقد أدى كثير بن شهاب الحارثي دوراً كبيراً في تفريق أنصار مسلم بن عقيل من خلال ما قام به من زرع الخوف والذعر في صفوف الناس فكان يقول لهم "أيها الناس، الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين قد أقبلت، وقد أعطى الأمير العهد لنن أتممت على حربته، ولم تنصرفوا من عشيتكم، ان يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتلكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وان يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب"^(١). وتكلم بعده الأشراف في كلام مشابه إلى ما تكلم به كثير بن شهاب.

والذي يمكن ان نستنتجه من خلال هذا الكلام عدة أمور منها :

١. التهديد بجيوش أهل الشام، فقد زحفت إليهم وهي ستنتشر فيهم القتل والتنكيل ان بقوا مصرين على المعصية والعناد.
 ٢. حرمانهم من العطاء، وهذه الظاهرة قد تمسك بها كل الولاة كون اغلب رجالها هم من المسلمين الأحداث والمنتفعين من الدولة^(٢).
 ٣. نفيهم في مغازي أهل الشام، وزجهم في ساحات الحروب.
 ٤. أنهم ان أصروا على هذا التمرد، فإن ابن زياد سوف يأخذ بسياسة أبيه التي تحمل شارات الموت والدمار حتى يقضي على جميع ألوان الشغب والعصيان.
- كان من نتيجة هذا الكلام الذي قاله ابن شهاب الحارثي ان تفرقت أنصار مسلم عنه فكانت المرأة تأتي أبنها أو أخاها أو زوجها وهي مصفرة الوجه من الخوف فتتوسل إليه قائلة: "الناس يكفونك"^(٣) ويفعل الرجل مثل ذلك.

وبهذا قد خلع الكوفيون ما كانوا يرتدونه من ثياب التمرد على بني أمية، ولبسوا ثياب الذل والعبودية من جراء ذلك وقد أيقن الإمام علي (ت) إلى ذلك حينما خطب في الكوفة وقال: "أصبحت لا اطمع في نصرتكم، ...، أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيافاً قاتلاً"^(٤).

ج. العامل الاقتصادي

لقد عرفنا سابقاً بأن هناك كتباً من كبار شخصيات أهل الكوفة وهم أنفسهم الطبقة الغنية تطلب من الإمام (ت) المجيء إليهم، ولكن ما الذي غير سلوكيات هذه الشخصيات بعد مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة؟ فلندرس بعض هذه الشخصيات :

**** القعقاع بن شور : القعقاع بن شور بن بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٣١٩ .

***** شمر بن ذي الجوشن : شمر بن شرحبيل ابن الاعور بن عمرو بن معاوية الضبابي ، من بني رواس بن كلاب . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٢٨٧ .

^(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣١ .
^(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٨١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٠ - المرصفي ، رغبة الكامل من كتاب الكامل ، ج٢ ص٢٦ .

^(٢) المحامي أحمد حسين يعقوب ، النظام السياسي في الاسلام ، ط٣ ، مطبعة بهمن ، مؤسسة انصاريان للطباعة ، (قم / ٢٠٠٣) ، ص ١٨٠ .

^(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣١ - نوري جعفر ، الصراع بين الأمويين ومبادئ الاسلام ، مطبعة الزهراء ، (بغداد / ١٩٥٦) ، ص ١١٦ .

^(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٢٢ .

١. عمرو بن حريث المخزومي*

من الشخصيات المعروفة التي نزلت الكوفة مبكراً وابتنى فيها داراً قريباً من المسجد والسوق ، وولده فيها ، وله شرف بالكوفة ، وأصاب مالا عظيماً^(١) ، حتى انه قيل أغنى رجال الكوفة ، وولي الكوفة في عهد زياد بن أبيه . لذا نرى ان سبب ارتداده عن الإمام (ت) بعد مجيء مسلم احتمالان هما :

١. ان عمرو ربما كان على علاقة بعبيد الله بن زياد خاصة وانه كان احد نواب أبيه في الكوفة ، وعندما كتب أهل الكوفة إلى الإمام (ت) كان واليها هو النعمان بن بشير الأنصاري ، فكان من ضمن الأشراف الذين كتبوا للإمام (ت) ، وبعد مجيء ابن زياد إلى الكوفة حسب أوامر يزيد لم يستطع عمرو ان يقف ضده لذلك ارتد عن الإمام (ت) .

٢. المصالح الشخصية لأشراف الكوفة وبضمنهم عمرو لأننا نجد بعد مجيء ابن زياد إلى الكوفة أصبح عمرو من المقربين إليه وحتى نائبه في الكوفة في حالة مغادرته البصرة فقد ذكر الطبري^(٢) انه بعد وفاة يزيد بن معاوية كان عبدة الله بن زياد بالبصرة وعمرو بن حريث المخزومي نائبه في الكوفة . وسوف نجد أنه في خلافة عبدة الله بن الزبير يأخذ الدور نفسه .

٢. شيبث بن ربعي

وهو من الشخصيات الغنية في الكوفة ، ليس له رأي ثابت فقد سبق له ان خرج على الإمام علي (ت) وانكر عليه التحكيم ثم تاب وأناب^(٣) ، لذلك قال عنه الدكتور حسن^(٤) بأنه شخصية متقلبة الأهواء ، وانتهازي من طراز عجيب فكان أول الكاتبين للإمام (ت) بالقدوم وحين قدم كان أول الخاذلين له .

ونرى ان هناك عاملاً سياسياً مهماً قام به أشراف الكوفة دون غيرهم من أعوان ابن زياد هو اعتقال من يريد إعانة مسلم بن عقيل والدليل على ذلك ما فعله كثير بن شهاب الحارثي مع عبدة الله بن يزيد** ومحمد بن الأشعث مع عمارة بن صلخب الأزدي** باعتقالهم عندما خرجا لمساعدة ابن عقيل^(٥) وكذلك المختار بن ابي عبيدة الثقفي وعبدة الله بن الحارث بن نوفل^(٦) ، وأحياناً استخدم ابن زياد سياسة القتل مع أعوان الإمام (ت) لكونهم من شيعة الإمام (ت) كما حصل مع ميثم التمار**** .

* عمرو بن حريث : عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدة الله بن عمر بن مخزوم يكنى أبا سعيد . ينظر : ابن سعد : الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٣٤ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٣٥ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ص ١٥٠ .

(٤) ناجي حسن ، البداوة والتحضّر ، مجلة الجمعية التاريخية ، العدد ٣ ، (بغداد / ١٩٧٤) ، ص ٣٠٩ .

** عبدة الله بن يزيد : لم أجد له ترجمة .

*** عمارة بن صلخب : عمارة بن صلخب الأزدي ، من عرب الجنوب ، شاب كوفي خرج لنصرة الإمام (ت) ، فقبض عليه وحبس . ينظر : محمد شمس الدين ، انصار الحسين (ت) ، ص ١٢٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٦ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٦ .

**** ميثم التمار : ميثم بن يحيى الأسدي معروف بالولاء لعلي بن أبي طالب ، أول من ألجم في الإسلام سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م ، وكان في السجن مع المختار وكان قد أخبر المختار بأن ابن زياد سوف يقتله ويخرجه من السجن وما تكلم به حصل . ينظر : الحلي ، ابن نما (ت ٦٤٥هـ) ، ذوب النضار في شرح الآثار ، تح فارس حسون كريم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / ١٤١٦هـ) ، ص ٦٩ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٣٣٦ .

سادساً. ابن زياد وإجراءاته تجاه مسلم

١. ابن زياد ومهمته الجديدة تجاه مسلم

لما تفرق الناس عن مسلم ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال^(١) ، لم يطمئن إلى ذلك خوفاً من ان يكون ذلك مكيدة وخديعة فعهد إلى أصحابه بالتأكد من انهزام جيش مسلم فقال : " انظروا لعلهم تحت الظلال* قد كمنوا لكم ، ففرعوا بحابح** المسجد ، وجعلوا يخفون شعل النار في أيديهم ، ثم ينظرون هل في الظلال احد ، ... ، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها أو وسطها حتى فعلوا بالظل التي فيها المنبر" (٢).

والذي يتضح لنا من هذا النص أمر مهم واحد هو تخوف ابن زياد وأعوانه من مسلم بن عقيل ، ولكن كيف تصرف ابن زياد إزاء هذا الموقف ؟

أدرك ابن زياد ان جيش مسلم بن عقيل قد تفرق عنه من خلال أعوانه وجواسيسه لذلك نزل من القصر الى باب السدة التي في المسجد ثم خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه فأمرهم فجلسوا حوله فأمر عمرو بن نافع فنادى " ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة ، صلى العتمة في المسجد فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد في الناس" (٣).

ومن هذا يتبين لنا ان أول إجراءات ابن زياد هو جمع رؤساء أهل الكوفة من الشرطة والعرفاء والمقاتلة وبهذا يكون قد سيطر على المدينة ، ثم خطب فيهم ابن زياد بعد ان جمعهم " أما بعد ، ... ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرئت ذمة الله عن رجل وجدناه في داره ومن جاء به فله ديتة ، ... ، يا حصين بن تميم*** ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة ، أو خرج هذا الرجل ولم تائتني به ، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة ، فابعث مراصدة على أفواه السكك ، وأصبح غداً واستبر الدور وجس خلالها حتى تائتني بهذا الرجل" (٤).

ويبدو انه حدد واجبات الحصين من خلال الأمور الآتية :

(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٤٦ - المقدم ، مسلم بن عقيل ، ص ١٣١ .
*الظلال : جمع ظلة ، وهي السقيفة يستتر بها من الحر والبرد . ينظر : ابن أبي الدنيا ، عبدالله بن عبيد (ت ٢٨١هـ) ، الورع ، تح محمد عبد حمد الحمود ، ط ١ ، دار السلفية ، (١٤٠٨هـ) ، ص ١٠٠ .
**بحابح : أي ساحة المسجد . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١٠ ص ٤٦٢ .

(٢) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٤٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٢ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٤٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٢ .

***الحصين بن تميم : الحصين بن نمير بن أسامة بن زهير بن دريد بن جشيش بن مالك من بني تميم ، كان على شرطة ابن زياد وليس السكوني مثلما يذهب إليه السيد الالوسي في أطروحة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٨ - الالوسي ، عبدالباسط عبدالرزاق ، قبيلة كندة ودورها في التاريخ الاسلامي من ٤١-١٣٢هـ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٣) ، ص ١٢٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢ .

١. الاحاطة بالطرق والسكك لكي لا يهرب منها مسلم ، وتحميل ابن الحصين مسؤولية الهروب منه .
٢. تفتيش جميع الدور والمنازل في الكوفة .
٣. اعتقال مؤيدي مسلم بن عقيل وقد أعان ابن زياد الحصين بذلك عندما عقد لعمر بن حريث راية وأمره على الناس الذي استطاع من خلاله اعتقال المختار بن عبيدة الثقفي وعبدالله بن الحارث بن نوفل^(١) ، وهما من الشخصيات البارزة في الكوفة .

كما حدد واجبات الرعية في الكوفة من خلال :

١. الحكم بإعدام كل من آوى مسلماً مهما كانت منزلته الاجتماعية في المصر ، مما سبب نفوراً ليس في أهل الكوفة بل حتى الذين خرجوا معه لقتال ابن زياد .
٢. دفع دية لكل رجل يستطيع ان يأتي بمسلم وقد ذكر ابن اعثم الكوفي^(٢) مقدار الدية بأنها عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية وله كل يوم حاجة مقضية .
٣. التأكيد على لزوم الطاعة وعدم مفارقة الجماعة باعتبار الحكم الأموي حكماً إلهياً لا يجوز الخروج عليه لذلك قال ابن زياد في خطبته " اتقوا الله عباد الله " ^(٣) ؟!

بعد هذا العرض والإغراء المادي والمعنوي لأهل الكوفة قدم بلال بن طوعة في صباح اليوم التالي إلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث* فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه ، فأقبل عبدالرحمن حتى أتى أبيه عند ابن زياد فساره ، فقال له ابن زياد : ما قال لك ، قال : أخبرني ان ابن عقيل في دار من دورنا^(٤) . ثم أمر عبيدالله خليفته عمرو بن حريث المخزومي ان يبعث مع محمد بن الأشعث سبعين رجلاً كلهم من قيس^(٥) ، لأن أبن الأشعث كره ان يكونوا من قومه لأنهم لا يحبون لقاء مسلم بن عقيل خوفاً من العصبية التي تقع بينهم^(٦) ، حتى أتوا الدار التي فيها أبن عقيل ، فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف انه قد أتى فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشد عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ثم عادوا إليه^(٧) ، واستعمل معه أهل الكوفة ألواناً قاسية وشاذة في الحرب فقد

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨١ .

(٢) الفتوح ، مج٣ ج٥ ص٥٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٢ - أبن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

* عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث : عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث وهو من أعرف العرب بالعدو . ينظر : البغدادي ، المحبر ، ص٢٤٤ - أبن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٤٢٥ .

(٤) البغدادي ، المحبر ، ص٢٤٥ - أبن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

(٥) أبن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

(٦) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٤٠ .

(٧) أبن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

اعتلوا سطوح بيوتهم ، وجعلوا يرمونه بالآجر^(٢) ، ويلهبون النار في نواحي القصب^(٣) ، فلما رأى ذلك مسلم خرج عليهم بسيفه في السكة وقاتلهم وهو يقول^(٤) :

أقسمت لا أقتل إلا حراً

وان رأيت الموت شيئاً نكراً

كل امري يوماً ملاق شراً

ويخلط البارد سخناً مرأ

ولما رأى الاشعث شجاعة مسلم بن عقيل وعندما سمع رجزه الذي أقسم فيه ان يموت ميتة الأحرار والا يخدع ولا يفر ، انبرى إليه قائلاً : " انك لا تكذب ولا تخدع ، ان القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربك^(٥) " ، ويبدو ان ابن زياد قد وضع أمراً مهماً لابن الاشعث بأنه لا يستطيع مجاراته إلا بأن يعطي له الأمان^(٦) وفعلاً ذكر الطبري^(٧) " بعد ان عجز مسلم عن القتال وانبهر* ، فاسند ظهره إلى جنب تلك الدار ، فدنا محمد بن الاشعث فقال : لك الأمان ، فقال : آمن أنا ، قال : نعم " ، وهكذا الحال دخل مسلم في أمان ابن الاشعث الذي لا قدرة له على الوفاء به لكنها من مكاييد ابن زياد السياسية .

٢. موقف مسلم بن عقيل

أيقن مسلم بعد ان انتزعوا سيفه من عنقه ، أنه أول الغدر به ، فدمعت عيناه ، فظن عمرو بن عبيدالله بن العباس السلمي أنه يبكي لما صار إليه من الأمر ، فأنكر عليه ذلك وقال له : " ان من يطلب مثل الذي تطلب إذا انزل به مثل الذي نزل بك لم يبك " ^(٨) فرد عليه مسلم ما توهمه فيه قائلاً : " أني والله ما لنفسي ابكي ، ولا لها من القتل ارثي ، وان كنت لم احب لها طرفة عين تلفا ، ولكن ابكي لأهلي المقبلين إلي ، ابكي الحسين وآل الحسين " ^(٩) لان مسلم أدرك ان مصير الإمام (t) وأهل بيته هو نفس المصير الذي لاقاه ، هذا فضلاً عن علمه بأن محمد بن الاشعث سوف يعجز عن أمانه لذلك توجه إليه في سبيل إيصال رسالته إلى الإمام (t) وان يخبره بأنه أسير بيد القوم وهو يرى ان ترجع ولا

(٢) البيهقي ، الشيخ إبراهيم بن محمد (من أعلام القرن الخامس) ، المحاسن والمساوىء ، ط ١ ، مطبعة شريعت ، دار شريف الرضي للنشر ، (قم / ١٤٢٣هـ) ، ٦٠ .

(٣) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٥٣ -- ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢ .

(٤) الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص ٢٣٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٤ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص ٢٣٤ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٥٣ .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٣ .

* أنبهر : انقطاع النفس من السعي الشديد ، ويقال أنبهر وابتهر ، أي بالغ في الشيء ولم يدع شيئاً . ينظر : الصنعاني ، أبو بكر عبدالرزاق (ت ٢١١هـ) ، مصنف عبدالرزاق ، تح حبيب الرحمن الاعظمي ، نشر المجلس العلمي ، (بلات) ، ج ٧ ص ٣٨٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٣ .

يغرك أهل الكوفة فأنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، ان أهل الكوفة قد كذبوني وكذبوك وليس لمكذب رأي فقال ابن الاشعث : والله لافعلن ولاعلمن ابن زياد أني قد أمنتك^(٢) .
 وفعلأ دعا ابن الاشعث إياس بن العتل الطائي وقال له : الق حسيناً فابلغه هذا الكتاب وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل^(٣) . وقال لابن زياد ما كان بينه وبين مسلم بن عقيل من الأمان فقال له ابن زياد : ما أنت والأمان ، كأنا أرسلناك تؤمنه ، إنما أرسلناك لتأتينا به^(٤) ، وبعد هذه الأحداث جيء بمسلم أسيراً تحف به الشرطة وقد شهرت عليه السيوف ، فلما انتهى إلى قصر الإمارة رأى جرة فيها ماء بارد ، وقد أخذ العطش منه مأخذاً أليماً فالتفت إلى من حوله قائلاً : " اسقوني من هذا الماء ، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم"^(٥) .

٣. مسلم واللحظات الأخيرة

دخل مسلم على ابن زياد ، فلم يسلم عليه بالامرة فقال له الحرس : إلا تسلم على الأمير ، فقال له : ان كان يريد قتلي ، فما سلامي عليه ، وان كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه ، فقال ابن زياد : لعمري لتقتلن^(٦) ، عندها أيقن مسلم بأنه مقتول فأراد الوصية إلى الإمام (t) فنظر في مجلس ابن زياد فرأى عمر بن سعد فأحب ان يعهد إليه بوصيته وقال له : " ان بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وقد يجب لي عليك نجاح حاجتي وهو سر "^(٧) ، وربما أن مسلم أراد بهذا العمل ان يفهم ابن زياد بأنه ليس من قریش وأنه لصيق بني أمية ، لكن عمر بن سعد أفشى بهذا السر إلى ابن زياد فقال ابن زياد لمسلم : أنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن^(٨) ! ، والغرض من هذا الانتفاص من قيمة ابن سعد .

وكان ابن سعد قد رفض هذا الاختيار في بداية الأمر استرضاءً لابن زياد ولكن أمره ابن زياد " ان تنظر في حاجة ابن عمك " ، فقام معه فجلس في ناحية حيث ينظر إليه ابن زياد قال له : " إن علي بالكوفة ديناً استندته منذ قدمت الكوفة ، سبعمائة درهم ، فاقضها عني ، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد ، فوارها وابعث إلى حسين من يرده فاني قد كتبت إليه اعلمه ان الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلاً "^(٩) .

نستنتج من هذا الأمور الآتية :

١. أدرك مسلم بأنه مقتول لذلك اعلم عمر بن سعد بأن عليه ديناً يجب عليه ان يقضيه بأن يبيع سيفه ودرعه ليوفيهما عنه .
٢. أدرك مسلم ان ابن زياد سوف يمثل بجثته لذلك أشار عليه ان يستوهب جثته فيوارها .
٣. ان يكتب إلى الإمام (t) يخبره بأمره ، لأنه سبق ان كتب إليه بأن أمر الناس معه .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

وأفشى عمر بن سعد بسرّه إلى ابن زياد وقال له أنه ذكر كذا وكذا وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على مدى ضعف وخوف عمر بن سعد من ابن زياد ، فكانت إجابة ابن زياد له : أما مالك فهو لك ، ولسنا نمنعك ان تصنع فيه ما أحببت وأما حسين فإنه ان لم يردنا لم نرده ، وان أردنا لم نكن عنه ، وأما جثته فانا لن نشفعك فيها ، أنه ليس بأهل منا لذلك ، قد جاهدنا وخالفنا وجهد على هلاكنا^(١) ، وهناك رواية أخرى تقول زعموا انه قال : أما جثته فانا لا نبالي اذ قتلناه ما صنع بها^(٢) . ويبدو لنا ان الرواية الأولى هي الأكثر صواباً بدليل ان ابن زياد قال لمسلم : " قتلني الله ان لم أقتلك قتلة لم يقتلها احد في الإسلام "^(٣) .

ثم ان ابن زياد قال لمسلم : " بماذا أتيت هذا البلد ، شئت أمرهم وفرقت كلمتهم ورميت بعضهم على بعض "^(٤) وهذا الكلام فيه من الخدوش ما يجعل أمره غير مقبول لأسباب منها :

١. أن مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة جاء بناءً على كتبهم ورسائلهم ، هذا فضلاً عن ان عدد المبايعين وصل إلى ثمانية عشر ألف شخصاً^(٥) ، كيف أذن شئت أمرهم ؟!

٢. ان ابن زياد لم يكن والياً على الكوفة فكيف يعرف بأنه فرق بعضهم على بعض ، هذا فضلاً عن أن قسماً من المؤرخين^(٦) يذكرون بأنه عندما قدم الكوفة أقبلت الشيعة إليه ، فلما اجتمعت إليه

جماعة منهم قرأ عليهم كتب الإمام (t) فأخذوا يبكون ولم توجد رواية عند احد المؤرخين تقول بأنه فرق أهل الكوفة .

لذلك أجابه مسلم بكل ثقة وفخر : " لست لذلك أتيت هذا البلد ، ولكنكم أظهرتم المنكر ، ودفنتم المعروف ، وتأمّرت على الناس من غير رضى ، وحملتوهم على غير ما أمركم الله به ، وعملت فيهم بإعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر وندعوهم الى حكم الكتاب والسنة وكذا أهـ " لذلك "^(٧) .

ويمكن ان نستنتج من هذا النص عدة أمور ونستدل بها من رسالة سليمان بن صرد الخزاعي إلى

الإمام (t) الآتية :

١. إظهارهم المنكر ودفعهم المعروف وقد أظهر سليمان بن صرد ذلك في رسالته إلى الإمام (t)

عندما كتب إليه ، أنه ليس علينا إمام ، فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق^(١) .

٢. تأمرهم على الناس من غير رضى ووضح سليمان بن صرد الخزاعي ذلك حينما قال في رسالته

للإمام (t) : الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - أبين عساكر ، ترجمة الإمام (t) ، ص٣٢٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٤ .

(٣) أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٤) أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص٥٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٥ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٥ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ .

(٧) أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص٥٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .

أمرها وغضبها فينها وتآمر عليها بغير رضا منها ، أي أنهما أرادوها كسروية يقتل خيارها واستبقى شرارها^(٢) .

٣. ان ساسة بني أمية لا يعملون بكتاب الله وسنة رسوله الكريم (ﺉ) ولا يأمرؤن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فأخذوا مال الدولة وجعلوه بين جبابرتها وأغنيائها^(٣) ، وهذا ما جعل الرعية يشكون من قلة المال .

فغضب ابن زياد عندما سمع هذه الكلمات من ابن عقيل وقال له : أو لم تكن نعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ، قال : أنا اشرب الخمر والله ان الله يعلم انك غير صادق ، وانك قلت بغير علم ، واني لست كما ذكرت "^(٤) وربما بهذا الكلام أراد ابن زياد تشويه سمعة مسلم او انه أراد استفزازه بهذه الكلمات ، لذلك قال له مسلم : " وان أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً ، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ، ويقتل النفس بغير نفس ، ويسفك الدم الحرام ، ويقتل على الغضب والعدواة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً "^(٥) . وهذا النص يوضح فيه أن مسلم بن عقيل قد وصف ابن زياد وشخصيته في البصرة طوال فترة ولايته قبل مجيئه الى الكوفة وربما كان قصده من هذا كله هو قتله عروة بن ادية التميمي وأبنته وكما وضحنا ذلك في التمهيد .

وبعدها ازداد غضب ابن زياد من كلام مسلم فاقسم على قتله ، قتله لم يقتلها احد في الإسلام^(٦) ، فرد عليه مسلم فقال : " إما انك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما انك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة ، وخبت السيرة ، ولوم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك "^(٧) .

ويبدو ان مسلم قد حدد صفات شخصية ابن زياد من خلال أعماله :

١. يذكر البلاذري^(١) عن عمر بن شبة أنه أتى ابن زياد بابن مكعب فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه لذا فانه أول من أحدث سمل العين في الإسلام .
٢. يذكر البلاذري^(٢) عن المدائني قوله " ما رأينا أحداً شراً من ابن زياد .

فلم يجد ابن زياد مسلماً من إطفاء نار غضبه سوى سب آل بيت النبوة فأخذ بسب حسيناً وعلياً وعقيلاً وأخذ مسلم لا يكلمه^(٣) ، لأنه خرج عن ما أوصى به رسول الله (ﺉ) عن النهي في سب

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٨٢ - الشريف المرتضى ، علي بن الطاهر (ت٤٣٦ هـ) ، امالي المرتضى ، تح السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، ط١ ، دار ومطبعة مكتبة آية الله العظمى المرعشي ، (قم / ١٣٢٥ هـ) ، ج١ ص٢٠٠ .

(٦) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٥٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٧) انساب الاشراف ، ج٤ ف٢ ص٨٢ .

(٨) انساب الاشراف ، ج٤ ف٢ ص٨٢ .

صحابة رسول الله أو أئمة المسلمين^(٤) ، فيقول الدميري^(٥) ان علي بن عبد الله بن عباس قال كنت مع أبي بعد ما كف بصره وهو بمكة فمررنا على قوم من أهل الشام في صفة زمزم ، فسبوا علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) ، فقال لسعيد بن جبير وهو يقوده : أردني إليهم ، فردده فقال : أيكم الساب لله ولرسوله ، فقالوا : سبحان الله ، ما فينا أحد سب الله ورسوله ، فقال : أيكم الساب لعلي ؟ قالوا : أما هذا فقد كان ، فقال ابن عباس : أني اشهد لسمعت رسول الله (ﷺ) يقول : من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله تعالى على منخريه في النار .

ويبدو ان ابن زياد كان سريع الغضب من كلام مسلم وبما ان الغضب مفتاح الشر لذلك أيقن مسلم بأنه مقتول فادخل مسلم القصر ثم دعا رجلاً من أهل الشام ، وقد كان مسلم ضربه على رأسه ضربة منكراً ، فقال له خذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك^(٦) ، فصعد مسلم إلى أعلى القصر وهو في ذلك يسبح لله تعالى ويستغفر وهو يقول : " اللهم أحكم بيننا وبين قريش غرورنا " .

وخذلونا^(٧) ، فلم يزل على ذلك حتى تقدم الشامي فضرب عنقه ، فقتل شبيهه رسول الله (ﷺ)^(٨) ، حينما قال ابو هريرة : ما رأيت في ولد عبدالمطلب أشبه بالنبي (ﷺ) من مسلم بن عقيل^(٩) ، وعلقت جثته في سوق الكناسة* وهي أول جثة علقت^(١٠) ، ويذكر قسم من المؤرخين^(١١) ان مسلم بن عقيل قال لابن زياد : لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتنني ، وبعد قتله قتل هاني لأنه آواه ونصره^(١٢) .

وأن ابرز ما أفرزته سفارة مسلم بن عقيل بالكوفة هي :

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .
 (٤) ابن يونس ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ) ، عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، تح د. نزار رضا ، مكتبة الحياة ، (بيروت / بلات) ، ج١ ص٢٩٣ .
 (٥) كمال الدين (ت ٨٠٨هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، مراجعة عبدالحميد الدوافلي ، مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة / بلات) ، ج١ ص٨٧ .
 (٦) ابن اعثم الكوفي ، مج٣ ج٥ ص٥٨ .
 (٧) ابن اعثم الكوفي ، مج٣ ج٥ ص٥٨ .
 (٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٨ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص٢٣٥ .
 (٩) البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير ، تح مصطفى عبد القادر أحمد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢هـ) ، ج٧ ص١٤٣ .
 * الكناسة : محلة بالكوفة يباع بها الدواب ، وقيل الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ ، لذلك كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيه كناساتهم . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ص١١٣٦ - السمعاني ، الانساب ، ج٥ ص٩٧ - ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ص٣٣٥ .
 (١٠) ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر بن فرغلي (ت ٦٥٤هـ) تذكرة الخواص في خصائص الأئمة ، ط١ ، ترجمة محمد صادق بحر العلوم ، دار العلوم للتحقيق ، (بيروت / ٢٠٠٤) ، ص٣١١ .
 (١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٨ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص٢٣٥ .
 (١٢) المقرئزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) ، النزاع والتخاصم ، تح السيد علي عاشور ، (بلات) ، ص٣٧ .

١. ظاهرة تعليق الجثث في الأسواق منكوسة^(٤)، وهي من ظواهر المثلة وقد نبذها الإسلام للإنسان والحيوان، وقد نهى عنها الرسول محمد (ﷺ) حتى ولو بالكلب العقور^(٥)، وفي تاريخنا كره المثلة حتى بالنسبة إلى العدو^(٦)، فيذكر الشافعي^(٧) أن الإمام علي (ت) قال بع دماض ربه ابـ ملجم: أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره، فأن عشت فانا ولي دمي، أعفو إن شئت وإن شئت استقدمت، وإن مت فقتلتموه فلا تمثلوا، وهذا دليل على كره المثلة، لكن نجد أن الأمويين وأعوانهم كانت سياستهم وفق ما حرم الله هو القاعدة العامة لتثبيت حكمهم، فمثلاً أن معاوية قطع يد ورجل الحجاج بن عبد الله الصريمي^{**}، وأقام بالبصرة فبلغ زياداً أنه قد ولد له، فقال له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله^(٨).
٢. إهمال أهل الكوفة لواجباتهم قبل مجيء الإمام (ت) وهي:

أ. السيطرة على الأوضاع في الكوفة:

كان لأهل الكوفة واجب القيام بالسيطرة على الأوضاع السياسية قبل مجيء الإمام (ت) وذلك باعتقال الوالي الأموي وجميع معاونيه وأركان أدارته وهذا ما عبر عنه عبد الله بن عباس عندما قال للإمام (ت): "فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فأكتب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم"^(١).

ب. السرعة والعزم في الأمور والجد فيه:

(٤) أبين الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم، تح محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت / ٢٠٠٠)، ج ٥ ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٥) أبين هشام الحميري، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، سيرة النبي محمد، تح محمد محي عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، (١٣٨٣هـ)، ج ٣ ص ٦١١ - الشيباني، محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ)، السير الكبير، تح د. صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، (١٩٦٠)، ج ٣ ص ١٠٢٩ - الطبراني، المعجم الكبير، ج ١ ص ١٠٠ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور، ط ١، مطبعة الفتحة، دار المعرفة، (جدة / ١٩٦٥)، ج ٢ ص ٢٧٨ - الجامع الصغير، ط ١، مطبعة ودار الفكر للنشر، (١٤٠١هـ)، ج ٢ ص ٦٩٣.

(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٥ ص ٤٢٨.

(٧) أبو عبد الله محمد بن أدريس (ت ١٥١هـ)، الام، إعداد رياض عبد الله عبد الهادي، ط ١، دار احياء التراث، (لبنان / ٢٠٠٢)، ج ١ ص ٥٥٦.

**الحجاج بن عبد الله: الحجاج بن عبد الله الصريمي من بني سعيد بن زيد مناة السعد من تميم اللات. ينظر: الزركلي، الاعلام، ج ٢ ص ٢٠٠.

(٨) المبرد، الكامل في اللغة، ج ٣ ص ١١٧ - الزركلي، الاعلام، ج ٢ ص ٢٠٠، يذكر أن معاوية قتله.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٨٣.

وبدا هذا واضحاً في رسالة الإمام (ت) الثانية التي أرسلها بيد قيس بن مسهر الصيداوي والتي لم تصل إليهم لأن أعوان وشرطة ابن زياد قد القوا القبض عليه " فإذا أقدم عليكم رسولي فاكمشوا* أمركم وجدوا "(٢) .

ج. دور الفقهاء والقضاة :

لم يكن هناك دورٌ للفقهاء والقضاة في الكوفة بتهينة الأوضاع والظرف المناسب لاستقبال الإمام (ت) ، وبشكل علني خاصة إذا عرفنا ان من فقهاء الكوفة آنذاك النعمان بن بشير الأنصاري ومن هنا نعلم ان اغلب الفقهاء والقراء هم موظفون في الدولة الأموية(٣) .

أولاً. موقف أهل الحجاز من لإمام (ت)

١. موقف الناصحين في مكة

كان الإمام (ت) محبوباً محترماً لدى كل من يعرفه لاسيما أهله(١) ، لذلك عندما أراد المسير نحو الكوفة تخلصاً من سياسة بني أمية ، لم يكن لدى أشرف أهل مكة شيء يقدمونه له سوى النصيح كون الإمام (ت) كان يمثل أكبر قوة دينية آنذاك لأنه بقية آل الرسول والبضعة الطاهرة منه ولا أحد يعدله بالمنزلة والشرف الرفيع وهذه النصائح لا تعدو كونها آراء حول أهل الكوفة وجاءت هذه بسبب السياسة الأموية التي تعمل بطرق مباشرة أو غير مباشرة لتهينة جو الحجاز بعيداً عن الوقائع السياسية - منشغلين باللهو والغناء وشرب الخمر - وطبيعة حكم يزيد كانت مشجعة لذلك(٢) .

فكان أول الناصحين للإمام (ت) عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عندما قال له : " أني آتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك ، ... ، وأنت تأتي بلداً فيه عماله وأمرأوه ومعه بيوت الأموال وإنما الناس عبيد الدنيا والدرهم "(٣) ثم آتاه عبدالله بن عباس فقال له الإمام (ت) : قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى فقال له ابن عباس : " فأني أعيزك بالله من ذلك ، خبرني رحمك الله ، أفتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونقوا عدوهم ، فإن كانوا فعلوا ذلك

*أكمشوا : مفردهما الكمش في الأمر هو العزم عليه أو الاشرع . ينظر : أبن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ص٧٢٩ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٥ .

(٢) حسين عطوان ، الرواية التاريخية في العصر الأموي ، ط١ ، دار الجيل للنشر ، (١٩٨٦) ، ص٧٣ .

(٣) محمد رضا ، الحسن والحسين سبطا رسول الله (ﷺ) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ص٨٦ .

(٢) العزاوي ، منيرة عبد حسن ، الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٤) ، ص١٠٠ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٧ .

فسر إليهم ، وأن كانوا ، إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ^(٤) ثم آتاه عبدالله بن الزبير فحدثه ساعة ثم قال : " ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم ، فقال الحسين ، والله لقد حدثت باتيان الكوفة ، ولقد كتبت إلي شيعتي بها وأشرف الناس ، ... ، فقال له عبدالله : أما لو كان بها مثل شيعتك لما عدلت عنها " ^(٥) .

ثم آتاه عبدالله بن عباس مرة أخرى وقال له : " يا ابن عم أنصبر ولا أصبر ، أني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، أن أهل العراق قوم غدر فلا تقرنهم ، أقم في هذا البلد فأنتك سيد أهل الحجاز ، ... ، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعباً " ^(٦) .

والذي يبدو أن عبدالله بن عباس كان حريصاً على بقاء الإمام (ت) في مكة ، لأنه يدرك أن عبد الله بن الزبير يخبيء في نفسه نوايا ضد بني هاشم ، وقد وضحاها عبدالله بن الزبير بعد خروج الإمام (ت) من مكة عندما قال لأبن عباس : أنكم ترون أنفسكم أحق بهذا الأمر من سائر الناس ، فقال : إنما يرى من كان في شك ونحن فعلى يقين ^(٧) .

لذلك قال ابن عباس لعبدالله بن الزبير بعد ما أيقن بأن الإمام (ت) سائر إلى الكوفة ولم يبق في مكة ^(٨) :

يا لك من قبرة بمعمر

خلا لك الجو فيبضي وأصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

ولكن هل ظن الإمام بأهل العراق خيراً ؟ مثلما قال الخضري ^(٩) لذلك ذهب إليهم ! .

أن أهل مكة لم يقدموا للإمام (ت) بعدما عرفوا برفضه البيعة ليزيد ما ثبت أن موقفهم كان معه ، وحتى الإمام (ت) كان يعرفهم ويعرف انخذاً لهم ويدرك أنهم لم يقدموا شيئاً من الشجاعة في حروبهم مع الإمام علي (ت) في فترة خلافته عندما جاء إليهم رجل السوء ^(١٠) بسر بن أبي أرطاة* في مكة

^(٤) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ج ١ ص ٢٣٥ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ص ٣٢٨ .

^(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .

^(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .

^(٧) مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ، أخبار الدولة العباسية ، تح د. عبدالعزيز الدوري وآخرون ، مطبعة دار صادر ، (بيروت / بلات) ، ص ١٠٨ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ .

^(٨) النيسابوري ، مجمع الأمثال ، ج ١ ص ٢٤٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٩ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ص ١٣٤ - الأسترباذي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج ٢ ص ١٥٥ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ - السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٢ .

^(٩) الشيخ محمد ، الدولة الأموية ، ط ٢ ، دار المعرفة ، (بيروت / بلات) ، ص ١٢٩ .

^(١٠) الجرجاني ، عبدالله بن عدي (ت ٣٦٥ هـ) ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تح د. سهيل زكار ، ط ٣ ، دار الفكر ، (بيروت / ١٤٠٩) ، ج ٥ ص ٥ - الغطفاني ، يحيى بن معين بن عون (ت ٢٣٣ هـ) ، تاريخ ابن معين ، تح عبدالله أحمد حسن ، دار القلم ، (بلات) ، ج ٢ ص ٣٤٥ .

*بسر بن أرطاة : عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سبار بن نزار بن معيص بن عامر بن لوي القرشي ، توفي النبي محمد (ﷺ) وهو صغير ولم يرو عنه أحد من المدنيين أنه سمع من النبي شيئاً . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٣٩ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٤٥٣ .

ودخلها من دون قتال يذكر^(٥) ، وقتل فيها كل رجل يقال له أنه أعان على قتل عثمان ومن أتباع الإمام علي (ت)^(٦) .

لكن لماذا رفض الإمام (ت) الذهاب إلى اليمن وفيها شيعة أبيه ؟

الذي يبدو لنا أن الإمام (ت) كان له واجب شرعي هو الذهاب إلى الكوفة بسبب الرسائل التي جاءت إليه من دون الأمصار الإسلامية الأخرى ، وقد حددها الإمام (ت) حينما قال أنه بيننا وبينهم موعد^(٧) ، هذا فضلاً عن أن شيعة أهل اليمن لم يقدموا من شجاعة تذكر في عهد خلافة الإمام علي (ت) عندما قدم إليهم بسر بن أبي أرطاة بل دخلها بعد أن قتل جماعة كثيرة من شيعة الإمام علي (ت)^(٨) ، إضافة إلى أن والي اليمن بحير بن ريسان الحميري كان قد عينه يزيد على مال معلوم يؤديه كل عام ، وتسعين رأساً ما بين وصيف ووصيفة^(٩) ، وما إرساله القافلة المحملة بالمنتجات إلى يزيد إلا دليل على ذلك .

٢. أسباب اختيار الإمام (ت) للكوفة

بالرغم من وجود عدد من الناصحين للإمام (ت) قبل خروجه من المدينة إلى مكة ، وفي إنشاء تواجده في مكة وخلال مسيرته إلى الكوفة بعدم التوجه إلى العراق ، إلا أنه أصر بالتقدم نحو الكوفة لأمر هو أعلم به من غيره ، مع وجود بعض الأسباب المهمة الأخرى لاختيارها :

١. إدراك الإمام علي (ت) بأن الحجاز ليست الأرض الملائمة للخلافة بسبب افتقارها اقتصادياً ، وانطلاقاً من هذا اختار الإمام (ت) مدينة الكوفة لتكون قاعدته الثورية ، لما تمتاز به من ماء وهواء ونخيل وعيون^(١٠) ، فقد وصفها سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب بأنها " بين الحيرة والفرات برياً بحرياً ينبت الحلى والنص* "^(١١) ، هذا فضلاً عن معرفة الإمام (ت) بها من خلال تواجده مع أبيه خلال فترة خلافته .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص١٣٩ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٥٤٠ .

(٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٨٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٠٦ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤٤ ص٣٦٩ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٣٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص١٣٩ .

(٩) الأسعد ، حسام الدين أحمد محمود ، اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ١٩٩٥) ، ص٧٨ .

(١٠) ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ) ، صور الأرض ، مكتبة الحياة للنشر ، (بيروت / بلات) ، ص٢١٥ .

* النص : نبت سبط ناعم ابيض من افضل نبات المرعى . ينظر : هامش الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٤٣ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٤٣ .

٢. وجود أنصار الإمام (ت) من الشيعة فيها وهذا ما عبر به الإمام في جوابه لعبدالله بن الزبير حين قال " وقد كتبت إلي شيعتي بها وأشرف أهلها " (٤).

٣. مضايقة الأمويين للإمام (ت) في مكة ، وما قوله إلى أبي هرة الأزدي إلا دليل على ذلك " أن بني أمية قد أخذوا مالي فصبرت ، وشتتموا عرضي فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت " (٥) ، إضافة إلى مبادرة الإمام (ت) بالوصول إلى الكوفة قبل أن يتفرق شمل المبائعين وتبرد همهم من طول الانتظار (٦) ، بعد أن علم من مسلم أن عدد المبائعين له بلغ ثمانية عشر ألفاً (٧)

٤. إن العراق أكثر الأقاليم ثروة في صدر الإسلام بدليل إن الجباية المتأتية منه كانت من أكثر الجبايات ثم ان تراث العراق الحضاري القديم كونه مركزاً لإمبراطوريات قديمة لها نظمها الإدارية والسياسية جعل العراق يتمتع بمركز متميز في الدولة الإسلامية (٨).

٥. أن أهل الكوفة معروفون بعدائهم للأمويين ، وظلوا يقاتلون الإمام (ت) منذ صلح الإمام الحسن (ت) مع معاوية إلى وفاته وكان يدعوهم إلى الصبر (٩) ، لذا فإن أهل الكوفة هم الذين عبروا عن موقفهم تجاه الإمام (ت) دون غيرهم من الأمصار الأخرى ، إضافة إلى أن عدد الأشخاص الذين خرجوا مع الإمام (ت) من مكة إلى الكوفة بلغ عددهم ستين شيخاً (١٠) ، في حين لم يذكر مثل هذا العدد أو نصفه أو ثلثه من أي مصر من الأمصار العربية الإسلامية الأخرى .

قد يتبادر سؤال هو هل أخطأ الإمام (ت) بخروجه على يزيد بن معاوية بالرغم من وجود عدد من الناصحين له في مكة .

أختلف المؤرخون في ذلك فيرى قسم (٤) من المؤرخين والكتاب المحدثين أنه قد أخطأ عند خروجه ومسيره من مكة إلى الكوفة ، ولم يأخذ بأراء الناصحين له . لكن ابن طباطبا (٥) يقول أن الإمام (ت) صمم على الوصول إلى الكوفة لأمر هو أعلم به من الناس ، بينما يرى ابن خلدون (٦) أن الصحابة والتابعين لهم رأوا أن الخروج على يزيد ، أن كان فاسقاً لا يجوز ، ثم يكمل حديثه ويقول لم يوجد أحد من الإمام (ت) في عدالته وإمامته ، في حين يقول د. طه حسين (٧) لم يكن الإمام مخطئاً فيما يقو ،

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .
(٥) ابن طاووس ، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤هـ) ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ط ٢ ، مطبعة مصر ، دار انوار الهدى للنشر ، (إيران / ١٤٢٣هـ) ، ص ٤٣ - الطريحي ، الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن محمد (ت ١٠٨٥هـ) ، المنتخب ، ط ٣ ، مطبعة شريعت ، دار الشريف الرضي ، (إيران / ١٤٢٢هـ) ، ج ٢ ص ٣٨١ .
(٦) بارا ، انطوان ، الحسين في الفكر المسيحي ، ط ١ ، مطبعة سرور ، مؤسسة نور الكوثر ، (إيران / ٢٠٠٤م) ، ص ٢٤٠ .

(٧) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٩٩ .
(٨) فاروق عمر فوزي ، تاريخ العراق في عصور الخلافة الإسلامية ، ط ١ ، مطبعة النهضة ، دار العربية للطباعة ، (بغداد / ١٩٨٨) ، ص ٢٤ .

(٩) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٢٢ .
(١٠) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ١٤ ص ٢٠٧ .
(١١) المالكي ، العواصم من القواصم ، ص ٢٣٧ - إحسان الهي ظهير ، الشيعة والتشيع ، ط ١ ، إدارة ترجمان للنشر ، (باكستان / ١٩٨٤) ، ص ١٧٨-١٨٠ - الجبري ، عبدالعال ، حوار مع الشيعة ، ط ١ ، دار الصحو للنشر ، (١٩٨٥م) ، ص ٢٤٧ .

(١٢) الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٠٧ .
(١٣) عبدالرحمن (ت ٨٠٠هـ) ، تاريخ ابن خلدون ، ط ٢ ، مكتبة المدرسة ، دار الكتب اللبنانية ، (١٩٦١م) ، ج ١ ص ٢٨٤-٢٨١ .
(١٤) الفتنة الكبرى علي وبنوه ، دار المعارف ، (مصر / ١٩٥٣م) ، ص ٥٥ .

فهو قد عرف ما كان من غضب يزيد على ابن الزبير حيث امتنع عن البيعة ، وأقسم ألا يرضى حتى يحمل إليه ابن الزبير في الجامعة* .

في تقديرنا ان الرأي الثاني هو الأكثر صواباً للأسباب الآتية :

١. مضايقة أعوان يزيد للإمام (t) في مكة وإرغامه على الخروج ، وهذا ما عبر به عبدالله بن عباس رداً على رسالة يزيد فقال : " وما أنس من الأشياء ، فلست بناسٍ اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله (t) إلى حرم الله ، ودسك إليه الرجال تغتاله فاشخصته من حرم الله إلى الكوفة " (١) ، وما يعزز هذا القول أن الإمام (t) خرج ولم يتمكن من أتمام الحجة وجعلها عملاً مخافة أن يقبض عليه (٢) .

٢. كان هدف يزيد الرئيس لما تولى الأمر هو التخلص من الإمام (t) لأنه الخصم الوحيد الذي يخافه على ملكه والذي يمثل المقاومة والوعي في العالم الإسلامي (٣) ، وما قاله الإمام (t) لعبدالله بن عباس حينما أشار عليه الأخير بالإقامة في المسجد الإلهي على ذلك " لو كنت في حجر هامة من الهوام لاستخرجوني حتى يفضوا في حاجتهم " (٤) إضافة إلى أن يزيد أمر الوليد بن عتبة بأن أول من يبايعه هو الحسين (٥) .

٣. رغبة الإمام (t) بالخروج من مكة وهذه الرغبة ربما جاءت بسبب الأمور الآتية :

أ. استغلال مكة من بعض الأشخاص لهيبتها ، وقد عبر الإمام (t) عن ذلك بعد أن قدم له ابن الزبير نصيحته بالخروج من مكة نحو العراق ، وقد أدرك الإمام (t) تلك النية عند ابن الزبير لذلك قال " فؤد أني خرجت منها لتخلو له " (٦) .
ب. عدم وجود حرمة وقديسية عند الأمويين لمكة ، لأنه رأى حملة عمرو بن الزبير الأموية على عبدالله بن الزبير بمكة (٧) .

ج. خروج الإمام (t) ليس طالباً للحكم والرئاسة في نهضته حتى يكون خاسراً لعدم وصوله

إليه ، وإنما كان يريد يقظة الأمة وتحركها ضد الظالمين (٨) .

د. ما قاله الإمام (t) لعبدالله ابن الزبير " أن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها فما أحب

*الجامعة : الغل لأنها تجمع اليد إلى العنق . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٣ .

(١) ابن نما الحلبي ، مثير الأحزان ، ص ٣٨ .

(٢) الأصفى ، محمد مهدي ، تأملات في زيارة وارث الأنبياء ، ط ١ ، مطبعة تمونة ، مركز دراسات النهضة الحسينية ، (قم / ١٤١٢هـ) ، ص ١٦١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٢٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .

*سيوضح الدارس في فص ٣ ص ١٢٠-١٢١ أحداث هذه الحملة .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٨ .

(٧) الشيرازي ، محمد الموسوي ، ليالي بيشاور ، تح السيد حسن الموسوي ، ط ٣ ، دار العلوم للطباعة ، (بيروت / ٢٠٠٤) ، ص ٥٩١ .

أن أكون أنا ذلك الكبش" ^(٨) ، أي فضل أن يقتل بمكان آخر لقدسيتها مكة عند الإمام (ت).

هـ . رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام (ت) تخبره أن معه جمع من أهل الكوفة ، فأقبل حين تقرأ كتابي ^(٩) ، وهذا يعني بأن أهل الكوفة قد وثقوا دعوتهم بكتاب ابن عمه ، فقد صار عليه لزاماً أن يسارع إلى تلك الجهة ^(١٠) .

٤ . طبيعة مكة الجغرافية من أرضها وأنها بواد غير ذي زرع ومياهاها القليلة كونهم يعتمدون على ما ينزل من السماء ولا يوجد ماء جار مع قلة وجود الآبار ^(١) ، هذا فضلاً عن طبيعة حياتهم الاجتماعية قد أخذت طابع الترف واللهو ^(٢) ، لذلك يقول ابن مغنية ^(٣) : " أن الذين يقولون بأن الإمام (ت) أخطأ في خروجه فأنهم يخطئون الفهم ولا ينظرون إلى أبعد من أنوفهم لذلك نقول أن خروجه كان لأمر هو أعرف به من غيره .

قد يتساءل البعض لماذا لم يخرج الإمام (ت) في عهد الخليفة معاوية ؟

أكبر الظن ان الإمام (ت) لو ثار في عهد الخليفة معاوية لما استطاع ان يسبغ على ثورته هذا الوهج الساطع الذي خلدها في ضمائر الناس وقلوبهم ^(٤) ، لذا فهناك من الأمور التي حددت الإمام (ت) بعدم القيام بها في عهد معاوية ومن أبرز هذه الأمور :

١ . العناية الإلهية

السفر في عدم قيام الإمام (ت) في ثورته في عهد الخليفة معاوية يكمن في كلمة البيعة التي وصفها (ت) بأنه كان كارهاً لها ^(٥) ، وكان من نبل أخلاقه أن رضخ لتصرف أخيه الإمام الحسن (ت) الذي قطع العهد مع معاوية ثم يطلب من شيعته بأن يكون كل امرئ منهم حلساً من احلاس بيته ما دام ابن هند حياً ^(٦) ، فإن يهلك وهم أحياء يرجو أن يخير الله لهم ويأتهم رشدهم ولا يكلمهم إلى أنفسهم ثم يقول لهم " فإن يهلك وأنتم أحياء رجونا أن يخير الله لنا " ^(٧) ويتجلى أكثر بربطه بالجملة التي تليها " ويؤتينا رشداً " ^(٨) مما يستدل معها على أن الله تعالى هو الذي سيمده بالأمر ويؤتية رشده كي يصبح قادراً على الحركة والقيادة .

^(٨) ابو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٤ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨ ص ٥٣٢ .

^(١٠) خالد مجذ ، أبناء الرسول في كربلاء ، ص ٧٤ .

^(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٨٧ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٥ .

^(٢) منيرة العزاوي ، الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، ص ١٠٠ .

^(٣) محمد جواد مغنية ، المجالس الحسينية ، ط ١ ، مطبعة الهادي ، مؤسسة السفار الثقافية ، (٢٠٠٣ م) ، ص ٢٢ .

^(٤) شمس الدين ، محمد مهدي ، ثورة الإمام الحسين (ت) ، ص ١٥٣ .

^(٥) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٤ .

^(٦) ابن قتيبة ، الأخبار الطوال ، ص ٢٢١ .

^(٧) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٣ ص ١٥٠ .

^(٨) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٣ ص ١٥٠ .

٢. الوضع النفسي والاجتماعي

كانت حروب الجمل وصفين والنهروان ، قد ولدت عند أصحاب الإمام (t) حنيناً الى السلم والموادعة^(٩) ، وقد أدرك الإمام الحسن (t) ذلك عندما سئل عن أسباب صلحه مع معاوية قال : " ما حملك على ما فعلت ، فقال : كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحد أبداً إلا غلب " (١٠) ، ولم يكن الإمام (t) أقل إدراكاً لواقع مجتمع العراق من أخيه الحسن (t) فقد رأى من هذا المجتمع وتخاذله مثل ما رأى أخوه وجوابه إلى أهل الكوفة عندما راسلوه يوضح ذلك : " أن الإمام يطلب من شيعته أن يكون لكل أمرىء منهم جلس من أحلاس بيته ما دام أبن هند حياً " (١١) ، لأنه يعد هذا نقضاً لشروط صلح الإمام الحسن (t) مع معاوية ، فضلاً عن أن الإمام (t) أراد تعبئة نفوس أهل الكوفة خاصة والمسلمين عامة على مخازي بني أمية ، وبذلك يكسب مزيداً من الوقت لنجاح هذه التعبئة النفسية ، حتى إذا ما قام بحركته التي هي في جوهرها حرب نفسية وروحية ، أكثر منها حرباً عسكرية ، وبذلك يكون قد أوجد له أرضاً ممهدة .

٣. العهد والميثاق

أن قيام الإمام (t) بثورته في عهد معاوية قد يكون مبرراً لمعاوية كي يصوره بصورة المستغل الناقض لعهد وميثاقه والإمام لا يسعى إلى هذه الصورة وأن كانت من باب التجني الواضح عليه لأنه في جوهره بعيد عن الاستغلال ونقض العهود ، هذا فضلاً أنه عندما مات الإمام الحسن (t) أستدعى أهل الكوفة الإمام في خلع معاوية فقال : " أن بيني وبين معاوية عهداً لا يجوز نقضه " (١٢) .

٤. شخصية معاوية

أقرب الظن أن الأسلوب الذي يتبعه الخليفة معاوية في القضاء على ثورة الإمام (t) بأنه كان سيتخلص منه بالسهم قبل أن يتمكن الإمام (t) من القيام بثورته ، وهي طريقته المثالية للتخلص من منائيه بأقل ما يمكن من الضجيج مثلما فعل مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد^(٣) والإمام الحسن (t) وسعد بن أبي وقاص^(٤) وغيرهم ، ثم أن الإمام (t) كان يدرك بالرغم من مواقفه الشجاعة ضده أن ثورته لو قامت في عهده لوجد لها معاوية طريقة خاصة للقضاء عليها .

(٩) العاملي ، علي أحمد السيد ، صفحات من تاريخ كربلاء ، ط ١ ، دار البلاغ للطبع ، (بيروت / ١٤٢٠هـ) ، ص ١٢١ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٤٠٧ .

(١١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٤ - الأميني ، السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ط ٥ ، دار التعارف للطبع ، (بيروت / ١٩٩٨) ، ج ٢ ص ٤٠١ .

(١٢) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج ٤ ص ٨٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٢٢٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٣ .

(٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٨٠ .

ثانياً . مرحلة الإمام (t) إلى الكوفة

١ . موقف بني أمية

خرج الإمام (t) من مكة يوم الثلاثاء يوم التروية* لثمان مضين من الحجة^(١) ، وخرج معه أهل بيته وستون شيخاً من أهل الكوفة^(٢) ، وكان قد خطب في المسلمين لمناسبة خروجه من مكة فقال : " ... ، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولعني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وصير لي مصرع أنا لاقيه " ^(٣) ، وهي دعوة غريبة من نوعها في تاريخ الثائرين ، فلا يمنيهم الإمام (t) بملك ولا سلطان ، وإنما يدعوهم إلى القتل^(٤) .

عندما خرج الإمام (t) من مكة اعترضه رُسُل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد** فقالوا له : أين تذهب فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان ، فاضطربوا بالسياط ، ثم أن الإمام (t) وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوياً^(٥) ، ومضى الإمام (t) على وجهه فناده : يا حسين إلا تتقي الله ، تخرج من الجماعة ، وتفرق بين هذه الأمة^(٦) ، فقال لهم الإمام (t) : " ((لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيءُونَ مِنَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)) " ^(٧) .

*التروية : هو يوم قبل يوم عرفة ، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة ، سمي بذلك لأنهم كانوا يتروون من الماء ، ولم يكن يعرفه ماء ، وأول من بنى بها حياضاً وسقى الناس عبدالله بن عامر بن كريز . ينظر : الحربي ، غريب الحديث ، ج٢ ص ٧٧٩ - الفاكهي ، محمد بن اسحاق (ت ٢٧٥هـ) ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تح عبدالمكع عبدالله ، ط ٢ ، دار خضر للنشر ، (بيروت / ١٤١٤هـ) ، ج٣ ص ١٨٩ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ص ١٣١٦ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ص ٢٨٠ - الرازي ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٢١هـ) ، مختار الصحاح ، تح أحمد شمس الدين ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ج٢ ص ١١١ - البري ، محمد بن بكر الأنصاري ، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ، تح د. محمد التونجي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ص ٣٤ .

^(١) ابو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٦١ - ابن أثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٦٩ .
^(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٤ ص ٢٠٧ - ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ) ، ترجمة الإمام الحسين (t) من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح محمد الطباطبائي ، ط ١ ، مطبعة تكارشي ، (قم / ١٤٢٣هـ) ، ص ١٢٠ .

^(٣) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) ، المسائل العكرية ، ط ٢ ، دار المفيد للنشر ، (١٤١٤هـ) ، ص ٧١ - الحلواني ، الحسين بن محمد (ت القرن الخامس) ، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، ط ١ ، مدرسة الإمام المهدي (عج) ، (قم / ١٤٠٨هـ) ، ص ٨٦ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ، ج ٢ ص ٨ - ابن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص ٢٩ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٤ ص ٣٦٦ .
^(٤) الأصفى ، في رحاب عاشوراء ، ص ١٥١ .

**يحيى بن سعيد : يحيى بن سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية ، أمه العالية بنت سلمى بنت يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك بن سعد ، قليل الحديث . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٢٣٥ - الزبير ، نسب قريش ، ج ٥ ص ١٧٩ - ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٨١ .

^(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٥ .

^(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٥ .

^(٧) سورة يونس ، آية ٤١ .

فأبى عليهم ومضى الإمام (ت) ^(١) فوصل إلى التنعيم* ، ولكن هل ضرب الإمام (ت) آراء الناصحين له عرض الحائط ؟ ثم سار بنفسه إلى التهلكة بسيره نحو الكوفة وهو يعرف غدرهم ويعرف بنوايا بني أمية ^(٢) !!!

أن الإمام (ت) عندما ذهب إلى العراق ولم يأخذ بآراء الناصحين له ، لأنه ذهب من أجل هدف قد وضحه عندما لحق عبدالله بن جعفر* ويحيى بن سعيد به فقال لهما : " أني رأيت رؤيا فيها رسول الله (ﷺ) وأمرت فيها بأمر أنا ماض له ، علي كان أولى ، فقالا له : فما تلك الرؤيا ؟ قال : ما حدثت أحداً بها ، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي " ^(٣) ، هذا فضلاً عن أن هدف الإمام (ت) في خروجه ليس ضد يزيد بن معاوية مثلما يتصور البعض** فقد قال الإمام (ت) : " إنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي " ^(٤) ، وهل أن من يريد طلب الإصلاح يؤدي بنفسه إلى التهلكة ؟!

أما مسألة أن الإمام (ت) يعرف بنوايا بني أمية ولم يعد إلى مكة بالرغم من توسط عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد والي مكة وكتابه إليه على لسان عبدالله وختمه عمرو وأرسله بيد أخيه يحيى بن سعيد وفيه يدعو " إلى الطاعة وعدم مفارقة الجماعة ويدعوه إلى الأمان والصلة والبر وحسن الجوار ، أني أعيدك بالله من الشقاق ، فأني أخاف عليك فيه هلاك ، ... ، فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار لك " ^(٥) ، فبعد أن قرأ الإمام (ت) الرسالة أعذر منهم وكتب إلى عمرو بن سعيد " أما بعد ، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال أنني من المسلمين ، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة ، فخير الأمان أمان الله ، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا ، ... ، فإن كنت نويت بالكتاب صلتى وبري ، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام " ^(٦) .

ونستنتج من هذا النص عدة أمور منها :

١. أن الإمام (ت) لم يشاقق الجماعة ، وأن دعوته لله ولرسوله (ﷺ) وهذا هو هدف الإمام (ت) المباشر في ثورته حينما قال : " أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً وظالماً " ^(٧) .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٩ .

* التنعيم : موضع بين مكة وشرف ، على فرسخين من مكة وقيل أربعة . ينظر : الحموي ، مع البلدان ، ج٢ ص٤٩ .

(٢) شلبي ، أحمد ، الدولة الأموية ، مطابع سجل العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، (بلات) ، ص٨ .

** عبدالله بن جعفر : عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ويكنى أبا جعفر ، لم يخرج مع الإمام (ت) في ثورته . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٤٧٣ .

(٤) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٦٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٨ - ابن عساكر ،

ترجمة الإمام الحسين (ت) ، ص٢٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٤١ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤ ص٣٦٦ .

*** تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية ، ص٨١ .

(٥) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٢١ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٧٠ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٨ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٨-٣٨٩ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (ت) ، ص٢٩٦ - ابن

كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٣٦ .

(٨) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٢١ .

٢. أن الإمام يخاف الله في الدنيا فكيف أذن يكون عمله فيها وهو يعلم أن الله من ورانه حسيب ، لذلك قال : " لن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا " (١) .

٣. من الدلائل على عدم صدق نيتهم في عودة الإمام (ت) إلى مكة ما كتب به إليهم الإمام (ت)

: " فأنا كنت نويت بالكتاب صلتني وبري ، فجزيت خيراً " (٢) ، ولهذا نقول ان الإمام (ت) كان يعرف نواياهم واتجاهاتهم وأفكارهم ودليل ذلك ما ذكره الزمخشري (٤) أن عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق سمع صراخ نساء بني هاشم حين بلغ أهل المدينة قتل الحسين (ت) فقال ذلك ، هذا بيوم عثمان ثم تمثل :

عجت نساء بني زياد عجةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

٢. الحملة الإعلامية في ثورة الإمام (ت)

يمكن ملاحظة الحملة الإعلامية في ثورة الإمام (ت) في أثناء حركته من المدينة إلى مكة ومنها إلى الكوفة من خلال بعض المواقف السياسية والعسكرية للإمام (ت) ، ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

أ. الحملة الإعلامية للإمام (ت)

بعد خروج الإمام (ت) من مكة مر بموضع التنعيم ، فلقى بها عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وعلى العير الورس* والحل فأخذها الإمام (ت) (٥) ، وقال لأصحاب الابل : لا أكرهكم ، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسننا صحبته ، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض ، وفارقه قسم منهم فأوفى حقهم ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه (٦) . والذي يبدو ان الإمام (ت) كان غرضه هو أن يعلم سَمَ وَالسَمَ يَمَنِ بخروجه من مكة ضد يزيد ، هذا فضلاً عن ما سوف تقوم به افراد القبائل العربية بتناقل اخباره فيما بينهم وبهذا ينتشر خبر الثورة .

(٢) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٧٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٨ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٥٣٦ .

(٤) الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، ج ٢ ص ٤١٥-٤١٦ .

* الورس : نبت أصغر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه . ينظر : الديوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٤٥ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ص ٢٧٣ .

(٥) أبو مخنف ، مقتل الإمام الحسين (ت) ، ص ٦٨ - النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢ ص ٤٠٩ - الشيخ البحراني ، عبدالله (ت ١١٣٠هـ) ، العوالم ، الإمام الحسين (ت) ، ط ١ ، مطبعة أمير ، (قم / ١٤٠٧هـ) ، ص ٢١٧ - الأسعد ، حسام الدين أحمد ، اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ص ٧٨ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٦ .

ثم يخطب الإمام (t) في منطقة البيضة* خطبة أخرى بعد أن وقف اصحاب الحر بن يزيد الرياحي أمامه وقال : " أيها الناس أن رسول الله (ﷺ) قال ، من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله " (١) ، والذي يبدو بأنه قد حدد إعلامياً عدم الاعتراف بشرعية الخلافة الأموية كونها غير مقرونة بطاعة الرحمن وملتزمة بطاعة الشيطان واستغلالهم (٢) .

ب. الحملة الإعلامية لأهل بيته (t) بعد مقتله

والسؤال الذي يطرح نفسه هل أخطأ الإمام بإخراج أهله ونسائه معه حين سار إلى الكوفة أم أصاب؟! بالرغم أن ابن عباس قد نصحه بعدم أخذ عياله معه " فأنت كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فوالله أني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه " (٣) وللجواب عن هذا السؤال وجهان ، الوجه الأول لو فرضنا أن الإمام (t) لم يخرج أهله ونسائه معه فما الذي كان سيجنيه من بقائهم في مكة ؟ واغلب الظن أنه سيحتمل رأيين :

١. الحفاظ على حياتهم من القتل .
 ٢. اعتقالهم واستخدامهم كوسيلة ضغط على الإمام وربما يؤدي ذلك إلى قتلهم .
- أما بالنسبة إلى الرأي الأول فاغلب الظن أنهم لم يكن يعيرونه أي أهمية لأن الحياة لا تمثل لهم غاية " القتل لنا عادة " (٤) وهي مجازفة تحتمل الكثير من المخاطرة لما عرف عن يزيد وأعوانه من البطش والفتك ووجودهم معه خير من أبعادهم عنه ولأن يكونوا كثرة خير من أن يكونوا أفراداً متفرقين يسهل قتلهم الواحد تلو الآخر والرأي الثاني فلا يسلم إن يؤدي اعتقالهم إلى فقدان ثورة الإمام (t) الجوهر الذي خرج من اجله وهو الإصلاح ولا يسلم أيضاً إن يؤدي إلى قتله وقتلهم معه أيضاً .

والوجه الثاني ما الذي أفاده الإمام من خروج أهله ونسائه معه ؟ يمكن ملاحظة هذا بالآتي :

١. الجانب الإعلامي : إذ لولا أهله ونساؤه لما ظهرت ثورة الإمام (t) بهذا الشكل الذي ظهرت به من بروز ثورته ضد الظلم والطغيان ويبدو هذا واضحاً من خلال خطبهم في الكوفة او الشام ، هذا فضلاً عن ان وجودهم معه بيّن بأن خروجه كان بناءً على رسائلهم إليه فلو أن الإمام

*البيضة : ماء بين واقصة إلى العذيب متصلة بالحزن لبني يربوع . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٣٢ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٣ - النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٤١٩ .

(٢) الشيرازي ، ليالي بيشاور ، ص ٥٩١ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٦٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٤ .

(٤) ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ص ٩٥ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٤٥ ص ١١٨ .

(t) قتل وأهله ليسوا معه لقليل بأنه جاء طالباً للحرب وخارجاً عن ولي الأمر ولصوروه بأنه رجلٌ خارجي لا يهتمه سوى الحكم وبذلك تفقد ثورته الغرض الذي رسمه لها الإمام لأنه لا يخفى عليه أنه كان يعرف مصيره الذي خط له " خط الموت على ولد آدم مخط القلادة " (١).

٢. الجانب السياسي : ويتمثل هذا بإظهار مكانة آل البيت (i) وبأنهم بيت النبوة ومختلف الملائكة ومعدن الرسالة وبأنهم ولادة الأمر والأحق به من أبناء الطلقاء* وبيان موقف أهل الكوفة المتخاذل وتشحيذ الهمم ضد يزيد .

٣. الجانب الأخلاقي : ويتمثل هذا بقيم الأخلاق والآباء التي أظهرها الإمام (t) وأهل بيته مع إظهار جانب التحدي سواء في مجلس ابن زياد أو مجلس يزيد في حين عجزت كبار الشخصيات حتى عن إبداء الرأي فما بالك بمخالفته خوفاً من بطش يزيد وأعوانه .

والذي يتبين لنا بعد كل هذا أن مبرر الإمام (t) وفكرته في خروج أهل بيته معه كان اقرب إلى

الصواب منه إلى الخطأ بل هو الصواب بعينه ، وصدق ابن طباطبا (٢) حينما قال أن الإمام (t) " سار إلى أمر هو أعلم به من غيره " .

٣. الناصحون للإمام (t) بين مكة والكوفة

خلال سير الإمام (t) كان يسأل الناس عن أحوال الكوفة ، فعندما وصل الإمام (t) إلى منطقة ذات عرق** لقيه بشر بن غالب*** قادماً من العراق فسأل عن أحوال أهل العراق (٣) فقال : " يا ابن رسول الله خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية " (٤) ثم يستمر الإمام (t) بالمسير نحو الكوفة إلى أن وصل منطقة الصفاح* وفيها يلتقي الشاعر الفرزدق** ، فسأله الإمام (t) عن أحوال الناس

(١) الشيخ المفيد ، المسائل العكبرية ، ص ٧١ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ، ج ٢ ص ٨ .
*الطلاق : الذين أدخلوا في الإسلام كرهاً ، وهم الذين خلئ عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يستر منهم من أمثال أبي سفيان بن حرب والحكم بن العاص ، وأبنة مروان الحكم ، فقد أسلم يوم فتح مكة ولم يدخل مدينة الرسول إلا في عهد خلافة عثمان (رضي الله عنه) . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٣٦ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٦٣٠ .

(٢) الفخري في الأداب السلطانية ، ص ١٠٧ .
**ذات عرق : هو الحد الفاصل بين نجد وتهامة وقيل هو جبل بمكة وكان على مسيرة يومين شمال شرقي مكة . ينظر : ابن الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٦٩ - السمعاني ، الأنساب ، ج ٤ ص ٣٩ .

***بشر بن غالب : بشر بن غالب أحد أصحاب الإمام علي (t) . ينظر : البرقي ، رجال البرقي ، ج ١ ص ٨ .
(٣) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٦٩ .

(٤) الأربلي ، علي بن عيسى (ت ٦٩٣هـ) ، كشف الغمة ، تح هاشم رسولي المحلاتي ، مكتبة بني هاشم ، (إيران / ١٣٨١هـ) ، ج ٢ ص ٣٢ .

*الصفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحرم علي يسرة الداخل إلى مكة من مشاش . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤١٢ .

خلفه فقال الفرزدق : " من الخبير سألت ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية " (١) ، فقال له الإمام (ت) : ما أراك إلا صدقت الناس عبيد المال والدين لعق على أسنتهم " (٢).

ثم أكمل الإمام (ت) المسير حتى انتهى إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبدالله بن مطيع العدوي ، فلما رأى الإمام (ت) قام إليه وقال : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، ... ، والله أنها لحرمة الإسلام تنتهك ، وحرمة قريش وحرمة العرب ، فلا تفعل ، ولا تأت الكوفة ، ولا تعرض لبني أمية " (٣) ، فأبى إلا أن يمضي فاستمر إلى أن وصل منطقة زرود** ، ثم سار الإمام حتى نزل بطن العقبة**** ، فلقه رجل***** من العرب فقال له : " أنشدك الله لما انصرفت ، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف ، أن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطنوا لك الأشياء ، فقدمت عليهم لكان ذلك رأياً " (٤) ، ثم في منطقة عذيب الهجانات***** لقيه الطرماح بن عدي***** فقال للإمام (ع) بأنه رأى أهل الكوفة " اجتمعوا ليعرضوا ، ثم يسرحون إلى الحسين " (٥) ، لكن نجد الإمام (ت) يتقدم إلى الكوفة بالرغم من هذه النصائح ، فهل هذا يعني بأن الإمام (ت) قد سار بنفسه إلى الموت ؟ أو كانت لديه رؤية بأنه مقتول لذلك لا يأخذ بأرائهم .

ان الإمام (ت) في منطقة ذي حسم* قال " إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وإن الدنيا قد تغيرت وتكرت ، وأدبر معروفها ، واستمرت حداً ، فلم يبق منها إلا صباية** كصباية الإناء ، وخسيس**

** الفرزدق : أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن دارم التميمي ، أمه ليلى بنت حابس ، شاعر معروف صاحب جرير . ينظر : التبريزي ، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ) ، ديوان الحماسة بشرح التبريزي ، شرح محمد عبدالقادر سعيد ، دار القلم ، (بيروت / ١٣٣١هـ) ، ج ١ ص ٢٧٧ .
(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٦ - الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١ ص ٣٩٥ - الزمخشري ، المستقصى من أخبار العرب ، ج ٢ ص ١٦٤ - المقرم ، مقتل الحسين ، ص ١٧٧ .

(٢) الأربلي ، كشف الغمة ، ج ٢ ص ٣٢ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٥-٣٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤١ .
*** زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق من الكوفة وتسمى زرود العتيق وهي دون الخزيمية بميل . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٣٩ .

**** بطن العقبة : موضع بين زباله وشراف ، تم استنتاج ذلك من خلال مسيرة الإمام (ت) ، يذكر ابن الأثير ، أن الإمام (ت) في منطقة زباله أتاه خير مقتل أخاه من الرضاة عبدالله بن بقطر ، ثم سار حتى نزل بطن العقبة ، ويذكر القاضي نعمان أن الإمام سار من بطن العقبة حتى نزل شراف ، إذن بطن العقبة تقع ما بين الأثنين . ينظر : القاضي المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ١٤٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٢-٤٣ .
***** لوزان أحد بني عكرمة . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ .

(٤) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ .
***** عذيب الهجانات : هو من منازل حاج الكوفة وقيل حد السواد . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٢ .
***** الطرماح بن عدي : الطرماح بن عدي بن عبدالله بن خبيوي وهو الطرماح الأكبر ، كان من الخوارج الصفرية ، وكان شاعراً معروفاً . ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ج ٢ ص ٤٠١ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٦ .
* ذي حسم : موضع في الطريق إلى الكوفة . ينظر : ابن الأبار ، محمد بن عبدالله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ) ، درر السمط في خير السبط ، تح عز الدين عمر موسى ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (١٤٠٧هـ) ، ص ٩٩ .
** صباية : بقية الماء في الإناء ، وهي البقية اليسيرة من الشراب يبقى في الإناء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٢٦٠ .
*** خسيس ، الدنيا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٩١ .

عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، وأن الباطل لا يتناهي عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً ، فأني لا أرى الموت إلا شهادة والحياة مع الظالمين إلا برماً" (١).

والذي يستنتج من هذه النص الأمور الآتية :

١. أن القوم الذين بايعوا الإمام (t) نكثوا بيعتهم ، بل لم يكتفوا بذلك فجهزوا أمرهم لقتله (٢).
 ٢. أن الإمام (t) قد وضع الموت أو الشهادة عشية خروجه من مكة لذلك وصف الموت بالقلادة في رقبة الفتاة .
- هذا فضلاً عن أن هنالك من الأمور ما يدل على أن الإمام (t) سار في طريق إرادة الله والدليل قوله الى لوزان عندما أشار إليه بعدم التقدم إلى الكوفة فقال الإمام (t) : " أنه ليس يخفى عليّ ، الرأي ما رأيته ، ولكن الله لا غالب على أمره " (٣) ، إضافة إلى أن الإمام (t) سار إلى الكوفة وهو يعلم غدرهم لذلك قال في منطقة البيضة " وأن لم تفعلوا ونقضتم عهدي ، وخلعتم بيعتي ، فلعمري ، ما هي لكم بنكير ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل ، والمغرور من أغتر بكم " (٤).

٤. الإمام (t) وأصحابه

بعد أن وصل الإمام (t) إلى منطقة زباله*** سقط عليه مقتل عبدالله بن بقطر**** ، وكان قد سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم أنه قد أصيب ، فتلقاه خيل الحصين بن تميم بالقادسية ، فسرح به إلى عبدالله بن زياد ، فقال له أصدف فوق القصر ، فالعن الكذاب ابن الكذاب ، ثم أنزل حتى أرى فيك رأي ، وعندما صعد عبدالله وأشرف على الناس قال : أيها الناس ، أني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) لتنصروه وتوازره على ابن مرجانة ، ابن سمية* الدعوي ، فأمر به عبدالله فالقي من فوق القصر إلى الأرض " (١).

والذي يمكن ان نستنتجه من هذا الأمور الآتية :

١. لن يستطيع أحد من دخول الكوفة بسبب احتياطات الحصين بن تميم صاحب شرطة ابن زياد .

(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٨٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٣-٤٠٤ - الأصفهاني ، أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط ٢ ، دار الكتب العربي ، (بيروت / ١٩٦٧) ، ج ٢ ص ٣٩ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (t) ، ص ٣١٤ - الطبري ، محب الدين أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ) ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، دار المعرفة للطباعة ، (بيروت / بلات) ، ص ١٤٩-١٥٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٣ .

(٢) القاضي نعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ١٤٦ - الشيخ المفيد ، المسائل العكبرية ، ص ٧١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٣ .

(٤) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٨٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٨ .

***** زباله : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٢٩ .

***** عبدالله بن بقطر : رضيع الإمام (t) قتل بالكوفة . ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج ٢ ص ٣١٠ .

*أبن سمية : زياد بن أبي سفيان ، أما سمية فهي أمه ، كانت لدهقان من دهاقين الفرس بزندود بكسكر ، مرض الدهقان فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الثقفي فعالجه فيراً ، فوهبه سمية وزوجها الحارث غلاماً له رومياً قال له (عبيد) فولد زياداً على فراشه وكانت أمه من البغايا المشهورة بالطائف ذات راية . ينظر : الكوفي ، أبو صادق سليم بن قيس (ت ٧٦هـ) ، سليم بن قيس الهلالي ، تح محمد باقر الأنصاري ، (بلا ت . ط .) ، ص ٢٨٢ .

(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٧٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٨ .

٢. ظاهرة سب الإمام علي (t) التي أصبحت سنة لدى الساسة الأمويين من الخلفاء والأعوان

مع وجود أحاديث للرسول محمد (ﷺ) تنهي عن سب الإمام علي (t) منها " من سب علياً ، فقد سبني ومن سبني ، فقد سبَّ الله " (١) ، وفي حديث آخر " من سب علياً فقد سبني " (٢) ، لكن ما نجده استمرار وجود هذه الظاهرة** إلى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي نهى عنها (٣) ، ثم عاد الخلفاء الأمويون من بعده باستئنافها .

٣. أن عبدالله بن بقطر وضح لأهل الكوفة أن الإمام (t) هو ابن بنت رسول الله (ﷺ) ويجب الخروج إليه لمساعدته ومناصرته وذكر نقيضه ابن سمية ، وبهذا يكون قد ألقى الحجة عليهم.

٤. طريقة قتل سفراء الإمام (t) طريقة واحدة هي الرمي من فوق القصر كان الغرض منها هو إثارة الخوف والفرع في نفوس الناس .

أدرك الإمام (t) أن الغرض من قتل السفراء بهذه الطريقة المراد به الإمام (t) نفسه ، لذلك خطب في أصحابه وقال : " أما بعد ، فإنه قد أتانا خبر فظيع ، قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبدالله بن بقطر ، وقد خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب منكم الانصراف فليصرف ، ليس عليه منا ذمام " (١) ، وكان من نتيجة هذا الخطاب تفرق عنه الذين انضموا إليه في الطريق فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي من أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة (٢) ، وكاتوا قد انضموا إليه على أساس وجود القاعدة الجماهيرية له في الكوفة لذلك سيحظون بالمكانة المرموقة في نفوس أهل الكوفة ، لذلك كره الإمام (t) أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه (٣) . فبقي الإمام (t) في أصحابه الذين جاءوا معه ووصفهم خير الأصحاب لأنهم يعلمون ان لا سبيل امامهم سوى الموت لذلك

(١) الكوفي ، محمد بن سليمان (من أعلام القرن الثالث) ، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (t) ، تح الشيخ محمد باقر المحمودي ، مجمع احباء الثقافة الإسلامية ، (بلات) ، ج ٢ ص ٥٩٨ - الحميري ، علي بن محمد (ت ٣٢٣هـ) ، جزء علي بن محمد الحميري ، تح أبو طاهر زبير بن مجدد علنري ، ط ١ ، دار الضحاوي ، (الرياض / ١٤١٣هـ) ، ص ٢٨ - الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) ، الأمالي ، تح قسم الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، مؤسسة البعثة ، قم ، ايران ، ١٤١٧هـ ، ص ١٥٧ ، عيون أخبار الرضا ، تح حسين الأعظمي ، (بيروت / ١٤٠٤هـ) ، ج ١ ص ٧٢ - ابن بابوية ، منتخب الدين علي (ت ٥٨٥هـ) ، الفهرست ، تح د. سيد جلال الدين محدث ، مطبعة مهر ، مكتب المرعشي للنشر ، (قم / ١٣٦٦هـ) ، ص ٣٥٢ .

(٢) النسائي ، عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، السنن الكبرى ، تح د. عبدالغفار سليمان وسيد كسروي ، ط ١ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤١١هـ) ، ج ٥ ص ١٣٣ ، خصائص أمير المؤمنين ، تح محمد هادي الأميني ، مكتبة نينوى الحديثة ، (بلا ت. ط.) ، ص ٩٩ - الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ج ٣ ص ١٣٠ .

**من أجل أن يستبد لهم الحكم وقد اعترف مروان بن الحكم بقوله إلى الإمام علي بن الحسين (t) : ما كان في القوم أحد دفع عن صاحبنا من صاحبكم - يعني علياً من عثمان ، قلت (له) : فما لكم تسبون على المنابر ، قال : لا يستقيم الأمر إلا بذلك . ينظر : البلاذري ، انساب الأشراف ، ص ١٨٥ .

(٤) الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ص ٥٠ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٨-٣٩٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ .

وصفهم " فأنني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ... ، ألا وأناي قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حلٍّ ، ليس عليكم مني ذمام ، هذا الليل قد غشيكم ، فاتخذوه جملاً " (٤) .

وما يمكن أن نستخرجه من هذا النص أن هناك ترابطاً ما بين الإمام (t) وأصحابه ، فالكل يعرفون أنهم أموات فالإمام (t) قال عشية خروجه من مكة إلى الكوفة " خط الموت على ولد آدم مخط القلادة " (٥) ، أما أصحابه فبعد أن سمعوا خطاب الإمام (t) كانت ردة فعلهم قوية فقال مسلم بن عوسجة " نحن نخلي عنك ولما نغذر إلى الله في أداء حقك " (٦) ، وقال سعيد بن عبدالله الحنفي " والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيا ثم أحرقت حياً ثم أذّر يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك ، وإنما هي قتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا أنقضها لها أبداً " (٧) . ثم قال زهير بن القين * : " والله لو وددت أنني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة وأن الله يدفع عنك القتل عن نفسك ، ومن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك " (٨) .

لذا فإن وصف الإمام (t) لهم كان محققاً في أنهم خير الأصحاب لأن في قتلهم كانوا يجددون الوفاء مع الإمام (t) (٩) .

٥. الخوارج وموقفهم من الإمام (t)

يتفق الخوارج في مبادئهم مع الإمام (t) بالخروج على الإمام الجائر* ، خدمة للإسلام (٣) ، وانطلاقاً من هذا يذكر المبرد (٤) أن أبا مرداس ، كتب إلى الحسين بن علي صلوات الله عليه بأنني لست

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٧ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ - الحلواني ، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، ص٨٦ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤ ص٣٦٦ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص١٠٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٨ .
(٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص١٠٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ .
*زهير بن القين : زهير بن القين بن الحارث بن عامر بن سعد بن مالك بن ذهل بن عمرو بن يشكر بن بن علي بن سعد بن نذير ، وقد أنظم إلى الإمام (t) في الطريق على أثر حديث كان قد سمعه من سلمان الفارسي في غزوة بلنجر وقول سلمان الفارسي في هذه الغزوة : إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٣٨٨ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ص٢٧٦ - الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص٤٨٩ .

(٨) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص١١٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ .
(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ - ٤٢٠ .

*الجائر : المائل أو الظالم وهو الباغي الذي يرد الحق مع العلم به . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج٣ ص١٢٥١ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٣ ص٣٠٨ - الطريحي ، مجمع البحرين ، ج٣ ص٢٥٧ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج٤ ص٣٣٠ .

(٣) الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٥ هـ) ، نيل الأوطار في أحاديث سير الأخيار ، دار الجيل للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٣) ، ج٧ ص٣٤١ .

أرى رأي الخوارج وما أنا إلا على دين أبيك . وربما أن هذا الكتاب قد وقع بيد ابن زياد لذلك تابعهم في البصرة بشدة فنجدته تارة يحبسهم وتارة أخرى يأمر بقتلهم ، ولم يتح لهم الفرصة المناسبة لممارسة أعمالهم السياسية لذلك نجدهم مكثوا في البصرة طوال فترة وجود ابن زياد لسهولة الهروب إلى خارجها في الظروف الحرجة بهم . لكن ما يذكره قسم من المؤرخين^(٥) أن الطرماح بن عدي دنا من الإمام (t) في منطقة عذيب الهجانات وقال له : " والله أني لانظر فما أرى معك أحداً ، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم ، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيني في صعيد واحد جمعاً أكثر منه " .

والذي يمكن ان نكتشفه من هذا الأمور الآتية :

١. كثرة الخارجين من أهل الكوفة لحرب الإمام (t) ربما عددهم كان يفوق ما أشار إليه قسم من المؤرخين^(٦) بأن عددهم كان أربعة آلاف مقاتل خرجوا لقتال الإمام (t) .

٢. قلة أصحاب الإمام (t) مقارنة بحجم القوى المستعصية ضده في الكوفة ، لذلك فإن الطرماح بن عدي قد طرح على الإمام (t) أن لا يقدم على الكوفة ، وبعد أن وجد الإمام (t) مصراً على التقدم أشار عليه بأن ينزل بلده " فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع ، فسر حتى أنزلك متاع جبلنا يدعي أجاً* ، امتنعنا والله به من ملوك غسان** وحمير*** ومن النعمان بن المنذر**** ومن الأسود***** والأحمر***** ، فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث الرجال ممن بأجاً وسلمى من طيء ، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام

(٤) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٦ .

(٦) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٥٣ - اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٦٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٩ .

*أجاً : أحد جبلي طيء والأخر سلمى وينسب إليهما الأجيئون وبينهما قرى كثيرة . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج ١ ص ٣٢ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ص ١٠٩ - الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٩٢ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٩ ص ٢١١ .

**غسان : هم ملوك نزحوا من اليمن إلى الشام وأول من لجأ إليهم من الملوك هو الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس ، وهو غسان بن الأزد بن الغوث وكان نزوحهم بعد سيل العرم . ينظر : ابن المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٩٧ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٣٣١ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ٦٢٣ - عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطابع رويال ، مؤسسة شباب الجامعة ، (الإسكندرية / ١٩٩٧م) ، ص ١٩٥ .

***حمير : حمير بن سبأ الهميع ، وأنهم أيضاً وصلوا إلى جبال طيء ووضعوا حاميات عسكرية ، قريبة من الجبال لحماية تجارتهم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٥ ص ٥٦٠ - عمر كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٣٨٨هـ) ، ج ١ ص ١٠ .

****النعمان بن المنذر : النعمان بن المنذر بن عمر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن أمرئ القيس من لخم ، آخر ملوك الحيرة . ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٩٧ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤٢٢-٤٢٣ .

*****الأسود : الأسود بن فار الجديس هرب من حسان ونزل جبال طيء . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٩٨-٩٩ .

*****الأحمر : هو سبا بن حمير سمي بذلك لأنه كان له تاج وكان له جوهر أحمر فإذا اجلس أضاء على بعد منه فقليل له الملك الأحمر ثم قيل له حمير . ينظر : المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، أخبار الزمان ، تح لجنة من الأساتذة ، ط ٢ ، مكتبة النجف ، دار الأندلس للطباعة ، (١٣٨٦هـ) ، ص ١٠٢ .

حتى تأتيك طيء رجالاً وركباناً ، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي ، يضربون بين يديك بأسيا فهم ، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف ^(١) .
والذي يمكن ان نستنتجه من هذا النص أمر مهم هو أن في هذه الجبال قرى كثيرة يعود نسب أهلها الى قبيلة طيء المعروفة وأنه زعيمهم لذلك طلب من الإمام (t) البقاء فترة عشرة أيام ^(٢) ، وربما أن الطرماح قد حدد هذه الفترة لأنه يدرك أن السير والدوران في منازل طيء وجمعهم قد يستغرق هذه الفترة .

ولكن لم يتفق الإمام (t) مع الطرماح بن عدي في أمرهما بسبب أن الإمام (t) كان على موعد مع قوم لن يستطيع أن يخلف به ، بينما كان للطرماح أمر مهم بالنسبة إلى عياله وهو جلب المتاع وهو كذلك لم يستطع تركه ^(٣) ، لذلك لم يبرز موقف الخوارج في هذه الفترة .

٦. تشبيه حالة الإمام (t) بالخليفة عثمان (رضي الله عنه)

كانت أيدي بعض الأمويين المقربين للخليفة عثمان (رضي الله عنه) والطامحين بالوصول إلى الخلافة وراء قتله من أجل تحقيق ميولهم ورغباتهم ، واتخذوا في نفس الوقت مسألة قتله ذريعة لتحقيق هذه الميول والرغبات ، لذا فقد ربطوا هذه المسألة بالإمام (t) كما ربطوها سابقاً مع الإمام علي (t) لقتله والتخلص منه كونه الرجل الوحيد آنذاك صاحب الكلمة والفكر الإسلامي الصحيح الذي ينسجم مع مبادئ الرسالة الإسلامية .

نحن نعرف أن أحد أسباب قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) هو مروان بن الحكم كونه زوراً كتاباً على لسانه وأرسله إلى والي مصر يدعو فيه أن يقتل الوفد بعد وصولهم إليه ^(١) ، وقد أقسم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بالله بأنه ما كتب إلى الوفود ولا له علم ولا أمر به ^(٢) . هذا فضلاً عن أن حصار الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد استمر أربعين يوماً ^(٣) .

وهنا نتساءل ونقول أين كان محبو الخليفة عثمان (رضي الله عنه) من بني أمية خلال هذه الفترة ؟

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٦ .

(٢) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص٨٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٠ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص٨٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٠ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٣٧٤ - الاندلسي ، القاضي محمد بن يحيى (ت ٧٤١هـ) ، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان ، ج٤ ص٣٧٤ - أكرم حلمي فرحات ، ط٢ ، دار الأفاق العربية ، (مصر / ٢٠٠٢) ، ص٢٨٦ .
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٧٢ - الاندلسي ، التمهيد والبيان ، ص٢٧٦ .

أما موقف أهل البيت (i) من دم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فيتوضح لنا بما قاله الإمام علي (t) يوم قتله حينما قال " تباً لكم سائر الدهر " (٤) ، هذا فضلاً عن أن مروان بن الحكم يذكر للإمام علي بن الحسين (t) : بأنه لم ير أحداً في القوم دافع عن صاحبنا من صاحبكم - يعني علياً عن عثمان (٥) - إضافة إلى أن الاندلسي (٦) يذكر في أحداث حصار الخليفة عثمان (رضي الله عنه) أن أول القوم إجماعاً له هو الإمام علي (t) الذي جاء في آخر الليل ، وأن أبنة الإمام الحسن (t) كان أحد الحرس لدار الخليفة ولم ينصرف إلا بأمر الخليفة نفسه (٧) وكان آخر من أنصرف (٨) ، وحينما أنصرف تمثل بأبيات من الشعر تبرر موقفه من دم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) (٩) :

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير إلى الطمر* شمام*

وقيل أن الحسن (t) حمل جريحاً من الدار في يوم الدار (١) ، لذلك نجد أن الأمويين مثلما وصلوا إلى الخلافة باسم النثار للخليفة عثمان (رضي الله عنه) وهو الأساس الذي بنى عليه معاوية حقه في وراثة الخلافة (٢) .

ولكن هل تنبأ بنو هاشم لذلك ؟ أم أن الأمويين استطاعوا أن يعيدوا الكرة مرة أخرى ؟!

ويبدو لنا أن عبدالله بن عباس قد تنبأ بذلك حينما أشار بنصيحته إلى الإمام (t) قبل خروجه من مكة بقوله : " فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك فوالله أني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه " (٣) لأنه أدرك سياستهم في ظاهرها وباطنها هي ضد بني هاشم ، لذلك نجد أن الإمام (t) كان يؤكد طوال مسيره من مكة إلى الكوفة على فتياهه بأن يكثروا من الماء " أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا " (٤) ، هذا فضلاً بأن الإمام (t) سار في مناطق يكثُر فيها المياه من زرود ، بطن العقبة ، شراف* ، قصر مقاتل* .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٣ ص ٢٧ .

(٥) البلاذري ، انساب الأشراف ، ص ١٨٥ .

(٦) التمهيد والبيان ، ص ٢٧٦ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٣ ص ٦٦ - ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، ج ٤ ص ١٢١٢ - الصلابي ، علي محمد ، تاريخ خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، (١٤٢٥ هـ) ، ص ١٦٩ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٣ ص ١٧٩ .

(٩) الاسدي ، سيف بن عمر (ت ٢٠٠ هـ) ، الفتنة ووقعة الجمل ، تح احمد راتب ، ط ١ ، دار النفائس للنشر ، (بيروت / ١٣٩١ هـ) ، ج ١ ص ٦٩ - الاندلسي ، التمهيد والبيان ، ص ٢٨٢ ، يذكر كلمة نصير بدلاً من كلمة أسير .

*الطمر : الفرس الجواد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٦٤٢ .

*شمام : جبل بالعالية . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ١٩٨ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٣٩٧ .

(٢) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية إلى نهاية العصر الأموي ، ص ١٣٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٩ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٤٤ .

*شراف : موضع بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الإحساء التي لبني وهب . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٣١ .

*قصر مقاتل : قصر كان بين عين تمر والشام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣١٤ .

وفعلًا ما فطن به ابن عباس وما أحتس منه الإمام (t) حصل ، لأن أوامر عبيد الله إلى عمر بن سعد كانت تأمره بأن يضيق على الإمام (t) وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان^(٥) !! لذلك أرسل عمر بن سعد ، عمرو بن الحجاج الزبيدي على خمسمائة فارس أنزلوا الشريعة*** ، وحالوا بين الإمام (t) وبين الماء أن يسقوا منه قطرة^(٦) . ويتبين أن ابن زياد قد خطط أن تكون أول بوادر معركة الطف*** حول الشريعة بمنعهم من ملء قرايبهم**** بالماء ، وفعلًا أشد العطش على الإمام (t) وأصحابه فدعا العباس بن علي بن أبي طالب ، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم بعشرين قربة ، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدمهم إمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي* ، فقال عمرو " من الرجل ؟ فاجابه نافع ، فقال له : ما جاء بك ، قال : جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلائموننا* عنه ، قال : فاشرب هنيئاً ، فرفض نافع ذلك^(٧) ، حتى يملؤوا القرب ويشرب الإمام (t) وأصحابه ، فلم يرضى عمرو بن الحجاج وأصحابه بذلك ، فأقترت أنصار الإمام (t) من نافع فقال لهم : املؤا قرايبكم ، وعند ذلك ثار عمرو بن الحجاج وأصحابه فحمل عليهم العباس بن علي ونافع الجملي ، فكفؤهم ، ثم انصرفوا إلى رحالهم وجاء أصحاب الإمام بالقرب فأدخلوها عليه^(٨) .

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا هو :

١ . سياسة التضليل الإعلامي التي استخدمها معاوية ومن بعده ابنه وأعوانه وهم يعلمون إنها أشد أسلحة الحرب إمضاء وأبلغها نفاذاً^(٩) ، فاستعمل هذا السلاح ليصرف الناس عن أهل البيت (i) ويحول قلوبهم عنهم^(١٠) .

٢ . شجاعة أنصار الإمام (t) وبالذات أخوه العباس بن علي بن أبي طالب ، في الدفاع عن أهل البيت (i) وتضحيتهم بنفسه من أجل أن يجلب إليهم الماء من الشريعة ، وهذا أن دل على شيء فإنه يدلل لنا بأنهم يقاتلون من أجل مبدأ الإمام (t) الذي هو مبدأ الإسلام نفسه لذلك وصفهم بأنهم خير الأصحاب .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ .

*** الشريعة : مشرعة الماء وهو مورد الشاربة التي يشربها الناس فيشربون بها ويستقون . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ص ١٧٨ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٨٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ - القاضي نعمان ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ١٨٢ .

*** الطف : هي أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٦ .

**** قرايبهم : مفردا قربة ، الوُطْبُ من اللب ، وقد تكون للماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ٢٩١ .

* نافع بن هلال : نافع بن هلال بن نافع البجلي المرادي ، كان من أصحاب الإمام علي (t) ومن أصحاب الإمام (t) . ينظر : القاضي نعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ٢٤٧ - ابن طاووس ، علي بن موسى (ت ٦٦٤ هـ) ، إقبال الأعمال ، تح جواد القبومي ، ط ١ ، مطبعة مدار الإعلام الإسلامي ، (١٤١٦ هـ) ، ج ٣ ص ٧٨ - التقرشي ، نقد الرجال ، ج ٥ ص ٦ .

** حلائموننا : يقال حلاه عن الماء ، أي طرده ومنعه منه . ينظر : الطبري ، هامش الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ - الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١١٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ - الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١١٧ .

(٣) أسد حيدر ، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ط ٤ ، مكتبة الصدر ، (إيران / ١٤٢٠ هـ) ، ج ٣ ص ٤٥٣ .

(٤) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٥٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٣ .

ومن هذا كله يمكن القول أن الأمويين حاولوا تهيئة النفوس في الكوفة إلى قتل الإمام (t) باسم
الثار لعثمان وهم أبرياء منه براءة الذنب من دم يوسف (t) .

ثالثاً . الموقف العام لأهل العراق

١. بعد مجيء الإمام (t)

في هذه الظروف والأوضاع التي خطط لها ابن زياد في الكوفة وخارجها ، لم تكن هناك مشاركة فعلية من أهل العراق وخاصة أهل الكوفة مع الإمام (t) بالرغم من محاولة حبيب بن مظاهر الاسدي في بني أسد من أجل جلبهم لنصرة الإمام (t) لكنه فشل في ذلك بسبب وجود عيون وجواسيس ابن زياد في أحياء الكوفة ، فيذكر ابن أعثم الكوفي^(١) ، أن حبيب بن مظاهر الاسدي أقبل على الحسين بن علي فقال : ههنا حي من بني أسد بالقرب مني أو تأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك فعسى الله ان يدفع بهم عنك بعض ما تكره ، فقال له الحسين ، قد أذنت لك يا حبيب ، فخرج حبيب بن مظاهر الاسدي في جوف الليل منكراً حتى صار إلى أولئك القوم فحياهم وحيوه وعرفوا انه من بني أسد ، ... ، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله (ﷺ) فإنه في عصابة من المؤمنين ، فتبادر رجال الحي مع حبيب بن مظاهر الاسدي ، وخرج رجل من الحي في ذلك الوقت صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل فخبّره بذلك ، فدعا رجل من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيداوي فضم إليه أربعة آلاف فارس ، ووجه به في جوف الليل إلى حي بني أسد ، لذلك فشل حبيب في إخراج أفراد قبيلته

(١) الفتوح ، مج ٣ ص ٩٠-٩١ .

لنصرة الإمام (t) إلا إن هذا لم يمنع من خروج بعض الرجال لنصرة الإمام (t) كما فعل عبدالله بن عمير من بني عليم وزوجته أم وهب عندما خرجا لمساعدة الإمام (t) فاستشهدا بين يديه^(٢).

أما موقف أهل البصرة فلم يذكر المؤرخون شيئاً عنهم إلا رواية واحدة عند قسم من المؤرخين^(٣)، ذكروا فيها خروج يزيد بن نبيط مع أبنيه عبدالله وعبيدالله إلى الإمام (t) في مكة، ثم أقبلوا معه حتى استشهد مع أبنائه بين يدي الإمام (t)، وهذه المشاركة هي مشاركة أفراد قلائل وهذا يعني أن موقفهم كان غير موافق للإمام (t) ليس بسبب الولاة الذين حكموا البصرة طيلة الحكم الأموي كونهم قساة فقط وإنما بسبب طبيعة أهل البصرة الذين كانت لديهم الرغبة بالمحافظة على الأمن بسبب مصالحهم الشخصية^(٤)، هذا فضلاً عن اهتمام خلفاء بني أمية بمدينة البصرة وبأمرها وأحوالها وكثرة القبائل المحيطة بها ذات الشكيمة والقوة وشدة المراس فبقيت موالية لهم حتى أواخر عهدهم^(٥).

٢. طبيعة المقاتلين في الكوفة

قد يتساءل البعض منا لماذا لم يخرج أهل الكوفة مع الإمام (t) بعد قدومه إلى الكوفة ووصوله إلى كربلاء؟ وللجواب عن هذا السؤال فمن الأجدر بنا أن نعرف طبيعة أهل الكوفة آنذاك قبل أن نتطرق إلى الأسباب، فكان مجتمع الكوفة ينقسم إلى فئات متعددة بناءً على مصالحهم الشخصية ليس إلا، فمنهم من خرج لقتال الإمام (t) بغضاً لأبيه الإمام علي (t) كشيث بن ربعي ويزيد بن رويم الشيباني وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم من أشراف الكوفة كونه قتل رجالهم وصناديدهم في معركة بدر نشرًا للإسلام ودفاعاً عنه^(١)، ومنهم^(٢) من خرج لقتال الإمام (t) من أجل المنصب والجاه عند ابن زياد ومثال ذلك عمر بن سعد قائد الجيش فحينما رشحه ابن زياد لقتال الإمام (t) ارتد في أول الأمر لكن ابن زياد هدده بأن يسترجع منه العهد الذي أعطاه، وكان قد أعطاه العهد أن

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٢٩ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج٤ ص٨٣ ص٥٥٣.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين (t)، ص١٨ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٥٤ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٢١، يذكر اسم بنيط بدلاً من نبيط.

(٤) محمد جابر عبدالعال، حركات الشيعة المتطرفين، مطبعة السنة المحمدية، (١٣٧٣هـ)، ص١٧٥.

(٥) الساعدي، كاظم جواد، تاريخ البصرة، مطبعة القضاء، (النجف / ١٩٥٩م)، ج٣ ص٢٣٤.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٥٣ - العاملي، الصحيح من السيرة النبوية الأعظمية، ج٢ ص٤١٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠٩ - ابن الأبار، درر السمط في خير السبط، ص٩٨.

يسير إلى دستبى* ويكون والياً على الري** أن ظفر بالإمام (t) أو قتله^(٣) ، لذلك تقدم عمر بن سعد لقتال الإمام (t) بعد أن قدم الدنيا على الدين^(٤) ، وفي ذلك مقولته الشهيرة^(٥) :

أترك ملك الري والري رغبة
أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها
حجاب وملك الري قرة عين

والبعض الآخر وهم الأغلبية من الفقراء في الكوفة وهو جنود لا يملكون شيئاً سوى العطاء وكانوا يعتمدون عليه لذلك أستغل ابن زياد هذا الأمر وقال لهم : " قد زاد أمير المؤمنين في إكرامكم وكتب إلى يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومائتي ألف درهم أصرفها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين بن علي"^(٦) .

وهناك أحد الأشخاص* الذين غادروا الكوفة قبل وصول الإمام (t) لكي لا تقع عليهم الحجة بعدم مناصرة الإمام (t) ، لأنهم أدركوا قول الرسول محمد (ﷺ) : " أن أبني هذا يقتل بأرض من أهل العراق ، فمن أدركه منكم فلينصره"^(٧) ، ويرى السيد أبو سعيدة^(٨) أن البعض من أهل الكوفة خرجوا لقتال الإمام (t) بغضاً لأبيه ، من أمثال حجار بن ابجر ، قيس بن الأشعث ، وغيرهم كون سياسة الإمام علي (t) كانت سياسة عادلة ضد المصالح الشخصية .

وبعد أن عرفنا طبيعة هذا المجتمع وموقفه من الإمام (t) وابن زياد ، نأتي لنذكر أهم وأبرز العوامل التي ساهم بعضها مع بعض في منع أهل الكوفة من مناصرة الإمام (t) وهي :

*دستبى : كورة كبيرة مقسومة بين الري وهمدان ، قسم منها يسمى دستبى الرازي وهو يقارب التسعين قرية ، وقسم منها يسمى دستبى همدان وهو عدة قرى . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٥٤ .

**الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن ، كثير الفواكه والخيرات وهي محط الحاج السابلة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١١٦ .

(٣) أبين عبدالبر القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ) ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، مطبعة مصطفى محمد ، دار الكتب المصرية ، (١٣٥٨ هـ) ، ج ١ ص ٣٧٧ .

(٤) الحرائي ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ، منهاج السنة النبوية ، تح د. محمد رشاد سالم ، ط ١ ، مؤسسة قرطبة للنشر ، (١٤٠٦ هـ) ، ج ٢ ص ٧٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٣ .

(٦) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٨٩ .

*عبيدالله بن الحر : عبيدالله بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن حريم بن جعفر ، أمه العالية بنت الأسمر بن عبيدالله بن الحر ، وكان لا يقاتل لديانة وإنما كان همه الفتك والتصعلك والغارات . ينظر : البلاذري : انساب الأشراف ، ج ٥ ص ٢٩٠-٢٩١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٧ .

(٧) القرطبي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) ، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٥) ، ص ٦٤٣ .

(٨) بلاغة الإمام الحسين (t) ، ج ٣ ص ٢٨٧ .

١. انقسام الولاء السياسي ليس ما بين أفراد القبيلة الواحدة فحسب بل داخل البيت الكوفي نفسه فمثلاً نجد أن عمرو بن قرظة بن كعب كان مع الإمام (ت) في حين أن علياً أخاه كان مع جيش عمر بن سعد^(٣).
٢. دور الأشراف ومن أبرزهم عمرو بن الحجاج الزبيدي في توجيه أهل الكوفة لمقاتلة الإمام (ت) وتشويهه الحقائق من خلال مقولته " يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام " ^(٤) ، إضافة إلى أن المقاتلة من أهل الكوفة كان لهم أهل ومك وقبيلة يتخوفون عليهم من التخلف ^(٥).

٣. ابن زياد واستقبال الإمام (ت)

لما بلغ يزيد نبأ مسير الإمام (ت) كتب إلى ابن زياد " أنه قد بلغني أن حسيناً صائر إلى الكوفة وقد أبتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان ، وأنت من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبداً " ^(٦).

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا أمر مهم هو :

أن ابن زياد ليس من بني أمية ، وإنما من الناس الملحقين بهم وبنسبهم وأن بقاءه في حق النسب يتوقف على أطاعته للأوامر وأخذ بيعة الإمام (ت) ليزيد بن معاوية ، لذلك كان لهذه الرسالة الأثر الكبير في إجراءات عبيد الله بالكوفة ، فقد ذكر ابن الأثير^(١) أن أول أعماله أنه بعث الحصين بن تميم صاحب شرطته حتى نزل القادسية* ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان** ، وما بين القادسية إلى القطقانة*** وإلى لعلع**** ، وقد حفظت له هذه الإجراءات تلك المناطق من الاشتراك بأي عمل ضد الدولة الأموية في الكوفة ، كما حافظت على طرق المواصلات بين الكوفة ومكة^(٢).

إن لولا هذه الخطة لما استطاع الحصين من إلقاء القبض على عبدالله بن بقطر في موضع القادسية وهو يحمل كتاب الإمام (ت) إلى أهل الكوفة^(٣).

وكان لأبن زياد بعض الإجراءات خارج الكوفة كان الغرض منها هو أبعاد الإمام (ت) من مدينة الكوفة لذا فقد قدم الحر بن يزيد الرياحي***** ومعه ألف فارس من القادسية يستقبل حسيناً^(٤) ، ثم دفع

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٣٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٦٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٣٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٦٧ .

(٥) ابن فهد الحلي ، جمال الدين أبو العباس أحمد بن فهد (ت ٨٤١هـ) ، الرسائل العشرة ، تح السيد مهدي الرجائي ، ط١ ، مطبعة سيد الشهداء ، مكتبة آية الله المرعشي ، (قم / ١٤٠٩هـ) ، ص٤١٣ .

(٦) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج٤ ص٢٠٦ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ص٣٠٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٣٨ .

(٧) الكامل ، ج٤ ص٤١ .

* القادسية : قرية قريبة من الكوفة إذا خرجت منها أشرفت على النجف ، بينها وبين النجف خمسة عشر فرسخاً . ينظر : الطريحي ، مجمع البحرين ، ج٣ ص٤٧٠ .

** خفان : موضع قرب الكوفة يسلكها الحجاج أحياناً . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص٣٧ .

*** القطقانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف كان سجن النعمان بن المنذر . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٣٧٤ .

**** لعلع : منزل بين البصرة والكوفة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص١٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٨ .

إليه كتاباً آخر يدعو فيه أن يجعجع ***** الإمام (ت) حين يبلغه كتابه ويقدم رسوله^(٥) ، ولم يكتفِ ابن زياد بهذا فقط بل جعل الرسول مراقباً للحر حتى ينفذ أمر ورأي ابن زياد^(٦) ، ثم يحاول أن يسيطر على مناطق المياه من خلال إرساله عمرو بن الحجاج ، لذا فقد كان لسياسته هذه نتيجتان مهمتان هما :

١. عدم قدرة الناس في الكوفة من الخروج إلى الإمام (ت) ومناصرته ، إذ لم يستطع الخروج من أهل الكوفة سوى أفراد قليلين جداً ، ربما بسبب سياسة القتل التي أتبعها ابن زياد حتى مع غير أهل الكوفة ، فإنه قد جعل مؤيد بن عبدالرحمن المنقري يطوف في خيل داخل مدينة الكوفة فوجد رجلاً من أهل الشام في طلب ميراث له فقتله ابن زياد^(٧) .

٢. إبعاد الإمام (ت) عن الكوفة وتضييق المكان عليه من أجل أن يبايع ليزيد ، لذلك أدرك الإمام (ت) نواياه فقال : " هيهات منا الذلة " ^(٨) ،

وبهذه الإجراءات سيطر ابن زياد على الكوفة وخارجها قبل مجيء الإمام (ت) ، لذلك لم يكن لهم مشاركة بارزة .

٤. ابن زياد وقتل الإمام (ت)

أ. أمر ابن زياد بقتل الإمام (ت)

عندما تأخر عمر بن سعد في قتله للإمام (ت) دعا عبيدالله شمر بن ذي الجوشن ، وأمره أن يخرج بالكتاب إلى عمر وقال له " فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فأن فعلوا فليبعث بهم إلي سلماً ، وأن هم أبوا فليقاتلهم ، فأن فعل فاسمع له وأطع ، وأن هو أبى فقاتلهم ، فأنت أمير الناس ، فثب عليه فاضرب عنقه وأبعث إلي برأسه " ^(٩) .

***** الحر بن يزيد : الحر بن يزيد بن ناجية بن قنعب بن عتاب الرذن بن هرمي بن رياح بن يربوع . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٧٧ - الأردبيلي ، محمد علي (ت ١١٠١هـ) ، جامع الرواة ، مكتبة المحمدي ، (قم / بيات) ، ج ١ ص ١٨٢ .

^(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٦ - أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج ٢ ص ٤٦ .

***** جعجع : أي ضيق عليهم المكان ، ويقال جعجع القوم إذا أناخوا ، والجعجاع أي الموضع الضيق ، أي أحبسه . ينظر : الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) ، العين ، تح د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت / ١٤٠٨هـ) ، ج ١ ص ٦٨ - الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ، تح فاطمة محمد أصلان ، ط ١ ، دار إحياء التراث ، (بيروت / ٢٠٠١م) ، ج ١ ص ٥٦ - الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، ج ١ ص ٢١٨ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ص ٢٧٤ .

^(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٤٦ .

^(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٨ .

^(٧) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٥٥ .

^(٨) الحراني ، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من أعلام القرن الرابع) ، تحف العقول عن آل الرسول ، تح حسين الأعلمي ، ط ٦ ، (١٩٩٦) ، ص ١٧٢ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٤٧ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج ٢ ص ٢٦٩ .

والذي يمكن ان نستنتجه من هذا هو :

١. النزول على حكم عبيدالله ، وحكم عبيدالله هو حكم يزيد بن معاوية ، لذلك كان ابن زياد يدرك رفض الإمام (t) لهذا الطلب ، فقال الإمام (t) " أنا أنزل على حكم ابن مرجانة ؟ والله لا أفعل " (٤) .
٢. إذا نفذ عمر بن سعد أمر الكتاب سوف يكون شمر أحد قواده ، وأن رفض ذلك فأن الشمر له الحق في قتله وإرسال رأسه إلى ابن زياد (٥) ، وان تكون له أمرة الجيش ، وهذا يبين لنا أمران مهمان هما :

أ. ان ابن زياد أدرك ان عمر بن سعد ليس قادراً على قتل الإمام (t) وتأخر عليه " فأنني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ، ولا لتقصده له عذري شافعاً " (١) . إذ قال عمر بن سعد لشمر بن ذي الجوشن حينما جاءه بالكتاب " لا قرب الله دارك ، وقبح الله ما قدمت به علي " (٢) ، ثم قال له " أنا أتولى ذلك " (٣) .

ب. ان ابن زياد أرسل شمر بن ذي الجوشن لربما بسبب ان هناك نزاعاً ما بين الاثنين وما ذكر أعلاه دليل على ذلك ، وبعد هذا تحرك ابن الجوشن ونهض بالكتاب عشية الخميس لتسع مضين من المحرم (٤) ، وجاء بالكتاب إلى ابن سعد ، وبسبب تصرفات ابن الجوشن مع ابن سعد بدأت المعركة يوم العاشر منه ، وانتهت بنفس اليوم سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (٥) ، باستشهاد الإمام (t) وجل أهل بيته وأنصاره ولم ينج منهم أحد سوى الإمام علي بن الحسين (t) بسبب مرضه (٦) .

وبسبب حرص ابن سعد على بقاء مكانته في نفس ابن زياد استعجل بإرسال رأس الإمام (t) ورؤوس أصحابه إليه بالكوفة (٧) ، فأرسلها عصر يوم عاشوراء نفسه مع بعض من أصحابه ، وبقي هو في كربلاء مع بقية الجيش (٨) ، وكان قد أرسل رأس الإمام (t) بيد خولي بن يزيد الأصبحي

(٤) ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (t) ، ج ٢ ص ٢٦٩

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٣٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٧ - ابن الدمشقي ، جواهر

المطالب في مناقب الإمام علي (t) ، ج ٢ ص ٢٦٩

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ،

مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٨ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (t) ، ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ،

مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٦ .

(٥) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ) ، العبر في خبر من غبر ، تج د. صلاح الدين المنجد ، ط ٢ ، مصورة ،

(الكويت / ١٩٤٨) ، ج ١ ص ٦٥ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٢١٠ .

(٧) قانصو ، الشيخ محمود ، ما بعد كربلاء ، ط ١ ، مطبعة سرور ، دار مدين للنشر ، (قم / ٢٠٠٥) ، ص ٢٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٥ .

وحميد بن مسلم الأزدي^(٩) ، وبعث ببقية الرؤوس مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الاشعث وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، وعزرة بن قيس ، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد^(١٠) .

وقد يتساءل البعض منا هل ظاهرة قطع الرؤوس تتعارض مع مبادئ الإسلام ؟ ثم أن أمر قطع الرؤوس هل تم بأمر من عمر بن سعد ؟ أو أنها كانت بأمر من عبيد الله ؟ وهل هناك دلالة سياسية لهذه الظاهرة ؟ وأن أمر قتل الإمام (t) هل كان من يزيد ؟ أم تصرف خاص من ابن زياد ؟

من الثوابت في الشريعة الإسلامية النهي عن التمثيل بالمسلم وتحريمه وهذا باتفاق المذاهب الإسلامية ، بل أن من الثابت النهي عن المثلة حتى بالنسبة إلى الكلب العقور وقد ثبت عن رسول الله (ﷺ) النهي عن ذلك ، ولم يحدث مثله في حياته (ë) على كثرة ما خاض من حروب وغزوات ضد المشركين ، أما في عهد الخلفاء الراشدين فما كان من هذه الظاهرة سوى في عهد الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) حين عدا خالد بن الوليد على مالك بن نويرة وقومه فقتلهم بزعم أنهم مرتدون فقد قطعت رؤوس القتلى^(١) .

وفي خلافة الإمام علي (t) لم يكن هنالك أمر بقطع رأس أحد المسلمين بل كان هنالك أمر بقطع يد المخدج* ، وقال : " سيماه** أن يده كالثدي فيها شعيرات كشارب السنور ، إيتوني بيده المخدجة ، فأتوه بها فنصبها " (٢) ، لأنه من الخوارج وقد وصفهم رسول الله (ﷺ) وقال سيماهم التحليق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد " (٣) ، ويذكر قسم من المؤرخين وأحد اللغويين أن الإمام علي (t) عندما شاهده قال : " الله أكبر ما كذب ، ولا تخبت ، لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه (ë) عن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه " (٤) لذلك نصب يده الإمام علي (t) ، وفي عهد الخليفة معاوية تم قطع رأس عمرو بن الحمق الخزاعي^(٥) .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٥٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٨٠ - ابن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص٦٥ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٥٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٨١ ، يذكر عروة بن قيس بدلاً من عزرة بن قيس .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ص٢٧٩ .

*المخدج : هو نافه المخدج ، خرج الإمام علي (t) يوم النهروان في طلبه فوجده في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً ، فلما استخرجه ، نظر إلى عضده ، فإذا لحم مخيم كثدي المرأة وحلما عليها شعيرات سود ، فإذا أمدت حتى تحاذي يده الطولي ثم تترك فتعود إلى منكبيه . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ص٣٤٨ .

**سيماه : أي علامته . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ص٣٩٠ .

(٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٣٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ص٣٤٨ .

(٣) الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ) ، مسند الشاميين ، ج١ ص٣٤٨ ، تح د. حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت / ١٤١٧هـ) ، ج٤ ص٤٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ص٣٤٨ .

(٤) المبرد ، الكامل ، ج٣ ص١٣٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ص٤٧٧ .

ويذكر قسم من المؤرخين أن عبيد الله بن زياد قد أرسل كتاباً إلى عمر بن سعد بيد شمر بن ذي الجوشن وفيه " ، ... ، وأن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، فأنهم لذلك مستحقون " (١).

والذي يمكن الخروج به من هذا النص هو وجود أمر التمثيل بالإمام (t) وأنصاره لكن هل التمثيل المقصود به قطع الرؤوس، إذا كان ذلك فإنه أيضاً لم ينفذ بدقة ، فلم تقطع رؤوس الجميع إلا أنه من الواضح أنه ليس المراد بالتمثيل قطع الرؤوس ، لذا نقول ربما هناك أمر بقطع الرؤوس من ابن زياد إلى عمر بن سعد بسبب الحقد الذي يحمله ابن زياد كما هو الشأن في رض الأجساد بحوافر الخيل والتمثيل بها (٢).

وهو ليس إجراءً انتقامياً فقط لا غاية له إلا الانتقام وارواء غليل الحقد ، بل له هدف سياسي وهو القضاء على كل أمل عند الجماهير بنجاح أي محاولة ثورية خاصة بعد أن علم ابن زياد أن غالبية الثائرين مع الإمام (t) قياديون يتبوؤن مراكز الزعامة في قبائلهم من أمثال حبيب بن مظاهر الاسدي ، الحر بن يزيد الرياحي ، ومسلم بن عوسجة وغيرهم .

ويمكن ان نستدل على هذا الهدف من خلال ان الرؤوس في المعركة لم تقطع جميعها بل قطعت الرؤوس للشخصيات البارزة .

أما في كربلاء فإن الموالي الذين استشهدوا مع الإمام (t) والرجال العاديين (٣) لم تكن رؤوسهم تعنى شيئاً بالنسبة إلى الناقمين على الحكم الأموي ، ان الذي يشل القدرة الثورية ويسبب الهزيمة النفسية لدى الجماهير هو ان ترى زعماءها وقادتها قد قتلوا ، لذا فإن ابن زياد قد نصب رأس الإمام (t) فجعل يدار به في الكوفة (٤) ، لكي يكون عبرة لغيره من الثوار في عصره .

ان الإسلام ينهى عن قطع الرأس ، هذا فضلاً عن حمله من بلد إلى آخر ، وقد أنتهك الأمويون هذا الحكم الشرعي الواضح ولا يعرف من أين اقتبس الأمويون هذا الأسلوب في معاملة قتلاهم فلعله من آثار عقليتهم الجاهلية التي لم تزل عنهم يوم من الأيام ، أو أنهم اقتبسوه من الأمم الأجنبية وخاصة الروم الذين قلدوهم في حياتهم .

ب. ابن زياد ورأس الإمام

أذن ابن زياد أدناً عاماً بالدخول إلى قصر الإمارة (٥) ، وإظهاراً للكبرياء والجبروت أمر عبيد الله بوضع رأس الإمام (t) في طست ، فبدأ ينكت بقضيبه بين ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن أرقم* لا ينجم** عن نكته بالقضيب قال له : أعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالذي لا إله غيره ، لقد رأيت شفتي رسول الله (ﷺ) على هاتين الشفتين يقبلهما ، ثم أنفض الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٦٩ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٨٣ .

(٥) أبو مخنف ، مقتل الحسين (t) ، ص٢٠٤ - البديخشاني ، محمد بن معتمد خان (ت ١١٢٦هـ) ، نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل النبي الأطهار ، تح د. محمد هادي الأميني ، ط٢ ، دار الكتبي للطباعة ، (بيروت / ١٩٩٣م) ، ص١٦٣ .

*زيد بن أرقم : زيد بن أرقم بن قيس بن النعمان بن مالك بن مالك الأغر ، غزا مع رسول الله (ﷺ) عشر غزوات ومن صحابة رسول الله . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ص٣٥٧ .

**لا ينجم : ينجم : ظهر وطلع : أي لا يظهر نكته . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٥ ص١٥٤ - الشيخ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج٤ ص٢١٥ .

: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك" (٤)، فخرج وهو يقول : " ملك عبد عبداً فاتخذهم تلدأ ، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم أين فاطمة ، وأمرتم أين مرجانة ، فـهـو يـقـتـل خـيـلـهـم اركم ويسـتـعـبـد

شراركم فرضيتهم بالذل ، فبعداً لمن رضى بالذل " (١) .

والذي يمكن ان نستنتجه من هذا النص الأمور الآتية :

١. تخوف أهل الكوفة من أبين زياد وسياسته الظالمة ، ولم يكن من يقدر على إظهار رأيه ضد تصرفات ابن زياد سوى زيد بن أرقم ودليل ذلك ما قاله أنس بن مالك* الذي شاهد نفس ما شاهده زيد وهو قد وصف نفسه قائلاً : " لما قتل الحسين بن علي جيء برأسه إلى عبيدالله بن زياد فجعل ينكت بقضيب على ثناياه وقال انه كان لحسن الثغر ، فقلت في نفسي لأسوؤنك ، لقد رأيت رسول الله يقبل موضع قضيبك " (٢) وصمت أنس بالرغم أنه من الصحابة المعروفين بالكوفة لدليل على تخوف أهلها من سياسة أبين زياد .

٢. ان سياسة ابن زياد كانت ليست ضد الإمام (ت) وأنصاره بل كانت ضد الرسول محمد (ع) ودليل ذلك ان زيد بن أرقم قد ذكرهم وأكد له أن رسول الله (ع) كان يقبله من هاتين الشفتين ، وفيه قال الرسول (ع) " حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من سبط مـنـا الأسباط " (٣) .

وما أيقن به زيد بن أرقم ، حصل لأهل الكوفة فأنهم أصبحوا العبيد لابن زياد ، ولم يستطيعوا حتى الكلام معه ، ولم يحدثنا التاريخ من أمرهم شيئاً بشكل علني إلا بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م (٤) ، وكان الفرزدق قد قال مقولته الكبرى بعد استشهاد الإمام (ت) والتي ربما تتوافق مع قوله زيد بالمضمون " فأن غضبت العرب لأبن سيدها وخيرها فأعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها ، وأن جدت عليه ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر " (٥) .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٥٦ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (ت) ، ص٣٨١ ، الراوندي ، أبو الحسن سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ) ، الخراج والجرائح ، مؤسسة الإمام المهدي (عج) ، (قم / ١٤٠٩هـ) ، ج٢ ص٥٨١ - ابن حجر ، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، ج٢ ص٥٧٨ - المتقي الهندي ، (ت٩٧٥هـ) ، كنز العمال ، تح بكر الحيايني وآخرون ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، (بيروت / بلات) ، ج١٣ ص٦٧٢ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٥٦ - ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص٣٢٦ .

*أنس بن مالك : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن زيد النجار ، يكنى أبا حمزة ، صاحب رسول الله وخادمه ، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج٥ ص٣٥٦ - ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج١ ص١١١ .

(٢) أبو بكر الشيباني ، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت٢٨٧هـ) ، الأحاد والمثاني ، تح باسم فيصل أحمد ، ط١ ، دار الراية للطباعة ، (الرياض / ١٩٩١) ، ج١ ص٣٠٧ - الحلي ، شمس الدين أبو الحسن يحيى بن الحسن (ت٦٠٠هـ) ، العدة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / ١٤٠٧هـ) ، ج١ ص٣٥٩ - ابن العديم ، ترجمة الإمام الحسين (ت) ، ص١٥٩ - ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج١ ص١٦٣ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٧٧ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٥ .

(٥) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج٢١ ص٢٦١-٢٦٢ .

السؤال هو هل يزيد بن معاوية قد أمر عبيد الله بن زياد بقتل الإمام (ت) أم أنه كان تصرفاً شخصياً منه ؟

كنا قد وضعنا سابقاً بأن يزيد كتب عدة كتب إلى أعوانه من الولاة في الأمصار العربية الإسلامية بشأن أمر بيعة الإمام (ت) للوليد في المدينة* ، ولعبيد الله بن زياد عندما سار الإمام (ت) من مكة إلى الكوفة** .

وهناك من الدلائل التي تشير إلى وجود أمر من يزيد إلى الوالي لقتل الإمام (ت) منها :

١. يذكر ابن سعد^(١) أن يزيد كتب إلى الوليد في أمر البيعة " ليكن أول من يبايعك هو الحسين بن علي " .
٢. يذكر ابن أعمش الكوفي^(٢) أن ابن زياد قال : " قد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، أن لا أتوسل الوتير ، ولا أشبع من الخبز ، أو الحقك بالطيف الخبير ، أو ترجع إلى حكمي أو حكم يزيد بن معاوية " .

٣. عن مسافر بن شريح الشكري قال أن عبيد الله بن زياد قال في قتله للإمام (ت) أن يزيد أشار إلي بقتله أو قتلي فاخترت قتله " (٣) .

٤. أن يزيد لم يظهر إنكاره لقتل الإمام (ت) والانتصار له والأخذ بثأره بل كان الواجب عليه أن كان لا يوجد منه أمر لعبيد الله بقتله أن يعاقب ابن زياد على ذلك ، فصار أهل الحق يلومونه على تركه الواجب^(٤) .

٥. لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد - رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه - أخذ بقضيبه ينكت في ثغر الإمام (ت) ثم تمثل بما قاله الحصين بن الحمام المري*** :
يفلقن هاماً من رجال أحية
إلينا وهم كانوا أعق وأظلماً^(٥)

وهناك رواية أخرى تقول أن يزيد عندما وضعت الرؤوس أمامه قال : " والله يا حسين لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك " (٦) ، وقد حاول يزيد أن يبرر عمله هذا على عبيد الله بن زياد وهذا لا يمكن لأن من الولاة من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم ألبس بأن الأثم على الأمير لا عليك ، وهذا باطل لأنه معين على الظلم^(٧) ، لكن هناك أحد المؤرخين^(٨) حاول تبرير عمل يزيد ونفي ما وجه إليه من

* ينظر فص ١ ص ٢٧ من هذه الدراسة .

** ينظر فص ٢ ص ١٠٠ من هذه الدراسة .

(١) الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٢٤ .

(٢) الفتوح ، مج ٣ ص ٨٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٠ .

(٤) ابن تيمية ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ، ج ٣ ص ٤١٠ .

*** الحصين بن همام : الحصين بن همام بن ربيعة المري الذي ياتي أبو يزيد الشاعر ، فارس جاهلي كان سيد سهم بن مرة (من ذبيان) وهو من نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية . ينظر : الزركلي ، خير الدين ، ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٥) ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣٣١ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٢١٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٥ - ابن تيمية ، رأس الحسين

(ت) ، ص ٢٠٧ .

(٧) ابن الجوزي ، الإمام جمال الدين أبو الفرج بن عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ) ، تلبس إبليس ، تح محمد منير الدمشقي ، الطبعة المنيرية ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٣٦٨هـ) ، ص ١٣٤ .

(٨) ابن تيمية ، رأس الحسين ، ص ٢٠٦ .

تهمة ضربه بالقضيب في ثغره وتمثله بالشعر ، وإذا كان هذا العمل ليس منه فما يقولون في أباحة المدينة ورمي الكعبة وهدم البيت الحرام وقبله المسلمين^(١) .

٦. أن يزيد لما وصل إليه رأس الإمام (t) حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل ، ثم لم يلبث إلا يسيراً ، حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم فندم على قتله للإمام (t)^(٢) .

والذي يظهر لنا أن يزيد كان يظهر تصرفين في آن واحد وهذا السلوك الجديد الذي صدر منه صادر عن الاندفاع الخارجي له بعيداً عن السيطرة الإرادية^(٣) .

٧. بعد دخول سبائيا أهل البيت (i) إلى مجلس يزيد وطلب الشامي أن يأخذ السيدة فاطمة بنت علي* كونها من السبائيا ، قالت له زينب : " كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله " ، فغضب يزيد وقال : " كذبت وأن ذلك لي ! ، ولو شئت أن أفعله لفعلت " (٤) ، فقالت له زينب : " كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا " (٥) .

٨. بعد وصول نبأ مقتل الإمام (t) في كربلاء أرتد من كان في المجلس وقال يحيى بن الحكم وهو من الأمويين :

لهام بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل

فأسكته يزيد وضربه في صدره^(٦) .

وهنا نقول بأن مسؤولية يزيد من هذه الفاجعة لا سبيل إلى أنكارها فهو الذي أطلق يد عبيد الله بن زياد في العراق إطلاقاً لا يدل على بعد نظر وحسن إدارة ، وهو الذي أمره بقتل الإمام (t) ان لم ينزل على يزيد .

(١) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، رسائل الجاحظ ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة / ١٩٦٤م) ، ص ١٢ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٧ .

(٣) علي كمال ، النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجها ، ط ٤ ، دار واسط للطباعة والنشر ، (١٩٨٨م) ، ج ١ ص ٨٧ .
*فاطمة بنت علي : فاطمة بنت علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ، وامها ام ولد تزوجها ، ولها رواية ، ثقة ، ماتت سنة مائة وسبع عشرة وقد جاوزت الثمانين لقبت فاطمة الصغرى . ينظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ٢ ص ٦٥٤ - الذهبي ، من له رواية في كتب السنة ، ج ٢ ص ٥١٥ - الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ص ١٣١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦١ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦٠-٤٦١ - الكتبي ، محمد بن شاعر (ت ٧٦٤هـ) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تح د. إحسان عباس ، دار صادر للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٤م) ، ج ٢ ص ٢٧٧-٢٧٨ .

مربعاً. أسباب الثورة وتنتائجها .

١. أسباب الثورة

بواعث الثورة لدى الإمام (ت) لم تبدأ في عصره وعصر خصمه يزيد ، بل كان لها جذور تاريخية بدأت منذ عهد عبد شمس وهاشم ، إذ كان بنو هاشم أخلاقيين ومحبوبين من قبل الناس بينما بنو أمية نفعيين دهاة لاسيما من كان منهم من أصل عبد شمس من الآباء^(١) ، هذا فضلاً عن أن هاشم كان دائماً يصلح الناس ما أفسده عليهم حرب وخاصة بسرقة أموال التجار اليهود بالمؤامرات^(٢) ، لذا يمكن القول أن من أهم أسباب ثورة الإمام (ت) هو ما بينه في كتابه إلى أخيه محمد بن الحنفية " وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب النجاح والإصلاح في أمة جدي محمد (ع) ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد (ع) وسيرة أبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين " ^(٣) .

والذي يستنتج من هذا أن أسباب الثورة هي :

١. أن ثورة الإمام (ت) ليس من أجل سلطة أو مال ، وإنما عمله هذا إظهار عدل الدين^(٤) ، لذلك قال من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس^(٥) .
٢. خروج الإمام (ت) بعد أن استبد بالأمر يزيد بن معاوية^(٦) .
٣. طلب الإصلاح في أمة جده محمد (ع) والتي لم يلجأ إليها سوى العقلاء من هذه الأمة^(٧) .
٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول الماوردي^(٨) أن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فعن رسول الله محمد (ع) : " ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم إلا عمهم الله بعذاب محتضر " ^(٩) وعن ابن عباس قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله

(١) بارا ، الحسين في الفكر المسيحي ، ص ١٩٥ .

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٥ ص ٧٩ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٧٣ .

(٤) المرتضى ، أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ) ، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، وبهامشه جواهر الأخبار والآثار ، تح د. محمد محمد ناصر ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ٢٠٠١ م) ، ج ٦ ص ٦٩٣ .

(٥) الطبرسي ، علي بن الحسن (ت بحدود ٦٠٠ هـ) ، مشكاة الأنوار ، المكتبة الحيدرية ، (النجف / ١٣٨٥ هـ) ، ص ٣٢ .

(٦) القلشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) ، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تح علي الخاقاني ، مطبعة النجاح ، (بغداد / ١٩٥٨) ، ص ٤٣٢ .

(٧) العاملي ، السيد جعفر مرتضى ، مختصر مفيد ، ط ١ ، المركز الإسلامي للدراسات ، (بيروت / ٢٠٠٢ م) ، ص ٦٩ .

(٨) الماوردي ، علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ) ، أدب الدنيا والدين ، ط ٤ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٧٨ م) ، ص ١٠١ .

(٩) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص ١٠١ .

بالعذاب^(١). وأن الأمر بالمعروف واجب على كل مسلم لأنها شريعة الإسلام^(٢)، ويرى ابن حزم^(٣) أن على الأمة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقول الله تعالى ((وَكَفَىٰ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ))^(٤)، ويقول ابن الاخوة^(٥) أن الإمام علي (t) قال أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فانطلاقاً من هذا حدد الإمام (t) أسباب ثورته وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥. حدد الإمام (t) بأن الإسلام أمام خطر يهدده هو الخلافة الأموية، وأنها ليست خلافة شرعية

لذلك قال: " على الإسلام السلام إذا ابتليت براع مثل يزيد "^(٦)، ويكتب الإمام (t) بذلك إلى

أهل البصرة فيقول: " أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ë) ، فإن السنة قد أميتت وان البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قلوي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد "^(٧).

وفي منطقة البيضة وضع الإمام (t) أن سبب خروجه هو السلطان الجائر حينما قال: " أن

رسول الله (ë) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ... وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله "^(٨).

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا الأمور الآتية:

١. أن الإمام (t) يعرف أن السلطان الجائر إذا لم يجد من يردعه ولو بالكلمة عن جوره ويرده إلى الصواب أزداد جوراً وطغياناً^(٩).

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن، تح صدقي جميل العطار، مطبعة دار الفكر، (بيروت / ١٤١٥هـ)، ج ٩ ص ٢٨٨ - الجصاص، أحمد بن علي (ت ٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت / ١٤١٥هـ)، ج ٣ ص ١٤ - الشيخ الطوسي، البيان في تفسير القرآن، ج ٥ ص ١٠٣ - ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري، ط ٢، مطبعة دار المعرفة، (بيروت / بلات)، ج ١٣ ص ٣ - الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٧٥هـ)، تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تح د. عبدالفتاح أبو حسن وآخرون، ط ١، مطبعة دار إحياء التراث، (١٤١٨هـ)، ج ٣ ص ١٢٥.

(٢) الخطيب، عبدالكريم، الخلافة والإمامة ديانة وسياسة، ط ١، دار الفكر العربي، (القاهرة / ١٩٦٣)، ص ٢٨٤.

(٣) ابن حزم، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح أحمد شمس الدين، ط ٢، دار الكتب العلمية، (بيروت / ١٤٢٠هـ)، ج ٣ ص ١٠٠.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

(٥) ابن الاخوة، محمد بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٩هـ)، معالم القرية في أحكام الحسبة، تح محمد محمود شعبان وآخرين، مكتبة الإعلام الإسلامي للنشر، (١٩٧٦م)، ص ٦٤.

(٦) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص ١٥ - الشيخ البحراني، عوالم الإمام الحسين، ص ١٧٥ - الأميني، السيد محسن،

لوائح الأشجان في مقتل الحسين (t)، مكتبة بصيرتي، (بلات)، ص ٢٦.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٥٧.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٤٠٣ - ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٤٨.

(٩) السجستاني، سنن أبي داود، ج ٢ ص ٣٢٥.

٢. أن الإمام (t) قد وصف سياستهم تجاه الرعية بأنها سياسة السلطان الجائر الذي أن أحسنت لم يقبل وأن أساءت لم يتجاوز ، وأن رأى خيراً دفنه وأن رأى شراً أذاعه^(٢) .
٣. أن مبدأ ثورة الإمام (t) هو مبدأ الثورة على الإمام الجائر لذلك فهو مبدأ لا غبار عليه^(٣) .

٢. نتائج الثورة

لهذه الثورة نتائج على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية ومن أهمها في الجانب السياسي :

- أ. الارتباط الوثيق ما بين صلح الإمام الحسن (t) مع معاوية وثورة الإمام (t) بسبب موقف أهل الكوفة في الحالتين كلتيهما ، لقد عاب أهل الكوفة الإمام الحسن (t) بصلحه مع معاوية ودخل عليه أحد* أشرافها فسلم عليه وقال : " السلام عليك يا مذل المسلمين !! " ^(٤) ، لأنه لجأ إلى الصلح ولم يذهب إلى الحرب . لذلك فأن ثورة الإمام (t) جاءت لتثبت وتبرهن أن الصلح لم يكن نتيجة اعتبارية وإنما بسبب معرفة الإمام الحسن (t) برجال أهل الكوفة وغدرهم^(٥) ، وانطلاقاً من هذا فقد قدم الإمام (t) نفسه وجل أهل بيته وأصحابه ليثبت بأن لو ثار الإمام الحسن (t) في الكوفة آنذاك لوجد نفس المصير الذي وجده الإمام (t) .
- ب. سياسة بني أمية وأعوانهم ليست ضد أهل البيت (i) فحسب بل هي ضد الإسلام ، وما يثبت هذا مخالفتهم للشريعة الإسلامية في عدد من الأمور فعلى سبيل المثال قتل الطفل عبدالله الرضيع ابن الإمام (t) وهو في حجر أبيه^(٦) ، في حين أن الرسول محمد (ﷺ) لم يجوز قتل الأطفال والنساء السبي من أهل الكتاب^(٧) ، إضافة إلى ظاهرة سب الإمام علي (t) التي أقرها معاوية في سياسته الدينية وسار عليها من بعده أبنه وولاته على الرغم من كثرة الأحاديث الواردة عن الرسول محمد (ﷺ) في منع سب الصحابة ، هذا فضلاً عن مسألة مهمة هي قتل السفراء لأن رسول الله (ﷺ) نهى عن قتل الرسول " لولا أنك رسول لقتلتك " ^(٨) .
- ج. إثارة الشعور بالإنتم في ضمير كل مسلم استطاع نصرة الإمام (t) ولم ينصره ، وقد كان هذا الشعور أقوى ما يكون في ضمائر أولئك الذين كفوا أيديهم عن نصره بعد أن وعدوه بالنصر وعاهدوه على الثورة لذلك كانت حركة التوابين واحدة من الحركات الشيعية التي ظهرت

(٢) الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال ، ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٣) السابعي ، ناصر بن سليمان ، الخوارج والحقيقة الغائبة ، دار المنتظر للنشر ، (بيروت / ٢٠٠٠م) ، ص ١٧٥ .

*يقال بأنه سليمان بن صرد الخزاعي . ينظر : ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٥) أختلف المؤرخون في ذلك فيرى البعض منهم أن الرجل هو أبو عامر سفيان بن ليلى ، ويرى ابن قتيبة أن سليمان بن صرد الخزاعي والذي يبدو أن الرجل هو أبو عامر لاجتماع أكبر عدد من المؤرخي عليه . ينظر : ابن شبة الكوفي ،

المصنف ، ج ٨ ص ٦٣١ - ابن عساكر ، الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) ، ترجمة الإمام الحسن (t) ، تح محمد باقر ، ط ١ ، مطبعة المؤسسة ، (بيروت / ١٤٠٠هـ) ص ٢٠٠ - ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٦) أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٩٤ .

(٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٧ .

(٨) النيسابوري ، أبو محمد عبدالله بن علي بن الجارود (ت ٣٠٧هـ) ، المننقى وبهامشه أتحاف أهل التقى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٦م) ، ص ٣٩٨ .

بالكوفة على هذا الأساس ، وليس مثلما يقول بروكلمان^(٢) بأن ميتة الشهداء التي آماها الإمام (t) لم يكن لها أثر سياسي .

د. تحطيم الإطار الديني للأمويين بأنهم يحكمون بتفويض ألهي وأنهم خلفاء رسول الله (ﷺ) حقاً ، هادفين من ذلك أن يجعلوا من الثورة عليهم عملاً محظوراً ، وأن ظلّموا وجوعوا وشرّدوا المؤمنين^(٣) ، وأن يجعلوا لأنفسهم باسم الدين الحق في قمع أي تمرد تقوم به جماعة من الناس وأن كانت محقة في طلباتها ، فمثلاً في خطبة ابن زياد مع أهل الكوفة عندما خذل مسلم بن عقيل كـ_____ أن يـ_____ لهم : " اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم " ^(٤) ، ونجد نفس الأسلوب يتكرر مرة أخرى في قول عمرو بن الحجاج الزبيدي في أصحابه وهو يعد الجنود لقتال الإمام (t) : " يا أهل الكوفة ، ألزموا طاعتكم وجماعتكم ، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام " ^(٥) . لذا فقد كان أضمن السبل لتحطيم هذا الإطار هو أن يثور عليه رجل ذو مركز ديني مسلم به عند الأمة المسلمة بأسرها ، ولم يكن هذا الرجل إلا الإمام (t) الذي فضح الزخرف الديني الذي يتظاهر به الحكام الأمويون وان يكشف هذا الحكم على جاهليته وحقيقته وبعده عن مفاهيم الإسلام .

هـ. ظهور التشيع كمبدأ باطني وليس ظاهرياً ، وأخذ دوره سياسياً بارزاً في الأحداث السياسية في خلافة يزيد^(٦) .

و. ثورة الإمام (t) روّعت العالم الإسلامي بأسره فولدت في بلاد فارس شعوراً وطنياً ساعد بني العباس من بعد على تحطيم الأمويين^(٧) .

ز. أن من قتل الإمام (t) هم أهل الكوفة ، ولم تكن هناك أي مشاركة من أهل الشام معهم^(٨) .

ح. أن الندم لا يأتي إلا بعد الخطيئة وما البكاء إلا دليل الندم ، لذا نقول بأن يزيد وأعوانه قد اخطأوا بقتل الإمام (t) فبكاء يزيد^(٩) ، وعمر بن سعد^(١٠) ، وقول شبيب بن ربعي في أمانة مصعب ابن الزبير : " لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ، ولا يسددهم لرشد ، ... ، ثم عدونا على أبنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وأبن سمية الزانية " ^(١١) .

ط. بروز الدور السياسي للإمام علي بن الحسين (t) وما خطبته في مجلس يزيد وتعريفه بأنهم أهل بيت النبوة وليسوا من الخوارج مثلما كانت أفكار معاوية في أهل الشام ضد أهل البيت

(٢) كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقلها إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، طه ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٩٦٨) ، ص ١٢٨ .

(٣) محمد مهدي شمس الدين ، ثورة الإمام الحسين (t) ، ص ٢٠٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦٧ .

(٦) عبدالله فياض ، تاريخ الإمامية منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ١٩٨٦ م) ، ص ٤٦ - عبدالله فياض ، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ، تقديم : السيد محمد باقر الصدر ، ط ٣ ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ١٩٨٦ م) ، ص ٤٦ .

(٧) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العربية ، نقله إلى العربية ، عفيف البعلبكي ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، (لبنان / ١٩٦١ م) ، ص ٩٣ .

(٨) ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣٢٠ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦١ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٧٨ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٣٦-٤٣٧ .

(i) فقال : " أيها الناس ، أنا ابن مكة ومنى وزمزم والصفاء ، أنا ابن خير من حج ، وطاف وسعى ولبى ، أنا ابن خير من حمل على البراق ، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " (٥) فخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن أن يؤذن حتى يقطع عنه الكلام .

ي. بروز دور المرأة المسلمة سياسياً وإعلامياً متمثلاً بأخت الإمام (t) زينب بنت علي حينما قامت في مجلس يزيد بإفهام الناس بأنهم ليسوا سبائاً أو خوارج فقالت له : " أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله (ﷺ) قد هتكت ستورهن وأسمعت صوتهن مكتنبات تحذي بهن الاباعر ويحدد به الأعادي من بلد إلى بلد لا يراقبن ولا يؤوين يتشوفهن الغريب والبعيد ليس معهن ولي من رجالهن " (٦) .

ونستنتج من هذا أمرين مهمين هما :

١. أن أهل بيت النبوة ليسوا سبائاً لكي يستطيع يزيد وأعوانه ان يتقاسموا السبائاً لذلك قالت له : " إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا " (٧) .
٢. أن يزيد لم يستطع أن يفعل ما يضيف إليه الحمافة أكثر فأنه قد قتل الإمام (t) قبل أيام قلائل ويأتي اليوم ويفعل أمراً لا يجوزه الإسلام .

ك. الجانب البطولي في الثورة : أصبحت ثورة الإمام (t) منار لكل الثائرين الرافضين للذل ، لذلك اقتدى بثورته حتى أعداؤه أنفسهم فيذكر الاصفهاني (٨) إن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عندما رأى كثرة الخارجين ضده ، فإنه انتضى سيفه وقاتل قتال مستقتل ، فقيل له لا تهلك نفسك ولك الأمان ، فتمثل بأبيات قالها الإمام (t) يوم استشهاده :

أذل الحياة وذلل الممات وكلا أراه طعاماً وبيلاً
فأن كان لابد أحدهما فسييري إلى الموت سيراً جميلاً

ل. الجانب الأخلاقي في الثورة : يمكن ملاحظة هذا الجانب عندما كان الإمام مطوق بألف فارس وعلى رأسهم الحر بن يزيد الرياحي وقد جاؤوا لمناجزته وإقصائه عن المدينة أو القدوم على حكم ابن زياد ، لكننا نجد الإمام (t) يأمر أصحابه " أن أسقوا القوم واروهم من الماء ورشقوا الخيول " (٩) .

م. الجانب النفسي في الثورة : أن الجانب النفسي في الثورة يتبين لنا من خلال الإمام (t) نفسه عندما خرج على يزيد فأنه كسر حاجز الخوف الموجود لدى الناس بعد عشرين عاماً من الخضوع والتسليم .

(٥) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ص ١٣٣ .
(٦) ابن طيفور ، أحمد بن ظاهر (ت ٢٨٠ هـ) ، بلاغات النساء ، دار الشريف الرضي ، (قم / بلات) ، ص ٣٥ .
(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٣٦١ .
(٨) محاضرات الأدباء ، ج٢ ص ٦٠ .
(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٤٦ .

خامساً . الخوارج وموقفهم من ابن زياد (٦٠ / ٦١هـ - ٦٧٩ / ٦٨٠م)

كان عامة أهل العراق قد انهارت آمالهم بالبيعة ليزيد لاعتقادهم أنهم سيظلون يعانون من ظلم الولاة الأمويين^(١) ، ومن بين أهل العراق من ظن ذلك الخوارج الذي بقي ابن زياد يحاربهم ويحبسهم تارة ويقتلهم تارة أخرى ، ربما بسبب ما لقي منهم في الأهواز من قتل أصحابه* مما ولد عند ابن زياد الخوف من كلامهم وأفعالهم وقد وصف ابن زياد ذلك فيذكر المبرد^(٢) انه قال : " أن يجمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع** " ، أما أفعالهم ضده فقد أشار ابن زياد إلى ذلك أيضاً حينما قال : " ما أدري ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلاً بقتل رجل منهم فتكوا بقتاله " ^(٣).

فأن انتصار الخوارج بقيادة مرداس بن أديّة على اسلم بن زرعة كما وضحنا ذلك سابقاً ، قد أثار غضب ابن زياد غضباً شديداً ، فانتدب لهم عباد بن أخضر*** ، فوجهه في أربعة آلاف^(٤) ، فاتبعه حتى لحقه بتوج**** ، فناده ابو بلال : أخرج إلي يا عباد فإني أريد أن أحاورك ، فخرج إليه فقال : ما الذي ينفع ، قال : أن أخذ بأقفاكم ، فاردكم إلى الأمير عبيدالله بن زياد أو تعرض عليك غير ذلك ، قال : وما هو ، قال : أن ترجع^(٥) ، فرفض مرداس ذلك لأنه كان يرى في كلام عباد أمرين هما :

- ١ . عودتهم إلى ابن زياد تعني أمرين بالنسبة إلى مرداس وأنصاره هما أما الحبس أو القتل ، لأنه سبق لهم أن رأوا وشاهدوا حكمه فيهم طوال سبع سنوات من حكمه بالبصرة (٥٣ - ٦٠هـ) .
 - ٢ . الرجوع إلى ابن زياد بالطرق السلمية وهذه الحالة أيضاً رفضها مرداس لأن سبب خروجهم هو سياسة الظلم والبطش وقد أشار إلى ذلك حريث بن مجل السدوسي عندما قال إلى عباد بن أخضر " أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبار عنيد " ^(٦) .
- ومن هذا نستكشف أن الخوارج وجدوا ان إمكانياتهم لا تتوافق مع طموحاتهم بالخروج مع السلطان الجائر لذلك غادروا البصرة إلى الأهواز .

(١) الراوي ، ثابت إسماعيل ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١٠٦ .

*تم الإشارة إلى ذلك في التمهيد . ينظر ص ٢٤ من الدراسة .

(٢) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٤٧ .

**اليراع : أي القصب . ينظر : الكتاني ، محمد أبين جعفر (ت ٣٤٥هـ) ، من هدى الحديث النبوي ، تح شرف حجازي ، ط ٢ ، دار الكتب السلفية ، (مصر / بلات) ، ص ١٧٢ .

(٣) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٤٧ .

***عباد بن أخضر : عباد بن علقمة بن عباد المازني المصري التميمي المعروف بابن خضر ، وهو راو ثقة . ينظر : الغطفاني ، تاريخ ابن معين ، ج ٣ ص ٨١ - المناوي ، فيض الغدير ، شرح الجامع الصغير ، ج ٥ ص ١١٧ - المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٤ .

(٤) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٠ .

****توج : مدينة بفارس قريبة من كارزون شديدة الحر لأنها في غور الأرض ، ذات نخل . ينظر : الحموي ، المعجم ، ج ٢ ص ٥٦ .

(٥) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٠ .

(٦) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥١ .

وبعد هذه المناقشات حمل عليهم أبو بلال فيمن معه ، فثبتوا واشتد القتال حتى دخل وقت العصر ، فقال أبو بلال : هذا يوم جمعة ، وهو يوم عظيم ، وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلي ، فاجابهم ابن الاخضر وتجاوزوا ، فعجل ابن الاخضر الصلاة^(١) ، والخوارج يبطنون ولا يسرعون الوقت في الصلاة ، فشد عليهم هو واصحابه وهم ما بين قائم وراكع وساجد فقتلوا من اخرهم واخذ رأس ابي بلال^(٢) ، وهكذا انتهى الامر إلى الخوارج بالمكر والخداع .

أولاً . حركة عبد الله بن الزبير

١ . جذور الحركة

بالرغم من ان حركة عبد الله بن الزبير كانت بداياتها بعد استشهاده الإمام (ت) إلا ان لها جذوراً عميقة في التاريخ السياسي لابن الزبير ، الذي كان ذا طموح ورغبة للوصول إلى الخلافة الإسلامية^(١) ، إلا ان وجود الصحابة الكبار* جعله لا يكشف عن هذه الرغبة ولكنه ظل يراقب الأحداث من منظور قريب^(٢) .

وعندما نقرأ تاريخه السياسي نجد بأنه ذو أطماع للوصول إلى الخلافة خاصة بعد أن أعطاه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) صفة الدفاع عنه يوم الدار^(٣) ، وإقراره له بأن يصلي بأهل الدار عند حصاره^(٤) ، ودوره في إقناع السيدة عائشة أم المؤمنين في المشاركة بحرب الجمل^(٥) ، وترشيحها له بأن يصلي بالخارجين على الإمام علي (ت) يوم الجمل^(٦) ، ووقوفه ضد والده الزبير بن العوام عندما أرتد عن مقاتلة الإمام علي (ت) في حرب الجمل^(٧) ، وأقنعه بالاشتراك بالحرب بعد أن يحرر مولاه

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٩٤ .

(٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص ١٥١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٩٤-٩٥ .

(٣) النجار ، محمود الطيب ، الدولة الأموية في المشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، مطبعة دار الكتاب العربي ، (مصر / ١٣٨٢هـ) ، ص ٦٧ .

*الصحابة الكبار : الإمام علي (ت) ، طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام ، سعد بن أبي وقاص ، عبدالرحمن بن عوف وهم أصحاب الشورى بعد خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ص ٦٩ .

(٤) النجار ، محمود الطيب ، الدولة الأموية في المشرق ، ص ٦٧ .

(٥) الأسدي ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٦٩ - ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص ٤٧٥ ، ج٣ ص ٦٧ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص ٤٧٥ ، ج٣ ص ٦٧ .

(٧) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص ٢٣ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ص ٢٠٩ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ص ٢٤٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج٧ ص ٢٣٩ .

سرجس^(٨) ، وفعلاً أشرتكم والده بعد تدخل عبدالله في أمره لذلك وصفه الإمام (ت) بابن السوء حينما قال للزبير " لقد كنا نعدك من بني عبدالمطلب حتى بلغ أبئك السوء ففرق بيننا " ^(٩) .

وحينما هُزمت السيدة عائشة أم المؤمنين في حرب الجمل ، انطفأت تلك الآمال الدنيوية في نفس ابن الزبير وبسبب ذلك أبتعد عن جو المعارضة ريثما يتهياً الوقت المناسب لذلك^(١٠) ، فلما جاء عهد معاوية بعد صلح الإمام الحسن (ت) وبيعة الناس له دخل ابن الزبير فيما دخل فيه الناس^(١١) ، لكن عندما أعلن معاوية البيعة بولاية العهد لابنه يزيد سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م^(١٢) ، قام ابن الزبير ورفع لواء المعارضة فيمن رفعها من أعداء الأمويين من أبناء الصحابة في المدينة والتي سبق الحديث عنها في التمهيد .

وعند وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م^(١٣) ، وتولى أبنة يزيد الخلافة رفض ابن الزبير مثلما رفض الإمام (ت) البيعة له لذلك هاجر من مدينة رسول الله إلى مكة^(١٤) ، ولزم عبدالله الحجر^(١٥) ، فـ

المعافري* ، وفي مكة وجد ابن الزبير أن منزلة الإمام (ت) أفضل من منزلته ، لذلك أدرك أنه لا يستطيع أن يمارس أي نشاط سياسي طوال فترة وجوده ، لذلك أخذ يصبر نفسه ويلقب نفسه بأنه " عانداً البيت " ^(١٦) ، لعلمه أن قدسية وحرمة البيت تحرم القتال فيها ، لذلك اتخذ شعاراً " لا حكم إلا لله " ^(١٧) .

وأخيراً نقول ان ابن الزبير كان رجلاً طموحاً يحب السلطان والمجد وليس مثلما يقول الأستاذ النجار^(١٨) ، بأنه لم يفكر إيجابياً بالخلافة إلا بعد ان أعلن معاوية البيعة لأبنة يزيد ولكن وجود الصحابة الكبار أخفى الطموح الحقيقي له .

٢. ابن الزبير والخلافة الأموية

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ص٢٤٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٧ ص٢٣٩ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ص٢٤٠ .

(١٠) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مطبعة السنة المحمدية ، (مصر / ١٩٦٤م) ، ج١ ص٤١٠ .

(١١) النجار ، محمود الطيب ، الدولة الأموية في المشرق ، ص٦٨ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٠١ - الكليني ، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ) ، الكافي ، دار الكتب الإسلامية ، (طهران / ١٣٦٥هـ) ، ج٤ ص١٥٨ - الصدوق ، محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) ، من لا يحضره الفقيه ، تح علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / ١٤٩٣هـ) ، ج٢ ص٥٣٠ - الطوسي ، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، التهذيب ، ط٤ ، دار الكتب الإسلامية ، (طهران / ١٣٦٥هـ) ، ج٥ ص٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ،

مج٤ ج٨ ص٤٥٢ - النووي ، الحاج ميرزا حسين ، مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل ، مؤسسة آل البيت (ع) ، (قم /

١٤٠٨هـ) ، ج٩ ص٣٢٠ .

(١٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥ .

(١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦ .

(١٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١-٨١هـ ، ص٥ .

* المعافري : برد باليمن منسوب الى معافر وهي قبيلة باليمن . ينظر : الشيخ الطوسي ، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، المبسوط ، تح محمد باقر ، مطبعة المكتبة المرتضوية ، (قم / ١٣٩٧هـ) ، ج٣ ص٣٦ .

(١٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٣ .

(١٧) البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، (بيروت / ١٤٢٤هـ) - الطبري ، جامع

البيان عن تأويل القرآن ، ج٤ ص٢٠ .

(١٨) النجار ، محمود الطيب ، الدولة الأموية في المشرق ، ص٦٧ .

بعد أن رفض عبدالله بن الزبير البيعة ليزيد ، وثب مروان وقال للوليد في مجلسه أضرب عنقه أن لم يبايع فإنه صاحب فتنة وشر ، فقال لهنالك يا ابن الزرقاء فاستبا فقال الوليد : أخرجهما عني^(٨) ، ثم بدأ إلحاح الوليد في طلب البيعة بإرسال الرسل إليه ، وبعد أن انصرف الرسل عنه تحمل عبدالله من ليلته وهي السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين هجرية^(٩) ، فلما أصبح الوليد في طلبه فلم يجده ، قال مروان : ما أخطأ مكة ، فوجه الوليد في طلبه حبيب بن كره مولى لبني أمية في ثلاثين راكباً من موالي بني أمية فلم يلحقوه^(١٠) ، لذلك عزل يزيد والي المدينة وعين بدلاً منه عمرو بن سعيد الأشدق^(١١) ، وبعد أن أظهر عبدالله شتمه ليزيد وفجوره وشره للخمر ، ومعرفة يزيد بذلك أقسم بأن لا يقبل منه بيعة حتى يوتى به في جامعة^(١٢) ، فقال له معاوية أبنه بأن يدفع الشر عنه ما أندفع وأن عبدالله رجل لخر* لجوج ولا يرضى بهذا أبداً^(١٣) ، حينها أدرك يزيد أن رأي أبنه صائب لذلك أرسل وفداً* إلى ابن الزبير من الشخصيات المهمة في الشام من أبرزهم النعمان بن بشير الأنصاري لغرض إقناعه بالبيعة وأنه يريد السلامة^(١٤) .

وبعد وصول الوفد إلى مكة تكلم النعمان بن بشير مع عبدالله بن الزبير في كيفية سبب يزيد ، أمام الناس وقد بايعه الناس ، فقال ابن الزبير: ان الفاسق لا غيبة له ، وما ذكرته إلا ما قد علمه الناس فيه^(١٥) ، وعندما سمع ابن عضاة الأشعري كلام عبدالله غضب عليه وقال له : تشبه نفسك بحمام الحرم وتشتم أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وما حرمة حمام الحرم يا ابن الزبير !^(١٦) ، ويبدو أن عبدالله بن الزبير شبه نفسه بحمام الحرم بسبب كونه يضرب به المثل في الأمانة والسلام^(١٧) ، ولحمام الحرم قدسية خاصة عند أهل مكة^(١٨) .

ثم أشدت الكلام ما بين ابن عضاة الأشعري وابن الزبير ، فقال ابن عضاة : " يا غلام أنتني بقوسي وسهم ! فأتاه بقوسه وسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدده نحو حمام من حمام المسجد وقال : يا حمامة أيشرب يزيد الخمر ؟ ، قولي نعم ، فوالله لنن فعلت لأرمينك ، يا حمامة أتخلعين يزيد وتفارقين أمة محمد ، وتقيمين في الحرم حتى يستحل بك والله لنن فعلت لأرمينك فقال ابن الزبير : ويحك أو يتكلم الطائر ، قال : ولكنك يا ابن الزبير تتكلم"^(١٩) .

وتدخل عندئذ المختار للدفاع عن ابن الزبير وقد كثر الكلام بينهما وتشاتما فيما بينهما ، ثم اسكت ابن الزبير المختار وبقي ابن عضاة الأشعري يتهدد وتوعد بأنه سوف يأخذ البيعة منه بالقوة ، فلم يجبه ابن الزبير إلى ما يريدون^(٢٠) .

(٨) المالكي ، العواصم من القواصم ، ص ٢٣٥ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٠ .

(١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ١٣ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٨ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ - الاصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج ١ ص ٣٣١ ، القضاء ، محمد بن عبدالله بن أبي بكر (ت ٦٥٨ هـ) ، الحلة السيرة ، تح د. حسين مونس ، ط ٢ ، دار المعارف للنشر ، (القاهرة / ١٩٨٥) ، ج ١ ص ٢٥ .

*لخر : الضيق الشحيح النفس الذي لا يكاد يعطي شيئاً فأعطى فقليل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٨ ص ٤٦ .

(١٣) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٣٠ ص ١٥٧ .

**الوفد : عبدالله بن عضاة الأشعري ، روح بن زنباخ الجذامي ، سعيد بن حمزة الهمداني ، مالك بن هبيرة السكوني ، أبو كبشة السكسكي ، زمل بن عمرو العذري ، عبدالرحمن بن مسعود ، شريك بن عبدالله الكناني ، عامر بن عبدالله الهمداني ثم بضيف إليهم البلاذري الحصين بن نمير السكوني ، مسلم بن عقبة المري ، زخر بن الحارث الكلابي ، الضحاك بن قيس ، نائل بن قيس الجذامي . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٢٠ - الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١ ص ٢٧ .

(١٤) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٦٣ .

(١٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ١٥١ .

(١٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ١٥٠ .

(١٧) الثعالبي ، عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تح محمد أبو الفضل

ابراهيم ، ط ١ ، دار المعارف ، (القاهرة / ١٩٦٥ م) ، ج ١ ص ٤٦٥ .

(١٨) الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ج ١ ص ٤٦٥ .

(١٩) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١ ص ٢٧ .

(٢٠) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ١٥٠-١٥١ .

ويتبين لنا ان سبب قوة موقف ابن الزبير هو عدم وجود بيعة سابقة له مع يزيد^(١) ، هذا فضلاً عن شعور ابن الأشدق بأن الناس في مكة قد بايعوا ابن الزبير^(٢) ، وعدم وجود حامية عسكرية أموية في مكة^(٣) .

لكن ما اغضب يزيد هو سماعه خبر عزل عامله الحارث بن خالد المخزومي* من عبدالله بن الزبير في مكة^(٤) ، لأن هذا العمل له مدلول سياسي وتشريعي بوجود شخص يقف في وجه يزيد وعدم الاعتراف الشرعي بخلافته ، لذلك كتب يزيد إلى عامله في مكة أن يبعث جيشاً لقتال ابن الزبير^(٥) ، وان يختار هذا الجيش من أهل العطاء والديوان^(٦) .

وعندما وصل الكتاب إلى الأشدق أخذ بالسؤال عن أشد الناس كرهاً وبغضاً لعبدالله بن الزبير فقليل : " أخوه لأبيه عمرو بن الزبير** " ، وكان الأمويون يكرمونه لأنه ابن أختهم^(٧) فعينه قائداً لشروطه^(٨) ، وقد رحب عمرو بهذا المنصب^(٩) ، وبدأ يتابع شيعة عبدالله بن الزبير بالمدينة وأخذ يضرب نفراً*** منهم ضرباً شديداً^(١٠) ، وفر*** منه بضع من أنصاره خارج المدينة إلى مكة بسبب قساوته^(١١) .

وبعد خروج أغلب المواليين من آل الزبير ومواليهم إلى مكة بدأ عمرو الأشدق يعد المقاتلين للخروج بجيش كثيف نحو مكة لقتال عبدالله وخرج معه سبعمائة رجل من أهل المدينة بزعامه أنيس بن عمرو الأسلمي^(١) ، وأرسل يزيد قوة من أهل الشام إلى عمرو بن الزبير يقدر بنحو ألف رجل لتعزيزه^(٢) ، وسبب هذا الإعداد استياء بعض صحابة رسول الله (ﷺ) مما حدا بهم التذكير بحرمه

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ص٢٣٩ - الاصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ج١ ص٩٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ .

* الحارث بن خالد : الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، أمه فاطمة بنت أسد بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام ، شاعر غزل من أهل مكة . ينظر : الزبير ، نسب قريش ، ج٩ ص٣١٣ - الرازي ، الجرح والتعديل ، ج٣ ص٧٣ - الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ص١٥٤ .

(٤) الزبير ، نسب قريش ، ج١١ ص٣٩٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٤٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٢ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص١٨٤ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٢٣ .

** عمرو بن الزبير : عمرو بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي ، أمه أم خالد وهي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص ، وكان من أعدى الناس لعبدالله بن الزبير . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص١٨٤ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص١٨٤ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٥٣ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص١٨٤ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٩ ص٨٤٩ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٤٤ .

*** النفر : المنذر بن الزبير ، محمد بن المنذر ، عبدالرحمن بن الأسود بن عبد ، عثمان بن عبدالله ، خبيب بن عبدالله ، محمد بن عمار بن ياسر . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٤٤ .

(١٠) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص١٨٤ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٩ ص٨٤٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٢ - ابن حجر ، فتح الباري ، ج٤ ص٣٦ .

**** عبدالرحمن بن عثمان : عبدالرحمن بن عثمان بن عمرو بن سهيل . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٤٤ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٤٤ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٤٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٢ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٩ ص٨٤٩ .

مكة)) وَمَنْ دَخَلَ هَكَذَا

آمناً^(٣) ، لذلك جاء أبو شريح الخزاعي* الصحابي وقال لعمر بن سعيد الأشدق : لا تغز مكة فأنى

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إنما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كالأمس^(٤) ، فقال الأشدق : نحن اعرف بحرمتها منك يا شيخ^(٥) .

وقبل ان يلتقي الجيشان الأموي والزبيري ، كانت هناك مراسلات بين عبدالله بن الزبير وأخيه عمرو حول البيعة ولم يتوصلا إلى حل بسبب ان عبدالله كان مدعياً بأنه تحت انطواء وأمره يزيد دون ان يبايع^(٦) ، وما صلاته خلف عمرو إلا انه سامع مطيع للخليفة ، باعتبار ان أخاه عمرو هو أحد أركان وأعوان الخليفة ، ولا يوجد خلاف على ذلك^(٧) .

وبعد ان فشلت كل الحلول بينهما التقى الجيشان وتحاربا ، فهزم جيش عمرو بن الزبير الذي كان أكثره بدلاء من العطاء وجّلهم يهودون عبدالله بن الزبير^(٨) ، وهذا قد يفسر لنا ان موقف أهل المدينة كان موالياً لعبدالله بن الزبير ، وبانتهاء الحرب استطاع عبدالله من أسر أخيه عمرو^(٩) ، وأحضر كل من لديه طلب منه لأخذ منه ما يطلبه وأودعه السجن وقيل مات بالسياط^(١٠) ، ولكن انتصار ابن الزبير على أخيه لم يكن ليغفل حقيقة مهمة هي وجود منافس له هو الإمام (ت) الذي يزيد عنه في الاستحواذ على قلوب الناس ، فقد ذكر ابن كثير الدمشقي^(١١) ، انتصر ابن الزبير على من أراد هلاكه من الزبيريين ، ومع هذا كله ليس هو معظم عند الناس مثل الحسين ، وما خرج به عبدالله من هذا الانتصار ان شوكرته قد قويت^(١٢) .

٣. بداية الحركة

(٣) سورة آل عمران ، آية ٩٧ .
*أبو شريح الخزاعي : خويلد بن عمرو بن صخر بن عبدالعزي بن معاوية بن الخترشي الخزاعي الكعبي . ينظر : الطوسي ، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، الخلاف ، تح سيد علي الخراساني وآخرون ، ط ١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (١٤١٧هـ) ، ج ٥ ص ١٥٧ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٤ ص ٣٠٥ .
(٤) الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) ، السيرة النبوية ، تح أحمد جاد ، ط ١ ، دار الغدير ، (٢٠٠٣م) ، ج ٤ ص ٥٢ - البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٣٦ - الكليني ، الكافي ، ج ٤ ص ٢٢٥ - النيسابوري ، روضة الواعظين ، ج ٢ ص ٤٠٥ - العاملي ، وسائل الشيعة ، ج ١٢ ص ٤٠٢ .
(٥) ابن هشام الحميري ، سيرة النبي (ﷺ) ، ج ٤ ص ٨٧٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٨ - ابن كثير ، إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) ، السيرة النبوية ، تح مصطفى عبدالواحد ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت / ١٣٩٦هـ) ، ج ٣ ص ٥٧٩ .
(٦) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٦٣ .
(٧) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٤ ص ٨٠٩ .
(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٤ .
(٩) الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٨ .
(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٢٢ - ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج ٤ ص ٣٦ .
(١١) البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٥٢٤ .
(١٢) القاضي ، نعمان ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، دار المعارف ، (مصر / بلات) ، ص ٢٣٧ .

انتهت ثورة الإمام (t) إلى أهل الحجاز فصدموها بها وفضعوا لها ورأوا ان يزيد أمعن في التجبر والخلاف عن أمر الله ، فلم تصبح طاعته لازمة بل أصبح الخروج عليه واجباً حين يمكن الخروج^(١) ، وقد استفاد عبدالله بن الزبير من حادث استشهاد الإمام (t) واستغله لصالحه فقد كان الإمام (t) أعظم قدراً منه عند أهل الحجاز^(٢) ، لذلك لما وصلت الأنباء باستشهاد الإمام (t) استغل ابن الزبير سخط الناس فجعل يُعظم من استشهاد^(٣) ، ويعيب أهل الكوفة بشكل خاص وأهل العراق بشكل عام^(٤) ، لكن هل كان ابن الزبير صادقاً حين ترحم على الإمام (t) وفضله على يزيد ؟ ، وهل كان جاداً حين هاجم أهل العراق لأنهم لم ينصروا الإمام (t) مع أنه أغرى أباه الزبير بقتال الإمام علي (t) في معركة الجمل !!؟

والذي يبدو ان عبدالله بن الزبير كان غير صادق النية حين ترحم على الإمام (t) لأن موقفه كان مضاداً إلى أهل بيت رسول الله (ﷺ) ^(٥) لأنه سبق ان بيتنا في ثورة الإمام (t) بأنه حاول ان يستغل الموقف لغرض تحقيق طموحه السياسي لذلك أخذ بالتشجيع على أهل الكوفة والتعرض ليزيد^(٦) . وسوف نجد موقفه البارز ضد أهل بيت الإمام (t) من خلال موقف الإمام علي بن الحسين (t) من حركة عبدالله .

أما أنه كان جاداً في مهاجمة أهل العراق بشكل عام والكوفة بشكل خاص ، فإنه في بداية حركته أستغل موقف استشهاد الإمام (t) وبدأ بخطبة مليئة بالطعنات القاتلة ليزيد بن معاوية حتى ثار جماعة من أنصار ابن الزبير بعد سماعهم لخطبته فقالوا له : " أيها الرجل أعلن بيعتك فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر " ^(٧) ، وكان ابن الزبير يدعو إلى الشورى^(٨) ، ويتظاهر للناس أنه عائد بالبيت^(٩) ، من أجل ان يستغل حرمة بيت الله في سبيل تحقيق أطماعه وأنه كان حذراً جداً من الولاة الأمويين ، وما قاله عمرو بن سعيد ليزيد عندما ذهب إليه لمعاتبته بشأن أمر عزله من ولاية

(١) أحمد إبراهيم شريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ط ١ ، مطبعة الرسالة ، دار الفكر العربي ، (١٩٦٨م) ، ص ٤٢٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٩ .

(٣) الانباري ، عبدالرزاق علي العمران ، تاريخ الدولة العربية في العصر الراشدي والأموي ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد / ١٤٠٦هـ) ، ص ١٨١ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٤ .

(٥) نوري جعفر ، علي ومناؤه ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء للنشر ، (بيروت / ١٩٨٤م) ، ص ١٤١ .

(٦) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٤٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٣ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ .

مكة " وقد كان يحذرني ويتحرز مني " ^(١) لذلك فأنه في مكة ظل يدعو بها إلى الحكم لله وإلى الشورى ومن خلال هذه النبوة استطاع ان يكسب جلّ أهل مكة إليه .

فلما أستقر عند يزيد ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة ، أعطى الله عهداً ليوثقنه في سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضة ، فمر بها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة ، فأخبر خبر ما قدم إليه وبالسلسلة فقال مروان ^(٢) :

خذها فليست للعزير بخطة وفيها مقال لأمرىء متضعف

ثم مضى من عنده حتى قدم على ابن الزبير ، وبعد ان علم بقول مروان رفض ابن الزبير وقال " والله لا أكون أنا المتضعف " ^(٣) ، في تلك الأوضاع أعلن أهل المدينة موقفهم من عبدالله فقالوا له " أما إذ قتل الحسين فليس ينازع أحد ابن الزبير " ^(٤) .

^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ .

^(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٨٣ .

^(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص١٧ .

^(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٨٣ .

ثانياً . الاتجاه العلوي وموقفه من الحركة

١. موقف المختار من حركة عبدالله بن الزبير

استطاع المختار ان يفلت من عقاب السلطة الأموية حيث شفعت له قرابته من النعمان بن بشير الأنصاري وعبدالله بن عمر* ، كما أن موقفه لم يكن جدياً يستحق عليه عقاباً صارماً^(١) .

وبعد خروج المختار من السجن غادر الكوفة إلى الحجاز بتهديد من ابن زياد^(٢) ، وعند ذلك اقسم المختار ان لا يلقي ابن زياد في موضع إلا أن يقطع أنامله واباجله وأعضاءه أرباً أرباً^(٣) ، وأن يقتل قتلة الإمام (ت) وأهل بيته " لأقتلن بقتلة الحسين - عدد القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا (ت) " ^(٤) .

ونستنتج من هذا النص أمرين مهمين هما :

١. أن المختار هو أول من رفع شعار الثأر لأهل بيت رسول الله (ﷺ) وبشكل علني في أثناء مسيره من الكوفة إلى الحجاز ، وفي أثناء محاورته مع ابن الغرق مولى ثقيف^(٥) .

٢. ربط تاريخ الإمام (ت) مع تاريخ نبي الله يحيى بن زكريا (ت) عند المختار له مدلول سياسي كون رؤوسهما علقت على باب جيرون بالشام ، لذلك فأن هدف المختار البارز هم قتلة الإمام (ت) ابن زياد وأعوانه .

بعد ان وصل المختار إلى مكة علم ان عبدالله بن الزبير كان يبايع الناس سراً ، لذلك لجأ إليه من أجل مبايعته فقال له : " أبسط يدك أبايعك ، ... ، وثب على الحجاز فأن أهلها كلهم معك " ^(٦) ، فرفض عبدالله ذلك بسبب عدم ثقته بالمختار^(٧) ، مما حدا به أن يغادر مكة إلى الطائف وهو يدرك أن عبدالله بن

*كانت صفيّة اخت المختار زوجة عبدالله بن عمر . ينظر : ابن سلام ، غريب الحديث ، ج٤ ص٢٤٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧١ .

(١) فاروق عمر فوزي ، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، ط١ ، مؤسسة المطبوعات ، (بيروت / ١٩٨٠ م) ، ص٥٢ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٤٦ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢١٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ص١٤٦ .

(٧) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج١ ص٤٠٢ - الخربوطلي ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص١٤٠ .

الزبير في حاجة إليه أكثر من حاجته إليه " وأني لما رأيته استغنى عني أحببت أن أريه أني مستغن عنه أنه والله لهو أحوج ألي مني إليه " (٨) .

وبعد مرور عام جاء المختار إلى مكة وفي أثناء وجوده في المسجد ، عرف ان أهل الشرف وبيوتات العرب من قریش والأنصار وثقيف قد بايعت ابن الزبير (١) ، لذلك قدم المختار إلى ابن الزبير وسأومه على ان يبايعه ويناصره على إلا يقضي ابن الزبير أمراً دونه وعلى أن " أكون أول من تأذن له وآخر من يخرج عنك ، فإذا أظهرك الله على يزيد بن معاوية فاستخلفني على أجل أعمالك " (٢) .

والذي نستنتج من هذا النص أمران مهمان هما :

١. أن يكون المختار هو نائبه في الوقت الحاضر بمكة .
٢. تولية المختار أفضل مصر من الأمصار إذا انتصر ابن الزبير على يزيد بن معاوية وبسبب حاجة ابن الزبير إلى خدمات المختار فأنه وافق على شروطه لذلك وقف المختار معه وأبلى في قتال الحصين بن نمير السكوني عند حصاره لابن الزبير في مكة بلاءاً عظيماً (٣) ، وباعتراف ابن الزبير حينما وصفه قائلاً : " أني لم أر أشجع منه قط " (٤) ، ولكن حينما مات يزيد وباع أهل الأفاق عبدالله بن الزبير عدا الأردن (٥) ، لم يجد المختار عهد ابن الزبير له ، فأدرك المختار بأن ابن الزبير لم يوله على أي مصر من الأمصار لذلك فارقه إلى العراق حين علم باضطراب الأوضاع السياسية فيه في أول خلافة ابن الزبير (٦) .
- ويتبين لنا ان ابن الزبير كان يماكر المختار ويتخوف منه لذلك لم يستخلفه على أي مصر من الأمصار وما قاله ابن الزبير لصفوان في حق المختار عند الطواف حول البيت إلا دليل على ذلك " أنظر إليه فوالله لهو أحذر من ذنب قد أطافت به السباع " (٧) .

٢. موقف الإمام علي بن الحسين (ت)

لا توجد روايات كافية صادرة عن الإمام علي بن الحسين (ت) تلقى ضوءاً على طبيعة موقفه من حركة ابن الزبير ، إنما ثمة رواية واحدة أطلق الإمام علي بن الحسين (ت) فيها وصف الفتنة على حركة ابن الزبير لأنه يدرك أنه ما كان يصبو من ورائها إلا المجد والسلطان (٨) لذلك كان يتخوف منها .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .
 (١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .
 (٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص١٤٨-١٤٩ .
 (٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .
 (٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٤٩ .
 (٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٥٩ .
 (٦) عبدالوهاب ، سلمان بن عبدالله بن محمد (ت ١٢٣٣هـ) ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، مكتبة الرياض الحديثة ، (الرياض / بلات) ، ج١ ص٣٢٩ .
 (٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٧٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ .
 (٨) المروزي ، نعيم بن حمادة (ت ٢٨٨هـ) ، الفتن ، تحقيق سمير امين الزهيري ، ط١ ، (القاهرة / ١٤١٢هـ) ، ص٥٥ - ابن عساكر ، علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) ، ترجمة الإمام علي بن الحسين (ت) ، محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (إيران / ١٤١٣هـ) ، ص٤٩ - تاريخ دمشق ، ج٤ ص١٦٥ - الشافعي ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ،

أما أسباب في عدم بيعته له أو مشاركته في الحركة رغم أنها كانت ضد بني أمية فهي :

١. أن الإمام علي بن الحسين (t) قد تنكب طريق السياسة بمعنى السعي وراء السلطة ، وأثر اتجاهات أخرى منها تعميق مفهوم الإمامة ، وتحصين الأمة من الاتجاهات الدنيوية المنحرفة ، وتربية القواعد الموالية للإمام من أهل البيت^(١) .
٢. اضطراب الأحوال السياسية في العالم الإسلامي حيث كان يلي السلطة في الشام الأمويون وفي مكة عبدالله بن الزبير ، وقد امتد هذا الصراع العنيف إلى سنة ٧٣هـ / ٦٩٣م سنة وفاة ابن الزبير^(٢) ، لذلك لم يشترك بها .
٣. أن أهل بيت الرسول محمد (ﷺ) أخذوا جانب الحياد بين التيارات السياسية لمعرفةهم بأن هذه الأطراف تحب السلطة والملك وما قتالهما داخل المدن المقدسة (مكة والمدينة) إلا دليل على ذلك .

والذي يمكن الاستنتاج فيه هو ان الإمام علي بن الحسين (t) قد ابتعد عن طريق السياسة^(٣) بسبب ما شاهده من قتل لأهل بيت النبوة أمام عينيه ، إضافة إلى ان الإمام علي بن الحسين (t) استخفى بالإمامة مع من اتبعه من المؤمنين^(٤) وهذا يعني ان الإمام تجنب كل ما من شأنه ان يصدع وحدة الأمة متجاوزاً جراحه وجراح الهاشميين العلويين في فاجعة كربلاء متعالياً على الواقع السياسي^(٥) .

أما موقف محمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس فهما أيضاً لم يشتركا في الحركة ولم يبايعا ابن الزبير وقالوا : أنهما يبايعانه عندما تكون هناك بيعة عامة من قبل الناس^(٦) ، ويعتل المبرد^(٧) ذلك ان ابن الزبير كان يظهر الغيظ لابن الحنفية بسبب كرهه لأهل بيت رسول الله محمد (ﷺ) إضافة إلى حسده ابن الحنفية لقوته وكان ابن الزبير يكره الحديث في هذا الأمر ويرتعد منها ، فيذكر المبرد^(٨) انه كلما

ص ٢٧١ - الشبراوي الشافعي ، عبدالله بن محمد بن عامر (ت ١١٧١ هـ) ، الاتحاف بحب الاشراف ، المطبعة الادبية ، دار النخائر للطبع (قم / بلاط) ، ص ١٣٧ .

(١) الساعدي ، نوري حاتم ، دراسات سياسية في حياة الإمام السجاد (t) ، ط ٢ ، مطبعة غدير ، جامعة الإمام الباقر

(t) للعلوم الإسلامية ، (١٤٢٥ هـ) ، ص ١٧٢ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٥٥ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٢١٧ - دكسن ، عبدالأمير ، الخلافة الأموية ، ط ١ ، دار النهضة العربية للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٣) ، ص ٦٢ .

(٤) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) ، اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب (t) ، مطبعة ثامن الأئمة ، ط ٣ ، دار انصاريان للنشر ، (قم / ٢٠٠١ م) ، ص ١٧١ .

(٥) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الإسلام ، ط ٣ ، دار الثقافة للطباعة ، (قم / ١٩٩٢ م) ، ص ٣٨٦ .

(٦) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٣٠ ص ١٥٥ - الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير ، ص ٣٥ - سير اعلام النبلاء ، ج ٤ ص ١١٨ .

(٧) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٩ .

(٨) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٩ .

ذكر حريث بن أبي نديبة عن ابن عباس في ذكر الاشبيلي^(٢) ان سبب عدم بيعة ابن عباس لابن الزبير هو أن ابن عباس وجد بني أمية وابن الزبير قد اخلوا القتال داخل الحرم بينما امتنع هو عن ذلك ، إضافة إلى حقد ابن الزبير عليه وقد عبر عن ذلك الحقد حينما قال لابن عباس " أني لا أكتم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة " (٣) لذلك خطب أربعين جمعة لا يصلي على النبي محمد (ﷺ) وقال : لا يمنعي أن اصلي عليه إلا ان تشمخ رجال بانافها^(٤) .

والذي يبدو ان هذا الحقد والكره لآل الزبير ضد بني هاشم بدأ بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد عبر الخليفة عمر (رضي الله عنه) عن ذلك حينما قال لابن عباس " كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً* بجحاً ، فاخترت قريش لنفسها فأصابها ووفقت " (٥) ، لذا فالذي يبدو ان أهل البيت (i) كانوا يدركون ما يحمل ابن الزبير من حقد ضدهم لذلك لم يبايعوه ، ولم نجد رواية واحدة تؤكد بيعة شخصيات أهل البيت (i) لعبدالله بن الزبير لسببين هما :

١. أن أهل البيت (i) كانوا يرون أنفسهم أفضل من آل الزبير في تمثيل الخلافة^(٦) حتى ابن الزبير كان يدرك ذلك لذلك كان حاسماً شديداً جدياً في أخذ البيعة منهم لأنهم لا يمثلون الحجاز فقط بل يمثلون اغلب الموالين لهم من أهل العراق واليمن ، هذا فضلاً عن ان بيعتهم تعني إضافة الصفة الشرعية لها^(٧) لذلك نجده يتابعهم ويسجنهم*** ويضيق الأرض من اجل اخذ البيعة^(٨) وما خروج محمد بن الحنفية إلى الطائف^(٩) ومراسلة عبدالله بن عباس إلى مروان بن الحكم بالشام لغرض الأمان إلا دليل على هذا الضغط^(١٠) ، لكن بالرغم من هذا الضغط فأنهم لم يبايعوا^(١١) .

*أفكل : رعدة تعلق الإنسان من خوف أو برد . ينظر : أبن أبي شبيب الكوفي ، المصنف ، ج ٨ ص ٦٨٥ - الجوهرى ، الصحاح ، ج ٥ ص ١٧٩٢ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٣ ص ٤٦٦ .

(٢) عبدالحق بن عبد الرحمن (ت ٥٨٢هـ) ، الجمع بين الصحيحين ، تح طه علي ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت ٢٠٠٣م) ، ج ٤ ص ٥٤٣ .

(٣) الجوهرى ، أحمد بن عبدالعزيز (ت ٣٢٣هـ) ، السقيفة وفدك ، تح محمد هادي الأميني ، ط ٢ ، شركة الكتبي ، (بيروت / ١٤١٣هـ) ، ص ١٣١ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٩ - الطبري ، محمد بن جرير بن رستم (اوائل القرن الرابع الهجري) ، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين ، تح أحمد المحمودي ، ط ١ ، مطبعة سلمان الفارسي ، (قم / بلات) ، ص ٦٨٤ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٢٨ - اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٨٢ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٩ .

**بجحاً : معجبات بمكانهن . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ص ٨٠١ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٣ ص ٣٠٥ . (٥) الأزدي ، الفضل بن شاهان (ت ٢٦٠هـ) ، الإيضاح ، تح جلال الدين الحسيني ، (بلات . ط) ، ص ١٦٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٦٣ .

(٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ .

(٧) شريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني ، ص ٤٣٩ .

***سجن آل بيت الرسول في سجن زمزم . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٠ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٠ .

(٩) ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، المعارف ، تع محمد إسماعيل ، ط ١ ، المطبعة الإسلامية ، (مصر / ١٣٥٣هـ) ، ص ٩٥ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٤ .

(١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٤ .

٢. ان شخصية ابن الزبير نفسها لا تتوافق مع سيرة ومنهج أهل بيت الرسول محمد (ﷺ) كونه

شخصية ذات طابع حاد تسعى لتحقيق أهدافها بكل ثمن ومن هذا نكته شروط البيعة مع المختار بن أبي عبيدة الثقفي حينما بايعه في الحجاز^(٤).

ثالثاً . الخوارج وموقفهم من الحركة

١. الخوارج والتحاقهم بعبد الله بن الزبير

شهدت الدولة العربية الإسلامية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م ، تلاهماً مشتركاً للقوى السياسية المناوئة للخلافة الأموية ، وهناك اتفاق شبه مطلق بين المؤرخين في أمر هذا التلاحم فيرى قسماً منهم^(١) ان سياسة القسوة والظلم والقتل على الظن التي اتبعها عبيدالله بن زياد ضد اهل العراق عامة والخوارج خاصة كانت من أول أسباب خروج الخوارج من العراق إلى الحجاز ، بينما يرى القسم الآخر^(٢) منهم ان خروج خوارج اليمامة من أصحاب نجدة بن عامر إلى مكة من اجل منع أهل الشام من ضرب بيت الله ، لكن يرى الآخرون^(٣) ان نافع بن الأزرق قال لأصحابه " فأخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل ، فأن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو ، وان يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا " .

اما الكتاب المحدثون فيرى السابعي^(٤) ان الحوادث التي ارتكبها بنو أمية وولاتهم سبب مقتع وكاف لثورة جميع التيارات عليهم واقرب مثال يجمع بين التيارات المختلفة في التصدي لبني أمية هو الدفاع عن الكعبة المشرفة ، أما الرئيس^(٥) فيرى ان خروج الخوارج إلى ابن الزبير هو خروج للجهاد ، لكن السيد أبو النصر^(٦) يقول ان خروجهم إلى ابن الزبير كونهم يجمعون على محاربة الإمام الجائر ، فقد رحلوا يصدون هذا الجيش عن اقتحام مكة إلى بلد الله الحرام ، أما السيد الاعظمي فيرى^(٧) ان سبب

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٥ .

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٩٤ - الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٧٠ - النويري ، نهاية الأرب ، ج٢٠ ص٥٢١ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٩٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٥ .

(٤) الخوارج والحقيقة الغائبة ، ص١٧٥ .

(٥) ضياء الدين ، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، ط٢ ، مطابع سجل العرب ، (١٩٦٩م) ، ص١٤١ .

(٦) عمر ، الخوارج في الإسلام ، مكتبة المعارف ، (بيروت / ١٩٥٦) ، ص٤٨ .

(٧) علي ظريف ، مختصر تاريخ البصرة ، مطبعة الفرات ، (١٩٢٧م) ، ص٣٤ .

خروجهم كان نتيجة حادثة كربلاء ، بينما يرى السيد الشورتاني^(٨) ان الخوارج كانوا يريدون عمل تحالف قوي ضد الخلافة الأموية ، فأرادوا كسب ابن الزبير لصفهم بسبب كثرة مؤيديه وإلا لماذا حاججوا ابن الزبير بعد انتهاء الحرب وانسحاب أهل الشام ، لكن منيرة العزاوي^(٩) تقول ان الخوارج وجدوا لهم متنفساً لتحقيق أهدافهم .

والذي يبدو لنا أن الرأي الثالث هو الأصوب بسبب : ان خروج الخوارج من البصرة إلى مكة كان لهدفين أولهما هو الدفاع عن حرمة البيت فيذكر البلاذري^(١٠) ان الخوارج كانوا يقاتلون مع ابن الزبير نصرته للبيت وذنباً عنه إذ تعوذ به فلما رماه أهل الشام ازدادوا عليهم حقناً ، وثانيهما عسى ان يكون ابن الزبير على رأيهم وبهذه الحالة يكون توحدهم ضد ساسة بني أمية ، لكون الطرفين من الكارهين للخلافة الأموية .

والسؤال هو كيف كان استقبال عبدالله بن الزبير للخوارج ؟

في رحاب مكة انضم الخوارج إلى عبدالله بن الزبير الذي سَرَّ بمقدمهم ورَحَّبَ بهم وأظهر أنه على رأيهم^(١١) ، لكن لم يكن ترحيبه بهم هذا إلا عملاً سياسياً وطمعاً بمعاونتهم له ضد الأمويين ، والدليل على هذا عندما عوتب على استعانته بالخوارج وهم الذين قاتلوا أباه وخرجوا على الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)^(١٢) ، أجابهم مبرراً ذلك : " لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشام لشايعتها " ^(١٣) ، وفي كلام آخر : " لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم " ^(١٤) ، وحارب الخوارج إلى جانب ابن الزبير بعد ان عَزَفَوه بأنفسهم^(١٥) ، ودافعوا عن الحرم بكل بسالة نصرته للبيت^(١٦) إلى ان جاء نعي يزيد ، وانصرف أهل الشام عن مكة^(١٧) .

ثم اجتمع الخوارج فيما بينهم واخذوا يتساعلون كيف يقاتلون مع رجل لم يتأكدوا من نواياه ، فاستقر رأيهم ان يمتحنوه قبل الاستمرار في تأييده والمحاربة إلى جانبه^(١٨) ، فاجتمعوا بعبدالله بن الزبير وسألوه عن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وسيرته وموقفه منه^(١٩) .

وكان لهذا السؤال أثره المهم في افتراق الخوارج عن عبدالله بن الزبير فيذكر المبرد^(٢٠) إنهم قالوا له : " ماذا تقول في عثمان الذي أحمى وأوى الطريد وأظهر لأهل مصر شيئاً كتب بخلافه وأوطأ إلى أبي معيط رقاب الناس وأثرهم بقيء المسلمين " ^(٢١) ، فكانت إجابته لهم بأن ذكر عثمان في السنين

(٨) قحطان عدنان بكر ، تطور الفكر السياسي لحركة الخوارج ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الأداب ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٢م) ، ص ١١٤ .

(٩) الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، ص ١٠٢ .

(١٠) انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٨ .

(١١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٢٦٢ - المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٥ .

(١٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٦٥ .

(١٣) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٦٨ .

(١٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٤٩ .

(١٥) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٩ - الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي ، ص ٧٣ .

(١٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٨ .

(١٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٥ - ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ .

(١٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٥ - ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ .

(١٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٦ - ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ .

(٢٠) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٦٥ .

(٢١) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٦٧ .

الأوائل من خلافته ثم وصلهم بالسنين التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وخبرهم انه آوى الحكم بن العاص بإذن رسول الله (ﷺ) .

ومن خلال الإجابة عن بعض أسئلة الخوارج مع ابن الزبير تبين ان ابن الزبير نفسه لم يكن راضياً عن استمرار وجودهم بين عسكره خصوصاً بعد ان تأكد له عدم إخلاصهم له وإنهم يقاتلون إلى جانبه حباً للحرم الشريف ، نكايه بأهل الشام ليس غير^(١) ، وربما جاء هذا الإحساس بعد ان عاشروهم طوال فترة حصار الكعبة الأول فوجدتهم أنهم غير أتباعه ولا ناصريه لذلك جاءت فرصة السؤال عن موقفه من الخليفة عثمان (رضي الله عنه) هي الأمر الذي كان يتوقعه منهم عبدالله لغرض التخلص منهم^(٢) .

٢. ابن الزبير وحصار الكعبة

بعد قدوم المسور بن مخرمة الزهري* الذي كانت له صحبة^(٣) ورواية^(٤) إلى عبد الله بن الزبير واعلمه ما جرى للمدينة وأهلها وما نيل منهم أيقن عبد الله ان مسلم بن عقبة المرى بعد ان فرغ من المدينة نازل به فاخذ يعد ويستعد لملاقاته^(٥) وفعلاً ما أيقن به حصل ، إذ بدأ الأمويون بعد أن اشفي غليلهم من أهل المدينة بالزحف على مكة حيث عبد الله بن الزبير قد بويع بالخلافة^(٦) ، لذلك تخوف وندم والي مكة** من الخليفة يزيد على انحيازه إلى عبد الله فكتب إليه : " أصلح الله الأمير أتاني بما لا قبل لي به فأنحزت " ^(٧) ، ورد عليه مسلم بن عقبة " ... ، ما أبالي على أي جنب سقطت ، إلا ان أشرهما لك احبهما لي " ^(٨) ، وفي ظل هذه الأوضاع التحقت بعبدالله بن الزبير جماعات ممن بقى من أشرف أهل المدينة^(٩) ، ثم يذكر البلاذري^(١٠) " ان النجاشي أرسل مائتي رجل إلى عبدالله بن الزبير " ،

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٥ .

(٢) ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٠٦ .

*المسور بن مخرمة : المسور بن مخرمة بن نوفل بن أصيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب يكنى أبا عبد الرحمن ، أمه عاتكة بنت عوف بن عبدالحارث ، وقد حفظ الحديث عن رسول الله (ﷺ) ولما توفي الرسول كان عمره ٨ سنوات . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٢١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٢ - أبو الحسين ، عبد الباقي بن قانع بن مرزوق (ت ٣٥١هـ) ، معجم الصحابة ، تح صلاح بن سالم ، ط ١ ، دار مكتبة الغرباء الاثرية ، (المدينة المنورة / بلات) ، ج ٢ ص ٢١٩ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ١٢٩ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٦٤ - ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ ص ١٢١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٣) ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ ص ١٢١ .

(٤) الواسطي ، أسلم بن سهل (ت ٢٩٢هـ) ، تاريخ واسط ، تح كوركيس عواد ، ط ١ ، دار عالم الكتب ، (بيروت / ١٤٠٦هـ) ، ج ١ ص ٥٠ - ابن حبان ، محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ) ، مشاهير علماء الامصار ، تح مرزوق علي إبراهيم ، ط ١ ، دار الوفاء ، (١٤١١هـ) ج ١ ص ٢١ - الطبرسي ، أحمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٦٤هـ) ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ، تح عيسى عبدالله محمد ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت / ١٩٩٦م) ، ج ٢ ص ٣٦ - الذهبي ، محمد بن أحمد بن قايمار (ت ٧٤٨هـ) ، المعين في طبقات المحدثين ، تح د. همام عبد الرحيم السعيد ، ط ١ ، دار العرفان للنشر ، (عمان / ١٤٠٤هـ) ، ج ١ ص ٢٦ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٢ - الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٢ .

(٦) السيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٩٤ .

**والي مكة : يزيد بن خالد بن المخزومي . ينظر : ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(٧) ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، عيون الأخبار ، تح د. مفيد محمد ، ط ٣ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤٢٤هـ) ج ١ ص ٢٩٥ .

(٨) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٢ ص ٨٩٦ .

الذي استقبلهم وضمهم إلى أخيه مصعب ، بالإضافة إلى التحاق الخوارج الازرقاة* والنجداث** الذين جمعهم رجاء النميري وقال لهم ، ان أهل الشام ساروا إلى المدينة ولاشك أنهم يأتون مكة ان ظهرُوا وغلبُوا على أهل المدينة فأخرجوا بمنع مكة ونقاتل عن حرم الله^(٤) ، والذي يبدو ان تجمع هذه التيارات السياسية مع عبدالله بن الزبير كانت لغرض أساسي هو الدفاع عن الحرم .

وبعد ان هزم مسلم بن عقبة المري أهل المدينة وأباحها ذهب بمن معه من الجند متوجهاً إلى مكة^(٥) ، واستخلف روح بن زنباع الجذامي*** ، فلما انتهى إلى المشلل**** ، نزل به الموت^(٦) ، إلا أنه أحضر الحصين بن نمير السكوني***** وحذره من ان يقرب قرشياً منه^(٧) ، وقال له " يابن بردعة الحمار***** لو كان الأمر إلي ما وليتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك "^(٨) .

ويتبين لنا من خلال هذا النص ان العلاقة بين قائد الجيش الأموي ونائبه كانت غير طيبة إلا أنهم كانوا محبين للخلافة الأموية وكارهين لأهل المدينة ومكة ، وما وصية مسلم المري إلى الحصين السكوني إلا برهان لهذا الكره حينما قال : " أسرع السير وعجل الوقاع ، وعم الأخبار ، ولا تمكن قرشياً من اذنك "^(٩) ، هذا فضلاً عن ان مسلم قد علم من خلال عيونه في مكة وضعية وصفات المقماتلين فيها ، لذلك نصح الحصين قسماً له : " أعلم أنك تقدم قوم لا منعة لهم ولا عدة ولا سلاح ولهم جبال مشرفة عليهم ، فانصب عليهم المجانيق* فان عاذوا بالبيت فأرمه فما أقدرك على بنائه "^(١٠) .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٥٨ .
 *خوارج الازرقاة : أصحاب أبي راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز فغلبوا عليه .
 ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص٥٢ .
 **خوارج النجداث : اصحاب نجدة بن عامر الحنفي وكان من شأنه أنه خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحق بالازرقاة . ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص٥٣ .
 (٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٩٥ .
 (٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٣ .
 ***روح بن زنباع : روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي أبو زرعة أمير فلسطين ، وسيد اليمانية في الشام .
 ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ص٣٤ .
 ****المشلل : جبل يهبط منه الى قديد من ناحية البحر . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص١٣٦ .
 (٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٣ .
 *****الحصين بن نمير : الحصين بن نمير بن نائل بن لبيد بن جعفة بن الحارث بن سلمة بن شكامة بن السكون وهو ليس صاحب شرطة ابن زياد مثلما يذهب اليه الأستاذ ماجد عبد المنعم في كتابه التاريخ السياسي . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٤٢٩ - ماجد عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة الاموية ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة / ١٩٥٧م) ، ج٢ ص٨٨ .
 (٧) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ص٧٢٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٣ .
 *****بردعة الحمار : كنية للتحقير ، الحلس الذي يلقي تحت الرجل وخص به بعضهم الحمار . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ص٣٨٠ .
 (٨) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦١ ص٨٣ .
 (٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٣ ، يذكر كلمة الناجزة بدلاً من كلمة الوقاع .
 *المجانيق : مفرد ما منجنيق ، وهي آلة من آلات الحرب القديمة استخدمها اليهود قبل ان يستخدمها العرب المسلمون .
 ينظر : الاسترأبادي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج١ ص٢٦٢ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٥ ص٥٨ .
 (١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص١٤٧ .

ويبدو ان هناك أمراً من مسلم المرى للحصين السكوني بهدم الدور والكعبة في مكة لأن المنجنيق ينصب لتدمير الأبنية والحصون^(٣) كما هو معروف .

فنزل الحصين ظاهر مكة وخرج إليه عبدالله بن الزبير في أهل مكة ومن التفّ معه فاقتتلوا عند ذلك قتالاً شديداً ، وتبارز المنذر بن الزبير** ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد منهم صاحبه^(٤) .

وفعلأ أخذ الحصين بوصية مسلم فقد نصب المجانيق^(٥) ، والعرادات** ، على أبي قبيس**** وعلى قيقعان***** ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وخرق الحيز^(٦) ، وغير ذلك من المحروقات ، فلم يستطع أحد ان يطوف بالبيت^(٧) ، وهذا يدل لنا بأن الأمر كان شديداً على أهل مكة وأنصار ابن الزبير وأتصل الأذى بالأحجار والنار والسيوف لذلك قام عبدالله بن عمير الليثي قاضي عبدالله بن الزبير بدعوة أهل الشام إلى الكف عن رميهم وضرب حرم بيت الله حينما يتوقف القتال في بعض الأوقات ، فيقول أهل الشام إنها الطاعة غلبت الحرمة ، وقد وصف يزيد بن عبيد السلمي السعدي* هذه الهجمات من خلال أبياته^(٨) :

أبن نمير بنس ما تولى قد أحرق المقام والمصلى

وبسبب شدة رمي وضرب الأحجار فأن الزبير قد اسند الحرم بألواح من ساج على البيت وألقى عليها الفرش والقطائف** وعمل له فسطاطاً في ناحية فكلما جرح رجل من أصحابه أدخله ذلك الفسطاط^(٩) ، واستمر الحصار أربعة وستين يوماً^(١٠) ، واستمر أهل الشام بحربهم ضد ابن الزبير أربعين يوماً بعد وفاة يزيد ولم يعلموا وقد حاصروهم حصاراً شديداً وضيقوا عليهم ، ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه ولم يبلغ الحصين بن النمير وأصحابه ، فصاح بهم عبدالله " أن طاعتكم قد هلك "^(١١)

(٣) السرخسي ، محمد بن أبي سهل (ت ٤٨٣هـ) ، المبسوط ، تح جمع من الأفاضل ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / ١٤٠٦هـ) ، ج ٢٦ ص ١٢٣ .

**المنذر بن الزبير : المنذر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزي بن قصي وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، من وجوه قريش وشجعانها ، وكان معاوية قد أوصى ان يحضر المنذر غسله عند موته لمكانته في صدر الدولة الاموية . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢٩٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٧ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٢ .

(٥) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ - الكليني ، الكافي ، ج ٢ ص ٦٤ - الشامي ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ) ، سبل الهدى في سيرة خير العباد ، تح عادل أحمد عبدالموجود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / بلات) ، ج ١ ص ٢٢٣ .

***العرادات : جمع عرادة وهي آلة من آلات الحرب التي استخدمها العرب قبل الإسلام وهي منجنيق صغير ، يرمى بها الحصون والثغور . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج ٢ ص ٥٠٨ - أبين البراج ، القاضي عبدالعزيز (ت ٤٨١هـ) ، المهذب ، تح الشيخ السبحاني ، جامعة المدرسين ، (قم / ١٤٠٦هـ) ، ج ١ ص ٣٠٢ - السمعاني ، الانساب ، ج ٤ ص ١٧٢ - أبين أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٨ ص ١٩١ .

****أبي قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٠٨ .

*****قيقان : جبل بمكة قيل سمي بهذا الاسم لأن جرهم لما تحاربوا أكثرت قعقة السلاح هناك . ينظر : أبين الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٤ ص ٨٨ .

(٦) ابن طاووس ، علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ) ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، ط ١ ، مطبعة الخيام ، (قم / بلات) ، ص ١٦٦ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٥ .

*يزيد بن عبيد : يزيد بن عبيد السلمي السعدي ، أبو وجزة ، شاعر محدث مقرئ من التابعين ، اصله من بني سليم .

ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ج ٨ ص ٥٦٣ .

(٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٢ .

**القطائف : مفردا قطيفة ، دثار مخمل وقيل كساء له خمل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ٤٢٤ .

(٩) أبين عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٢ .

(١٠) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٨٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠١ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٦٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٧ .

أما مسألة احتراق الكعبة نتيجة الحصار الذي فرضه ابن السكوني على ابن الزبير في مكة فقد اختلفت الآراء بذلك فيذكر قسماً منهم^(٥) ان سبب احتراق الكعبة هو ان رجلاً من أهل الشام قد جاء بنار في طرف سنانها فأشعلها في الفسطاط وكان يومها شديد الحر فتحرق الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب والسقف وانصدع الركن واخرقت الأستار وتساقط على الأرض ، أما البلاذري^(٦) فيقول ان رجلاً من أصحاب الزبير يقال له مسلم اخذ ناراً في ليف على رأس رمح في يوم ريح فطارت شررة فتعلقت بأستار الكعبة فأحرقتها ، بينما يرى القسم الآخر^(٧) بأن أهل الشام رموا البيت بالمنجنيق وحرقوه بالنار وهناك رأي آخر^(٨) يقول بأن ابن الزبير قد سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء فظن أنهم أهل الشام ، فرفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء على الجبل فطارت الريح شرارة من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من الكعبة فعلمت أستارها وأخشابها فاحترقت .

ونرى إن الرأي الثالث هو الأكثر صواباً للأسباب الآتية :

١. إجماع اكبر عدد من المؤرخين على ان حرق الكعبة جاء نتيجة رميها بالمنجنيق ، وان الغرض من نصب المنجنيق هو تدمير الحصون والأبنية والثغور بالإضافة إلى الحرق^(٩) .
٢. رمي الكعبة بالمنجنيق والعرادة فترة أربعة وستين يوماً تعد كافية لحرق الكعبة خاصة إذا ما عرفنا طبيعة تكوين هذه الآلات من مواد نفطية وقماش هذا فضلاً عن وجود الفرش والقطنائف التي هي أصلاً داخل الكعبة ، لذا يبدو ان إحراقها بالمجانيق والعرادات يكون أكثر من نار شرارة الرمح في جو عاصف .

وخرج من هذا الحصار بنتائج مهمة هي :

١. عدم وجود حرمة للاماكن المقدسة (المدينة ، مكة) في سياسة يزيد وأعوانه من القادة ، وقد أشار الجاحظ^(١٠) إلى ذلك عندما قال : " كيف تقومون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام وقبله المسلمين ، فإن قلتم ليس ذلك أرادوا ، بل أنما أرادوا التحرز به والمتحصنين بحيطانه ، أفما كان من حق البيت وحريمه ان يحصروه فيه إلى ان يعطي بيده ، وأي شيء يقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدميه " .
٢. توافق طموحات يزيد وأشراف أهل الشام ضد العادات والتقاليد العربية الخاصة بحرمة البيت قبل الإسلام وبعده لان العرب القدماء كانوا لا يقتلون عدوهم داخل حرم البيت الشريف^(١١) .
٣. قتل عدد من صحابة رسول الله (ﷺ) بسبب قصف الكعبة بأحجار المنجنيق ومن أبرزهم هو المسور بن مخرمة الزهري الذي أصابته الحجر وهو يصلي وتوفي بعد ضربه بالحجر بخمسة أيام^(١٢) .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٤٧ - ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٩٠ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٤ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٢ .

(٦) انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٥ .

(٧) البعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ١٩٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٨ - ابن اعثم الكوفي ، مج ٣ ص ١٦٤ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٤ - ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٨٧ - الفلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٨ .

(٩) السرخسي ، المبسوط ، ج ٢ ص ١٢٣ - الكاشاني ، أبو بكر بن مسعود (ت ٥٨٧ هـ) ، بدائع الصنائع ، مكتبة الحبيبية ، (باكستان / ١٤٠٩ هـ) ، ج ٧ ص ١٠٠ .

(١٠) رسائل الجاحظ ، ص ١٢-١٣ .

(١١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٥ ص ٦١ .

٤. التعمد بإبقاء الكعبة محترقة فقد ذكر ابن الأثير^(٥) في الكامل ان البخاري في صحيحه قال ان ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة ليحرضهم على أهل الشام .
٥. هدم الكعبة بسبب ميلان جدرانها وإعادة بنائها من ابن الزبير وهو أول من كساها^(٦) .

مربعاً. الأوضاع السياسية بعد وفاة يزيد بن معاوية

١. الحصين بن نمير السكوني وموقفه من ابن الزبير

وجاءت الأخبار بوفاة يزيد ، فاضطرب أمر جند الشام وبخاصة بعد ان بلغتهم أخبار تفرق الأمر في الشام^(١) ، فشرع الحصين في مفاوضة ابن الزبير على ان يبايع له بالخلافة فقال له " إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر هلم فلنبايعك ثم أخرج معي إلى الشام " ^(٢) ، ويرى السيد القيسي^(٣) أن ابن السكوني أراد مبايعة الزبير بسبب وجود الفراغ السياسي ولم يكن هناك أفضل من ابن الزبير في تحمل المسؤولية لكن وعلى ما يبدو ان الحصين أدرك ان الأمور تتجه لمصلحة ابن الزبير لذلك أراد مبايعته .

أما موقف ابن الزبير من الحصين فيتبين أنه قد قبل الأمر الأول ولكنه رفض الأمر الثاني من خلال رفضه الذهاب إلى الشام لان الحصين كان يريد ان تبقى عاصمة الخلافة الإسلامية في دمشق^(٤) ، وهو بذلك قد يعبر عن رأي أهل الشام ورغبتهم^(٥) ، وكان ابن الزبير يريد ان تنتقل عاصمة الخلافة إلى الحجاز وهو بذلك يعبر عن رأي أهل الحجاز ورغبتهم^(٦) .

لكن هل كان ابن الزبير يتخوف أهل الشام ؟ لذلك رفض الذهاب معه .

لم يكن ابن الزبير ليأمن غدر هؤلاء الذين احرقوا بيت الله وقتلوا الآمنين وأفزعوهم وما قوله للحصين إلا دليل على تخوفه حينما قال له بعد عرضه بالذهاب معه إلى الشام ان يؤمن النساء ويهدر الدماء التي كانت بينهم وبين أهل الحرم فأبى الحصين ذلك^(٧) .

^(٤) الربيعي ، محمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٣٩٧هـ) ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تح د. عبدالله أحمد سلمان ، ط ١ ، (١٤١٠هـ) ، ج ١ ص ١٧٩ - الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب (ت ٤٧٤هـ) ، التعديل والتجريح ، تح الاستاذ أحمد البزاز ، (مراكش / ٧٠٩هـ) ، ج ٢ ص ٨٢٣ - الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ١٠ ص ١٣ - الميس ، خليل محي الدين (ت ١٠١٤هـ) ، شرح مسند أبي حنيفة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / بلات) ، ص ٣٩٢ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢٢٥ .

^(٥) الكامل ، ج ٤ ص ١٢٤ .

^(٦) المالكي ، أبو بكر عبدالله بن أبي عبدالله (ت) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية ، تح د. حسين مؤنس ، ط ١ ، مكتبة النهضة العربية ، (١٩٥١م) ، ج ١ ص ٤٣ .

^(٧) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ١٦٩ .

^(٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٢ .

^(٣) قبيلة ثقيف ودورها ، أطروحة دكتوراه ، ص ١٨٣ .

^(٤) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٧ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٣ .

^(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٤ .

^(٦) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٦٠ .

^(٧) الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٩ .

لكن وعلى ما يبدو من النص الآتي " وأخذ الحصين يكلمه سراً ، وهو يجهر جهراً " (٨) ان عبدالله بن الزبير كان حريصاً جداً على مشاعر الحجازيين وهذا ما جعله يخاطب الحصين جهراً في حين كان الحصين يخاطبه سراً ، فقد كان أنصاره قرييين منه فلم يشأ ان يثير شكوكهم بل حرص على ان يسمعهم ما يرضيهم حين قال للحصين انه لا يرضيه إلا ان يقتل بكل واحد منهم عشرة من أهل الشام (٩)

وبعد ان فشل الحصين في إقناع عبدالله بن الزبير بالذهاب معه إلى الشام قال له " قبح الله من يعدك بعدداً هياً وأريباً " (١٠) ثم غادر مكة متوجهاً إلى الشام مع جنده وبني أمية ، وبذلك ارتفع شأن عبدالله بن الزبير في الحجاز وأخذت الناس تتابعه بعد ان أعلن نفسه خليفة (١١) ، والذي يبدو ان عبدالله كان خائفاً من أهل الشام لذلك لم يذهب معهم والدلائل على ذلك هي :

يرى ابن سعد (١٢) ان عبدالله بن الزبير قال للحصين ان ابعث رسولاً مني إليكم يأخذ البيعة فرفض الحصين ذلك ، إضافة إلى ان ابن قتيبة (١٣) يقول ان عبدالله قال للحصين في أمر الذهاب معه إلى الشام " لا والله لا أفعل لا أومن من أخاف الناس ، وأحرق بيت الله ، وأنتهك حرمة " وهذا قد يجعلنا لا نقبل الرأي القائل (١٤) بأن عبدالله بن الزبير ندم على عدم ذهابه مع الحصين بن نمير السكوني .

هذا فضلاً عن انه كان يدرك عاملاً له خطورة وهو السبب في ازورار القرشيين عن الإمام علي (ت) عندما نقل عاصمة الدولة من الحجاز إلى الكوفة (١٥) ، ثم ان ابن السكوني أراد ان يخرج معه ابن الزبير على غيربيعة له عنده وإنما هو مجرد وعد بأن يأخذ البيعة في الشام " فأن هؤلاء الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، لا يختلف عليك اثنان " (١٦) ، ولكن هل كان ابن السكوني يمثل تلك القوة السياسية في الشام لكي يتكلم هو بالنيابة عن أهلها ؟

لم يكن الحصين بن نمير السكوني يمثل قوة أهل الشام كلها فهناك روح بن زنباع الجذامي في أنصاره من بني جذام وحسان بن مالك الكلبى خال أولاد يزيد الذي يطمح هو الآخر في بقاء الخلافة عند أولاد أخته معاوية وعبدالله (١٧) .

ولا يمثل قوة القبائل الكبرى منها ففيها القبائل القيسية والقبائل اليمانية بالرغم من انه من قبيلة كندة التي هي بطن من القبائل اليمانية (١٨) ، إلا ان هذا لا يعني بأنه صاحب الحظ الأوفر في أوامر هذه القبيلة ، هذا فضلاً عن ان الأمويين في الشام كانوا يقربون أبناء قبيلة تغلب دائماً إليهم (١٩) وغيرها من

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٥٥ - الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٣٠ .

(٩) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٦٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٠٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٩ - المقرئ ، نقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) ، الخطط المقرئية والواعظ والاعتبار ، مطبعة النيل ، (مصر / ١٣٢٤هـ) ، ج٢ ص٨٤ - الناصري ، أحمد بن خالد (ت ١٢١٥هـ) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح جعفر الناصري وآخرين ، ط١ ، دار الكتاب للنشر ، (١٩٩٧م) ، ج٣ ص١٨٩ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٩ .

(١١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٦١٠ .

(١٢) الطبقات الكبير ، ج٦ ص٤٨٧ .

(١٣) الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٩١ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٠٢ .

(١٥) ابن عدي ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٢ - القاضي نعمان ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ص٢٤٢ .

(١٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٩ .

(١٧) ابن عدي ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٥ .

(١٨) عبدالباسط الالوسي ، قبيلة كندة ، أطروحة دكتوراه ، ص٢٦ .

(١٩) أحمد محمد الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي ، ص٤٢٢ .

القبائل الأخرى الموالية لهم من جذام ولخم وكتب^(١) فلو أطاعه ابن الزبير ولم يستطع الحصين ان يحقق له البيعة لكان ألقى بنفسه في يد بني أمية وأهل الشام .

يتبين لنا أن ابن الزبير كان يدرك ويعرف جيداً بأن أهل الشام لا يدينون بالولاء لغير بني أمية لأنهم لا يعرفون غير الفرع السفلي كما لم تكن له حتى ذلك الوقت العصبية المطلوبة والمساندة له في الشام .

٢. بيعة عبدالله بن الزبير سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م .

علا شأن عبدالله بن الزبير ليس في مكة فحسب بل في كل الأمصار العربية الإسلامية لذلك جاءت إليه بيعة أهلها ، بينما كانت أوضاع الدولة الأموية تأخذ طريقاً آخر نحو التفكك بسبب الفتن الداخلية بين القبائل العربية القاطنة في الشام ، لما اقترفته الدولة الأموية من مظالم وما غرسته من أحقاد .

يرى قسماً من المؤرخين^(١) إن عبدالله أخذ يبايع سراً بعد استشهاد الإمام (ت) وهذا الرأي هو رأي الأغلبية بينما نجد الرأي الآخر^(٢) يقول ان عبدالله أظهر بيعته بعد وفاة يزيد لكن نجد هناك أحد المؤرخين^(٣) يقول ان عبدالله بايع لنفسه في سنة اثنتين وستين من الهجرة ، في حين يذكر الرويحي^(٤) بأن مكة وأهلها بقيت جمادين بلا خليفة .

والذي يبدو بأن عبدالله بن الزبير أظهر بيعته بعد وفاة يزيد حيث كانت البيعة سرية في حياته لأسباب منها :

١. ان ابن الزبير قد أرسل عماله إلى الأمصار الإسلامية التي بايعت له بعد وفاة يزيد لقبولهم الخلافة الزبيرية^(٥) ولم توجد رواية واحدة تقول ان ابن الزبير أرسل عماله في حياة يزيد .
٢. لم تكن عند ابن الزبير قبل وفاة يزيد تلك الإمكانيات المالية أو العسكرية الواضحة والكبيرة في سبيل ان يرسل منه عمال إلى الأمصار الإسلامية .
٣. ان ابن الزبير كان في حياة يزيد يدعو إلى الشورى ، وبعد وفاة يزيد ألغى تلك الدعوة ودعا لنفسه^(٦) .

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص ٨٢ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص ٥٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٠١ - ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) ، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، تح د. أحسان عباس وآخرون ، دار المعارف ، (مصر / بلات) ، ص ٣٥٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٢٩ - الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج٢ ص ١٦٩ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ص ٣٦٣ .

(٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج١ ص ٢٥٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ - المقرئ ، الخطط المقرئية ، ج٢ ص ٨٤ .

(٤) دحلان ، أحمد زيني (ت ١٠٣١هـ) ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، ط ١ ، المطبعة المحمدية ، (مصر / ١٣٠٥هـ) ، ص ٤٠٥ .

(٥) علي بن أبي عبد الرحمن (ت هـ) ، بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء ، (القاهرة / ١٩٠٩م) ، ص ٢٠ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص ٤٨٧ .

٤. اتفاق أكبر عدد من المؤرخين على ان البيعة جاءت بعد وفاة يزيد .

١. الأوضاع السياسية في البصرة

بعد وفاة يزيد أنحل أمر الخلافة وصار الأمر فوضى^(١) ، لذلك جمع ابن زياد أهل البصرة وخطب فيهم وحاول استمالتهم من خلال إعطائهم الأموال " هذا فينكم فخذوا اعطياتكم وأرزاق ذراريكم منه " ^(٢) من اجل ان يدعوا لنفسه بالخلافة الأموية في الشام إلى حين تستقر الأوضاع^(٣) . فبايعه أهل البصرة ثم انصرفوا ومسحوا أيديهم بالجدران وقالوا أيظن ابن مرجانه أننا ننقاد له في الجماعة والفرقة^(٤) .

ومن خلال ذلك يتبين ان أهل البصرة رفضوا ابن زياد عاملاً عليهم لأنهم أدركوا بأن الخلافة الأموية لا تستطيع ان تقدم إلى ابن زياد ما يريد من أجل ان يثبت حكمهم لذلك رفضوا أمره .

لكنهم لم يظهروا نواياهم إلا بعد معرفة أوضاع الكوفة السياسية بسبب الترابط القبلي الموجود بين المصريين^(٥) ، لذلك جاءت فرصة إرسال الوفد* من ابن زياد إلى الكوفة هي الفرصة المناسبة من اجل الإطلاع على أوضاع الكوفة السياسي آنذاك .

وبعد رجوع هذا الوفد من الكوفة إلى البصرة وأخبارهم بما جرى من أمر خلعه في الكوفة انعكس الأمر على وضع البصرة فقال أهل البصرة أيخلعه أهل الكوفة ونوليّه نحن^(٦) .

وكان من نتيجة هذا العزل ان ضعف سلطان ابن زياد بالبصرة فكان يأمر بالأمر فلا يقضى ويرى الرأي فيرد عليه ويأمر بحبس المحض فيحال بين أعوانه وبينه^(٧) هذا فضلاً عن وجود عامل آخر ساعد في أضعاف ابن زياد في البصرة وإيصال أوضاعها الى ما هي عليه ، هو مجيء سلمة بن ذويب الحنظلي** . وهو من الفقهاء^(٨) واحد الدعاة للبيعة لابن الزبير بالبصرة ، مما سبب استياء ابن زياد ، فحاول الاحنف والناس ان يأتوا به إلى ابن زياد لكنهم تركوه بعد ان وجدوا ان أتباعه قد كثرت " نحن نأتيك بسلمة ، فأتوه سلمة فإذا جمعة قد كثف والفتق قد أتسع " ^(٩) ، عندها عرض ابن زياد على

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٥٨ .

(٢) ابن الغملاس ، ولاة مصر ومتسلموها ، مطبعة دار البصري ، (بغداد / ١٩٦٢) ، ص ١٨ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٥٣ ١٠٣ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٠٩ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٣١ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٠٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٣٢ .

(٦) ماسينون ، خطط الكوفة ، ص ٣٧ .

*الوفد : عمرو بن مسمع ، سعد بن القرصا التميمي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٢٤ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٣٢ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٣٢ .

**سلمة بن ذويب : سلمة بن ذويب بن عبدالله بن محكم بن زيد بن رباح بن يربوع بن حنظلة ، وهو من الفقهاء اشترك في فتح تستر مع عمار بن ياسر في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص ٢٢٨ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص ١٠٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٠٧ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص ٢٢٨ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٣٣ .

الشرط البخارية وأخوته للقتال معه فرفضوا ذلك بسبب عدم وجود خليفة^(١)، إزاء هذه الفوضى والتطورات السياسية في البصرة كسر الخوارج أبواب السجون^(٢)، وفروا منها واخذوا يعملون في سبيل إفساد البيعة لابن زياد وفسحوا في الناس يدعون إلى محاربة السلطان^(٣)، أدرك ابن زياد حينها بأن موقفه ضعيف جداً لذلك لجأ إلى الحارث بن قيس الأزدي* بناءً على وصية والده** " أن احتجت إلى الهرب يوماً أن اختاركم"^(٤)، وفعلاً قدم الحارث إليه المساعدة في سبيل إيصاله إلى مسعود بن عمرو الأزدي*** زعيم القبيلة وذو المكانة والشرف والطاعة في قومه الذي بدوره ادخله القبيلة وقام بإبلاغها باستنجد ابن زياد لهم^(٥)، ويذكر الطبري^(٦) أن مسعود بن عمرو الأزدي أجار ابن زياد (تسعين يوماً) بعد وفاة يزيد.

ولما فقد ابن زياد بقى أهل البصرة من غير أمير^(٧)، واختلفوا فيمن يؤمرون عليهم ثم تراضوا على عبدالله بن الحارث بن نوفل المضري الهاشمي^(٨)، أما ابن زياد فإنه عندما ترك البصرة وذهب إلى الأزدي كان قد حمل أموال بيت المال كلها معه وقدرها ثمانية آلاف درهم^(٩)، فأخذ باتفاق أموال كثيرة في سبيل تعزيز ودعم الحلف الذي كان موجود بين قبيلة الأزدي وربيعه^(١٠).

إزاء هذه الأحداث خرج نافع بن الأزرق في ثلاثمائة عند وثوب الناس على ابن زياد وكسروا أبواب السجون وخرجوا إلى الأهواز واستغلوا فرصة انشغال الناس بالحرب الأهلية بين قبيلتي الأزدي وربيعه من جهة وتميم من جهة أخرى^(١١) والتي جاءت نتيجة قتل مسعود بن عمرو الأزدي، لكن هذا لا يعني أن الخوارج كلهم خرجوا إلى الأهواز بل تخلف عنهم عبدالله بن الصفار* وعبدالله بن أباض** ورجال ممن كان على رأيهما^(١٢)، وكان خروج نافع إلى الأهواز في شهر شوال سنة أربع وستين^(١٣).

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥١١ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٣٣.

(٢) محمود قانصو، ما بعد كربلاء، ص١٥٣.

(٣) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج٣ ص١٦٩.

*الحارث بن قيس: الحارث بن قيس بن صهبان بن عون بن علاج بن مازن بن أسود بن جهضم بن جذيمة بن مالك بن فهم. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٠٩.

**وصية والده: كان سبب أجاتهم زياداً، أن الإمام علي بن أبي طالب (ع) في خلافته ولي زياداً البصرة وعند خروجه إلى صفين، فوجه معاوية إلى البصرة عامر بن الحضرمي في جمع فغلّب على البصرة وهرب منه زياد، فلما نزل إلى الأزدي أجاروه. ينظر: الديوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٣.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٠٩.

***مسعود بن عمرو: مسعود بن عمرو بن عبد بن محارب بن ضيم بن مليح بن شريطان بن معن بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس، المعروف بالقمر، زعيم من بني عتيك من الأزدي اليمانيين. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥١٠ - ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ج٢ ص٣٨١ - الزركلي، الاعلام، ج٧ ص٢١٩.

(٥) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٣ ص١٦٧ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٣٥.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٢٥.

(٧) البلاذري، انساب الاشراف، ج٤ ص١٠٤.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥١٣.

(٩) البلاذري، انساب الاشراف، ج٤ ص١٠٢.

(١٠) ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٣٦.

(١١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٦٧ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٦٧.

*عبدالله بن الصفار: عبدالله بن الصفار، أحمد زعماء الخوارج المعروفين وإليه ينسب الخوارج الصفرية. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٢ ص٧١٥.

**عبدالله بن أباض: عبدالله بن أباض التميمي، أحد زعماء الخوارج المعروفين، وإليه ينسب الخوارج الأباضية. ينظر: عبدالرحمن بن قدامة (ت ٦٨٢هـ)، الشرح الكبير، دار الكتاب، (بيروت / بلات)، ج١٠ ص٦٣.

(١٢) ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٦٧.

والذي يتبين لنا أن خروج نافع وأصحابه إلى الأهواز جاء بعد مقتل مسعود بن عمرو الأزدي الذي أحدث قتله حرب أهلية بين قبائل الازد وربيعية من جهة وتميم من جهة أخرى ، وهناك رواية مفادها بأن الخوارج هم الذين قتلوا مسعود الأزدي^(٣) ، لكن على ما يبدو أن الخوارج بعيدون عن مسألة قتل مسعود الأزدي لسبب واحد هو ان الاحنف بن قيس زعيم قبيلة تميم ذهب لمفاوضة الازد وربيعية بأمر مقتل مسعود وأعلمهم بأنه يريد دفع الدية فلذلك طلبوا منه الازد عشر ديات فوافق عليها^(٤) ، ولو كانوا قبيلة تميم ليسوا هم القاتلين لما وافقوا على دفع الديات وما دفع الاحنف إلى هذا العمل هو حالة الاضطراب في البصرة وعدم الاستقرار التي تؤثر في حياتهم الاقتصادية^(٥) ، وبالإضافة إلى ما ذكره السيد الخربوطلي^(٦) في كتابه تاريخ العراق بأن سبب كتابة أهل البصرة البيعة لابن الزبير هو وجود خطر الخوارج والعصبية القبلية هذا فضلاً عن أنهم كانوا دائماً يميلون إلى العمل بالتجارة وهذا العمل يتطلب الأمان والاستقرار .

ونحن نرى انه ربما عرف أهل البصرة بأن أهل الكوفة قد كتبوا ابن الزبير لذلك كاتبوه هم أيضاً .

٢. أهل الكوفة وبيعتهم لعبدالله بن الزبير

بعد ان اخذ عبدالله بن زياد البيعة لنفسه بالخلافة الأموية أرسل وفداً** من أهل البصرة إلى الكوفة حيث نائبه عمرو بن حريث لكي يأخذ البيعة له بالكوفة^(٧) ، وعندئذ قام خليفته بجمع الناس وقاما الرسولان فخطبا بأهل الكوفة وذكروا لهم ما يريده عبيد الله^(٨) ، فقام إليه يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني ويذكر المسعودي^(٩) انه قال : " لا حاجة لنا في بني أمية ولا في إمارة ابن مرجانة ، ان البيعة لأهل الحجر**".

وبعد رجوع الوفد أخذت قبيلة كندة دورها في الكوفة في محاولة لأخذ البيعة لعمر بن سعد بن أبي وقاص لأنه ابن أختهم كمحاولة للمحافظة على الولاء الأموي ، مما سبب هذا الموقف رد فعل قوي ليس لرجال الكوفة وإنما لنسائهم فأقبلت نساء الكوفة من همدان^(١٠) وكهلان والأنصار وربيعية والنخع^(١١)

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٧ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٥ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٦ .

(١٠) محمد جابر عبدالعال ، حركات الشيعة المتطرفين ، ص ١٤٧ .

(١١) تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١٣٢ .

***الوفد : سبق ان وضعنا اسماء شخصيات الوفد في الصفحات الماضية ، ينظر : ص ١٣٩ .

(١٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٩٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٤ .

(١٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

(١٤) مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

*أهل الحجر : أهل الحجاز . ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

(١٥) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٩٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٣ .

(١٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

نحو المسجد صارخات باقيات لقتل الإمام (t) وقلن " أما رضى عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى أراد ان يكون أميراً علينا على الكوفة " (٥) ، مما سبب كلامهن هذا استياء محمد بن الاشعث حينما قال بعد مجيئهن " جاء أمير غير ما كنا فيه " (٦) ، واستطاعت هذه النسوة ان تكسب الناس إلى جانبهن ، وبالتالي ترك محاولة تعيين عمر والياً على الكوفة ، لكن هذا لا يعني عدم وجود دور للرجال في هذا التجمع فقد اجمع أشراف أهل الكوفة على اختيار عامر بن مسعود بن أمية والياً عليهم وكتبوا بذلك ابن الزبير فاقره عليهم (٧) .

أما الشيعة بالكوفة فآخذوا طريقاً أخرى هي إعلان بداية حركتهم (التوابين) ** وبدأت تكسب الناس في الكوفة ويزداد نفوذهم يوماً بعد يوم إلى انتهت حركتهم بمعركة عين الوردة *** سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م (٨) .

٣. أهل الحجاز والبيعة لابن الزبير

كنا قد بيّنا فيما مضى من الصفحات الماضية ان البيعة لابن الزبير قد تمت بعد وفاة يزيد بن معاوية باتفاق الآراء لدى المؤرخين لكن كيف اظهر ابن الزبير هذه البيعة لنفسه في الحجاز بعد ان كان يدعو إلى الشورى ويدعو نفسه العائد بالحرمة ؟

اختلفت الآراء لدى المؤرخين والدارسين فيذكر ابن سعد (١) في طبقاته أن ابن الزبير قال لابن السكوني " أنا أحق الناس بهذا الأمر - الخلافة - لأن عثمان عهد إلي في ذلك عهداً ، صلى به خلفي طلحة والزبير وعرفته أم المؤمنين فبايعني وادخل فيما دخل فيه الناس معي يكن لك مالهم وعليك ما عليهم " ، ويذكر ابن خياط (٢) في تاريخه أن ابن الزبير استغل الوضع السياسي الموجود في الحجاز فأعلن نفسه خليفة " فقال مقاتلاً - رجل من المقاتلين معه - : يا ابن الزبير ، ما سفكنا الدماء ولا قتلنا الناس إلا في ملكك ، قال : ممن تبايعون سواي ، قال : فهلا انتظرت حتى نكون نحن ندعوك ففارقك " ، ويرى قسم من المؤرخين (٣) ان ابن الزبير اظهر الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال إنما بطني شبر ، فما عسى ان تسع من الدنيا وأنا العائد بالبيت والمستجير بالرب ، بينما نجد احد

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٣ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٤ .

** التوابين : هناك شرح للطالب عن الحركة بكل جوانبها في الفصل السادس .

*** عين الوردة : وهي رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٨٠ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٨ .

(١) الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ٤٨٧ .

(٢) تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٥ - الاصفهاني ، الاغانى ، ج ١ ص ٢٥ .

الدارسين المحدثين^(٤) يقول بأن ابن الزبير اظهر البيعة بعد وفاة المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن كونهما من الشخصيات المهمة في مكة والمنافسين له بالخلافة وما يفند هذا الرأي ان ابن كثير^(٥) يقول بأن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف هو أول من بايع لعبد الله بن الزبير .

ويبدو أن الرأي الثاني هو الأكثر صواباً لأسباب عديدة منها :

١. ان ابن الزبير في حياة يزيد كان يدعو إلى الشورى^(٦) والعائد بالحرم حتى بعد استشهاد الإمام

(t) حينما طلب أهل مكة البيعة له أجابهم " لا تعجلوا " ^(٧) .

٢. بعد وفاة يزيد بن معاوية لم تكن هناك شخصية سياسية تطمع بالسياسة غير عبد الله بن الزبير خاصة إذا عرفنا بأن عبد الله بن عمر عندما عرض عليه مروان بن الحكم البيعة رفض ذلك^(٨) ،

وابتعاد الإمام علي بن الحسين (t) عن طريق السياسة وكذلك انعزال أهل بيته عن حركة ابن الزبير كما بينا ذلك .

٣. كره أهل الحجاز الخلافة الأموية بسبب قتلهم الإمام (t) وقتل أهل المدينة في ثورتهم

المعروفة بالحرّة ، هذا فضلاً عن نقل عاصمة الدولة العربية إلى الشام لذلك ربما وجدوا بابن الزبير الشخصية الطموحة في إعادة الخلافة كما كانت عليها في عهد الرسول والخلفاء الراشدين الأوائل .

أما بيعة أهل الطائف فذكر ابن اعثم الكوفي^(٩) بأنها كانت قسرية بالقوة ، وهذا يؤيد بأنه استغل الوضع السياسي آنذاك في الحجاز فاخذ بيعتهم .

خامساً . أسباب إخفاق حركة عبد الله بن الزبير

هناك عوامل ساهمت في إخفاق هذه الحركة أهمها :

١. لم يقدم ابن الزبير مساعدات عسكرية تذكر إلى الثوار في المدينة بثورتهم سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م^(١) ، بالرغم من ان عدوهم واحد وهذا الأمر ان دل على شيء فإنه يبرهن لنا أن الحالة الاقتصادية للحركة ضعيفة جداً بسبب عدم وجود موارد ثابتة لها^(٢) .

٢. لم يتبين لنا وجود رواية واحدة عند احد المؤرخين توعد بأمر من ابن الزبير إلى والي الكوفة تدعوه بتقديم المساعدات لزعماء الحركة التوابية سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م^(٣) ، بالرغم من ان عدوهم السياسي واحد وهذا ان دل على شيء فإنما يدل لنا بأن عبد الله بن الزبير لم يكن سياسياً أو فطناً يستطيع ان يماكر بالسياسة مثلما كان الأمويون معه .

(٤) القبلان ، حركة عبد الله بن الزبير ، رسالة ماجستير ، ص ١٤٦ .

(٥) البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٠ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٨ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ .

(٨) ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١هـ) ، الاشراف في منازل الاشراف ، تح د. نجم عبد الرحمن خلف ، ط ١ ، (الرياض / ١٤١١هـ) ، ص ٥ .

(٩) الفتوح ، مج ٣ ج ٥ ص ١٥٦ .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٥ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٤ .

٣. ان ابن الزبير قد تحصن داخل مكة ولم تكن بيعة الأمصار العربية له إلا نتيجة حاجة أهل الأمصار وهذا فضلاً عن انه لم يفتن لأمر مهم هو ان مكة لم تكن الأرض المناسبة لقيادات الحركة الثورية لسببين مهمين هما :

أ. طبيعة مكة الاقتصادية كونها تعتمد على التجارة فقط لان أراضيها ليست صالحة للزراعة^(٤) .
ب. طبيعة أفرادها ليسوا مقاتلين وإنما انشغلوا باللهو والتجارة وجمع المال ، وخاصة في فترة خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) مما ولد منهم طبقة أرستقراطية غير محبة للحرب والقتال عكس طبيعة أهل العراق^(٥) .

٤. شخصية ابن الزبير نفسها كانت واحدة من أسباب إخفاق الحركة بسبب عدم ثباته على أمر واحد فنجد مثلاً انه رفض بيعة يزيد ودعا إلى الشورى وأنه عائد بالحرم^(٦) ، ويدعوهم إلى الصبر وعدم التعجل^(٧) ، ومرة أخرى يدعو إلى البيعة لنفسه بالخلافة لذلك عابه احد مقاتليه بذلك^(٨) .

٥. ان ابن الزبير كانت فيه صفات لا تصح معها الخلافة " كان بخيلاً ، ضيق العطاء ، سيء الخلق حسوداً ، كثير الخلاف " ^(٩) ، وقد عابه عبدالله بن عباس في ذلك حينما قال له : " سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره " ^(١٠) .

أولاً. جذور ثورة الحرة وطبيعة أهدافها

١. أوضاع الحجاز السياسية سنة ٦١ هـ .

بعد استشهاد الإمام (ت) في واقعة الطف سنة ٦١هـ / ٦٨٠م^(١) . قام عبدالله بن الزبير بدور إعلامي كبير ضد أهل العراق عامة والكوفة خاصة ، لذلك أخذت الناس في مكة تباع ابن الزبير سرراً^(٢) ، فظن عمرو بن سعيد الأشدق بأن الناس قد تمت مبايعتها لعبدالله بن الزبير ، لذلك استشار الأشدق عبدالله بن عمرو بن العاص* لمنزلته الكبيرة في قريش التي كانت تعده عالماً في أمرهم ، فأجابه قائلاً " لا أرى صاحبك إلا أحد الملوك الذين تتم لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك " فكان من نتيجة هذا القول ان الأشدق أخذ بمتابعة عبدالله بن الزبير وأنصاره بشدة^(٣) ، لكن ما ان قال الوليد بن عتبة وناس معه من بني أمية قالوا ليزيد " لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك " ^(٤)

(٤) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٤ ص٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٢٨٠ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٥ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٩٩ .

(٨) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج١ ص٢٥٣ .

(٩) الشهيد نور الله التستري (ت ١٠٩٩هـ) ، الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة ، تح السيد جلال الدين المحدث ، مطبعة نهضة ، (طهران / ١٣٦٧هـ) ، ص٩٧ .

(١٠) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٧٩ .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٦٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٩٨-٩٩ .

*عبدالله بن عمرو بن العاص : عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمي القرشي ابو محمد وابو عبدالرحمن احد الفقهاء ، من قريش ، صحابي ، من النساك ، من اهل مكة كان يكتب في الجاهلية ويحسن السريانية واسلم قبل ابيه . ينظر : ابن ماکولا ، إكمال الدين ، ج٤ ص٣٠٤ - الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ص٤١ - ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج١ ص٥١٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج٤ ص١١١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٠ .

فكانت هذه الكلمات ذات تأثير في تفكير ورأي يزيد مما سبب عزلة للأشدرق وتعين الوليد بن عتبة أميراً على الحجاز^(٥).

وبمجيء الوليد إلى الحجاز ثار عبدالله بن الزبير في مكة ، ونجدة بن عامر الحنفي باليمامة^(٦) ، وجاء نجدة إلى مكة وكان يكثر اللقاء مع ابن الزبير حتى ظن الناس أنه سيبايعه ، وحاول الوليد متابعته لكنه لم يفلح بسبب فطنة ابن الزبير له ، وهذا سبب شدة الوليد في متابعته لكن ابن الزبير عمل بالمكر في سبيل خلع هذا الأمير ، فلذلك كتب إلى يزيد " أنك بعثت إلينا رجل أخرج لا يتجه لأمر رشد ، ... ، ولو بعث إلينا رجل سهل الخلق ، لين الكتف ، رجوت ان يسهل من الأمور ما استوعر منها ، ... ، فأن فيه صلاح خواصنا وعوامنا ان شاء الله " ^(٧) ، وفي هذا الكتاب ظن الخليفة أن ابن الزبير وأهل الحجاز يريدون ان ينفادوا تحت أمرة الخلافة فلذلك عزله وعين عثمان بن محمد بن أبي سفيان^{**} ، الذي وصف بأنه " فتى غر حدث غمر ، لم يجرب الأمور ، ولم يحنكه السن ولم تضرسه التجارب وكان لا يكاد ينظر في شئ من سبط لطانة ولا عمله " ^(٨) ومن هذا نرى أن أغلب الولاة في المدينة كانوا من الأمويين بغض النظر عن العمر والتجربة بل تقودنا إلى مجمل مهم هو احتكار المناصب المهمة في الدولة .

ولما أعلن ابن الزبير عن كرهه ليزيد ، فأن أكثر أهل المدينة كاشفوا بعداوتهم للخلافة الأموية ، فكتب يزيد إلى عثمان بن محمد بن أبي سفيان أن يوجه إليه وفداً ليستمع إلى مقالتهم ويستميل قلوبهم ، فأوفدا إليه المنذر بن الزبير وعبدالله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، وعبدالله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر الأنصاري في آخرين من الأشراف ، فلما قدموا عليه أكرمهم ووصل كل منهم بخمسين ألف درهم ، ووصل المنذر بمائة ألف درهم ثم انصرفوا من عنده^(٩) .

بعد عودة الوفد من الشام إلى المدينة عدا المنذر بن الزبير الذي ذهب الى البصرة لزيارة ابن زياد فأنهم اجتمعوا على شتم يزيد وقالوا " إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، ... ، ويلعب بالكلاب ويسامر الحراب والفتيان ، وانا نشهدكم أنا قد خلعناه " ^(١٠) ولما بلغ يزيد خلع أهل المدينة وتوليتهم ابن الغسيل أمرهم كتب إلى ابن زياد في حمل المنذر بن الزبير إليه فكره ابن زياد ذلك إذ كان ضيفه وصديق أبيه فكتب إليه أنه إنما صار إلي متبرئاً من أصحابه مخالفاً لقولهم وفعلهم ثم أمر المنذر ان يأذنه على رؤوس الناس في إيتائه الحجاز ، فلما فعل ، اذن له^(١١) .

وبعد ان لحق المنذر بن الزبير المدينة أظهر هو الآخر شتمه ليزيد وتحريض الناس عليه وكان أشد من أصحابه فقال " والله انه ليشرب الخمر وانه ليسكر حتى يدع الصلاة " ^(١٢) .

إزاء هذه الأحداث أصبح الوضع السياسي في الحجاز صعباً بالنسبة إلى الخلافة الأموية حيث ان ابن الزبير كان قد اخذ البيعة من أهل مكة سراً ، وبايع أهل المدينة عبدالله بن حنظلة الغسيل^(١٣) ، وهكذا الحال أصبحت الخلافة الأموية منقسمة أحدهما في الشام والأخرى في الحجاز وهذا مما لا يمكن

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٠ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ج٤ ق٢ ص٢٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٢ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٢ .

** عثمان بن محمد بن أبي سفيان : لم أجد له ترجمة .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٢ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٢١ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٧ - الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ص٤٥-٤٦ - محمد كرد علي ، خطط

الشام ، المطبعة الحديثة ، المجمع العلمي العربي ، (دمشق / ١٩٢٥ م) ، ج١ ص٤١٥ .

(١١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٣١ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٤ .

(١٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١١١ .

السكوت عنه بالنسبة إلى الأمويين ، لذلك أرسل يزيد النعمان بن بشير الأنصاري ، كونه أخا لعبدالله بن حنظلة الغسيل لأمه^(١) ، كمحاولة لردهم " أنت الناس وقومك فافتأهم عما يريدون "^(٢) .

وعندما جاء النعمان إلى قومه ودعا الناس إليه وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوفهم الفتنة ، وقال لهم : انه لا طاقة لكم بأهل الشام ، فقال عبدالله بن مطيع العدوي : ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من امرنا ، فقال النعمان : أما والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو بها ، ... ، ودارت رحى الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبها إلى مكة ، وقد خلفت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يقتلون في سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم ، فعصاه الناس فانصرف "^(٣) ، ويبدو أن النعمان كان يعرف طبيعة تكوين جيش الشام وأسلحته ، وفي نفس الوقت كان يدرك قوة أهل المدينة لذلك حذر عبدالله بن مطيع العدوي ، وإن نصيحته جاءت مثلما توقع .

ان أهل المدينة بعدما بايعوا عبدالله بن حنظلة الراهب^(٤) ، على خلع الخليفة يزيد وثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قریش^(٥) ، وحاصروهم في دار مروان بن الحكم حصاراً ضعيفاً^(٦) ، لكن ابن كثير^(٧) يقول ان بني أمية اجتمعوا في دار مروان بن الحكم وأحاط بهم أهل المدينة ، ويبدو ان رأي ابن كثير هو الأكثر صواباً بسبب أنه لم يكن حصاراً بمعنى الكلمة وإلا كيف راسلوا الخليفة يزيد ان كان حصاراً .

لذلك كتب مروان وجماعة من بني أمية كتاباً إلى الخليفة يزيد ، فأخذ الكتاب عبدالملك بن مروان وأرسله بيد حبيب بن كره وفيه " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أما بعد ، فإنه قد حُصِرنا في دار مروان ابن الحكم ، ومنعنا العذب ، ورمىنا بالجيوب ، فيا غوثاه يا غوثاه "^(٨) ، وأرسل هذا الكتاب عندما كان بنو أمية لا يزالون في المدينة ولم يخرجوا منها .

وعندما وصل الكتاب إلى يزيد ، قال : " أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة "^(٩) ، فأجابه حبيب بن كره : " بل أكثر ، فقال : فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من نهار "^(١٠) ، فقال له حبيب : " قد اجمع كلهم عليهم "^(١١) . ومن هذا نستنتج ان جُلَّ أهل المدينة قد خرجوا على بني أمية في المدينة مما سبب فرار ورهب الخليفة يزيد بسبب تخوفه من وجود ابن الزبير في مكة ، لذلك قال الخليفة يزيد بعد غضبه^(١٢) :

لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان

وهذه إشارة إلى انه سوف يبدأ بسياسة الشدة مع أهل المدينة .

٢ . أهل المدينة وحركة عبدالله بن الزبير

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٤ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج ١ ص ٥٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٢ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ .

(٧) البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٩ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٢ .

(٩) الاصفهاني ، الاغانى ، ج ١ ص ٣٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ،

مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٩ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ .

(١٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ - ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٠٨ .

لا يمكن بأي حال من الأحوال تصنيف ثورة أهل المدينة وحركة عبدالله بن الزبير على أنهما ثورتان مختلفتان بسبب ان القواسم المشتركة بينهما تكاد تكون واحدة، لكن ما هو موقف ابن الزبير من هذه الثورة؟

اختلف المؤرخون في مسألة علاقة ابن الزبير بالثورة، فيقول بعض المؤرخين^(١) أن ابن الزبير لما قتل أخاه عمرو فإنه خطب في الناس وشم يزيه ودعا الناس إلى إظهار خلعه وكتب إلى أهل المدينة بذلك، ويقول ابن اعثم الكوفي^(٢) أن أهل المدينة بلغهم أن أهل مكة والطائف وسائر الحجاز قد بايع ابن الزبير فوثب أهل المدينة على عاملهم عمرو بن سعيد* فأخرجوه من المدينة وبايعوا عبدالله بن الزبير، ويرى أبو الفرج الاصفهاني^(٣) أن ابن الزبير أقام على خلعه يزيه ومالاً على أكثر الناس فدخل عليه أهل المدينة.

والذي يبدو أن الرأي الأول هو الأكثر صواباً لأن هناك ترابطاً وثيقاً بين ثورة أهل المدينة وعبدالله بن الزبير كونهما يزدان الخلافة الأموية في الشام هذا فضلاً عن وجود رغبة لديهما بجعل الخلافة الإسلامية في الحجاز.

ويتبين أن سبب خلعه يزيه من أهل المدينة هو سوء شخصيته فيرى بعض المؤرخين^(٤) بأن سبب خلعه أهل المدينة البيعة للخليفة يزيد هي أخلاقه كونه يشرب الخمر وتعزف عنده القيان بالمعازف، أما ابن الوردي^(٥) فيذكر بأن أهل المدينة اتفقوا على خلعه الخليفة يزيد وإخراج نائبه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، أما ابن طباطبا^(٦) فإنه يقول أن أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد وخلعوه وحصلوا من كان بها من بني أمية وأخافوهم، ويذكر السيوطي^(٧) أن أهل المدينة خلعوا يزيد بعد ما أسرف في المعاصي، أما ابن عماد الحنبلي^(٨) فيرى أن أهل المدينة خرجوا على يزيد لقلّة دينه.

أما أسباب خلعه يزيه لعمرو بن سعيد الاشدق فهي :

١. علو شأن ابن الزبير بمكة بعد استشهاد الإمام (ت) لذلك فقد كاتبه أهل المدينة " أما إذ هلك الحسين (ت) فليس أحد ينازع ابن الزبير " ^(٩).

(١٠) البلاذري، انساب الاشراف، ج٤ ق٢ ص٣٠ - المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢٦٣ - الرافعي، حضارة العرب، ص١٦٣ - بركلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٢٩.

(١) الفتوح، مج٣ ص١٥٦.

* عمرو بن سعيد : والي المدينة عند ابن اعثم، لكن عند اغلب المؤرخين هو عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وهو الاصبوب.

(٢) الاغانى، ج١ ص٢٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٨٠ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١٠٣ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨ ص٥٨٧.

(٤) تاريخ ابن الوردي، ص٦٥.

(٥) الفخري في الاداب السلطانية، ص١٠٨.

(٦) تاريخ الخلفاء، ص١٦٤.

(٧) أبو الفلاح عبدالحى (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار احياء، (بلاط)، ج١ ص٧١.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٧٥ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٥٩.

٢. اعتراف عمرو بن سعيد بن العاص ليزيد بن معاوية بعد ان عزله بتنامي قوة ابن الزبير السياسية فقال ليزيد " الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وان جل أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه وأحبوه وأعطوه الرضا ، ودعا بعضهم بعض سراً وعلانية " (١).
٣. قوة شخصية ابن الزبير بمكة وكان صوتاً إعلامياً يدوي في مكة ضد الخليفة يزيد وسياسته ولم يكن لساسنة بني أمية أي تأثير ضده لربما بسبب عدم وجود قوة عسكرية أموية في مكة تمنعه من ذلك وقد أشار عمرو بن سعيد إلى ذلك في عتابه للخليفة يزيد " ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته " (٢) ، هذا فضلاً عن ان ابن الزبير بعد قتله لأخيه عمرو وإفشال حملة الأمويين ضده دعا الناس إلى إظهاره وخلع الخليفة يزيد وحربه وكتب إلى أهل المدينة بذلك (٣).

٣. أهل المدينة وموقفهم من خلافة يزيد

وبلغت الأخبار أهل المدينة فرأوا ان يتخلصوا من بني أمية حتى لا يكونوا عوناً للجيش الأموي عند القتال (٤) ، فعمدوا إلى تهديدهم بالقتل أو يعطوا عهداً وألا يدلوا على عورة (٥) ولا يظاهروا عليهم عدوا وان يخرجوا من المدينة فأعطاهم بنو أمية العهد على ذلك (٦).

فخرجوا من المدينة إلا ولد الخليفة عثمان بن عفان (رض) (٧) ، وأقاموا في موضع ذي خشب* عشرة أيام (٨).

بعد مجيء أهل الشام بقيادة مسلم المروى التقى بنو أمية عند وادي القرى فحاول المروى الاستفسار منهم عن أحوال أهل المدينة وطبيعة المقاتلين فيها ، لكن الأمويين قد أعطوا العهد على أن يظاهروا عليهم عدواً فيما ترى هل حافظوا على العهد ؟

اجمع المؤرخون (٩) عدا ابن سعد في طبقاته (٩) على ان بني أمية قد التزموا العهد مع أهل المدينة إلا عبدالملك بن مروان الذي اطلع مسلماً على عورة المدينة ونصحه بأن يأتيها من قبل الحرة**

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ - اما ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٨٦ فإنه لم يذكر دعا بعضهم بعض سراً وعلانية .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٨٦ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٣٠ .

(٤) ابراهيم محمود شريف ، دور الحجاز السياسي ، ص٤٣١ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٥ - الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص٢٨ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦ ص٢٢٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٩٠-٥٩١ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٣ .

(٧) الازرقى ، محمد عبدالله بن أحمد (ت هـ) ، اخبار مكة المشرفة ، مكتبة خياط ، (بيروت / بلات) ص١٦٨ .

*ذي خشب : موضع على مرحلة من المدينة على طريق الشام . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ص٢٩٩ .

(٨) الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص٣٠ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٩١ .

(١٠) الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٣ ، يرى ابن سعد ان مروان بن الحكم هو الذي اخبر مسلم بن عتبة عن عورة المدينة ولكن على ما يبدو انه عبدالملك لاجماع اغلب المؤرخين عليه .

**الحرة : حرة واقم إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية سميت بهذا الاسم نسبة الى رجل من العماليق اسمه واقم وكان قد نزلها في الدهر الأول ، وهي الارض التي البسها حجارة سود كأنها أحرقت بالنار . ينظر : ابن سلام ، غريب الحديث ، ج١ ص٣١٥ - الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٢٤٩ .

الشرقية^(١٠) عند الصباح ، فعندئذ سوف تكون الشمس في وجوههم فيؤذيهم حرها ويصيبهم أذاها ، وربما كان تصرف عبد الملك هذا بأمر من أبيه مروان وما يدل على ذلك ان مسلم بن عقبة المري لقي مروان بن الحكم وتكلم معه على عبد الملك وصفاته التي قلما توجد في رجال قريش فقال له مروان وإذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني فقال : اجل^(١١) ، وبعد دخول مسلم الحرة عسكر فيها ودعا أهل المدينة إلى الدخول في طاعة الخليفة يزيد ، وأعلمهم انه يؤجلهم ثلاثاً فأجابوا تركهم وسار إلى مكة لقتال ابن الزبير^(١٢) ، فرفض أهل المدينة ما طرحه عليهم مسلم وقالوا له " والله لو أردتم ان تجوزا إليهم ما تركناهم حتى نقاتلكم ، نحن ندعكم ان تأتوا بيت الله الحرام ، وتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمة"^(١٣) .

والذي نستنتجه من هذا الأمر ما يلي :

١. ان أهل المدينة رفضوا ليس الدخول في طاعة يزيد فقط بل عارضوا ان تمر قوات مسلم بن عقبة من خلال المدينة إلى ابن الزبير .
 ٢. ان أهل المدينة أرادوا الدفاع في مدينتهم عن حرمة بيت الله ولم يذكروا فيه الدفاع عن عبدالله بن الزبير .
- وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقاً في جانب المدينة ونزله جمع عظيم منهم استعداداً لملاقاة جند الشام^(١٤) ، واقبل مسلم من جهة الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل ، فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه^(١٥) ، واشتبك الجيشان الأموي وأهل المدينة يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين^(١٦) في قتال شديد أوشك جند المدينة ان يحققوا نصراً على جند الشام والوصول إلى فسطاط مسلم وقتل حامل رايته الرومي إلا ان مسلم بن عقبة نهض بأصحابه وخطب في الجند وهددهم بمنعه العطاء ونقلهم إلى أقاصي الثغور^(١٧) ، مما زاد في همة مقاتلي أهل الشام هذا فضلاً عن انه قام بدور آخر له أهميته في المعركة من خلال خطبة أخرى في جنده يذكرهم بأنهم أهل الطاعة والاستقامة لانتمهم " وان هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا فغير الله بهم "^(١٨) وبدأ يحثهم على القتال^(١٩) ، ويوعدهم بان مينة الشهادة هي أفضل مينة لذلك يجب عليهم ان يغتتموها " فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها "^(٢٠) وهذه الخطب والكلمات جعلت جند الشام يتقدمون للقتال كأنهم فاتحوا البلاد غير العربية وغير الإسلامية .

(١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٢٤٣ .

(١١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٢٢٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٤ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٤-١١٥ .

(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٩١ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٩١ .

(١٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٥ .

(١٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٢٤١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٠ ، يذكر انها لليلتين من ذي الحجة .

(١٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٨ .

(١٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٨ .

(١٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٦ .

(٢٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٠ .

ثم اقبل طائفة من أهل الشام فدخلوا المدينة من قبل بنو حارثة* من جانب الخندق^(١) ، وهم الذين قالوا ((إِنِّي بِيُوتِنَا عَوْرَةٌ ^(٢)) ، أي خالية فقد أمكن من أراد دخولها^(٣) ، لذلك دخلوا وهم يقاتلون من يليهم إلا وأهل الشام يضربونهم من أدبارهم ، فقتل عبدالله بن حنظلة الراهب أمير الأنصار ، وقتل عمرو بن حزم الأنصاري قاضي المدينة^(٤) ، فدخل جند الشام المدينة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٦٣هـ / ٦٨٣م^(٥) ، وانتهكوا حرمتها^(٦) ، ويبدو ان مسلم بن عقبة لم يتمسك باحترام المدينة وبذلك فإنه قد أباحها ثلاثاً^(٧) ، وكان يشجع أهل الشام على قتل أهل المدينة حتى وان كرهوا أهل الشام ذلك فيذكر ابن الأثير^(٨) ان أهل الشام كرهوا ان يقاتلوا أهل المدينة بعد ان دخلوها ، فلما رأهم مسلم المرى وكان شديد الوجد سبهم وذمهم وحرصهم فقاتلوهم .

ثانياً . موقف الإمام علي بن الحسين (t) من ثورة أهل المدينة

تشير الروايات التاريخية الواردة في أحوال الإمام علي بن الحسين في أثناء ثورة المدينة سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م إلى انه اعتزل المدينة ثم جاءه مروان بن الحكم بحرمة بعد ان رفض عبد الله بن عمر استجارية حرمة^(١) ، فخرج الإمام علي بن الحسين (t) بحرمة وحرمة مروان بن الحكم حتى وضعهم بينبع* وكتب بذلك رسالة إلى يزيد يبين فيها عدم اشتراكه في هذه الثورة وقد وضع يزيد لمسلم ذلك " فانه لم يدخل في شي مما دخلوا فيه وقد آتاني كتابه " ^(٢) والسؤال هو لماذا اتخذ الإمام علي بن الحسين (t) هذا الموقف مع ان قادة الثورة وخصوصاً عبد الله بن حنظل الغسيل من المعروفين بالورع والعبادة ؟ وهل كان يتخوف بطش الأمويين ؟

الذي يبدو ان هناك عدداً من الأسباب كانت وراء موقف الإمام علي بن الحسين (t) من هذه الثورة أهمها :

*بنو حارثة : بنو حارث بن جناب الكلبي وهم اخوال يزيد بن معاوية . ينظر : الزبيدي ، تارح العروس ، ج٧ ص٢٢٢ - الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ص٣٣٩ .
(٢) ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج١٣ ص٦٠ .
(٣) سورة الاحزاب ، آية ١٣ .
(٤) ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، تح محمد عبدالرحمن ، ط١ ، مطبعة دار الفكر ، (بيروت / ١٤٠٧هـ) ، ج٦ ص١٨٦ .
(٥) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٦٥ .
(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٠ .
(٧) مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ص٧٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٤ .
(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٤ .
(٩) الكامل ، ج٤ ص١١٨ .
(١٠) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص٢٩ .
*ينبع : حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب (t) يتولاها ولده . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص٤٥٠ .
(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٩ .

١. ان الإمام علي بن الحسين (t) كان يعلم ان ثورة المدينة سوف تؤدي إلى فجاج كبيرة ، وتقتل النفوس الكثيرة وذلك لأنه شاهد بنفسه ما فعله الأمويون وأنصارهم في كريلاء بحق الإمام (t) وأهله وأنصاره ولم تكن لديهم حرمة لرسول الله (ﷺ) ولا لأهل بيته^(٣) ، هذا فضلا عن ابتعاده عن السياسة وانشغاله بأمور الزهد والسلام^(٤) . وكان النعمان بن بشير الأنصاري قد حذر القائمين بالثورة من مغبة تلك الثورة وخوفهم بان القتل والهتك سيكون شاملا وجاء ذلك من خلال المحاورة مع عبدالله بن مطيع فقال " ، ... ، وقد خلفت هؤلاء المساكين يقتلون في سكناهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس فانصرف " ^(٥) . وربما جاء كلامهما* هذا لانهما شاهدا واقعة الطف وما أحدثه والي بني أمية من قتل وتمثيل بالإمام (t) وأصحابه .

٢. أن ثورة أهل المدينة كانت متأخرة ، إذ كان ينبغي لها ان تتحرك حين رفض الإمام (t) البيعة ليزيد بن معاوية في أثناء حكم معاوية بن أبي سفيان او تتحرك بعد وفاة معاوية إلا ان ذلك لم يحصل حتى استقر الوضع لصالح يزيد بن معاوية ، لذلك كان الإمام علي بن الحسين (t) يراها متأخرة زمنياً فلا فائدة أو جدوى من الاشتراك بها^(٦) .

٣. بشكل عام لا يميل الأئمة من أهل البيت (i) إلى نقض البيعة وأعمال العنف السياسي ، فمثلاً

بعد صلح الإمام الحسن (t) مع معاوية وفي حياته كاتب أهل الكوفة أخاه الإمام (t)

لغرض ان يخرج على هذا الصلح لأن الإمام (t) كان كارهاً له لكن على الرغم من هذا لم

يخرج الإمام (t) احتراماً للعهد الذي قطعه أخوه الإمام الحسن (t) مع معاوية^(١) ، وحتى

بعد وفاة الإمام الحسن (t) وعندما كتبت الشيعة من أهل الكوفة إلى الإمام (t) في خلع

معاوية والبيعة له امتنع عليهم وقال أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً ولا يجوز له نقضه حتى

نقض المدة ، فإذا مات معاوية نظرنا في ذلك^(٢) .

٤. واغلب الظن ان نهاية المعركة لو كانت لأهل المدينة لكان المستفيد منها هو عبدالله بن الزبير

الذي كان نفوذه في مكة يتصاعد يوماً بعد آخر وهذا ما عبر به عمرو بن سعيد الأشدق ليزيد

بن معاوية عندما ذهب لمعاتبته بسبب عزله عن مكة حينها قال الأشدق " أن جل أهل مكة

وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه - عبدالله بن الزبير - وأحبوه وأعطوه الرضا ودعا بعضهم

بعضاً سراً وعلانية " ^(٣) ، على الرغم من ان ابن الزبير لم يقدم أي توضيحات يذكرها

المؤرخون لذلك لم يشترك فيها الإمام علي بن الحسين (t) .

٥. بالرغم ان قادة الثورة من الأشخاص الوريثين أمثال عبدالله بن حنظلة الغسيل إلا أن ثمة

خيوطاً زبيرية تواجدت في الحركة أمثال ، المنذر بن الزبير الذي ذهب الى الشام مع الوفد ثم

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٥ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٧ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٤ - دكسن ، الخلافة الاموية ، ص ٦٢ .

**كلاهما : الامام علي بن الحسين (t) والنعمان بن بشير الانصاري .

(٦) الساعدي ، دراسات سياسية في حياة الإمام علي بن الحسين (t) ، ص ١٧٨ .

(١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٨ .

رجع الكوفة ومن ثم جاء إلى المدينة بعد أن أخبره ابن زياد بأمر يزيد منه ، نجده يقدر بيزيد أكثر من بقية أصحابه فيقول " ان يزيد والله لقد أجازني بمائة ألف درهم ، وانه لا يمنعني ما صنع إلى ان أخبركم خبره ، ... ، والله انه يشرب الخمر وأنه ليسكر حتى يدع الصلاة ، وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وكانوا معه وأشد " (٤) ، ومن الواضح ان المنذر بن الزبير هو أخو عبدالله بن الزبير فليس من المستبعد ان يكون هذا اتفاقاً خاصاً قد جرى بين الاثنين لتحريك الناس في المدينة لحساب عبدالله ، هذا فضلاً عن ان عبدالله بن مطيع العدوي هو زبييري الهوى .

أما مسألة المراسلة له من يزيد بن معاوية فنعتقد انه هنالك ثلاث احتمالات لهذه المراسلة ، كان على الإمام علي بن الحسين (ع) ان يتصرف بها :

١. السكوت أو الوقوف على الحياد ، وهي مخاطرة لا يسلم ان تؤدي إلى قتله لو لم يتمسك الإمام بجانب الحياد أو السكوت أو الوقوف لكان أول المقتولين في المدينة من مسلم بن عقبة المري والدليل أنه عند مجيئه مروان بن الحكم وابنه عبدالملك قال مسلم " أنما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي ، والله لو كان هذا الأمر اليهما لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك " (١) ، ومعنى ان أمان مروان وابنه عبدالملك لا يؤخذ به على الرغم من حيادية الإمام تجاه الثورة .
٢. الوقوف إلى جانب الحركة والاشتراك فيها ، وهذا غير ممكن للأسباب التي ذكرناها في الصفحة الماضية .
٣. الإعلان عن عدم الاشتراك بالثورة ، وهو الموقف الذي تصرف به الإمام علي بن الحسين (ع) وكان تصرفه ضرورة تقتضيها الإمامة ليس إلا ... وجاء نتيجة انه عرّف يزيد بموقفه من الثورة ولولا هذه الخطوة لقتله مسلم بن عقبة فيما خاطبه وقال له " أخبرني يزيد أنك كاتبته ، فذلك نافعك عندي " (٢)

ثالثاً : مجربات الثورة

١. أسبابها .

هنالك عدد من الأسباب لهذه الثورة أبرزها :

- أ. شخصية يزيد بن معاوية وما وصف به بأنه ليس له دين ، وشربه للخمر ، فقد ذكر البلاذري (١) ان المسور بن مخرمة الزهري وفد إلى يزيد قبل ولاية عثمان بن محمد بن أبي

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨١ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٣٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٩ ، لم يذكر " ذلك نافعك عندي " .

(١) انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٣١ .

سفيان ، فلما قدم من عنده شهد عليه بالفسق وشربه للخمر ، وبعد ان علم يزيد ذلك كتب الى عامله بأمره ان يضرب مسوراً الحد فقال أبو حسرة شعراً فيه :

أيشربها صهباء كالمسك ريحها أبو خالد ويضرب الحد مسوراً

ب. يمكن القول بأن ثورة الإمام (t) كانت السبب الآخر في ثورة أهل المدينة فيذكر ابن

سعد^(٢) ان أهل المدينة بعدما علموا بقتل الإمام (t) من قبل السلطة الأموية طلبوا منه - عبدالله بن الزبير - ان يظهر بيعته للناس ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على تمسك أهل المدينة بمبدأ الأفضل للخلافة من بين أبناء الصحابة .

ج. سياسة العطاء التي كان يعاني منها أهل المدينة ، فقد ذكر ابن قتيبة^(٣) ان يزيد أمر صاحب أول جيش يصل إلى المدينة ان يخبرهم ، ان لأهل المدينة عهداً عليه ، أن أقروا بالطاعة سوف يجعل لهم عطاءين في كل عام ، وان يخرج العطاء الذي أحتبس عنهم في عهد معاوية

د. رغبة أهل المدينة بشكل عام والأنصار بشكل خاص ان تعود الخلافة إلى مدينة رسول الله محمد

(ë) وما بيعتهم لعبد الله بن حنظلة الغسيل إلا دليل هذه الرغبة^(٤) ، هذا فضلاً عن مشاركة معظم القبائل العربية في المدينة في هذه الثورة^(٥) ، وما التضحيات والخسائر إلا دليل ذلك .

هـ. تضعف الأوضاع السياسية في الدولة العربية الإسلامية بسبب وجود عبدالله بن الزبير في مكة والذي بدوره اخذ يبايع لنفسه سراً ، هذا فضلاً عن التحاق الخوارج النجدية بابن الزبير^(٦) ، وربما كسرت حاجز الخوف الذي كان موجود عند أهل المدينة .

٢. واقعة الحرة .

بعد عودة النعمان بن بشير الأنصاري إلى الشام وفشله في رد أهل المدينة عما يردونه كتب يزيد إلى أهل المدينة كتاباً فيه تهديد ووعد أمر واليه عثمان بن محمد أن يقرأه عليهم وفيه " ... ، لئن أثرت أن أضعكم تحت قدمي لأطانكم وطاة اقل فيها عددكم وأترككم أحاديث تتناسخ كأحاديث عاد وثمود "^(١) وكان لهذا الكتاب الأثر الكبير في أهل المدينة لذلك أيقنوا بأن يزيد سوف يرسل لهم جيوشاً تحاربهم فعملوا في أخراج بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش وكانوا نحواً من ألف رجل فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم ، فحاصروهم أهل المدينة حصاراً ضعيفاً^(٢) ، وهتفوا بخلع الخليفة يزيد^(٣) .

(٢) الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢٢٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٩٩ .

(٣) الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٦ - البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ص٦٥ ، يذكر فيه عطاءين فقط .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٣ .

(٥) خليفة ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج١ ص٢٣١ . ينظر : خليفة بن خياط في تاريخه ، ج١ ص٢٣١-٢٤٥ لتجد أسماء القتلى من أهل المدينة من مختلف القبائل الساكنة في المدينة .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٢ .

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ص٣٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٢ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٣٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٨٩ .

عندما تجمع بنو أمية في دار مروان كونه أكبرهم وأشهرهم ، فكتبوا إلى الخليفة كتاباً وأرسلوه بيد حبيب بن كره يسألونه الغوث^(٤) .

بعد ان وصل الكتاب إلى الخليفة يزيد فزع اشد الفزع وقال : أهل المدينة اخرجوا قومنا منها والله لان تقع الخضراء* على الغبراء** أحب إلى من ذلك^(٥) .

فبعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد لقيادة الجيش نحو المدينة فرفض ذلك وقال " والله لاجمعتهم للفاسق ، قتل ابن بنت رسول الله ، وغزو الكعبة " ^(٨) ثم أشار مرة أخرى على عمرو بن سعيد الأشدق فأقرأه الكتاب وأخبره وأمره أن يسير إليهم في الناس فرفض أيضاً وقال : قد كنت ضبطت لك البلد وأحكمت الأمور وأردت أن ألطف للرجل فأخذه في رفق أو أقتله وحده بحيلة ، فأما الآن فأني لا أحب إهراق دماء قريش^(٩) ، ويتولاها منهم من هو أبعد منهم مني^(١) ، ثم أرسل أخيراً إلى مسلم بن عقبة المري* ، وهنا اختلف المؤرخون في إجابة مسلم ليزيد فيرى البلاذري^(٢) ان مسلم قال ليزيد بعد ان عرض عليه قيادة الجيش : أما قدروا وهم ألف رجل ان يقاتلوا عن أنفسهم ساعة واحدة ، بينما يرى الاصفهاني^(٣) ان مسلم قال ليزيد : ما كنت مرسلأ إلى المدينة أحداً إلا قصر وما صاحبهم غيري ، أني رأيت في منامي شجرة غرق تصيح على يدي مسلم فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول أدرك شارك أهل المدينة قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) .

والذي يبدو ان الرأي الثاني هو الأكثر صواباً بسبب ان اتجاه شخصية يزيد مع مسلم بن عقبة المري هو اتجاه واحد وهما لديهما الرغبة للحرب وللاضطهاد والقتل ، وما يدل على هذا ان بعض المؤرخين^(٤) ذكروا : ان يزيد قال لمسلم ان شئت أعفيتك فإن أراك مدنفأ منهوكأ ، فقال مسلم نشدتك الله ان لا تحرمني أجراً ساقه الله لي ، ويقول اليعقوبي^(٥) ان مسلم بعدما قص عليه يزيد القصة فقال مسلم يا أمير المؤمنين ، وجهني إليهم فوالله لادعن أسفلها أعلاها .

(٤) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١ ص ٣٠ .

*الخضراء : السماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ١٢٣ .

**الغبراء : الارض ، في قوله (غ) : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ٥٦٤ .

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٦٨ - البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ص ٦٤ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٢٠٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ .

*مسلم بن عقبة : مسلم بن عقبة بن رياح بن اسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع بن نحيظ بن مرة بن المري ، من اصحاب الخليفة معاوية وشارك معه في حرب صفين . ينظر : الزبيري ، نسب قريش ، ج ٤ ص ١٧٢ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٤ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٤ ص ١٢٣٣ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٦ ص ٧٦ .

(٢) انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٣ .

(٣) الاغاني ، ج ١ ص ٣١-٣٢ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٦٨ - البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ص ٦٤ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٢ .

بالإضافة إلى ذلك فإن هنالك سبباً آخر مهماً هو وصية معاوية لابنه يزيد حينما قال له " ان لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته " (١) من هذا يمكن القول ان سبب اختيار يزيد لمسلم بن عقبة كونه سامعاً مطيعاً ، وأنه ذو آراء سديدة (٢) ، هذا فضلاً على انه احد جبابرة العرب (٣) .

أما الرغبة عند يزيد في قتال أهل المدينة فيتضح لنا ذلك من خلال رفضه اقتراح مسلم بن عقبة ترك بني أمية يقاتلون أهل المدينة بأنفسهم فقال له " أنه لا خير في العيش بعدهم " (٤) لذلك أهتم بشدة بهذه الحملة وسير مع مسلم بن عقبة المرى أثني عشر ألف رجل (٥) ، وأعطاهم أعطياتهم كاملة ومعونة مائة دينار

توضع في يد الرجل من ساعته (٦) ، وخرج الخليفة يزيد إلى الخيل يتصفحها وينظر إليها وهو يقول :

أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى وأشرف القوم على وادي القرى

أجمع سكران ان هن القوم ترى

والذي يبدو ان هذا القول كان يراد به عبدالله بن الزبير كونه كان يكنى أبا بكر (٧) ، وكان ابن الزبير يسمى يزيد ، يزيد السكران الخمير (٨) ، بسبب كثرة شربه للخمر .

وأهتم يزيد بهذه الحملة فقد عين بديلاً لمسلم بن عقبة في حالة حدوث حادث ما به (٩) ، لأنه كان مريضاً فلذلك عين الحصين بن نمير السكوني ، وأوصى يزيد وصيته إلى مسلم " أدع القوم ثلاثاً ، فإن هم أجابوك والا فقاتلهم ، فإذا ظهرت عليهم فأبجها ثلاثاً ، فما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهم للجنـد " (١٠) .

ويمكن ان نستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

١. وجود أمر قتال أهل المدينة من يزيد بن معاوية وإباحتها وربما ان هذا الأمر متوارث في البيت الأموي لأن معاوية أخذ وصية جده نهد بن زيد* وأوصى بها لأولاده " أوصيكم بالناس شراً ، ضرباً ، ... ، قصرُوا الأعنة واشرعوا الأسنة ، ... ، فإن غش الناس يدعو إلى سوء الظن ، وسوء الظن يدعو إلى سوء الظن " (١١)

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٢٩ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٤٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٥ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٨٧ - ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٦١ ص ٨٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ - ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج ١ ص ٦٠ .

(٢) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٦١ ص ٨٤ .

(٣) ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٠٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ .

(٥) العياشي ، محمد بن سعيد (ت ٣٢٠ هـ) ، تفسير العياشي ، المطبعة العلمية ، (١٣٠٨ هـ) ، ج ٢ ص ٥٨ - ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، بقلم د. محمد عبدالقادر حاتم ، المؤسسة العربية ، (القاهرة / ١٩٦٣) ، ج ١ ص ١٦٠ - المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥٢ ص ٣٤٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ .

(٧) الشيرازي ، ابراهيم بن علي (ت ٤٧٦ هـ) ، طبقات الفقهاء ، تح خليل الميس ، دار القلم ، (بيروت / بلات) ، ج ١ ص ٣٢ .

(٨) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٣ - مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٠ .

(٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٣ - الفاسي ، شفاء الغرام ، ج ٢ ص ١٦٨ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٤ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٣١ ، يذكر فيه كلمة رثة بدلاً من رقة - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ ، يذكر فيه دابة بدلاً من كلمة رقة .

*نهد بن زيد : نهد بن زيد بن ليث بن أسلم بن قضاة ، جد جاهلي يمني كان يسكن بقرب نجران ، عاش عمراً طويلاً . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ٢ ص ٢١٦ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٨ ص ٤٩ .

الاحتراس^(٦)، فانطلاقاً من هذا أوصى معاوية سفيان بن عوق الغامدي عندما غار على الانبار بأن يقتل من لقيت ممن ليس علي مثل رأيك^(٧)، فجاءت سياسة يزيد مكملة لسياسة الأجداد حينما أمر مسلم بن عقبة بإباحة المدينة وقتل أهلها لان في قتالهم يتحقق ما يأتي :

أ. قتل المعارضين لسياسته بدون استثناء سواء كانوا صحابة أم فقهاء أم قراء أم من قریش أو من بني أمية وليس كما يذهب إليه احد الدارسين^(٨) بأن مسلم بن عقبة توجه من دمشق قاصداً حصار المدينة .

ب. عودة مدينة رسول الله (ﷺ) إلى طاعة الخلافة الأموية وبالتالي يعرف المجتمع العربي آنذاك أنه لا توجد لدى الأمويين فضائل أو قدسية مدن وإنما ملكهم فوق كل شيء .

٢. وجود أمر إباحة للمدينة من يزيد بن معاوية^(٩)، لكن بالرغم من هذا الأمر نجد ان المؤرخين قد اختلفوا في هذا فيرى البعض منهم^(١٠) أن أمر الإباحة قد جاء بعد ان يعرض عليهم شروطاً وأن رفضوها فيدخل ويبحها ثلاثة أيام من مال أو سلاح أو رقة ، ويرى ابن قتيبة^(١١) ان يزيد قال لمسلم بن عقبة " أن صدوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وأنهبها " . أما ابن أعثم الكوفي^(١٢) فيذكر ان يزيد قال لمسلم أن كان أهل المدينة قتلوا أحداً من بني أمية فادخلها بالسيف وأرق الدماء فيها

ثلاثة .

ومن خلال مناقشة الآراء نجد ان رأي ابن أعثم الكوفي مُستبعداً بسبب عدم وجود رواية واحدة تثبت أن هناك رجلاً واحداً من بني أمية قد قتل في المدينة قبل مجيء جند الشام ، أما رأي ابن قتيبة فينبغي علينا أن نوضح أن أهل المدينة لم يحاربوا ابن عقبة أكثر من عملهم الحصون لحماية أنفسهم من الجيش الكبير القادم من الشام ولم يقاتلوهم إلا ان دخل جند الشام بقتالهم وكان هو البادي في الحرب وليس جيش أهل المدينة ، أما الرأي الأول فهو وجود أمر الإباحة ولكن لا توجد فيه إباحة للنساء ، والسؤال هو هل كانت إباحة النساء بأمر يزيد أو من ابن عقبة نفسه .

لم توجد رواية تحدد فيها أمر إباحة النساء من يزيد إلى مسلم بن عقبة بل أن أمر إباحة النساء قد تم بأمر مسلم بن عقبة المرى نفسه لذلك وصف بأنه احد جبابرة العرب ، فقد ذكر الحموي^(١٣) بأن أهل

(٦) السمعاني ، الانساب ، ج٢ ص٢١٦ .

(٧) الشيخ الصدوق ، محمد بن علي (ت ٣٨١ هـ) ، كمال الدين وتمام النعمة ، تح علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر لجماعة المدرسين ، (قم / ١٤٠٥ هـ) ، ص ٥٦١ .

(٨) الراوي ، قصي اسعد الحميد ، آل الزبير ودورهم في الدولة العربية حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، مقدمة الى كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٤ م) ، ص ٢٥٤ .

(٩) الزبيري ، نسب قریش ، ج٤ ص ١٢٧ - الفاكهي ، اخبار مكة ، ج٢ ص ٣٥٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٨٤ - ابن أبي يعلى ، أبو الحسين محمد (ت ٥٢١ هـ) ، طبقات الحنابلة ، تح محمد حامد الفقي ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / بلات) ، ج١ ص ٣٤٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١١٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ - المحامي ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية ، تح د. إحسان حقي ، ط ٢ ، دار النفائس ، (بيروت / ١٤٠٣ هـ) ، ج١ ص ٣٤ .

(١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق ٢ ص ٣٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٨٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١١٢ - ١١٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٠ .

(١١) الإمامة والسياسة ، ج١ ص ١٦٨ .

(١٢) الفتوح ، مج ٣ ج ٥ ص ٣٤ .

(١٣) معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٤٩ .

الشام سبوا الذرية واستباحوا الفروج وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدت ، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرية ، وبسبب هذه الأعمال الشنيعة التي صنعها مسلم بالمدينة فقد سماه أهل المدينة مسرفاً^(٦) .

رابعاً . مسلم بن عقبة المرمي في المدينة .

بعد دخول مسلم بن عقبة المرمي وجنده مدينة رسول الله (ﷺ) فإنه أفزع من كان بها من الصحابة والشيوخ والكبار ، فيذكر بعض المؤرخين^(١) أن من بين الصحابة الذين هربوا من جند الشام وأفزعوا هو أبو سعيد الخدري* الذي أقحم عليه رجل من أهل الشام الغار الذي آوى إليه ، واختفاء جماعة من سادات العرب منهم جابر بن عبدالله** ، وقتل عبدالله بن يزيد المازني*** وهو من الصحابة^(٢) وكذلك قتل سبعمائة رجل من حملة القرآن^(٣) ، وبذلك هتكت حرمة مدينة الرسول محمد (ﷺ) فيذكر مالك^(٤) انه قال عنها " هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرم مكة ، وأنا أحرم ما بين لايئتيها**** " ، وقوله : " لا يكيد أهل المدينة أحداً الا أنماع كما ينماع الملح في الماء " (٥) وانتهت هذه المأساة الكبيرة بأمر لا يحبه الله^(٦) .

هذا فضلاً عن النتائج الأخرى منها :

(٦) البغدادي ، محمد بن حبيب ، المحبر ، ص ٤٨٢ ، المنق ، ص ٣١٦ - الجوهري ، الصحاح ، ج ٤ ص ١٣٧٣ - الشيخ المفيد ، الافصاح ، ص ٤٤ - القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ٧ ص ١١٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ - الفيروز آبادي ، نصر الهوتي (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، (بلات) ، ج ٣ ص ١٥٢ .
(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٣٠ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٨ - ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٠٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٢ .
*أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن الابجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، مدني ، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين والانصار . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ٣٥٠ - البرقي ، رجال البرقي ، ص ٢ .
**جابر بن عبدالله : جابر بن عبدالله بن عمرو بن حزام الانصاري ، عظيم الشأن ، كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ﷺ) وكان من محبي أهل البيت (ت) . ينظر : ابن داود الحلي ، تقي الدين بن داود الحلي (ت ٧٠٧هـ) رجال ابن داود ، المطبعة الحيدرية ، (النجف / ١٣٩٢هـ) ، ص ٦٠ .
***عبدالله بن يزيد : عبدالله بن يزيد بن عاصم بن عمرو بن كعب الانصاري وهو من مشاهير علماء أهل المدينة . ينظر : ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ج ١ ص ١٩ - السخاوي ، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩١) ، ج ٢ ص ٣٨ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٢ .
(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ - عيسى ، أحمد بن ابراهيم ، شرح قصيدة ابن القيم ، تح زهير الشاوشيش ، ط ٣ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤٠٦هـ) ، ج ٢ ص ٤ .
(٤) ابن أنس ، الموطأ ، ج ٢ ص ٨٨٩ .
****لايئتيها : معناها حراتها وطرفاها . ينظر : المنذري ، زكي الدين عبدالعظيم (ت ٦٥٦هـ) ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٤هـ) ، ج ٢ ص ١٥٢ .
(٥) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٤٥ - ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٢٨٨ - المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج ٢ ص ١٤٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٤ .
(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٧ .

١. قتل عدد كبير من الأنصار والمهاجرين بلغ عددهم ثلاثمائة رجل وستة رجال^(٧).
 ٢. قتل عدد كبير من الموالي والعرب بلغ عددهم عشرة آلاف رجل^(٨).
 ٣. الاتكسار النفسي أهل المدينة فلم يستطيعوا ان يقيموا بأي عمل عسكري على المدى القريب ، وما ذكره بعض المؤرخين^(٩) من ان مروان بن الحكم وجه حبيش بن دلجة العتيبي* إليهم في سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م فدخلها من دون مقاومة إلا دليل على ذلك .
 ٤. هروب أغلب الناجين من هذه المعركة إلى مكة ، مما زاد في قوة عبدالله بن الزبير وربما علموا ابن الزبير بحجم القوة العسكرية القادمة إليه من المدينة لذلك تحصن في مكة وابرز من لجأ إليه عبدالله بن مطيع العدوي^(١٠) وأخيه المنذر بن الزبير^(١١).
 ٥. البيعة على أنهم خول** ليزيد بن معاوية^(١٢) ، وهذا أمر جديد في حياة العرب المسلمين لذلك يجب علينا ان نعرف كيف كانت البيعة على عهد رسول الله محمد (ﷺ) ، وما الغرض من هذه البيعة على أنهم خول .
- أجمع المؤرخون^(١٣) على ان مسلم بن عقبة قد دعا الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول يحكم في دمائهم وأموالهم وأهاليهم فيما شاء ، فمن أمتنع عن ذلك قتله ، وهذا مخالف للبيعة التي أقرها الله ورسوله (ﷺ) فيذكر عبدالله بن عمر " كنا إذا بايعنا رسول الله (ﷺ) على السمع والطاعة يقول لنا رسول الله (ﷺ) ، فيما استطعتم "^(١٤).

أما البيعة التي أمر بها وأقرها مسلم بن عقبة المري ، فأنها كانت غير مألوفة وما أتى به الإسلام من أمر البيعة ، ولكن لماذا أصر عليها ابن عقبة هل انه أراد قتل أهل المدينة أم أنه أراد أثبات نفسه بأنه مطيع وعارف للنصيحة مثلما وصفه معاوية ، فيذكر بعض المؤرخين^(١٥) ان ابن عقبة جلس للبيعة فكان أول من اتاه يزيد بن عبدالله بن زمعة بن الأسود*** ، فقال : بايع لأمر المؤمنين على أنك عبد قن يحكم في مالك ودمك ، قال : أباع على كتاب الله وسنة نبيه وعلى أي ابن عمه ، فقدمه مسلم فضرب عنقه ، وكان الأسود من ضمن شخصيات الوفد التي ذهبت إلى يزيد وشهدت عليه بشربه للخمر وربما ان سبب قتله لأنه شهد على يزيد بذلك والا فإنه دخل على ابن عقبة المري بعد ان أعطاه الأمان ،

(٧) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٤٤ .
 (٨) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٢ .
 (٩) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ١٦٧ .
 *حبيش بن دلجة : حبيش بن دلجة العتيبي ، أحد بني وائل بن حيشم ، من المعروفين بولائه للأمويين ، أشترك معهم في معركة صفين . ينظر : المنقري ، وقعة صفين ، ص ٢٠٧ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٤٠-١٤١ - السمعاني ، الانساب ، ج ٢ ص ٤٨٨ .
 (١٠) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٤٦ .
 (١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٧ .
 **خول : أسم يقع على العبد . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ج ١ ص ٨١ .
 (١٢) ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج ١٣ ص ٦٠ ، لسان الميزان ، ج ٦ ص ٢٩٤ .
 (١٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٣٠ - البغدادي ، المنمق ، ص ٣١٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٣ - البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ص ٦٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٨ .
 (١٤) أبين حنبل ، مسند الإمام أحمد ، ج ٦ ص ٢٥٦ - مالك بن أنس ، الموطأ ، ج ٢ ص ٩٨٢ .
 (١٥) الزبير ، نسب قریش ، ج ١ ص ٣٧١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٨٢ .
 ***يزيد بن عبدالله : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزي . ينظر ، الطبري ، هامش تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٢ .

ويقول الطبري^(١) ان ابن عقبة أمر بقتل معقل بن سنان الاشجعي* لمجرد انه قال في يزيد كلام غير مقبول ، مع انه قد أعطاه الأمان في ذلك ، لذلك قيل عنه انه قتل صبراً^(٢) .

من هذا يتضح لنا أمران هما :

١. ان مسلم بن عقبة أراد قتل أهل المدينة لذلك شرط عليهم أنهم خول له يحكم فيهم ما يشاء^(٣) لأنه يدرك أنهم يرفضون ذلك لذلك أخذ باستخدام الحيلة مع بعض الشخصيات البارزة من اجل قتلهم وكما بينا أعلاه .
٢. ربما ان هناك أمر من يزيد إلى مسلم بن عقبة المرى باستخدام هذا الشرط لدخول الطاعة ، والا كيف لم يتناس المرى وصية يزيد بالإمام علي بن الحسين (t) .

خامساً : أسباب إخفاق ثورة الحرة وتناجها

١. أسباب إخفاق الثورة

تضافر عدد من الأسباب لإخفاق هذه الثورة التي كادت ان تمسح ذكر بني العاص من هذه المدينة وأهمها :

١. تجهيز جيش الخلافة الأموية إذ كان ذا سلاح شاك وأداة كاملة ومعه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حين خرج^(١) ، في حين ان جيش أهل المدينة لا تتوافر فيه هذه الإمكانيات .
٢. دور مروان بن الحكم في توضيح طبيعة عسكر المدينة لأهل الشام ، مما ساعد على رفع نفوسهم ومعنوياتهم للقتال حيث قال " ليس لهم نيات ولا بصائر ، وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف "^(٢) .
٣. خيانة بني الحارثة لأهل المدينة كونهم أحوال يزيد بن معاوية^(٣) ، فيذكر ابن قتيبة^(٤) ان أحد رجال بني حارثة فتح لهم الطريق للدخول إلى المدينة مقابل ان يضاعف له العطاء ويكتب له إلى الخليفة يخبره بمساعدته لهم .

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٩ .
*معقل بن سنان : معقل بن سنان بن مظهر بن عركي بن قتيان بن سبيع بن بكر بن اشجع ، شهد الفتح مع النبي محمد

(٢) ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٧٠ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٧١ - الذهبي ، من له رواية في كتب السنة ، ج٢ ص٢٨١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٨ .

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٨ .

(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٩ .

٤. دور عبد الملك بن مروان في توجيه الجيش الشامي نحو منطقة الحرة الشرقية^(٥) ، وبذلك فإنه قد ساعد بشكل مباشر في دخولهم المدينة .
٥. ان ثورة أهل المدينة خاصة بأهل المدينة ولم تقدم لها أي مساعدات تذكر من الأقاليم الإسلامية الأخرى المعادية للخلافة الأموية وبالأخص إقليم الحجاز أي عبدالله بن الزبير ، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى سهولة حصر المدينة والقضاء على عناصر الثورة وفرار القسم القليل منهم إلى مكة ومن أبرزهم عبدالله بن مطيع العدوي^(٦) ، والمنذر بن الزبير^(٧) .

٢. نتائج الثورة

بالرغم من ان ثورة أهل المدينة أخفقت إلا إنها خرجت بمجموعة من النتائج القاسية منها :

١. ان سياسة بني أمية وأعوانهم كانت ضد مبادئ الإسلام الحنيف ويتجلى لنا ذلك من خلال الأمور الآتية :

- أ. انتهاك حرمة مدينة رسول الله محمد (ﷺ) فقد ذكر البخاري^(١) عن ثابت بن زيد عن النبي محمد (ﷺ) قال " المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث منها حدثاً ، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " ولم يجاهرهم أحد من الأمة بنكيرهم^(٢) ، بسبب انتهاك قدسية حرم الرسول (ﷺ) حيث يذكر الجندي^(٣) عن عمرة بنت عبدالرحمن بأنها سمعت مروان بن الحكم يخطب بمكة فذكر فضلها فأطنب فيها ، فقال رافع بن خديج له : ذكرت مكة وفضلها وهي على ما ذكرت ولم أسمعك ذكرت المدينة ، أشهد لسمعت رسول الله (ﷺ) يقول المدينة أفضل من مكة .
- ب. البيعة التي أقرها رسول الله محمد (ﷺ) هي بيعة على قدر الاستطاعة ولكن وجدنا ابن عقبة المري يريد لها خولاً .

(٣) الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ص ٣٣٩ .

(٤) الإمامة والسياسة ، ج١ ص ١٧٠ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص ٣٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٨٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٩٦ .

(٧) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص ١٧٧ .

(١) صحيح البخاري ، ج١ ص ٤٤٣ .

(٢) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد (ت ٤١٣هـ) ، الافصاح في إمامة أمير المؤمنين ، مؤسسة البعثة ، (قم / ١٤١٢هـ) ، ص ٤٤ .

(٣) الفضل بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٠٧هـ) ، فضائل المدينة ، (بلا ت. ط.) ، ص ٢٢ .

٢. كره بني أمية لأهل المدينة وقد أشار مروان بن الحكم إلى ذلك حينما قال " أنا والله ماضٍ مع مسلم إلى المدينة ، فمدرك ثاري من عدوي وممن أخرجني من بيتي " (٤) وقد ذكر الاصفهاني (٥) ذلك حينما قال ان مسلم بن عقبة عندما توجه نحو المدينة " سمعتُ قائلاً يقول

أدرك تارك أهل المدينة ، قتلة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

٣. كره قريش لبني أمية وقد أشار القرشيون إلى ذلك عندما جاء مروان يعتذر إليهم فقالوا له " أنت والله الذي قتلتنا ، ما عذرك الله ولا الناس " (٦) ، ولم يكن خروج بني أمية من المدينة باجمعهم بل خروج المواليين ليزيد ، ودليل هذا وجود عدد من القتلى من بني أمية في هذه الثورة (٧) .

٤. الخسائر البشرية الكبيرة التي أخضعت إكمانيات أهل المدينة عسكرياً ، لذلك قال المسعودي (١)

عنها كانت من أعظم الأحداث في الإسلام وأجلها وافضعها رزءاً بعد استشهاد الإمام (ت) لما حدث فيها من شر عظيم وفساد عريض (٢) .

٥. دور مسلم بن عقبة المرمي في الخطابة مع أهل الشام ، وحثهم على قتال أهل المدينة (٣) وتذكيرهم بأن أهل الشام هم أفضل عند الله من بقية الناس في الأمصار الأخرى (٤) ، إضافة إلى دوره في تحويل المعركة إلى ما يحب الإنسان إلى سياسة المال فقد كان يوعد كذا من جاء بكذا فازدادت حماسة أهل الشام لأن قتالهم ليس عن الدين أو الإسلام والخلافة بل من أجل المال كأى فتح من الفتوح العربية الإسلامية آنذاك لذلك فإن مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغري قوماً لا دين لهم ، فقتلوا وظهروا على أكثر المدينة (٥) .

أولاً. أوضاع الشام السياسية بعد وفاة يزيد

١. خلافة معاوية بن يزيد سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م .

(٤) أبن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٣ - أبن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٣ .

(٥) الاغانى ، ج ١ ص ٣١-٣٢ .

(٦) أبن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٣ .

(٧) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٤٤ .

(١) التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٤ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٠ ،

(٥) أبن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٠-١٧١ .

بعد وفاة الخليفة يزيد بويق لابنه معاوية بالخلافة في الشام وكذلك لعبدالله بن الزبير بالحجاز والعراق واليمن ومصر وأكثر الشام^(١) ، ولم تكن هناك بوادر للحرب الأهلية بين القبائل القيسية والكلبية في الشام بسبب قصر فترة خلافة معاوية ، فقد قيل في حكمه انه حكم عشرين يوماً^(٢) ، وقيل أربعين يوماً^(٣) وقيل مئة يوم^(٤) ، لكن على ما يبدو انه حكم أربعين يوماً لإجماع أغلب المؤرخين عليه .

توفي الخليفة معاوية بن يزيد^(٥) من دون أن يرشح أو يعين له ولياً للعهد أو الخلافة وقد أشار الخليفة إلى سبب ذلك في خطبته عندما قال " ، ... ، وان جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به فركب ردعه واستحسن خطاءه ولا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم " ^(٦) .

والذي يمكن أن نستكشفه من هذا النص هو ميل الخليفة معاوية إلى أهل بيت رسول الله (ﷺ) وإنكاره الشديد على جده وأبيه^(٧) ، هذا فضلاً عن إن الحكم لم يكن لبني أمية وإنما الخلافة للإمام علي وأولاده ، وهذا رد اعتبار من البيت الأموي بحق أهل بيت رسول الله (ﷺ) ^(٨) ، إضافة إلى انه لم يعترف بأهله وأخوته في إدارة الخلافة^(٩) لذلك نجده يترك أمور السياسة وينشغل بأمور الدين حتى وصـف بأنـه رـجـل دین^(١٠) ولقب الراجع إلى الله^(١١) ، وكان من نتيجة هذه الخطبة قتل عمر المخصوص مؤدب الخليفة معاوية بن يزيد^(١٢) .

(١) السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ) ، اسعاف المبطأ برجال الموطأ ، تح موفق فوزي جبر ، مطبعة دار الهجرة ، بيروت / ١٤١٠هـ) ، ص ٥٧ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٦٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٣ - ابن حبان ، الثقات ، ج ٢ ص ٣١٤ - ابن حزم ، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، ص ٣٥٨ - ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت ٦٦٦هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت / ١٩٥٨م) ، ص ١١١ - العاملي ، بهاء الدين محمد بن الحسين (ت ١٠٣٠هـ) ، توضيح القاصد ، مكتبة آية الله المرعشي للنشر ، (قم / ١٤٠٦هـ) ، ص ١٢ - الشيرازي ، محمد طاهر القمي ، (ت ١٠٩٨هـ) ، الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين ، تح مهدي الرجائي ، ط ١ ، مطبعة الامير ، (١٤١٨هـ) ، ص ٥٠٢ .

(٤) الجرجاني ، عبد القادر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ) ، ديوان الحماسة ، تح د. محمد النتنجي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت / ١٩٩٥م) ، ص ٢١٣ .

(٥) البسوي ، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ) ، المعرفة والتاريخ ، تح د. أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد / ١٩٧٤م) ، ص ٣٥ .

(٦) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٥ ص ١٧ .

(٧) الكركي ، علي بن الحسين (ت ٩٤٠هـ) ، رسائل الكركي ، تح محمد الحسون ، ط ١ ، مطبعة الخيام ، مكتبة آية الله المرعشي ، (قم / ١٤٠٩هـ) ، ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٨) الراوي ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١٢٤ .

(٩) الطائي ، نجاح ، هل قتل معاوية علناً ، ط ١ ، دار الهدى لإحياء التراث ، (لندن / ٢٠٠٤م) ، ص ١٦٢ .

(١٠) أبي الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢) ، المختصر في اخبار البشر ، تع محمود يوب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٧هـ) ، ج ١ ص ٢٦٨ .

(١١) القلقشندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ص ١٢١ .

(١٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١١ .

بعد وفاة الخليفة معاوية بن يزيد تضعضعت الأوضاع السياسية في الشام نتيجة اختلاف الأهواء فيها ، ليس بين الأمويين أنفسهم فقط وإنما بين القبائل العربية في من يكون خليفة للمسلمين فهناك الفرقة الزبيرية والفرقة البحدلية هوام لبني أمية والباقيون لا يبالون لمن كان الأمر من بني أمية^(٤) .

استغل عبدالله بن الزبير هذا الوضع بعد أن عرف بعدم وجود منافس له فكتب إلى الضحاك بن قيس الفهري وكان صاعياً إليه وقد كاتبه فبعث إليه بعهد كتاباً من قبله يدعو إلى طاعته^(٥) ، وبعث إلى النعمان بن بشير الأنصاري بعهد على حمص وكان النعمان مائلاً إليه ، وولي ناتل بن قيس الجذامي* في فلسطين بعد أن طرح عليه فكرة أن يكفيه قومه من فلسطين وكان ناتل عند عبدالله بن الزبير في الحجاز فقال له عبدالله : " ألا تكفيني قومك فخرج ناتل حتى أتى فلسطين " ^(٦) .

يبدو إن عبدالله قد كاتب واخذ بيعة أمراء الأجناد في الشام في الوقت الذي لم يكن عندهم خليفة أو من ينوب عنه ولم تكن في أعناقهم بيعة للأمويين ولعل هذا السبب هو الذي جعل الضحاك لا يظهر بيعته أمام الأمويين أو أمام بني كلب في دمشق في الوقت الذي كان دور حسان بن مالك الكلبى يظهر إلى الساحة السياسية بالدعوة لابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية^(٧) .

في الجهة المقابلة له وقف الحصين بن نمير السكوني الذي اخبر مروان بن الحكم بعد رجوعهما من مكة إلى الشام بأنه عرض البيعة على عبدالله بن الزبير فرفض ذلك، لذا فقد حذر الحصين مروان من احتمال مجيء ابن الزبير إلى الشام وخوفه منه ، ويبدو لنا ذلك من خلال نصيحته عندما قال له : "نراكم في اختلاط شديد فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شامكم ، فتكون فتنة عمياء صماء"^(٨) ، وربما جاءت هذه النصيحة نتيجة حرص الحصين على بقاء الخلافة في الشام دون غيرها من الأمصار الإسلامية الأخرى وبالأخص الحجاز.

فكان أول من خالف فيها من الأمراء هو النعمان والي حمص الذي دعا إلى بيعة عبدالله بن الزبير^(٩) ، وثار زفر بن الحارث* على حسان بن بحدل الكلبى في قنسرين** وأخرجه منها وباع لعبدالله بن الزبير وكان زفر سيد قيس في زمانه^(١٠) وقال على المنبر : " الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر

(٤) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٦ ص ٢٠٣ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٧ .

*ناتل بن قيس : ناتل بن زيد بن حيان بن أمري القيس الجذامي ، من التابعين كان سيد جذام بالشام ، شهد صفين مع معاوية . ينظر : المنقري ، وقعة صفين ، ص ٢٠٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٣٤٣ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٠ .

(٩) أين عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٨٥ - أين عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٦ ص ٢٠٣ - ج ٦٠ ص ٢٢٥ .

*زفر بن الحارث : زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابي أبو الهذيل ، أمير من التابعين بالجزيرة ، روى عن عائشة ومعاوية ، وروي عنه ثابت بن الحجاج . ينظر : الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ٣ ص ٦٠٧ - ابن ماكولا ، اكمال الكمال ، ج ٥ ص ١٨١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٤٥ .

**قنسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٤ .

(١٠) الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٤٥ .

«^(٣) ، أما الضحاك فكان يدعو إلى بيعة ابن الزبير في دمشق سرّاً^(٤) لوجود بني أمية والقبائل الكلبية إلى جانبه^(٥) .

لذلك يبدو لنا إن الناس قد انقسمت أهواؤهم إلى قسمين أحدهما لهم هوى في بني أمية وهم أتباع حسان بن مالك الكلبى والقسم الآخر لهم هوى في ابن الزبير وهم أتباع الضحاك بن قيس الفهري ، فما كان من حسان إلى إن قام خطيباً في أهل الأردن وأراد من خلال هذه الخطبة أن يكسب ود أهلها بعد أن وضع لهم أن ابن الزبير منافق وإن قتل أهل الحرة من أهل المدينة في النار^(٦) واستطاع من خلال هذه الكلمات أن يكسب بيعة أهل الأردن له على أن يجنبهما الغلامين*** من أبناء يزيد^(٧) .

وهكذا لاحت في الأفق بوادر الحرب الأهلية في الشام لرغبة أهل الأردن من الأمويين والمواليين لهم من القبائل العربية اليمانية بأن تكون الخلافة أموية في الشام ورغبة أمراء الأجناد في الشام بأن تكون الخلافة زبيرية في الحجاز .

٢. الأوضاع السياسية في الشام بعد وفاة معاوية بن يزيد

لما مات الخليفة معاوية بن يزيد مال أكثر الناس إلى عبدالله بن الزبير وقالوا هو رجل كامل السن وقد نصر أمير المؤمنين عثمان (رضي الله عنه) وهو ابن حوارى رسول الله (ﷺ) وأمه بنت أبي بكر بن أبي قحافة وله فضل في نفسه ليس لغيره^(١) .

(٣) الاصفهاني ، الاغانى ، ج ١٩ ص ٢٠٨ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١ ص ٤٥ - احمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج ٣ ص ٣٥٣ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٨٥ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

*** الغلامين ، خالد وعبدالله أبناء يزيد بن معاوية . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ - أبى ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٦ ص ١٠٧ .

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

فعندما ورد كتاب ابن الزبير إلى الضحاك بتوليته دمشق سارع أهلها بإعلان الطاعة والبيعة له فأخذها عليهم بينما انخل حسان بن مالك الكلبى إلى فلسطين فأقام بها وكان يدعو إلى خالد بن يزيد^(١) ، لذلك أرسل ابن الزبير ناتل بن قيس من أجل إخراجها منها ليسهل عليهم متابعتها ومن ثم حربه فعندما جاء ناتل إلى فلسطين قال لحسان : " أما أن تخرج من بلاد قومي وأما أن ادخل عليك فأقاتلك " (٢) ، فعندها أدرك حسان أن هوى أهل فلسطين في ابن الزبير أقوى من هوى بني أمية ، لذلك خرج منها متوجها نحو الأردن حيث ترك نائبه عليها روح بن زبأغ الجذامي الذي ثار عليه ناتل وأخرجه من فلسطين وباع لابن الزبير^(٤) ، ولم يبق أمام الأمويين ومواليهم سوى الأردن لإعادة تنظيم صفوفهم ضد ابن الزبير .

فبعدها وصل حسان الكلبى إلى الأردن أدرك أنه لابد من إنهاء أمر ابن الزبير فيها ، لذلك خطب فيهم خطبته فقال : " ... ، أن الزبير في شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة لجماعة المسلمين فانظروا رجلاً من بني حرب فبايعوه " (٥) ، وفعلاً كانت استجابتهم له سريعة بسبب منزلته العظيمة فيهم ، فقال رجال بني أمية بعضهم لبعض : " أن الملك كان فينا أهل الأردن فانتقل عنا إلى الحجاز ، لا نرضى بذلك ، هل لكم أن تأخذوا رجلاً منا فينظر في هذا الأمر " (٦) .

والذي يبدو لنا أن أهل الأردن ولاسيما بني أمية والقبائل اليمانية الموالية لهم كانت تكره انتقال الخلافة إلى الحجاز ، لذلك كانوا شديدي الحرص على بقائها في الشام فوحدوا كل خلافتهم في مؤتمرهم* بعد أن وجدوا أنفسهم أمام خطر يهددهم .

٣. يوم جيرون

بعد مجيء حسان الكلبى من فلسطين إلى الأردن اخذ يدعو إلى بني أمية " قال لهم : ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلى الحرة ؟ قالوا : نشهد أنه منافق وإن قتلى الحرة في النار " (١) ، والذي يتبين لنا أن حسان أراد ربط أحداث الحرة بأحداث الشام آنذاك باعتبار ابن الزبير لا يزال موجوداً وخليفة في الحجاز واخذ الناس تباع له في الشام ، لذلك اخذ يذكرهم بقتلهم في واقعة الحرة وبالنتيجة استطاع أن

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٤ ص٢٦٥ .

(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٥ ص١٢٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١ - الفلقشدي ، صبح الاعشى في صناعة الانشى ، ج١ ص٤٥٠ .

(٤) أبين عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٥ .

(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٤ .

*مؤتمر الجابية : سيتم بيان ذلك في الصفحات الآتية .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٤٦ .

يكسب ثقة وود أهل الشام بهذه الكلمات بسبب منزلته الكبيرة والرفيعة عندهم^(٢) ومن ثم استطاع اخذ بيعتهم لذلك قالوا له : " نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك وأطاع ابن الزبير " (٣) ، عند ذلك كتب حسان الكلبي إلى الضحاك الفهري " يعظم فيه حق بني أمية وحسن بلائهم عنده ، ويذم ابن الزبير وانه خلع خليفتين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس " (٤) ، والذي يتبين لنا أن حسان بن مالك الكلبي أدرك بأن الضحاك كان يبايع الناس بدمشق لابن الزبير (٥) ، لذلك أرسل إليه كتابه الذي أمره بقراءته على الناس ، وما إرساله كتاباً آخر بيد ناغظة* إلا دليل آخر على ذلك " إن قرأ الضحاك كتابي على الناس كان بها ، والا فقم وأقرأ هذا الكتاب عليهم " (٦) .

وحدث ما توقعه حسان فقد اعتلى الضحاك المنبر يوم الجمعة^(٧) ، ولم يشر قط إلى موضوع الكتاب الذي تسلمه من حسان بالرغم مما كان يتظاهر به الضحاك أمام القبائل اليمانية وشيعة بني أمية من انه أموي الهوى^(٨) .

عندئذ قام مبعوث حسان وقرأ كتابه على المجتمعين ولم ينته حتى تعالت الأصوات من بعض الجوانب فقال الوليد بن أبي سفيان " صدق حسان وكذب ابن الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبي النمس** ، فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير " (٩) ، لكن أبا رجاء عمر بن يزيد الحكمي اظهر تأييده لابن الزبير وشتم حسان بن مالك وكذبه^(١) وكان من نتيجة هذه الأوضاع اضطراب الناس في المسجد ، لذلك أمر الضحاك بحبس الوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الكلبي^(٢) .

ويبدو إن الأحداث التي وقعت كانت نتيجة التعصب القبلي ودليل ذلك إن قبيلة كلب جاءت فأخرجت سفيان وجاءت قبيلة غسان فأخرجوا يزيد^(٣) ، فعند ذلك قال الوليد لو كنت من كلب أو غسان أخرجت ، لذلك جاء خالد بن يزيد وأخوه عبدالله ومعهما اخوالهما من كلب فأخرجوا الوليد^(٤) ، فكان هذا اليوم عند أهل الشام يسمونه يوم جيرون* الأول^(٥) ، ومن أبرز نتائج هذا اليوم هو انقسام الشام إلى قسمين ،

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣١-٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٨ .

*ناغظة : ناغظة بن كريب الطابخي . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٦ ص ٢٠٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ ، لكنه يذكر ان أسمه باغظة - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٦١١ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٨) الاصفهاني ، الاغانى ، ج٩ ص ٢٠٨ .

**يزيد بن أبي النمس : الأسود بن المعد بن شراحيل الغساني ، وكان قد أرتد عن الإسلام ثم عاود وشهد صفين مع معاوية وعاش إلى أيام عبدالملك . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٥٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٦ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٧ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٣ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٦ .

*جيرون : باب من أبواب دمشق ، اختلف في بانيها ويقال ان جيرون بن سعد بن عاد هو الذي بناها وعلق عليها رؤوس

الصالحين من امثال نبي الله يحيى بن زكريا (ت) والإمام (ت) . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ص ٩٥-١٠٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص ١٤٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٦١١ .

يتمثل القسم الأول بالقبائل اليمانية والكلبية بصحبة حسان بن مالك الكلبي ، والأخرى القيسية بصحبة الضحاك بن قيس الفهري وكل منها ترى نفسها أحق من غيرها^(١) .

ثانياً . الجابية* أسبابها ومجريات أحداثها

١ . أسباب مؤتمر الجابية

تجمعت أسباب عدة لعقد هذا المؤتمر ولكن أبرزها هي :

- ١ . طرد بني أمية من المدينة بعيالاتهم ونسائهم إلى الشام بأمر من عبد الله بن الزبير إلى واليها فقدموا دمشق وفيهم مروان بن الحكم^(١) .
- ٢ . هروب عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام والذي كان يتخوف من الهلاك في حالة تولي غير بني أمية الخلافة^(٢) ، لذلك فإنه قد أدى دوراً كبيراً في الأحداث السياسية لهذا الإقليم فاستطاع من إقناع الضحاك بأن يدعو الناس إلى بيعته وقال له : " يا أبا أنيس العجب لك وأنت شيخ قريش تدعو لابن الزبير وتدع نفسك وأنت أرضى عند الناس منه " ^(٣) ، مما ولد عند أنصار الضحاك حالة من الاستياء فقالوا له : أخذت بيعتنا وعهودنا لرجل ثم دعوتنا إلى خلعه من غير حدث أحدثه^(٤) ، ثم عاد الضحاك بعد كلامهم هذا إلى البيعة لابن الزبير وبهذا وجد أنصاره تذبذب في شخصيته ، أضافة إلى أنه استطاع إقناع مروان بن الحكم عن العودة عن مبايعة عبدالله بن الزبير حينما قال له : " انك على حق وابن الزبير على باطل " ^(٥) .
- ٣ . رغبة الكلبيين ومواليهم من القبائل اليمانية في إبقاء الخلافة في بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد من بعده لأنه ابن أختهم^(٦) ، على أن لا يتم انتقال مقر الخلافة من الشام إلى الحجاز ، فعلى سبيل المثال إن حسان بن مالك الكلبي بعد وفاة معاوية بن يزيد كان يدعو لنفسه تارة ، ولابن أخته

(١) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج ١ ص ٤٨٩ .

* الجابية : قرية من قرى دمشق ، قيل عنها حوض يجتبى فيها الماء ، أو الأرض النزهة البعيدة عن الوباء . ينظر : الجوهرى ، الصحاح تاج اللغة ، ج ٤ ص ١٥٤٦ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٥ ص ٤٣ - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ص ٣٠ - الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) ، فتح الغدير ، مطبعة عالم الكتب ، (بلات) ، ج ٤ ص ٣١٧ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣١ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨١٠-١١ .

(٣) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٦ ص ٢٠٤ - المقرئ ، النزاع والتخاصم ، ص ٥٤ .

(٤) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٦ ص ٢٠٤ .

(٥) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٦ ص ٢٠٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣١-٥٣٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

تارة أخرى ، ولكن حينما وجد أن رغبة أهل الأردن في بيعه مراون بن الحكم فإنه أعلن بيعته وموافقته على الرغم مما كان يدعو إليه على شرط عدم انتقال الخلافة إلى الحجاز .

٢. مجريات مؤتمر الجابية

بعد أن أيقن حسان بن مالك الكلبى إن عموم مناطق إقليم الشام عدا الأردن كان توجههم نحو ابن الزبير ، سار في قبيلة كلب حتى نزل الجابية فاجتمع إليه بها أشراف ورجال قبائل اليمن* وصار إليه مروان بن الحكم وخالد بن يزيد وعمر بن سعيد الأشدق ، وكان حسان قد دعا قوماً من أهل البلقاء** واذرعات*** إلى الجابية فأجابوه^(١) ، وهذا يدل لنا على أن القوة السياسية لبني أمية كانت تتوزع في دمشق متمثلة بابن زياد وبتدمر**** متمثلة ببني أمية^(٢) .

لكن هل كان هناك طموح لحسان الكلبى بالوصول إلى الخلافة ؟ أم أنه كان يريد لها لابن أخته خالد ؟ وكيف انتهت مقررات المؤتمر بانتخاب مروان بن الحكم الذي لم يكن معروفاً عند أهل الشام ؟

بالنسبة إلى حسان الكلبى فقد اختلف المؤرخون واللغويون في ذلك ، فيرى ابن عبدربه^(٣) إن حسان قد نصح الناس إلى انتخاب رجل من بني حرب فبايعوه ، بينما يذكر بعض المؤرخين^(٤) إن حسان سلم بالخلافة أربعين ليلة ثم سلم الأمر إلى مروان بن الحكم ، ويرى ابن الأثير^(٥) إن حسان كان يدعو إلى بني أمية ، أما ابن كثير^(٦) فيقول إن حسان كان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد .

ونرى إن الرأي الثاني هو الأكثر صواباً لوجود رغبة لديه بالوصول إلى الخلافة ومن الأدلة على ذلك هي :

١. صلاته بالناس أربعين يوماً والناس يتشاورون^(٧) .

* رجال قبائل اليمن : الحصين بن نمير الكوني ، روح بن زنباع الجذامي ، زميل بن عمرو العذري ، عبدالله بن مسعدة الفزاري ، عبدالله بن عضاة الأشعري وأبو كبشة صيويل بن يسار السكسي . ينظر : البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٥ ص١٢٨ .

** البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى بها قرية الجبارين ومدينة الشراة وبها الكهف والرقيم ، وفيها مزارع واسعة وتمتاز بجودة خطتها ويضرب بها المثل . ينظر : البغدادي ، المنطق ، ص١٥٤ - القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت / ١٩٦٠م) ، ص١٥٦-١٥٧ .

*** اذرعات : بلد في اطراف الشام ، يجاور ارض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر . ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص١٣٠ .

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٥ ص١٢٨ .

**** تدمر : مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص١٧ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٦١٣ .

(٣) العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٤ .

(٤) ابن عسك ، تاريخ مشق ، ج١٣ ص٣١٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ص١٧٦ .

(٥) الكامل ، ج٤ ص١٤٦ .

(٦) البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٦١٣ .

(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٣ ص٣١٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٤٧ .

٢. قد عبر عبدالرحمن بن الحكم اخو مروان عن تلك الرغبة حينما قال شعراً في ذلك^(١) :
وما الناس إلا بحدلي عن الهوى
والا زبيري عسى فتزبرا

وهناك من قال من بعض الكلبيين^(٢) :

نزلنا لكم عن منبر الملك بعدما
ضللتم وما أن تستطيعون منبرا

هذا فضلاً عن دور حسان في تحذير أهل الأردن والأمويين ومواليهم من انتخاب مروان بسبب تخوفه من انتقال الخلافة من الفرع السفيفاني إلى الفرع المرواني ، لذلك قال عنه " إن مروان أبو عشرة ، واخو عشرة ، فأن بايعتم له كنتم عبيداً لهم "^(٣) .

كان الناس في الجابية لهم أهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني* فكان يهوى أبناء يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم^(٤) ، لأنه كان يرى فيهم مستقبله السياسي^(٥) ، لذلك قال للحصين : " وقد عرفت منزلتنا من أبيه فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً "^(٦) ، وأما الحصين بن نمير السكوني فقد رفض هذا المرشح كونه صبياً ، لذلك قال : " لا لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ* ونأتيها بصبي "^(٧) ، وهناك محاوراة أخرى بين ابن عضاة الأشعري وحسان بن مالك الكلبى كان الغرض منها أن يبرهن ابن عضاة الأشعري بأن خالد بن يزيد ليس أهلاً للخلافة ولا يستحقها ، فيذكر البلاذري^(٨) أن ابن عضاة الأشعري قال لحسان بن مالك الكلبى : أراك تريد هذا الأمر - الخلافة - لخالد بن زيد وهو حدث السن ، فقال له : انه معدن الملك ومقر السياسة والرئاسة ، مما حدا بالأشعري ونظرائه أن يأتوا إلى خالد بن يزيد فوجدوه نائماً متصبحاً فقال : يا قوم أنجعل نحورنا أغراضاً للأسنة والسموم بهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة ، وإنما صاحب هذا الأمر المجد المثمر الحازم المتيقظ ، ثم أتوا إلى مروان بن الحكم فوجدوه " فآلقاه في فسطاط له وإذا درعه إلى جانبه والرمح مركز بفتائه وفرسه مربوط إلى جانب فسطاطه والمصحف بين يديه وهو يقرأ القرآن الكريم ، فقال ابن عضاة : يا قوم هذا صاحبنا الذي يصلح له الأمر وهو ابن عم الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وشيخ قريش وسنها " .

فرجعوا إلى حسان فأخبروه بخبر خالد ومروان واعلموه إنهم يجمعون على مروان لأنه كبير قريش وشيخها وقال حسان رأيي لرأيكم تبع^(٩) .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٣٢ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٣ ص٣١٧ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٥ .

*مالك بن هبيرة : مالك بن الحارث بن بكر بن ثعلبة بن عقبة بن السكون وكان شريفاً بالشام . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٣٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٦ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤٧ ص١٤٧ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤٨ ص١٤٨ .

**الشيخ : المقصود به مروان بن الحكم ، والصبي هو خالد بن يزيد بن معاوية . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٧ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤٨ ص١٤٨ .

(٨) انساب الاشراف ، ج١٢٨ ص١٢٩ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٢٩ .

وهناك دور لروح بن زنباع الجذامي إذ خطب بالناس وذكر في خطبته إن عبدالله بن عمر بن الخطاب بالرغم من انه من صحابة رسول الله (ﷺ) وقدمه في الإسلام إلا انه رجل ضعيف وليس بصاحب امة محمد بالضعيف^(٢) ، لكن أبين الجذامي لم يعلم أن عبدالله بن عمر رفض أمر الخلافة لأنه لا يريد أن يقتل رجلاً واحداً بسببها^(٣) ، ثم أكمل الجذامي خطبته وجاء إلى ذكر سيرة عبدالله ابن الزبير فقال للناس عنه بالرغم من فضله في الإسلام لكنه منافق خلع خليفتين* وسفك الدماء وشق عصى المسلمين وليس صاحب امة محمد المنافق ، وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع قط ، إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار والذي قاتل علي يوم الجمل ، وإنا نرى أن يبايعوا الكبير ويستشبهوا الصغير^(٤) .

وبهذه السياسة الإعلامية التي زرعتها الأمويون في قادة الشام استطاعوا أن يغيروا الأهواء في كثير منهم لذلك جاءت بيعتهم لمروان بن الحكم وفق انتخابات ظاهرية تحمل آثار الديمقراطية لكن في باطنها كثير من الاتفاقيات والمعاهدات والمصالح لكل الأطراف الموجودة في الجابية ومن أهم هذه الاتفاقيات هي :

١. أن الحصين بن نمير السكوني كان قد اشترط على مروان أن ينزل البلقاء من كان بالشام من قبيلة كندة وان يجعلها لهم مأكله فأعطاه ذلك^(٥) .
٢. اشترط عمرو بن سعيد على مروان " أدعو الناس إليك ، وأخذها علي أن تكون الخلافة لي من بعدك ، فقال مروان : لا ، بل بعد خالد بن يزيد فرضي عمرو بذلك "^(٦) .
٣. ذكر بعض المؤرخين^(٧) أن الحصين بن نمير ومالك بن هبيرة قد اشترطا على مروان شروطاً لهم ولخالد بن يزيد ، فلما توطن ملكه قال ذات يوم ومالك عنده " أن قوماً يدعون شروطاً ، منهم عطارة مكحلة يعني- مالك بن هبيرة - كان يتطيب بها ويتكحل ، قال مالك : هذا ولما تردى تهامة وبلغ الحزام الطيبين ، فقال مروان : مهلاً يا أبا سليمان إنما داعبناك " . ويبدو من هذا إن مروان أراد معرفة هوى وفطنة مالك السياسية ، وهذه الشروط نفذها لهم مروان لأنها لا تقف في طريق تحقيق رغباته وطموحه .
٤. اشترط حسان بن مالك الكلبي وكان سيد قحطان بالشام على مروان ما كان لهم من الشروط على الخليفة معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية منها " أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين ، وإن مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منهم ومشورة "^(٨) ، والذي يبدو أن سياسة التمييز في العطاء بين القبائل الكلبية والقبائل القيسية كانت من أسباب كره القبائل الأخيرة لحكم بني أمية في الشام .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - بن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٦ ص ١٦١ .

(٣) ابن أبي الدنيا ، الاشراف في منازل الاشراف ، ص ٥ .
*خليفتين : يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، لكن يرى الطالب بأنه لم تكن هناك بيعة له في عنقه وقد اشار ابن الزبير الى ذلك . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - الاصفهاني ، محاضرات الادباء ، ج ١ ص ٩٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٤٤ .

(٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٤٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٤ .

(٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٦ .

بعد أن عرفنا كيف جرت الاتفاقيات والشروط ، لابد لنا أن نعرف كيف تمت البيعة لمروان بن الحكم بالخلافة في هذا المؤتمر ، اختلف المؤرخون في ذلك ، فيرى البعض^(٢) منهم إن خالد بن يزيد قال عنها " أمر قضي بليل " ، وجاءت مقولته هذه بعد أن خطب عبدالعزيز بن مروان بن الحكم وقال : ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان كبير قریش وسيدها . بينما يرى الطبري^(٣) " أن أهل الأردن قالوا لمروان : أنت شيخ كبير وابن يزيد غلام وابن الزبير كهل ، ... ، أبسط يدك فبسطها ، فبايعوه " . والذي يبدو أن الرأي الأول هو الاصبوب لسببين :

١. أن روح بن زبابا الجذامي قال لمروان بن الحكم أن معي أربعمائة من جذام ، فأنا أمرهم أن يتقدموا في المسجد غداً ، وأمر أنت ابنك عبدالعزيز أن يخطب الناس ويدعوهم إليه فإذا فعل ذلك تنادوا من كل جانب في المسجد : صدقت ، صدقت فيظن الناس إن أمرهم واحد^(٤) .
 ٢. رغبة المبايعين لمروان بن الحكم في أن يسير بهم بسيرة الخليفة معاوية وابنه يزيد وقد أوضحوا ذلك حينما قالوا لمروان : " أنه ليس لك في أعناقنا بيعة ، وليس نقاتل إلا عن عرض دنيا ، فإن تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك ، وإن تكون الأخرى فوالله ما قریش عندنا إلا سواء " ^(٥) .
- هذا فضلاً عن الشروط والاتفاقيات التي سبق ذكرها قبل قليل ، لذلك تم توحيد الأمويين في هذا المؤتمر الذي خرج بمجموعة من النتائج المهمة أبرزها :

١. البيعة لمروان بن الحكم في ثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين^(٦) علي أنه خليفة الأمويين في الشام ثم إلى خالد بن يزيد من بعده ثم لعمر بن سعيد بن العاص^(٧) ، علي إن تكون إمرة دمشق لعمر وإمرة حمص لخالد بن يزيد^(٨) .
 ٢. تحقيق رغبة الكلبيين بشكل عام ببقاء الخلافة في الشام حصراً من دون نقلها إلى الحجاز وقد عبر حسان الكلابي عن هذه الرغبة عندما بايع لمروان فقال : " إنما كرهت أن تعدل الخلافة إلى ابن الزبير وتخرج من هذا البيت " ^(٩) .
 ٣. عجز حسان بن مالك الكلابي بالتوصل إلى أمر خالد بالخلافة وهذا ما عبر عنه خالد حينما قال لحسان : " ... ، أن الناس أبوك لحدثا سنك ، ... ، وما أبايع مروان إلا نظراً لكم فقال له خالد بن يزيد : بل عجزت عنا " ^(١٠) .
- والذي يتبين لنا أن هذا المؤتمر قد سن سنة شكلت فيما بعد خطراً على الخلافة الأموية ، فقد بدأت أول بوادر تعيين أكثر من ولي عهد للخليفة في آن واحد من خلال الاتفاقيات .

(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٩١ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٤ ، لكنه يذكر كلمة غير بدلاً من كلمة قضى .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٤ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٩١ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٤ .

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٦ .

(٦) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٦٠ ص ٢٢١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٢ .

(٧) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٦ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٩ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ .

ثالثاً. مرج راهط وتناجها

١. معركة مرج راهط

بعد أن بايع أهل الأردن وموالوهم لمروان بن الحكم سار بهم إلى الجابية حتى نزل مرج راهط* ، على الضحاك بن قيس الفهري في أهل الأردن من كلب ، واتته السكاسك** والسكون*** وغسان^(١) ، وكان الضحاك قد خرج إلى المرج بفضل دهاء ابن زياد حينما أشار عليه بقوله أن من يريد الخلافة لا يبقى في الحصون وإنما يخرج إلى الصحراء^(٢) ، وفعلاً سمع الضحاك نصيحة ابن زياد المخدعة مما وفر الجو المناسب ليزيد بن أبي النميس الذي كان مختبئاً بدمشق^(٣) ، ولم يشهد الجابية^(٤) ، والذي ثار بدمشق فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح فكان أول فتح لبني أمية^(٥) ، ولهذا النصر أهمية كبرى كونه أعطى لمروان معنويات مادية ومعنوية كبيرة في دمشق كان يحتاج إليها مروان بسبب عدم وجود قاعدة مناصرة له في الشام قبل قدومه ، ولربما عدم وجود هذه القاعدة وقلة أنصاره كانت وراء لجونه إلى بيعة عبدالله بن الزبير في أول الأمر^(٦) .

أما في الجهة الأخرى فهناك الضحاك بن قيس الفهري ومعه ألف فارس ثم استمد قوات أخرى من الأجناد التابعة له فأمدّه النعمان بن بشير الأنصاري وهو على حمص بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص ، واستمد أيضاً زفر بن الحارث وكان على قنسرين وكان سيد قومه في زمانه^(٧) ، فأمدّه بأهل قنسرين ، وأمدّه نائل بن قيس الجذامي بأهل فلسطين فاجتمعوا عنده لمناصرة عبدالله بن الزبير^(٨) .

والذي يبدو لنا إن نفوذ ابن الزبير السياسي قد شمل أغلب مناطق الشام وخاصة القبائل القيسية منها .

* مرج راهط : موضع في الغوطة من دمشق من شرقيه بعد مرج عذراء ، إذا مننت في القصير طالباً لثنية القصاب تلقاء حمص فهو عن يمينك . ينظر : ابن قتيبة ، هامش الإمامة والسياسة ، ص ١٩٢ - الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٠١ .
 ** السكاسك : بطن من قبيلة كندة يرجع نسبها إلى سكسك بن أشر من بن كندة ، وهي من قبائل اليمن التي سكنت الشام . ينظر : ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت ٨٣٨هـ) ، الفهرست ، تح محمد أحمد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، (بلا ت) ، ص ١٤١ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ص ١٨ - السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ) ، لب اللباب في تحرير الانساب ، دار صادر ، (بيروت / بلا ت) - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ١٠٥ - عمر كماله ، معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٥٢٧ .
 *** السكون : بطن من قبيلة كندة يرجع نسبها إلى اشرس بن ثور بن كندة أخر السكاسك وهي من قبائل اليمن . ينظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٤١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ١٠٦ - عمر كماله ، معجم قبائل العرب ، ج ١ ص ٩٩ .
 (١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٩ .
 (٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٦٣ .
 (٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٦٣ .
 (٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٦٣ .
 (٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٦٣ .
 (٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٦٣ .
 (٧) أبين مأكولا ، الكمال في رفع الارتباب ، ج ٧ ص ٢٧٣ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٤٥ .
 (٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٠ .

والتقى جيش الضحاك الذي كان في ثلاثين ألفاً^(١) ، مع جيش مروان الذي كان في ثلاثة عشر ألفاً^(٢) ، في مرج راهط في النصف من ذي الحجة سنة أربع وستين^(٣) ، وتحاربا عشرين يوماً^(٤) ، يلتقون في المرج كل يوم فيقتتلون قتالاً شديداً وبسبب قوة الضحاك وأنصاره أشار عبيدالله بن زياد على مروان بقوله انك على حق وابن الزبير ومن معه على باطل وهم أكثر منا عدداً وعدة ، ومع الضحاك فرسان قيس واعل
لا تنال منهم ما تريد إلا بمكيدة وإنما الحرب خدعة فادعهم إلى المودعة ، فإذا امنوا وكفوا عن القتال فكو عليهم^(٥) .

وفعلًا تم التوصل بينهما إلى المواجهة وامسك الضحّاك والقبائل القيسية الملحقة به عن القتال وهم يطمعون أن يبيع مروان لابن الزبير وقد عد مروان خطة لم يشعر الضحّاك وأصحابه إلا والخيل قد شدت عليهم ففزع الناس إلى راياتهم من غير استعداد وقد غشيتهم الخيل ، وصبر الضحّاك وقاتل قتالاً بليغاً لكنه قتل في المعركة قتله زحمة بن عبد الله بن كلب ، وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فر أنصار الضحّاك بين يديه^(٦) ، وقتل مع الضحّاك ثمانون رجلاً من أشرف أهل الشام كلهم كانوا يأخذون القطيفة*، وقتلت القبائل القيسية مقتلة لم تقتل مثلها في موطن قط^(٧) .

والذي يبدو إن مروان قد اعد لهذه المعركة أعدادا كبيرا ، فيذكر ابن عبد ربه^(٨) إن مروان بن الحكم قال عندما نزل إلى ساحة القتال " قبح الله من ولاهم اليوم ظهره ، حتى يكون الأمر لإحدى الطائفتين " ، وهذا دليل آخر على رغبته بالقتال ضد الضحاك والقبائل القيسية إضافة إلى أنه قد خدع وماكر خصمه من أجل دحرهم في المعركة ، وما قاله مروان عندما تقدم لقتالهم^(٩) إلا تأكيد لذلك .

لما رأيت الأمر أمراً نهياً سیرت غسان لهم وكلباً

والسكسين رجلاً غلبا وطياً تأباه إلا ضربنا

لكن هل ندم مروان على تلك المعركة فيقول البعض من المؤرخين^(١) ، إن مروان بن الحكم ساء عندما رأى رأس الضحاك وقال : " الآن حين كبرت سني ودق عظمي وصرت في مثل ظم الحمار*

(^١) أبو سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ص٤٥ – المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص٢٦٦ – ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ص٦١٣ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ص٤٥ - خليفة ، تاريخ خليفة ، ج١ص٢٥٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ص٦١٣ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٧ - ابن الاثير ، الكامل ،

ج ٤٥٠. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥٣٧.

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ، ص ٨١٣ .
* القطيفة : وهي كل ثوب له خمل من أى شيء كان ، وقيل الخميل الأسود من الثياب . ينظر : ابن الأثير ، النهاية فى

(٧) ابن الاثير، الكامل، ج٤ ص١٥٠ - الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣ ص٢٤٥.

(^٨) العقد الفريد، ج ٤ ص ٣٩٦.

(^٩) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣ ص ٨٥.

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٣٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٥٠ - القوافل ، ص١٧٨ - صناعة الأشراف ، ج١ ص ١٧٨

ج ١٥٠ - الفلشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنسى ، ج ١ ص ١٧٨ .
 *ظم الحمار : أنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمًا من الحمار وتعني (الاظماء) ، هي الأيام التي تظمًا فيها الابل أي تعطش لا ترد الماء قالوا : والحمار لا يصبر أكثر من غب . ينظر : الفلشندي ، صبح الأعشى ، ج ١ ص ١٧٨ .

أقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض " ، ويرى ابن كثير^(٢) إن مروان عندما رأى رأس الضحاك بكى ، وهذه الروايات على اختلافها إلا إنها تدلل لنا بأنه اظهر أمراً مهماً ليس الندم وإنما الأمر جاء إليه بعد أن كبر سنه ليس إلا .

٢ . نتائج معركة مرج راهط

ابرز ما يمكن أن نخرج به من نتائج من هذه المعركة هي :

- ١ . إن أنصار الضحاك ليسوا من القبائل القيسية فقط بل هناك مالك بن يزيد الكلبي** وعبدالله بن معاوية بن أبي سفيان^(٣) ، وهذا يوضح لنا انقسام الولاء السياسي داخل القبيلة الكبيرة والبيت الأموي ووقوفهم ضد الخلافة الأموية .
- ٢ . شجاعة وصبر أنصار مروان بن الحكم في القتال وقد عبّر عن ذلك زفر بن الحارث بشعر واصفاً صبرهم وشجاعتهم^(٤) :
سقيانهم كأساً سقونا بمثلها
ولكنهم كانوا على الموت اصبر
- ٣ . استقرار الخلافة في الشام لمروان بن الحكم بشكل مطلق بعد قتل الضحاك وأنصاره من القبائل اليمانية في موقعة مرج راهط^(٥) .
- ٤ . ضعف شخصية الضحاك كانت من ابرز أسباب خسارته وأنصاره في المعركة كونه دعا الناس إلى بيعة عبدالله بن الزبير باديء الأمر ومن ثم دعا لنفسه مما جعله يفقد ثقة أنصاره^(٦) .
- ٥ . إن واقعة مرج راهط كانت الشرارة الأولى التي أشعلت نار العداوة المباشرة بين مضرية الشام التي كانت تمثلها قبيلة قيس وبين القبائل اليمانية فيها وكثرتها من كلب^(٧) ، وما التفاخر بشعراء كلب وأحلافهم بما تحقق لهم من النصر على القيسية^(٨) إلا دليل على ذلك .

(٢) البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٤٤ .

**مالك بن يزيد : مالك بن يزيد بن مالك بن كعب من بني عليم الكلبي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٨ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٧ .

(٤) المقرئ ، ديوان الحماسة ، ج ١ ص ٤٦ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٠ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٧٣ .

(٦) المزي ، تهذيب الكمال ، ج ٣ ص ٤٧٧ .

(٧) محمد حامد ناصر ، الحياة السياسية عند العرب ، ص ١٦٩ .

(٨) نعمان القاضي ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ص ٤٨٠-٤٨١ .

مربعاً. خلافة مروان بن الحكم

خلافة مروان بن الحكم

لا ينبغي لنا أن نغفل ذكر طموح مروان بن الحكم في منصب الخلافة بالرغم مما زعمه بعض المؤرخين^(١) انه هم بالسير إلى عبدالله بن الزبير لبياعه ويأخذ منه أماناً لبني أمية ، وقال احد المؤرخين^(٢) انه حرص عبدالله بن عمر لبياع بالخلافة لنفسه لكنه رفض ذلك .

فقد سبق ان وضعنا في الدراسة* كيف انه زور على لسان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، هذا فضلاً عن خروجه مع أم المؤمنين عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام لقتال الإمام علي (ع) في معركة الجمل ، وأدى دوراً كبيراً في هذه المعركة حيث قتل طلحة بن عبيدالله كونه احد قتلة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)^(٣) وبهذا الأسلوب المخادع حاول الوصول إلى الخلافة آنذاك ولكن وجود الأفضل من الصحابة منعه من أن يظهر نواياه .

وصدق الإمام علي (ع) حينما قال " ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة الكلب انفه " ^(٤) ، لذلك كان معاوية يتخوفه مما جعل ولايته على المدينة لفترات قصيرة وبالتناوب مع سعيد بن العاص وكان يغري بينهما^(٥) ، هذا فضلاً عن حقد مروان على معاوية بسبب اخذ بيعة أهل الحجاز وولاية العهد لابنه يزيد بدلاً عنه وهذا ما دفع مروان أن يحرض عمرو بن عثمان بن عفان على معاوية بقوله " ما أخذ هؤلاء - يعني بن حرب بني أمية - الخلافة إلا باسم أبيك " ^(٦) .

وهناك من الأدلة التي تثبت وجود الرغبة عند مروان بالخلافة منها :

١. ذكر المقدسي^(٧) أن الخليفة معاوية عندما كتب إلى مروان بأخذ بيعة أهل المدينة لأبنه يزيد بولاية العهد غضب مروان لان معاوية لم يجعل له الامر ، فسار الى الشام فكلمه وجعله ولي عهد يزيد .
٢. ذكر اليعقوبي^(٨) عندما وصل مروان الشام وأمرها مضطرب دعا إلى نفسه بالخلافة .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٤ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٢٨ - الجرجاني ، ديوان الحماسة ، ج٢ ص٢١٣ .

(٢) ابن أبي الدنيا ، الاشراف في منازل الاشراف ، ص٥ .

* ينظر فص٢ ص٩٥ من هذه الدراسة

(٣) ابن أبي شبة النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، ج٤ ص١١٧ - الشريف المرتضى ، رسائل المرتضى ، ج٤ ص٧٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٦ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦ ص٢٢٧ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٢٩٣ .

(٦) الزبير ، نسب قريش ، ج٤ ص١٠٩ .

(٧) البدء والتاريخ ، ج٥ ص٦ .

٣. ذكر المسعودي^(٩) إن مروان أول من أخذ الخلافة بالسيف كرهاً بغير رضا عصابة من الناس .
٣. إن مروان بعد معركة مرج راهط اخذ يوسع نفوذه على حساب عبدالله بن الزبير فقاد جيش أهل الشام بنفسه إلى مصر^(١) ، وبعد أن ضمها إلى الخلافة عين ابنه عبدالعزيز والياً عليها ورجع إلى دمشق^(٢) ، وكان قد أخذ ببيع أهلها بشكل قسري وأنه قتل من رجالها ثمانين رجلاً بسبب امتناعهم عن ترك بيعة ابن الزبير^(٣) .
٤. إن مروان بعد أن أعاد مصر إلى أحضان الخلافة الأموية^(٤) أرسل حملتين عسكريتين أحدهما إلى قرقيسياً* بقيادة عبدالله بن زياد لمحاربة زفر بن الحارث الهارب إليها من قنسرين^(٥) ومن ثم يتوجه إلى العراق لأعادته إلى الخلافة الأموية^(٦) ، والحملة الثانية إلى المدينة بقيادة حبش بن دجلة القيني ، فيذكر البلاذري^(٧) عن هذه الحملة بأنها من الحملة التي عد لها مروان بجيش عده ستة آلاف وأربعمائة فيهم يوسف بن الحكم الثقفي ومعه ابنه الحجاج بن يوسف بقيادة حبش بن دجلة القيني إلا إن وفاته جاءت بالوقت الذي كان فيه الجيش قد وصل إلى المدينة ، لذلك لم يتابع هذه المهمة التي انتهت أول الأمر بانتصار أهل الشام على أهل المدينة وهروبهم واخذوا منهم الضريبة ، ولم يتمكن أهل المدينة من إخراجهم إلا بعد أن استعان عبدالله بن الزبير بأهل العراق ، فأرسل والي البصرة الحنف بن النحف التيمي** لإنقاذهم وفعلاً استطاع من الانتصار على جيش أهل الشام في يوم الربرة*** .
- ومن أهم نتائج هذا اليوم هو إن أهل المدينة قد اخذوا ثأرهم من أهل الشام ، فيذكر البلاذري^(٨) إن المرأة من أهل المدينة تأتي الحنف فتقبل رأسه وتقول شفيت النفوس وثارت لنا بقتلى أهل الحرة .
٥. عدم التزام مروان بالعهود والمواثيق التي اتفق عليها مع خالد بن يزيد بن معاوية وعمر بن سعيد بن العاص والتي سبق أن تم ذكرها ، وجعل ولاية العهد من بعده لابنيه عبدالملك ومن بعده لابنه عبدالعزيز ، إضافة إلى أنه جعل ولاية العهد لاثنتين بدلاً من واحد^(١) وهذا ما أكد رغبته بالخلافة بقائها في البيت الأموي والمرواني حصراً .

(٩) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٨ .

(٩) مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٥ .

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٩٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٤٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٤ .

(٢) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٩ .

(٣) المقرئ ، الخطط المقرئية ، ص ٨٤ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٠ - ابن نما الحلي ، ذوب النضار ، ص ١١٠ .

*قرقيسياً : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصب الخابور على الفرات فهي مثلث بين الخابور والفرات . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٢٨ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥١ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٣٤٩ .

(٧) انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٥١ .

**الحنف بن الحنف : الحنف بن السجف بن سعد بن عون بن زهير بن مالك بن ربيعة بن مالك بن حنظلة ، أمه بنهارة بنت يزيد بن الأنوس من بني عيس ، يكنى أبا عبدالله . ينظر : خليفة ، طبقات خليفة بن خياط ، ص ٣٣١ .

***الربرة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها ، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز ، إذا وصلت من فيد تريد مكة ، بها قبر أبي ذر الغفاري . ينظر : ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج ٢ ص ٤٢٧ - الجواهري ، الصحاح ، ج ٢ ص ٥٦٤ .

(٨) انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٥٤ ، ولمزيد من الاطلاع عن يوم الربرة ينظر المصدر نفسه .

(١) أبين سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٦١٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٨٩ .

٦. ما ساعد على تنمية هذه الرغبة لدى مروان هم أصحابه عندما قالوا له : لا نتخوف عليك سوى خالد بن يزيد ، فتزوج أمه فأنك تكسره بذلك^(٢) ، لأن أهل الشام كانوا يرون خالد أنه البديل المناسب عن أخيه معاوية وبهذا الزواج يضعف في أعين الناس^(٣) .

وان أبرز ما نخرج به من خلال هذا الموضوع :

١. استقرار الخلافة في الشام لمروان بن الحكم وبهذا تكون الخلافة الإسلامية قد انشطرت إلى نصفين أحدهما في الشام والآخر في الحجاز تحت قيادة عبدالله بن الزبير ، هذا فضلاً عن انتقال الخلافة الأموية من الفرع السفيفاني إلى الفرع المرواني ، وهذا ما كان معاوية كارهاً له في حياته .
٢. رغبة أهل الأردن ولاسيما بني أمية والقبائل اليمانية أن يكون مقر الخلافة في الشام بدلاً من نقلها إلى الحجاز .
٣. توسع نفوذ عبدالله بن الزبير حتى شمل معظم أجناد الشام عدا الأردن .
٤. إن مروان بن الحكم أول من سن ولاية العهد لأكثر من واحد وبهذا فإنه قد ساعد على انشقاق البيت الأموي نفسه .

أولاً. جذور الحركة وطبيعتها

١. بداية الحركة وفكرتها

بعد استشهاد الإمام (t) في واقعة الطف سنة ٦١هـ / ٦٨٥م^(١) ورجوع ابن زياد ، المنفذ الرئيس لهذه المجزرة إلى الكوفة يحمل في كفيه وزر الجريمة النكراء من دون أن يرتعش لهولها أو يدخل في روعه الندم ، تلاقت الشيعة بالتلاوم والندم " ورأت إنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين وتركهم نصرته وإجابته حتى قتل إلى جانبهم ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عليه إلا قتل من قتله أو القتل فيهم"^(٢) .

والذي نكتشفه من هذا إن ثمة موالين عديدين لأهل البيت (i) وللإمام (t) خاصة ثبتوا على ولائهم وحبهم لهم غير إن الفرصة لم تتح لهم لنصرته ، أما لأنهم سجنوا أو اختفوا أو انسحبوا تحت تأثير أقاربهم وزعمائهم ، وإن غالبيتهم لم يشاركوا في الجيش الذي تقدم لقتال الإمام (t) ولو أنهم شاركوا في قتله لما رفعوا الثأر له^(٣) .

(٢) مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ١٣٩ - أبين عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٠ .

(٣) أبين كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٧ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٣ .

(٢) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٤٨-٢٤٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٢ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٩٢ - أبين الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٨ .

(٣) السماوي ، محمد نعمة ، موسوعة الثورة الحسينية ، ط ١ ، دار المرتضى للطباعة ، (بيروت / ٢٠٠١) ، ج ٨ ص ١٨٧ .

لذلك التجأ الشيعة إلى خمسة من رؤسائهم البارزين إلى سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري ، وإلى عبدالله بن وال التميمي وإلى رفاعه بن شداد البجلي* ، وإلى عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي** المعروفين بالصحة والولاء للإمام علي (ع) (٤) فاجتمع هؤلاء في منزل سليمان بن صرد (٥) .

كان أول ما ابتدئوا به أمرهم بعد استشهاد الإمام (ت) بشكل سري فأخذوا يجمعون آلة الحرب ودعاء الناس في السر إلى الطلب بدم الإمام (ع) (٦) فكان يجيبهم النفر وما زالوا على ذلك إلى إن هلك يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م (٧) .

كان الاتجاه العام للمناقشات يدور حول التكفير عن الذنب والمخطط الذي يمكن أن يزيل عنهم الشعور بالإثم وذلك في جو من الانفعال الشديد وكان أول المتكلمين المسيب بن نجبة الفزاري الذي خطب وقال : " فأنا قد ابتلينا بطول العمر ، والتعرض لأنواع الفتن فترغب إلى ربنا إلا يجعلنا ممن يقول له غداً ، ((أَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ)) (١) ، فأمر المؤمنين قال : العمر الذي اعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، ... ، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا (ع) وقد قتل فينا ولده وحبيبه ، وذريته ونسله ، ... ، ولوا عليكم رجلاً منكم فأنه لابد لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحفون بها (٢) " .

ثم تكلم رفاعه بن شداد البجلي بعد المسيب وقال : أما بعد ، فإن الله قد هداك لأصوب القول ، ودعوت إلى ارشد الأمور ، ... ، ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم (٣) ، ثم تكلم عبدالله بن وال وعبدالله بن سعد فحمداً الله وتكلما بنحو من كلام رفاعه بن شداد ، فذكر المسيب بن نجبة بفضلته وذكر سليمان بن صرد وسابقه ورضاهما بتوليته وكان أكبرهم سنّاً وشيخ الشيعة وصاحب رسول الله (ص) (٤) .

ثم تكلم سليمان بن صرد الخزاعي : " ، ... ، إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ، ونمنيههم النصر ونحثهم على القدوم ، فلما قدموا ونبينا ، وعجزنا ، وادھنا ، وتربصنا ، وانتظرنا ما يكون قد قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارتة وبضعة من لحمه ودمه ، ... ، كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبينهم ((إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَادِكُمُ الْعِجْلَ قُتُوبًا إِلَى بَارِئِكُمْ)) (٥) ، ... ، فكيف بكم لو قد دعيتم إلى مثل ما دعي

* رفاعه بن شداد : رفاعه بن شداد بن عبدالله بن قبيس بن حيال بن بد ابن فتيان الفتياني ، وفتيان بطن من بطون بجيلة ، يكنى أبا عاصم ، تولى القضاء لمدينة الاهواز في عهد الإمام علي (ت) . ينظر ابن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، العلل ومعرفة الرجال ، تح د. وحي الله بن محمود بن عباس ، ط ١ ، مطبعة المکتب الإسلامي ، دار الخاني (الرياض / ١٤٠٨هـ) ، ج ٣ ص ١٤٥ - المغربي ، نعمان بن محمد (ت ٣٦٣هـ) ، دعائم الإسلام ، تح ، أصفي بن علي أصغر ، دار المعارف للطباعة ، (١٩٦٣م) ، ج ٢ ص ١٧٦ - ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٧٢ - الثقات ، ج ٤ ص ٢٤٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٢٩٠ .

** عبدالله بن سعد : عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي من أزد شنوة ، أحد رؤساء الكوفة وشجعانها . ينظر : ابن نما الحلي ، ذوب النصار ، ص ٧٤ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٤ ص ٨٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٢ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٣ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢٠٥ - الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج ١٩ ص ١٨٠ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(١) سورة فاطر ، آية ٣٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٢-٥٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٠ .

(٥) سورة البقرة ، آية ٥٤ .

القوم إليه احدثوا السيوف وركبوا الأسنة ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ))^(٦) حتى تدعوا وتستغفرون^(٧) .

الذي يبدو من هذه الخطب الحماسية لزعماء الحركة ، أن التوبة كانت في مقدمة منهاج عملهم استناداً لقوله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ))^(٨) ، أي يثيبهم وينعم عليهم^(٩) ، وعن انس بن مالك قال : سمعت رسول الله محمد (ﷺ) قال : " التائب من ذنب كمن لا ذنب له " ^(١٠) وعلامة التوبة هي الندم^(١١) .

إضافة إلى تجسيد فكرة الاستشهاد وبالتنازل عن الأملاك واعتزال النساء ، وهذا ما أشار إليه سليمان بن صرد حينما قال لأنصاره " ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله " ^(١٢) ، لذلك قالوا لا توبة لنا إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه^(١٣) .

٢. اتصالات الحركة

بسبب الظروف القسرية التي عاشها أهل الكوفة طوال فترة خلافة معاوية (٤٠هـ - ٦٠هـ / ٦٦٠م - ٦٧٩م) فإنهم قد عانوا من سياسة القسوة والبطش والتظلم من الولاة الذين عينهم الخليفة معاوية على العراق عامة والكوفة خاصة ، لذلك فقد زرع في نفوسهم الخوف والتردد .

ودليل ذلك بعد استشهاد الإمام (٧) وعودة عبيدالله بن زياد إلى الكوفة وصعد المنبر وقال : " الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب بن الكذاب ، الحسين بن علي وشيعته " ^(١٤) ، فلم يجبه احد من أهل الكوفة سوى رجل* من بني الأزدي ، وكان ضريراً بالرغم من وجود زعيم قبيلته وسبعمانه من رجال القبيلة^(١٥) إلا أنهم كانوا خائفين من سطوة ابن زياد . وهذا يوضح لنا طبيعة الحياة الاجتماعية التي عاشها أهل الكوفة آنذاك ، لذلك رسم زعماء الحركة التوابية خطة سرية فبدأت حركتهم تسير وفق هذه الخطة ، فبدأوا بالدعاء للناس وجمع آله الحرب من رجال الشيعة^(١٦) ، فكان بعضهم يمشي إلى بعض ويديرون آراءهم ولا يطلعون أحداً على ما هم فيه^(١٧) ، وبقيت الحركة هكذا طوال فترة خلافة يزيد لتخوفهم من أهل الكوفة أنفسهم " وكان أشد

(٦) سورة الانفال ، آية ٦٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦١ .

(٨) سورة البقرة ، آية ٢٢٢ .

(٩) الاصفهاني ، الحسين بن حمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، ط ١ ، دار الكتاب للنشر ، (١٤٠٤هـ) ، ص ١٠٥ .

(١٠) ابن النجار البغدادي ، محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود ، (ت ٦٤٣هـ) ذيل تاريخ بغداد ، تح مصطفى عبدالقادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٧١هـ) ، ج٣ ص٢٦ .

(١١) ابن النجار البغدادي ، ذيل تاريخ بغداد ، ج٣ ص٢٦ .

(١٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ص١٧٩ .

(١٣) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ص١٢٧٧ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٨٢ .

*عبدالله بن عفيف الأزدي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٨٣ .

(١٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩ .

(١٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

(١٧) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٣ .

خوفهم من أهل مصرهم لان أكثرهم قتلته الإمام
(٦) (٦) .

إن الحركة كانت سرية في العمل من حيث جمع آلة الحرب والاجتماعات ، وهذا لا يبعدنا عن القول والاعتراف بأنهم فعلاً كانوا خائفين من أهل الكوفة حتى بعد هلاك الخليفة يزيد بن معاوية ، وما يدل على خوفهم أن الشيعة في الكوفة ذهبوا إلى سليمان بن صرد الخزاعي وطلبوا منه الذهاب لإخراج عامل عبيد الله بن زياد فقال لهم : " رويداً ، لا تعجلوا ، ... ، فرأيت إن قتلة الحسين أهم أشراف أهل الكوفة " (٨) .

لذلك تعامل معهم سليمان بمنتهى الحيلة والحذر لأنه وجدهم العدو الشرس للحركة والخصم الدائم لكل الحركات التحررية المناوئة للسلطة الحاكمة سواء كانت أموية أم زبيرية .

وكان زعماء الحركة قد اتفقوا على أن يعقدوا لقاءات دورية لتقويم نشاطاتهم التي قاموا بها والإنجازات التي حققوها ومن ثم تحديد موعد للخروج وإعلان الثورة واستقر رأيهم أخيراً على أن يكون التجمع في النخيلة نهاية ربيع الآخر سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م (١) .

كانت أولى الخطوات التنفيذية التي قام بها سليمان بن صرد في محاولة استقطاب واستمالة اكبر عدد ممكن من الجماهير هو الكتابة إلى رجالات الحزب الشيعي في البصرة والمدائن وكانت هذه الكتب فيها مفهوم وأهداف الحركة ثم الدعوة إلى المشاركة معهم في الموعد المذكور أعلاه .

فقد كتب سليمان إلى عامل المدائن* سعد بن حذيفة** ، وهو أول أمير على المدائن (٢) ، " ، ... ، إن أولياء من إخوانكم ، وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم في ما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذي دعي فأجاب ، ودعا فلم يُجب ، ... ، دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم ، فقد جد إخوانكم فجدوا ، واعدوا واستعدوا ، وقد ضربنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه ، وموطننا يلقوننا فيه ، فأما الأجل فغرة شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأما الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخيلة " (٣) .

كان وقع هذا الكتاب مؤثراً جداً في شيعة المدائن ، ولاسيما ان عدداً من الكوفيين قد نزحوا إليها ، وهؤلاء ظهروا شديدي الحماس للاستجابة الفورية إلى دعوة التوابين ، وما لبث أن جاء الرد ايجابياً من عامل المدائن وشيعتها والاستعداد الكامل للتحرك في اليوم الموعود " أما بعد ، فقد قرأنا كتابك وفهمنا الذي دعوتنا إليه ، ... ، فإذا جاء الصريخ*** أقبلنا ، ولم نخرج إن شاء الله " (٤) ، وكان سليمان قد أرسل نسخة ثانية من هذا الكتاب إلى المثنى بن مخرمة العبدي*** في البصرة لكسب تأييده مع

(٧) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(١) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٥ .

*المدائن ، بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٧٥ .

**سعد بن حذيفة : سعد بن حذيفة بن اليمان العيس ، روى عن أبيه حذيفة ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي ومنذر الثوري أبو يعلى . ينظر : الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ٤ ص ٨١ - ابن حبان ، الثقات ، ج ٤ ص ٢٩٤ .

(٢) ابن نما الحلبي ، ذوب النصار ، ص ٧٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٦ .

***الصريخ : الصارخة بمعنى الصريخ الغيث ، وفي الحديث : ان النبي (ﷺ) كان يقوم من الليل اذا سمع صوت الصارخ يعني الديك لانه كثير الصياح في الليل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٣٠٩ .

(٤) ابو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (٦) ، ص ٢٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٦ .

****المثنى بن مخرمة العبدي : المثنى بن مخرمة العبدي من اصحاب الامام علي (٦) واشترك معه في معركة الجمل . ينظر : سيف بن عمر الضبي ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص ١٧١ .

الشيعة هناك ، فأجابوا إلى دعوته فكان رد المثني إليه " قرأت كتابك وأقرأته على إخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك " (٥) .

والذي يتبين لنا أمر مهم هو ان تحديد هذا الوقت كان لكي يتمكن زعماء الحركة إكمال شؤونهم العسكرية ، لأننا نعلم بأن هذه الحركة لا يوجد لها أي وارد مادي سوى التبرعات من أهل الكوفة (١) ، وتحديد هذا الوقت بالذات للقيام بالحركة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م هو لغرض إكمال كافة الاستعدادات العسكرية ليس في الكوفة فقط وإنما في المدائن والبصرة ، هذا فضلاً عن كسب اكبر عدد من الشيعة إلى جانبهم .

أما اتصالات الحركة فكانت بعد وفاة يزيد بن معاوية تسير بدعوتها على مركز الكوفة من دون اللجوء إلى أطرافها وهذا يجعلنا نتصور ربما احد أسباب إخفاقها هو عدم كسب القبائل الساكنة في أطراف الكوفة ، والدليل هو عندما نتابع سير المختار بن أبي عبيدة الثقفي من الحجاز إلى الكوفة فنجد أنه كان يدعو القبائل العربية القاطنة من نهر الحيرة (بني بدء من قبائل كندة ، وبني همد) إلى نصرته ومساعدته في قتال الملحدين واخذ الثأر لرسول الله محمد (ﷺ) والدفاع عن الضعفاء فبايعوه (٢) .

وهذا يؤدي بنا إلى الاعتقاد ان هذه القبائل كانت لا تعرف بطبيعة الحركة وأهدافها بالرغم من إن مجيء المختار كان بعد وفاة يزيد ، وهذا يعني أن الحركة كانت معروفة لأهل الكوفة في مركزها دون أطرافها .

٣. طبيعة الحركة

من خلال الإطلاع على ابرز شخصيات هذه الحركة تتبادر لدينا فكرة بأنها حركة دينية الغرض منها التكفير عن الذنب ، لكن من خلال دراسة طبيعتها بدقة ومعرفة أهدافها نجد إنها تحمل في صفحاتها أهداف سياسية واجتماعية .

فقد شارك في هذه الحركة عدد من الشخصيات البارزة من الكوفة من أمثال سليمان بن صرد الخزاعي ، الذي كان يعرف في الجاهلية باسم يسار (٣) وان النبي محمد (ﷺ) غير اسمه وسماه سليمان بعد اعتناقه الإسلام (٤) ، سكن الكوفة وابتنى بها داراً في خزاعة وكان نزوله بها في أول ما نزلها المسلمون (٥) ، وكان له سن عالية وشرف في قومه (٦) ، شهد مع الإمام علي (ع) معركة صفين (٧) ، أما معركة الجمل فاختلف المؤرخون فيها فيرى بعضهم (٨) بأنه اشترك فيها ، بينما يرى البعض الآخر (٩) بأنه لم يشترك فيها . والذي يبدو أنه لم يشترك في هذه المعركة بإجماع اكبر عدد من

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٥٨ - المجلسي ، بحار الانوار ، ج٤ ص ٣٥٦ - البحراني ، العوالم الامام الحسين (ع) ، ص ٦٧٥ .

(١) ابن ماكولا ، اكمال الدين ، ج١ ص ٤١٩ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧٢ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص ١٩٦ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص ٢٨٤ .

(٤) الطبري ، ذيل تاريخ الرسل والملوك ، ص ٥٧٧ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص ٢٨٤ .

(٥) ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٢ ص ٣٥١ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص ١٩٦ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص ٢٨٤ .

(٧) البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ص ٢٠٠ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص ١٩٦ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٧٧ - الشيخ المفيد ، الجمل ، ص ١٠٨ - ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٢ ص ٣٥١ .

(٩) ابن أبي شيبه الكوفي ، المصنف ، ج٨ ص ٧٢١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٢٧١ - الطوسي ، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، رجال الطوسي ، تح جواد القيومي الاصفهاني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين ، (قم / ١٤١٥هـ) ، ص ٦٦ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ص ٢٠٠ - الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر ، (ت ٨٠٧هـ) ، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تح مسعد عبدالحميد محمد ، مطبعة دار الطلائع للنشر ، (بلات) ، ص ٢٤٠ -

المؤرخين بسبب ضعفه وعجزه وقد وضع سليمان بن صرد سبب ذلك حينما عاتبه الإمام علي (ت) عن عدم مشاركته في هذه المعركة فأجابته سليمان: " تربصت وتناأت* ، فكيف ترى صنع الله ، فأجابه سليمان : الشوط بطين** ، وقد بقي من الأمر ما تعرف له صديقك من عدوك" (١) ، أي ممكن للإنسان أن يستدرك ما فاتته (٢) .

بعد استشهاد الإمام علي (ت) ظل سليمان بن صرد على ولائه لأهل بيت رسول الله (ت) وعاتب الإمام الحسن (ت) نتيجة صلحه وبيعته معاوية بن أبي سفيان وقال له : " ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك مئة ألف مقاتل من أهل الكوفة كلهم يأخذ العطاء" (٣) ، ثم يستقر في ولائه ويظهره لكن هذه المرة بشدة للإمام (ت) بعد وفاة معاوية ويعرض عليه بأن يأتي الكوفة وكان ممن كتب إلى الإمام (ت) بالقدوم (٤) .

أما رفاقه الباقون من أمثال المسيب بن نجبة الفزاري فهو تابعي وكان على رأس قومه شهد مع الإمام علي (ت) مشاهده كلها (٥) ، وكذلك رفاعة بن شداد البجلي فهو من قرّاء الكوفة وخيار أصحاب الإمام علي (ع) (٦) وكذلك عبدالله بن وال التميمي (٧) .

والذي نستنتج من خلال هذه الأسماء إنها حركة فقهاء وقرّاء وقصاصين خاصة إذا ما عرفنا انه كان من دعائها عبيد الله بن عبدالله المري*** ، ذو المنطق والبلاغة في المصر ، الذي أدى دوراً كاملاً في إعلان أهداف الحركة وكان كلما اجتمعت إليه جماعة جديدة من أهل الكوفة يخطب فيهم قائلاً " ، ... ، فويل للقاتل وملامة للخاذل ، أن الله لم يجعل لقاتله حجة ولا لخاذله معذرة ، إلا أن يناصح الله في التوبة ، ... ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته والى جهاد المحليين*** والمارقين ، فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وإن ظهرنا ردنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا" (٨) ، وكان يوضح في خطبه أهداف الحركة والتي تبرز في :

التقرشي ، نقد الرجال ، ج ٢ ص ٣٦٥ - الجابلي ، السيد علي اصغر ، طرائف المنال ، تح مهدي الرجائي ، ط ١ ، مطبعة بهمن ، مكتبة المرعشي ، (قم / ١٤١٠ هـ) ، ج ٢ ص ٨٨ .

*تناأت : تناأت الرجل ، عف واسترخى . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف هامش ، ص ٢٧٢ .
**بطين : البعيد أي الزمان الطويل . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف هامش ، ص ٢٧٢ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠ .

(١) ابن سلام ، غريب الحديث ، ج ٣ ص ٤٧٥ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٢٧٢ - الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، ج ٢ ص ٥ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ص ٥٠٩ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب

الإمام علي (ت) ، ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٥ ص ١٧٢ .

(٣) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ١٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٠ .

(٥) ابن نما الحلي ، ذوب النضار هامش ، ص ٧٤ .

(٦) الذهبي ، من له رواية في كتب السنة ، ج ١ ص ٣٩٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٢٩ .

(٧) الشيخ الطوسي ، رجال الطوسي ، ص ٧٨ .

***عبيد الله بن عبدالله المري : لم أجد له ترجمة .

****المحليين : هم الذين أحلوا القتال في الأشهر الحرام (ذو القعدة ، ذو الحجة ، المحرم ، رجب) ، وكانت العرب تستحل دماءهم خاصة في هذه الشهور وكان المحلون ينتسبون الى حيان ، خثعم وطي . ينظر : ابن سلام ، غريب الحديث ، ج ٣ ص ٦ - الجوهري ، الصحاح ، ج ٥ ص ١٨٩٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٩-٥٦٠ .

١. التوبة من خذلانهم للإمام (t) وهذه التوبة تتطلب منهم الطلب بدماء أهل بيت رسول الله (

ë) وجهاد المحليين والمارقين^(١).

٢. عدم الاعتراف بشرعية الخلافة الأموية ، وهذا نجده من خلال مقولته " ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه " ^(٢).

٣. إعادة الخلافة إلى أهل بيت النبوة (i) ^(٣) وهذه كانت أهم الأفكار في الحركة وإن الشهادة في

سبيلها هي أفضل ما تكون لهم ، هذا فضلاً عن إن عبيد الله بن عبد الله المري قد استمر في هذا الخطب حتى بعد هلاك يزيد بن معاوية وهذا يدلنا على أمرين هما :

أ. عدم الاعتراف الشرعي بخلافة عبد الله بن الزبير ، وهذا الأمر قد نجده من خلال اعتزال زعماء الحركة وأنصارهم أوضاع الكوفة السياسية خاصة بعد قيام أشراف الكوفة بعزلهم لعمر بن حريث المخزومي ومبايعة عبد الله بن الزبير^(٤).

ب. هدفهم المباشر هو قتل عبيد الله بن زياد وهذا الهدف نجده واضحاً عندما التقى الجيشان التوابون والشامي في عين الوردية ، فكانت مطالب سليمان وأنصارهم إن يدفعوا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلوه^(٥).

ومن خلال انتماءات زعماء الحركة القبلية نلاحظ إنهم ينحدرون جميعاً من اصل يمانى (خزاعة ، فزارة ، الازد ، تميم اللات ، بجيلة ، مزينة ، كنانة ، حمير ، عبد القيس) ، لكن لا يعني هذا إن كل القبائل اليمانية قد اشتركت في هذه الحركة لأن قبيلة مذحج بالرغم من ولانها العلوي المعروف ووقوفها إلى جانب أهل البيت (i) إلا أنهم لم يشتركوا في هذه المعركة .

أما بالنسبة إلى الموالي واشترائهم في هذه المعركة فانفرد الطبري^(٦) برواية واحدة يذكر فيها إن مولى للمسيب بن نجبة الفزاري كان يقاتل في هذه المعركة وقد انضم فيما بعد إلى شبيب بن يزيد الخارجي وقد وصف المعركة - عين الوردية - وهذا ما دعا أحد الكتاب المحدثين^(٧) إلى نفي اشتراك الموالي في هذه الحركة . ولكن نقول أن من طبيعة المولى أن يتبع سيده في كل شيء ولا يصبح حراً إلا بعد وفاة سيده بالوصية أو بيعه في حياة مولاه ، ونحن نعلم أن هناك الكثير من الشخصيات الكبيرة التي اشتركت في هذه المعركة وبطبيعة الحال فقد اشترك معهم مواليتهم إلا إن المؤرخين لم يذكروا ذلك وتجاهلوه لكون الموالي لا يمثلون ثقلًا مهمًا في هذه المعارك .

قد يتساءل البعض منا لماذا لم ينصر زعماء الحركة التوابية الإمام (t) في حياته وخرجوا يطالبون بدمه من بعد استشهاده ؟

إن هناك من الأسباب التي أدت إلى عدم خروج سليمان بن صرد الخزاعي وأنصاره لموازرة الإمام (t) كنا قد بينّا البعض منها في الفصل الثاني* ونضيف الآن سبباً مهماً آخر هو : إن سليمان بن صرد الخزاعي قد عبر عن حالته في عدم المشاركة عندما قال : " الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا

(١) أبو مخنف ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٥٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٦٠ .

(٣) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٥٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٦٠ - الزركلي ،

الاعلام ، ج ٣ ص ١٢٧ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٣ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ١٢٧ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٨٢ .

(٦) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٩ .

(٧) جمال الدين سرور ، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ص ١٤٠ .

* ينظر فص ٢ ص ٩٩-١٠٠ من الدراسة .

بالشهادة مع الحسين ، اللهم إذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده ^(١) ، والذي يبدو ان هناك عائناً في عدم مشاركته بثورة الإمام (t) ضد الخلافة الأموية وقد وضع ذلك السيد البراقي ^(٢) عندما قال إن عبيدالله بن زياد نفى الرجال العاملين لمعونة مسلم بن عقيل من بلده ، وزج في السجن من وجوه الشيعة أمثال المختار وسليمان والمسبيب ورفاعة وغيرهم .

أما دور القراء والقصاصين في هذه الحركة فكان دوراً بارزاً من خلال خطب صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني ، الذي كان يذكر أنصاره بأن هدفهم في الحركة هو التوبة من ذنبهم والطلب بدم ابن بنت نبيهم وليس معهم دينار ولا ذهب ^(٣) ، وكان إجابة الناس من حوله ، إننا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا ^(٤) ، وكان دوره واضحاً في المعركة حيث كان يدور في المقاتلين ويقول لهم " ابشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه ، محق والله لمن ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة والراحة من إبرام الدنيا وأذاها إلا فراق هذه النفس الأمارة بالسوء " ^(٥) ، ويبدو أن صخير بالإضافة إلى دوره في الخطابة وحث أصحابه على القتال إلا أنه كان مقاتلاً شجاعاً ، فيذكر الطبري ^(٦) أنه جمع ثلاثين مقاتلاً من مزينة* وقال لهم إن الموت لأقربكم وإن الدنيا زائلة فمضوا معه فقاتلوا حتى قتلوا .

أما أبو الجويرية العبدي*** فإنه كان من القصاصين في المعركة بالرغم من جرحه إلا أنه لم يترك المعركة إلا بعد انسحاب جيش التوابين ^(٧) ، كما لا ننسى رفاعة بن شداد البجلي بالإضافة إلى كونه أحد زعماء الحركة إلا أنه كان من قراء الكوفة البارزين ^(٨) ، وكان دائماً يشدد أزر المقاتلين للحرب ^(٩) ، ثم يأخذ دور القيادة للحركة بعد استشهاد أصحابه ، ويؤدي دوراً مهماً في إنقاذ ما تبقى من أنصاره في عبور الخابور* ، فضلاً عن وضع أبا الجويرية العبدي في سبعين فارساً يسترون الناس ، فإذا مروا برجل قد سقط حمله ، أو بمتاع قد سقط قبضه حتى يعرفه إلى أن مروا بقرقيسيا من جانب البر ^(١٠) ، ويقف عبدالله بن وال التميمي طليعة المفتين للجهاد ويوعد المقاتلين في الجنة ^(١١) . والذي يبدو إنها حركة فقهاء وقراء وقصاصين ، لذا نرى إن تكون تسمية حركتهم هي حركة وجهاء الكوفة .

(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٩١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٠ .

(٢) تاريخ الكوفة ، ص ٢٩٧ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٨٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٦٠٤ .

** مزينة : قبيلة من مضر ، وهي مزينة بن آد بن طانحة بن الياس بن معن بن نزار بن معد بن عدنان والنسب اليهم المزني . ينظر : الجوهري ، الجوهري ، الصحاح ، ج ٦ ص ٢٢٠٤ - السمعاني ، الانساب ، ج ٥ ص ٢٧٧ - ابن الاثير ، اللباب ، ج ٣ ص ١٣٢ .

*** أبو الجويرية العبدي : عبدالرحمن بن مسعود من أهل الكوفة ، يروى عن محمد بن النفي وروى عنه الصلت بن الهرام . ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج ٢ ص ٩٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٨ .

(٨) الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٢٩ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٨ .

* الخابور : أسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٣٤ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٦٠٥ .

(١١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٥ .

ثانياً . الاتجاه العلوي وموقفهم من الحركة

١. الإمام علي بن الحسين (ع) وموقفه من الحركة

لم نجد نصاً واحداً للإمام علي بن الحسين (ت) يتناول فيه مدح الحركة أو ذمها ، بل حتى لم يجد نصاً من غيره من أهل المدينة آنذاك في تقييم الحركة ، وهذا ما جعل إبراز موقف الحركة يبدو صعباً إلا من خلال الاستنتاج ، لذلك يبدو إن أسباب عدم وجود رواية عند المؤرخين لموقف الإمام علي بن الحسين (ت) هي :

١. إن طبيعة اتصالات الحركة اتسم بالسرية التامة إلى لحظة وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م^(١) ، فإذا كانت سرية فليس من المعقول أن يصدر عن الإمام علي بن الحسين

(ت) كلام بخصوصها لأنه سوف يؤدي إلى كشفها وبالتالي يتم القضاء عليها .
٢. هدف الحركة الأساسي كان طلب التوبة والتكفير عن الذنب ، فلا موجب لصدور نص من الإمام علي بن الحسين (ت) أو تعليمات أو إرشادات محددة ، ولا سيما إن زعماء الحركة من كبار الصحابة والتابعين .

ولكن يبدو إن موقف الإمام علي بن الحسين (ت) كان موالياً للحركة التوابية لأسباب منها :

١. عدم وجود رواية واحدة تقدر بزعماء الحركة من الإمام علي بن الحسين (ت) .
٢. إن ما حفز الشيعة للخروج في هذه الحركة لأنهم رأوا إن الخلافة حق في بني هاشم^(٢) ، لذلك فمن المستبعد عدم معرفة الإمام علي بن الحسين (ت) بنشاطهم بالرغم من إنها كانت سرية في الكوفة طوال فترة ثلاث سنوات من عمرها ، لان الشيعة في اتصال مستمر مع الأئمة (ت) سواء في حياة الإمام الحسن (ت) في عهد معاوية أو في حياة الإمام (ت) في عهد يزيد .

٢. موقف المختار من الحركة

بعد وفاة يزيد بن معاوية بخمسة أشهر^(٣) وأيام^(٤) ، أدرك المختار إن عبدالله بن الزبير لا يستعمله على أي عمل من أعماله لذلك فكر بالخروج إلى الكوفة ، لكن ما هي الأسباب التي أدت المختار أن يعود

(١) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

(٢) مغنية ، محمد جواد ، الشيعة في الميزان ، مؤسسة صدر الخلائق ، مكتبة الآداب الشرقية للنشر ، (النجف / ١٤٢٤ هـ) ، ص١٥ .

(٣) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ .

مرة أخرى إلى الكوفة ، هل كونها مدينة موالية لأهل بيت النبي (ﷺ) ؟ أم مدينة المال والرجال مثلما وصفت ؟

إن المختار على الرغم من أنه كان في الحجاز إلا أنه كان لا يغفل عن السؤال عن هذه المدينة ومتابعة أخبارها باستمرار ، فلما قدم هاني بن أبي حية الوادي* مكة ، يريد عمرة رمضان ، فسأله المختار عن حاله وعن حال الناس في الكوفة وهينتهم ، فقال له: " إنهم في صلاح وانشقاق على طاعة ابن الزبير إلا إن طائفة من الناس إليهم عدد أهل مصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم ، أكل بهم الأرض " (١).

والذي نكتشفه من هذا النص إن أهل الكوفة منقسمون جماعة تتبع ابن الزبير وهناك طائفة من أهلها ليس لهم قائد يجمعهم على رأيهم ، لذلك ربما كان هذا الوصف هو الحافز للمختار بالذهاب إلى الكوفة وأنه ذلك الرجل الذي يجمعهم " أنا أبو إسحاق ، أنا والله لهم " (٢) ، وما يؤكد على إن أهل الكوفة بدون قائد يجمعهم ويقودهم ما وصفه مسلمة بن حرثة للمختار " هم كغنم ظل راعيها " (٣).

ويبدو إن عودة المختار إلى الكوفة مرة أخرى هي كونها موالية لشيعة أهل البيت (i) وقد عبر عن ذلك المختار نفسه عندما حاول إقناع عبدالله بن الزبير بالذهاب إلى الكوفة حيث قال له " أني لأعرف قوماً لو إن لهم رجلاً له رفق وعلم مما يأتي لاستخرج منهم جنداً تغلب بهم أهل الشام ، قال : من هم ؟ قال : شيعة بني هاشم بالكوفة ، فكن أنت ذلك الرجل فبعثه إلى الكوفة " (٤) ، وبعد إقناعه لعبدالله بن الزبير جاء المختار إلى الكوفة ودخلها يوم الجمعة نصف رمضان سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م (٥) وكان الناس يتهياون للصلاة (٦) ، فكما كان المختار سياسياً ماهراً ، كذلك كان خطيباً من خطباء الشيعة البارزين فإنه يمتلك قوة ساحرة للتأثير (٧) ، لذلك قيل عنه أنه من دهاة ثقيف (٨) ، كان دارساً لأحاسيس الناس ونفسياتهم فوظف هذه المواهب من أجل تحقيق هدفه الذي جاء من أجله وهو أخذ ثأر أهل البيت (i) وقتال الفاسقين (٩) ، لكنه وجد إن الشيعة قد بايعت سليمان بن صرد الخزاعي (١٠) ، بالرغم من ذلك دخل المختار الكوفة فأخذ البعض من الشيعة بتأييده لأنه كان معروفاً فيهم سابقاً (١١).

ولكن كيف صور المؤرخون العلاقة ما بين المختار وسليمان بن صرد الخزاعي ؟

*هاني بن أبي حية الوادي : لم أجد له ترجمة .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢١٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٧٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٩ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٦٠ .

(٧) عبدالحسين طه حميد ، أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، ط١ ، مطبعة السعادة ، (مصر / ١٩٥٦) ، ص١٨٨ .

(٨) الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ) ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ، تح د. معيد محمد ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٦) ، ج٢ ص١٩٩ .

(٩) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٠٧ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص١٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ص١٧٩ - الشيرازي ، السيد محمد الموسوي ، الفرقة الناجية ، تح فاضل الفراتي ، ط٢ ، دار الأمين للطباعة ، (بيروت / ١٤٢٥هـ) ، ص٦٢٧ .

(١١) أبو مخنف ، لوط بن يحيى الغامدي (ت١٥٧هـ) ، أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي ، تح كامل سلمان الجبوري ، ط١ ، مطبعة دار المحجة البيضاء ، (بيروت / ١٤٢٠هـ) ، ص٤٨ .

اختلفت آراء المؤرخين في مسألة العلاقة التي كانت بينهما فيرى البعض^(١) منهم ان المختار حرّض الشيعة على سليمان بن صرد الخزاعي في محاولة من تقليل شأنه بالحروب " ليس له بصّر بالحروب ولا تجربة بالأمور إنما يريد ان يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه " ، بينما يرى احد المؤرخين^(٢) " ان الناس قالوا للمختار لا تعجل إلا ان تنتظر (وينظر) ، ... ، فسكت المختار فأقام بالكوفة ينتظر ما يكون أمر سليمان بن صرد " ، ولكن يرى ابن كثير^(٣) انه عند مجيء المختار إلى الكوفة وجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه وهم معدون للحرب .

والذي يبدو ان الرأي الثاني هو الاصحوب من بين هذه الآراء للأسباب الآتية :

١. ان المختار وزعماء الحركة كانوا في السجن في أحداث الطف سنة إحدى وستين^(٤) ، وعندما جاء إلى الكوفة في فترة وجود الحركة التوابية ذهب بعض من أشرف الكوفة من أمثال عمر بن سعد وشبث بن ربعي وقال لأهل الكوفة ان المختار اشد عليكم من سليمان ، لان سليمان خرج لقتال عدوكم والمختار إنما يريد أن يثب عليكم فساروا إليه فأوثقوه بالحديد وخلدوه في السجن^(٥) في حين ظل سليمان يمارس عمله السياسي دون أي ضرر من المختار .

٢. ان المختار وزعماء الحركة التوابية كان هدفهما هو اخذ الثأر وقتل قتلة الإمام (t) وأهل بيته . وقد وضع المختار ذلك بعد خروجه من السجن وذهابه إلى الحجاز حيث قال لابن العرق " فإذا سمعت بمكان قد ظهرت به فقل إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المرسلين وابن بنت سيد المرسلين ، وابن سيدها الحسين بن علي ، فورك لاقتل بقتله عدة من قتله على دم يحيى بن زكريا " ^(٦) ، وهذا يوضح لنا ان المختار قد حدد هدفه وهو اخذ الثأر لأهل بيت رسول الله (ﷺ) في حين زعماء الحركة لم يعلنوا حركتهم إلا بعد وفاة يزيد .

٣. ان المختار لم ينضم إلى الحركة التوابية بسبب عدم وجود خبرة وتجربة عند زعيم الحركة سليمان بن صرد^(٧) ، لأن المختار كان موجوداً في أحداث الطف في الكوفة ثم أودع السجن وكان معه ، فكان يعرفه أو ربما تعرف عليه في السجن بأنه ليس شخصية قيادية أو عسكرية .

ثم ما يجمع عليه عدد من المؤرخين^(٨) ان المختار خرج من الحجاز إلى الكوفة باسم الدعوة لمحمد بن الحنفية وانه سفيره " ان المهدي بن الوصي بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدم أهل بيته ، والدفع عن الضعفاء ، فكونوا أول خلق استجابة " ، والذي يمكن ان نستخرجه من هذا هو :

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢١٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦١ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص١٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٢ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٦ ص٢٠٨ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٦١٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨١ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢١٤ - ابن نما الحلبي ، ذوب النضار ، ص٨٠ - الشيخ البحراني ، العوالم ، ص٨٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٢ .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ص١٨٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٠ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٠٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٦٢٠ .

١. ان المختار له الفضل كونه أول من طور فكرة المهدي كمنقذ ديني وإنها فكرة كانت موجهة إلى الطبقات ذات المستوى الاجتماعي الواطيء التي نظرت إلى محمد بن الحنفية كمنقذ لها^(٢).
٢. ان المختار أول من أدرك وحاول ان يعالج التمايز القائم في الحقوق الاجتماعية والاقتصادية بين العرب والموالي^(٣).
- وعلى ما يبدو ان المختار ربما وجد هذه الصيغة من اجل كسب الشيعة في الكوفة ، لكن هل هذا الخطاب كان سبباً في انقسام الشيعة بالكوفة مثلما يرى بعض المؤرخين^(٤) واحد الكتاب المحدثين .

لم نجد رواية واحدة عند المؤرخين عن سليمان بن صرد الخزاعي تدين عمل المختار بن أبي عبيد الثقفي ، والدليل عن ذلك ان حميد بن مسلم احد رواة الحركة قال : قلت لسليمان ، " ان المختار والله يثبط الناس عنك ، أني كنت عنده أول ثلاث ، فسمعت نفرأ من أصحابه يقولون ، قد كملنا ألفي رجل ، فقال وهب ان ذلك كان ، فأقام عنا عشرة آلاف ، أما هؤلاء بمؤمنين " ^(٥) ، ومن هنا يبدو لنا ان أهل الكوفة أنفسهم هم السبب المباشر في إخفاق هذه الحركة وليس المختار كونه ادعى بأنه سفير للمهدي ، لأن مسألة المهدي (ع) هي ليست موجودة عند الشيعة من أهل الكوفة فقط وإنما موجودة حتى عند الأمويين في الشام ، فكان خالد بن يزيد بن معاوية يسمي نفسه السفيناني المنتظر^(٦) .

أما موقف أهل الكوفة من هذه الأمور فقد أرسلوا وفداً* إلى محمد بن الحنفية للاستفسار عن ما جاء به المختار بن أبي عبيد الثقفي فأجابهم " وأما ما ذكرت من أمر المختار بن أبي عبيد فوالله لقد وددت ان الله تعالى قد انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه والسلام " ^(٧) . وفي هذا الجواب أدرك أهل الكوفة انه فعلاً مرسل من ابن الحنفية ، هذا فضلاً عن ان المختار كان يرسل الأموال إلى محمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر^(٨) . ولو كانت هذه الشخصيات ترى فيه رؤية غير طيبة لرفضت هذه الأموال ، فضلاً عن ان سبب قتل المختار بالكوفة من مصعب بن الزبير هو لأنه حاول اخذ البيعة في الكوفة إلى محمد بن الحنفية^(٩) وخلع عبدالله بن الزبير^(١٠) .

ونرى ان شخصية المختار هي من الشخصيات الموالية لآل بيت رسول الله محمد (ع) بالرغم مما كتبه عنها المؤرخون والدليل على ذلك :

(٢) دكسن ، الخلافة الأموية ، ص ٦٧ .
 (٣) دكسن ، الخلافة الأموية ، ص ٦٧ .
 (٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٠ - أبين الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٠ - الخربوطلي ، علي حسني ، ١٠ ثورات في الإسلام ، ط ١ ، دار الأداب ، (بيروت / ١٩٦٨) - ص ١٦٦-١٦٧ .
 (٥) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٢٨٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٤ .
 (٦) المروزي ، الفتن ، ص ٢٨ .
 * الوفد : عبدالرحمن بن شريح الشامي ، سعد بن منقذ ، سعد بن أبي مسعر الحنفي الاسود الكندي ، قدامة بن مالك الجشمي . ينظر : أبين الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١٤ ، يذكر سعيد بدلاً من سعد بن منقذ ، ومسعر بن أبي مسعر بدلاً من سعد بن أبي مسعر - المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٤ ص ٣٦٤ - البحراني ، العوالم ، ص ٦٨٤ .
 (٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٣٢٠ - أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٢٨ .
 (٨) أبين الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ص ٣٣٦ - ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ ص ٣٥١ .
 (٩) الاشعري ، أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٢٤ هـ) ، مقالات الاسلاميين ، تح هلموت ريتير ، ط ٣ ، دار احياء التراث ، (بيروت / بلات) ، ج ١ ص ١٨ .
 (١٠) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٩٨ .

ننظر إلى ما قاله الحجاج بن يوسف الثقفي فيه " لله دره رجلٌ ديناً ، ومسعر* حرب ومقارع*
أع^د كان " (٤) ، ويقول عنه السيد البرقي (٥) بأنه تربى في وسط شيعي مشيع بالإخلاص والولاء والحب
لعلي وأبنائه.

أما موقف الإمام علي بن الحسين (t) من المختار فلا توجد رواية تثبت ان الإمام (t) كان
يدعو مؤيديه إلى الالتحاق بالمختار لكن هناك نص يؤيد بأنه مدحه بعد ان وصل إليه رأس
عبدالله بن زياد وعمر بن سعد ، حيث يذكر الحلي (٦) أنه لما أتى برأس عبدالله بن زياد ورأس عمر بن
سعد قام فخر ساجداً وقال الحمد لله الذي أدرك ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً ، وهذا دليل أن
الإمام كان راضياً عن تحركات المختار لأنه أخذ بالثأر من قتلة أهل بيت النبوة ، هذا فضلاً عن ان
المختار كان يدعي الكذاب ولكن عبدالله بن عباس قد فند ذلك في محاورته مع عبدالله بن الزبير بعد قتل
المختار في الكوفة حينما قال ابن الزبير لابن عباس " ألم يبلغك قتل الكذاب ؟ قال : ومن الكذاب ؟ قال
أبي عبيد ! قال : قد بلغني قتل المختار ، قال : كأنك نكرت تسميته كذاباً ، ومتوجع له ، قال : ذاك رجل
قتل قتلنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا ، وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة " (٧) ، هذا فضلاً عن
دور زوجته عمرة بن النعمان بن بشير الأنصاري والدفاع عنه في مسألة وصفه بالكذب وقالت " رحمه
الله كان عبداً لله صالحاً " (٨) .

٣. التوابون وموقفهم الصعب

لما استهل هلال شهر ربيع الآخر سنة خمسة وستين ، خرج سليمان في وجوه أصحابه ، وكان
واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة ، فخرج حتى أتى عسكره ، فدار في الناس
ووجوه أصحابه ، فلم يعجبه عدة الناس (١) ، لذلك عمد بالدعوة الإعلامية لأنصار هذه الحركة في
الكوفة فأرسل حكيم بن منقذ الكوفي والوليد بن غصين الكوفي ، وقال : اذهبوا حتى تدخلوا الكوفة فناديا
" يالثرات الحسين " (٢) ، وطافت الخيل تلك بالكوفة ينادون " يالثرات الحسين " ، ونادوا في
المسجد الجامع والناس يصلون العشاء " يالثرات الحسين " (٣) ، وكانا أول من نادى إلى اخذ ثأر
الإمام (t) بعد وفاة يزيد (٤) .

*مسعر : مسعر حرب تعجباً من شجاعته وجرأته وإقدامه . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٥ ص٢٣٦ .
**مقارع : مفردها مفرعة : السوط وكل ما تحركت به . ينظر : هامش البغدادي ، المنق ، ص٣٦٨ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠

(٥) تاريخ الكوفة ، ص٣١٥ .

(٦) ذوب النصار ، ص١٤٤ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٧٨ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢٦٥ ، يتوقف الى كلمة صدورنا .

(٨) الاصفهاني ، الاغانى ، ج٩ ص٢٦٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٧٥ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ،
مج٤ ج٨ ص٦٢٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٤ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٥ .

والذي يبدو أن غرض سليمان بن صرد من هذا العمل هو تذكيرهم بالعهود والمواثيق التي أعطوها أهل الكوفة لسليمان " وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليجاهدون ولينصرون " (٥).

وقد أعطت هذه الحملة الإعلامية بعض من ثمارها ولاقت قدراً من التجاوب ولكن المسألة لم تكن في تجمع المؤيدين في أسواق الكوفة ، بل فيمن يمتلك القدرة على الصمود والاستمرار عندما ترفع راية الحرب ويتعالى صوت النفير وهؤلاء لم يتجاوز عددهم في باديء الأمر ألف مقاتل ، ثم ارتفع إلى أربعة آلاف مقاتل مع التصعيد الإعلامي .

أما أسباب عدم تجاوب أهل الكوفة مع هذه الحركة فهي :

١. جو الكوفة المشحون سياسياً والصراعات فيما بينهم وانقسام سكانها إلى فئات زبيرية وتوابية وفئة ثالثة لا مع الزبيرية ولا مع التوابية .

٢. بعض المؤرخين (٦) يعزون ميل بعض الشيعة من أهل الكوفة إلى المختار وهذا ما سبب في قلة عدد أصحاب سليمان بن صرد الخزاعي ، وقد تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية .

٣. هدف الحركة كان يبدو لأهل الكوفة الانتقام فقط ، لذلك كانت تبدو لهم حركة مثالية ليس إلا ، أي إنها مجردة من الأهداف السياسية لذلك لم يشتركوا بها بالرغم من أن أهدافها كانت سياسية بحتة .

٤. خطبة سليمان بن صرد الخزاعي التي أبعثت كثيراً من أصحابه حينما قال " ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فينا نستفيئه ولا غنيمة نغنمها " (٧) ، لأن سليمان بن صرد أدرك أن انضمام البعض من أهل الكوفة إليه وهم معروفون بأنهم مقاتلون من أجل الغنيمة فقط ، فلذلك حدد أن أصحابه هم حملة السيوف والرماح ، أما غيرهم فليسوا من أصحابه (٨) ، لذلك سببت خطبته هذه بتفرقهم عنه .

عندما خرج سليمان وأصحابه من النخيلة دعا حكيم بن منقذ العبدى الناس إلى المبيت في دير الأعور* ، وخطب سليمان فيهم خطبة بعد أن وجد تخلف ناس كثيرين عنه فقال لهم : " ما أحب أن من تخلف عنكم معكم ، ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالاً* ، ان الله عز وجل كره انبعاثهم فثبطهم ، وخصمكم بفضل ذلك فاحمدوا ربكم " (٩) ، والذي يبدو أن أصحاب سليمان بدأوا يتفرقون عنه وهو في مسيره نحو ابن زياد ..

فلما وصل سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه إلى قبر الإمام (t) نادوا صيحة واحدة (١٠) " يا رب انا قد خذلنا ابن بنت نبينا ، فاغفر لنا ما مضى منا ، وتب علينا انك التواب الرحيم " (١١) ، ثم اجتمعوا على قبر الإمام (t) اكثر من اجتماع الناس على الحجر الأسود (١٢) .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٤ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٦٢٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢١١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

*دير الاعور : موضع بظاهر الكوفة بناه رجل من اياد ويقال له الاعور بن بني حذافة بن زهر بن اياد . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص٤٩٩ .

**خبالاً : أي فساداً . ينظر : الشيخ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج١ ص٦٢١ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٩ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢١٤ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٨ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٩ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢١٤ .

(١٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢١٥ .

ثم سار سليمان بن صرد من موضع قبر الإمام (t) حتى وصل الحصاصة***، ثم الانبار*** ثم الصدود****، ثم على القيارة*****.

والسؤال هو هل قدمت مساعدات لسليمان بن صرد الخزاعي من غير أهل الكوفة؟ يذكر بعض المؤرخين^(١) ان سليمان وأنصاره قد مروا بجانب قرقيسياء، فنزل قريب منها، وكان زفر بن الحارث الكلبي قد تحصن بها بعد هروبه من حمص بعد معركة مرج راهط، لذلك أرسل سليمان المسيب بن نجية الفزاري وطلب منه ان يخرج ابن عمه سوقا، والذي يبدو من غرض السوق عند سليمان ان يعرف طبيعة القوى العسكرية التي سوف يحاربها لأنه ربما يعلم ان زفر هو احد الهاربين من معركة مرج راهط، هذا فضلاً عن المعلومات الأخرى التي سوف يستفسر عنها زفر بن الحارث وأنصاره عن طبيعة المنطقة جغرافياً.

وفعلًا تحقق لسليمان ذلك عندما وصف زفر بن الحارث القوات القادمة وعددهم "وقد جاءكم في مثل الشوك والشجر"^(٢)، وأمرأؤهم الخمسة* ثم أشار زفر على سليمان ان تتوحد قوتاهما معاً للوقوف بوجه القوات الأموية القادمة من الرقة* باتجاه الجزيرة*** "ان شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها، فكان امرنا واحداً وأيدينا واحدة، وان شئتم نزلتم على باب مدينتنا، وخرجنا فعسكرنا إلى جانبكم"^(٣)، فرفض سليمان ذلك لان هدفه وطموحه لا يتوافق مع زفر بن الحارث، وهو نفس ما أشار عليه والي الكوفة قبل خروجه منها^(٤)، وهذا يعني ان سليمان رفض الآراء والمشاورات من الأطراف السياسية الجانبية لأنه يعلم أنهم يقفون إلى جانبه بسبب ان الخلافة الأموية في الشام لا تتركهم بدون حرب وإعادة مناطقهم إلى أحضان الخلافة الأموية^(٥).

بعدما أيقن زفر بن الحارث ان سليمان بن صرد الخزاعي مصر على التقدم وجه له مشورة عسكرية هذه المرة بأن يتقدم أولاً ويصل إلى موضع عين الوردية وان يجعل المدينة في ظهورهم حينئذ يكون

***الحصاصة: وهي من قرى السواد قرب قصر أبين هبيرة من اعمال الكوفة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٢٦٣.

***الانبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد، بينهما عشرة فراسخ،، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٢٥٧.

*****الصدود: بلدة في الطريق ما بين الشام والطريق. ينظر: ابن مزاحم، واقعة صفين، ص٥٢٨.

*****القيارة: منزل للحاج من واسط على مرحلتين وهو بئر لبني عمل مأوها غليظ، وهو قريب من الوحل. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٤ ص٢١٩.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٩٣ - ابن اعثم الكوفي، الفتوح، مج٣ ج٦ ص٢٢٠ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤ ص١٣٣٩ - أبين الأثير، الكامل، ج٤ ص١٧٩.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٩٤ - ابن اعثم الكوفي، الفتوح، مج٣ ج٦ ص٢٢١ - أبين الأثير، الكامل، ج٤ ص١٨٠.

*أمرأؤهم: الحصين بن نمير السكوني، شرحبيل بن ذي الكلاع، أدهم بن محرز الباهلي، جبلة بن عبدالله الخثعمي ووايد بن مالك بن ادهم وربيعة بن المخارق الغنوي. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص - أبين الأثير، الكامل، ج٤ ص١٨٠، ويضيف ابن الاثير عبيدالله بن زياد.

**الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران أيام معدودة في بلاد الجزيرة، لأنها في جانب الفرات الشرقي. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص٥٩.

***الجزيرة: يريد بالجزيرة التي بين دجلة والفرات. ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج١ ص٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٩٤ - أبين الأثير، الكامل، ج٤ ص١٨٠.

(٣) أبين اعثم الكوفي، الفتوح، مج٣ ج٦ ص٢٢١.

(٤) أبين الأثير، الكامل، ج٤ ص١٩٠.

الرسنق والماء والمادة في أيديهم^(٥) ، وتكون المنطقة من قرقيسيا إلى عين الورد أمامه ، وكانت هذه المشورة بسبب كره زفر للدولة الأموية^(٦) .

ثالثاً. موقف الخلافة الزيرية من حركة التوابين

١. موقف أهل الكوفة من عبدالله بن الزبير

بعد وفاة يزيد بن معاوية ٦٤هـ / ٦٨٣م^(١) ، بدأت استجابة الناس إلى حركة التوابين تتضاعف " فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والنفر بعد النفر " ^(٢) ، بسبب ضعف أمر نائب الوالي وهذا ما عبر عنه أهل الكوفة حينما قالوا لسليمان " قد مات هذا الطاغية والأمر الآن ضعيف " ^(٣) ، لذلك بدأت مرحلة جديدة من انتقال العمل في الحركة التوابية من مرحلتها السرية والعمل تحت جنح الظلام إلى دور النشاط العلني والمجاهرة الصريحة ، وعند ذلك أعلن أهل الكوفة حركتهم وهاجموا دار الإمارة وطردوا ممثل ابن زياد الذي كان يقيم في البصرة والذي تعرض بدوره لحركة مماثلة ، وقد أعقب ذلك خلال تلك الفترة من الفراغ في السلطة إلى ان جرى تسليم الحكم إلى رجل اتفق عليه وجهاء الكوفة وزعمائها وهو عامر بن مسعود* ، الذي ما لبث ان دان بالولاء لعبدالله بن الزبير حيث تمكن من توطيد مركزه في الكوفة^(٤) .

ولم يكن هذا الإجراء عائداً إلى اقتناع الكوفيين بسلامة هذا الموقف ، وإنما كان ضرورة اقتضتها المصلحة ليس أكثر ، فالأشراف يبدو أنهم هم الذين شغلوا دوراً بارزاً في حركة التمرد ضد نائب ابن زياد وما قاله يزيد بن الحارث بن يزيد إلا دليل على ذلك " الحمد لله الذي أراحنا من ابن سمية أنحن نبايعه ، لا ولا كرامة " ^(٥) ، وجاء موقف الأشراف هذا بعد ان رباح الحركة الحجازية بدأت تهب بشكل عاصف على العراق فسارعوا إلى التودد لابن الزبير لضمان مصالحهم السياسية والاقتصادية واستمراراً لها ، أما زعماء الحركة التوابية فقد أظهروا استنكافهم عن تسلم الحكم بالرغم من توفر فرص النجاح آنذاك عندهم إلا أنهم أرادوا المسير وفق الخطة التي وضعها لهم اجتماعهم الأول في دار سليمان وتطور حول هدف محدد ثابت هو الانتقام لقتلة الإمام (ت) وما قاله سليمان بن

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٥ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٠ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٢١ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٠١ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٨ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٨ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

* عامر بن مسعود : عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي المكي القرشي ، له صحبة وله حديث في صوم الشتاء ، روى عنه عبدالعزيز بن رفيع وكان يلقب بحروجة العجل . ينظر : أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٥٨ - البغدادي ، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) ، الكفاية في علم الرواية ، تح أحمد عمر هاشم ، ط١ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، (١٤٠٥هـ) ، ص٦٨ - الذهبي ، الكاشف في معرفة من رواية في الكتب الستة ، ج١ ص٥٢٦ - أبن المبرد ، يوسف بن عبد الهادي

(ت ٨٤٠هـ) ، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ، تح د. روحية عبدالرحمن السويقي ، ط١ ، مطبعة دار

الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٣هـ) ، ص٨٢ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ص٦١٨ .

(٥) أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٣٢ .

صرد الخزاعي إلا دليل على ذلك حينما قال " أيها الناس ، من كان إنما أخرجته أراد وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ... ، ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فيناً نستفيئه ولا غنيمة نغنمها " (١) .

لذلك بايع أهل الكوفة عبدالله بن الزبير وبسرعة أصبحت الكوفة تابعة إلى خلافة عبدالله بن الزبير الذي كان يحمل في نفسه ما يحمله أهل الكوفة من الكره والحقد للخلافة الأموية ، لكن هذا لا يعني بأن زعماء الحركة التوابية قد بايعوا عبدالله بن الزبير بل أنهم رفضوا الاعتراف حتى بهذه الخلافة وما قاله سليمان بن صرد إلا دليل على ذلك " أنا وهؤلاء مختلفون ، ان هؤلاء لو ظهرنا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير ، ... ، ان لنا شكلاً ، وان لابن الزبير شكلاً " (٢) ، لذا فقد كان أهل الكوفة وكما اشرنا سابقاً منقسمين إلى عدة فئات منها أتباع سليمان بن صرد الخزاعي وأخرى مع أشرف أهل الكوفة وفئة أخرى منزلة عن هذه الفئات السياسية والتي استطاع المختار عندما جاء إلى الكوفة ان يأخذ بيعتها وخاصة مناطق أطراف الكوفة ، وهذا ما جعل الأوضاع السياسية في الكوفة مفككة يسهل اختراقها لمن يجيد القابلية في الكلام والإقناع والحجة عليهم ، فاستغل المختار هذا الوضع .

٢. موقف والي الكوفة من حركة التوابين

بعد هلاك يزيد بن معاوية بستة اشهر (٣) ، قدم المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكوفة في النصف من شهر رمضان (٤) ، وبعده بثمانية أيام (٥) ، قدم من عبدالله بن الزبير الوالي الجديد عبدالله بن يزيد الانصاري* ، والياً عليها وإبراهيم بن محمد بن طلحة* عاملاً للخراج (٦) .

ويبدو ان إرسال الوالي الجديد من ابن الزبير إلى الكوفة ربما بسبب معرفته بشخصية المختار وأثره في مجتمع الكوفة وانه كان يتخوف منه " فوالله لهو احذر من ذنب قد أطاف به السباع " (٧) ، لكن كيف تعامل الوالي الجديد بالكوفة ؟ وكيف ناصره الأشراف ؟ وهل سياسته تجاه الحركة كانت ناجحة ؟

يذكر الطبري (٨) ، ان يزيد بن الحارث الشيباني قدم إلى الوالي وحشه على محاربة الحركة التوابية حينما قال له " ان الناس يتحدثون ان هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد ، ومنهم طائفة أخرى مع المختار ، ... ، فأنت رأيت ان تجمع الشرطة المقاتلة ووجوه الناس ، ثم تنهض إليهم ، ونهض معك " .

والذي نكتشفه من هذا انه وضع الوضع السياسي في الكوفة ونوعية القوتين السياسيتين الموجودتين فيها وإبداء المساعدة إليه في حربه ضد الحركة التوابية ، وهذا يعني أن موقف يزيد بن الحارث كان ضد كل من يريد ان يقف او يعرقل الوالي الزبيري في الكوفة .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٤) أبو مخنف ، مقتل الحسين (٥) ، ص٢٥٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

*عبدالله بن يزيد : عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصين بن عمرو بن الحارث بن خزيمة ، شهد الحديبية وهو ابن سبع سنين وقد رأى النبي محمد . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٥٦٠-٥٦٢ .

**إبراهيم بن محمد : إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله النعيمي أبو اسحاق المدني ، الاعرج . ينظر : أبو مخنف ، مقتل الحسين (٦) ، ص٢٥٩ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص١٣٩ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ .

(٩) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦١ .

أما والي الكوفة فكان رأيته بمنتهى الفطنة السياسية وبرز موقفه من الحركة التوابية بعد ان عرف هدف الحركة " ... ، الله بيننا وبينهم ، ان هم قاتلونا قتلناهم ، وان تركونا لم نطلبهم ، ... ، لعن الله قاتل الحسين ، ... ، فوالله ما أنا قتلت حسينا ، ولا أنا ممن قاتله ، ولقد أصبت بمقتله رحمه الله عليه ، فأن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين ، ... ، وأنا لهم على قاتله ظهير " (١) . وبهذه الكلمات استطاع الوالي ان يكسب لنفسه ولمستقبله السياسي مجموعة من الأهداف السياسية المهمة أبرزها :

١. كسب ود شيعة سليمان بن صرد الخزاعي إلى جانبه بعد ان عرف ان اتجاههم السياسي ضد ابن زياد " فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين " (٢) .
٢. عدم إثارة النزاع بين أشرف الكوفة وقادة الحركة التوابية وبالتالي كسب الاثنين معاً .
٣. أراد الوالي ان يوجه زعماء الحركة نحو جيش ابن زياد الذي أخرجه مروان بن الحكم نحو قرقيسيا ومنها إلى العراق " وانه قد أقبل إليكم أعدى فلق الله لكم " (٣) .
٤. حدد الوالي العدو المباشر لأصحاب الحركة من خلال ما قاله لهم " من ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يقتلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذي قتلكم ومن قبله أتيتم والذي قتل من تتأرون بدمه " (٤) ، وربما أدرك والي الكوفة ان هدفهم هو عبيدالله بن زياد لذلك فإنه قد وصفه ووصف أبيه كذلك وكيف كانت سياستهما .

وبعد كلام الوالي قام إبراهيم بن محمد بن طلحة وخطب خطبة أخرى فيها تهديد ووعد " والله لننخرج علينا خارج لنقتلنه ، ولنن استقينا ان قوماً يريدون الخروج علينا لنأخذ الوالد بولده والمولود بوالده ، ولنأخذن الحميم بالحميم ، ... ، والعريف بما في عرافته حتى يدينوا للحق ويذلوا للطاعة " (٥) ، ويبدو ان ما قام به الوالي من محاولة كسب لزعماء الشيعة قد ساء عامل الجزية له ، فخطب فيهم وذكرهم بسياسة بني أمية التي مارسها في أهل الكوفة قبل مجيئهم مما حدا بالمسيب بن نجبة الفراري ان يرد عليه وان يذكره بأن سياسة البغض التي وعدهم بها هي سياسة أبيه وجده مع شيعة الإمام علي (t) " وقد قتلنا أباك وجدك " (٦) ، ثم قدم عليه عبدالله بن وال التميمي الذي رد عليه بأنه عامل جزية وليس له بأمور السياسة شيء " ولا لك علينا سلطان ، إنما أنت أمير الجزية ، فأقبل على خراجك " (٧) ، وأنه ابن الناكثين من أبيه وجده ، ثم قدموا على عبدالله بن يزيد بسبب غضب الناس من عمال إبراهيم بن محمد بن طلحة (٨) ، عند ذلك أقسم إبراهيم ان يكتب إلى عبدالله بن الزبير ، فعلم عبدالله بن يزيد ما نوى عليه إبراهيم ، فجاءه وأقنعه بأن الغرض من عمله هذا هو التوحد وعدم التفرقة " فرأيت ان أقوم فيهم بما سمعت إرادة ألا تختلف الكلمة ، ولا تتفرق الألفة وألا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم " (٩) .

ويبدو أن الوالي قد قرب زعماء الكوفة وأشرفها الذين ساهموا في قتل الإمام (t) وفي الوقت نفسه اتاح لزعماء الحركة التوابية ان يمارسوا نشاطهم السياسي وبالنتيجة فإنه استفاد كثيراً من هذه السياسة ودليل ذلك ان إبراهيم بن محمد بن طلحة عندما أراد الكتابة إلى ابن الزبير عن خطبته علم عبدالله بن يزيد عن طريق الأشرف* ما أراد نائبه عامل الخراج عمله ، لذلك يتبين لنا أنه كان يقربهم إليه حتى يحاول ان لا يلاقيهم مع زعماء الحركة التوابية من أجل ان ينقلوا إليه أخبار الكوفة ، هذا فضلاً عن منعهم من الاصطدام مع زعماء الحركة " قال عبدالله بن يزيد لكل رجل معروف قد علم انه

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦١-٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٤-١٦٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٤ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٣ .

*الأشرف : شيبث بن ربيعي ، يزيد بن الحارث بن رويم . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٣ .

شرك في دم الحسين ، لا تصحبني إليهم مخافة ان ينظروا إليه فيعدوا عليه " (٣) ، في حين انه امر عمرو بن حريث المخزومي ان يصلي بالناس ان تأخر هو عنهم " (٤) .

ويبدو ان عبدالله بن يزيد قد اعتمد على الأشراف من أهل الكوفة من اجل وحدة الكلمة ، هذا فضلاً عن ان اشراف الكوفة كانوا يظهرون الولاء لكل الولاة الذين يحكمونهم ، وهذا من مساويء الأخلاق (٥)

لكن هل قدم عبدالله بن يزيد الأنصاري مساعدات مالية الى زعماء الحركة التوابية ؟

لا توجد هناك رواية واحدة تقول ان الوالي قدم مساعدات (عينية أو مالية) الى قادة الحركة التوابية ، لكن توجد هناك رواية اجمع عليها بعض المؤرخين (٦) هي " ان عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة قد عرضا على سليمان بن صرد ان يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشام على ان يحضاه وأصحابه بخراج جوخي ** خاصة لهم دون الناس " ، والذي نكتشفه من هذا النص ان هناك شروطاً قد وضعت على سليمان منها الإقامة في الكوفة والقتال تحت سيطرة والي الكوفة ، لذلك رفض سليمان ذلك .

اما أسباب الرفض فهي :

١. ما قاله سليمان بن صرد الخزاعي بأن العمل مع ابن الزبير هو ضلالة " ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً " (٧) ، وهذا يدلنا على أن سليمان وأنصاره كانوا لا يعترفون بشرعية خلافة ابن الزبير .

٢. ان سبب رفض سليمان بن صرد اقتراحات والي الكوفة تخوفه من الوالي نفسه بسبب وجود أشراف الكوفة بجانبه الذين يقترحون عليه الأمور التي يريدونها وهم أنفسهم من راسل الإمام

(t) وخذلوله خوفاً على مصالحهم العامة والخاصة ، وما يدل على خوف سليمان من الوالي

ان الطبري (٨) يذكر " ان سويد بن عبدالرحمن اتى سليمان بن صرد فقال له : ان عبدالله وإبراهيم يقولان : انا نريد ان نجنيك الآن لأمر عسى الله ان يجعل لنا ولك فيه صلاحاً ، ... ، قال سليمان لرفاعة بن شداد البجلي : قم أنت فأحسن تعبئة الناس فان هذين الرجلين قد بعثا بكيت وكيت " ، وهذا النص يوح لنا أن سليمان بن صرد كان يتحاشى الأشراف بسبب ما عرفوا به من سمات الغدر والمكر .

٣. ان احد أهداف الحركة هو ان تعود الخلافة إلى أهل بيت النبي محمد (ë) " وانا ان نحن

رددنا هذا الأمر إلى أهله " (٩) ، لذلك رفض العمل مع الوالي تحت خلافة ابن الزبير .

٤. ان عبيدالله بن زياد كان خارجاً إلى العراق بجيش كثيف في محاولة لإعادته إلى سيطرة الخلافة الأموية (١٠) ، لذلك حاول والي الكوفة جاداً في إبقائهم إلى جانبه ليستفيد منهم كمقاتلين وما

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ .

(٥) القرشي ، باقر ، مسلم بن عقيل (t) ، ص١٩٥ .

(٦) أبو مخنف الازدی ، مقتل الحسين (t) ، ص٢٨٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٧ .

** خراج جوخي : بلغ خراج ثمانين ألف ألف ، وهي بلد بالعراق ، وهو ما سقى من نهر جوخي . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ص٤٠٣ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٢ .

(٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٢ - جمال الدين ، الحياة السياسية في الدولة العربية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، ص١٣٩ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٠ .

قوله في خطبته " فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين ، فقد اقبل إليهم " (٤).

مربعاً. أسباب إخفاق الحركة ونتائجها

١. أسباب إخفاق حركة التوابين

هناك مجموعة من العوامل ساهمت في إخفاق حركة التوابين من أبرزها هي :

١. تخاذل أهل الكوفة عن نصره سليمان بن صرد الخزاعي وأنصاره في الوقت الصعب من الحركة ولم يذهب مع سليمان سوى أربعة آلاف رجل من ضمن المبايعين له في الديوان (١) ، إضافة إلى تخلف طائفة من الناس عنه في أثناء مسيره نحو الشام (٢) ، في حين أن أصحاب مروان بن الحكم كانوا ستين ألفاً (٣) .
٢. خطبة سليمان بن صرد الخزاعي حينما قال لهم : " من كان إنما أخرجه إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ... ، ومن كان يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فيناً نستفيئه ولا غنيمة نغنمها ، ... ، فمن كان غير هذا فلا ينوي فلا يصحبنا " (٤) ، كان لهذه الخطبة تأثير كبير في تفريق المتطوعين للحرب لأن البعض كان يسعى وراء الغنائم .
٣. ان طبيعة تكوين عدة جيش التوابين يعتمد على تبرعات المقاتلين وأهلهم (٥) ، لذلك عين سليمان بن صرد عبدالله بن وال التميمي لجمع هذه التبرعات (٦) ، في حين ان الجيش الأموي كان كامل العدة (٧) .
٤. عدم الاتفاق في الآراء ، فيما بين قادة الحركة أنفسهم ، فمثلاً كان رأي عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي وهو احد ابرز زعماء الحركة يدعمه رأي أغلبية الشيعة الذين معه ان يبدأوا بالكوفة ويقتلوا قتلة الإمام (٨) ، عمر بن سعد ورؤوس الأرباع وأشراف القبائل (٩) ، لكن سليمان رفض ذلك ، لذلك ولدت هذه الأمور اختلافاً في الرأي وهي أول علامات الاختلاف بين زعماء الحركة .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(١) الذهبي ، العير في خير من غير ، ص٧٢ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مد٤ ج٨ ص٦٢٣ .

(٣) ابن عماد الحنبلي ، شذرات من ذهب ، ج١ ص٧٣ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

(٥) ابن ماكولا ، اكمال الدين ، ج١ ص٤١٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٥ .

(٧) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٨ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ .

٥. تمركز نشاط الحركة في مركز الكوفة دون أطرافها ، فعندما جاء المختار من الحجاز إلى الكوفة بايعته القبائل العربية الساكنة في الحيرة (جبانة كندة ، وبني بداء ، بني هند)^(٩) .
٦. لم يقدم والي الكوفة عبدالله بن يزيد الانصاري ، مساعدات تذكر إلى قادة الحركة التوابية لكنه عرض عليهم ان يقيموا معه ، ويدافعوا عن الكوفة مقابل إعطائهم خراج جوخي^(١) ، فرفض سليمان وأنصاره ذلك لأنه يعني العمل تحت ظل خلافة ابن الزبير .
٧. تأخر وصول قوات أهل المدائن والبصرة إلى منطقة القتال ، وحينما وصل سعد بن حذيفة إلى منطقة هيت* استقبله الإعرابي فأخبره بما لقي الناس فانصرف فتلقى المثنى بن مخرمة العبدي الذي جاء في ثلاثمائة من أهل البصرة^(٢) ، بصندوداء فأخبره^(٣) ، فرجع إلى العراق .

٢. نتائج حركة التوابين

ان حركة التوابين قد أخفقت وبالرغم من ان احد الكتاب المحدثين^(٤) قال بأنها لم تحقق أهدافها إلا أننا نرى إنها حققت النتائج الآتية :

١. إنها حركة بعثت روح التضحية والجهاد في الأمة الإسلامية بعد ان رفضت كل الإحداث السياسية الجانبية في الكوفة ورسمت طريقها إلى حق الاستشهاد والتكفير عن الذنب .
٢. إنها حركة رفضت الخلافة الأموية متمثلة ببزيرد بن معاوية وكذلك الخلافة الزبيرية متمثلة بعبدالله بن الزبير ووجدت ان الخلافة حق كان لبني هاشم^(٥) .
٣. إنها حركة تسير وفق خطة مدروسة وثابتة وإلا لماذا حددوا المكان والزمان لخروجهم وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على التهيؤ الكامل لها ونجاحها في رسم الموعد المحدد لها .
٤. إنها حركة وجهاء وقراء الكوفة من الشيعة فقط .

أولاً. خلافة بزيرد بن معاوية ٦٠-٦١ هـ / ٦٧٩-٦٨٠ م

بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ستين من الهجرة^(١) ، كان قد أوصى لأبنه يزيد وصية تدل على عقله وخبرته بالأمور ومعرفته بالرجال " يا بني أني قد كفيتك الشد والترحال ، ووطأت لك الأمور ، وذلت لك الأعداء ، وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد ، فأنظر أهل

(٩) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧١ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٨٨ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧٧ .

* هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص ٤٥١ .

(٢) أبين مأكولا ، اكمال الدين ، ج٧ ص ٢١١ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ص ٢٣١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٦٠٥ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٨٥ .

(٤) نبيلة عبدالمنعم داود ، نشأة الشيعة الإمامية ، ط ١ ، دار المؤرخ العربي ، (بيروت / ١٤١٥ هـ) ، ص ٧٨ .

(٥) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٢٥٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٦٠ .

(١) الدنيوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) الاخبار الطوال ، تح عبدالمنعم عامر ، طبع مكتبة المثنى ، (بغداد / ١٩٥٩) ، ص ٢٢٠ .

الحجاز فأنهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم ، وتعهّد من غاب ، وأنظر أهل العراق فأن سألوك أن تعزل كل يوم عاملاً فافعل ، فأن عزل عامل أيسر أن يشهر مائة ألف سيف ، وأنظر أهل الشام ، وليكونوا بطانتك وعيبتك فأن نابتك شيء من عدوك فانتصر بهم ، فإذا أجليتهم فأردد أهل الشام إلى بلادهم ، فأنهم أن قاموا بها تغيرت أخلاقهم" (٢).

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا النص عدة أمور منها :

٥. أخذ البيعة على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعد والإخافة والتهديد والرغبة (٣).
٦. أوصاه بأهل الحجاز خيراً بعد أن جعل النخبة منهم (قريش وغيرهم) تغرق في الترف واللهو مما جعلهم يحاذرون من أي نشاط يعرض ترفهم للزوال (٤).
٧. أدرك الخليفة معاوية أن الروح الثورية موجودة عند أهل العراق بسبب المناخ الثقافي الذي زرعه فيهم الإمام علي (ت) مما جعلهم أكثر إدراكاً ووعياً للانحرافات عند الحاكمين (٥).
٨. أن معاوية أوصى يزيد بأهل الشام خيراً لأنهم أكثر طاعة في المخلوق ضد الخالق (٦) ، هذا فضلاً عن أنهم أقل ذكاءً ووعياً من أهل العراق (٧) ، لذلك سيطر عليهم إعلامياً ومنع الأمصار الأخرى من الاختلاط معهم ، فيذكر الحموي (٨) أن الخليفة معاوية كان يأمر أصحابه بإخفاء كتب الإمام علي (ت) المرسل إليه لكي لا يميلوا إليه ، لذلك أوصاه بأن لا يقيموا في غير ديارهم ، مما سهل عليه قيادتهم وفق مشيئته الخاصة لأن سياسة الأغبياء أسهل عليهم (٩).
- بعث الضحاك بن قيس* ، البريد إلى يزيد بن معاوية (١) ، الذي كان بحوارين* بمرض معاوية فقال يزيد في ذلك (٢) :

فأوجس القلب من قرطاسه فزعاً

جاء البريد بقرطاس يخب به

قالوا الخليفة أمسى منبتاً وجعاً

قلنا : لك الويل ماذا في كتابكم

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٢ - ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ) ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، تح محمد بن عوض بك وعلي حازم ، مطبعة المعارف ، (مصر / ١٩٢٣ م) ، ص ١٠٤ .

(٣) القرشي ، مهدي ، معاوية امام محكمة الجزاء ، ط ١ ، دار الحجة البيضاء للطباعة ، (بيروت / ١٩٨٨ م) ، ص ٢٤٧ - ادريس حسن ، الخلافة المغتصبة ، دار البيضاء للنشر ، (١٩٩٤ م) ، ص ١٨٩ .

(٤) شمس الدين ، محمد مهدي ، انصار الحسين (ت) ، ط ٣ ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، (بيروت / ١٩٦٠ م) ، ص ٢١٦ .

(٥) محمد مهدي ، انصار الحسين (ت) ، ص ٢١٧ .

(٦) البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) ، أنساب الاشراف ، مطبعة مكتبة المثنى ، (بلات) ، ج ٥ ص ٣٧٨ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٢ .

(٨) شهاب الدين أحمد (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم الادباء ، تح د. أحمد فريد رفاعي ، المطبعة الاميرة ، دار احياء التراث ، (لبنان / بلات) ، ج ١٤ ص ٤٧-٤٨ - أبين كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٧ ص ٣٧٤ .

(٩) القبرواني ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣ هـ) ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تح علي محمد الجاوي ، ط ١ ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، دار احياء الكتب المصرية ، (١٩٥٣ م) ، ص ٨٧ .

*الضحاك بن قيس : الضحاك بن قيس بن خالد الاكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة القرشي أبو أنيس الفهري ، روى عن النبي محمد وعن حبيب بن مسلمة الفهري وعمر بن الخطاب وروى عنه الحسن البصري ، شهد فتح دمشق وسكنها إلى حين وفاته . ينظر : أبين عساكر ، علي بن الحسين (ت ٥٧١ هـ) ، تاريخ دمشق ، تح علي عاشور ، ط ١ ، دار احياء التراث ، (بيروت / ١٤٢١) ، ج ٦ ص ١٩٤ - المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢ هـ) ، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تح د. بشار عواد معروف ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت / ١٩٩٨) ، ج ٣ ص ٤٧٧ .

(١) العمراني ، محمد بن علي (ت ٥٨٠ هـ) ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، تح د. قاسم السيد أحمد ، (لندن / ١٩٧٣) ، ص ٤٩ .

**حوارين : حصن من ناحية حمص . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣١٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٢ .

وبعد مجيء يزيد إلى الشام ، دخل عليه الناس يهنئونه بالخلافة ويعزونه في أبيه ، وأول من دخل عليه عبدالله بن همام السلولي ، الذي قام إلى يزيد فأنشده شعراً في الخليفة معاوية وحثه على البيعة^(٣) ، وبقاء الخلافة في بني أمية حينما قال " تلقفها يزيد عن أبيه وخذها يا معاوية عن يزيدا ، فإن عرفت لكم فتلقفوها ولا ترموا بها الغرض البعيدا "^(٤) وعند ذلك قال لهم يزيد " نحن أهل الحق وأنصار الدين ، وابشروا يا أهل الشام فإن الخير لم يزل فيكم وسيكون بيني وبين أهل العراق حرب شديد ، ، فأجابه أهل الشام ، قالوا أمض بنا حيث شئت وأقدم بنا على من أحببت ، فنحن بين يديك ، وسيوفنا تعرفها أهل العراق يوم صفين فقال لهم يزيد ، أنتم لعمرى كذلك "^(٥) .

والذي يمكن أن نستخرجه من هذا هو أمران مهمان هما :

٣. نظرية الحكم الإلهي للأمويين وفق سياسة الجبر التي أرادها وما مقولته " نحن أهل الحق "^(٦) إلا دليل على ذلك ، وكان لابد من أن يوجد هناك من يواجه نظريته في الحكم ويخالفه وربما يصل حد الاختلاف إلى المواجهة المسلحة^(٧) .
 ٤. أن يزيد سلك طريق إثارة الضغائن القبلية والتهديد^(٨) .
- ويتبين لنا من هذه الخطبة أن يزيد قد فقد شرطاً أساسياً من شروط الخلافة وهو العدالة^(٩) بين الرعية

قال تعالى ((وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً))^(١) ، وقد أدرك معاوية أن ابنه يحمل شراً من خلال آخر خطبة له في الشام " وأنه لا يأتيكم بعدي إلا من هو شر مني "^(٢) .

وبعد مجيء يزيد إلى الشام لم يكن همه إلا بيعة أهل الحجاز وساكنيه^(٣) ، لذلك كتب إلى الوليد بن عتبة والي المدينة آنذاك كتاباً وأرفق معه صحيفة كأنها أذن فأرة ، الزم^(٤) فيها الوليد بأخذ بيعتهم وأرسلها بيد مولاه رزيق^(٥) ، وفيها " أما بعد ، فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام "^(٦) ، من هذا يتضح لنا أمره بأخذ البيعة

^(٣) الجمحي ، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ) ، طبقات فحول الشعراء ، تح د. محمود محمد شاكر ، ط ٣ ، دار المدني للنشر ، (جدة / ١٩٨٣) ، ج ٢ ص ٦٢٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٨

^(٤) الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، ج ٢ ص ٦٢٨ .

^(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٨ .

^(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٨ .

^(٧) الفراجي ، عدنان علي ، حركات المعارضة للخلافة الاموية ، ط ١ ، منشورات المكتبة العالمية ، (بغداد / ١٩٩٠) ، ص ٣ .

^(٨) أسد حيدر ، مع الحسين في نهضته ، مطبعة المعارف ، (لبنان / بلات) ، ص ٦٢ .

^(٩) الرافعي ، د. مصطفى ، حضارة العرب في العصور الاسلامية ، ط ٢ ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت / ١٩٧٨) ، ص ١٠٦ .

^(١) سورة النساء ، آية ٥٨ .

^(٢) القالي ، ذيل الامالي والنوادر ، ص ٣١١ .

^(٣) محمد صبيح عبدالقادر ، معاوية ، دار الثقافة العامة ، (مصر / ١٩٣٨) ، ص ١٥١ .

^(٤) ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ) ، تاريخ ابن الوردي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٦) ، ج ١ ص ١٦٢ - القزويني ، السيد جواد ، يزيد في محكمة التاريخ ، مطبعة امير ، (ايران / ١٩٩٩ م) ، ص ٦٥ .

^(٥) العصفري ، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تح اكرم ضياء العمر ، (بلات . ط .) ، ج ١ ص ٢٢٢ .

^(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٢ ، يضيف كلمة هودة بعد كلمة رخصة - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٣٨ .

بشكل قسري ليس في الحجاز فحسب بل حتى في مصر فيذكر الكندي^(٧) إن عبدالله بن عمرو بن العاص قد رفض بيعة يزيد أول الأمر لكن عندما جلب عابس النار وأراد حرقه بايع عبدالله بن عمرو مرغماً .

ولكن لماذا هم دون غيرهم من أهل المدينة ؟ أختلف المؤرخون في ذلك ، فيرى الدكتور سرور^(٨) أن يزيد شرع بعد أن ولي الخلافة في أخذ البيعة من زعماء الحجاز لمكائنتهم ، لكن الأصفي^(٩) يرى أن يزيد أراد فرض البيعة على الحرمين الشريفين بسبب ثقلهما السياسي في إعطاء الشرعية ، بينما يرى الشيخ شمس الدين^(١٠) أن كل هم يزيد كان في بيعة النفر* الذين آبوا على معاوية بيعة يزيد .

نرى أن الرأي الأول هو الأكثر صواباً لسببين هما :

٣. إن بيعة أبناء الصحابة في الحجاز تعني إعطاء الصفة الشرعية ليزيد بخلافته .
٤. بيعة الإمام (t) لا تعني بيعته مع بني هاشم فقط ، وإنما تعني بيعة أهل الكوفة معهم^(١١) ، لذلك ركز على بيعة الإمام (t) حسب وصية والده بأن أهل العراق لن يتركوه^(١٢) ، ودليل هذا هو عندما رفض الإمام (t) بيعتهم وذهب إلى مكة ، بدأت الرسل والأشخاص يتوافدون عليه ويحثونه على الذهاب معهم إلى الكوفة .
- فعندما وصل الكتاب إلى الوليد بن عتبة فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه فلما قرأ الكتاب مروان قال : " أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فأن فعلوا أقبلت منهم وكففت عنهم وان آبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية " (١٣) ، وهنا قد يتساءل البعض لماذا أستشار مروان ؟

يبدو لنا إن استشارته لمروان بسبب أنه سبق وأن كان والياً على المدينة أغلب فترة خلافة معاوية لذا فإنه أعرف بكيفية حل أمور السياسة منه هذا فضلاً عن معرفته بأهلها اجتماعياً وسياسياً إضافة إلى إن مروان كان من أشرف بني أمية في المدينة .

يذكر معظم المؤرخين^(١٤) أن الوليد لم يرض استشارة مروان لأن فيها هلاك دينه ، وهذا ما عبر به الوليد في كلامه لمروان ؟ حينما قال له " أنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ، والله ما أحب أن لي ما

(٧) أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ) ، الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح رفن كست ، طبع بمطبعة الآيا اليسوعيين ، (بيروت / ١٩٠٨) ، ص ١٩ .

(٨) محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية في الدولة العربية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، (القاهرة / ١٩٦٤) ، ص ١٠٥ .

(٩) الأصفي ، محمد مهدي ، في رحاب عاشوراء ، ط ٣ ، تح مؤسسة النشر الثقافية ، (إيران / ١٤٢٤هـ) ، ص ٣٤٣-٣٤٨ .

(١٠) محمد مهدي شمس الدين ، ثورة الامام الحسين (t) ، ط ٥ ، دار التعارف للمطبوعات ، (بيروت / ١٩٧٩) ، ص ١٧١ .

* النفر : الحسين بن علي ، عبدالله بن الزبير ، عبدالله بن عمر . ينظر : البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ) ، جمل من انساب الاشراف ، تح د. سهيل زكار ود. رياض زركلي ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة ، (بيروت / ١٤١٧هـ) ، ج ٥ ص ٣١٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٣٨ .

(١١) الخربوطلي ، علي حسني ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي والاجتماعي والديني ، دار المعارف ، (مصر / ١٩٥٩م) ، ص ١١٣ .

(١٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦ .

(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٣٩ - المالكي ، العواصم من القواصم ، ج ١ ص ٢٣٥ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥ .

طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها ، وأني قتلت حسيناً ، سبحان الله ، اقتل حسيناً ان قال لا أبايع ، والله أني لأظن امرأ يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة " .

لماذا طرح مروان على الوليد والي المدينة فكرة قتلها من دون أي حل آخر ؟

يذكر السيد أبو سعيد^(٥) أن مروان كان يطمح بالوصول إلى الحكم ، ويتطلع للرئاسة ولم يصل إليها ما لم يحرض يزيد وأتباعه للفتك بالحسين ، وأنه يعلم يقيناً أن يزيد لا يفلح بقتله الحسين . ويرى السيد بدران^(٦) أن مروان يريد الخلافة لنفسه ولكنه علم بعد موت معاوية وقيام يزيد أن الأمر اليوم أمر بني أمية ، فأن خرج منهم فقد خرج منهم أجمعين فنصح الوليد نصيحة ذات وجهين ظاهرها الشدة في الدعوة ليزيد ، وباطنها السعي إلى الخلاص من يزيد نفسه ومنافسيه ، وضرب عنق الإمام (t) وأبن الزبير معناه الخلاص من أعظم المنافسين ليزيد ثم الخلاص من يزيد نفسه .

والذي يبدو لنا أن مروان إنما نصح بهذه النصيحة لغايتين :

٤. إن مروان يدرك إدراكاً تاماً بأن أبناء الصحابة سيعارضونبيعة يزيد لذلك فهو يمهد للقضاء على يزيد نفسه من خلال قتله أبناء الصحابة .

٥. التخلص من منافسي يزيد في الخلافة وهم أبناء الصحابة حتى تبقى الساحة خالية وممهدة لوصوله إلى الحكم .

وكان الوليد قد أرسل عبدالله بن عمرو بن عثمان* ليلاً^(١) ، يدعوها فوجدهما في المسجد جالسين فأخبرها ما أراد منهما الوالي ، فجاءا إليه في ساعة لم يكن أحد يدخل عليه^(٢) ، فدخل عليه الإمام (t)

فلما رأى عنده مروان وقد كانت بينه وبين الوليد تلك النفرة ، قال : " الصلة خير من القطيعة والصلح خير من العداوة وقد آن لكما أن تجتمعا له ، أصلح الله ذات بينكما ، فلم يجيباه بشيء وأقرأه الوليد كتاب يزيد " ^(٣) ، فقال له الإمام (t) وبشكل معلن^(٤) : " أيها الأمير ، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد رجل شارب الخمر وقتل النفس المحرمة ، معلن

(٥) حسين الموسوي ، بلاغة الحسين (t) ، ط ١ ، مركز العترة للدراسات والبحوث ، (بيروت / ١٩٩٨) ، ج ٢ ص ٥٠ .

(٦) محمد بن فتح الله ، غصن الرسول ، تح جواد علي رضا ، ط ٢ ، مكتبة المعارف ، (بيروت / ١٩٧٣) ، ص ١٠٤-١٠٥ .
*عبدالله بن عمرو : عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية ، أمه حفص بنت عبدالله بن عمر الخطاب وكان يسمى المطرف لجماله . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٠٧ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٨٣ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٢٤ - الديار بكري ، حسين بن محمد (ت ٩٨٢هـ) ، تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس ، مطبعة عثمان بن عبدالرزاق ، (مصر / ١٣٠٢هـ) ، ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٣٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٤-١٥ .

(٤) الأصفى ، محمد مهدي ، دراسات وبحوث مؤتمر الحسين (t) ، ط ١ ، المجمع العالمي لاهل البيت ، (ايران / ٢٠٠٣) ، ص ١٧٧ .

بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظروننا اينأ أحق بالخلافة والبيعة" (٥)

وبعد أن سمع مروان كلامه قال للوليد : " أحبس هذا الرجل ولا يخرج من عندك ، حتى يبايع أو تضرب عنقه " (٦) فردّه الإمام (ت) : يابن الزرقاء ** ، أنت تقتلني أم هو ، كذبت والله وأثمت " (٧) ، فرأى الإمام (ت) أموراً اقتضت منه ان يخرج من المدينة (١) ، لأن بقاءه في المدينة من دون مبايعة يزيد سوف يؤدي إلى قتله (٢) ، لذا فقد أحس بحراجة الموقف وأخذ يستعد للخروج من المدينة (٣) . وكان الوليد ذا رفقة فقد وصفه ابن عباس بأنه لم يترك فيهم عانياً " فوالله ما ترك فينا عانياً إلا فكه ، ... ، ينظر إلينا بعينين أرق من الماء " (٤) ، لذلك رفض نصيحة مروان وقال له : " والله ما أحب أن لي ، ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيماً ، أن قال لا أبايع " (٥) ، وانتهى الأمر بينهما بخروج الإمام (ت) من عند الوليد بن عتبة دون مبايعة .

نستدل من هذا أن الإمام (ت) قد رفض البيعة لرجل شارب الخمر (٦) ، ومدمنه (٧) ، ونحن نعلم أن الخمر قد حرم من بعض القبائل الحنفية حتى قبل الإسلام (٨) ، وقد حرّمه الإسلام بإجماع المؤرخين والفقهاء (٩) ، لأنه صفة أهل السوء ومن منطق الجاهلية (١٠) ، هذا فضلاً عن أن الإمام (ت) كان يرى

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ١٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥ .

** الزرقاء : إحدى امهات مروان بن الحكم وكانت لها راية وكانوا يسبونهم بالزرقاء . ينظر : البكري ، ابو عبيدة (ت ٢٣١هـ) ، فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، تح د . احسان عباس ود . عبدالمجيد عابدين ، دار الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٩٨٣) ، ج ١ ص ٤٩٩ - النيسابوري ، ابو الفضل احمد بن محمد (ت ٥١٨هـ) ، مجمع الامثال ، تح محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ٢ ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / ١٩٨٨) ، ج ١ ص ٤٠٩ - الزمخشري ، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) ، المستقصى في امثال العرب ، تح طاهر احمد الزاوي ومحمد الطناحي ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ج ١ ص ٢٠٢ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥ .

(٨) الشافعي ، كمال الدين محمد بن طلحة (ت ٦٥٢هـ) ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، ط ١ ، طبع مؤسسة البلاغ ، (بيروت / ١٩٩٩م) ، ص ٢٥٨ .

(٩) الحائري ، محمد مهدي ، معالم السيطيين في احوال الحسن والحسين ، ط ٢ ، مطبعة أمير ، منشورات الشريف الرضي ، قم ، (إيران / ١٣٤٧هـ) ، ص ٢٤٥ .

(١٠) الحسن ، هاشم معروف ، سيرة الانمة الاثني عشر ، دار التعارف للمطبوعات ، (لبنان / ١٤٢٢هـ) ، ج ٥ ص ٥٤ .

(١١) الزمخشري ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) ، ربيع الابرار ونصوص الاخيار ، تح د . سليم النعيمي ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٨٢) ، ج ١ ص ١٣ .

(١٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥-١٦ .

(١٣) الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ، دول الاسلام ، ط ٢ ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند / ١٣٦٤هـ) ، ج ١ ص ٢٩ .

(١٤) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، كتاب التاج في اخلاق الملوك ، تح أحمد زكي باشا ، ط ١ ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة / ١٩١٤) ، ص ١٥١ .

(١٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٦٧ .

(١٦) أنس ، مالك (ت ١٧٩هـ) ، الموطن ، تح محمد فواد عبد الباقي ، مكتبة عيسى البابي وشركاؤه ، دار احياء الكتب المصرية ، (١٩٥١م) ، ج ٢ ص ٨٤٥ - الاسدي ، عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله (ت ٢٥٦هـ) ، الاخبار الموفقيات ، تح د . سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٧٢) ، ص ٤٩٣ - الحجاج ، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) ، صحيح مسلم ، تح فاضل عرفات العش حسونة ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت / بلات) ، ج ٧ ص ٦٧ - النسائي ، عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، سنن النسائي ، ضبط نصّها أحمد شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ٢٠٠٢م) ، ص ٨٩٩ - الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ) ، الاحكام السلطانية ، تح القاضي نبيل عبدالرحمن حياي ، دار الارقم بن الارقم للطباعة ، (بيروت / بلات) ، ص ٣٠٦ .

(١٧) الناصر ، محمد حامد ، الحياة السياسية عند العرب ، ط ٢ ، مكتبة السنة ، دار الجبل ، (بيروت / ١٤١٤هـ) ، ص ٢٨٢ .

أن البيعة تصلح إذا كان المبايع صالحاً ومؤهلاً ومنصباً تنصيباً شرعياً^(١١) ، إضافة إلى أن يزيد ولد في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ولم يدرك النبي محمد (ﷺ) ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح^(١٢) .

لذلك خرج الإمام (ت) من المدينة إلى مكة بعد خروج ابن الزبير بليلة واحدة^(١٣) ، وهو يقول هو يزيد الذي يعرف والله ما حدث له حزم ولا مروءة^(١٤) ، وأخذ معه بنيه وأخوته وبني أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية^(١٥) ، الذي أمره بأن يكون له العين الساهرة في المدينة^(١٦) ، فخرج يقول أبيات يزيد بن المفرغ الحميري ** :

لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دعوت يزيداً
يوم أعطى من النهاية خيماً والمنايا يرصدني أن أحيداً^(١٧)

فعلم من سمع هذه الأبيات من الإمام (ت) أنه سينازع يزيد في الأمر^(١٨) ، وبهذه الأبيات رفض الإمام (ت) الظلم ، وامتنع عن الخضوع وعدم المبالاة بالموت^(١٩) ، وعند خروجه أخذ يتلو الآية القرآنية ((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ))^(٢٠) . وهذا يؤكد خوف الإمام من السلطة الأموية^(٢١) ، وليس كما يذهب إليه أحد الكتاب المحدثين^(٢٢) بأنه كان يدعو لنفسه بالخلافة في مكة .

(١١) الغريزي ، سامي ، البيعة وولاية العهد ، ط ١ ، مطبعة تكارش ، (قم / ١٤١٥ هـ) ، ص ٢٥ .
(١٢) ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨ هـ) ، كتب ورسائل فتاوى ابن تيمية في العقيدة ، تح عبد الرحمن محمد قاسم ، مكتبة ابن تيمية ، (بلات) ج ٣ ص ٤٠٨ .
(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣٤١ .
(١٤) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ١٤ ص ٢٠٣ .
(١٥) *محمد بن الحنفية : هو محمد الأكبر بن علي بن ابي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن مناف ، امه الحنفية هي خولة بنت جعفر بن قيس وكانت من سبايا اليمامة . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٩٣ .
(١٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ١٥ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣٤١ .
(١٧) الهاشمي ، علي بن الحسين ، محمد بن الحنفية ، تح المؤسسة الاسلامية ، ط ١ ، دار الهدى للنشر ، (١٤٢٤ هـ) ، ص ١١٠ .
(١٨) *يزيد بن المفرغ : يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب المفرغ الحميري ابو عثمان شاعر الغزل ، وفرغ لقب ربيعة لأنه راهن على ان يشرب عساً من لبن فشربه حتى فرغه فلقب مفرغاً . ينظر : الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) ، الاغانى ، تح سمير جابر ، ط ٢ ، دار الفكر للنشر ، (بيروت / ١٩٨٥) ، ج ٧ ص ٢٤٩ - الحموي ، معجم الادباء ، ج ٢٠ ص ٤٣ .
(١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) (١٠١) (١٠٢) (١٠٣) (١٠٤) (١٠٥) (١٠٦) (١٠٧) (١٠٨) (١٠٩) (١١٠) (١١١) (١١٢) (١١٣) (١١٤) (١١٥) (١١٦) (١١٧) (١١٨) (١١٩) (١٢٠) (١٢١) (١٢٢) (١٢٣) (١٢٤) (١٢٥) (١٢٦) (١٢٧) (١٢٨) (١٢٩) (١٣٠) (١٣١) (١٣٢) (١٣٣) (١٣٤) (١٣٥) (١٣٦) (١٣٧) (١٣٨) (١٣٩) (١٤٠) (١٤١) (١٤٢) (١٤٣) (١٤٤) (١٤٥) (١٤٦) (١٤٧) (١٤٨) (١٤٩) (١٥٠) (١٥١) (١٥٢) (١٥٣) (١٥٤) (١٥٥) (١٥٦) (١٥٧) (١٥٨) (١٥٩) (١٦٠) (١٦١) (١٦٢) (١٦٣) (١٦٤) (١٦٥) (١٦٦) (١٦٧) (١٦٨) (١٦٩) (١٧٠) (١٧١) (١٧٢) (١٧٣) (١٧٤) (١٧٥) (١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) (١٨٢) (١٨٣) (١٨٤) (١٨٥) (١٨٦) (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) (١٩٠) (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) (١٩٩) (٢٠٠) (٢٠١) (٢٠٢) (٢٠٣) (٢٠٤) (٢٠٥) (٢٠٦) (٢٠٧) (٢٠٨) (٢٠٩) (٢١٠) (٢١١) (٢١٢) (٢١٣) (٢١٤) (٢١٥) (٢١٦) (٢١٧) (٢١٨) (٢١٩) (٢٢٠) (٢٢١) (٢٢٢) (٢٢٣) (٢٢٤) (٢٢٥) (٢٢٦) (٢٢٧) (٢٢٨) (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣١) (٢٣٢) (٢٣٣) (٢٣٤) (٢٣٥) (٢٣٦) (٢٣٧) (٢٣٨) (٢٣٩) (٢٤٠) (٢٤١) (٢٤٢) (٢٤٣) (٢٤٤) (٢٤٥) (٢٤٦) (٢٤٧) (٢٤٨) (٢٤٩) (٢٥٠) (٢٥١) (٢٥٢) (٢٥٣) (٢٥٤) (٢٥٥) (٢٥٦) (٢٥٧) (٢٥٨) (٢٥٩) (٢٦٠) (٢٦١) (٢٦٢) (٢٦٣) (٢٦٤) (٢٦٥) (٢٦٦) (٢٦٧) (٢٦٨) (٢٦٩) (٢٧٠) (٢٧١) (٢٧٢) (٢٧٣) (٢٧٤) (٢٧٥) (٢٧٦) (٢٧٧) (٢٧٨) (٢٧٩) (٢٨٠) (٢٨١) (٢٨٢) (٢٨٣) (٢٨٤) (٢٨٥) (٢٨٦) (٢٨٧) (٢٨٨) (٢٨٩) (٢٩٠) (٢٩١) (٢٩٢) (٢٩٣) (٢٩٤) (٢٩٥) (٢٩٦) (٢٩٧) (٢٩٨) (٢٩٩) (٣٠٠) (٣٠١) (٣٠٢) (٣٠٣) (٣٠٤) (٣٠٥) (٣٠٦) (٣٠٧) (٣٠٨) (٣٠٩) (٣١٠) (٣١١) (٣١٢) (٣١٣) (٣١٤) (٣١٥) (٣١٦) (٣١٧) (٣١٨) (٣١٩) (٣٢٠) (٣٢١) (٣٢٢) (٣٢٣) (٣٢٤) (٣٢٥) (٣٢٦) (٣٢٧) (٣٢٨) (٣٢٩) (٣٣٠) (٣٣١) (٣٣٢) (٣٣٣) (٣٣٤) (٣٣٥) (٣٣٦) (٣٣٧) (٣٣٨) (٣٣٩) (٣٤٠) (٣٤١) (٣٤٢) (٣٤٣) (٣٤٤) (٣٤٥) (٣٤٦) (٣٤٧) (٣٤٨) (٣٤٩) (٣٥٠) (٣٥١) (٣٥٢) (٣٥٣) (٣٥٤) (٣٥٥) (٣٥٦) (٣٥٧) (٣٥٨) (٣٥٩) (٣٦٠) (٣٦١) (٣٦٢) (٣٦٣) (٣٦٤) (٣٦٥) (٣٦٦) (٣٦٧) (٣٦٨) (٣٦٩) (٣٧٠) (٣٧١) (٣٧٢) (٣٧٣) (٣٧٤) (٣٧٥) (٣٧٦) (٣٧٧) (٣٧٨) (٣٧٩) (٣٨٠) (٣٨١) (٣٨٢) (٣٨٣) (٣٨٤) (٣٨٥) (٣٨٦) (٣٨٧) (٣٨٨) (٣٨٩) (٣٩٠) (٣٩١) (٣٩٢) (٣٩٣) (٣٩٤) (٣٩٥) (٣٩٦) (٣٩٧) (٣٩٨) (٣٩٩) (٤٠٠) (٤٠١) (٤٠٢) (٤٠٣) (٤٠٤) (٤٠٥) (٤٠٦) (٤٠٧) (٤٠٨) (٤٠٩) (٤١٠) (٤١١) (٤١٢) (٤١٣) (٤١٤) (٤١٥) (٤١٦) (٤١٧) (٤١٨) (٤١٩) (٤٢٠) (٤٢١) (٤٢٢) (٤٢٣) (٤٢٤) (٤٢٥) (٤٢٦) (٤٢٧) (٤٢٨) (٤٢٩) (٤٣٠) (٤٣١) (٤٣٢) (٤٣٣) (٤٣٤) (٤٣٥) (٤٣٦) (٤٣٧) (٤٣٨) (٤٣٩) (٤٤٠) (٤٤١) (٤٤٢) (٤٤٣) (٤٤٤) (٤٤٥) (٤٤٦) (٤٤٧) (٤٤٨) (٤٤٩) (٤٥٠) (٤٥١) (٤٥٢) (٤٥٣) (٤٥٤) (٤٥٥) (٤٥٦) (٤٥٧) (٤٥٨) (٤٥٩) (٤٦٠) (٤٦١) (٤٦٢) (٤٦٣) (٤٦٤) (٤٦٥) (٤٦٦) (٤٦٧) (٤٦٨) (٤٦٩) (٤٧٠) (٤٧١) (٤٧٢) (٤٧٣) (٤٧٤) (٤٧٥) (٤٧٦) (٤٧٧) (٤٧٨) (٤٧٩) (٤٨٠) (٤٨١) (٤٨٢) (٤٨٣) (٤٨٤) (٤٨٥) (٤٨٦) (٤٨٧) (٤٨٨) (٤٨٩) (٤٩٠) (٤٩١) (٤٩٢) (٤٩٣) (٤٩٤) (٤٩٥) (٤٩٦) (٤٩٧) (٤٩٨) (٤٩٩) (٥٠٠) (٥٠١) (٥٠٢) (٥٠٣) (٥٠٤) (٥٠٥) (٥٠٦) (٥٠٧) (٥٠٨) (٥٠٩) (٥١٠) (٥١١) (٥١٢) (٥١٣) (٥١٤) (٥١٥) (٥١٦) (٥١٧) (٥١٨) (٥١٩) (٥٢٠) (٥٢١) (٥٢٢) (٥٢٣) (٥٢٤) (٥٢٥) (٥٢٦) (٥٢٧) (٥٢٨) (٥٢٩) (٥٣٠) (٥٣١) (٥٣٢) (٥٣٣) (٥٣٤) (٥٣٥) (٥٣٦) (٥٣٧) (٥٣٨) (٥٣٩) (٥٤٠) (٥٤١) (٥٤٢) (٥٤٣) (٥٤٤) (٥٤٥) (٥٤٦) (٥٤٧) (٥٤٨) (٥٤٩) (٥٥٠) (٥٥١) (٥٥٢) (٥٥٣) (٥٥٤) (٥٥٥) (٥٥٦) (٥٥٧) (٥٥٨) (٥٥٩) (٥٦٠) (٥٦١) (٥٦٢) (٥٦٣) (٥٦٤) (٥٦٥) (٥٦٦) (٥٦٧) (٥٦٨) (٥٦٩) (٥٧٠) (٥٧١) (٥٧٢) (٥٧٣) (٥٧٤) (٥٧٥) (٥٧٦) (٥٧٧) (٥٧٨) (٥٧٩) (٥٨٠) (٥٨١) (٥٨٢) (٥٨٣) (٥٨٤) (٥٨٥) (٥٨٦) (٥٨٧) (٥٨٨) (٥٨٩) (٥٩٠) (٥٩١) (٥٩٢) (٥٩٣) (٥٩٤) (٥٩٥) (٥٩٦) (٥٩٧) (٥٩٨) (٥٩٩) (٦٠٠) (٦٠١) (٦٠٢) (٦٠٣) (٦٠٤) (٦٠٥) (٦٠٦) (٦٠٧) (٦٠٨) (٦٠٩) (٦١٠) (٦١١) (٦١٢) (٦١٣) (٦١٤) (٦١٥) (٦١٦) (٦١٧) (٦١٨) (٦١٩) (٦٢٠) (٦٢١) (٦٢٢) (٦٢٣) (٦٢٤) (٦٢٥) (٦٢٦) (٦٢٧) (٦٢٨) (٦٢٩) (٦٣٠) (٦٣١) (٦٣٢) (٦٣٣) (٦٣٤) (٦٣٥) (٦٣٦) (٦٣٧) (٦٣٨) (٦٣٩) (٦٤٠) (٦٤١) (٦٤٢) (٦٤٣) (٦٤٤) (٦٤٥) (٦٤٦) (٦٤٧) (٦٤٨) (٦٤٩) (٦٥٠) (٦٥١) (٦٥٢) (٦٥٣) (٦٥٤) (٦٥٥) (٦٥٦) (٦٥٧) (٦٥٨) (٦٥٩) (٦٦٠) (٦٦١) (٦٦٢) (٦٦٣) (٦٦٤) (٦٦٥) (٦٦٦) (٦٦٧) (٦٦٨) (٦٦٩) (٦٧٠) (٦٧١) (٦٧٢) (٦٧٣) (٦٧٤) (٦٧٥) (٦٧٦) (٦٧٧) (٦٧٨) (٦٧٩) (٦٨٠) (٦٨١) (٦٨٢) (٦٨٣) (٦٨٤) (٦٨٥) (٦٨٦) (٦٨٧) (٦٨٨) (٦٨٩) (٦٩٠) (٦٩١) (٦٩٢) (٦٩٣) (٦٩٤) (٦٩٥) (٦٩٦) (٦٩٧) (٦٩٨) (٦٩٩) (٧٠٠) (٧٠١) (٧٠٢) (٧٠٣) (٧٠٤) (٧٠٥) (٧٠٦) (٧٠٧) (٧٠٨) (٧٠٩) (٧١٠) (٧١١) (٧١٢) (٧١٣) (٧١٤) (٧١٥) (٧١٦) (٧١٧) (٧١٨) (٧١٩) (٧٢٠) (٧٢١) (٧٢٢) (٧٢٣) (٧٢٤) (٧٢٥) (٧٢٦) (٧٢٧) (٧٢٨) (٧٢٩) (٧٣٠) (٧٣١) (٧٣٢) (٧٣٣) (٧٣٤) (٧٣٥) (٧٣٦) (٧٣٧) (٧٣٨) (٧٣٩) (٧٤٠) (٧٤١) (٧٤٢) (٧٤٣) (٧٤٤) (٧٤٥) (٧٤٦) (٧٤٧) (٧٤٨) (٧٤٩) (٧٥٠) (٧٥١) (٧٥٢) (٧٥٣) (٧٥٤) (٧٥٥) (٧٥٦) (٧٥٧) (٧٥٨) (٧٥٩) (٧٦٠) (٧٦١) (٧٦٢) (٧٦٣) (٧٦٤) (٧٦٥) (٧٦٦) (٧٦٧) (٧٦٨) (٧٦٩) (٧٧٠) (٧٧١) (٧٧٢) (٧٧٣) (٧٧٤) (٧٧٥) (٧٧٦) (٧٧٧) (٧٧٨) (٧٧٩) (٧٨٠) (٧٨١) (٧٨٢) (٧٨٣) (٧٨٤) (٧٨٥) (٧٨٦) (٧٨٧) (٧٨٨) (٧٨٩) (٧٩٠) (٧٩١) (٧٩٢) (٧٩٣) (٧٩٤) (٧٩٥) (٧٩٦) (٧٩٧) (٧٩٨) (٧٩٩) (٨٠٠) (٨٠١) (٨٠٢) (٨٠٣) (٨٠٤) (٨٠٥) (٨٠٦) (٨٠٧) (٨٠٨) (٨٠٩) (٨١٠) (٨١١) (٨١٢) (٨١٣) (٨١٤) (٨١٥) (٨١٦) (٨١٧) (٨١٨) (٨١٩) (٨٢٠) (٨٢١) (٨٢٢) (٨٢٣) (٨٢٤) (٨٢٥) (٨٢٦) (٨٢٧) (٨٢٨) (٨٢٩) (٨٣٠) (٨٣١) (٨٣٢) (٨٣٣) (٨٣٤) (٨٣٥) (٨٣٦) (٨٣٧) (٨٣٨) (٨٣٩) (٨٤٠) (٨٤١) (٨٤٢) (٨٤٣) (٨٤٤) (٨٤٥) (٨٤٦) (٨٤٧) (٨٤٨) (٨٤٩) (٨٥٠) (٨٥١) (٨٥٢) (٨٥٣) (٨٥٤) (٨٥٥) (٨٥٦) (٨٥٧) (٨٥٨) (٨٥٩) (٨٦٠) (٨٦١) (٨٦٢) (٨٦٣) (٨٦٤) (٨٦٥) (٨٦٦) (٨٦٧) (٨٦٨) (٨٦٩) (٨٧٠) (٨٧١) (٨٧٢) (٨٧٣) (٨٧٤) (٨٧٥) (٨٧٦) (٨٧٧) (٨٧٨) (٨٧٩) (٨٨٠) (٨٨١) (٨٨٢) (٨٨٣) (٨٨٤) (٨٨٥) (٨٨٦) (٨٨٧) (٨٨٨) (٨٨٩) (٨٩٠) (٨٩١) (٨٩٢) (٨٩٣) (٨٩٤) (٨٩٥) (٨٩٦) (٨٩٧) (٨٩٨) (٨٩٩) (٩٠٠) (٩٠١) (٩٠٢) (٩٠٣) (٩٠٤) (٩٠٥) (٩٠٦) (٩٠٧) (٩٠٨) (٩٠٩) (٩١٠) (٩١١) (٩١٢) (٩١٣) (٩١٤) (٩١٥) (٩١٦) (٩١٧) (٩١٨) (٩١٩) (٩٢٠) (٩٢١) (٩٢٢) (٩٢٣) (٩٢٤) (٩٢٥) (٩٢٦) (٩٢٧) (٩٢٨) (٩٢٩) (٩٣٠) (٩٣١) (٩٣٢) (٩٣٣) (٩٣٤) (٩٣٥) (٩٣٦) (٩٣٧) (٩٣٨) (٩٣٩) (٩٤٠) (٩٤١) (٩٤٢) (٩٤٣) (٩٤٤) (٩٤٥) (٩٤٦) (٩٤٧) (٩٤٨) (٩٤٩) (٩٥٠) (٩٥١) (٩٥٢) (٩٥٣) (٩٥٤) (٩٥٥) (٩٥٦) (٩٥٧) (٩٥٨) (٩٥٩) (٩٦٠) (٩٦١) (٩٦٢) (٩٦٣) (٩٦٤) (٩٦٥) (٩٦٦) (٩٦٧) (٩٦٨) (٩٦٩) (٩٧٠) (٩٧١) (٩٧٢) (٩٧٣) (٩٧٤) (٩٧٥) (٩٧٦) (٩٧٧) (٩٧٨) (٩٧٩) (٩٨٠) (٩٨١) (٩٨٢) (٩٨٣) (٩٨٤) (٩٨٥) (٩٨٦) (٩٨٧) (٩٨٨) (٩٨٩) (٩٩٠) (٩٩١) (٩٩٢) (٩٩٣) (٩٩٤) (٩٩٥) (٩٩٦) (٩٩٧) (٩٩٨) (٩٩٩) (١٠٠٠) (١٠٠١) (١٠٠٢) (١٠٠٣) (١٠٠٤) (١٠٠٥) (١٠٠٦) (١٠٠٧) (١٠٠٨) (١٠٠٩) (١٠١٠) (١٠١١) (١٠١٢) (١٠١٣) (١٠١٤) (١٠١٥) (١٠١٦) (١٠١٧) (١٠١٨) (١٠١٩) (١٠٢٠) (١٠٢١) (١٠٢٢) (١٠٢٣) (١٠٢٤) (١٠٢٥) (١٠٢٦) (١٠٢٧) (١٠٢٨) (١٠٢٩) (١٠٣٠) (١٠٣١) (١٠٣٢) (١٠٣٣) (١٠٣٤) (١٠٣٥) (١٠٣٦) (١٠٣٧) (١٠٣٨) (١٠٣٩) (١٠٤٠) (١٠٤١) (١٠٤٢) (١٠٤٣) (١٠٤٤) (١٠٤٥) (١٠٤٦) (١٠٤٧) (١٠٤٨) (١٠٤٩) (١٠٥٠) (١٠٥١) (١٠٥٢) (١٠٥٣) (١٠٥٤) (١٠٥٥) (١٠٥٦) (١٠٥٧) (١٠٥٨) (١٠٥٩) (١٠٦٠) (١٠٦١) (١٠٦٢) (١٠٦٣) (١٠٦٤) (١٠٦٥) (١٠٦٦) (١٠٦٧) (١٠٦٨) (١٠٦٩) (١٠٧٠) (١٠٧١) (١٠٧٢) (١٠٧٣) (١٠٧٤) (١٠٧٥) (١٠٧٦) (١٠٧٧) (١٠٧٨) (١٠٧٩) (١٠٨٠) (١٠٨١) (١٠٨٢) (١٠٨٣) (١٠٨٤) (١٠٨٥) (١٠٨٦) (١٠٨٧) (١٠٨٨) (١٠٨٩) (١٠٩٠) (١٠٩١) (١٠٩٢) (١٠٩٣) (١٠٩٤) (١٠٩٥) (١٠٩٦) (١٠٩٧) (١٠٩٨) (١٠٩٩) (١١٠٠) (١١٠١) (١١٠٢) (١١٠٣) (١١٠٤) (١١٠٥) (١١٠٦) (١١٠٧) (١١٠٨) (١١٠٩) (١١١٠) (١١١١) (١١١٢) (١١١٣) (١١١٤) (١١١٥) (١١١٦) (١١١٧) (١١١٨) (١١١٩) (١١٢٠) (١١٢١) (١١٢٢) (١١٢٣) (١١٢٤) (١١٢٥) (١١٢٦) (١١٢٧) (١١٢٨) (١١٢٩) (١١٣٠) (١١٣١) (١١٣٢) (١١٣٣) (١١٣٤) (١١٣٥) (١١٣٦) (١١٣٧) (١١٣٨) (١١٣٩) (١١٤٠) (١١٤١) (١١٤٢) (١١٤٣) (١١٤٤) (١١٤٥) (١١٤٦) (١١٤٧) (١١٤٨) (١١٤٩) (١١٥٠) (١١٥١) (١١٥٢) (١١٥٣) (١١٥٤) (١١٥٥) (١١٥٦) (١١٥٧) (١١٥٨) (١١٥٩) (١١٦٠) (١١٦١) (١١٦٢) (١١٦٣) (١١٦٤) (١١٦٥) (١١٦٦) (١١٦٧) (١١٦٨) (١١٦٩) (١١٧٠) (١١٧١) (١١٧٢) (١١٧٣) (١١٧٤) (١١٧٥) (١١٧٦) (١١٧٧) (١١٧٨) (١١٧٩) (١١٨٠) (١١٨١) (١١٨٢) (١١٨٣) (١١٨٤) (١١٨٥) (١١٨٦) (١١٨٧) (١١٨٨) (١١٨٩) (١١٩٠) (١١٩١) (١١٩٢) (١١٩٣) (١١٩٤) (١١٩٥) (١١٩٦) (١١٩٧) (١١٩٨) (١١٩٩) (١٢٠٠) (١٢٠١) (١٢٠٢) (١٢٠٣) (١٢٠٤) (١٢٠٥) (١٢٠٦) (١٢٠٧) (١٢٠٨) (١٢٠٩) (١٢١٠) (١٢١١) (١٢١٢) (١٢١٣) (١٢١٤) (١٢١٥) (١٢١٦) (١٢١٧) (١٢١٨) (١٢١٩) (١٢٢٠) (١٢٢١) (١٢٢٢) (١٢٢٣) (١٢٢٤) (١٢٢٥) (١٢٢٦) (١٢٢٧) (١٢٢٨) (١٢٢٩) (١٢٣٠) (١٢٣١) (١٢٣٢) (١٢٣٣) (١٢٣٤) (١٢٣٥) (١٢٣٦) (١٢٣٧) (١٢٣٨) (١٢٣٩) (١٢٤٠) (١٢٤١) (١٢٤٢) (١٢٤٣) (١٢٤٤) (١٢٤٥) (١٢٤٦) (١٢٤٧) (١٢٤٨) (١٢٤٩) (١٢٥٠) (١٢٥١) (١٢٥٢) (١٢٥٣) (١٢٥٤) (١٢٥٥) (١٢٥٦) (١٢٥٧) (١٢٥٨) (١٢٥٩) (١٢٦٠) (١٢٦١) (١٢٦٢) (١٢٦٣) (١٢٦٤) (١٢٦٥) (١٢٦٦) (١٢٦٧) (١٢٦٨) (١٢٦٩) (١٢٧٠) (١٢٧١) (١٢٧٢) (١٢٧٣) (١٢٧٤) (١٢٧٥) (١٢٧٦) (١٢٧٧) (١٢٧٨) (١٢٧٩) (١٢٨٠) (١٢٨١) (١٢٨٢) (١٢٨٣) (١٢٨٤) (١٢٨٥) (١٢٨٦) (١٢٨٧) (١٢٨٨) (١٢٨٩) (١٢٩٠) (١٢٩١) (١٢٩٢) (١٢٩٣) (١٢٩٤) (١٢٩٥) (١٢٩٦) (١٢٩٧) (١٢٩٨) (١٢٩٩) (١٣٠٠) (١٣٠١) (١٣٠٢) (١٣٠٣) (١٣٠٤) (١٣٠٥) (١٣٠٦) (١٣٠٧) (١٣٠٨) (١٣٠٩) (١٣١٠) (١٣١١) (١٣١٢) (١٣١٣) (١٣١٤) (١٣١٥) (١٣١٦) (١٣١٧) (١٣١٨) (١٣١٩) (١٣٢٠) (١٣٢١) (١٣٢٢) (١٣٢٣) (١٣٢٤) (١٣٢٥) (١٣٢٦) (١٣٢٧) (١٣٢٨) (١٣٢٩) (١٣٣٠) (١٣٣١) (١٣٣٢) (١٣٣٣) (١٣٣٤) (١٣٣٥) (١٣٣٦) (١٣٣٧) (١٣٣٨) (١٣٣٩) (١٣٤٠) (١٣٤١) (

وفي الطريق لقيه عبدالله بن مطيع العدوي *** فسأل الإمام (ت) : أين تريد ؟ فأجابه الإمام (ت) : أما الآن فأريد مكة وبعدها أستخير الله ، فقدّم ابن مطيع نصيحته للإمام (ت) بأن يلزم الحرم ، وحذره أن يقرب الكوفة وقال : " فوالله لنن قتلنا ليتخذونا خولاً وعبيداً " ^(١) ، وعندما تقرب الإمام (ت) من مكة ولما رأى جبالها قال مقولة موسى بن عمران (ت) حينما خرج من مصر إلى مدين ^(٢) ((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)) ^(٣) وهذا يوضح لنا بأن الإمام (ت) شبه وضعه بوضع نبي الله موسى (ت) .

وصل الإمام (ت) إلى مكة بعد أن أمن الله له ذلك فدخلها لثلاث مضيّن من شعبان ^(٤) ، فنزل دار العباس بن عبدالمطلب ^(٥) ، والسؤال هو لماذا أختار الإمام (ت) مكة دون غيرها من الأمصار الإسلامية آنذاك ؟ .

أجمع المؤرخون على أن اختيار الإمام (ت) لمكة بسبب قدسيّتها ، فيرى البعض ^(٦) أن لهذه المدينة قدسية وأنها آمن الخائف وهيبة البيت وامتناع الطير من العلو عليها ، ويرى السيد البصري ^(٧) أن كل نبي من الأنبياء (إ) إذ كذبه قومه خرج من بين أظهرهم إلى مكة لقوله تعالى ((فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)) ^(٨) ، ويرى ابن ظهيرة ^(٩) أن مكة بلد آمن ولها فضائل في قوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا)) ^(١٠) ، لأن الآية الكريمة في سورة البقرة ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا

***عبدالله بن مطيع : عبدالله بن الاسود بن حارثة بن فضلة بن عون بن عبيد بن عدي ولد على عهد رسول الله (ص) ، وهو من اشراف فريش من حيث الشرف والسن ، ولي الكوفة في عهد ابن الزبير . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٤٣-١٤٤ - ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد (ت ٩٧٣هـ) ، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، تح ، عبدالرحمن بن عبدالله وآخرون ، ط ١ ، دار الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٩٩٧م) ، ج ٢ ص ٥٤ .

^(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٥٤ - ابن عساكر ، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ) ، ترجمة الامام الحسين (ت) ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ٢ ، مطبعة فروردين ، مجمع احياء الثقافة الإسلامية ، (١٤١٤هـ) ، ص ٢٩٣ - الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تح شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوي ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٤١٣هـ) ، ج ٣ ص ٢٩٦ .

^(٢) الطوسي ، أبو جعفر محمد (ت ٤٦٠هـ) ، البيان في تفسير في القرآن ، تح أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، مكتب ومطبعة الاعلام الاسلامي ، (١٤٠٩هـ) ، ج ٨ ص ١٤٠ .

^(٣) سورة القصص ، آية ٢٢ . ويرى قسم من المؤرخين ان من قرأ هذه الآية آمن من سبع ضار او من كل لص . ينظر : النسابوري ، روضة الواعظين ، ج ١ ص ١٧٢ - الديلمي ، الحسن بن ابي الحسن (ت ٨٤١هـ) ، اعلام الدين ، مؤسسة آل البيت (إ) للنشر ، (قم / ١٤٠٨هـ) ، ص ٣٩٥ - المجلسي ، بحار الانوار ، ج ١٣ ص ١٨ .

^(٤) الطبرسي ، الشيخ بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) ، اعلام الوري بأعلام الهدى ، تح علي أكبر الغفاري ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ٢٠٠٤م) ، ص ٢٢٩ .

^(٥) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح عمر عبدالسلام ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٩٩٠م) ، حوادث سنة ٦١-٨٠هـ ، ص ٧ .

^(٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٣٣ - الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٨٣ .

^(٧) البصري ، الحسن بن يسار (١١٠هـ) ، فضائل مكة والسكن فيها ، تح سامي مكي العاني ، مكتبة الفلاح للنشر ، (الكويت / ١٤٠٠هـ) ، ج ٢ ص ١٦-٢٠ .

^(٨) سورة قريش ، آية رقم ٤ .

^(٩) محمد بن أبي بكر (ت ٩٨٦هـ) ، الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها ، تح د. عمر علي ، ط ١ ، مكتبة الثقافة ، (القاهرة / ٢٠٠٣) ، ص ١٣٧ .

^(١٠) سورة إبراهيم ، آية ٣٥ .

بَلَدًا آمِنًا))^(١) يقصد بها مكة من جملة البلاد التي يأمن أهلها ، لكن أحد الدارسين المحدثين^(٢) يرى بأن مركزها الاجتماعي والسياسي هو سبب اختيار الإمام (ت) لها دون سائر البلاد ، بينما يرى القاسم^(٣) أن اختيار الإمام (ت) لمكة هو بسبب كونها قاعدة الإسلام الكبرى حيث منها بدأ الإمام (ت) يعلن من خلال اتصاله بالناس ضرورة رفض مبايعة يزيد ، ويقول الربيعي^(٤) أن اختيار الإمام (ت) لمكة دون غيرها لأنه لم يسبق لأحد انتهاك حرمتها لا في الجاهلية ولا في الإسلام .

وفي رأينا أن لا تناقض بين كل هذه الأسباب وإنها بمجموعها تمثل سبب اختيار الإمام (ت) لها دون غيرها .

وبعد أن وصل الإمام (ت) مكة ، كان يزيد قد أمر بعزل والي المدينة وتعيين عمرو بن سعيد الأشدق * بدلا عنه^(٥) .

أما بالنسبة إلى عبدالله بن عمر فقد اختلف المؤرخون في وصف موقفه فيذكر ابن قتيبة^(٦) أن ابن عمر قال في أمربيعة معاوية ليزيد " أما بعد فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يوارثها الابناء عن الاباء " ، أما اليعقوبي^(٧) فقد ذكر أنه لما أصبح معاوية وحاول أخذ البيعة من أهل الكوفة والمدينة ، أبى عبدالله بن عمر وقال : " نبايع من يلعب بالقروذ والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق ، وما حجتنا عند الله " ، ويذكر ابن الأثير^(٨) أن معاوية كان قد أرسل مائة ألف درهم إلى عبدالله بن عمر فقبلها منه فلما ذكر امر البيعة قال ابن عمر " هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص " ، لذلك ذكر ابن خلدون^(٩) بأن قراره محمول على الورع المعروف عنه ، لكن القلقشندي^(١٠) ذكر بأنه قال : إذا لم يبايع الناس ولم يبق غيري بايعت ، لذلك تركوه وكانوا لا يتخوفونه .

(١) سورة البقرة ، آية ١٢٦ .

(٢) مطهري ، السيد مرتضى ، الملحة الحسينية ، ط ١ ، مطبعة فيضية ، (إيران / ١٤٢٥ هـ) ، ج ٢ ص ٢٢ .

(٣) أسعد ، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة ، ط ١ ، مركز الغدير ، (بيروت / ١٩٩٧ م) ، ص ١٣٢ .

(٤) عبدالعظيم ، سياسة الحسين ، مطبعة الرشدية ، بالافست ، (١٣٧٨ هـ) ، ج ١ ص ٣١ .

* عمرو بن سعيد : عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي أبو أمية ، أمير من الخطباء والبلغاء سمي بالاشدق لفصاحته . ينظر : الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ) ، المعجم الكبير ، تح حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط ٢ ، مكتبة ابن تيمية ، دار احياء التراث للنشر ، (القاهرة / بلات) ، ج ٨ ص ٢٦٧ - الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ) ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تح د. ناجي حسن ، ط ١ ، دار العربية للنشر ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٥) المالكي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٣٨٢ هـ) ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، تح نخبة من كبار العلماء ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (١٩٥٦ م) ، ج ٢ ص ٦٧ .

(٦) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٤١ .

(٧) أحمد بن اسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، تح خليل منصور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٩ هـ) ، ج ٢ ص ١٥٩ .

(٨) الكامل ، ج ٤ ص ٥٠٦ .

(٩) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤٢ .

(١٠) أبو العباس بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١ هـ) مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تح عبدالستار أحمد خراج ، ط ١ ، عالم الكتب ، (بيروت / ١٩٦٨ م) ، ص ١١٠ .

ونرى أن عبدالله بن عمر ممن أبى البيعة على الإمام علي (ع) وكان من المبايعين لمعاوية ثم من المبايعين إلى يزيد بن معاوية ولم يبايع عبدالله بن الزبير في خلافته على ما سوف نرى ، لذلك نقول أن بيعته لبني أمية بسبب تخوفه منهم " لا يخلعن أحد منكم يزيد ، فتكون الفيصل ويروى الصيلم* بيني وبينه " (١) .

*الصيلم : أي القطيعة المنكرة . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٣ ص ٤٩ .
(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٩ .

ثانياً: الإمام في مكة

١. أوضاع مكة السياسية

دخل الإمام (t) مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان^(١) ، وكان لدخوله أثر مهم في أحداثها السياسية بسبب نزول أبناء الصحابة فيها تاركين مدينة رسول الله (ﷺ) ، وأجمع المؤرخون في أمر استقبال الإمام (t) بالحفاوة من أهل مكة ، فيذكر قسم منهم^(٢) ان الناس قالوا للحسين تقدم فصل بنا فقال الإمام (t) : " الصلاة في الجماعة أفضل " ، ويذكر القسم الآخر^(٣) أن الإمام (t) عندما نزل مكة أقبل أهلها ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه ويأتونه ، ويذكر ابن أعثم الكوفي^(٤) بأن أهلها فرحوا فرحاً شديداً ، أما ابن كثير^(٥) فيذكر أن الناس عكفت على الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون من حواليه ويستمعون كلامه .

(١) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) ، الارشاد ، تح حسين الاعلمي ، ط ٥ ، (بيروت / ٢٠٠١) ، ص ١٤١ .

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٦٥ ، ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) ، العقد الفريد ، شرح أحمد أمين وآخرون ، مكتبة المثنى ، (بغداد / ١٩٦٧) ، ج ٤ ص ٣٧٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥١ ، الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤١ .

(٤) الفتوح ، مج ٣ ص ٢٣ .

(٥) البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٤ .

والذي يتضح لنا أن المؤرخين ذكروا أن أهل مكة فرحوا بقدوم الإمام عليهم ، ولكن لم يكن عندهم الاستعداد الكامل للوقوف ضد يزيد أو الوقوف بجانب الإمام في ثورته ، لأن في مكة من المكيين القليل ممن ليسوا من بطون قريش ، ممن سكن مكة بعد الفتح ، وبعد انتشار الإسلام في الأرض ، والظاهر أن جل المكيين آنذاك هم من قريش وبسبب توارث قريش عداها للإمام علي وأهل علي (t) ، كما لا ننسى ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعبدالله بن عباس ، حينما أراد أن يختار واحداً من الصحابة للخلافة " كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم " (١)، كل هذا كان عاملاً أساسياً في نفور قريش من الإمام (t) ، ويبدو هذا واضحاً في مشاركتهم مع الإمام (t) في ثورته حيث كانت مشاركة أفراد (٢) وأن دل هذا على شيء فيدل على أن موقفهم كان غير موال للإمام (t) ، إضافة إلى وجود شخصية سياسية بارزة في مكة إلى جانب الإمام (t) وهو أبن الزبير الذي وصل إلى مكة قبل الإمام بليلة واحدة (٣) ، ولقب نفسه " عائد البيت " (٤) ، ولم يظهر أبن الزبير نواياه ورغباته بسبب معرفته المسبقة أولاً بأن منزلة الإمام (t) عند مكة أفضل منه ، لذلك كان الإمام (t) أثقل خلق الله على عبدالله (٥) ، بالرغم مما قدمه له من آراء حول البقاء معه في مكة وأن يأخذ بيعة الناس له أو يسنده ويرشح هو نفسه لأخذ البيعة للناس (٦) ، وثانياً لأن الإمام (t) كان يدرك نوايا عبدالله وما قاله الإمام له " وأن الناس لم يعدلوه بي ، فود أني خرجت منها لتخلو له " (٧) وليس مثلاً قال أحد الدارسين المحدثين (٨) بأن الاثنين يعرف كل منهما أنه يطلب الأمر لنفسه .

إزاء هذه الأوضاع في مكة كتب واليها إلى يزيد بن معاوية يخبره بقدوم الناس حول الإمام (t) وتعظيمهم له وإقبالهم عليه ، وأن ذلك يشكل خطراً على الدولة الأموية ، ولما قرأ يزيد رسالة واليه فزع أشد الفزع بسبب موقع الحجاز الديني وأهميتها بالنسبة إلى الخلافة الأموية لذلك كتب رسالة إلى عبدالله بن عباس يستجلب فيها وده ويهدد الإمام (t) وفيها " أحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق ضمنوه الخلافة ، وعندك منهم خبر وتجربة ، فأن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة وأنت

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٣ .

(٢) المغربي ، النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ) ، شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تح محمد الحسيني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / بلاط) ، ج ٣ ص ٢٤٨ - ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٥٣ ، يذكرون عددهم أربعة إلى خمسة أفراد وهناك ملحق في آخر الدراسة يبين اسماءهم .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٠ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ .

(٨) القبلان ، قبلان محمد ، عبدالله بن الزبير حركته وخلافته ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية ، (جامعة بغداد / ١٩٧٣) ، ص ٨١-٨٢ .

كبير أهل بيتك والمنظور إليه فأكففه عن السعي في الفرقة ^(٦) ويبدو أن مراسلة يزيد بن معاوية لعبدالله بن عباس بسبب منزلته الرفيعة في بني هاشم وأنه حبر الأمة لكثرة علومه ^(٧)، فكتب إليه ابن عباس أن لا يكون خروج الإمام (ت) في أمر تكرهه ^(٨)، ويبدو أن السلطة الحاكمة لم ترع مقامه ولم تحترم مركزه فلذلك لجأ إلى البيت الحرام عائداً به، وحتى الإمام (ع) نفسه وضع بأن فترة بقائه في مكة تعتمد على معاملة أهلها له أن تغيرت فإنه سوف يختار بلداً آخر ^(٩)، وهذا أن دل على شيء فإنه يدل على أن اختياره لمكة آنذاك هو لغرض تكوين صورة واضحة للموقف النهائي إزاء موقفه.

٢. رسائل أهل الكوفة إلى الإمام (ت)

بعد أن علم الشيعة من أهل الكوفة بأن الإمام (ت) قد رفض البيعة ليزيد بن معاوية ^(١٠)، راحت انديتهم تتحدث عن مساوئ معاوية وسوء معاملته وما الحقه ببلدهم من الدمار الشامل وما استهدفه من تصفية لأعلام الشيعة في الكوفة مثل حجر بن عدي الكندي وعمر بن الحمق الخزاعي**، وغيرهم من الاخير والعلماء ^(١١). لذلك عقدوا مؤتمراً عاماً في بيت أكبر زعمائهم، فألقوا الخطب الحماسية التي شجبت الحكم الأموي واشادت بالإمام (ت)، فقد ذكر الطبري ^(١٢)، أن سليمان بن صرد*** خطب خطاباً بليغاً جاء فيه: " أن معاوية قد هلك وأن حسيناً تقبض*** على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وانتم شيعته وشيعة أبيه، فأن كنتم تعلمون أنكم ناصروه فجاهدوا عدوه فاكتبوا إليه، وأن خفتم الوهل والفسل، فلا تغرؤا الرجل من نفسه"، فكانت إجاباتهم بحماس: " نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه". وهذا يوضح دعمهم للإمام (ت) من خلال إرسال الوفود والرسائل له، هذا فضلاً عن خروجهم على بيعة يزيد بن معاوية مما سبب رد فعل قوياً من أهل الكوفة ومن مختلف

(٦) ابن كثير البداية والنهاية، مج ٤ ج ٨ ص ٥٣٦.

(٧) ابن زفر، ابناء نجباء الأبناء، ص ٦٥.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبير، ج ٦ ص ٤٢٧ - ابن كثير البداية والنهاية، مج ٤ ج ٨ ص ٥٣٧.

(٩) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، مج ٣ ج ٥ ص ٢٢.

(١٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٥١ - ابن الاثير، الكامل، ج ٤ ص ٢٠.

*حجر بن عدي: حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الاكرمين، جاهلي، اسلامي، حُجر الخير قتل سنة ٥١هـ / ٦٧١م في مرج عذراء بأمر من معاوية بن أبي سفيان. ينظر: ابن سعد الطبقات الكبير، ج ٦ ص ٢٣٩ - الزركلي، الاعلام، ج ٢ ص ١٦٩.

**عمر بن الحمق: عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمر بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعيد بن كعب، بايع

النبي (ﷺ) في حجة الوداع وله صحبة قتل سنة ٥١هـ / ٦٧١م في الموصل بأمر من معاوية وحمل رأسه على الرمح

وهو أول رأس حمل في الإسلام. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج ٦ ص ٢٨٣ - العصفري، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) طبقات خليفة بن خياط، تح سهيل زكار، دار الفكر للنشر، (١٤١٤هـ)، ص ٢٣٠ - البغدادي، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، المحبر، ورقة الاصل الخطية، (بلاط)، ص ٢٦٢ - الاصفهاني، الاغانى، ج ٣ ص ٤١٢ - الزركلي، الاعلام، ج ٥ ص ٣٦.

(١) القرشي، باقر شريف، مسلم بن عقيل، ط ١، مطبعة شريعت، دار الهدى، (١٤٢٤هـ)، ص ١٠٥.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٥٢.

***سليمان بن صرد: سليمان بن صرد بن ربيعة بن اكرم بن خبيس بن حبشة ابو الطرف الخزاعي،

من الصحابة روى عن النبي (ﷺ) وعن الإمام علي (ت) وروى عنه أبو إسحاق. ينظر: البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بلاط)، ج ١ ص ٢٠٠ - ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة

الصحابة، ج ٢ ص ٣٥١ - الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣ ص ٣٩٤ - المزي، تهذيب الكمال، ج ٣ ص ٢٨٤ - سبط ابن العجمي، برهان الدين أبو الوفاء ابراهيم بن محمد (ت ٨٤١هـ)، نهاية الرسول في رواة السنة الاصول، تح عبدالمع

ابراهيم، ط ١، دار الفكر، (بيروت / ٢٠٠٣م)، ج ٣ ص ٩٦٦.

***تقبض: امتنع وامتنع. ينظر: ابن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، ج ١ ص ٢٦، هامش الصفحة.

طبقاتهم فكانت أول الكتب من وجهاء الشيعة أمثال سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة**** وحبيب بن مظاهر الاسدي**** وفيه " الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها فينها وتأمر عليها بغير رضا منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها "(٣) ، والذي نجده في رسالة الوجهاء أنهم وضحوا كيف كانت سياسة معاوية في أهل العراق طوال فترة خلافته ، إضافة إلى أنهم قد وضحوا بأن ليس لهم إمام عادل وأن النعمان بن بشير الانصاري في مقر الامارة معزولون عنه لا يجمعهم معه جمعة أو عيد ، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام^(١) ، وحمل هذه الرسالة عبدالله بن وال* وعبدالله بن سبع الهمداني** ، وقد أوصيا بالإسراع وكتمان أمرهما خوفاً من السلطات الأموية .

أما الرسالة الثانية من أهل الكوفة ففيها " أما بعد ، فحي هلا ، فإن الناس ينتظرونك ، ولا أرى لهم في غيرك فالحجل العجل والسلام "(٢) ، وحمل هذه الرسالة هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي ثم ليثنا يومين ، ثم سرحنا قيس بن مسهر الصيداوي** وعبدالرحمن بن عبدالله بن الكدن الارحبي**** وعمارة بن عبيد السلولي**** ، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والاربعة^(٣) ، وهي تحت الإمام (t) على الإسراع في المجيء إليهم وتظهر له الترحيب به والدعم الكامل^(٤) . وهناك رسالة رابعة أرسلها أشراف أهل مكة من أمثال شبيب بن ربعي***** ومحمد بن عمير التميمي***** وحجار بن أبجر***** وعمرو بن الحجاج الزبيدي***** وي زيد بن

*****المسيب بن نجبة : المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شمع بن فرارة الفراري ، ادرك النبي محمد (ﷺ) شهد القادسية وفتح العراق ، روى عن النبي وليست له صحبة . ينظر : أبين حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، الاصابة في تمييز الصحابة ، تح علي محمد البجاوي ، ط ١ ، دار الجيل ، (بيروت / ١٩٩٣) ، ج ٦ ص ٢٩٧ .

*****حبيب بن مظاهر : حبيب بن مظاهر الاسدي من اصحاب الامام علي والحسن والحسين (عليهم السلام) . ينظر : البرقي ، احمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ) ، رجال البرقي ، مؤسسة النشر في جامعة طهران ، (١٣٨٣هـ) ، ص ٧ - التفري ، مصطفى (ت ١٠١٥هـ) ، نقد الرجال ، تح مؤسسة آل البيت (p) ، مطبعة ستارة ، (قم / ١٤١٨هـ) ، ج ١ ص ٣٩٩ - الخوني ، السيد أبو القاسم الموسوي ، معجم رجال الحديث ، ط ٥ ، (١٤١٣هـ) ، ج ٥ ص ٢٠١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٢ .

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٨٢ .

*عبدالله بن وال : عبدالله بن وائل بن قاسط بن هنب بن أخص بن وعص بن جديلة بن أسد من عدنان . ينظر : أبين حزم ،

جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٣٠٢ .

**عبدالله بن سبع : عبدالله بن سبع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن خيران بن نون بن همدان .

ينظر : الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، المنتخب من ذيل الطبري ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٥ ، دار

المعارف (مصر / بلات) ، ص ٦٦٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٢ .

***قيس بن مسهر : قيس بن مسهر بن خليل بن جندب بن منقذ بن جسر بن نكرة بن نوفل الصيدا ، سفير الإمام (t) إلى الكوفة . ينظر : أبين حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ١٩٥ .

****عبدالرحمن بن عبدالله : عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن الارصي نسبة الى ارضب بطن من همدان . ينظر :

التفقي ، الغارات ، ص ٣١٨ .

*****عمارة بن عبيدالله السلولي : لم أجد له ترجمة .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٢ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٥٢٤ .

*****شبيب بن ربعي : شبيب بن ربعي بن عثيم بن ربيعة بن زيد بن رياح بن يربوع ، كان مؤذن سجاح ثم

سار مع الخوارج ثم رجع عنهم تائباً . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج ٨ ص ٣٣٥ - أبين حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٧ - الحموي ، المختضب ، ج ١ ص ١٠٧ .

*****محمد بن عمير : محمد بن عمير بن عطار بن حاجب الدارمي ، روى عن النبي محمد (ﷺ) وروى عنه أبو عمران

الجوني ، كان له شرف وقدر بالكوفة وولي اذربيجان . ينظر : الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ٨ ص ٤٠ - ابن حزم ، جمهرة

انساب العرب ، ج ١ ص ٢٣٢-٢٣٣ .

*****حجار بن ابجر : حجار بن ابجر بن بحير بن عائذ بن شريط بن عمرو بن مالك بن ربيعة ، روى عن الامام

علي (t) . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٨ ص ٣٥٠ .

الحارث بن يزيد بن

رويم وعزرة بن قيس ، وقد كتبوا إلى الإمام (t) بشيوع الامل وازدهار الحياة وتهئية البلاد عسكرياً وجاء في كتابهم " أما بعد ، فقد اخضر الجناب ، واينعت الثمار ، وطمت الجمام ، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند " (١) ، والح اهل الكوفة على الإمام (t) طالبين إليه ان يخرج إليهم ليبايعوه (٢) ، وبعد أن جمع هذه الرسائل والكتب سأل الرسل عن أمر الناس ، ورأى ان الواجب الشرعي يدعوه للقيام بهذه المهمة الخطيرة التي لا يقوم بها أحد سواه لذلك استجاب لهم مع علمه بنفسيات الكوفيين واتجاهاتهم السياسية وغدرهم فرأى أنه من الأفضل إرسال سفير عنه ليعلمه صدق ما كتبوا به اهل الكوفة فلم يجد أفضل من أبن عمه مسلم بن عقيل لأخذ البيعة له (٣) .

ثم كتب الإمام (t) كتاباً إلى أهل الكوفة وأرسله بيد هاني بن هاني السبيعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي ، وكانا آخر الرسل وفيه " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من الحسين بن علي إلى الملائكة من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد ، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتابكم ، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم ، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جلکم ، أنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق ، وقد بعثت إليكم أخي وأبن عمي وثقتي من أهل بيتي ، ... ، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله والسلام " (٤) ، وقد حدد الإمام (t) صفات الإمام الواجب طاعته وهذا يدل لنا عدم اعترافه بخلافة يزيد .

٦. موقف أهل البصرة من الإمام (t)

المعروف من ظاهر الحياة السياسية والاجتماعية في البصرة سنة ستين للهجرة كانت توحى بأن عبيد الله بن زياد قد هيمن هيمنة سياسية وإدارية كاملة على مجرى أمورها لذلك نجد إن اجتماعات

***** عمرو بن الحجاج : عمرو بن الحجاج بن عبد الله بن عبد العزي بن كعب بن سلمة بن مالك بن سلمة بن مازن

بن ربيعة بن زيد ، كان من اشراف الكوفة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤١٢ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٤ .

(٢) الرافي ، حضارة العرب في العصور الاسلامية ، ص ١٦٢ .

(٣) ابن حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، لسان الميزان ، ط ٢ ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت / ١٣٩٠هـ) ،

ج ٦ ص ٢٩٤ .

* الملائكة : الجماعة . ينظر : الحربي ، غريب الحديث ، ج ١ ص ١٣٣٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .

الشيعة الموالين للإمام (ت) كانت تتم في منزل مارية بنت سعد وهي امرأة من عبد القيس^(٥) ، وكان منزلها لهم موئلاً يتحدثون فيه^(٦) ، إضافة إلى ان خروجهم للإمام (ت) كان خروج أفراد بعدد الأصابع ، فقد ذكر الطبري^(٧) إن يزيد بن نبيط أراد الخروج إلى الإمام (ت) وكان له عشرة بنين ، فقال : أياكم يخرج معي فانتدب معه اثنين هما عبدالله وعبيدالله ، فقالا له أصحابه : نخاف عليك ابن زياد ، فقال : أني والله لفرقد استوت اخفافها بالجدد* لهان على طلب من طلبني .

ذكر قسم من المؤرخين^(٨) إن عبيدالله عندما جاءه أمر يزيد بن معاوية بالذهاب إلى الكوفة فإنه قد جمع أهل البصرة وخطب فيهم قائلاً " ... ، فوالله ما تقرن بي الصعبة ، ولا يقعق لي بالشنان* ، ... ، أنصف القارة*** من رامها ، يا أهل البصرة ، ... ، إياكم والخلاف والإرجاف ، فوالذي لا إله غيره ، لنن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه**** ووليه ، ولاخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي . "

نستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

٣. أن شخصية ابن زياد هي نفس شخصية أبيه ، وأنه يعيد نفس كلمات خطب والده في أهل البصرة عندما كان يقول لهم : " وأنني أقسم بالله لأخذن الولي بالولي ، والمقيم بالظاعن ، والمقرب بالمقرب " .

(٥) أبو مخنف ، لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ) ، مقتل الحسين (ت) ، تح ميرزا حسن الغفاري ، المطبعة العلمية ، (قم / ١٣٩٨هـ) ، ص ١٨ - أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .
(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .
(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٤ - أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .
*الجدد : الخطط والطرق تكون في الجبال . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢ ص ٣١٤ .
(٨) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٨ - أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٣ .
** هذا مثل يضرب به وهو البغض . ينظر : الجوهرى ، الصحاح ، ج ٥ ص ١٢٤٦ .
*** القارة : قوم رماة من العرب ، وقيل أنه التقى قاري وأسدي فقال القاري للأسدي ان شئت صار عتك وان شئت راميتك وان شئت سابتك فاختار الاسدي المراماة فقال القاري :

قد علمت سلمى ومن والاها
قد أنصف القارة من رامها

ترد أولاها على أخراها

ينظر : البكري ، فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، ج ١ ص ٢٠٥ - الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٢ - الزمخشري ، المستقصى من امثال العرب ، ج ٢ ص ١٨-١٩٠ .
**** العريف : وهو النقيب دون الرئيس ، وهو المسؤول عن جماعة من عشيرته أو قبيلته ، ومنه الحديث " فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم " والعريف هو القائم بأمر القبيلة والجماعة من الناس يلي أمورهم ويعتبر الأمير منه احوالهم . ينظر : الكوفي ، أبين أبي شيبه (ت ٢٣٥هـ) ، المصنف أبين أبي شيبه في الأحاديث والآثار ، تح سعي محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة ، (١٤٠٩هـ) ، ج ٦ ص ٢٦٦ - أبين سلامة ، القاضي أبو عبدالله محمد (ت ٤٥٤هـ) ، دستور معالم الحكم ، مطبعة محمد ، المكتبة الازهرية ، (قم / بلات) ، ص ٩٢ - العتبي ، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ) ، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، تقديم محمد أحمد خلاف ، ط ١ ، دار احياء التراث ، (بيروت / ٢٠٠٣م) ، ج ٢ ص ٣٦٧ .

والصحيح منكم بالسقيم" (٢) ، وكان غرضاهما من هذه الخطب والكلمات هو زرع اوبنة الخوف .

٤. عدم مخالفة نائب الوالي عثمان بن زياد وفي حالة المخالفة تكون العقوبة للمخالف وللولي والعريف ، أي ليس عنده للناس منزلة سواءاً كان كبيراً في قومه أو صغيراً .

وكان الامام (t) قد كتب الى اهل البصرة وأرسله بيد مولاهم سليمان فيه " أما بعد ، ... ، وكنا اهلنا واولياؤه واوصياه وورثته واحق الناس بمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، واحببنا العافية ، ونحن نعلم انا احق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، ... ، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وانا ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه (ë) ، فإن السنة قد أمُيتت وان البدعة قد أُحييت " (١) .

ونستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

٣. ان الامام (t) وضح انهم اهل بيت النبوة وهم احق بالخلافة من يزيد .
٤. دعوة اهل البصرة الى كتاب الله وسنة نبيه ، وهذا يدل لنا ان الخلافة الاموية غير شرعية
- وكان الامام (t) قد بعث بهذا الكتاب الى اشراف البصرة ، وكل من قرأ هذا الكتاب كتبه ألا المنذر بن الجارود* .

ولكن لماذا لم يكتب المنذر رسالة الإمام (t) ؟!

اختلف المؤرخون في ذلك فيرى البلاذري (٢) ان المنذر كان صديقاً له ، لكن الدنيوري (٣) يقول : ان المنذر لم يكتب الكتاب بسبب تزويجه ابنته هند من عبيدالله ، بينما يرى قسم منهم (٤) أنه خشي بزعمه ان يكون دسياسة من قبل عبيد الله ، ويرى أحد الكتاب المحدثين (٥) ان المنذر كان شديد الحذر من أبن زياد .

وفي رأينا ان الرأي الأول هو الأصوب لسبب واحد هو ان المنذر سبق له ان سلم الشاعر يزيد بن المفرغ الحميري الذي هجا أبن زياد في شعره من دون أي دفاع عنه (٦) .

وبعد ان علم أبن زياد من ابن الجارود ما كتبه الإمام (t) إلى اهل البصرة ، قدم الرسول فضرِب عنه وخُطب فيهم ما تم ذكره ، لكن كيف كان موقف أهل البصرة بعد ان تسلموا الكتاب وهم رؤساء الاخماس ويمثلون قبائلهم ؟!

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٢١٩ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٧ .

* المنذر بن الجارود : بشر بن عمرو بن حنيس بن المعلي بن يزيد بن الحارثة بن معاوية العبدي ، ولد في عهد رسول الله (ë) وشهد الجمل مع الامام علي (t) وولاه اصطخر ثم عزله بسبب عدم عدله . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج٤ ص١٣٨ - أبن الحاجب ، شرح الشافعية ، ج٤ ص٢١٥ - الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ص٦٩ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٨٤ .

(٣) الاخبار الطوال ، ص٤٣١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٥٧ - أبن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٣٧ - أبن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٣ - المقدم ، مقتل الحسين ، ص١٤٢ .

(٥) أسد حيدر ، مع الحسين في نهضته ، ص٩١ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣١٨ .

٤. الاحنف بن قيس

رد الاحنف بن قيس على كتاب الامام (ت) رداً يدعو به بالتمسك بالصبر ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْخِفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ))^(٧) ولم يزد على هذه الآية شيئاً^(٨) ، وعندما نتابع تاريخه فأننا سوف نجد بأنه تردد عن مناصرة الامام (ت) وهذه ليست بجديدة عليه حيث سبق ان وقف موقفه الضعيف مع الامام علي (ت) في معركة صفين ، عندما بعث اليه " اني مقيم على طاعتك في قومي فأنا شئت أتيتك في مائتين من اهل بيتي فعلت ، وان شئت حبست عنك اربعة الاف سيف من بني سعد " ، فقال له الإمام علي (ت) : " بل احبس وكف "^(٩) ، هذا فضلاً عن موقفه الاخر في فتنة عبدالله بن الحضرمي* بعد واقعة صفين الذي دعا الى نكث بيعة الامام علي (ت) حيث يقول الاحنف على ما دعا اليه الحضرمي رسول معاوية " أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل "^(١٠) .

٥. المنذر بن الجارود

وقد تم ذكر كيف أنه أفشى سر كتاب الامام (ت) إلى عبدالله بن زياد .

٦. يزيد بن مسعود النهشلي**

من شخصيات تميم المعروفة فإنه أحضر بني تميم وبني حنظلة وبني سعد فقال " اما معاوية فقد هلك فاهون به هالكا ومفقوداً فقد انكسر باب الجور ، ... ، وأنا اقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين افضل من جهاد المشركين "^(١١) .

وعلى ما يبدو فإن أهل البصرة كانوا منقسمين إلى ثلاث فئات أولها موالون للبيت الأموي حرصاً منهم على مصالحهم الشخصية كالمنذر بن الجارود ، وفئة ثانية تنتظر ما تصير إليه الأمور مثل الاحنف بن قيس والفئة الثالثة وهي الموالية للإمام (ت) متمثلة بيزيد بن مسعود .

لكن بالرغم من هذا كانت البصرة حالها حال الكوفة قد اصبحت بمرض الخوف الذي زرعه فيهم زياد بن أبيه ومن ثم بعده ابنه عبدالله وما قدوم شريك بن الاعور وعبدالله بن الحارث بن نوفل مع عبدالله

^(٧) سورة الروم ، آية ٦٠ .

^(٨) ابن نما الحلي ، جعفر بن أبي إبراهيم (ت ٦٤٥هـ) ، مثير الأحزان ، الناشر مؤسسة الإمام المهدي (عج) ، ط ٣ ، (قم / ١٤٠٦هـ) ، ص ٢٧-٢٨ .

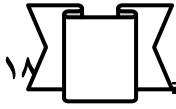
^(٩) الشيخ المفيد ، محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ) ، الجمل ، تح علي مير شريف ، ط ٢ ، مكتب الاعلام الإسلامي ، (قم / ١٣٧٤هـ) ، ص ٢٩٥ .

*عبدالله بن الحضرمي : هو عبدالله بن أبي مسلم الحضرمي ، صحابي له حديثان ويقال تابعي . ينظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ١ ص ٦٣٩ .

^(١٠) النقي ، الغارات ، ص ٢٦٣ .

**يزيد بن مسعود : يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل . ينظر : ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت ٢٦٦هـ) ، مسائل الإمام أحمد ، تح د. فضل الرحمن بن محمد ، ط ١ ن دار الكتب العلمية ، (داهي / ١٩٨٨) ، ج ٥ ص ٢٤١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤١ .

^(١١) ابن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص ٢٧-٢٨ - المكرم ، السيد عبدالرزاق ، مقتل الحسين (ت) ، ط ١ ، مطبعة غدير ، (١٤٢١هـ) ، ص ١٤٢ .



من البصرة الى الكوفة الا دليل على ذلك حينما اظهروا بأنهم عاجزون عن متابعة السير من البصرة الى الكوفة وسقوطهم في السير وأول من سقط هو شريك راجياً ان يقف اليهم أبن زياد ويسبقه الامام (t) الى الكوفة^(٤).

لكن لماذا كتب إليهم الإمام (t) وهم لم يكتبوا إليه ؟

اختلف المؤرخون في ذلك فيرى قسم منهم^(١) ان الامام اراد القاء الحجة عليهم ، لانه يدرك انهم غير مقاتلين ولا يحبون الحرب وهذا ما جعل الإمام علي (t) يصفهم " أهل المؤتفكة ، ويا جند المرأة واتباع البهيمة ، أحلامكم رقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وانتم فسقة مراق " ، ويرى السيد العاملي^(٢) بانها دعوة للجهاد مع الامام العادل ، ويرى السيد خالد^(٣) ان رسالة الإمام (t) توضح لنا كيف كان يعرف مسؤوليته ويمضي إليها ، بينما يرى السيد أبو سعيدة^(٤) ان الامام (t) هب لأقبار الانحراف وازالة الباطل الذي صار يهدد دوام الرسالة .

والذي يبدو أن الرأي الاول هو الاصول لسبب مهم هو ان الامام (t) قد وضع اليهم بأن هناك شروطاً للإمام يجب ان تتوافر فيه وبهذا فقد ذكر اهل البصرة بأنه قد القى الحجة عليهم .

^(٤) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ) ، نهائية الأرب في فنون الأدب ، تح محمد رفعت فتح الله ، الهيئة المصرية للكتاب ، (١٩٧٥) ، ج ٢٠ ص ٣٨٩ .

^(١) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص ٤٠٧ - الأبي ، أبو سعيد منصور بن الحسين (ت ٤٢١ هـ) ، نثر الثور ، تح عدة من الفضلاء ، دار النهضة العربية العامة ، (مصر / ١٩٨٩) ، ج ١ ص ٣١٥ - الخوارزمي ، موفق بن أحمد بن محمد (ت ٥٦٨ هـ) ، المناقب ، إعداد مالك المحمودي ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، (قم / ١٤١١ هـ) ، ص ١٨٩ .

^(٢) محمد بن الحسن الحر (ت ١١٠٤ هـ) ، وسائل الشيعة ، الناشر مؤسسة آل البيت (ع) ، (قم / ١٤٠٩ هـ) ، ج ١ ص ٤٥ .

^(٣) خالد محمد ، ابناء الرسول في كربلاء ، (بلات. ط.) ، ص ٦٥ .

^(٤) بلاغة الإمام الحسين ، ج ٢ ص ١٩٩ .

ثالثاً . موقف الإمام (t) من أهل الكوفة

٤. إرسال مسلم بن عقيل

بعد أن أرسل أهل الكوفة الرسائل إلى الإمام (t) تدعوه للمجيء إليهم ، أرسل إليهم أبن عمه مسلم^(١) ، الذي غادر مكة ليلة النصف من رمضان^(٢) ، وخرج في طريقه على المدينة فوصل في جامع الرسول (ﷺ) وطاف بضريحه ، وودع أهله وأصحابه وأتجه صوب العراق ومعه قيس بن مسهر الصيدائي وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي ، واستأجر من المدينة دليلين من قيس يدلانه على الطريق ، فأقبلوا به ، فضلاً عن الطريق وعطشوا ، فمات الدليلان من العطش وقالوا لمسلم : هذا الطريق إلى الماء ، فكتب مسلم إلى الحسين (t) وهو في مضيق الخبت* : إني ، ... ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا ، ... ، وقد تطيرت فأنت رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري " ، فكتب إليه الإمام (t) : أما بعد ، فقد خشيت إلا يكون عملك على الكتاب إلي في

(١) أبن عتبة ، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ١٧١ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٥٦ .

* مضيق الخبت : موضع بين مكة والمدينة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

الاستعفاء من الوجه الذي وجهته له إلا الجبن ، فامض لوجهك الذي وجهته له والسلام ^(٣) . فمضى مسلم في طريقه الى ان وصل الى الكوفة ^(٤) .

والذي يبدو بالرغم من وجود هذه الرواية الوحيدة عند المؤرخين إلا انها لا تخلو من بعض المسائل المهمة كان الغرض منها الخدش بشخصية مسلم بن عقيل وإعطاءه صفة الجبن التي لا تتوافق مع ما وصف به من شجاعة عند المؤرخين ومنها :

٥. يقول البلاذري ^(٥) ان مسلم بن عقيل كان أرجل** ولد عقيل وأشجعها فقدمه الإمام (t) إلى الكوفة حين كاتبه أهلها .

٦. ان الامام (t) كما ذكرنا وصف مسلم بأنه ثقتة من أهل بيته فكيف يكون ثقتة جباناً ؟

٧. وصف محمد بن الاشعث لمسلم عند ابن زياد " أيها الأمير أما تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كف بطل همام من آل خير الأنام " ^(٦) .

٨. أن مضيق الخبت يقع بين مكة والمدينة كما ذكره الحموي ، وقد نصت الرواية على انه استاجر

لدليلين من المدينة ، وخرجوا من المدينة الى العراق وأنه راسل الإمام (t) من مضيق

الخبت وذكر ما حلّ بالدليلين أي قبل وصوله إلى المدينة وهذا تناقض واضح فكيف يستأجر

مسلم الدليلين وهو لم يكن قد التقى بهم اصلاً لانه لم يصل الى المدينة بعد ، يقول السيد القرشي ^(١) " لو سلمنا ان هناك مكاناً يسمى بمضيق الخبت يقع ما بين المدينة والكوفة لم يذكره

الحموي ، فإن السفر منه إلى مكة لمقابلة الإمام (t) يستوعب زمناً يزيد على عشرة أيام ،

في حين أن سفر مسلم من مكة إلى العراق مع مروره بالمدينة وتوديعه إلى أهله قد حددته

المؤرخون بعشرين يوماً وهي أسرع مدة يقطعها المسافر فإذا استثنينا مدة سفر رسول من ذلك

المكان ورجوعه إليه وهو يقارب عشرة أيام على الأقل فيكون مجموع المدة في سفر مسلم عشرة أيام ويستحيل ان يقطع الطريق من مكة الى الكوفة بعشرة أيام " .

٥. أهل الكوفة ومبايعتهم لمسلم بن عقيل

(٣) أبو مخنف ، مقتل الحسين ، ص ١٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١-٢٢ .

(٤) ابن تيمية ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، رأس الحسين (t) ، تح د. السيد الجميلي ، (بلات. ط.) ، ص ٢٠٠ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٧٧ .

**أرجل : أكمل الرجال وأشدهم وأقواهم . ينظر : إلى هامش أنساب الأشراف للبلاذري ، ص ٧٧ .

(٦) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٥٢ .

(١) مسلم بن عقيل ، ص ١١٨ .

بعد أن وصل مسلم بن عقيل وجماعته الكوفة ، نزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي* ، بسبب وصية الإمام (ت) له حينما قال " فأنزل عند أوثق أهلها وأدع الناس طاعتي " (١) ، وهذا يجعلنا نقول بأن المختار هو من أبرز رجال الشيعة في الكوفة آنذاك ، هذا فضلاً عن وجود سبب آخر لاختياره دار المختار هو علاقة المصاهرة التي تجمع المختار مع والي الكوفة النعمان بن بشير الانصاري كونه زوجاً لابنته عمرة (٢) ، وبهذا أصبح دار المختار مركزاً سياسياً مناهضاً للدولة الاموية .

أما موقف أهل الكوفة من مسلم فذكر أغلب المؤرخين (٣) بأن الشيعة من أهل الكوفة كانوا يأتون مسلماً وهو يقرأ عليهم كتاب الإمام (ت) وهم يكونون وكان مسلم يوصي بتقوى الله تعالى وكتمان أمره حتى يقدم إليهم الإمام (ت) بناءً على طلب الإمام (ت) (٤) ، وانتالت الجماهير على مسلم تباعه ، فباعه ثمانية عشر ألف من أهل الكوفة (٥) ، وكان حبيب بن مظاهر يأخذ البيعة له (٦) .

أما موقف والي الكوفة إزاء هذه الأحداث فيذكر قسم من المؤرخين (٧) أنه سعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال " أما بعد ، فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء ، ... ، أني لم أقاتل من لم يقاتل ، ولا أثب على من لا يثب علي ، ولا أشاتمكم ولا أتحرش بكم ، ولا أخذ بالعرف ولا الظنة ولا التهمة ، ولكنكم أن أبيتكم صفحتكم لي ونكتم ببيعتمكم وخالفتم إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لا ضرينكم بسيفي ، ... ، أما أني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرون الباطل " ، والذي يبدو ان موقف الوالي كان موالياً لمسلم بن عقيل وأنه لم يرد بكلمته " نكتم ببيعتمكم وخالفتم إمامكم " (٨) إلا التمويه على العامة بصورة خلاصة يذكر بها البيعة ليزيد وأنه إمام لا تجوز مخالفته وإلا فهو جد عليم بأن ما رماه من القول لا صلة له بالحقيقة لولا تأليفه (٩) . أليس هو القائل : " أن ابن رسول الله أحب إلينا من ابن بحدل " (١٠) ، وما يؤكد هذا ما قاله عبدالله بن مسلم الحضرمي وهو من الموالين واحد العيون والجواسيس للأمويين في الكوفة " أنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم ان هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين " (١١) ، فإنه أراد استفزاز النعمان الذي أجابه " لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قوياً في معصية الله وما

*المختار بن أبي عبيد الثقفي يكنى أبا إسحاق ولد عام الهجرة وليست له صحبة ولا رؤية وأخباره كانت غير مرضية ، حكاها عنه الشعبي . ينظر : الحموي ، المقضب ، مج ١ ج ٢ ص ١٦٤ - ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ص ٣٣٦ - ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ ص ٣٤٩ - .

(١) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٣١ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ص ٧٢ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٥ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٣٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .
(٥) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(٦) القاضي نعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ٢٤٥ .
(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .
(٩) المقدم ، السيد عبدالرزاق ، مسلم بن عقيل ، ط ١ ، دار الأضواء للنشر ، (بيروت / ٢٠٠١) ، ص ٩١ .

*أبن بحدل : حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة ، أبو سليمان الكلبي ، زعيم بني كلب ومقدمهم ، شهد صفين مع معاوية وكانت له منزلة عند بني أمية كونه خال يزيد بن معاوية . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١٣ ص ٣١٦ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ١٧٦ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، مج ١ ج ٢ ص ١٨٢ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

كنت لأهتك سترأ ستره الله ^(٦) ، وبهذا دافع النعمان عن نفسه بأنه لا يعتمد على أية وسيلة تبعده عن الله تعالى وتتجافى مع دينه ، واستبان للحزب الأموي ضعف سياسة النعمان وبموقف النعمان هذا أعطى للشيعة الموجودين في الكوفة قوة وزخماً شجعهم على العمل ضد يزيد وربما كان هذا الموقف يعود بسبب أن النعمان كان ناقماً على يزيد وذلك لبغضه وكراهيته للأنصار ، فقد أغرى يزيد الشاعر المسيحي الأخطل بهجائهم ^(٧) .

٦. دور الحزب الأموي في الكوفة

فزع الحزب الأموي من تجاوب الرأي العام مع مسلم بن عقيل وأتساع نطاق الحركة ، في حين أن السلطة المحلية في الكوفة قد غضت النظر عن مجريات الأحداث واتهمت بالضعف أو التواطؤ مع الحركة . لذلك كتبوا إلى السلطة الأموية في الشام ، فكان أول من كتب إلى يزيد بن معاوية عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي ^(١) يخبره بالأوضاع السياسية في الكوفة : " أما بعد ، فأن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعه الشيعة للحسين بن علي ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف " ^(٢) ، ثم كتب إليه عمار بن عقبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص * بمثل ذلك ^(٣) .

وبعد وصول هذه الرسائل من شيعته *** من أهل الكوفة تخوف يزيد أكثر مما كان ، بسبب بروز الكوفة كمصر آخر موالٍ ومناصر للإمام (ت) فضلاً عن مكة التي كانت تمثل هماً آخر من همومه ، فراودته الهواجس وظل ينفق ليله ساهراً فهو يعلم أن العراق مركز القوة في العالم الإسلامي آنذاك لذلك دعا يزيد سرجون بن منصور الرومي **** وكان كاتباً لمعاوية ^(٤) ، فقال له : " ما رأيك ، فأن حسيناً قد توجه نحو الكوفة ومسلم بن عقيل يبايع للحسين ، وقد بلغني عن النعمان ضعف واعطني رأيك فـ _____ يمين أضـ _____ عـ _____ "

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

(٧) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ١ ص ١٢١ .

(١) أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ .

* عمار بن عقبة : عمار بن عقبة بن كديم بن عدي بن حارثة عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك قتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ . ينظر : أبين سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٢٦٢ .

** عمر بن سعد : عمر بن سعد بن أبي وقاص بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، قاتل الإمام (ت) ، قتله المختار بن أبي عبيدة الثقفي . ينظر : أبين حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ) ، الوزراء والكتاب ، تخ عبد الله إسماعيل الصاوي ، ط ١ ، مطبعة عبد الحميد أحمد ، (مصر / ١٩٣٠) ، ص ١٥-١٩ - أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ - أبين كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٥ - .

*** شيعته : الشيعة أي أوليائه وأنصاره ، وأهل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى علياً وأهل بيته (ت) حتى صار لهم اسماً خاصاً فإذا قيل فلان من الشيعة عُرف أنه منهم . ينظر : أبين منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٢٥٠ .

**** سرجون بن منصور الرومي : كان على ديوان الخراج في عهد معاوية وبقي على نفس الديوان في عهد يزيد بن معاوية . ينظر : الجهشياري ، ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥-١٩

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٨٢ - القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج ١ ص ٦٩ .

الكوفة" (٥) ، وكان يزيد عاتباً على عبيدالله بن زياد وغير مرتاح منه وأراد عزله من البصرة وذلك لمعارضة أبيه زياد البيعة له (٦) ، فقال سرجون : " أرأيت معاوية لو نشر إليك أكنت أخذاً برأيه ، قال : نعم ، فأخرج عهد عبيدالله بن زياد على الكوفة فقال هذا رأي معاوية " (٧) ، لذلك استجاب يزيد لسرجون من أجل الحفاظ على ملكه ، فعهد له بولاية البصرة والكوفة معاً (٨) .

ولكن لماذا أختار يزيد عبيدالله بن زياد دون غيره ؟

اختلفت الآراء في ذلك فيرى البلاذري (١) أن سرجون كان كاتبه وانيسه لذلك أخذ برأيه بينما يرى قسم آخر من المؤرخين (٢) أن اختياره لعبيدالله جاء بناءً على عهد من أبيه إليه قبل وفاته ، لكن ابن عدي (٣) يقول أن اختياره لعبيدالله بن زياد جاء بعد استشارة أهل الشام في ذلك ، ولكن المستشرق فلهاوزن (٤) يرى أن سبب اختياره كونه شخصاً أقل تحفظاً وورعاً ، بينما يرى السيد أسد (٥) أن اختيار سرجون لعبيدالله بسبب أنهما من عقيدة مجوسية ، ويرى الشيخ القرشي (٦) أن سبب اختيار عبيدالله كونهم يعرفون قساوته وبطشه وأنه لا يقوى على إخضاع العراق إلا هو ، ويرى السيد الصدر (٧) أن يكون سرجون كاذباً وإنما يريد أن يخدع يزيد لأجل تنفيذ أغراضه التي يدركها أجماً .

والذي يبدو بأن الرأي الثاني هو الصائب بسبب اتفاق أكبر عدد من المؤرخين عليه ، فضلاً عن احتياج يزيد آنذاك إلى رجل ذي سياسة ظالمة وبطش ضد رعيته ، فلم يكن هناك أفضل من عبيدالله بن زياد مطيعاً لأوامره .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٥ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٨٢ - الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص ١٩ - النويري ، نهاية الأرب ج ٢ ص ٣٨٨ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٨٢ - الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٤ .

(١) انساب الاشراف ، ج ٤ ف ٢ ص ٨٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٥ .

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٧٧-٣٧٨ .

(٤) يوليوس ، الخوارج والشيعية ، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي ، ط ٢ ، (الكويت / ١٩٧٦) ، ص ١٢١ .

(٥) مع الحسين في نهضته ، ص ٨٩ .

(٦) مسلم بن عقيل ، ص ١٢٦ .

(٧) محمد محمد صادق ، شذرات من فلسفة تاريخ الامام الحسين (ع) ، تح الشيخ أسعد الناصري ، دار الاضواء للنشر ، (بيروت / ١٤٢٣ هـ) ، ص ٢٦٩ .

مربعاً . ابن زياد ومهمته تجاه مسلم

٥. ابن زياد ومكره مع أهل الكوفة

بعث يزيد الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي* ، وعندما تسلم ابن زياد العهد بولاية الكوفة من الباهلي^(١) ، طار فرحاً ، فقد تم له الحكم المطلق على جميع أنحاء العراق بعدما كان مهدداً بالعزل عن ولاية البصرة ، هذا فضلاً عن تخويله الحكم المطلق من حكومة دمشق بإباحة الشدة والقسوة وسفك الدماء لكل من يقف بوجه يزيد وبالأذات مسلم بن عقيل ، " فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب أين عقيل كطلب الخرزة حتى تتثقفه ** فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام " ^(٢) ، وهي إمارة الاستكفاء*** التي اعتاد بنو أمية إعطاءها لجميع قادتهم على أهل العراق ^(٣) .

خرج ابن زياد من البصرة وأستخلف أخاه عثمان بن زياد^(٤) ، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وانتخب من أهل البصرة خمسمائة رجل فيهم عبدالله بن الحارث**** وشريك بن الأعور***** وهما من شيعة الإمام علي (ت) لمكانتهم في نفوس الشيعة من أهل الكوفة^(٥) .

*مسلم بن عمرو : مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخضير بن قضاعي بن هلال بن وائل ، أبو قتيبة بن مسلم تمت ترجمته عن طريق ترجمة ابنه قتيبة. ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ١ ص ٢٧٥ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ص ١٨٩ .

^(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٧٨ - المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٤ ص ٣٣٧ .

**تثقفه : تظفر به . ينظر : هامش الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

^(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٥ .

***إمارة الاستكفاء : هي الإمارة التي تتعقد عن اختيار الخليفة ليس اضطراراً وتشمل سبعة أمور . ينظر : الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٩٢ .

^(٣) الخربوطلي ، علي حسني ، الحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة / بلات) ، ص ٣٦ .

^(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٨ .

كان عبيدالله بن زياد يسارع أنصاره بالوصول إلى الكوفة وبعد أن تساقط أنصاره ومولاه مروان^(١) ، نزل عبيدالله فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن ، ثم اعتجر ***** بمعجزة يمانية فركب بغلته ثم انحدر راجلاً وحده فجعل يمر بالمجالس ، فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الإمام (t) فيقولون له : مرحباً بك يا ابن رسول الله ، وجعل لا يكلمهم ، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم^(٢) لاستقباله والترحيب به ، والذي يبدو أن عبيدالله كان قد تهيأ لدخول الكوفة واعد العدة لذلك خاصة بعد ان عرف طبيعة الأوضاع في الكوفة من خلال مسلم الباهلي ، لذلك جلب معه ملابس مشابهة إلى ملابس أهل البيت (i) من أجل خداع الناس وخاصة الشيعة منهم لكي لا يقتلوه^(٣) ، وفعلاً استطاع النجاح في ذلك لأنه لم يجب الناس عند السلام عليه وهذا ما يجعلنا نشكك من تصرفاته بأمرين هما :

٣. أنه كان حريصاً على عدم معرفة الناس له سواء من خلال الملابس أو من خلال عدم الرد على السلام عليه .

٤. أنه ربما كان يستحقر الناس فلم يرد عليهم ، لكن الذي يبدو بأنه كان يرمي ليس خداع الناس فقط بل حتى خداع النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة عندما كلمه فقال : " أنشدك الله إلا تحيي

عني ، ما أنا بمسلم إليك أمانتي " ^(٣) .
كما يتضح لنا ان ابن زياد قد عرف طريقة خداع أهل الكوفة ودخوله إليهم ، وانه يعلم بطرقها وأبوابها وإلا كيف استطاع من دخولها وما يعزز هذا الكلام ان زياد بن ابيه قد حكم الكوفة فترة ثلاث سنوات (٤٩ - ٥٣ هـ / ٦٧٢ م - ٦٧٩ م) ، وهذه الفترة يمكن ان تُعرف عبيدالله على أشرف الكوفة هذا فضلاً عن معرفته بطرقها ومساكنها^(٤) .

٦. سياسة ابن زياد بعد أن وصل إلى الكوفة

*****عبدالله بن الحارث : عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ويلقب ببه وهو الذي اتفق عليه أهل البصرة في قتلهم بعد وفاة يزيد بن معاوية . ينظر : أبن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٧٠ .
*****شريك بن الاعور : شريك بن الحارث بن عبد يغوث بن خلف بن سلمة بن دهي المذحجي ، شهد الجمل وصفين مع الامام علي (t) ، وهو من اخيار الشيعة في البصرة . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٧٩ - ابن مأكولا ، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥ هـ) ، اكمال الكمال في رفع الارتياح ، تح نايف عباس ، دار الكتاب الإسلامي ، (القاهرة / بلات) ، ج ٣ ص ٤٠٠ .

^(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٩ - أبن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٤ .

^(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٩ .

*****اعتجر : لبس قطعة قماش على رأسه . ينظر : أبن الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ١٧ ص ٢٠٦ .

^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٩ - أبن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (t) ، ص ٣٢ - أبن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٤ - أبن شهر آشوب ، مجد (ت ٥٨٨ هـ) ، مناقب آل أبي طالب ، مؤسسة العلامة للنشر ، (قم / ١٣٧٩ هـ) ، ج ٣ ص ٢٤٢ .

^(٢) الراوي ، ثابت اسماعيل ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١١٨ .

^(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٠ - أبن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٤ .

^(٤) الصدر ، شذرات من فلسفة تاريخ الامام الحسين (t) ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .

بعد ان دخل ابن زياد قصر الأمانة وفي الصباح أمر بجمع الناس في المسجد الأعظم فأسرعت الناس إليه وقد خيم عليهم الفرع والذعر وخرج إليهم متقلداً سيفه ومعتملاً بعمامة فخطب قال : " أما بعد ، فأن أمير المؤمنين أصلحه الله ، ولاني مصركم وثغركم وفيئكم ، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم ، فانا لمطيعكم كالوالد البر الشفيق وسيفي وسوطي على من ترك أمري ، وخالف عهدي ، فليبق امرؤ على نفسه ، الصدق ينبيء عنك لا الوعيد " (٥) .

ونستنتج من هذا ان ابن زياد قد حدد منهاج عمله في الكوفة وكانت فيها الأمور الآتية :

٤. إعلام أهل الكوفة بولايته على مصرهم ، وعزل النعمان بن بشير الأنصاري عنها .
٥. إمارة ابن زياد وكانت إمارة استكفاء مطلق في جباية الخراج وتفويض له في الفيء والعطاء .
٦. إعلام أهل الكوفة بأن السيف هو مصير كل من يخالف سياسة يزيد بن معاوية والذي يبدو أن ابن زياد لم يحدد واجبه المهم وهو قتل أو نفي مسلم بن عقيل وهناك سببان مهمان لهذا :
ت. انه يعرف عدد المبايعين لمسلم بن عقيل والذين كانوا قادرين على مواجهته وإفشال دوره في قيادة أهل الكوفة نحو السلطة الأموية وقد اعلمه يزيد بذلك (١) .

ث. أن المبايعين للإمام (ت) كان أغلبهم من الشباب لذلك خاف الانتفاضة والخروج عليه ومما يدل على أن أغلبهم من الشباب هو أن المرأة كانت تأتي أبناً أو أخاً أو زوجها تقول له الناس يكفونك (٢) .

وكانت لهذه الخطبة أثرها الواضح في استفزاز الناس فقام إليه أسد بن عبدالله المري* وقال : أن الله تبارك وتعالى يقول : ((أَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّ أُخْرَى)) (٣) ولم يجبه بن زياد عن ذلك مع انه قد وقف ضد نهجه وهذا يدل لنا على تخوفه من أهل الكوفة أول مجيئه .

ثم حدد منهاج عمل العرفاء في الكوفة من خلال خطبته فيهم فقد ذكر أبو مخنف الأزدي (٤) " فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً ، فقال اكتبوا إلى الغرباء ، ومن فيكم من طلبه أمير المؤمنين ، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب ، الذين رأيهم الخلاف والشقاق ، فمن كتبهم لنا فبريء ، ومن لم يكتب لنا احد فيضمن لنا ما في عرافته إلا يخالفنا منهم مخالف ، ولا يبغى علينا منهم باغ ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة ، وحلال لنا ماله وسفك دمه ، وإيما عريف ، وجد من عرافته من بغيه أمير المؤمنين احد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره ، وألغيت تلك العرافة من العطاء ، وسير إلى موضع بعمان الزارة " (٥) .

وأحتوى منهاج عمل ابن زياد الأمور الآتية :

٥. الكتابة إلى عبيدالله عن الغرباء الذين يأتون إلى الأمصار لأنه كان لديهم سجلات عامة فيها أسماء الرجال والنساء والأطفال .
٦. تحديد الناس في الكوفة ، أهم إتباع يزيد بن معاوية أو ضده ؟

(٥) الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) ، مقاتل الطالبين ، تح السيد أحمد صقر ، ط ١ ، مطبعة عترة ، (إيران / ١٤٢٥هـ) ، ص ١٠٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٨ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣١ .

*أسد بن عبدالله المري : لم أجد ترجمته .

(٣) سورة النجم ، آية ٣٨ .

(٤) مقتل الحسين (ت) ، ص ٢٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٩ .

**الزارة : الأجمة ، أجمة القصب ، وهي مأوى الأسد . ينظر : البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ٢ ص ٦٩٢ .

٧. تحميل العريف مسؤولية ما موجود في عرفته من الغرباء إن لم يكتب وبذلك يكون حق لابن زياد صلبه على باب داره .

٨. اعتماد أهل الكوفة على العطاء بسبب قلة المهن والحرف الصناعية إذ أغلبهم فقراء يعتمدون على الحرب كوسيلة للعيش لذلك لجأ ابن زياد إلى نقطة الضعف هذه عندهم هذا فضلاً عن أن العريف قد ينفي إلى منطقة ليس فيها سوى زئير الأسد والذي يتضح بأن عبيدالله قد حدد سياسته بالعراق (البصرة والكوفة) باتصاله بالعرفاء كونهم يعرفون قبائلهم جيداً وبذلك سهلت عليه الأمور في قيادتهم .

أما بالنسبة لمسلم بن عقيل فبعد أن سمع بمجيء عبيدالله ومقاتله التي قالها ، وما أخذ به العرفاء والناس ، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هاني بن عروة المرادي* فدخل بابه^(١) ، ويبدو أن سبب اختياره لدار هاني بن عروة أنه لم يكن عنده قوة تحميه لذلك لجأ إلى هاني كونه سيد مصر وزعيم مراد ، وعنده من القوة ما يضمن حمايته وحماية أنصاره ، فقد ذكر قسم من المؤرخين^(٢) " إذا ركب يركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل ، وإذا أجابته أحلافه من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع " ، هذا فضلاً عن كونه أكبر مشايخ الكوفة سناً وشأناً^(٣) ، وليس مثلما يقول قسم من المؤرخين^(٤) من أنه ثقل على هاني استجارة مسلم به ولولا دخوله داره لرغب هاني في الخروج منه ، لأن هناك من الأمور ما يحمل على رفض هذه الرواية ، فيقول القرشي^(٥) أن مسلم لو شعر بعدم الرضا والقبول من هاني لما ركن إليه وتخرج من دخول داره وذلك لما توافرت في مسلم من الطاقات التربوية الدينية التي تصده من الالتجاء إلى من يكره وفادته ، مضافاً إلى ما عرف به مسلم من الشمم والإباء الذي يبعده كل البعد من أن يفرض نفسه على أحد لا يرغب فيه . ثم كيف أن الشيعة تذهب إليه وتبایعه وهو في دار هاني الذي أواه مجبراً^(٦) ، ثم تثبت الأيام التي مر بها هاني واعتقاله أنه رفض أوامر ابن زياد بأن يذهب ويجلب له مسلم فقال هاني : " والله لا أجيبك أبداً ، أنا أجيبك بضيقي تقتله " ^(٧) ، هذا فضلاً عن ما ذكره ابن كثير^(٨) أن هاني قال لعبيدالله : " والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه " ، وقد ضربه ابن زياد وتحمل هاني الضرب من أجل عدم خيانة مسلم بن عقيل .

٧. التجسس على مسلم

*هاني بن عروة : هاني بن عروة بن تمران بن عمرو بن قعاس بن عبد يغوث بن مخدش بن عصم بن مالك بن عرف بن ناجية . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٤٠٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٦ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص٤٠ - المسعودي ، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح السيدين أبي ليلي ، المكتبة التوفيقية ، (مصر / بلات) ، ج٣ ص٦١ - المشهدي ، محمد بن جعفر (ت٦٠٠هـ) ، فضل الكوفة ومساجدها ، تح محمد سعيد الطريحي ، دار المرتضى للنشر ، (بيروت / بلات) ، ص٨٧ .

(٣) الاسفرايني ، أبو إسحاق ، نور العين في مشهد الحسين (ع) ، مطبعة المنار ، (تونس / بلات) ، ص٢٣ - البراقي ، السيد حسين بن أحمد ، (ت - هـ) ، تاريخ الكوفة ، تح محمد صادق بحر العلوم ، ط٤ ، دار الاضواء ، (بيروت / ١٤٠٧) ، ص٢٩٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٥ .

(٥) مسلم بن عقيل ، ص١٣٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٠ - ابن نما الحلي ، مثير الاحزان ، ص٢٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٦ .

(٨) البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٧ .

أن أول بادرة سلكها ابن زياد هي التجسس على مسلم ومعرفة جميع نشاطاته السياسية والوقوف على نقاط القوة والضعف عنده وقد اختار لهذه المهمة مولاه معقل التميمي^(١) ، وكان ابن زياد قد دعاه وأعطاه ثلاثة آلاف درهم ، وقال له اطلب مسلم بن عقيل ، وأطلب لنا أصحابه ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف فقل لهم " استعينوا بها على حرب عدوكم ، وأعلمهم أنك منهم ، فأنتك لو قد أعطيتها إياهم اطمئنوا إليك ، ووثقوا بك ، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم " ^(٢) .

نستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

٣. خداع أنصار مسلم بن عقيل بالأموال ، وهذه الخديعة لها مدلولان هما :
 أ. افتقار مسلم بن عقيل وأنصاره إلى الأموال
 ب. عدم سرية عمل مسلم بن عقيل وإلا كيف يقول ابن زياد لمولاه اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايعه أهل الكوفة^(٣) .
٤. أن وصية ابن زياد لمعقل فيها من اليقظة الشيء الكثير وهي أن دلت علي شيء فأنها تدل على معرفته بطبائع مجتمع الكوفة الاجتماعي والاقتصادي وهذا غير بعيد عنه لأنه حكم البصرة من سنة (٥٣-٦٠ هـ / ٦٢-٦٧٩ م) وهذه الفترة تكفيه لمعرفة أطباع أهل الكوفة بسبب الترابط القبلي الموجود بين القبائل الموجودة في المصريين^(٤) .
- كما لا ننسى أن اختيار ابن زياد لمعقل لهذه المهمة تدل على خبرته بالطبيعة النفسية لأهل الكوفة ولمعقل معاً وقد اثبت معقل بأنه خير صنيع له بانتحال صفة احد الموالى لذي الكلاع ومن أهل الشام لكي ينفي الشك والريب عنه^(٥) .

وقام معقل بالتمثيل والتمسك بأنه من محبي أهل البيت (i) ^(٦) . وتردد إلى المسجد فنظر إلى رجل يكثر الصلاة فقال في نفسه " أن هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة واحسب هذا منهم " ^(٧) ثم قرب معقل منه وبعد الانتهاء من صلاته قال لمعقل له " جعلت فداك أي رجل من أهل الشام ، مولى لذي الكلاع ، ... ، ومعني ثلاثة آلاف درهم ، أحب إيصالها إلى رجل منهم ، بلغني انه قدم هذا المصر داعية الحسين بن علي ، ... ، فهل تدلني عليه لأوصل هذا المال إليه ، ليستعين به على بعض أموره ، ويضعه حيث أحب من شيعته " ^(٨) ، قال له الرجل " وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيري ممن في المسجد " ^(٩) ، قال " لأنني رأيت عليك سيما الخير ، فرجوت ان تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله (ع) " ^(١٠) ، قال له الرجل " ويحك ، قد وقعت علي بعينك " ^(١١) . وبهذه الكلمات استطاع معقل

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٦ .

(٢) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (t) ، ص٣١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٢ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ص٣٥٠ .

(٤) ل. ماسينيون ، خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة تقي محمد المصبيعي ، مطبعة العرفان ، صيدا ، (بيروت / ١٩٣٩ م) ، ص٣٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣١٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٥ .

(٧) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٣٥ .

(٨) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٣٥ .

(٩) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٣٥ .

(١٠) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٣٥ .

خداع مسلم بن عوسجة* وان يعترف له بأنه من شيعة أهل البيت ولم يعمل بشكل علني خوفاً من ابن زياد وطلب مسلم بن عوسجة من معقل ان يكتم هذا عن جميع الناس^(٥).

وبهذا استطاع معقل الوصول إلى إخبار مسلم بن عقيل بل حتى الدخول عليه وما يؤخذ على مسلم بن عوسجة أنه وثق بمعقل من دون ان يعرفه بشكل جيد هذا فضلاً عن عدم فطنته مع أصحابه على فترة مكوث معقل يومياً في دار هاني فكان أول القوم دخولاً وآخرهم خروجاً^(٦)، إضافة إلى ان المحاورات والمناقشات في أمورهم السياسية كانت تجري أمامه من دون ريبية، وقد دفع هاني ثمن ذلك عندما قال له ابن زياد " جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، ... ، وأبى هاني إلا مجاهدته ومناكرته، فدعا ابن زياد معقلاً، ... ، أتعرف هذا، قال: نعم " ^(٧) هذا فضلاً عن نقله كل الأخبار التي دارت في دار هاني بن عروة فقد ذكر ابن الأثير^(٨) ان معقل بعد خروجه من دار هاني يذهب إلى ابن زياد آخر الليل ليطلععه على آخر الأخبار.

٨. مسلم والغدر

يذكر قسم من المؤرخين^(٩) في مرض هاني بن عروة، جاء عبيدالله عائداً له، فقال له عمارة بن عبد السلولي: " إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية فقد أمكنك الله قتله فأقتله، قال هاني: ما أحب ان يقتل في داري ". والذي يبدو ان هاني كره قتل ابن زياد في داره وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على تمسكه بالعادات العربية التي لا تبيح قتل الضيف والقاصد إليها في بيوتها بالرغم مما يحمل القادم من صفات غدر ومكر.

وبعد أسبوع مرض شريك بن الأعور مرضاً شديداً في دار هاني بن عروة، فانتهى خبره إلى ابن زياد، فأرسل إليه رسولاً يعلمه انه آت لعيادته، فاعتم شريك هذه الفرصة فقال لمسلم: " إنما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنك الله منه وهو صائر الي ليعودني، فقم فادخل الخزانة حتى إذا أطمأن عندي فأخرج إليه فاقتله ثم صر إلى قصر الإمارة، فاجلس فيه فإنه لا ينازعك فيه احد من الناس، وأن رزقني الله العافية صرت إلى البصرة فكفيتك أمرها، وبائع لك أهلها " ^(١٠). ثم اختلفت الآراء فيما بينهم على قتل ابن زياد وكره هاني ان يقتل ابن زياد في داره، وأجابه شريك بأن قتله قربان إلى الله وقال لمسلم لا تقصر في ذلك^(١١). وبينما هم في الحديث وإذا بابن زياد وحاشيته على

(٤) الدنيوري، الاخبار الطوال، ص ٢٣٥.

* مسلم بن عوسجة: مسلم بن بني سعد بن ثعلبة السعدي يكنى بأبي جعل، من ابطال العرب المشهورين، وهو من اصحاب الإمام علي (ع). ينظر: القاضي، المغرب في شرح الاخبار، ج ٣ ص ٢٤٥ - الزبيدي، تاج العروس، ج ٧ ص ٢٥٢ - الزركلي، الاعلام، ج ٧ ص ٢٢٢.

(٥) الدنيوري، الاخبار الطوال، ص ٢٣٦.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٦٤.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٢٨ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٧.

(٨) الكامل، ج ٤ ص ٢٧.

(٩) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٢٦.

(١٠) الدنيوري، الاخبار الطوال، ص ٢٣٤.

(١١) الدنيوري، الاخبار الطوال، ص ٢٣٤.

الباب ، فقام مسلم ودخل الخزانة مختفياً فيها ، ودخل ابن زياد فجعل يسأل شريكاً عن مرضه وشريك يجيبه ، ولما أستبطأ شريك خروج مسلم جعل يقول :

ما الانتظار بسلمي ان تحيوها حيوا سلمى وحيوا من يحييها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها^(٣)

ورفع صوته ليسمع قائلاً " لله أبوك ! اسقنيها وأن كانت فيها نفسها "^(٤) قال ذلك مرتين أو ثلاث مرات فقال ابن زياد : " هو لا يفتن ما شأنه أترونيه يهجر ، فقال له هاني : نعم ، احلمك الله ، ما زال هكذا قبل غياب الشمس إلى ساعتك هذه "^(٥) . وفطن مهران مولى لابن زياد إلى ما دبر لسيدته ، فغمزه ونهض به سريعاً ، فقال له شريك : أيها الأمير ، أني أريد أن أوصي إليك ، فقال ابن زياد : " سأعود "^(٦) والتفت مهران وهو مذعور إلى ابن زياد فقال : " ان القوم أرادوا قتلك "^(٧) فبهر ابن زياد من ذلك .

وبعد خروجه من دار هاني بن عروة أعتذر مسلم من شريك^(٨) ، وعندما سأل شريك مسلماً : ما منعك من قتله ، فقال مسلم : " منعني منه خصلتان : أحدهما كراهية هاني لقتله في منزله والأخرى قول رسول الله (ﷺ) " أن الإيمان قيد الفتك ، لا يفتك مؤمن "^(٩) ، رفض مسلم سياسة الغدر لأي شخص لأنه اعم من الفتك^(١٠) ، هذا فضلاً عن ان إيمان مسلم يمنعه سفك الدم الحرام^(١١) .

فقال شريك : " أما لو قتلته لجلست في القصر لم يستعد منه احد وليكفينك أمر البصرة ، ولو قتلته لقتلت ظالماً فاجراً "^(١٢) ، وبعد ثلاثة أيام توفي شريك وصلى عليه ابن زياد وعندها علم أن شريك في كلامه كان يحرض مسلم على قتله فعندها أقسم ابن زياد على ان لا يصلي على جنازة من أهل العراق^(١٣) .

والسؤال أن أراد شريك قتل ابن زياد لماذا يرسم خطة ويطلب من مسلم تنفيذها ولا ينفذها هو نفسه ؟ ولماذا لم يقتله شريك في أثناء مسيره معه من البصرة إلى الكوفة ؟ وللإجابة عن السؤال الأول وجهان ، الوجه الأول : ان الرواة يذكرون ان شريك كان مريضاً مرضاً شديداً وهذا سبب كاف لعدم استطاعته قتله والوجه الثاني : ان مسلم بن عقيل هو رسول الإمام (t) إلى أهل الكوفة وهو صاحب الأمر بأخذ البيعة للإمام وتصفية الخصوم وبذلك فهو الأجدر بقتل ابن زياد . أما الإجابة عن السؤال الثاني فلا يخفى أن ابن زياد عند مجيئه من البصرة كان معه خمسمائة رجل وقتله في ذلك الوقت يعد انتحاراً لأنه لا يسلم ان يقتل بعد ذلك من حاشية وشرطة ابن زياد هذا إذا كان مستطاعاً قتله وهو مع

(٣) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠١ .

(٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠١ .

(٥) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(٧) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(٨) الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، تنزيه الانبياء ، ط ٢ ، دار الاضواء ، (بيروت / بلات) ، ص ٢٢٨ .

(٩) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ - الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، المجازات النبوية ، تح طه محمد ، مكتبة بصيرتي ، (قم / بلات) ، ص ٣٥٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ يذكر ضد بدلاً من قيد .

(١٠) العاملي ، جعفر مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ط ١ ، دار الهادي ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ج ٦ ص ٤٤ .

(١١) الشريف المرتضى ، تنزيه الانبياء ، ص ٢٢٨ .

(١٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(١٣) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٣٣ - الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٧ .

حاشيته وجنوده . هذا هو جواب السؤالين إلا أنه لا يمكن الجزم بذلك لأنه ربما تكون المصالح الشخصية لأشراف البصرة والكوفة ومن ضمنهم شريك حافزاً آخر في عدم دخول هذه المجازفة الخطيرة كـ _____ون شـ _____ريك كـ _____ان واليـ _____اً لكرمـ _____ان سنة ٥٩هـ / ٦٧٨م^(٣) .

يبقى سؤال آخر إذا كان معقل مولى أبين زياد أول القوم دخولاً وأخرهم خروجاً لدار هاني بن عروة لماذا لم يتم أخبار أبين زياد بمحاولة قتله ؟ وللجواب عن هذا السؤال يذكر الطبري^(٤) أن معقل مولى ابن زياد كان يأتي إلى مسلم بن عوسجة أياماً ولم يأت إلى دار هاني بن عروة إلا بعد موت شريك الأعور ، والظاهر أنه علم بمحاولة قتل ابن زياد بعد موت شريك .

أسباب عدم قتل مسلم بن عقيل لعبيدالله بن زياد

هناك عدد من الأسباب في عدم قتل مسلم لعبيدالله بن زياد منها :

٣. قول مسلم بن عقيل نفسه عن رسول الله (ﷺ) : " أن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن " ^(٥) ، هذه الكلمة تدل على أن آل البيت (ﷺ) من قوة تمسكهم بالحق والصدق نبذوا الغدر حتى لدى الضرورة^(٦) .
٤. كان مسلم بن عقيل يمثل الحكومة الدينية التي تعنى قبل كل شيء بمبادئ الدين والالتزام بتطبيق سننه وأحكامه وليس من الإسلام في شيء للقيام بعملية الاغتيال^(٧) .
٣. كان أهل البيت (ﷺ) ينعون على الأمويين شذوذ أعمالهم التي لا تتفق مع نوااميس الدين وما قام به الإمام (ﷺ) بنهضته لإلتصحيح الأوضاع الراهنة وإعادة المنهج الإسلامي إلى الناس " ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب " ^(٨) .
٤. معرفة مسلم بن عقيل بكراهية قتل أبين زياد في دار هاني بن عروة نفسه^(٩) .
٥. كان واجب مسلم بن عقيل هو أخذ البيعة ومعرفة هوى أهلها والكتابة عنهم إلى الإمام (ﷺ) ولم يكن واجبه القتل وقد أشار إلى ذلك أبين الأثير^(١٠) " أمره بتقوى الله وكتمان أمره واللفظ وأن رأى الناس مجتمعين له يحمل إليه بذلك " .

^(٣) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة / ١٣٧٩هـ) ، ج ٢ ص ٤٨٣ .

^(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٤ .

^(٥) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ - أبين سلام ، القاسم بن الهروي (٢٢٤هـ) ، غريب الحديث ، تح محمد عبدالمعبد خان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٣٩٤هـ) ، ج ٣ ص ١٠٣ .

^(٦) السيد البرقي ، تاريخ الكوفة ، ص ٢٩٧ .

^(٧) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٢ .

^(٨) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٣ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ .

^(١٠) الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .

٦. ومن القرائن على كراهة هاني من قتل ابن زياد في داره ، ان مهرا ن الحارس لعبيد الله القائم على رأسه بالسيف يصارع مسلم دفاعاً عن عبيد الله حتى يقوم هو أيضاً بالدفاع عن نفسه ، هل كان مسلم بوحدته مع شجاعته البالغة ينال أمه من قتل عبيد الله^(٥) .

خامساً . ابن زياد وإجراءاته تجاه هاني

٢. اعتقال هاني بن عروة

كان هاني يغدو ويروح إلى عبيد الله ، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض فجعل لا يخرج ، فقال ابن زياد لجلسائه : ما لي لا أرى هانئاً ، فقالوا : هو شك ، فقال : لو علمت بمرضه لعدته^(١) . ويبدو ان معقل قد أخبر ابن زياد بأن هاني هو العضو البارز في أنصار مسلم بن عقيل لذلك كان يطيل التفكير ويطيل البحث في شأن هاني فهو أعز من في مصر ، وأقوى شخصية يستطيع حماية مسلم وأنصاره ، لذلك تناقش مع أعوانه وقد اتفق رأيهم على خديعته بإرسال وفد إليه من السلطة يعرض عليه رغبة ابن زياد في زيارته ، فإذا وقع تحت قبضته ، فقد تم كل شيء ، ويكون تشتيت إتباعه ليس

(٥) الشافعي ، محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧١هـ) ، جواهر المطالب في مناقب الامام الجليل علي بن أبي طالب ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، مكتبة احياء ، مطبعة باسدار السلام ، ، (قم / ١٤١٦هـ) ، ج ٢ ص ٢٦٥ .
(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٧ .

بالأمر العسير ، فشكّلوا وفداً لدعوته من أسماء بن خارجة* ومحمد بن الأشعث** وعمرو بن الحجاج الزبيدي^(٢) .

ولم يكن لأسماء بن خارجة علم بالمؤامرة التي دبّرت ضد هاني^(٣) ، وإنما كان يعلم بها محمد بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وقد أمرهم ابن زياد أن يحملوا له عواطفه ورغبته الملحة في زيارته ويعملوا جاهدين على إقناعه^(٤) .

وعندما ذهب الوفد إلى هاني عشية فوجده جالساً على باب داره ، فسلموا عليه وقالوا له : " ما يمنعك من لقاء الأمير فإنه ذكرك ، وقال لو أعلم أنه شاك لعدته ، فقال : الشكوى تمنعني ، وأبطلوا هذا الزعم وقالوا له : " أنه قد بلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك ، وقد استبطاك والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان ، أقسمنا عليك لما ركبت معنا " ^(٥) .

وأخذوا يلحون عليه في زيارته فاستجاب لهم على كره ، فدعا بثيابه فلبسها ودعا ببغلة فركبها فلما كان قريباً من القصر أحست نفسه بالشر فعزم على الانصراف وقال لابن خارجة " يا ابن أخي ، أني والله لخائف من هذا الرجل ، فماذا ترى^(٦) ؟ فقال ابن خارجة : " يا عم والله ما أتخوف عليك شيئاً ولم تجع لعل على نفسك نفساً " ^(٧) وكان سبباً^(٨) ودخل القوم على ابن زياد ، فاستقبله ابن زياد وقال له : " أتتكم بخائن رجلاه " ^(٩) وكان شريح القاضي* إلى جانبه فالتفت نحوه وقال ابن زياد :

أريد حياته ويريد قتلي عزيزك من خليلك من مراد

* أسماء بن خارجة : أسماء بن خارجة بن حصين بن حذيفة بن بدر الفزاري ، زعيم فزاراة ومن سادات أهل الكوفة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٥٧ .

** محمد بن الأشعث : محمد بن الأشعث بن قيس بن معد بن يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية يكنى بأبي القاسم ، روى عن عمر وعثمان . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٦٨ .

^(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٥ .

^(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

^(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

^(٥) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ - الخوارزمي ، الموفق بن أحمد بن محمد (ت ٥٦٨ هـ) ، مقتل الحسين (ت) ، تح محمد السماوي ، مطبعة مهر ، (قم / ١٤٢٣) ، ج ١ ص ٢٩٤ .

^(٦) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٥ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج ١ ص ٢٩٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

^(٧) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

^(٨) أتتكم بخائن رجلاه : هذا المثل أستخدمه الحارث بن جبلة الغساني للحارث بن العيف العبدي حين أسره في هزيمة المنذر وكان قد هجاه ، ويضرب هذا المثل للرجل يسعى الى المكروه حتى يقع فيه . ينظر : النيسابوري ، مجمع الامثال ، ج ١ ص ١١٩ - الزمخشري ، المستقصى في امثال العرب ، ج ١ ص ٣٧ .

* شريح القاضي : شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش من كندة ، يكنى أبا أمية ، وليس من بني الرائش في الكوفة غيره وكان شاعراً قلي القضاء في الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٨ ص ٢٥٢-٢٥٣ - الاصفهاني ، أحمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٤٣٠ هـ) ، معرفة الصحابة ، تح محمد حسن محمد وآخرين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢ هـ) ، ج ٣ ص ٢١ - سبط ابن العجمي ، نهاية الرسول في الرواة الستة الاصول ، ج ٣ ص ١٠٤٨ - ابن حجر ، الاصابة في معرفة الصحابة ، ج ٣ ص ٣٣٤ .

وذعر هاني منه فقال له : ما ذاك أيها الأمير^(٣) ، فقال له ابن زياد : " إيه يا هاني ما هذه الأمور التي تربص في دورك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين ، جنت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك وظننت ان ذلك يخفى علي "^(٤) والذي يتضح من هذا ان معقلاً كان يوصل الأخبار التي تمارس أمام العين إلى ابن زياد أولاً بأول وهذا ما جعل ابن زياد يقول ذلك لهاني ، وعندما انكر ذلك اخرج له معقل ، وعلم هاني عند ذلك انه كان عيناً عليهم ، وأنه قد أتاه بإخبارهم^(٥) . وقد حاول هاني ان يدافع عن نفسه فقال لابن زياد " قد كان الذي بلغك ، ولن أضع يدك عندي ، وأنت آمن "^(٦) ، ويضيف المسعودي^(٧) بأن هاني قال لابن زياد : " تشخص أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم ، فإنه جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك " .

وهذه النصوص تدل لنا على شجاعة هاني بن عروة المرادي في إيضاح الحق مع مسلم وآل بيته (t) وليس مع ابن زياد وخليفته يزيد بن معاوية لذلك استفز ابن زياد من كلام هاني فقال له والله لا تفارقني حتى تأتيني به^(٨) ، فرفض هاني ذلك وقال : والله لا آتيك بضيبي أبداً^(٩) .

ولما طال الجدل بينهما أنبرى مسلم بن عمرو الباهلي ولم يكن رجل غريب في المجلس غيره فطلب من ابن زياد ان يختلي بهاني ليقنعه فأذن له ، فقام وخلا به ناحية بحيث يراهما ابن زياد ويسمع صوتهما إذا علا ، وحاول الباهلي إقناع هاني وحذره من نقمة السلطان وان السلطة لا تنوي السوء بمسلم قائلاً : " يا هاني أنشدك الله إلا تقتل نفسك ، وتدخل البلاء على قومك ، ان هذا الرجل ابن عم القوم ، وليسوا بقاتليه ، ولا ضائريه ، فادفعه إليه ، فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنما تدفعه إلى السلطان "^(١٠) .

نستنتج من هذا ان أعوان ابن زياد أرادوا الأمور الآتية من هاني بن عروة .

٤. تسليم مسلم بن عقيل إلى ابن زياد ، وقد رفض هاني ذلك لأسباب كثيرة أهمها :

- ت. معرفة هاني بأن آل البيت (i) هم أفضل من يتولى الخلافة وان الخلافة حق لهم " فإنه قد جاء من هو أحق من حقك وحق صاحبك "^(١١) .
- ث. أن هاني بن عروة يمثل زعيم قبيلة كبيرة في الكوفة وبالتالي فإن سياسة التهديد والوعيد التي استخدمها ابن زياد وأعوانه ليست هي السياسة المطلوبة من اجل إنهاء المسائل .

(٣) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٥ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ج ١ ص ٢٩٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

(٧) مروج الذهب ، ج ٣ ص ٥٩ .

(٨) ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ج ١ ص ٢٩٥ .

(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

(١١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٥٩ .

ج. كيف يسلم هاني مسلم بن عقيل وهو ضيفه وهذا مناف للعادات العربية الأصيلة " أن علي في ذا

الخزي والعار ، ان ادفع جاري وضيفي " (٣) .

د. قوة هاني البدنية وهذه القوة قد عبر عنها هاني نفسه عندما قال " أنا حي صحيح أسمع وأرى ،

الساعد ، كثير الأعوان " (٤) .

هـ. أقناع هاني بأن بتسليمه لمسلم بن عقيل ليس منقصة ولا مخزاة له ولعشيرته وهي سياسة ترغيب وسياسة تهديد ليس ضد الشخص فقط وإنما ضد عشيرته وفي هذه الحالة يكون البلاء على العشيرة بالكامل من منع العطاء الكامل في ابسط عمل ضدهم ، وهذه هي من سمات الحكم الأموي التي زرعتها معاوية .

ولما فشل الباهلي من إقناع هاني انطلق نحو ابن زياد وقال له : " قد أبى ان يسلم مسلماً أو يقتل ، فغضب ابن زياد وقال : والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك فقال : إذا والله تكثر البارقة* حول دارك فقال ابن زياد : وبالبارقة تخوفني " (٥) . وظن هاني ان عشيرته ستقف معه وستمنع ابن زياد من ضرب عنقه (٦) . فتحدى ابن زياد هاني فطلب منه ان يدنو منه ، فلما دنا منه ضربه بالقضيب على وجهه ، فلم يزل يضرب انفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه ، وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب ، وحاول هاني أن يأخذ سيف أحد الشرطة والدفاع عن نفسه فمنع من ذلك فقال ابن زياد له " احروري* سائر اليوم " (١) ويبدو ان عبيدالله بن زياد قد تحدى هاني بن عروة وضربه في قصر الأمارة وخاصة بعد ان هدد هاني بالبارقة ولم يقف تصرف ابن زياد هذا ضد هاني فحسب بل يذكر قسم من المؤرخين (٢) ان أسماء بن خارجة قد عاتبه بسبب ضربه لهاني فقال له : " أرسل غدر سائر اليوم ، أمرتنا ان نجينك بالرجل حتى إذا جئناك به ، ... ، وزعمت انك تقتله " فغضب ابن زياد منه فأوعز إلى شرطته بتأديبه فضربه بجمعة بحركة عنيفة (٣) ثم حبس فقال أسماء في السجن " ، ... ، إلى نفسي أنعاك* يا هاني " (٤) . وهذا معناه ان ابن زياد لا يريد ان يقف أحداً ضده في سياسته حتى وان كان من أعوانه وربما أدرك محمد بن الاشعث ذلك فعندما رأى الموقف قال : " قد رضينا بما رأى الأمير ، لنا كان أم علينا ، إنما الأمير مؤدب " (٥) ، إزاء هذه الأوضاع تدارك ابن زياد

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ص٣٦٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٢٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ص٣٦٦ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (٦) ج١ص٢٩٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٢٩ .

*البارقة : السيف ، تقول رأيت بارقة القوة إذا رأيت بريق سيفهم ، ويقال : أبرق فلان بسيفه يبرق إذا لمع بسيفه . ينظر : الدنيوري ، عبدالله بن مسلم (ت٧٢٦هـ) ، غريب الحديث ، تح عبدالله الجبوري ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٨هـ) ، ج٢ص١٤ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ج٥ص٤٧ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (٦) ج١ص٢٩٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ص٣٦٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٢٩ .

*يقول الجاحظ أن ابن زياد قال لهاني : " أهروري سائر اليوم " يريد احروري بسبب وجود لكنة فارسية في كلامه . ينظر : الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، تح المحامي فوزي عطور ، ط٢ ، دار صعب ، (بيروت / ١٩٦٨م) ، ج١ص٥٣ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ص٣٦٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ص٣٦٧ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (٦) ج١ص٢٩٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ص٣٦٧ .

**أنعاك : مفردا نعي ، هو الذي يأتي بخبر الموت . ينظر : محمد عبدالقادر ، مختار الصحاح ص٣٤٢ - الطريحي ، مجمع البحرين ، ج٤ص٣٣٩ .

(٤) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ج٥ص٤٨ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (٦) ج١ص٢٩٦ .

(٥) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ص٣٦٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٢٩ .

الموقف لتخوفه من ان يثب عليه الناس فخرج عند ذلك وصعد المنبر ومعه أشراف الكوفة وشرطته وحشمه فقال : " اما بعد ، أيها الناس اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتخيفوا وتحرموا ، ان أخاك من صدقك وقد اعذر من انذر " (٦) .

والذي يمكن ان يستنتج من هذا النص أمر مهم جداً هو ان الأمويين وأعوانهم كانوا دائماً يسعون إلى إفهام الناس بأن الخلافة لهم وفق نظرية الحكم الإلهي أو وفق سياسة الجبر وما قوله " اعتصموا بحبل الله وطاعة أئمتكم " إلا دليل ذلك .

أما موقف قبيلة مذحج من هذا العمل المضاد لزعيم قبيلتهم فقد ذكر قسم من المؤرخين (٧) : " أن عمرو بن الحجاج قد سمع خبر ان هانئاً قد قتل ، فاقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ،

نادى : " أنا عمرو بن الحجاج ، هذه فرسان مذحج ووجوهها ، لم نخلع طاعة ، ولم نفارق جماعة وقد بلغ ان صاحبهم يقتل ، فاعظموا ذلك " . ونرى فيه من الخنوع والمسالمة إلى السلطة وليس فيه اندفاع لإنقاذ هاني ، ولذا لم يحفل به ابن زياد فالتفت إلى شريح وقال له : " ادخل على صاحبهم فأنظر إليه ، ثم اخرج إليهم وأعلمهم بأنه حي " (٨) .

وهذا يوضح لنا أمرين مهمين هما :

١. ان أمر إدخال شريح القاضي على هاني قد تم بإيعاز من ابن زياد ، وكان قد اعلمه بما سيقوله بعد خروجه إليهم ولزيادة الاطمئنان إليه فإنه ادخل معه حميد بن بكير الاحمري وهو احد حراسه من اجل عدم قدرة شريح على الكلام وما قاله شريح إلا دليل على ذلك : " فخرجت إليهم ، ... ، وايم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما امرني به " (٩) .
 ٢. ربما هناك اتفاق مسبق ما بين عمرو بن الحجاج وعبيدالله بن زياد حول عملية خروج القبيلة ، وما يؤكد هذا ان ابن زياد لم يخش القبيلة التي جاءت بفرسانها ، هذا فضلاً عن عدم وجود نية للقتال من أشراف القبيلة التي جاءت إليه بفرسانها وبضمنهم عمرو بن الحجاج ، وما يجعل هذا الكلام واضحاً هو قول هاني لشريح عندما دخل عليه : " يا شريح أني لاظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين ، ان دخل علي عشرة نفر أنقذوني " (١٠) .
- والذي نراه ان الاتفاق قد تم بين أشراف القبيلة فيما بينهم وبين ابن زياد من اجل قتل هاني ، وفعلاً تم قتله في سوق الحذائين وفي وضح النهار ولم يحرك أهله ساكناً ، ولكن بمرور الوقت نجد ان عبدالرحمن بن الحصين المرادي بصر إلى مولى عبيدالله بن زياد يقال له رشيد في خازر* ، فقال الناس له : هذا قاتل هاني بن عروة فقال ابن الحصين قتلني الله ان لم اقتله أو اقتل دونه ، فحمل عليه الرمح

(٦) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - ، أحمد زكي صفوت (ت ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ، جمهرة خطب العرب ، المكتبة العلمية ، (بيروت / بلات) ، ج٢ ص٩٣ .

(٧) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص٣٩ - الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٧ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج١ ص٢٩٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ - ابن نما الحلي ، مثير الأحرار ، ص٢٣ - بحر العلوم ، السيد محمد مهدي (ت ١٢١٢هـ) ، الفوائد الرجالية ، تح محمد صادق بحر العلوم ، ط١ ، مكتبة الصادق ، (ايران / ١٣٦٣هـ) ، ج٤ ص٢٤ .

(٨) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

*الخازر : نهر بين أربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل وعليه كورة يقال لها نخلا . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص٣٣٧ .

فقطعه فقتله^(٤) ، وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على وجود حواجز لم يستطع أهل مذحج تجاوزها للخروج والدفاع عن هاني آنذاك .

٢. انتفاضة مسلم بن عقيل

لما علم مسلم بما جرى بادر لإعلان الثورة على ابن زياد لعلمه بأنه سوف يلقي نفس المصير الذي لاقاه هاني ، أوعز إلى عبدالله بن خازم* أن ينادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله ، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً^(١) وفي الدور أربعة آلاف^(٢) . لربما أدرك مسلم أنها أول بوادر الغدر عند أهل الكوفة لذلك أوعز مرة أخرى إلى عبدالله بن خازم أن ينادي في الناس شعار يوم بدر : " يا منصور أمت " ^(٣) بسبب ما يحتويه هذا الشعار من الاندفاع للتغلب على الأعداء وفيه تفاؤل بالنصر^(٤) .

فقام مسلم بتوزيع قيادات جيشه على من عرف بالولاء والإخلاص لأهل البيت (i) وهم عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي ، وجعله على ربع كندة وربيعه ، ومسلم بن عوسجة جعله على ربع مذحج ، وأبو ثمامة الصائدي وجعله على ربع قبائل بني تميم وهمدان ، والعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة^(٥) . وبعد ان أنهى مسلم تحديد مسؤوليات القيادات خرج لثمانى ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين^(٦) ، واقبلوا نحو القصر ، فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز في القصر وغلق الأبواب^(٧) .

وقد ذكر الطبري^(٨) ان ابن عقيل خرج في أربعة آلاف وعند وصولهم إلى القصر بلغوا نحو ثلاثمائة رجل ، ثم بقي منهم ثلاثون رجلاً وعند المساء لم يبق معه إلا أولئك نفر وبعد وصوله إلى أبواب كندة بلغ عددهم عشرة وإذا خرج من الباب ليس معه إنسان يدلّه على الطريق^(٩) .

فما هي أسباب هذا التحول في أنصار مسلم بن عقيل ؟!

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٧٩ .
**عبدالله بن خازم : عبدالله بن خازم من أنصار مسلم بن عقيل وممن استشهد في عين الورد سنة ٦٥هـ . ينظر : أبو

مخنف ، مقتل الحسين (t) ، ص٣٠٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٤) الصدر ، شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين (t) ، ص٢٨٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٩ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ج١ ص٢٩٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٦ .

(٧) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٨) تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٧٠-٣٧١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٨ .

٦. أسباب فشل مسلم بن عقيل في مهمته

تجمعت عدة أسباب لفشل مسلم في مهمته ولكن أبرزها هو :

ت. العامل الاجتماعي

ث. العامل النفسي

ج. العامل الاقتصادي

أ. العامل الاجتماعي

امتاز مجتمع الكوفة دون غيره من مجتمعات الامصار العربية الاسلامية بعدد من الصفات التي سببت في اخفاق مسلم بن عقيل في مهمته ابرزها هو :

٦. الغدر

فقد اشتهر مجتمع الكوفة بظاهرة الغدر وقد ضرب بهم المثل " اغدر من كوفي " ^(١) ، وقد وصفهم الامام علي (ت) " أسود روعة و ثعالب روعة عند الناس " ^(٢) وربما ان سبب وجود هذه الظاهرة هو الظروف السياسية القاسية التي مرت عليهم خلال فترة خلافة معاوية لاختياره لهم الولاية القساة .

٧. التمرد على الولاية

والطابع الخاص الذي عرف به المجتمع الكوفي ، التمرد على الولاية والتبرم منهم ، فقد ذكر الطبري ^(٣) ان أهل الكوفة عزلوا عمار بن ياسر في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعينوا بدلاً عنه أبا موسى الأشعري برضائهم وعزل بعد سنة أيضاً برضائهم هذا فضلاً عن وصية الخليفة معاوية إلى ابنه يزيد " وأما أهل العراق فأن سألوك ان تعزل كل يوم عاملاً فافعل " ^(٤) ويبدو من وصية الخليفة معاوية أنه يريد بأهل العراق الكوفة ليس إلا بسبب كثرة الولاية عليها خلال فترة حكمه لذا فقد لاحظنا ظاهرة

^(١) البغدادي ، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) ، الفرق بين الفرق ، تح مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية ، (القاهرة / بلات) ، ص ٣٤ .

^(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٢٢ .

^(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٤ ص ٣٦٤ .

^(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦ .

تعيين وعزل الولاة في العراق ومن خلال المتابعة وجد عدد الولاة في الكوفة والبصرة خلال فترة حكم الخليفة معاوية كانت ثمانية ولاة لكل مصر من الأمصار* .

٨. التناقض في السلوك

وهذه الظاهرة وجدت في مجتمع الكوفة الذي بدأ في تناقض صريح مع حياته الواقعية فهو يقول شيئاً ويفعل ضده ، ويؤمن بشيء ويفعل ما ينافية ، والحال أنه يجب ان تتطابق أعمال الإنسان مع ما يؤمن به ، وقد أدلى الفرزدق بهذا التناقض حينما سأله الإمام (ت) عن أهل الكوفة فقال : " من الخبير سألت ، قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية " (٥) .

٩. عدم المجابهة أو الانهزامية

ويمكن ملاحظة ظاهرة الهروب أو الانهزامية في مجتمع الكوفة ، لأنه قد عرفنا ان عدد المبايعين لمسلم بلغوا ثمانية عشر ألفاً ولكن عندما خرج مسلم بمهمته لم يخرج معه إلا نفر قليل منهم ثم لم يبق إلا وحده وحيداً فريداً . ولم يجد شخصاً واحداً يدلّه على الطريق (١) . وربما جاءت إليهم هذه الصفة كونهم قد ملوا الحروب لأنهم خاضوا حروب الجمل وصفين والنهروان .

١٠. الطمع في المال

لقد فطن ابن زياد ان الأموال هي سلاحه ضد أهل الكوفة لذلك فقد بذل الأموال بسخاء لأشراف الكوفة وقد وصف مجمع بن عبدالله العائذي* حالتهم للإمام (ت) حينما قال له : " أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ، وملئت غرائرهم " (٢) وقد وصفهم عمر بن عبدالرحمن** للإمام (ت) قبل خروجه إليهم : " إنما الناس عبيد لهذا الدرهم أو الدينار " (٣) .

ب. العامل النفسي

*هناك ملحق للطبري استعنت به لتبيان عدد الولاة للمصريين في خلافة معاوية .

(٥) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - العاملي ، علي بن يونس (ت ٨٧٧هـ) ، الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم ، تح محمد الباقر البهيوذي ، مطبعة الحيدري ، دار المكتبة المرتضوية للنشر ، (بلا ت) ، ج ٢ ص ٣٦ .
(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣١ .

*مجمع بن عبدالله : مجمع بن عبدالله بن مجمع بن مالك بن أياس بن عبد مناة بن عايذ الله ، قتل مع الإمام (ت) . ينظر : السمعاني ، الأنساب ، ج ٤ ص ١٢١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧١-٣٧٥ .

**عمر بن عبدالرحمن : عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي المدني ، ثقة من الطبقة الثانية ، ولد يوم وفاة الخليفة عمر (رضي الله عنه) ، وله ابن الزبير الكوفة ثم صار مع الحجاج ومات بعد السبعين . ينظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ١ ص ٧٢١ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٧ .

أوعز عبيدالله بن زياد إلى أشراف أهل الكوفة ان يبادروا إلى بث الذعر ونشر الخوف بين الناس ، وقد انتدب للقيام بهذه المهمة كثير بن شهاب الحارثي*** وامره ان يخرج الى مذحج ومجد بن الاشعث ان يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وكذلك كان دور القعقاع بن شور الذهلي**** وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن ابجراد العملي وشمر بن ذي الجوشن العامري**** وترك وجوه الناس عنده استئناساً بهم لقلّة من معه^(٤) .

ولقد أدى كثير بن شهاب الحارثي دوراً كبيراً في تفريق أنصار مسلم بن عقيل من خلال ما قام به من زرع الخوف والذعر في صفوف الناس فكان يقول لهم " أيها الناس ، الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل ، فإن هذه جنود أمير المؤمنين قد أقبلت ، وقد أعطى الأمير العهد لنن أتمتم على حربته ، ولم تنصرفوا من عشيبتكم ، ان يحرم ذريعتكم العطاء ، ويفرق مقاتلكم في مغازي أهل الشام على غير طمع ، وان يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب " ^(١) . وتكلم بعده الأشراف في كلام مشابه إلى ما تكلم به كثير بن شهاب .

والذي يمكن ان نستنتجه من خلال هذا الكلام عدة أمور منها :

٥. التهديد بجيوش أهل الشام ، فقد زحفت إليهم وهي ستنتشر فيهم القتل والتكيل ان بقوا مصرين على المعصية والعناد .
 ٦. حرمانهم من العطاء ، وهذه الظاهرة قد تمسك بها كل الولاة كون اغلب رجالها هم من المسلمين الأحداث والمنتفعين من الدولة ^(٢) .
 ٧. نفيتهم في مغازي أهل الشام ، وزجهم في ساحات الحروب .
 ٨. أنهم ان أصروا على هذا التمرد ، فإن ابن زياد سوف يأخذ بسياسة أبيه التي تحمل شارات الموت والدمار حتى يقضي على جميع ألوان الشعب والعصيان .
- كان من نتيجة هذا الكلام الذي قاله ابن شهاب الحارثي ان تفرقت أنصار مسلم عنه فكانت المرأة تأتي أبنها أو أخاها أو زوجها وهي مصفرة الوجه من الخوف فتتوسل إليه قائلة : " الناس يكفونك " ^(٣) ويفعل الرجل مثل ذلك .

وبهذا قد خلع الكوفيون ما كانوا يرتدونه من ثياب التمرد على بني أمية ، ولبسوا ثياب الذل والعبودية من جراء ذلك وقد أيقن الإمام علي (ع) إلى ذلك حينما خطب في الكوفة وقال : " أصبحت لا اطمع في نصرتكم ، ... ، أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيافاً قاتلاً " ^(٤) .

*** كثير بن شهاب : كثير بن شهاب بن الحصين بن يزيد بن شلد بن قنان بن سلمة المذحجي ، وكان والياً على الري في عهد معاوية واختال أموالاً كثيرة من معاوية واستتر بهاني بن عروة ، ومن المبغضين للإمام علي (ع) . ينظر : أين سعد ، الطبقات الكبير ، ج٨ ص ٢٧٠ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ص ٣٧٨ - المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ج١ ص ٨٤ - المرصفي ، سيد بن علي (ت ٤٨٠ هـ) ، رغبة الأمل من كتاب الكامل ، مطبعة النهضة ، ط ١ (مصر / ١٩٢٧) ، ج٢ ص ٨٦ .

**** القعقاع بن شور : القعقاع بن شور بن بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص ٣١٩ .

***** شمر بن ذي الجوشن : شمر بن شرحبيل ابن الاعور بن عمرو بن معاوية الضبابي ، من بني رواس بن كلاب . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص ٢٨٧ .

^(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ٣١ .

^(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٨١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٣٧٠ - المرصفي ، رغبة الكامل من كتاب الكامل ، ج٢ ص ٢٦ .

^(٢) المحامي أحمد حسين يعقوب ، النظام السياسي في الاسلام ، ط ٣ ، مطبعة بهمن ، مؤسسة انصاريان للطباعة ، (قم / ٢٠٠٣) ، ص ١٨٠ .

^(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ٣١ - نوري جعفر ، الصراع بين الأمويين ومبادئ الاسلام ، مطبعة الزهراء ، (بغداد / ١٩٥٦) ، ص ١١٦ .

ج. العامل الاقتصادي

لقد عرفنا سابقاً بأن هناك كتباً من كبار شخصيات أهل الكوفة وهم أنفسهم الطبقة الغنية تطلب من الإمام (ت) المجيء إليهم ، ولكن ما الذي غير سلوكيات هذه الشخصيات بعد مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة ؟ فلندرس بعض هذه الشخصيات :

٣. عمرو بن حريث المخزومي*

من الشخصيات المعروفة التي نزلت الكوفة مبكراً وابتنى فيها داراً قريباً من المسجد والسوق ، وولده فيها ، وله شرف بالكوفة ، وأصاب مالا عظيماً^(١) ، حتى أنه قيل أغنى رجال الكوفة ، وولي الكوفة في عهد زياد بن أبيه . لذا نرى ان سبب ارتداده عن الإمام (ت) بعد مجيء مسلم احتمالان هما :

٤. ان عمرو ربما كان على علاقة بعبيد الله بن زياد خاصة وأنه كان احد نواب أبيه في الكوفة ، وعندما كتب أهل الكوفة إلى الإمام (ت) كان واليها هو النعمان بن بشير الأنصاري ، فكان من ضمن الأشراف الذين كتبوا للإمام (ت) ، وبعد مجيء ابن زياد إلى الكوفة حسب أوامر يزيد لم يستطع عمرو ان يقف ضده لذلك ارتد عن الإمام (ت) .

٥. المصالح الشخصية لأشراف الكوفة وبضمنهم عمرو لأننا نجد بعد مجيء ابن زياد إلى الكوفة أصبح عمرو من المقربين إليه وحتى نائبه في الكوفة في حالة مغادرته البصرة فقد ذكر الطبري^(٢) انه بعد وفاة يزيد بن معاوية كان عبدة الله بن زياد بالبصرة وعمرو بن حريث المخزومي نائبه في الكوفة . وسوف نجد أنه في خلافة عبدة الله بن الزبير يأخذ الدور نفسه .

٤. شبيب بن ربعي

وهو من الشخصيات الغنية في الكوفة ، ليس له رأي ثابت فقد سبق له ان خرج على الإمام علي (ت) وانكر عليه التحكيم ثم تاب وأتاب^(٣) ، لذلك قال عنه الدكتور حسن^(٤) بأنه شخصية متقلبة الأهواء ، وانتهازي من طراز عجيب فكان أول الكاتبين للإمام (ت) بالقدوم وحين قدم كان أول الخاذلين له .

ونرى ان هناك عاملاً سياسياً مهماً قام به أشراف الكوفة دون غيرهم من أعوان ابن زياد هو اعتقال من يريد إعانة مسلم بن عقيل والدليل على ذلك ما فعله كثير بن شهاب الحارثي مع عبدة الله بن يزيد** ومحمد بن الأشعث مع عمارة بن صلخب الأزدي*** باعتقالهم عندما خرجا لمساعدة ابن عقيل^(٥)

(٤) أبين قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٢٢ .
* عمرو بن حريث : عمرو بن عثمان بن عبدة بن عمر بن مخزوم يكنى أبا سعيد . ينظر : أبين سعد :

الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٣٤ .

(١) أبين سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٣٥ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٤ - أبين الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٤ ص ١٥٠ .

(٤) ناجي حسن ، البداوة والتحضّر ، مجلة الجمعية التاريخية ، العدد ٣ ، (بغداد / ١٩٧٤) ، ص ٣٠٩ .

** عبدة الله بن يزيد : لم أجد له ترجمة .

*** عمارة بن صلخب : عمارة بن صلخب الأزدي ، من عرب الجنوب ، شاب كوفي خرج لنصرة الإمام (ت) ، فقبض

عليه وحبس . ينظر : محمد شمس الدين ، انصار الحسين (ت) ، ص ١٢٣ .

وكذلك المختار بن ابي عبيدة الثقفي وعبدالله بن الحارث بن نوفل^(١) ، وأحياناً استخدم ابن زياد سياسة القتل مع أعوان الإمام (t) لكونهم من شيعة الإمام (t) كما حصل مع ميثم التمار **** .

سادساً . ابن زياد وإجراءاته تجاه مسلم

١. ابن زياد ومهمته الجديدة تجاه مسلم

لما تفرق الناس عن مسلم ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال^(١) ، لم يطمئن إلى ذلك خوفاً من ان يكون ذلك مكيدة وخديعة فعهد إلى أصحابه بالتأكد من انهزام جيش مسلم فقال : " انظروا لعلهم تحت الظلال* قد كمنوا لكم ، ففرعوا بحايح** المسجد ، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم ، ثم ينظرون هل في الظلال احد ، ... ، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها أو وسطها حتى فعلوا بالظل التي فيها المنبر" ^(٢) .

والذي يتضح لنا من هذا النص أمر مهم واحد هو تخوف ابن زياد وأعوانه من مسلم بن عقيل ، ولكن كيف تصرف ابن زياد إزاء هذا الموقف ؟

أدرك ابن زياد ان جيش مسلم بن عقيل قد تفرق عنه من خلال أعوانه وجواسيسه لذلك نزل من القصر الى باب السدة التي في المسجد ثم خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه فأمرهم فجلسوا حوله فأمر عمرو بن نافع فنادى " ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة ، صلى العتمة في المسجد فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد في الناس" ^(٣) .

ومن هذا يتبين لنا ان أول إجراءات ابن زياد هو جمع رؤساء أهل الكوفة من الشرطة والعرفاء والمقاتلة وبهذا يكون قد سيطر على المدينة ، ثم خطب فيهم ابن زياد بعد ان جمعهم " أما بعد ، ... ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرئت ذمة الله عن رجل وجدناه في داره ومن جاء به فله ديته ، ... ، يا حصين بن تميم*** ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة ، أو خرج هذا الرجل

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٦ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٦ .
****ميثم التمار : ميثم بن يحيى الأسدي معروف بالولاء لعلي بن أبي طالب ، أول من ألجم في الإسلام سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م ، وكان في السجن مع المختار وكان قد أخبر المختار بان ابن زياد سوف يقتله ويخرجه من السجن وما تكلم به حصل . ينظر : الحلبي ، ابن نما (ت ٦٤٥هـ) ، ذوب النضار في شرح الآثار ، تح فارس حسون كريم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / ١٤١٦هـ) ، ص٦٩ - الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ص٣٣٦ .

(٣) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (t) ، ص٤٦ - المقدم ، مسلم بن عقيل ، ص١٣١ .
*الظلال : جمع ظلة ، وهي السقيفة يستتر بها من الحر والبرد . ينظر : ابن أبي الدنيا ، عبدالله بن عبيد (ت ٢٨١هـ) ، الورع ، تح محمد عبد حمد الحمود ، ط١ ، دار السلفية ، (١٤٠٨هـ) ، ص١٠٠ .
**بحايح : أي ساحة المسجد . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٠ ص٤٦٢ .

(٢) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (t) ، ص٤٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٢ .

(٣) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (t) ، ص٤٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٢ .
***الحصين بن تميم : الحصين بن نمير بن أسامة بن زهير بن دريد بن جشيش بن مالك من بني تميم ، كان على شرطة ابن زياد وليس السكوني مثلما يذهب إليه السيد الالوسي في أطروحته . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ،

ولم تائنني به ، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة ، فابعث مراصدة على أفواه السكك ، وأصبح غداً واستبر الدور وجس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل " (٤) .

ويبدو انه حدد واجبات الحصين من خلال الأمور الآتية :

١. الاحاطة بالطرق والسكك لكي لا يهرب منها مسلم ، وتحميل ابن الحصين مسؤولية الهروب منه .
٢. تفتيش جميع الدور والمنازل في الكوفة .
٣. اعتقال مؤيدي مسلم بن عقيل وقد أعان ابن زياد الحصين بذلك عندما عقد لعمر بن حريث راية وأمره على الناس الذي استطاع من خلاله اعتقال المختار بن عبيدة الثقفي وعبدالله بن الحارث بن نوفل (١) ، وهما من الشخصيات البارزة في الكوفة .

كما حدد واجبات الرعية في الكوفة من خلال :

٤. الحكم بإعدام كل من آوى مسلماً مهما كانت منزلته الاجتماعية في مصر ، مما سبب نفوراً ليس في أهل الكوفة بل حتى الذين خرجوا معه لقتال ابن زياد .
٥. دفع دية لكل رجل يستطيع ان يأتي بمسلم وقد ذكر ابن اعثم الكوفي (٢) مقدار الدية بأنها عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية وله كل يوم حاجة مقضية .
٦. التأكيد على لزوم الطاعة وعدم مفارقة الجماعة باعتبار الحكم الأموي حكماً إلهياً لا يجوز الخروج عليه لذلك قال ابن زياد في خطبته " اتقوا الله عباد الله " (٣) !؟

بعد هذا العرض والإغراء المادي والمعنوي لأهل الكوفة قدم بلال بن طوعة في صباح اليوم التالي إلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث* فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه ، فأقبل عبدالرحمن حتى أتى أباه عند ابن زياد فساره ، فقال له ابن زياد : ما قال لك ، قال : أخبرني ان ابن عقيل في دار من دورنا (٤) . ثم أمر عبيدالله خليفته عمرو بن حريث المخزومي ان يبعث مع محمد بن الأشعث سبعين رجلاً كلهم من قيس (٥) ، لأن ابن الأشعث كره ان يكونوا من قومه لأنهم لا يحبون لقاء مسلم بن عقيل خوفاً من العصبية التي تقع بينهم (٦) ، حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل ، فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف انه قد أتى فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشد عليهم يضربهم بسيفه حتى

ج ١ ص ٢٢٨ - الالوسي ، عبدالباسط عبدالرزاق ، قبيلة كندة ودورها في التاريخ الاسلامي من ٤١-١٣٢هـ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٣) ، ص ١٢٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨١ .

(٦) الفتوح ، مج ٣ ص ٥٢ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢ .

* عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث : عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث وهو من أعرف العرب بالغدر . ينظر : البغدادي ، المحبر ، ص ٢٤٤ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤٢٥ .

(٤) البغدادي ، المحبر ، ص ٢٤٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢ .

(٦) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٤٠ .

أخرجهم من الدار ثم عادوا إليه^(١) ، واستعمل معه أهل الكوفة ألواناً قاسية وشاذة في الحرب فقد اعتلوا سطوح بيوتهم ، وجعلوا يرمونه بالآجر^(٢) ، ويلهبون النار في نواحي القصب^(٣) ، فلما رأى ذلك مسلم خرج عليهم بسيفه في السكة وقتلهم وهو يقول^(٤) :

أقسمت لا أقتل إلا حراً وان رأيت الموت شيئاً نكراً
كل امري يوماً ملاق شراً ويخلط البارد سخناً مرأً

ولما رأى الاشعث شجاعة مسلم بن عقيل وعندما سمع رجزه الذي اقسم فيه ان يموت ميتة الأحرار والا يخدع ولا يفر ، انبرى إليه قائلاً : " انك لا تكذب ولا تخدع ، ان القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربك^(٥) " ، ويبدو ان ابن زياد قد وضع أمراً مهماً لابن الاشعث بأنه لا يستطيع مجاراته إلا بأن يعطي له الأمان^(٦) وفعلاً ذكر الطبري^(٧) " بعد ان عجز مسلم عن القتال وانهر* ، فاسند ظهره إلى جنب تلك الدار ، فدنا محمد بن الاشعث فقال : لك الأمان ، فقال : آمن أنا ، قال : نعم " ، وهكذا الحال دخل مسلم في أمان ابن الاشعث الذي لا قدرة له على الوفاء به لكنها من مكاييد ابن زياد السياسية .

٢. موقف مسلم بن عقيل

أيقن مسلم بعد ان انتزعوا سيفه من عنقه ، أنه أول الغدر به ، فدمعت عيناه ، فظن عمرو بن عبيدالله بن العباس السلمي أنه يبكي لما صار إليه من الأمر ، فأنكر عليه ذلك وقال له : " ان من يطلب مثل الذي تطلب إذا انزل به مثل الذي نزل بك لم يبك " ^(٨) فرد عليه مسلم ما توهمه فيه قائلاً : " أني والله ما لنفسي ابكي ، ولا لها من القتل ارثي ، وان كنت لم احب لها طرفة عين تلفا ، ولكن ابكي لأهلي المقبلين إلي ، ابكي الحسين وآل الحسين " ^(٩) لان مسلم أدرك ان مصير الإمام (t) وأهل بيته هو

(١) أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

(٢) البيهقي ، الشيخ إبراهيم بن محمد (من أعلام القرن الخامس) ، المحاسن والمساوىء ، ط١ ، مطبعة شريعت ، دار شريف الرضي للنشر ، (قم / ١٤٢٣هـ) ، ٦٠ .

(٣) أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٥٣ -- أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

(٤) الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص٢٣٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٤ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص٢٣٤ .

(٦) أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٥٣ .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٤ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٣ .

*أنبهر : انقطاع النفس من السعي الشديد ، ويقال أنبهر وابتهر ، أي بالغ في الشيء ولم يدع شيئاً . ينظر : الصنعاني ، أبو بكر عبدالرزاق (ت ٢١١هـ) ، مصنف عبدالرزاق ، تح حبيب الرحمن الاعظمي ، نشر المجلس العلمي ، (بلات) ، ج٧ ص٣٨٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٤ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٤ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٣ .

نفس المصير الذي لاقاه ، هذا فضلاً عن علمه بأن محمد بن الاشعث سوف يعجز عن أمانه لذلك توجه إليه في سبيل إيصال رسالته إلى الإمام (t) وان يخبره بأنه أسير بيد القوم وهو يرى ان ترجع ولا يغرك أهل الكوفة فأنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، ان أهل الكوفة قد كذبوني وكذبوك وليس لمكذب رأي فقال ابن الاشعث : والله لافعلن ولاعلمن ابن زياد أنني قد أمنتك^(٢) .
 وفعلاً دعا ابن الاشعث إياس بن العتل الطائي وقال له : الق حسيناً فابلغه هذا الكتاب وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل^(٣) . وقال لابن زياد ما كان بينه وبين مسلم بن عقيل من الأمان فقال له ابن زياد : ما أنت والأمان ، كأننا أرسلناك تؤمنه ، إنما أرسلناك لتأتينا به^(٤) ، وبعد هذه الأحداث جيء بمسلم أسيراً تحف به الشرطة وقد شهرت عليه السيوف ، فلما انتهى إلى قصر الإمارة رأى جرة فيها ماء بارد ، وقد أخذ العطش منه مأخذاً أليماً فالتفت إلى من حوله قائلاً : " اسقوني من هذا الماء ، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم"^(٥) .

٦. مسلم واللحظات الأخيرة

دخل مسلم على ابن زياد ، فلم يسلم عليه بالامرة فقال له الحرس : إلا تسلم على الأمير ، فقال له : ان كان يريد قتلي ، فما سلامي عليه ، وان كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه ، فقال ابن زياد : لعمرى لتقتلن^(٦) ، عندها أيقن مسلم بأنه مقتول فأراد الوصية إلى الإمام (t) فنظر في مجلس ابن زياد فرأى عمر بن سعد فأحب ان يعهد إليه بوصيته وقال له : " ان بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وقد يجب لي عليك نجح حاجتي وهو سر "^(٧) ، وربما أن مسلم أراد بهذا العمل ان يفهم ابن زياد بأنه ليس من قريش وأنه لصيق بني أمية ، لكن عمر بن سعد أفشى بهذا السر إلى ابن زياد فقال ابن زياد لمسلم : أنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن^(٨) ! ، والغرض من هذا الانتقاص من قيمة ابن سعد .

وكان ابن سعد قد رفض هذا الاختيار في بداية الأمر استرضاءً لابن زياد ولكن أمره ابن زياد " ان تنظر في حاجة ابن عمك " ، فقام معه فجلس في ناحية حيث ينظر إليه ابن زياد قال له : " إن علي بالكوفة ديناً استندته منذ قدمت الكوفة ، سبعمائة درهم ، فاقضها عني ، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد ، فوارها وابعث إلى حسين من يردده فاني قد كتبت إليه اعلمه ان الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلاً "^(٩) .

نستنتج من هذا الأمور الآتية :

٤. أدرك مسلم بأنه مقتول لذلك اعلم عمر بن سعد بأن عليه ديناً يجب عليه ان يقضيه بأن يبيع سيفه ودرعه ليوفيهما عنه .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

٥. أدرك مسلم ان ابن زياد سوف يمثل بجثته لذلك أشار عليه ان يستوهب جثته فيواريها .

٦. ان يكتب إلى الإمام (t) يخبره بأمره ، لأنه سبق ان كتب إليه بأن أمر الناس معه .

وأفشى عمر بن سعد بسرّه إلى ابن زياد وقال له أنه ذكر كذا وكذا وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على مدى ضعف وخوف عمر بن سعد من ابن زياد ، فكانت إجابة ابن زياد له : أما مالك فهو لك ، ولسنا نمنعك ان تصنع فيه ما أحببت وأما حسين فإنه ان لم يردنا لم نرده ، وان أردنا لم نكن عنه ، وأما جثته فانا لن نشفعك فيها ، أنه ليس بأهل منا لذلك ، قد جاهدنا وخالفنا وجهد على هلاكنا^(١) ، وهناك رواية أخرى تقول زعموا انه قال : أما جثته فانا لا نبالي اذ قتلناه ما صنع بها^(٢) . ويبدو لنا ان الرواية الأولى هي الأكثر صواباً بدليل ان ابن زياد قال لمسلم : " قتلني الله ان لم أقتلك قتلة لم يقتلها احد في الإسلام "^(٣) .

ثم ان ابن زياد قال لمسلم : " بماذا أتيت هذا البلد ، شئت أمرهم وفرقت كلمتهم ورميت بعضهم على بعض "^(٤) وهذا الكلام فيه من الخدوش ما يجعل أمره غير مقبول لأسباب منها :

٣. أن مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة جاء بناءً على كتبهم ورسائلهم ، هذا فضلاً عن ان عدد المبايعين وصل إلى ثمانية عشر ألف شخصاً^(٥) ، كيف أذن شئت أمرهم ؟!

٤. ان ابن زياد لم يكن والياً على الكوفة فكيف يعرف بأنه فرق بعضهم على بعض ، هذا فضلاً عن أن قسماً من المؤرخين^(٦) يذكرون بأنه عندما قدم الكوفة أقبلت الشيعة إليه ، فلما اجتمعت إليه

جماعة منهم قرأ عليهم كتب الإمام (t) فأخذوا يبكون ولم توجد رواية عند احد المؤرخين تقول بأنه فرق أهل الكوفة .

لذلك أجابه مسلم بكل ثقة وفخر : " لست لذلك أتيت هذا البلد ، ولكنكم أظهرتم المنكر ، ودفنتم المعروف ، وتآمرتم على الناس من غير رضى ، وحملتوهم على غير ما أمركم الله به ، وعملت فيهم بإعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر وندعوهم الى حكم الكتاب والسنة وكذا أهملنا " لذلك "^(٧) .

ويمكن ان نستنتج من هذا النص عدة أمور ونستدل بها من رسالة سليمان بن صرد الخزاعي إلى الإمام (t) الآتية :

٤. إظهارهم المنكر ودفعهم المعروف وقد أظهر سليمان بن صرد ذلك في رسالته إلى الإمام (t) عندما كتب إليه ، أنه ليس علينا إمام ، فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق^(١) .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - أبين عساكر ، ترجمة الإمام (t) ، ص٣٢٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٤ .

(٣) أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٤) أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص٥٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٥ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٥ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ .

(٧) أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص٥٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .

٥. تأمرهم على الناس من غير رضى ووضح سليمان بن صرد الخزاعي ذلك حينما قال في رسالته للامام (t) : الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيها وتآمر عليها بغير رضا منها ، أي أنهما أرادوها كسروية يقتل خيارها واستبقى شرارها^(١) .

٦. ان ساسة بني أمية لا يعملون بكتاب الله وسنة رسوله الكريم (ﷺ) ولا يأمرؤن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فآخذوا مال الدولة وجعلوه بين جبابرتها وأغنيائها^(٢) ، وهذا ما جعل الرعية يشكون من قلة المال .

فغضب ابن زياد عندما سمع هذه الكلمات من ابن عقيل وقال له : أو لم تكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ، قال : أنا اشرب الخمر والله ان الله يعلم انك غير صادق ، وانك قلت بغير علم ، واني لست كما ذكرت^(٣) وربما بهذا الكلام أراد ابن زياد تشويه سمعة مسلم او انه أراد استفزازه بهذه الكلمات ، لذلك قال له مسلم : " وان أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً ، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ، ويقتل النفس بغير نفس ، ويسفك الدم الحرام ، ويقتل على الغضب والعدواة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً "^(٤) . وهذا النص يوضح فيه أن مسلم بن عقيل قد وصف ابن زياد وشخصيته في البصرة طوال فترة ولايته قبل مجيئه الى الكوفة وربما كان قصده من هذا كله هو قتله عروة بن ادية التميمي وأبنته وكما وضحنا ذلك في التمهيد .

وبعدها ازداد غضب ابن زياد من كلام مسلم فاقسم على قتله ، قتله لم يقتلها احد في الإسلام^(٥) ، فرد عليه مسلم فقال : " إما انك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما انك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة ، وخبت السيرة ، ولؤم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك "^(٦) .

ويبدو ان مسلم قد حدد صفات شخصية ابن زياد من خلال أعماله :

٣. يذكر البلاذري^(١) عن عمر بن شبة أنه أتى ابن زياد بابن مكعب فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه لذا فانه أول من أحدث سمل العين في الإسلام .

٤. يذكر البلاذري^(٢) عن المدائني قوله " ما رأينا أحداً شراً من ابن زياد .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٨٢ - الشريف المرتضى ، علي بن الطاهر (ت ٤٣٦هـ) ، امالي المرتضى ، تح السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، ط١ ، دار ومطبعة مكتبة آية الله العظمى المرعشي ، (قم / ١٣٢٥هـ) ، ج١ ص٢٠٠ .

(٦) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (t) ، ص٥٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(١) انساب الاشراف ، ج٤ ف٢ ص٨٢ .

(٢) انساب الاشراف ، ج٤ ف٢ ص٨٢ .

فلم يجد ابن زياد مسلماً من إطفاء نار غضبه سوى سب آل بيت النبوة فأخذ بسب حسيناً وعلياً وعقيلاً وأخذ مسلم لا يكلمه^(٣) ، لأنه خرج عن ما أوصى به رسول الله (ﷺ) عن النهي في سب صحابة رسول الله أو أئمة المسلمين^(٤) ، فيقول الدميري^(٥) ان علي بن عبد الله بن عباس قال كنت مع أبي بعد ما كف بصره وهو بمكة فمررنا على قوم من أهل الشام في صفة زمزم ، فسبوا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ، فقال لسعيد بن جببر وهو يقوده : أردني إليهم ، فردده فقال : أيكم الساب لله ولرسوله ، فقالوا : سبحان الله ، ما فينا أحد سب الله ورسوله ، فقال : أيكم الساب لعلي ؟ قالوا : أما هذا فقد كان ، فقال ابن عباس : أني اشهد لسمعت رسول الله (ﷺ) يقول : من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله تعالى على منخريه في النار .

ويبدو ان ابن زياد كان سريع الغضب من كلام مسلم وبما ان الغضب مفتاح الشر لذلك أيقن مسلم بأنه مقتول فادخل مسلم القصر ثم دعا رجلاً من أهل الشام ، وقد كان مسلم ضربه على رأسه ضربة منكراً ، فقال له خذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك^(٦) ، فصعد مسلم إلى أعلى القصر وهو في ذلك يسبح لله تعالى ويستغفر وهو يقول : " اللهم أحكم بيننا وبين قـ"وم غـرونا

وخذلونا"^(٧) ، فلم يزل على ذلك حتى تقدم الشامي فضرب عنقه ، فقتل شبيهه رسول الله (ﷺ)^(٨) ، حينما قال ابو هريرة : ما رأيت في ولد عبدالمطلب أشبه بالنبي (ﷺ) من مسلم بن عقيل^(٩) ، وعلقت جثته في سوق الكناسة* وهي أول جثة علقت^(١٠) ، ويذكر قسم من المؤرخين^(١١) ان مسلم بن عقيل قال لابن زياد : لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتنني ، وبعد قتله قتل هاني لأنه آواه ونصره^(١٢) .

وأن ابرز ما أفرزته سفارة مسلم بن عقيل بالكوفة هي :

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٥ .
 (٤) ابن يونس ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ) ، عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، تح د. نزار رضا ، مكتبة الحياة ، (بيروت / بلات) ، ج ١ ص ٢٩٣ .
 (٥) كمال الدين (ت ٨٠٨هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، مراجعة عبدالحميد الدوافلي ، مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة / بلات) ، ج ١ ص ٨٧ .
 (٦) ابن اعثم الكوفي ، مج ٣ ص ٥٨ .
 (٧) ابن اعثم الكوفي ، مج ٣ ص ٥٨ .
 (٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٨ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص ٢٣٥ .
 (٩) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير ، تح مصطفى عبد القادر أحمد ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢هـ) ، ج ٧ ص ١٤٣ .
 * الكناسة : محلة بالكوفة يباع بها الدواب ، وقيل الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ ، لذلك كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيه كناساتهم . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٤ ص ١١٣٦ - السمعاني ، الانساب ، ج ٥ ص ٩٧ - ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ص ٣٣٥ .
 (١٠) ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر بن فرغلي (ت ٦٥٤هـ) تذكرة الخواص في خصائص الأئمة ، ط ١ ، ترجمة محمد صادق بحر العلوم ، دار العلوم للتحقيق ، (بيروت / ٢٠٠٤) ، ص ٣١١ .
 (١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٨ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص ٢٣٥ .
 (١٢) المقرئزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) ، النزاع والتخاصم ، تح السيد علي عاشور ، (بلات) ، ص ٣٧ .

٣. ظاهرة تعليق الجثث في الأسواق منكوسة^(٤) ، وهي من ظواهر المثلة وقد نبذها الإسلام للإنسان والحيوان ، وقد نهى عنها الرسول محمد (ﷺ) حتى ولو بالكلب العقور^(٥) ، وفي تاريخنا كره المثلة حتى بالنسبة إلى العدو^(٦) ، فيذكر الشافعي^(٧) ان الإمام علي (ت) قال بع دما ضربه ابـ ملجم : أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره ، فأن عشت فانا ولي دمي ، أعفو ان شئت وان شئت استقدمت ، وان مت فقتلتموه فلا تمثلوا ، وهذا دليل على كره المثلة ، لكن نجد ان الأمويين وأعوانهم كانت سياستهم وفق ما حرم الله هو القاعدة العامة لتثبيت حكمهم ، فمثلاً ان معاوية قطع يد ورجل الحجاج بن عبد الله الصريمي* ، وأقام بالبصرة فبلغ زياداً انه قد ولد له ، فقال له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله^(٨) .

٤. إهمال أهل الكوفة لواجباتهم قبل مجيء الإمام (ت) وهي :

أ. السيطرة على الأوضاع في الكوفة :

كان لأهل الكوفة واجب القيام بالسيطرة على الأوضاع السياسية قبل مجيء الإمام (ت) وذلك باعتقال الوالي الأموي وجميع معاونيه وأركان أدارته وهذا ما عبر عنه عبد الله بن عباس عندما قال للإمام (ت) : " فأن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فأكتب إليهم فلينفوا عدوهم ، ثم أقدم عليهم " ^(١).

ب. السرعة والعزم في الأمور والجد فيه :

(٤) أبن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) ، المنتظم ، تح محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ٢٠٠٠) ، ج ٥ ص ٣٢٦-٣٢٧ .

(٥) أبن هشام الحميري ، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ) ، سيرة النبي محمد ، تح محمد محي عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح ، (١٣٨٣هـ) ، ج ٣ ص ٦١١ - الشيباني ، محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ) ، السير الكبير ، تح د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة مصر ، (١٩٦٠) ، ج ٣ ص ١٠٢٩ - الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ١ ص ١٠٠ - السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) ، الدر المنثور ، ط ١ ، مطبعة الفتحة ، دار المعرفة ، (جدة / ١٩٦٥) ، ج ٢ ص ٢٧٨ - الجامع الصغير ، ط ١ ، مطبعة ودار الفكر للنشر ، (١٤٠١هـ) ، ج ٢ ص ٦٩٣ .

(٦) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٥ ص ٤٢٨ .

(٧) أبو عبد الله محمد بن أدريس (ت ١٥١هـ) ، الام ، إعداد رياض عبد الله عبد الهادي ، ط ١ ، دار احياء التراث ، (لبنان / ٢٠٠٢) ، ج ١ ص ٥٥٦ .

**الحجاج بن عبد الله : الحجاج بن عبد الله الصريمي من بني سعيد بن زيد مناة السعد من تميم اللات . ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٨) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١١٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ٢٠٠ ، يذكر أن معاوية قتله .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ .

وبدا هذا واضحاً في رسالة الإمام (ت) الثانية التي أرسلها بيد قيس بن مسهر الصيداوي والتي لم تصل إليهم لأن أعوان وشرطة ابن زياد قد القوا القبض عليه " فإذا أقدم عليكم رسولي فاكمشوا* أمركم وجدوا " (٢) .

ج. دور الفقهاء والقضاة :

لم يكن هناك دورٌ للفقهاء والقضاة في الكوفة بتهينة الأوضاع والظرف المناسب لاستقبال الإمام (ت) ، وبشكل علني خاصة إذا عرفنا ان من فقهاء الكوفة آنذاك النعمان بن بشير الأنصاري ومن هنا نعلم ان اغلب الفقهاء والقراء هم موظفون في الدولة الأموية (٣) .

أولاً. موقف أهل الحجاز من لإمام (ت)

٣. موقف الناصحين في مكة

كان الإمام (ت) محبوباً محترماً لدى كل من يعرفه لاسيما أهله (١) ، لذلك عندما أراد المسير نحو الكوفة تخلصاً من سياسة بني أمية ، لم يكن لدى أشرف أهل مكة شيء يقدمونه له سوى النصيح كون الإمام (ت) كان يمثل أكبر قوة دينية آنذاك لأنه بقية آل الرسول والبضعة الطاهرة منه ولا أحد يعدله بالمنزلة والشرف الرفيع وهذه النصائح لا تعدو كونها آراء حول أهل الكوفة وجاءت هذه بسبب السياسة الأموية التي تعمل بطرق مباشرة أو غير مباشرة لتهينة جو الحجاز بعيداً عن الوقائع السياسية - منشغلين باللهو والغناء وشرب الخمر - وطبيعة حكم يزيد كانت مشجعة لذلك (٢) .

فكان أول الناصحين للإمام (ت) عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عندما قال له : " أني آتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك ، ... ، وأنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرأوه ومعه بيوت الأموال وإنما الناس عبيد الدنيا والدرهم " (٣) ثم آتاه عبدالله بن عباس فقال له الإمام (ت) : قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى فقال له ابن عباس : " فأني أعيزك بالله من ذلك ، خبرني رحمك الله ، أفتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونقوا عدوهم ، فأن كانوا فعلوا ذلك

*أكمشوا : مفردهما الكمش في الأمر هو العزم عليه أو الاشرع . ينظر : أبن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ص٧٢٩ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٥ .

(٢) حسين عطوان ، الرواية التاريخية في العصر الأموي ، ط١ ، دار الجيل للنشر ، (١٩٨٦) ، ص٧٣ .

(٣) محمد رضا ، الحسن والحسين سبطا رسول الله (ﷺ) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ص٨٦ .

(٢) العزاوي ، منيرة عبد حسن ، الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٤) ، ص١٠٠ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٧ .

فسر إليهم ، وأن كانوا ، إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ^(٤) ثم آتاه عبدالله بن الزبير فحدثه ساعة ثم قال : " ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم ، فقال الحسين ، والله لقد حدثت باتيان الكوفة ، ولقد كتبت إلي شيعتي بها وأشرف الناس ، ... ، فقال له عبدالله : أما لو كان بها مثل شيعتك لما عدلت عنها ^(٥) .

ثم آتاه عبدالله بن عباس مرة أخرى وقال له : " يا ابن عم أنصبر ولا أصبر ، أني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، أن أهل العراق قوم غدر فلا تقرنهم ، أقم في هذا البلد فأنتك سيد أهل الحجاز ، ... ، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعباً ^(٦) .

والذي يبدو أن عبدالله بن عباس كان حريصاً على بقاء الإمام (t) في مكة ، لأنه يدرك أن عبد الله بن الزبير يخبيء في نفسه نوايا ضد بني هاشم ، وقد وضحاها عبدالله بن الزبير بعد خروج الإمام (t) من مكة عندما قال لأبن عباس : أنكم ترون أنفسكم أحق بهذا الأمر من سائر الناس ، فقال : إنما يرى من كان في شك ونحن فعلى يقين ^(١) .

لذلك قال ابن عباس لعبدالله بن الزبير بعد ما أيقن بأن الإمام (t) سائر إلى الكوفة ولم يبق في مكة ^(٢) :

يا لك من قبرة بمعمر

خلا لك الجو فيبضي وأصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

ولكن هل ظن الإمام بأهل العراق خيراً ؟ مثلما قال الخضري ^(٣) لذلك ذهب إليهم ! .

أن أهل مكة لم يقدموا للإمام (t) بعدما عرفوا برفضه البيعة ليزيد ما ثبت أن موقفهم كان معه ، وحتى الإمام (t) كان يعرفهم ويعرف انخذاً لهم ويدرك أنهم لم يقدموا شيئاً من الشجاعة في حروبهم مع الإمام علي (t) في فترة خلافته عندما جاء إليهم رجل السوء ^(٤) بسر بن أبي أرطاة* في مكة

^(٤) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ج ١ ص ٢٣٥ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ص ٣٢٨ .

^(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .

^(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .

^(١) مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ، أخبار الدولة العباسية ، تح د. عبدالعزيز الدوري وآخرون ، مطبعة دار صادر ، (بيروت / بلات) ، ص ١٠٨ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ .

^(٢) النيسابوري ، مجمع الأمثال ، ج ١ ص ٢٤٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٩ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ص ١٣٤ - الأسترباذي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج ٢ ص ١٥٥ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ - السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٢ .

^(٣) الشيخ محمد ، الدولة الأموية ، ط ٢ ، دار المعرفة ، (بيروت / بلات) ، ص ١٢٩ .

^(٤) الجرجاني ، عبدالله بن عدي (ت ٣٦٥ هـ) ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تح د. سهيل زاكار ، ط ٣ ، دار الفكر ، (بيروت / ١٤٠٩) ، ج ٥ ص ٥ - الغطفاني ، يحيى بن معين بن عون (ت ٢٣٣ هـ) ، تاريخ ابن معين ، تح عبدالله أحمد حسن ، دار القلم ، (بلات) ، ج ٢ ص ٣٤٥ .

*بسر بن أرطاة : عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سبار بن نزار بن معيص بن عامر بن لوي القرشي ، توفي النبي محمد (ﷺ) وهو صغير ولم يرو عنه أحد من المدنيين أنه سمع من النبي شيئاً . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٣٩ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٤٥٣ .

ودخلها من دون قتال يذكر^(٥) ، وقتل فيها كل رجل يقال له أنه أعان على قتل عثمان ومن أتباع الإمام علي (ت)^(٦) .

لكن لماذا رفض الإمام (ت) الذهاب إلى اليمن وفيها شيعة أبيه ؟

الذي يبدو لنا أن الإمام (ت) كان له واجب شرعي هو الذهاب إلى الكوفة بسبب الرسائل التي جاءت إليه من دون الأمصار الإسلامية الأخرى ، وقد حددها الإمام (ت) حينما قال أنه بيننا وبينهم موعد^(٧) ، هذا فضلاً عن أن شيعة أهل اليمن لم يقدموا من شجاعة تذكر في عهد خلافة الإمام علي (ت) عندما قدم إليهم بسر بن أبي أرطاة بل دخلها بعد أن قتل جماعة كثيرة من شيعة الإمام علي (ت)^(٨) ، إضافة إلى أن والي اليمن بحير بن ريسان الحميري كان قد عينه يزيد على مال معلوم يؤديه كل عام ، وتسعين رأساً ما بين وصيف ووصيفة^(٩) ، وما إرساله القافلة المحملة بالمنتجات إلى يزيد إلا دليل على ذلك .

٤. أسباب اختيار الإمام (ت) للكوفة

بالرغم من وجود عدد من الناصحين للإمام (ت) قبل خروجه من المدينة إلى مكة ، وفي إنشاء تواجدته في مكة وخلال مسيرته إلى الكوفة بعدم التوجه إلى العراق ، إلا أنه أصر بالتقدم نحو الكوفة لأمر هو أعلم به من غيره ، مع وجود بعض الأسباب المهمة الأخرى لاختيارها :

٦. إدراك الإمام علي (ت) بأن الحجاز ليست الأرض الملائمة للخلافة بسبب افتقارها اقتصادياً ، وانطلاقاً من هذا اختار الإمام (ت) مدينة الكوفة لتكون قاعدته الثورية ، لما تمتاز به من ماء وهواء ونخيل وعيون^(١٠) ، فقد وصفها سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب بأنها " بين الحيرة والفرات برياً بحرياً ينبت الحلى والنص* "^(١١) ، هذا فضلاً عن معرفة الإمام (ت) بها من خلال تواجده مع أبيه خلال فترة خلافته .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص١٣٩ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٥٤٠ .

(٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٠٦ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤٤ ص٣٦٩ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٣٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص١٣٩ .

(٩) الأسعد ، حسام الدين أحمد محمود ، اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ١٩٩٥) ، ص ٧٨ .

(١٠) ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧ هـ) ، صور الأرض ، مكتبة الحياة للنشر ، (بيروت / بلات) ، ص ٢١٥ .

* النص : نبت سبط ناعم ابيض من افضل نبات المرعى . ينظر : هامش الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٤٣ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٤٣ .

٧. وجود أنصار الإمام (ت) من الشيعة فيها وهذا ما عبر به الإمام في جوابه لعبدالله بن الزبير حين قال " وقد كتبت إلي شيعتي بها وأشرف أهلها " (٤).

٨. مضايقة الأمويين للإمام (ت) في مكة ، وما قوله إلى أبي هرة الأزدي إلا دليل على ذلك " أن بني أمية قد أخذوا مالي فصبرت ، وشتتموا عرضي فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت " (٥) ، إضافة إلى مبادرة الإمام (ت) بالوصول إلى الكوفة قبل أن يتفرق شمل المبايعين وتبرد همهم من طول الانتظار (٦) ، بعد أن علم من مسلم أن عدد المبايعين له بلغ ثمانية عشر ألفاً (٧)

٩. إن العراق أكثر الأقاليم ثروة في صدر الإسلام بدليل إن الجباية المتأتية منه كانت من أكثر الجبايات ثم إن تراث العراق الحضاري القديم كونه مركزاً لإمبراطوريات قديمة لها نظمها الإدارية والسياسية جعل العراق يتمتع بمركز متميز في الدولة الإسلامية (٨).

١٠. أن أهل الكوفة معروفون بعدائهم للأمويين ، وظلوا يكتابون الإمام (ت) منذ صلح

الإمام الحسن (ت) مع معاوية إلى وفاته وكان يدعوهم إلى الصبر (٩) ، لذا فإن أهل الكوفة هم

الذين عبروا عن موقفهم تجاه الإمام (ت) دون غيرهم من الأمصار الأخرى ، إضافة إلى إن

عدد الأشخاص الذين خرجوا مع الإمام (ت) من مكة إلى الكوفة بلغ عددهم ستين شيخاً (١٠) ، في حين لم يذكر مثل هذا العدد أو نصفه أو ثلثه من أي مصر من الأمصار العربية الإسلامية الأخرى .

قد يتبادر سؤال هو هل أخطأ الإمام (ت) بخروجه على يزيد بن معاوية بالرغم من وجود عدد من الناصحين له في مكة .

أختلف المؤرخون في ذلك فيرى قسم (٤) من المؤرخين والكتاب المحدثين أنه قد أخطأ عند خروجه ومسيره من مكة إلى الكوفة ، ولم يأخذ بأراء الناصحين له . لكن ابن طباطبا (٥) يقول أن الإمام (ت) صمم على الوصول إلى الكوفة لأمر هو أعلم به من الناس ، بينما يرى ابن خلدون (٦) أن الصحابة والتابعين لهم رأوا أن الخروج على يزيد ، أن كان فاسقاً لا يجوز ، ثم يكمل حديثه ويقول لم يوجد عدل من الإمام (ت) في عدالته وإمامته ، في حين يقول د. طه حسين (٧) لم يكن الإمام مخطئاً فيما يقو ،

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .
(٥) ابن طاووس ، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤ هـ) ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ط ٢ ، مطبعة مصر ، دار انوار الهدى للنشر ، (إيران / ١٤٢٣ هـ) ، ص ٤٣ - الطريحي ، الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن محمد (ت ١٠٨٥ هـ) ، المنتخب ، ط ٣ ، مطبعة شريعت ، دار الشريف الرضي ، (إيران / ١٤٢٢ هـ) ، ج ٢ ص ٣٨١ .
(٦) بارا ، انطوان ، الحسين في الفكر المسيحي ، ط ١ ، مطبعة سرور ، مؤسسة نور الكوثر ، (إيران / ٢٠٠٤ م) ، ص ٢٤٠ .

(٧) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٩٩ .
(٨) فاروق عمر فوزي ، تاريخ العراق في عصور الخلافة الإسلامية ، ط ١ ، مطبعة النهضة ، دار العربية للطباعة ، (بغداد / ١٩٨٨) ، ص ٢٤ .

(٩) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٢٢ .
(١٠) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ١٤ ص ٢٠٧ .
(١١) المالكي ، العواصم من القواصم ، ص ٢٣٧ - إحسان الهي ظهير ، الشيعة والتشيع ، ط ١ ، إدارة ترجمان للنشر ، (باكستان / ١٩٨٤) ، ص ١٧٨-١٨٠ - الجبري ، عبدالعال ، حوار مع الشيعة ، ط ١ ، دار الصحوة للنشر ، (١٩٨٥ م) ، ص ٢٤٧ .

(١٢) الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٠٧ .
(١٣) عبدالرحمن (ت ٨٠٠ هـ) ، تاريخ ابن خلدون ، ط ٢ ، مكتبة المدرسة ، دار الكتب اللبنانية ، (١٩٦١ م) ، ج ١ ص ٢٨٤-٢٨١ .
(١٤) الفتنة الكبرى علي وبنوه ، دار المعارف ، (مصر / ١٩٥٣ م) ، ص ٥٥ .

فهو قد عرف ما كان من غضب يزيد على ابن الزبير حيث امتنع عن البيعة ، وأقسم ألا يرضى حتى يحمل إليه ابن الزبير في الجامعة* .

في تقديرنا ان الرأي الثاني هو الأكثر صواباً للأسباب الآتية :

٥. مضايقة أعوان يزيد للإمام (t) في مكة وإرغامه على الخروج ، وهذا ما عبر به عبدالله بن عباس رداً على رسالة يزيد فقال : " وما أنس من الأشياء ، فلست بناسٍ اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله (t) إلى حرم الله ، ودسك إليه الرجال تغتاله فاشخصته من حرم الله إلى الكوفة " (٨) ، وما يعزز هذا القول أن الإمام (t) خرج ولم يتمكن من أتمام الحجة وجعلها عملاً مخافة أن يقبض عليه (٩) .

٦. كان هدف يزيد الرئيس لما تولى الأمر هو التخلص من الإمام (t) لأنه الخصم الوحيد الذي يخافه على ملكه والذي يمثل المقاومة والوعي في العالم الإسلامي (١٠) ، وما قاله الإمام (t) لعبدالله بن عباس حينما أشار عليه الأخير بالإقامة في المسجد الإلهي على ذلك " لو كنت في حجر هامة من الهوام لاستخرجوني حتى يفضوا في حاجتهم " (١١) إضافة إلى أن يزيد أمر الوليد بن عتبة بأن أول من يبايعه هو الحسين (١٢) .

٧. رغبة الإمام (t) بالخروج من مكة وهذه الرغبة ربما جاءت بسبب الأمور الآتية :

أ. استغلال مكة من بعض الأشخاص لهيبتها ، وقد عبر الإمام (t) عن ذلك بعد أن قدم له ابن الزبير نصيحته بالخروج من مكة نحو العراق ، وقد أدرك الإمام (t) تلك النية عند ابن الزبير لذلك قال " فؤد أني خرجت منها لتخلو له " (١٣) .
ب. عدم وجود حرمة وقديسية عند الأمويين لمكة ، لأنه رأى حملة عمرو بن الزبير الأموية على عبدالله بن الزبير بمكة (١٤) .

ج. خروج الإمام (t) ليس طالباً للحكم والرئاسة في نهضته حتى يكون خاسراً لعدم وصوله

إليه ، وإنما كان يريد يقظة الأمة وتحركها ضد الظالمين (١٥) .

د. ما قاله الإمام (t) لعبدالله ابن الزبير " أن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها فما أحب

*الجامعة : الغل لأنها تجمع اليد إلى العنق . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٣ .

(٩) ابن نما الحلبي ، مثير الأحزان ، ص ٣٨ .

(١٠) الأصفى ، محمد مهدي ، تأملات في زيارة وارث الأنبياء ، ط ١ ، مطبعة تمونة ، مركز دراسات النهضة الحسينية ، (قم / ١٤١٢هـ) ، ص ١٦١ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٥ .

(١٢) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٢٤ .

(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .

*سيوضح الدارس في فص ٣ ص ١٢٠-١٢١ أحداث هذه الحملة .

(١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٨ .

(١٥) الشيرازي ، محمد الموسوي ، ليالي بيشاور ، تح السيد حسن الموسوي ، ط ٣ ، دار العلوم للطباعة ، (بيروت / ٢٠٠٤) ، ص ٥٩١ .

أن أكون أنا ذلك الكبش" ^(٨) ، أي فضل أن يقتل بمكان آخر لقدسيتها مكة عند الإمام (ت).

هـ . رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام (ت) تخبره أن معه جمع من أهل الكوفة ، فأقبل حين تقرأ كتابي ^(٩) ، وهذا يعني بأن أهل الكوفة قد وثقوا دعوتهم بكتاب ابن عمه ، فقد صار عليه لزاماً أن يسارع إلى تلك الجهة ^(١٠) .

٨ . طبيعة مكة الجغرافية من أرضها وأنها بواد غير ذي زرع ومياهاها القليلة كونهم يعتمدون على ما ينزل من السماء ولا يوجد ماء جار مع قلة وجود الآبار ^(١) ، هذا فضلاً عن طبيعة حياتهم الاجتماعية قد أخذت طابع الترف واللهو ^(٢) ، لذلك يقول ابن مغنية ^(٣) : " أن الذين يقولون بأن الإمام (ت) أخطأ في خروجه فأنهم يخطئون الفهم ولا ينظرون إلى أبعد من أنوفهم لذلك نقول أن خروجه كان لأمر هو أعرف به من غيره .

قد يتساءل البعض لماذا لم يخرج الإمام (ت) في عهد الخليفة معاوية ؟

أكبر الظن ان الإمام (ت) لو ثار في عهد الخليفة معاوية لما استطاع ان يسبغ على ثورته هذا الوهج الساطع الذي خلدها في ضمائر الناس وقلوبهم ^(٤) ، لذا فهناك من الأمور التي حددت الإمام (ت) بعدم القيام بها في عهد معاوية ومن أبرز هذه الأمور :

٥ . العناية الإلهية

السفر في عدم قيام الإمام (ت) في ثورته في عهد الخليفة معاوية يكمن في كلمة البيعة التي وصفها (ت) بأنه كان كارهاً لها ^(٥) ، وكان من نبل أخلاقه أن رضخ لتصرف أخيه الإمام الحسن (ت) الذي قطع العهد مع معاوية ثم يطلب من شيعته بأن يكون كل امرئ منهم حلساً من احلاس بيته ما دام ابن هند حياً ^(٦) ، فإن يهلك وهم أحياء يرجو أن يخير الله لهم ويأتهم رشدهم ولا يكلمهم إلى أنفسهم ثم يقول لهم " فإن يهلك وأنتم أحياء رجونا أن يخير الله لنا " ^(٧) ويتجلى أكثر بربطه بالجملة التي تليها " ويؤتينا رشداً " ^(٨) مما يستدل معها على أن الله تعالى هو الذي سيمده بالأمر ويؤتية رشده كي يصبح قادراً على الحركة والقيادة .

(٨) ابو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٤ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨ ص ٥٣٢ .

(١٠) خالد مجذ ، أبناء الرسول في كربلاء ، ص ٧٤ .

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٨٧ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٥ .

(٢) منيرة العزاوي ، الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، ص ١٠٠ .

(٣) محمد جواد مغنية ، المجالس الحسينية ، ط ١ ، مطبعة الهادي ، مؤسسة السفار الثقافية ، (٢٠٠٣ م) ، ص ٢٢ .

(٤) شمس الدين ، محمد مهدي ، ثورة الإمام الحسين (ت) ، ص ١٥٣ .

(٥) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٤ .

(٦) ابن قتيبة ، الأخبار الطوال ، ص ٢٢١ .

(٧) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٣ ص ١٥٠ .

(٨) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٣ ص ١٥٠ .

٦. الوضع النفسي والاجتماعي

كانت حروب الجمل وصفين والنهروان ، قد ولدت عند أصحاب الإمام (t) حنيناً الى السلم والموادعة^(٩) ، وقد أدرك الإمام الحسن (t) ذلك عندما سئل عن أسباب صلحه مع معاوية قال : " ما حملك على ما فعلت ، فقال : كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحد أبداً إلا غلب " (١٠) ، ولم يكن الإمام (t) أقل إدراكاً لواقع مجتمع العراق من أخيه الحسن (t) فقد رأى من هذا المجتمع وتخاذله مثل ما رأى أخوه وجوابه إلى أهل الكوفة عندما راسلوه يوضح ذلك : " أن الإمام يطلب من شيعته أن يكون لكل أمرىء منهم جلس من أحلاس بيته ما دام أبن هند حياً " (١١) ، لأنه يعد هذا نقضاً لشروط صلح الإمام الحسن (t) مع معاوية ، فضلاً عن أن الإمام (t) أراد تعبئة نفوس أهل الكوفة خاصة والمسلمين عامة على مخازي بني أمية ، وبذلك يكسب مزيداً من الوقت لنجاح هذه التعبئة النفسية ، حتى إذا ما قام بحركته التي هي في جوهرها حرب نفسية وروحية ، أكثر منها حرباً عسكرية ، وبذلك يكون قد أوجد له أرضاً ممهدة .

٧. العهد والميثاق

أن قيام الإمام (t) بثورته في عهد معاوية قد يكون مبرراً لمعاوية كي يصوره بصورة المستغل الناقض لعهد وميثاقه والإمام لا يسعى إلى هذه الصورة وأن كانت من باب التجني الواضح عليه لأنه في جوهره بعيد عن الاستغلال ونقض العهود ، هذا فضلاً أنه عندما مات الإمام الحسن (t) أستدعى أهل الكوفة الإمام في خلع معاوية فقال : " أن بيني وبين معاوية عهداً لا يجوز نقضه " (١٢) .

٨. شخصية معاوية

أقرب الظن أن الأسلوب الذي يتبعه الخليفة معاوية في القضاء على ثورة الإمام (t) بأنه كان سيتخلص منه بالسهم قبل أن يتمكن الإمام (t) من القيام بثورته ، وهي طريقته المثالية للتخلص من منائيه بأقل ما يمكن من الضجيج مثلما فعل مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد^(٣) والإمام الحسن (t) وسعد بن أبي وقاص^(٤) وغيرهم ، ثم أن الإمام (t) كان يدرك بالرغم من مواقفه الشجاعة ضده أن ثورته لو قامت في عهده لوجد لها معاوية طريقة خاصة للقضاء عليها .

(٩) العاملي ، علي أحمد السيد ، صفحات من تاريخ كربلاء ، ط ١ ، دار البلاغ للطبع ، (بيروت / ١٤٢٠هـ) ، ص ١٢١ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٤٠٧ .

(١١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٤ - الأميني ، السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ط ٥ ، دار التعارف للطبع ، (بيروت / ١٩٩٨) ، ج ٢ ص ٤٠١ .

(١٢) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج ٤ ص ٨٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٢٢٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٣ .

(٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٨٠ .

ثانياً . مرحلة الإمام (ت) إلى الكوفة

٥ . موقف بني أمية

خرج الإمام (ت) من مكة يوم الثلاثاء يوم التروية* لثمان مضين من الحجة^(١) ، وخرج معه أهل بيته وستون شيخاً من أهل الكوفة^(٢) ، وكان قد خطب في المسلمين لمناسبة خروجه من مكة فقال : " ... ، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولعني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وصير لي مصرع أنا لاقيه " ^(٣) ، وهي دعوة غريبة من نوعها في تاريخ الثائرين ، فلا يمنيهم الإمام (ت) بملك ولا سلطان ، وإنما يدعوهم إلى القتل ^(٤) .

* التروية : هو يوم قبل يوم عرفة ، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة ، سمي بذلك لأنهم كانوا يتروون من الماء ، ولم يكن بعرفة ماء ، وأول من بنى بها حياضاً وسقى الناس عبدالله بن عامر بن كريز . ينظر : الحربي ، غريب الحديث ، ج ٢ ص ٧٧٩ - الفاكهي ، محمد بن اسحاق (ت ٢٧٥هـ) ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تح عبد الملك عبدالله ، ط ٢ ، دار خضر للنشر ، (بيروت / ١٤١٤هـ) ، ج ٣ ص ١٨٩ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٤ ص ١٣١٦ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ص ٢٨٠ - الرازي ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٢١هـ) ، مختار الصحاح ، تح أحمد شمس الدين ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ج ٢ ص ١١١ - البري ، محمد بن بكر الأنصاري ، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ، تح د. محمد التونجي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ص ٣٤ .

^(١) ابو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦١ - ابن أثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٦٩ .
^(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٤ ص ٢٠٧ - ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ) ، ترجمة الإمام الحسين (ت) من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح محمد الطباطبائي ، ط ١ ، مطبعة تكارشي ، (قم / ١٤٢٣هـ) ، ص ١٢٠ .

^(٣) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) ، المسائل العكبرية ، ط ٢ ، دار المفيد للنشر ، (١٤١٤هـ) ، ص ٧١ - الحلواني ، الحسين بن محمد (ت القرن الخامس) ، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، ط ١ ، مدرسة الإمام المهدي (عج) ، (قم / ١٤٠٨هـ) ، ص ٨٦ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ، ج ٢ ص ٨ - ابن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص ٢٩ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٤ ص ٣٦٦ .
^(٤) الأصفى ، في رحاب عاشوراء ، ص ١٥١ .

عندما خرج الإمام (t) من مكة اعترضه رُسُل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد** فقالوا له : أين تذهب فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان ، فاضطربوا بالسياسات ، ثم أن الإمام (t) وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوياً^(٥) ، ومضى الإمام (t) على وجهه فنادوه : يا حسين إلا تتقي الله ، تخرج من الجماعة ، وتفرق بين هذه الأمة^(٦) ، فقال لهم الإمام (t) : " ((لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَتُمُّ بَرِيئُونَ مِنَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ))^(٧) .

فأبى عليهم ومضى الإمام (t)^(١) فوصل إلى التنعيم* ، ولكن هل ضرب الإمام (t) آراء الناصحين له عرض الحائط ؟ ثم سار بنفسه إلى التهلكة بسيره نحو الكوفة وهو يعرف غدرهم ويعرف بنوايا بني أمية^(٢) !!!

أن الإمام (t) عندما ذهب إلى العراق ولم يأخذ بآراء الناصحين له ، لأنه ذهب من أجل هدف قد وضحه عندما لحق عبدالله بن جعفر** ويحيى بن سعيد به فقال لهما : " أني رأيت رؤيا فيها رسول الله (ﷺ) وأمرت فيها بأمر أنا ماض له ، علي كان أولى ، فقالا له : فما تلك الرؤيا ؟ قال : ما حدثت أحداً بها ، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي "^(٣) ، هذا فضلاً عن أن هدف الإمام (t) في خروجه ليس ضد يزيد بن معاوية مثلما يتصور البعض*** فقد قال الإمام (t) : " إنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي "^(٤) ، وهل أن من يريد طلب الإصلاح يؤدي بنفسه إلى التهلكة !؟

أما مسألة أن الإمام (t) يعرف بنوايا بني أمية ولم يعد إلى مكة بالرغم من توسط عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد والي مكة وكتابه إليه على لسان عبدالله وختمه عمرو وأرسله بيد أخيه يحيى بن سعيد وفيه يدعوه " إلى الطاعة وعدم مفارقة الجماعة ويدعوه إلى الأمان والصلوة والبر وحسن الجوار ، أني أعينك بالله من الشقاق ، فأني أخاف عليك فيه هلاك ، ... ، فإن لك عندي الأمان والصلوة

**يحيى بن سعيد : يحيى بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، أمه العالية بنت سلمى بنت يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك بن سعد ، قليل الحديث . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢٣٥ - الزبير ، نسب قريش ، ج٥ ص١٧٩ - ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ج١ ص٨١ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٥ .
(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٥ .
(٧) سورة يونس ، آية ٤١ .
(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٩ .

* التنعيم : موضع بين مكة وشرف ، على فرسخين من مكة وقيل أربعة . ينظر : الحموي ، مع البلدان ، ج٢ ص٤٩ .
(٢) شلبي ، أحمد ، الدولة الأموية ، مطابع سجل العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، (بلات) ، ص٨ .
** عبدالله بن جعفر : عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ويكنى أبا جعفر ، لم يخرج مع الإمام (t) في ثورته . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٤٧٣ .

(٤) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص٦٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٨ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (t) ، ص٢٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٤١ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤ ص٣٦٦ .
*** تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية ، ص٨١ .
(٥) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٢١ .

والبر وحسن الجوار لك" ^(١) ، فبعد أن قرأ الإمام (ت) الرسالة أعتمر منهم وكتب إلى عمرو بن سعيد " أما بعد ، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال أنني من المسلمين ، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة ، فخير الأمان أمان الله ، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا ، ... ، فإن كنت نويت بالكتاب صلتني وبري ، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام " ^(٢) .

ونستنتج من هذا النص عدة أمور منها :

٤. أن الإمام (ت) لم يشاقق الجماعة ، وأن دعوته لله ولرسوله (ع) وهذا هو هدف الإمام

(ت) المباشر في ثورته حينما قال : " أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً وظالماً " ^(٣) .

٥. أن الإمام يخاف الله في الدنيا فكيف أذن يكون عمله فيها وهو يعلم أن الله من ورائه حسيب ، لذلك قال : " لن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا " ^(٤) .

٦. من الدلائل على عدم صدق نيتهم في عودة الإمام (ت) إلى مكة ما كتب به إليهم الإمام (ت)

: " فإن كنت نويت بالكتاب صلتني وبري ، فجزيت خيراً " ^(٥) ، ولهذا نقول ان الإمام (ت)

كان يعرف نواياهم واتجاهاتهم وأفكارهم ودليل ذلك ما ذكره الزمخشري ^(٦) أن عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق سمع صراخ نساء بني هاشم حين بلغ أهل المدينة قتل الحسين

(ت) فقال ذلك ، هذا بيوم عثمان ثم تمثل :

عجت نساء بني زياد عجةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

٦. الحملة الإعلامية في ثورة الإمام (ت)

يمكن ملاحظة الحملة الإعلامية في ثورة الإمام (ت) في أثناء حركته من المدينة إلى مكة ومنها

إلى الكوفة من خلال بعض المواقف السياسية والعسكرية للإمام (ت) ، ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

أ. الحملة الإعلامية للإمام (ت)

^(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٧٠ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٨ .

^(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٨-٣٨٩ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (ت) ، ص ٢٩٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٣٦ .

^(٣) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٥ ص ٢١ .

^(٤) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٧٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٨ .

^(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٣٦ .

^(٦) الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، ج ٢ ص ٤١٥-٤١٦ .

بعد خروج الإمام (ت) من مكة مر بموضع التنعيم ، فلقى بها عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وعلى العير الورس* والحل فأخذها الإمام (ت) (٥) ، وقال لأصحاب الأبل : لا أكرهكم ، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسننا صحبته ، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض ، وفارقه قسم منهم فأوفى حقهم ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه (٦) . والذي يبدو ان الإمام (ت) كان غرضه هو أن يعلن السلم والسلم واليمن بخروجه من مكة ضد يزيد ، هذا فضلاً عن ما سوف تقوم به افراد القبائل العربية بتناقل اخباره فيما بينهم وبهذا ينتشر خبر الثورة .

ثم يخطب الإمام (ت) في منطقة البيضة* خطبة أخرى بعد أن وقف اصحاب الحر بن يزيد الرياحي أمامه وقال : " أيها الناس أن رسول الله (ﷺ) قال ، من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله " (١) ، والذي يبدو بأنه قد حدد إعلامياً عدم الاعتراف بشرعية الخلافة الأموية كونها غير مقرونة بطاعة الرحمن وملزمة بطاعة الشيطان واستغلالهم (٢) .

ب. الحملة الإعلامية لأهل بيته (ت) بعد مقتله

والسؤال الذي يطرح نفسه هل أخطأ الإمام بإخراج أهله ونسائه معه حين سار إلى الكوفة أم أصاب؟! بالرغم أن ابن عباس قد نصحه بعدم أخذ عياله معه " فأنت كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فوالله أني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونسأوه وولده ينظرون إليه " (٣) وللجواب عن هذا السؤال وجهان ، الوجه الأول لو فرضنا أن الإمام (ت) لم يخرج أهله ونسائه معه فما الذي كان سيحدث من بقائهم في مكة ؟ واغلب الظن أنه سيحتمل رأيين :

٣. الحفاظ على حياتهم من القتل .

* الورس : نبت أصغر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه . ينظر : الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٤٥ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ص ٢٧٣ .

(٥) أبو مخنف ، مقتل الإمام الحسين (ت) ، ص ٦٨ - النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٤٠٩ - الشيخ البحراني ، عبدالله (ت ١١٣٠هـ) ، العوالم ، الإمام الحسين (ت) ، ط ١ ، مطبعة أمير ، (قم / ١٤٠٧هـ) ، ص ٢١٧ - الأسعد ، حسام الدين أحمد ، اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ص ٧٨ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٦ .

* البيضة : ماء بين واقصة إلى العذيب متصلة بالحزن لبني يربوع . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٣٢ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٣ - النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٤١٩ .

(٢) الشيرازي ، ليالي بيشاور ، ص ٥٩١ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٤ .

٤. اعتقالهم واستخدامهم كوسيلة ضغط على الإمام وربما يؤدي ذلك إلى قتلهم .
أما بالنسبة إلى الرأي الأول فاغلب الظن أنهم لم يكن يعيرونه أي أهمية لأن الحياة لا تمثل لهم غاية " القتل لنا عادة " (٤) وهي مجازفة تحتمل الكثير من المخاطرة لما عرف عن يزيد وأعوانه من البطش والفتك ووجودهم معه خير من أبعادهم عنه ولأن يكونوا كثرة خير من أن يكونوا أفراداً متفرقين يسهل قتلهم الواحد تلو الآخر والرأي الثاني فلا يسلم إن يؤدي اعتقالهم إلى فقدان ثورة الإمام (t) الجوهر الذي خرج من أجله وهو الإصلاح ولا يسلم أيضاً إن يؤدي إلى قتله وقتلهم معه أيضاً .

والوجه الثاني ما الذي أفاده الإمام من خروج أهله ونسائه معه ؟ يمكن ملاحظة هذا بالآتي :

٤. الجانب الإعلامي : إذ لولا أهله ونسائه لما ظهرت ثورة الإمام (t) بهذا الشكل الذي ظهرت به من بروز ثورته ضد الظلم والطغيان ويبدو هذا واضحاً من خلال خطبهم في الكوفة أو الشام ، هذا فضلاً عن ان وجودهم معه بين بأن خروجه كان بناءً على رسائلهم إليه فلو أن الإمام (t) قتل وأهله ليسوا معه لقليل بأنه جاء طالباً للحرب وخارجاً عن ولي الأمر ولصوروه بأنه رجل خارجي لا يهمه سوى الحكم وبذلك تفقد ثورته الغرض الذي رسمه لها الإمام لأنه لا يخفى عليه أنه كان يعرف مصيره الذي خط له " خط الموت على ولد آدم مخط القلادة " (١) .

٥. الجانب السياسي : ويتمثل هذا بإظهار مكانة آل البيت (i) وبأنهم بيت النبوة ومختلف الملائكة ومعدن الرسالة وبأنهم ولادة الأمر والأحق به من أبناء الطلقاء* وبيان موقف أهل الكوفة المتخاذل وتشجيعهم ضد يزيد .

٦. الجانب الأخلاقي : ويتمثل هذا بقيم الأخلاق والآباء التي أظهرها الإمام (t) وأهل بيته مع إظهار جانب التحدي سواء في مجلس ابن زياد أو مجلس يزيد في حين عجزت كبار الشخصيات حتى عن إبداء الرأي فما بالك بمخالفته خوفاً من بطش يزيد وأعوانه .

والذي يتبين لنا بعد كل هذا أن مبرر الإمام (t) وفكرته في خروج أهل بيته معه كان اقرب إلى

الصواب منه إلى الخطأ بل هو الصواب بعينه ، وصدق ابن طباطبا (٢) حينما قال أن الإمام (t) " سار إلى أمر هو أعلم به من غيره " .

٧. الناصحون للإمام (t) بين مكة والكوفة

(٤) ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ص ٩٥ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٤ ص ١١٨ .

(١) الشيخ المفيد ، المسائل العكبرية ، ص ٧١ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ، ج ٢ ص ٨ .

*الطلاق : الذين أدخلوا في الإسلام كرهاً ، وهم الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يستر منهم من أمثال أبي سفيان بن حرب والحكم بن العاص ، وأبنة مروان الحكم ، فقد أسلم يوم فتح مكة ولم يدخل مدينة الرسول إلا في عهد خلافة عثمان (رضي الله عنه) . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٣٦ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٦٣٠ .

(٢) الفخري في الأدب السلطانية ، ص ١٠٧ .

خلال سير الإمام (ت) كان يسأل الناس عن أحوال الكوفة ، فعندما وصل الإمام (ت) إلى منطقة ذات عرق ** لقيه بشر بن غالب *** قادماً من العراق فسأل عن أحوال أهل العراق^(٣) فقال : " يا ابن رسول الله خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية "^(٤) ثم يستمر الإمام (ت) بالمسير نحو الكوفة إلى أن وصل منطقة الصفاح* وفيها يلتقي الشاعر الفرزدق ** ، فسأله الإمام (ت) عن أحوال الناس خلفه فقال الفرزدق : " من الخبير سألت ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية "^(٥) ، فقال له الإمام (ت) : ما أراك إلا صدقت الناس عبيد المال والدين لعق على أسنتهم "^(٦).

ثم أكمل الإمام (ت) المسير حتى انتهى إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبدالله بن مطيع العدوي ، فلما رأى الإمام (ت) قام إليه وقال : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، ... ، والله أنها لحرمة الإسلام تنتهك ، وحرمة قريش وحرمة العرب ، فلا تفعل ، ولا تأت الكوفة ، ولا تعرض لبني أمية "^(٣) ، فأبى إلا أن يمضي فاستمر إلى أن وصل منطقة زرود *** ، ثم سار الإمام حتى نزل بطن العقبة **** ، فلقاه رجل ***** من العرب فقال له : " أنشدك الله لما انصرفت ، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف ، أن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطنوا لك الأشياء ، فقدمت عليهم لكان ذلك رأياً "^(٤) ، ثم في منطقة عذيب الهجانات ***** لقيه الطرماح بن عدي *****

** ذات عرق : هو الحد الفاصل بين نجد وتهامة وقيل هو جبل بمكة وكان على مسيرة يومين شمال شرقي مكة . ينظر : ابن الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٦٩ - السمعاني ، الأنساب ، ج ٤ ص ٣٩ .

*** بشر بن غالب : بشر بن غالب أحد أصحاب الإمام علي (ت) . ينظر : البرقي ، رجال البرقي ، ج ١ ص ٨ .

(٣) أبين أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٦٩ .

(٤) الأربلي ، علي بن عيسى (ت ٦٩٣ هـ) ، كشف الغمة ، تح هاشم رسولي المحلاتي ، مكتبة بني هاشم ، (إيران / ١٣٨١ هـ) ، ج ٢ ص ٣٢ .

* الصفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحرم علي يسرة الداخل إلى مكة من مشاش . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤١٢ .

** الفرزدق : أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن دارم التميمي ، أمه ليلي بنت حابس ، شاعر معروف صاحب جرير . ينظر : التبريزي ، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ) ، ديوان الحماسة بشرح التبريزي ، شرح محمد عبدالقادر سعيد ، دار القلم ، (بيروت / ١٣٣١ هـ) ، ج ١ ص ٢٧٧ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٦ - الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١ ص ٣٩٥ - الزمخشري ، المستقصى من أخبار العرب ، ج ٢ ص ١٦٤ - المقرم ، مقتل الحسين ، ص ١٧٧ .

(٢) الأربلي ، كشف الغمة ، ج ٢ ص ٣٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٥-٣٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤١ .

*** زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق من الكوفة وتسمى زرود العتيق وهي دون الخزيمية بميل . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٣٩ .

**** بطن العقبة : موضع بين زباله وشراف ، تم استنتاج ذلك من خلال مسيرة الإمام (ت) ، يذكر ابن الأثير ، أن الإمام

(ت) في منطقة زباله آتاه خير مقتل أخاه من الرضاة عبدالله بن بقطر ، ثم سار حتى نزل بطن العقبة ، ويذكر القاضي نعمان أن الإمام سار من بطن العقبة حتى نزل شراف ، إذن بطن العقبة تقع ما بين الأثنين . ينظر : القاضي المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ١٤٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٢-٤٣ .

***** لوزان أحد بني عكرمة . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ .

(٤) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ .

***** عذيب الهجانات : هو من منازل حاج الكوفة وقيل حد السواد . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٢ .

فقال للإمام (ع) بأنه رأى أهل الكوفة "اجتمعوا ليعرضوا ، ثم يسرحون إلى الحسين" (٥) ، لكن نجد الإمام (ت) يتقدم إلى الكوفة بالرغم من هذه النصائح ، فهل هذا يعني بأن الإمام (ت) قد سار بنفسه إلى الموت ؟ أو كانت لديه رؤية بأنه مقتول لذلك لا يأخذ بأرائهم .

ان الإمام (ت) في منطقة ذي حسم* قال " إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها ، واستمرت حداً ، فلم يبق منها إلا صباية** كصباية الإناء ، وخسيس*** عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، وأن الباطل لا يتناهي عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً ، فأني لا أرى الموت إلا شهادة والحياة مع الظالمين إلا برماً" (١) .

والذي يستنتج من هذه النص الأمور الآتية :

٣. أن القوم الذين بايعوا الإمام (ت) نكثوا بيعتهم ، بل لم يكتفوا بذلك فجهزوا أمرهم لقتله (٢) .

٤. أن الإمام (ت) قد وضع الموت أو الشهادة عشية خروجه من مكة لذلك وصف الموت بالقلادة في رقبة الفتاة .

هذا فضلاً عن ان هنالك من الأمور ما يدل على ان الإمام (ت) سار في طريق إرادة الله والدليل قوله الى لوزان عندما أشار إليه بعدم التقدم إلى الكوفة فقال الإمام (ت) : " أنه ليس يخفى عليّ ، الرأي ما رأيته ، ولكن الله لا غالب على أمره" (٣) ، إضافة إلى أن الإمام (ت) سار إلى الكوفة وهو يعلم غدرهم لذلك قال في منطقة البيضة " وأن لم تفعلوا ونقضتم عهدي ، وخلعتم بيعتي ، فلعمري ، ما هي لكم بنكير ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل ، والمغرور من أغتر بكم" (٤) .

٨. الإمام (ت) وأصحابه

بعد أن وصل الإمام (ت) إلى منطقة زباله**** سقط عليه مقتل عبدالله بن بقطر***** ، وكان قد سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم أنه قد أصيب ، فتلقاه خيل الحصين بن تميم

***** الطرمّاح بن عدي : الطرمّاح بن عدي بن عبدالله بن خبيوي وهو الطرمّاح الأكبر ، كان من الخوارج الصفرية ، وكان شاعراً معروفاً . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤٠١ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٤٦ .
*ذي حسم : موضع في الطريق إلى الكوفة . ينظر : ابن الأبار ، محمد بن عبدالله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ) ، درر السمط في خير السبط ، تح عز الدين عمر موسى ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (١٤٠٧هـ) ، ص ٩٩ .
**صباية : بقية الماء في الإناء ، وهي البقية اليسيرة من الشراب يبقى في الإناء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٢٦٠ .
***خسيس ، الدنيا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٩١ .

(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٣-٤٠٤ - الاصفهاني ، أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط ٢ ، دار الكتب العربي ، (بيروت / ١٩٦٧) ، ج ٢ ص ٣٩ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (ت) ، ص ٣١٤ - الطبري ، محب الدين أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ) ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، دار المعرفة للطباعة ، (بيروت / بلات) ، ص ١٤٩-١٥٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٥٤٣ .

(٢) القاضي نعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ١٤٦ - الشيخ المفيد ، المسائل العكبرية ، ص ٧١ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٣ .

(٤) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٨ .
****زباله : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٢٩ .

*****عبدالله بن بقطر : رضيع الإمام (ت) قتل بالكوفة . ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج ٢ ص ٣١٠ .

بالقادسية ، فسرّح به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له أصدع فوق القصر ، فالعن الكذاب ابن الكذاب ، ثم أنزل حتى أرى فيك رأي ، وعندما صعد عبيد الله وأشرف على الناس قال : أيها الناس ، أني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) لتنصروه وتوازره على ابن مرجانة ، ابن سمية* الدعوي ، فأمر به عبيد الله فالقي من فوق القصر إلى الأرض ^(١) .

والذي يمكن ان نستنتجه من هذا الأمور الآتية :

٧. لن يستطيع أحد من دخول الكوفة بسبب احتياطات الحصين بن تميم صاحب شرطة ابن زياد .

٨. ظاهرة سب الإمام علي (ع) التي أصبحت سنة لدى الساسة الأمويين من الخلفاء والأعوان

مع وجود أحاديث للرسول محمد (ﷺ) تنهي عن سب الإمام علي (ع) منها " من سب علياً ، فقد سبني ومن سبني ، فقد سب الله " ^(٢) ، وفي حديث آخر " من سب علياً فقد سبني " ^(٣) ، لكن ما نجده استمرار وجود هذه الظاهرة** إلى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي نهى عنها ^(٤) ، ثم عاد الخلفاء الأمويون من بعده باستئنافها .

٩. أن عبدالله بن بقطر وضح لأهل الكوفة أن الإمام (ع) هو ابن بنت رسول الله (ﷺ) ويجب الخروج إليه لمساعدته ومناصرته وذكر نقيضه ابن سمية ، وبهذا يكون قد ألقى الحجة عليهم.

١٠. طريقة قتل سفراء الإمام (ع) طريقة واحدة هي الرمي من فوق القصر كان الغرض منها هو إثارة الخوف والفرع في نفوس الناس .

أدرك الإمام (ع) أن الغرض من قتل السفراء بهذه الطريقة المراد به الإمام (ع) نفسه ، لذلك

خطب في أصحابه وقال : " أما بعد ، فإنه قد أتانا خبر فظيع ، قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبدالله بن بقطر ، وقد خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب منكم ألا تنصرف فليتنصرف ، ليس عليه منا ذمام " ^(١)

*ابن سمية : زياد بن أبي سفيان ، أما سمية فهي أمه ، كانت لدهقان من دهاقين الفرس بزند رود بكسكر ، مرض الدهقان فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الثقيفي فعالجه فبرأ ، فوهبه سمية وزوجها الحارث غلاماً له رومياً قال له (عبيد) فولد زياداً على فراشه وكانت أمه من البغايا المشهورة بالطائف ذات راية . ينظر : الكوفي ، أبو صادق سليم بن قيس (ت ٧٦هـ) ، سليم بن قيس الهلالي ، تح محمد باقر الأنصاري ، (بلا ت . ط .) ، ص ٢٨٢ .

^(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٧٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٨ .

^(٢) الكوفي ، محمد بن سليمان (من أعلام القرن الثالث) ، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، تح الشيخ محمد باقر المحمودي ، مجمع احياء الثقافة الإسلامية ، (بلا ت) ، ج ٢ ص ٥٩٨ - الحميري ، علي بن محمد (ت ٣٢٣هـ) ، جزء علي بن محمد الحميري ، تح أبو طاهر زبير بن مجدد علنيري ، ط ١ ، دار الضحاوي ، (الرياض / ١٤١٣هـ) ، ص ٢٨ - الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) ، الأمالي ، تح قسم الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، مؤسسة البعثة ، قم ، إيران ، ١٤١٧هـ ، ص ١٥٧ ، عيون أخبار الرضا ، تح حسين الأعظمي ، (بيروت / ١٤٠٤هـ) ، ج ١ ص ٧٢ - ابن بابويه ، منتخب الدين علي (ت ٥٨٥هـ) ، الفهرست ، تح د. سيد جلال الدين محدث ، مطبعة مهر ، مكتب المرعشي للنشر ، (قم / ١٣٦٦هـ) ، ص ٣٥٢ .

^(٣) النسائي ، عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، السنن الكبرى ، تح د. عبدالغفار سليمان وسيد كسروي ، ط ١ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤١١هـ) ، ج ٥ ص ١٣٣ ، خصائص أمير المؤمنين ، تح محمد هادي الأميني ، مكتبة نينوى الحديثة ، (بلا ت . ط .) ، ص ٩٩ - الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ج ٣ ص ١٣٠ .

**من أجل أن يستبد لهم الحكم وقد اعترف مروان بن الحكم بقوله إلى الإمام علي بن الحسين (ع) : ما كان في القوم أحد دفع عن صاحبنا من صاحبكم - يعني علياً من عثمان ، قلت (له) : فما لكم تسبونونه على المنابر ، قال : لا يستقيم الأمر إلا بذلك . ينظر : البلاذري ، انساب الأشراف ، ص ١٨٥ .

^(٤) الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ص ٥٠ .

^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٨-٣٩٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٣

، وكان من نتيجة هذا الخطاب تفرق عنه الذين انضموا إليه في الطريق فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي من أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة^(٢) ، وكانوا قد انضموا إليه على أساس وجود القاعدة الجماهيرية له في الكوفة لذلك سيحظون بالمكانة المرموقة في نفوس أهل الكوفة ، لذلك كره الإمام (ت) أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه^(٣) . فبقي الإمام (ت) في أصحابه الذين جاءوا معه ووصفهم خير الأصحاب لأنهم لم يعلمون أن لا سبيل أمامهم سوى الموت لذلك وصفهم " فأنني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ... ، ألا وأناي قد رأيت لكم فأنطلقوا جميعاً في حل ، ليس عليكم مني ذمام ، هذا الليل قد غشيكم ، فاتخذوه جملاً " ^(٤) .

وما يمكن أن نستخرجه من هذا النص أن هناك ترابطاً ما بين الإمام (ت) وأصحابه ، فالكل يعرفون أنهم أموات فالإمام (ت) قال عشية خروجه من مكة إلى الكوفة " خط الموت على ولد آدم مخط القلادة " ^(٥) ، أما أصحابه فبعد أن سمعوا خطاب الإمام (ت) كانت ردة فعلهم قوية فقال مسلم بن عوسجة " نحن نخلي عنك ولما نغذر إلى الله في أداء حقك " ^(٦) ، وقال سعيد بن عبدالله الحنفي " والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيأ ثم أأحرق حياً ثم أدر يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك ، وإنما هي قتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا أنقضاء لها أبداً " ^(٧) . ثم قال زهير بن القين * : " والله لو وددت أنني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة وأن الله يدفع عنك القتل عن نفسك ، ومن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك " ^(٨) .

لذا فإن وصف الإمام (ت) لهم كان محققاً في أنهم خير الأصحاب لأن في قتلهم كانوا يجددون الوفاء مع الإمام (ت) ^(٩) .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٤٣ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٩ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٧ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ - الحلواني ، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، ص٨٦ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤ ص٣٦٦ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص١٠٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٨ .
(٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص١٠٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ .
* زهير بن القين : زهير بن الحارث بن عامر بن سعد بن مالك بن ذهل بن عمرو بن يشكر بن علي بن سعد بن نذير ، وقد أنظم إلى الإمام (ت) في الطريق على أثر حديث كان قد سمعه من سلمان الفارسي في غزوة بلنجر وقول سلمان الفارسي في هذه الغزوة : إذا أدركتم سيد شباب أهل مجد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم . ينظر : أبن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٣٨٨ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ص٢٧٦ - الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص٤٨٩ .

(٨) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص١١٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ .
(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩-٤٢٠ .

١.١. الخوارج وموقفهم من الإمام (ت)

يتفق الخوارج في مبادئهم مع الإمام (ت) بالخروج على الإمام الجائر*، خدمة للإسلام^(٣)، وانطلاقاً من هذا يذكر المبرد^(٤) أن أبا مرداس، كتب إلى الحسين بن علي صلوات الله عليه بأي لست أرى رأي الخوارج وما أنا إلا على دين أبيك. وربما أن هذا الكتاب قد وقع بيد ابن زياد لذلك تابعهم في البصرة بشدة فنجدته تارة يحبسهم وتارة أخرى يأمر بقتلهم، ولم يتح لهم الفرصة المناسبة لممارسة أعمالهم السياسية لذلك نجدهم مكثوا في البصرة طوال فترة وجود ابن زياد لسهولة الهروب إلى خارجها في الظروف الحرجة بهم. لكن ما يذكره قسم من المؤرخين^(٥) أن الطرماح بن عدي دنا من الإمام (ت) في منطقة عذيب الهجانات وقال له: "والله أني لانظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيني في صعيد واحد جمعاً أكثر منه".

والذي يمكن ان نكتشفه من هذا الأمور الآتية :

١. كثرة الخارجين من أهل الكوفة لحرب الإمام (ت) ربما عددهم كان يفوق ما أشار إليه قسم من المؤرخين^(٦) بأن عددهم كان أربعة آلاف مقاتل خرجوا لقتال الإمام (ت).

٢. قلة أصحاب الإمام (ت) مقارنة بحجم القوى المستعصية ضده في الكوفة، لذلك فإن الطرماح

بن عدي قد طرح على الإمام (ت) أن لا يقدم على الكوفة، وبعد أن وجد الإمام (ت) مصراً على التقدم أشار عليه بأن ينزل بلده "فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك متاع جبلنا يدعي أجاً*، امتنعنا والله به من ملوك غسان** وحمير*** ومن النعمان بن المنذر**** ومن الأسود***** والأحمر*****، فأسير معك

*الجائر : المائل أو الظالم وهو الباغي الذي يرد الحق مع العلم به . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج٣ ص١٢٥١ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٣ ص٣٠٨ - الطريحي ، مجمع البحرين ، ج٣ ص٢٥٧ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج٤ ص٣٣٠ .

(٣) الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ) ، نيل الأوطار في أحاديث سير الأخيار ، دار الجيل للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٣) ، ج٧ ص٣٤١ .

(٤) الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٥٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٦ .

(٦) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٥٣ - يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، ج٢ ص١٦٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٩ .

*أجاً : أحد جبلي طيء والأخر سلمى وينسب إليهما الأجبنيون وبينهما قرى كثيرة . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج١ ص٣٢ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ص١٠٩ - الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص٩٢ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج٩ ص٢١١ .

**غسان : هم ملوك نزحوا من اليمن إلى الشام وأول من لجأ إليهم من الملوك هو الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن عمرو القيس ، وهو غسان بن الأزدي بن الغوث وكان نزوحهم بعد سيل العرم . ينظر : ابن المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ص٩٧ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٣٣١ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ص٦٢٣ - عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطابع رويال ، مؤسسة شباب الجامعة ، (الإسكندرية / ١٩٩٧م) ، ص١٩٥ .

حتى أنزلك القرية ثم نبعت الرجال ممن بأجأ وسلمي من طيء ، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيك طيء رجالاً وركباناً ، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي ، يضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف ^(١) .
والذي يمكن ان نستنتجه من هذا النص أمر مهم هو أن في هذه الجبال قرى كثيرة يعود نسب أهلها الى قبيلة طيء المعروفة وأنه زعيمهم لذلك طلب من الإمام (ت) البقاء فترة عشرة أيام ^(٢) ، وربما أن الطرماح قد حدد هذه الفترة لأنه يدرك أن السير والدوران في منازل طيء وجمعهم قد يستغرق هذه الفترة .

ولكن لم يتفق الإمام (ت) مع الطرماح بن عدي في أمرهما بسبب أن الإمام (ت) كان على موعد مع قوم لن يستطيع أن يخلف به، بينما كان للطرماح أمر مهم بالنسبة إلى عياله وهو جلب المتاع وهو كذلك لم يستطع تركه ^(٣) ، لذلك لم يبرز موقف الخوارج في هذه الفترة .

١٢. تشبيه حالة الإمام (ت) بالخليفة عثمان (رضي الله عنه)

كانت أيدي بعض الأمويين المقربين للخليفة عثمان (رضي الله عنه) والطامحين بالوصول إلى الخلافة وراء قتله من أجل تحقيق ميولهم ورغباتهم ، واتخذوا في نفس الوقت مسألة قتله ذريعة لتحقيق هذه الميول والرغبات ، لذا فقد ربطوا هذه المسألة بالإمام (ت) كما ربطوها سابقاً مع الإمام علي (ت) لقتله والتخلص منه كونه الرجل الوحيد آنذاك صاحب الكلمة والفكر الإسلامي الصحيح الذي ينسجم مع مبادئ الرسالة الإسلامية .

نحن نعرف أن أحد أسباب قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) هو مروان بن الحكم كونه زوراً كتاباً على لسانه وأرسله إلى والي مصر يدعوه فيه أن يقتل الوفد بعد وصولهم إليه ^(١) ، وقد أقسم الخليفة عثمان

***حمير : حمير بن سبأ الهميح ، وأنهم أيضاً وصلوا إلى جبال طيء ووضعوا حاميات عسكرية ، قريبة من الجبال لحماية تجارتهم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٥ ص ٥٦٠ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٣٨٨ هـ) ، ج ١ ص ١٠ .

***النعمان بن المنذر : النعمان بن المنذر بن عمر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن أمريء القيس من لخم ، آخر ملوك الحيرة . ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٩٧ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤٢٢-٤٢٣ .
*****الأسود : الأسود بن فار الجديس هرب من حسان ونزل جبال طيء . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٩٨-٩٩ .

*****الأحمر : هو سبا بن حمير سمي بذلك لأنه كان له تاج وكان له جوهر أحمر فإذا أجلس أضاء على بعد منه ف قيل له الملك الأحمر ثم قيل له حمير . ينظر : المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) ، اخبار الزمان ، تح لجنة من الأساتذة ، ط ٢ ، مكتبة النجف ، دار الأندلس للطباعة ، (١٣٨٦ هـ) ، ص ١٠٢ .
^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٦ .

^(٢) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٠ .

^(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٠ .
^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ص ٣٧٤ .

(ﷺ) بالله بأنه ما كتب إلى الوفود ولا له علم ولا أمر به^(٢). هذا فضلاً عن أن حصار الخليفة عثمان (ﷺ) قد استمر أربعين يوماً^(٣).

وهنا نتساءل ونقول أين كان محبو الخليفة عثمان (ﷺ) من بني أمية خلال هذه الفترة ؟

أما موقف أهل البيت (i) من دم الخليفة عثمان (ﷺ) فيتوضح لنا بما قاله الإمام علي (t) يوم قتله حينما قال " تباً لكم سائر الدهر "^(٤) ، هذا فضلاً عن أن مروان بن الحكم يذكر للإمام علي بن الحسين (t) : بأنه لم ير أحداً في القوم دافع عن صاحبنا من صاحبكم - يعني علياً عن عثمان^(٥) - إضافة إلى أن الاندلسي^(٦) يذكر في أحداث حصار الخليفة عثمان (ﷺ) أن أول القوم إيجاد له هو الإمام علي (t) الذي جاء في آخر الليل ، وأن ابنه الإمام الحسن (t) كان أحد الحرس لدار الخليفة ولم ينصرف إلا بأمر الخليفة نفسه^(٧) وكان آخر من أنصرف^(٨) ، وحينما أنصرف تمثل بأبيات من الشعر تبرر موقفه من دم الخليفة عثمان (ﷺ)^(٩) :

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير إلى الطمر* شمام**

وقيل أن الحسن (t) حمل جريحاً من الدار في يوم الدار^(١) ، لذلك نجد أن الأمويين مثلما وصلوا إلى الخلافة باسم الثار للخليفة عثمان (ﷺ) وهو الأساس الذي بنى عليه معاوية حقه في وراثة الخلافة^(٢).

ولكن هل تنبأ بنو هاشم لذلك ؟ أم أن الأمويين استطاعوا أن يعيدوا الكرة مرة أخرى ؟!

ويبدو لنا أن عبدالله بن عباس قد تنبأ بذلك حينما أشار بنصيحته إلى الإمام (t) قبل خروجه من مكة بقوله : " فأنت كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك فوالله أني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه "^(٣) لأنه أدرك سياستهم في ظاهرها وباطنها هي ضد بني هاشم ، لذلك نجد أن الإمام (t) كان يؤكد طوال مسيره من مكة إلى الكوفة على فتيلانه بأن يكثروا من الماء "

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٣٧٤ - الاندلسي ، القاضي محمد بن يحيى (ت ٧٤١هـ) ، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان ، تج د. أكرم حلمي فرحات ، ط٢ ، دار الأفاق العربية ، (مصر / ٢٠٠٢) ، ص٢٨٦ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٧٢ - الاندلسي ، التمهيد والبيان ، ص٢٧٦ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٣ ص٢٧ .

(٥) البلاذري ، انساب الأشراف ، ص١٨٥ .

(٦) التمهيد والبيان ، ص٢٧٦ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٣ ص٦٦ - ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، ج٤ ص١٢١٢ - الصلابي ، علي محمد ، تاريخ خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، (١٤٢٥هـ) ، ص١٦٩ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٣ ص١٧٩ .

(٩) الاسدي ، سيف بن عمر (ت ٢٠٠هـ) ، الفتنة ووقعة الجمل ، تج احمد راتب ، ط١ ، دار النفائس للنشر ، (بيروت / ١٣٩١هـ) ، ج١ ص٦٩ - الاندلسي ، التمهيد والبيان ، ص٢٨٢ ، يذكر كلمة نصير بدلاً من كلمة أسير .

*الطمر : الفرس الجواد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ص٦٤٢ .

**شمام : جبل بالعالية . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ص١٩٨ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٣٩٧ .

(٢) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية إلى نهاية العصر الأموي ، ص١٣٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٩ .

أكثرُوا من الماء فاستقوا وأكثرُوا^(٤) ، هذا فضلاً بأن الإمام (t) سار في مناطق يكثر فيها المياه من زرود ، بطن العقبة ، شراف* ، قصر مقاتل** .

وفعلًا ما فطن به أبين عباس وما أحترس منه الإمام (t) حصل ، لأن أوامر عبيدالله إلى عمر بن سعد كانت تأمره بأن يضيق على الإمام (t) وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان^(٥) !! لذلك أرسل عمر بن سعد ، عمرو بن الحجاج الزبيدي على خمسمائة فارس أنزلوا الشريعة*** ، وحالوا بين الإمام (t) وبين الماء أن يسقوا منه قطرة^(٦) . ويتبين أن ابن زياد قد خطط أن تكون أول بوادر معركة الطف**** حول الشريعة بمنعهم من ملء قرايبهم***** بالماء ، وفعلًا اشتد العطش على الإمام (t) وأصحابه فدعا العباس بن علي بن أبي طالب ، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم بعشرين قربة ، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدمهم إمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي* ، فقال عمرو " من الرجل ؟ فاجابه نافع ، فقال له : ما جاء بك ، قال : جننا نشرب من هذا الماء الذي حلائموننا** عنه ، قال : فاشرب هنيناً ، فرفض نافع ذلك^(١) ، حتى يملؤوا القرب ويشرب الإمام (t) وأصحابه ، فلم يرضى عمرو بن الحجاج وأصحابه بذلك ، فأقترَب أنصار الإمام (t) من نافع فقال لهم : أملوا قرايبكم ، وعند ذلك ثار عمرو بن الحجاج وأصحابه فحمل عليهم العباس بن علي ونافع الجملي ، فكفؤهم ، ثم انصرفوا إلى رحالهم وجاء أصحاب الإمام بالقرب فأدخلوها عليه^(٢) .

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا هو :

٣. سياسة التضليل الإعلامي التي استخدمها معاوية ومن بعده أبنه وأعوانه وهم يعلمون إنها أشد أسلحة الحرب إمضاءً وأبلغها نفاذاً^(٣) ، فاستعمل هذا السلاح ليصرف الناس عن أهل البيت

(i) ويحول قلوبهم عنهم^(٤) .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨ ص ٥٤٤ .
*شراف : موضع بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الإحساء التي لبني وهب . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٣١ .

**قصر مقاتل : قصر كان بين عين تمر والشام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣١٤ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ .
***الشريعة : مشرعة الماء وهو مورد الشاربة التي يشربها الناس فيشربون بها ويستقون . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ص ١٧٨ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٨٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ - القاضي نعمان ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ١٨٢ .
****الطف : هي أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٦ .
*****قرايبهم : مفردا قربة ، الوُطْبُ من اللّث ، وقد تكون للماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ٢٩١ .

*نافع بن هلال : نافع بن هلال بن نافع البجلي المرادي ، كان من أصحاب الإمام علي (t) ومن أصحاب الإمام (t) . ينظر : القاضي نعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ٢٤٧ - ابن طاووس ، علي بن موسى (ت ٦٦٤ هـ) ، إقبال الأعمال ، تح جواد القيومي ، ط ١ ، مطبعة مدار الإعلام الإسلامي ، (١٤١٦ هـ) ، ج ٣ ص ٧٨ - التقرشي ، نقد الرجال ، ج ٥ ص ٦ .

**حلائموننا : يقال حلاه عن الماء ، أي طرده ومنعه منه . ينظر : الطبري ، هامش الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ - الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١١٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤١٢ - الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١١٧ .

(٣) أسد حيدر ، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ط ٤ ، مكتبة الصدر ، (إيران / ١٤٢٠ هـ) ، ج ٣ ص ٤٥٣ .

٤. شجاعة أنصار الإمام (t) وبالذات أخوه العباس بن علي بن أبي طالب ، في الدفاع عن أهل البيت (i) وتضحيته بنفسه من أجل أن يجلب إليهم الماء من الشريعة ، وهذا أن دل على شيء فإنه يدلل لنا بأنهم يقاتلون من أجل مبدأ الإمام (t) الذي هو مبدأ الإسلام نفسه لذلك وصفهم بأنهم خير الأصحاب .

ومن هذا كله يمكن القول أن الأمويين حاولوا تهيئة النفوس في الكوفة إلى قتل الإمام (t) باسم الثار لعثمان وهم أبرياء منه براءة الذنب من دم يوسف (t) .

ثالثاً . الموقف العام لأهل العراق

٣. بعد مجيء الإمام (t)

في هذه الظروف والأوضاع التي خطط لها ابن زياد في الكوفة وخارجها ، لم تكن هناك مشاركة فعلية من أهل العراق وخاصة أهل الكوفة مع الإمام (t) بالرغم من محاولة حبيب بن مظاهر الاسدي في بني أسد من أجل جلبهم لنصرة الإمام (t) لكنه فشل في ذلك بسبب وجود عيون وجواسيس ابن زياد في أحياء الكوفة ، فيذكر ابن أعثم الكوفي^(٤) ، أن حبيب بن مظاهر الاسدي أقبل على الحسين بن علي فقال : ههنا حي من بني أسد بالقرب مني أو تأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك فعسى الله ان يدفع بهم عنك بعض ما تكره ، فقال له الحسين ، قد أذنت لك يا حبيب ، فخرج حبيب بن مظاهر الاسدي في جوف الليل منكراً حتى صار إلى أولئك القوم فحياهم وحيوه وعرفوا انه من بني أسد ، ... ، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله (ﷺ) فإنه في عصابة من المؤمنين ، فتبادر رجال

(٤) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٥٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٣ .

(١) الفتوح ، مج ٣ ص ٩٠-٩١ .

الحي مع حبيب بن مظاهر الاسدي ، وخرج رجل من الحي في ذلك الوقت صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل فخبّره بذلك ، فدعا رجل من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيدائي فضم إليه أربعة آلاف فارس ، ووجه به في جوف الليل إلى حي بني أسد ، لذلك فشل حبيب في إخراج أفراد قبيلته لنصرة الإمام (t) إلا إن هذا لم يمنع من خروج بعض الرجال لنصرة الإمام (t) كما فعل عبدالله بن عمير من بني عليم وزوجته أم وهب عندما خرجا لمساعدة الإمام (t) فاستشهدا بين يديه^(٢) .

أما موقف أهل البصرة فلم يذكر المؤرخون شيئاً عنهم إلا رواية واحدة عند قسم من المؤرخين^(٣) ، ذكروا فيها خروج يزيد بن نبيط مع أبنيه عبدالله وعبيدالله إلى الإمام (t) في مكة ، ثم أقبلوا معه حتى استشهد مع أبنائه بين يدي الإمام (t) ، وهذه المشاركة هي مشاركة أفراد قلائل وهذا يعني أن موقفهم كان غير موافق للإمام (t) ليس بسبب الولاة الذين حكموا البصرة طيلة الحكم الأموي كونهم قساة فقط وإنما بسبب طبيعة أهل البصرة الذين كانت لديهم الرغبة بالمحافظة على الأمن بسبب مصالحهم الشخصية^(٤) ، هذا فضلاً عن اهتمام خلفاء بني أمية بمدينة البصرة وبأمرها وأحوالها وكثرة القبائل المحيطة بها ذات الشكيمة والقوة وشدة المراس فبقيت موالية لهم حتى أواخر عهدهم^(٥) .

٤. طبيعة المقاتلين في الكوفة

قد يتساءل البعض منا لماذا لم يخرج أهل الكوفة مع الإمام (t) بعد قدومه إلى الكوفة ووصوله إلى كربلاء ؟ وللجواب عن هذا السؤال فمن الأجدر بنا أن نعرف طبيعة أهل الكوفة آنذاك قبل أن نتطرق إلى الأسباب ، فكان مجتمع الكوفة ينقسم إلى فئات متعددة بناءً على مصالحهم الشخصية ليس إلا ، فمنهم من خرج لقتال الإمام (t) بغضاً لأبيه الإمام علي (t) كشبث بن ربعي ويزيد بن رويم الشيباني وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم من أشرف الكوفة كونه قتل رجالهم وصناديدهم في معركة بدر نشرًا للإسلام ودفاعاً عنه^(١) ، ومنهم^(٢) من خرج لقتال الإمام (t) من أجل المنصب

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٢٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٠٣ .

(٣) أبو مخنف ، مقتل الحسين (t) ، ص١٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢١ ، يذكر اسم بنبيط بدلاً من نبيط .

(٤) محمد جابر عبدالعال ، حركات الشيعة المنتظرين ، مطبعة السنة المحمدية ، (١٣٧٣هـ) ، ص١٧٥ .

(٥) الساعدي ، كاظم جواد ، تاريخ البصرة ، مطبعة القضاء ، (النجف / ١٩٥٩م) ، ج٣ ص٢٣٤ .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٣ - العاملي ، الصحيح من السيرة النبوية الاعظمية ، ج٢ ص٤١٦ .

والجاء عند ابن زياد ومثال ذلك عمر بن سعد قائد الجيش فحينما رشحه ابن زياد لقتال الإمام (ت) ارتد في أول الأمر لكن ابن زياد هدده بأن يسترجع منه العهد الذي أعطاه ، وكان قد أعطاه العهد أن يسير إلى دستنبى* ويكون والياً على الري** أن ظفر بالإمام (ت) أو قتله^(٣) ، لذلك تقدم عمر بن سعد لقتال الإمام (ت) بعد أن قدم الدنيا على الدين^(٤) ، وفي ذلك مقولته الشهيرة^(٥) :

أترك ملك الري والري رغبة أم أرجع مذموماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرة عين

والبعض الآخر وهم الأغلبية من الفقراء في الكوفة وهو جنود لا يملكون شيئاً سوى العطاء وكانوا يعتمدون عليه لذلك أستغل ابن زياد هذا الأمر وقال لهم : " قد زاد أمير المؤمنين في إكرامكم وكتب إلى يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومائتي ألف درهم أصرفها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين بن علي"^(٦) .

وهناك أحد الأشخاص* الذين غادروا الكوفة قبل وصول الإمام (ت) لكي لا تقع عليهم الحجة بعدم مناصرة الإمام (ت) ، لأنهم أدركوا قول الرسول محمد (ﷺ) : " أن أبني هذا يقتل بأرض من أهل العراق ، فمن أدركه منكم فلينصره"^(٧) ، ويرى السيد أبو سعيدة^(٨) أن البعض من أهل الكوفة خرجوا لقتال الإمام (ت) بغضاً لأبيه ، من أمثال حجار بن ابجر ، قيس بن الاشعث ، وغيرهم كون سياسة الإمام علي (ت) كانت سياسة عادلة ضد المصالح الشخصية .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٠٩ - ابن الأبار ، درر السمط في خير السبط ، ص٩٨ .
*دستنبى : كورة كبيرة مقسومة بين الري وهمدان ، قسم منها يسمى دستنبى الرازي وهو يقارب التسعين قرية ، وقسم منها يسمى دستنبى همدان وهو عدة قرى . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص٤٥٤ .
**الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن ، كثير الفواكه والخيرات وهي محط الحاج السابلة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص١١٦ .

(٣) ابن عبد البر القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، مطبعة مصطفى محمد ، دار الكتب المصرية ، (١٣٥٨هـ) ، ج١ ص٣٧٧ .

(٤) الحراني ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، منهاج السنة النبوية ، تح د. محمد رشاد سالم ، ط١ ، مؤسسة قرطبة للنشر ، (١٤٠٦هـ) ، ج٢ ص٧٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٣ .

(٦) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٨٩ .

*عبيد الله بن الحر : عبيد الله بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن حريم بن جعفر ، أمه العالية بنت الأسمر بن عبيد الله بن الحر ، وكان لا يقاتل لديانة وإنما كان همه الفتك والتصعلك والغارات . ينظر : البلاذري : انساب الأشراف ، ج٥ ص٢٩٠-٢٩١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٠٧ .

(٧) القرطبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ) ، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٥) ، ص٦٤٣ .

(٨) بلاغة الإمام الحسين (ت) ، ج٣ ص٢٨٧ .

وبعد أن عرفنا طبيعة هذا المجتمع وموقفه من الإمام (t) وابن زياد ، نأتي لنذكر أهم وأبرز العوامل التي ساهم بعضها مع بعض في منع أهل الكوفة من مناصرة الإمام (t) وهي :

٥. انقسام الولاء السياسي ليس ما بين أفراد القبيلة الواحدة فحسب بل داخل البيت الكوفي نفسه فمثلاً نجد أن عمرو بن قرظة بن كعب كان مع الإمام (t) في حين أن علياً أخاه كان مع جيش عمر بن سعد^(٣).
٦. دور الأشراف ومن أبرزهم عمرو بن الحجاج الزبيدي في توجيه أهل الكوفة لمقاتلة الإمام (t) وتشويه الحقائق من خلال مقولته " يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام "^(٤) ، إضافة إلى أن المقاتلة من أهل الكوفة كان لهم أهل وملك وقبيلة يتخوفون عليهم من التخلف^(٥).

٧. ابن زياد واستقبال الإمام (t)

لما بلغ يزيد نبأ مسير الإمام (t) كتب إلى ابن زياد " أنه قد بلغني أن حسيناً صائر إلى الكوفة وقد أبتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان ، وأنت من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبداً "^(٦).

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا أمر مهم هو :

أن ابن زياد ليس من بني أمية ، وإنما من الناس الملحقين بهم وبنسبهم وأن بقاءه في حق النسب يتوقف على أطاعته للأوامر وأخذ بيعة الإمام (t) ليزيد بن معاوية ، لذلك كان لهذه الرسالة الأثر الكبير في إجراءات عبيد الله بالكوفة ، فقد ذكر ابن الأثير^(١) أن أول أعماله أنه بعث الحصين بن تميم صاحب شرطته حتى نزل القادسية* ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان** ، وما بين القادسية إلى القطقانة*** وإلى لعلع**** ، وقد حفظت له هذه الإجراءات تلك المناطق من الاشتراك بأي عمل ضد الدولة الأموية في الكوفة ، كما حافظت على طرق المواصلات بين الكوفة ومكة^(٢).

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٣٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٦٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٣٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٦٧ .

(٥) ابن فهد الحلي ، جمال الدين أبو العباس أحمد بن فهد (ت ٨٤١هـ) ، الرسائل العشرة ، تح السيد مهدي الرجائي ، ط١ ، مطبعة سيد الشهداء ، مكتبة آية الله المرعشي ، (قم / ١٤٠٩هـ) ، ص٤١٣ .

(٦) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤ ص٢٠٦ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ص٣٠٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٣٨ .

(٧) الكامل ، ج٤ ص٤١ .

* القادسية : قرية قريبة من الكوفة إذا خرجت منها أشرفت على النجف ، بينها وبين النجف خمسة عشر فرسخاً . ينظر : الطريحي ، مجمع البحرين ، ج٣ ص٤٧٠ .

** خفان : موضع قرب الكوفة يسلكها الحجاج أحياناً . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص٣٧ .

*** القطقانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطرف كان سجن النعمان بن المنذر . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٣٧٤ .

**** لعلع : منزل بين البصرة والكوفة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص١٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٤ .

إذ لولا هذه الخطة لما استطاع الحصين من إلقاء القبض على عبدالله بن بقطر في موضع القادسية وهو يحمل كتاب الإمام (t) إلى أهل الكوفة^(٣).

وكان لأبن زياد بعض الإجراءات خارج الكوفة كان الغرض منها هو أبعاد الإمام (t) من مدينة الكوفة لذا فقد قدم الحر بن يزيد الرياحي ***** ومعه ألف فارس من القادسية يستقبل حسيناً^(٤)، ثم دفع إليه كتاباً آخر يدعوه فيه أن يجعجع ***** الإمام (t) حين يبلغه كتابه ويقدم رسوله^(٥)، ولم يكتفِ ابن زياد بهذا فقط بل جعل الرسول مراقباً للحر حتى ينفذ أمر ورأي ابن زياد^(٦)، ثم يحاول أن يسيطر على مناطق المياه من خلال إرساله عمرو بن الحجاج، لذا فقد كان لسياسته هذه نتيجتان مهمتان هما :

٣. عدم قدرة الناس في الكوفة من الخروج إلى الإمام (t) ومناصرته، إذ لم يستطع الخروج من أهل الكوفة سوى أفراد قليلين جداً، ربما بسبب سياسة القتل التي أتبعها ابن زياد حتى مع غير أهل الكوفة، فإنه قد جعل مؤيد بن عبدالرحمن المنقري يطوف في خيل داخل مدينة الكوفة فوجد رجلاً من أهل الشام في طلب ميراث له فقتله ابن زياد^(١).

٤. إبعاد الإمام (t) عن الكوفة وتضييق المكان عليه من أجل أن يبايع ليزيد، لذلك أدرك الإمام (t) نواياه فقال: "هيهات منا الذلة"^(٢)،

وبهذه الإجراءات سيطر ابن زياد على الكوفة وخارجها قبل مجيء الإمام (t)، لذلك لم يكن لهم مشاركة بارزة.

٨. ابن زياد وقتل الإمام (t)

ب. أمر ابن زياد بقتل الإمام (t)

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٩٨.
 ***** الحر بن يزيد: الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب الرذن بن هرمي بن رياح بن يربوع. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ج١ ص٢٧٧ - الأردبيلي، محمد علي (ت ١١٠١هـ)، جامع الرواة، مكتبة المحمدي، (قم / بيات)، ج١ ص١٨٢.
 (٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠١ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٤٦ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج٢ ص٤٦.
 ***** جعجع: أي ضيق عليهم المكان، ويقال جعجع القوم إذا أناخوا، والجعجاع أي الموضع الضيق، أي أحبسه. ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، العين، تح. د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، ط١، مؤسسة الأعلمي، (بيروت / ١٤٠٨هـ)، ج١ ص٦٨ - الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تح. فاطمة محمد أصلان، ط١، دار إحياء التراث، (بيروت / ٢٠٠١م)، ج١ ص٥٦ - الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج١ ص٢١٨ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١ ص٢٧٤.
 (٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠٨ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٥٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج٤ ص٨٦.
 (٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠٨.
 (١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٥.
 (٢) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من أعلام القرن الرابع)، تحف العقول عن آل الرسول، تح. حسين الأعلمي، ط٦، (١٩٩٦)، ص١٧٢.

عندما تأخر عمر بن سعد في قتله للإمام (ت) دعا عبيدالله شمر بن ذي الجوشن ، وأمره أن يخرج بالكتاب إلى عمر وقال له " فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فأن فعلوا فليبعث بهم إلي سلماً ، وأن هم أبوا فليقاتلهم ، فأن فعل فاسمع له وأطع ، وأن هو أبى فقاتلهم ، فأنت أمير الناس ، فثب عليه فاضرب عنقه وأبعث إلي برأسه " (٣) .

والذي يمكن ان نستنتجه من هذا هو :

٣. النزول على حكم عبيدالله ، وحكم عبيدالله هو حكم يزيد بن معاوية ، لذلك كان ابن زياد يدرك رفض الإمام (ت) لهذا الطلب ، فقال الإمام (ت) " أنا أنزل على حكم ابن مرجانة ؟ والله لا أفعل " (٤) .

٤. إذا نفذ عمر بن سعد أمر الكتاب سوف يكون شمر أحد قواده ، وأن رفض ذلك فأن الشمر له الحق في قتله وإرسال رأسه إلى ابن زياد (٥) ، وان تكون له أمرة الجيش ، وهذا يبين لنا أمران مهمان هما :

ت. ان ابن زياد أدرك ان عمر بن سعد ليس قادراً على قتل الإمام (ت) وتأخر عليه " فأني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ، ولا لتقصده له عذري شافعاً " (١) . إذ قال عمر بن سعد لشمر بن ذي الجوشن حينما جاءه بالكتاب " لا قرب الله دارك ، وقبح الله ما قدمت به علي " (٢) ، ثم قال له " أنا أتولى ذلك " (٣) .
ث. ان ابن زياد أرسل شمر بن ذي الجوشن لربما بسبب ان هناك نزاعاً ما بين الاثنين وما ذكر أعلاه دليل على ذلك ، وبعد هذا تحرك ابن الجوشن ونهض بالكتاب عشية الخميس لتسع مضين من المحرم (٤) ، وجاء بالكتاب إلى ابن سعد ، وبسبب تصرفات ابن الجوشن مع ابن سعد بدأت المعركة يوم العاشر منه ، وانتهت بنفس اليوم سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (٥) ، باستشهاد الإمام (ت) وجل أهل بيته وأنصاره ولم ينج منهم أحد سوى الإمام علي بن الحسين (ت) بسبب مرضه (٦) .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٧ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج٢ ص٢٦٩ .

(٤) ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج٢ ص٢٦٩ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٤٣٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٧ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج٢ ص٢٦٩ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٨ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج٢ ص٢٦٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٦ .

(٥) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ، العبر في خبر من غير ، تج د. صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، مصورة ، (الكويت / ١٩٤٨) ، ج١ ص٦٥ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢١٠ .

وبسبب حرص ابن سعد على بقاء مكانته في نفس ابن زياد استعجل بإرسال رأس الإمام (t) ورؤوس أصحابه إليه بالكوفة^(٧) ، فأرسلها عصر يوم عاشوراء نفسه مع بعض من أصحابه ، وبقي هو في كربلاء مع بقية الجيش^(٨) ، وكان قد أرسل رأس الإمام (t) بيد خولي بن يزيد الأصبحي وحמיד بن مسلم الأزدي^(٩) ، وبعث ببقية الرؤوس مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، وعزرة بن قيس ، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد^(١٠) .

وقد يتساءل البعض منا هل ظاهرة قطع الرؤوس تتعارض مع مبادئ الإسلام ؟ ثم أن أمر قطع الرؤوس هل تم بأمر من عمر بن سعد ؟ أو أنها كانت بأمر من عبيد الله ؟ وهل هناك دلالة سياسية لهذه الظاهرة ؟ وأن أمر قتل الإمام (t) هل كان من يزيد ؟ أم تصرف خاص من ابن زياد ؟

من الثوابت في الشريعة الإسلامية النهي عن التمثيل بالمسلم وتحريمه وهذا باتفاق المذاهب الإسلامية ، بل أن من الثابت النهي عن المثلة حتى بالنسبة إلى الكلب العقور وقد ثبت عن رسول الله (ﷺ) النهي عن ذلك ، ولم يحدث مثله في حياته (ë) على كثرة ما خاض من حروب وغزوات ضد المشركين ، أما في عهد الخلفاء الراشدين فما كان من هذه الظاهرة سوى في عهد الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) حين عدا خالد بن الوليد على مالك بن نويرة وقومه فقتلهم بزعم أنهم مرتدون فقد قطعت رؤوس القتلى^(١) .

وفي خلافة الإمام علي (t) لم يكن هنالك أمر بقطع رأس أحد المسلمين بل كان هنالك أمر بقطع يد المخدج* ، وقال : " سيماه** أن يده كالثدي فيها شعيرات كشارب السنور ، إيتوني بيده المخدجة ، فأتوه بها فنصبها " ^(٢) ، لأنه من الخوارج وقد وصفهم رسول الله (ﷺ) وقال سيماهم التحليق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد " ^(٣) ، ويذكر قسم من المؤرخين وأحد اللغويين أن الإمام علي (t) عندما شاهده قال : " الله أكبر ما كذب ، ولا كُذبت ، لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه (ë) عن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي

(٧) قانصو ، الشيخ محمود ، ما بعد كربلاء ، ط ١ ، مطبعة سرور ، دار مدين للنشر ، (قم / ٢٠٠٥) ، ص ٢٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٥ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٠ - ابن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص ٦٥ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨١ ، يذكر عروة بن قيس بدلاً من عزرة بن قيس .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ص ٢٧٩ .

*المخدج : هو نافه المخدج ، خرج الإمام علي (t) يوم النهروان في طلبه فوجده في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً ، فلما استخرجه ، نظر إلى عضده ، فإذا لحم مخيم كثدي المرأة وحلما عليها شعيرات سود ، فإذا أمدت حتى تحاذي يده الطولي ثم تترك فتعود إلى منكبيه . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٣٤٨ .

**سيماه : أي علامته . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١ ص ٣٩٠ .

(٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٣٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٣٤٨ .

(٣) الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ) ، مسند الشاميين ، تح د. حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت / ١٤١٧هـ) ، ج ٤ ص ٤٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٣٤٨ .

نحن عليه ^(٤) لذلك نصب يده الإمام علي (t) ، وفي عهد الخليفة معاوية تم قطع رأس عمرو بن الحمق الخزاعي ^(٥) .

ويذكر قسم من المؤرخين أن عبيد الله بن زياد قد أرسل كتاباً إلى عمر بن سعد بيد شمر بن ذي الجوشن وفيه " ، ... ، وأن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، فأنهم لذلك مستحقون " ^(٦) .

والذي يمكن الخروج به من هذا النص هو وجود أمر التمثيل بالإمام (t) وأنصاره لكن هل التمثيل المقصود به قطع الرؤوس، إذا كان ذلك فإنه أيضاً لم ينفذ بدقة ، فلم تقطع رؤوس الجميع إلا أنه من الواضح أنه ليس المراد بالتمثيل قطع الرؤوس ، لذا نقول ربما هناك أمر بقطع الرؤوس من ابن زياد إلى عمر بن سعد بسبب الحقد الذي يحمله ابن زياد كما هو الشأن في رض الأجساد بحوافر الخيل والتمثيل بها ^(٧) .

وهو ليس إجراءً انتقامياً فقط لا غاية له إلا الانتقام وارواء غليل الحقد ، بل له هدف سياسي وهو القضاء على كل أمل عند الجماهير بنجاح أي محاولة ثورية خاصة بعد أن علم ابن زياد أن غالبية الثائرين مع الإمام (t) قياديون يتبوؤن مراكز الزعامة في قبائلهم من أمثال حبيب بن مظاهر الاسدي ، الحر بن يزيد الرياحي ، ومسلم بن عوسجة وغيرهم .

ويمكن ان نستدل على هذا الهدف من خلال ان الرؤوس في المعركة لم تقطع جميعها بل قطعت الرؤوس للشخصيات البارزة .

أما في كربلاء فإن الموالي الذين استشهدوا مع الإمام (t) والرجال العاديين ^(٨) لم تكن رؤوسهم تعنى شيئاً بالنسبة إلى الناقمين على الحكم الأموي ، ان الذي يشل القدرة الثورية ويسبب الهزيمة النفسية لدى الجماهير هو ان ترى زعماءها وقادتها قد قتلوا ، لذا فإن ابن زياد قد نصب رأس الإمام (t) فجعل يدار به في الكوفة ^(٩) ، لكي يكون عبرة لغيره من الثوار في عصره .

ان الإسلام ينهى عن قطع الرأس ، هذا فضلاً عن حمله من بلد إلى آخر ، وقد أنتهك الأمويون هذا الحكم الشرعي الواضح ولا يعرف من أين اقتبس الأمويون هذا الأسلوب في معاملة قتلاهم فلعله من آثار عقليتهم الجاهلية التي لم تزل عنهم يوم من الأيام ، أو أنهم اقتبسوه من الأمم الأجنبية وخاصة الروم الذين قلدوهم في حياتهم .

ب. ابن زياد ورأس الإمام

أذن ابن زياد أذنأ عاماً بالدخول إلى قصر الإمارة ^(١٠) ، وإظهاراً للكبرياء والجبروت أمر عبيدالله بوضع رأس الإمام (t) في طست ، فبدأ ينكت بقضيبه بين ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن أرقم * لا

(٤) المبرد ، الكامل ، ج٣ ص ١٣٠ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ص ٤٧٧ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٥٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٥٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٦٩ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٨٣ .

(١٠) أبو مخنف ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٠٤ - البديخشاني ، محمد بن معتمد خان (ت ١١٢٦هـ) ، نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل النبي الأطهار ، تح د. محمد هادي الأميني ، ط ٢ ، دار الكتبي للطباعة ، (بيروت / ١٩٩٣م) ، ص ١٦٣ .

ينجم عن نكته بالقضيب قال له : أعل بهذا القضيب عن هاتين النثيتين ، فوالذي لا إله غيره ، لقد رأيت شفتي رسول الله (ﷺ) على هاتين الشفتين يقبلهما ، ثم أنفض الشيخ يبيكي ، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك فوالله لو لا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك " (٤) ، فخرج وهو يقول : " ملك عبد عبداً فاتخذهم تلدأ ، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة ، وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خيــــــــــــــا ركم ويســـــــــــــتعبد**

شراركم فرضيتم بالذل ، فبعداً لمن رضى بالذل " (١) .

والذي يمكن ان نستنتجه من هذا النص الأمور الآتية :

٣. تخوف أهل الكوفة من أبْن زياد وسياسته الظالمة ، ولم يكن من يقدر على إظهار رأيه ضد تصرفات ابن زياد سوى زيد بن ارقم ودليل ذلك ما قاله أنس بن مالك* الذي شاهد نفس ما شاهده زيد وهو قد وصف نفسه قائلاً : " لما قتل الحسين بن علي جيء برأسه إلى عبيدالله بن زياد فجعل ينكت بقضيب على ثناياه وقال انه كان لحسن الثغر ، فقلت في نفسي لأسؤونك ، لقد رأيت رسول الله يقبل موضع قضيبك " (٢) وصمت أنس بالرغم أنه من الصحابة المعروفين بالكوفة لدليل على تخوف أهلها من سياسة أبْن زياد .

٤. ان سياسة ابن زياد كانت ليست ضد الإمام (t) وأنصاره بل كانت ضد الرسول محمد (ﷺ)

ودليل ذلك ان زيد بن أرقم قد ذكرهم وأكد له أن رسول الله (ﷺ) كان يقبله من هاتين

الشفعتين ، وفيه قال الرسول (ﷺ) " حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً "

، حسن بن سعيد بن مطهر بن عيسى بن الحسين بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

وما أيقن به زيد بن أرقم ، حصل لأهل الكوفة فأنهم أصبحوا العبيد لابن زياد ، ولم يستطيعوا حتى الكلام معه ، ولم يحدثنا التاريخ من أمرهم شيئاً بشكل علني إلا بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة

*زيد بن أرقم : زيد بن أرقم بن قيس بن النعمان بن مالك بن مالك الأغر ، غزا مع رسول الله (ﷺ) عشر غزوات ومن صحابة رسول الله . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

**لا ينجم: ينجم: ظهر وطلع: أي لا يظهر نكته. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج ٥، ص ١٥٤ - الشيخ الطريحي، مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢١٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٥٦ - ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين (ت)، ص٣٨١، الراوندي، أبو الحسن سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ)، الخراج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي (عج)، (قم/ ١٤٠٩هـ)، ج٢ ص٥٨١ - ابن حجر، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقه، ج٢ ص٥٧٨ - المتقي الهندي، (ت٩٧٥هـ)، كنز العمال، تح بكر الحبانى وآخرون، مطبعة مؤسسة الرسالة، (بيروت/ بلات)، ج١٣ ص٦٧٢.

(^١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٤٥٦ - ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٢٦.

*أنس بن مالك : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن زيد النجار ، يكنى أبا حمزة ، صاحب رسول الله وخادمه ، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج٥ ص ٣٥٦ - ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج١ ص ١١١ .

(^١) أبو بكر الشيباني، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧هـ)، الأحاد والمثاني، تح باسم فيصل أحمد، ط ١، دار الرابطة للطباعة، (الرياض / ١٩٩١)، ج ١ ص ٣٠٧ - الحلي، شمس الدين أبو الحسن يحيى بن الحسن (ت ٦٠٠هـ)،

العمدة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / ١٤٠٧ هـ) ، ج ١ ص ٣٥٩ - ابن العديم ، ترجمة الإمام الحسين (ع) ، ص ١٥٩

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٧٧ .
- ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ص ١٦٣ .

٦٤هـ/٦٨٣م^(٤) ، وكان الفرزدق قد قال مقولته الكبرى بعد استشهاد الإمام (t) والتي ربما تتوافق مع قوله زيد بالمضمون " فأن غضبت العرب لأبن سيدها وخيرها فأعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها ، وأن جدت عليه ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر " ^(٥) .

السؤال هو هل يزيد بن معاوية قد أمر عبيدالله بن زياد بقتل الإمام (t) أم أنه كان تصرفاً شخصياً منه ؟

كنا قد وضعنا سابقاً بأن يزيد كتب عدة كتب إلى أعوانه من الولاة في الأمصار العربية الإسلامية بشأن أمربيعة الإمام (t) للوليد في المدينة* ، ولعبيدالله بن زياد عندما سار الإمام (t) من مكة إلى الكوفة** .

وهناك من الدلائل التي تشير إلى وجود أمر من يزيد إلى الوالي لقتل الإمام (t) منها :

٩. يذكر ابن سعد^(١) أن يزيد كتب إلى الوليد في أمر البيعة " ليكن أول من يبايعك هو الحسين بن علي "

١٠. يذكر ابن أعثم الكوفي^(٢) أن ابن زياد قال : " قد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، أن لا أتوسل الوتير ، ولا أشبع من الخبز ، أو الحقك باللطيف الخبير ، أو ترجع إلى حكمي أو حكم يزيـد بـمعاوية "

١١. عن مسافر بن شريح الشكري قال أن عبيدالله بن زياد قال في قتله للإمام (t) أن يزيد أشار إلي بقتله أو قتلي فاخترت قتله " ^(٣) .

١٢. أن يزيد لم يظهر إنكاره لقتل الإمام (t) والانتصار له والأخذ بثأره بل كان الواجب عليه أن كان لا يوجد منه أمر لعبيدالله بقتله أن يعاقب ابن زياد على ذلك ، فصار أهل الحق يلومونه على تركه الواجب^(٤) .

١٣. لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد - رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه - أخذ بقضيبه ينكت في ثغر الإمام (t) ثم تمثل بما قاله الحصين بن الحمام المري*** :
يفلقن هاماً من رجال أحية
إلينا وهم كانوا أعق وأظلماً^(٥)

وهناك رواية أخرى تقول أن يزيد عندما وضعت الرؤوس أمامه قال : " والله يا حسين لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك " ^(٦) ، وقد حاول يزيد أن يبرر عمله هذا على عبيدالله بن زياد وهذا لا يمكن لأن من

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٥ .

(٥) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢١ ص ٢٦١-٢٦٢ .

* ينظر فص ١ ص ٢٧ من هذه الدراسة .

** ينظر فص ٢ ص ١٠٠ من هذه الدراسة .

(١) الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٢٤ .

(٢) الفتوح ، مج ٣ ص ٨٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٠ .

(٤) ابن تيمية ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ، ج ٣ ص ٤١٠ .

*** الحصين بن همام : الحصين بن همام بن ربيعة المري الذيباني أبو يزيد الشاعر ، فارس جاهلي كان سيد سهم بن مرة (من ذبيان) وهو من نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية . ينظر : الزركلي ، خير الدين ، ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٥) ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣٣١ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢١٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٥ - ابن تيمية ، رأس الحسين (t) ، ص ٢٠٧ .

الولاية من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم ألبس على الأثم على الأمير لا عليك ، وهذا باطل لأنه معين على الظلم^(٧) ، لكن هناك أحد المؤرخين^(٨) حاول تبرير عمل يزيد ونفي ما وجه إليه من تهمة ضربه بالقضيب في ثغره وتمثله بالشعر ، وإذا كان هذا العمل ليس منه فما يقولون في أباحة المدينة ورمي الكعبة وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين^(٩) .

١٤ . أن يزيد لما وصل إليه رأس الإمام (t) حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل ، ثم لم يلبث إلا يسيراً ، حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم فندم على قتله للإمام (t)^(١٠) .

والذي يظهر لنا أن يزيد كان يظهر تصرفين في آن واحد وهذا السلوك الجديد الذي صدر منه صادر عن الاندفاع الخارجي له بعيداً عن السيطرة الإرادية^(١١) .

١٥ . بعد دخول سبائيا أهل البيت (i) إلى مجلس يزيد وطلب الشامي أن يأخذ السيدة فاطمة بنت علي* كونها من السبائيا ، قالت له زينب : " كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله " ، فعضب يزيد وقال : " كذبت وأن ذلك لي ! ، ولو شئت أن أفعله لفعلت " ^(١٢) ، فقالت له زينب : " كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا " ^(١٣) .

١٦ . بعد وصول نبأ مقتل الإمام (t) في كربلاء أرتد من كان في المجلس وقال يحيى بن الحكم وهو من الأمويين :

لهام بجنب الطف أدنى قرابة

من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى

وبنت رسول الله ليس لها نسل

فأسكته يزيد وضربه في صدره^(١٤) .

وهنا نقول بأن مسؤولية يزيد من هذه الفاجعة لا سبيل إلى أنكارها فهو الذي أطلق يد عبيد الله بن زياد في العراق إطلاقاً لا يدل على بعد نظر وحسن إدارة ، وهو الذي أمره بقتل الإمام (t) ان لم ينزل على حركته .

^(٧) ابن الجوزي ، الإمام جمال الدين أبو الفرج بن عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ) ، تلبس إبليس ، تح محمد منير الدمشقي ، الطبعة المنيرية ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٣٦٨هـ) ، ص ١٣٤ .

^(٨) ابن تيمية ، رأس الحسين ، ص ٢٠٦ .
^(٩) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، رسائل الجاحظ ، تح عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة / ١٩٦٤م) ، ص ١٢ .

^(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٧ .
^(١١) علي كمال ، النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجها ، ط ٤ ، دار واسط للطباعة والنشر ، (١٩٨٨م) ، ج ١ ص ٨٧ .

* فاطمة بنت علي : فاطمة بنت علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ، وامها ام ولد تزوجها ، ولها رواية ، ثقة ، ماتت سنة مائة وسبع عشرة وقد جاوزت الثمانين لقبت فاطمة الصغرى . ينظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ٢ ص ٦٥٤ - الذهبي ، من له رواية في كتب السنة ، ج ٢ ص ٥١٥ - الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ص ١٣١ .

^(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦١ .

^(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦٦ .

^(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦٠-٤٦١ - الكتبي ، محمد بن شاعر (ت ٧٦٤هـ) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تح د. إحسان عباس ، دار صادر للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٤م) ، ج ٢ ص ٢٧٧-٢٧٨ .

مربعاً. أسباب الثورة وتائجها .

٣. أسباب الثورة

بواعث الثورة لدى الإمام (ت) لم تبدأ في عصره وعصر خصمه يزيد ، بل كان لها جذور تاريخية بدأت منذ عهد عبد شمس وهاشم ، إذ كان بنو هاشم أخلاقيين ومحبوبين من قبل الناس بينما بنو أمية نفعيين دهاة لاسيما من كان منهم من أصل عبد شمس من الآباء^(١) ، هذا فضلاً عن أن هاشم كان دائماً يصلح الناس ما أفسده عليهم حرب وخاصة بسرقة أموال التجار اليهود بالمؤامرات^(٢) ، لذا يمكن القول أن من أهم أسباب ثورة الإمام (ت) هو ما بينه في كتابه إلى أخيه محمد بن الحنفية " وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب النجاح والإصلاح في أمة جدي محمد (ع) ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد (ع) وسيرة أبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين " ^(٣) .

والذي يستنتج من هذا أن أسباب الثورة هي :

٦. أن ثورة الإمام (ت) ليس من أجل سلطة أو مال ، وإنما عمله هذا إظهار عدل الدين^(٤) ، لذلك قال من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس^(٥)
٧. خروج الإمام (ت) بعد أن استبد بالأمر يزيد بن معاوية^(٦) .
٨. طلب الإصلاح في أمة جده محمد (ع) والتي لم يلجأ إليها سوى العقلاء من هذه الأمة^(٧) .
٩. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول الماوردي^(٨) أن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فعن رسول الله محمد (ع) : " ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم إلا عمهم الله بعذاب

(١) بارا ، الحسين في الفكر المسيحي ، ص ١٩٥ .

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٥ ص ٧٩ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٧٣ .

(٤) المرتضى ، أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ) ، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، وبهامشه جواهر الأخبار والآثار ، تح د. محمد محمد ناصر ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ٢٠٠١ م) ، ج ٦ ص ٦٩٣ .

(٥) الطبرسي ، علي بن الحسن (ت بحدود ٦٠٠ هـ) ، مشكاة الأنوار ، المكتبة الحيدرية ، (النجف / ١٣٨٥ هـ) ، ص ٣٢ .

(٦) القلشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) ، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تح علي الخاقاني ، مطبعة النجاح ، (بغداد / ١٩٥٨) ، ص ٤٣٢ .

(٧) العاملي ، السيد جعفر مرتضى ، مختصر مفيد ، ط ١ ، المركز الإسلامي للدراسات ، (بيروت / ٢٠٠٢ م) ، ص ٦٩ .

(٨) الماوردي ، علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ) ، أدب الدنيا والدين ، ط ٤ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٧٨ م) ، ص ١٠١ .

محتضر^(١) وعن ابن عباس قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب^(٢) . وأن الأمر بالمعروف واجب على كل مسلم لأنها شريعة الإسلام^(٣) ، ويرى ابن حزم^(٤) أن على الأمة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقول الله تعالى ((وَكَفَّ عَنْكُمْ أُمَّةٌ

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ))^(٥) ، ويقول ابن الاخوة^(٦) أن الإمام علي (t) قال أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فانطلاقاً من هذا حدد الإمام (t) أسباب ثورته وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

١٠. حدد الإمام (t) بأن الإسلام أمام خطر يهدده هو الخلافة الأموية ، وأنها ليست خلافة شرعية

لذلك قال : " على الإسلام السلام إذا ابتليت براع مثل يزيد " ^(٧) ، ويكتب الإمام (t) بذلك إلى

أهل البصرة فيقول : " أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ë) ، فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قلبي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد " ^(٨) .

وفي منطقة البيضة وضع الإمام (t) أن سبب خروجه هو السلطان الجائر حينما قال : " أن

رسول الله (ë) قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ، ... وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله ، وحرّموا حلاله " ^(٩) .

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا الأمور الآتية :

(١) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص ١٠١ .
(٢) الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تح صدقي جميل العطار ، مطبعة دار الفكر ، بيروت / ١٤١٥ هـ) ، ج ٩ ص ٢٨٨ - الجصاص ، أحمد بن علي (ت ٣٧٠ هـ) ، أحكام القرآن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت / ١٤١٥ هـ) ، ج ٣ ص ١٤ - الشيخ الطوسي ، البيان في تفسير القرآن ، ج ٥ ص ١٠٣ - ابن حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) ، فتح الباري ، ط ٢ ، مطبعة دار المعرفة ، (بيروت / بلات) ، ج ١٣ ص ٣ - الثعالبي ، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٧٥ هـ) ، تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، تح د. عبدالفتاح أبو حسن وآخرون ، ط ١ ، مطبعة دار إحياء التراث ، (١٤١٨ هـ) ، ج ٣ ص ١٢٥ .

(٣) الخطيب ، عبدالكريم ، الخلافة والإمامة ديانة وسياسة ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، (القاهرة / ١٩٦٣) ، ص ٢٨٤ .
(٤) ابن حزم ، علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح أحمد شمس الدين ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٠ هـ) ، ج ٣ ص ١٠٠ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .
(٦) ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٩ هـ) ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، تح محمد محمود شعبان وآخرين ، مكتبة الإعلام الإسلامي للنشر ، (١٩٧٦ م) ، ص ٦٤ .

(٧) ابن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص ١٥ - الشيخ البحراني ، عوالم الإمام الحسين ، ص ١٧٥ - الأميني ، السيد محسن ،

لوائح الأشجان في مقتل الحسين (t) ، مكتبة بصيرتي ، (بلات) ، ص ٢٦ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٨ .

٤. أن الإمام (t) يعرف أن السلطان الجائر إذا لم يجد من يردعه ولو بالكلمة عن جوره ويرده إلى الصواب أزداد جوراً وطغياناً^(١).
٥. أن الإمام (t) قد وصف سياستهم تجاه الرعية بأنها سياسة السلطان الجائر الذي أن أحسنت لم يقبل وأن أساءت لم يتجاوز ، وأن رأى خيراً دفنه وأن رأى شراً أذاعه^(٢).
٦. أن مبدأ ثورة الإمام (t) هو مبدأ الثورة على الإمام الجائر لذلك فهو مبدأ لا غبار عليه^(٣).

٤. نتائج الثورة

لهذه الثورة نتائج على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية ومن أهمها في الجانب السياسي :

- ت. الارتباط الوثيق ما بين صلح الإمام الحسن (t) مع معاوية وثورة الإمام (t) بسبب موقف أهل الكوفة في الحالتين كليهما ، لقد عاب أهل الكوفة الإمام الحسن (t) بصلحه مع معاوية ودخل عليه أحد* أشرافها فسلم عليه وقال : " السلام عليك يا مذل المسلمين !! " ^(٤) ، لأنه لجأ إلى الصلح ولم يذهب إلى الحرب . لذلك فإن ثورة الإمام (t) جاءت لتثبت وتبرهن أن الصلح لم يكن نتيجة اعتباطية وإنما بسبب معرفة الإمام الحسن (t) برجال أهل الكوفة وغدرهم^(٥) ، وانطلاقاً من هذا فقد قدم الإمام (t) نفسه وجل أهل بيته وأصحابه ليثبت بأن لو ثار الإمام الحسن (t) في الكوفة آنذاك لوجد نفس المصير الذي وجده الإمام (t) .
- ث. سياسة بني أمية وأعوانهم ليست ضد أهل البيت (i) فحسب بل هي ضد الإسلام ، وما يثبت هذا مخالفتهم للشريعة الإسلامية في عدد من الأمور فعلى سبيل المثال قتل الطفل عبدالله الرضيع ابن الإمام (t) وهو في حجر أبيه^(٦) ، في حين أن الرسول محمد (ë) لم يجوز قتل الأطفال والنساء السبي من أهل الكتاب^(٧) ، إضافة إلى ظاهرة سب الإمام علي (t) التي أقرها معاوية في سياسته الدينية وسار عليها من بعده أبنه وولاته على الرغم من كثرة الأحاديث الواردة عن الرسول محمد (ë) في منع سب الصحابة ، هذا فضلاً عن مسألة مهمة هي قتل السفراء لأن رسول الله (ë) نهى عن قتل الرسول " لولا أنك رسول لقتلتك " ^(٨) .

(١) السجستاني ، سنن أبي داود ، ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٢) الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال ، ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٣) السابعي ، ناصر بن سليمان ، الخوارج والحقيقة الغائبة ، دار المنتظر للنشر ، (بيروت / ٢٠٠٠م) ، ص ١٧٥ .

*يقال بأنه سليمان بن صرد الخزاعي . ينظر : ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٥) أختلف المؤرخون في ذلك فيرى البعض منهم أن الرجل هو أبو عامر سفيان بن ليلى ، ويرى ابن قتيبة أن سليمان بن صرد الخزاعي والذي يبدو أن الرجل هو أبو عامر لاجتماع أكبر عدد من المؤرخي عليه . ينظر : ابن شبة الكوفي ،

المصنف ، ج ٨ ص ٦٣١ - ابن عساكر ، الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) ، ترجمة الإمام الحسن (t) ، تح محمد باقر ، ط ١ ، مطبعة المؤسسة ، (بيروت / ١٤٠٠هـ) ص ٢٠٠ - ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٦) أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٩٤ .

(٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٧ .

(٨) النيسابوري ، أبو محمد عبدالله بن علي بن الجارود (ت ٣٠٧هـ) ، المنتقى وبهامشه أتحاف أهل التقى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٦م) ، ص ٣٩٨ .

ج. إثارة الشعور بالإثم في ضمير كل مسلم استطاع نصرة الإمام (ت) ولم ينصره ، وقد كان هذا الشعور أقوى ما يكون في ضمائر أولئك الذين كفوا أيديهم عن نصره بعد أن وعدوه بالنصر وعاهدوه على الثورة لذلك كانت حركة التوابين واحدة من الحركات الشيعية التي ظهرت بالكوفة على هذا الأساس ، وليس مثلما يقول بروكلمان^(١) بأن ميتة الشهداء التي أماتها الإمام (ت) لم يكن لها أثر سياسي .

د. تحطيم الإطار الديني للأمويين بأنهم يحكمون بتفويض ألهي وأنهم خلفاء رسول الله (ﷺ) حقاً ، هادفين من ذلك أن يجعلوا من الثورة عليهم عملاً محظوراً ، وأن ظلموا وجوعوا وشردوا المؤمنين^(٢) ، وأن يجعلوا لأنفسهم باسم الدين الحق في قمع أي تمرد تقوم به جماعة من الناس وأن كانت محقة في طلباتها ، فمثلاً في خطبة ابن زياد مع أهل الكوفة عندما خذل مسـلم بن عـقـيل كـل كـيـفـيـة ان يـقـول لهم : " اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم " ^(٣) ، ونجد نفس الأسلوب يتكرر مرة أخرى في قول عمرو بن الحجاج الزبيدي في أصحابه وهو يعد الجنود لقتال الإمام (ت) : " يا أهل الكوفة ، أئتمروا بطاعتكم وجماعتكم ، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام " ^(٤) . لذا فقد كان أضمن السبل لتحطيم هذا الإطار هو أن يثور عليه رجل ذو مركز ديني مسلم به عند الأمة المسلمة بأسرها ، ولم يكن هذا الرجل إلا الإمام (ت) الذي فضح الزخرف الديني الذي يتظاهر به الحكام الأمويون وان يكشف هذا الحكم على جاهليته وحقيقته وبعده عن مفاهيم الإسلام .

هـ. ظهور التشيع كمبدأ باطني وليس ظاهرياً ، وأخذ دوره سياسياً بارزاً في الأحداث السياسية في خلافة يزيد^(٥) .

و. ثورة الإمام (ت) روّعت العالم الإسلامي بأسره فولدت في بلاد فارس شعوراً وطنياً ساعد بني العباس من بعد على تحطيم الأمويين^(٦) .

ز. أن من قتل الإمام (ت) هم أهل الكوفة ، ولم تكن هناك أي مشاركة من أهل الشام معهم^(٧) .

ح. أن الندم لا يأتي إلا بعد الخطيئة وما البكاء إلا دليل الندم ، لذا نقول بأن يزيد وأعوانه قد اخطأوا بقتل الإمام (ت) فبكاء يزيد^(٨) ، وعمر بن سعد^(٩) ، وقول شبث بن ربعي في أمانة مصعب ابن الزبير : " لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ، ولا يسدد لهم لرشد ، ... ، ثم عدونا على أبنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وأبن سمية الزانية " ^(١٠) .

(١) كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقلها إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، طه ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٩٦٨) ، ص ١٢٨ .

(٢) محمد مهدي شمس الدين ، ثورة الإمام الحسين (ت) ، ص ٢٠٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦٧ .

(٥) عبدالله فياض ، تاريخ الإمامية منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ١٩٨٦ م) ، ص ٤٦ - عبدالله فياض ، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ، تقديم : السيد محمد باقر الصدر ، ط ٣ ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ١٩٨٦ م) ، ص ٤٦ .

(٦) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العربية ، نقله إلى العربية ، عفيف البعلبكي ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، (لبنان / ١٩٦١ م) ، ص ٩٣ .

(٧) ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣٢٠ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦١ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٧٨ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٣٦-٤٣٧ .

ط. بروز الدور السياسي للإمام علي بن الحسين (t) وما خطبته في مجلس يزيد وتعريفه بأنهم أهل بيت النبوة وليسوا من الخوارج مثلما كانت أفكار معاوية في أهل الشام ضد أهل البيت (i) فقال : " أيها الناس ، أنا ابن مكة ومنى وزمزم والصفاء ، أنا ابن خير من حج ، وطاف وسعى ولبي ، أنا ابن خير من حمل على البراق ، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " (٥) فخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن أن يؤذن حتى يقطع عنه الكلام .

ي. بروز دور المرأة المسلمة سياسياً وإعلامياً متمثلاً بأخت الإمام (t) زينب بنت علي حينما قامت في مجلس يزيد بإفهام الناس بأنهم ليسوا سبائاً أو خوارج فقالت له : " أمن العدل يا ابن الطلقاء تخدريك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله (ﷺ) قد هتكت ستورهن وأسمعت صوتهن مكتنبات تحذي بهن الاباعر ويحدد به الأعادي من بلد إلى بلد لا يراقبن ولا يؤوين يتشوفهن الغريب والبعيد ليس معهن ولي من رجالهن " (٦) . ونستنتج من هذا أمرين مهمين هما :

٣. أن أهل بيت النبوة ليسوا سبائاً لكي يستطيع يزيد وأعوانه ان يتقاسموا السبائاً لذلك قالت له : " إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا " (٧) .

٤. أن يزيد لم يستطع أن يفعل ما يضيف إليه الحماسة أكثر فأنه قد قتل الإمام (t) قبل أيام قلائل ويأتي اليوم ويفعل أمراً لا يجوزه الإسلام .

ك. الجانب البطولي في الثورة : أصبحت ثورة الإمام (t) منار لكل الثائرين الرافضين للذل ، لذلك اقتدى بثورته حتى أعداؤه أنفسهم فيذكر الاصفهاني (٨) إن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عندما رأى كثرة الخارجين ضده ، فإنه انتص سيفه وقاتل قتال مستقتل ، فقيل له لا تهلك نفسك ولك الأمان ، فتمثل بأبيات قالها الإمام (t) يوم استشهاده :

أذل الحياة وذلل الممات وكلا أراه طعاماً وبيلاً

فأن كان لابد أحدهما فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

ل. الجانب الأخلاقي في الثورة : يمكن ملاحظة هذا الجانب عندما كان الإمام مطوق بألف فارس وعلى رأسهم الحر بن يزيد الرياحي وقد جاؤوا لمناجزته وإقصائه عن المدينة أو القدوم على حكم ابن زياد ، لكننا نجد الإمام (t) يأمر أصحابه " أن أسقوا القوم واروهم من الماء ورشفوا الخيول " (٩) .

(٥) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ص١٣٣ .

(٦) ابن طيفور ، أحمد بن ظاهر (ت ٢٨٠هـ) ، بلاغات النساء ، دار الشريف الرضي ، (قم / بلات) ، ص ٣٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٣٦١ .

(٨) محاضرات الأدباء ، ج٢ ص ٦٠ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٤٦ .

م. الجانب النفسي في الثورة : أن الجانب النفسي في الثورة يتبين لنا من خلال الإمام (t) نفسه عندما خرج على يزيد فأنه كسر حاجز الخوف الموجود لدى الناس بعد عشرين عاماً من الخضوع والتسليم .

خامساً . الخوارج وموقفهم من ابن زياد (٦٠//٦١ هـ - ٦٧٩/٦٨٠ م)

كان عامة أهل العراق قد انهارت آمالهم بالبيعة ليزيد لاعتقادهم أنهم سيظلون يعانون من ظلم الولاة الأمويين^(١) ، ومن بين أهل العراق من ظن ذلك الخوارج الذي بقي ابن زياد يحاربهم ويحبسهم تارة

(١) الراوي ، ثابت إسماعيل ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١٠٦ .

ويقتلهم تارة أخرى ، ربما بسبب ما لقي منهم في الأهواز من قتل أصحابه* مما ولد عند ابن زياد الخوف من كلامهم وأفعالهم وقد وصف ابن زياد ذلك فيذكر المبرد^(٢) انه قال : " أن يجمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع** " ، أما أفعالهم ضده فقد أشار ابن زياد إلى ذلك أيضاً حينما قال : " ما أدري ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلاً بقتل رجل منهم فتكوا بقتاله ^(٣)" .

فإن انتصار الخوارج بقيادة مرداس بن أدية على اسلم بن زرعة كما وضحنا ذلك سابقاً ، قد أثار غضب ابن زياد غضباً شديداً ، فانتدب لهم عباد بن أخضر*** ، فوجهه في أربعة آلاف^(٤) ، فاتبعه حتى لحقه بتوج**** ، فناداه ابو بلال : أخرج إلي يا عباد فاني أريد أن أحاورك ، فخرج إليه فقال : ما الذي ينفع ، قال : أن أخذ بأقفاكم ، فاردكم إلى الأمير عبيدالله بن زياد أو تعرض عليك غير ذلك ، قال : وما هو ، قال : أن ترجع^(٥) ، فرفض مرداس ذلك لأنه كان يرى في كلام عباد أمرين هما :

٣. عودتهم إلى ابن زياد تعني أمرين بالنسبة إلى مرداس وأنصاره هما أما الحبس أو القتل ، لأنه سبق لهم أن رأوا وشاهدوا حكمه فيهم طوال سبع سنوات من حكمه بالبصرة (٥٣-٦٠هـ) .
٤. الرجوع إلى ابن زياد بالطرق السلمية وهذه الحالة أيضاً رفضها مرداس لأن سبب خروجهم هو سياسة الظلم والبطش وقد أشار إلى ذلك حريث بن مجل السدوسي عندما قال إلى عباد بن أخضر " أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبار عنيد " ^(٦) .
ومن هذا نستكشف أن الخوارج وجدوا ان إمكانياتهم لا تتوافق مع طموحاتهم بالخروج مع السلطان الجائر لذلك غادروا البصرة إلى الأهواز .

وبعد هذه المناقشات حمل عليهم أبو بلال فيمن معه ، فثبثوا واشتد القتال حتى دخل وقت العصر ، فقال أبو بلال : هذا يوم جمعة ، وهو يوم عظيم ، وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلي ، فاجابهم ابن الاخضر وتحاجزوا ، فعجل ابن الاخضر الصلاة^(١) ، والخوارج يبطنون ولا يسرعون الوقت في الصلاة ، فشد عليهم هو واصحابه وهم ما بين قائم وراكم وساجد فقتلوا من اخرهم واخذ رأس ابي بلال^(٢) ، وهكذا انتهى الامر إلى الخوارج بالمكر والخداع .

*تم الإشارة إلى ذلك في التمهيد . ينظر ص ٢٤ من الدراسة .

^(٢) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٤٧ .

**اليراع : أي القصب . ينظر : الكتاني ، محمد أبين جعفر (ت ٣٤٥هـ) ، من هدى الحديث النبوي ، تح شرف حجازي ، ط ٢ ، دار الكتب السلفية ، (مصر / بلات) ، ص ١٧٢ .

^(٣) المبرد ، الكامل في اللغة ، ، ج ٣ ص ١٤٧ .

***عباد بن أخضر : عباد بن علقمة بن عباد المازني المصري التميمي المعروف بابن خضر ، وهو راو ثقة . ينظر : الغطفاني ، تاريخ ابن معين ، ج ٣ ص ٨١ - المناوي ، فيض الغدير ، شرح الجامع الصغير ، ج ٥ ص ١١٧ - المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٤ .

^(٤) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٠ .

****توج : مدينة بفارس قريبة من كارزون شديدة الحر لأنها في غور الأرض ، ذات نخل . ينظر : الحموي ، المعجم ، ج ٢ ص ٥٦ .

^(٥) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٠ .

^(٦) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥١ .

^(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٤ .

^(٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٤-٩٥ .

أولاً. حركة عبد الله بن الزبير

١. جذور الحركة

بالرغم من ان حركة عبد الله بن الزبير كانت بداياتها بعد استشهاد الإمام (ت) إلا إن لها جذوراً عميقة في التاريخ السياسي لابن الزبير ، الذي كان ذا طموح ورغبة للوصول إلى الخلافة الإسلامية^(١) ، إلا إن وجود الصحابة الكبار* جعله لا يكشف عن هذه الرغبة ولكنه ظل يراقب الأحداث من منظور قريب^(٢).

وعندما نقرأ تاريخه السياسي نجد بأنه ذو أطماع للوصول إلى الخلافة خاصة بعد أن أعطاه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) صفة الدفاع عنه يوم الدار^(٣) ، وإقراره له بأن يصلي بأهل الدار عند حصاره^(٤) ، ودوره في إقناع السيدة عائشة أم المؤمنين في المشاركة بحرب الجمل^(٥) ، وترشيحها له بأن يصلي بالخارجين على الإمام علي (ت) يوم الجمل^(٦) ، ووقوفه ضد والده الزبير بن العوام عندما أرتد عن مقاتلة الإمام علي (ت) في حرب الجمل^(٧) ، وأقنعه بالاشتراك بالحرب بعد أن يحرر مولاه سرجس^(٨) ، وفعلأً أشترك والده بعد تدخل عبد الله في أمره لذلك وصفه الإمام (ت) بابن السوء حينما قال للزبير " لقد كنا نعدك من بني عبدالمطلب حتى بلغ أبئك السوء ففرق بيننا " ^(٩).

وحينما هُزمت السيدة عائشة أم المؤمنين في حرب الجمل ، انطفأت تلك الآمال الدنيوية في نفس ابن الزبير وبسبب ذلك أبتعد عن جو المعارضة ريثما يتهيأ الوقت المناسب لذلك^(١٠) ، فلما جاء عهد

(١) النجار ، محمود الطيب ، الدولة الأموية في المشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، مطبعة دار الكتاب العربي ، (مصر / ١٣٨٢ هـ) ، ص ٦٧ .

*الصحابة الكبار : الإمام علي (ت) ، طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام ، سعد بن أبي وقاص ، عبدالرحمن بن عوف وهم أصحاب الشورى بعد خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٦٩ .

(٢) النجار ، محمود الطيب ، الدولة الأموية في المشرق ، ص ٦٧ .

(٣) الأسدي ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٦٩ - ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٧٥ ، ج ٣ ص ٦٧ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٧٥ ، ج ٣ ص ٦٧ .

(٥) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص ٢٣ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٢٤٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٧ ص ٢٣٩ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٢٤٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٧ ص ٢٣٩ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٢٤٠ .

(١٠) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مطبعة السنة المحمدية ، (مصر / ١٩٦٤ م) ، ج ١ ص ٤١٠ .

معاوية بعد صلح الإمام الحسن (ت) وبيعة الناس له دخل ابن الزبير فيما دخل فيه الناس^(١)، لكن عندما أعلن معاوية البيعة بولاية العهد لابنه يزيد سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م^(٢)، قام ابن الزبير ورفع لواء المعارضة فيمن رفعها من أعداء الأمويين من أبناء الصحابة في المدينة والتي سبق الحديث عنها في التمهيد .

وعند وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م^(٣)، وتولى ابنه يزيد الخلافة رفض ابن الزبير مثلما رفض الإمام (ت) البيعة له لذلك هاجر من مدينة رسول الله إلى مكة^(٤)، ولزم عبدالله الحجر^(٥)، فإ

المعافري*، وفي مكة وجد ابن الزبير أن منزلة الإمام (ت) أفضل من منزلته، لذلك أدرك أنه لا يستطيع أن يمارس أي نشاط سياسي طوال فترة وجوده، لذلك أخذ يصير نفسه ويلقب نفسه بأنه "عاند البيت"^(٦)، لعلمه أن قدسية وحرمة البيت تحرم القتال فيها، لذلك اتخذ شعاراً " لا حكم إلا لله"^(٧).

وأخيراً نقول ان ابن الزبير كان رجلاً طموحاً يحب السلطان والمجد وليس مثلما يقول الأستاذ النجار^(٨)، بأنه لم يفكر إيجابياً بالخلافة إلا بعد ان أعلن معاوية البيعة لابنه يزيد ولكن وجود الصحابة الكبار أخفى الطموح الحقيقي له .

٤. ابن الزبير والخلافة الأموية

بعد أن رفض عبدالله بن الزبير البيعة ليزيد، وثب مروان وقال للوليد في مجلسه أضرب عنقه أن لم يبايع فإنه صاحب فتنة وشر، فقال لهذا يا ابن الزرقاء فاستبأ فقال الوليد: أخرجهما عني^(٩)، ثم بدأ إلحاح الوليد في طلب البيعة بإرسال الرسل إليه، وبعد ان انصرف الرسل عنه تحمل عبدالله من ليلته وهي السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين هجرية^(١٠)، فلما أصبح الوليد في طلبه فلم يجده، قال مروان: ما أخطأ مكة، فوجه الوليد في طلبه حبيب بن كره مولى لبني أمية في ثلاثين راكباً من موالي بني أمية فلم يلحقوه^(١١)، لذلك عزل يزيد والي المدينة وعين بدلاً منه عمرو بن سعيد الأشدق^(١٢)،

(١١) النجار، محمود الطيب، الدولة الأموية في المشرق، ص ٦٨.
(١٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٠١ - الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، دار الكتب الإسلامية، (طهران / ١٣٦٥هـ)، ج ٤ ص ١٥٨ - الصدوق، محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه، تح علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم / ١٤٩٣هـ)، ج ٢ ص ٥٣٠ - الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التهذيب، ط ٤، دار الكتب الإسلامية، (طهران / ١٣٦٥هـ)، ج ٥ ص ٩٩ - أبين كثير، البداية والنهاية، مج ٤ ج ٨ ص ٤٥٢ - النووي، الحاج ميرزا حسين، مستدرک الوسائل ومستنبط الوسائل، مؤسسة آل البيت (ج ١)، (قم / ١٤٠٨هـ)، ج ٩ ص ٣٢٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٦.
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١-٨١هـ، ص ٥.
*المعافري: برد باليمن منسوب الى معافر وهي قبيلة باليمن. ينظر: الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، المبسوط، تح محمد باقر، مطبعة المكتبة المرتضوية، (قم / ١٣٩٧هـ)، ج ٣ ص ٣٦.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٨٣.
(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر، (بيروت / ١٤٢٤هـ) - الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج ٤ ص ٢٠.
(٧) النجار، محمود الطيب، الدولة الأموية في المشرق، ص ٦٧.

(٨) المالكي، العواصم من القواصم، ص ٢٣٥.
(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٤٠.
(١٠) البلاذري، انساب الاشراف، ج ٤ ق ٢ ص ١٣.
(١١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٤٣ - ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٨.

وبعد أن أظهر عبدالله شتمه ليزيد وفجوره وشربه للخمر ، ومعرفة يزيد بذلك اقسم بأن لا يقبل منه بيعة حتى يوتى به في جامعة^(٢) ، فقال له معاوية أبنه بأن يدفع الشر عنه ما أندفع وأن عبدالله رجل لخر* لجوج ولا يرضى بهذا أبداً^(٣) ، حينها أدرك يزيد أن رأي أبنه صائب لذلك أرسل وفداً* إلى ابن الزبير من الشخصيات المهمة في الشام من أبرزهم النعمان بن بشير الأنصاري لغرض إقناعه بالبيعة وأنه يريد السلامة^(٤) .

وبعد وصول الوفد إلى مكة تكلم النعمان بن بشير مع عبدالله بن الزبير في كيفية سبب يزيد ، أمام الناس وقد بايعة الناس ، فقال ابن الزبير: ان الفاسق لا غيبة له ، وما ذكرته إلا ما قد علمه الناس فيه^(٥) ، وعندما سمع ابن عضاة الأشعري كلام عبدالله غضب عليه وقال له : تشبه نفسك بحمام الحرم وتشتتم أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وما حرمة حمام الحرم يا ابن الزبير !^(٦) ، ويبدو ان عبدالله بن الزبير شبه نفسه بحمام الحرم بسبب كونه يضرب به المثل في الأمانة والسلام^(٧) ، ولحمام الحرم قدسية خاصة عند أهل مكة^(٨) .

ثم أشد الكلام ما بين ابن عضاة الأشعري وابن الزبير ، فقال ابن عضاة : " يا غلام أنتني بقوسي وسهم ! فأتاه بقوسه وسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدده نحو حمام من حمام المسجد وقال : يا حمامة أشرب يزيد الخمر ؟ ، قولي نعم ، فوالله لنن فعلت لأرمينك ، يا حمامة اتخلعين يزيد وتفارقين أمة محمد ، وتقيمين في الحرم حتى يستحل بك والله لنن فعلت لأرمينك فقال ابن الزبير : ويحك أو يتكلم الطائر ، قال : ولكنك يا ابن الزبير تتكلم " ^(٩) .

وتدخل عندئذ المختار للدفاع عن ابن الزبير وقد كثر الكلام بينهما وتشاتما فيما بينهما ، ثم اسكت ابن الزبير المختار وبقي ابن عضاة الأشعري يتهدد وتوعد بأنه سوف يأخذ البيعة منه بالقوة ، فلم يجبه ابن الزبير إلى ما يريدون^(١٠) .

ويتبين لنا ان سبب قوة موقف ابن الزبير هو عدم وجود بيعة سابقة له مع يزيد^(١) ، هذا فضلاً عن شعور ابن الأشدق بأن الناس في مكة قد بايعوا ابن الزبير^(٢) ، وعدم وجود حامية عسكرية أموية في مكة^(٣) .

لكن ما اغضب يزيد هو سماعه خبر عزل عامله الحارث بن خالد المخزومي* من عبدالله بن الزبير في مكة^(٤) ، لأن هذا العمل له مدلول سياسي وتشريعي بوجود شخص يقف في وجه يزيد وعدم

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٥ - الاصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج١ ص٣٣١ ، القضاعي ، محمد بن عبدالله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ) ، الحلة السيرة ، تح د. حسين مونس ، ط٢ ، دار المعارف للنشر ، (القاهرة / ١٩٨٥) ، ج١ ص٢٥ .

*لخر : الضيق الشحيح النفس الذي لا يكاد يعطي شيئاً فأنا أعطى فقليل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ص٤٦ .

(٣) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج٣٠ ص١٥٧ .

**الوفد : عبدالله بن عضاة الأشعري ، روح بن زنباخ الجذامي ، سعيد بن حمزة الهمداني ، مالك بن هبيرة السكوني ، أبو كيشة السكسكي ، زمل بن عمرو العذري ، عبدالرحمن بن مسعود ، شريك بن عبدالله الكناني ، عامر بن عبدالله الهمداني ثم يضيف إليهم البلاذري الحصين بن نمير السكوني ، مسلم بن عقبة المري ، زخر بن الحارث الكلابي ، الضحاك بن قيس ، نائل بن قيس الجذامي . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٢٠ - الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص٢٧ .

(٤) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٦٣ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٥١ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٥٠ .

(٧) الثعالبي ، عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تح محمد أبو الفضل

ابراهيم ، ط١ ، دار المعارف ، (القاهرة / ١٩٦٥م) ، ج١ ص٤٦٥ .

(٨) الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ج١ ص٤٦٥ .

(٩) الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص٢٧ .

(١٠) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٥٠-١٥١ .

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ص٢٣٩ - الاصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ج١ ص٩٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ .

الاعتراف الشرعي بخلافته ، لذلك كتب يزيد إلى عامله في مكة أن يبعث جيشاً لقتال ابن الزبير^(٥) ، وان يختار هذا الجيش من أهل العطاء والديوان^(٦) .

وعندما وصل الكتاب إلى الأشدق أخذ بالسؤال عن أشد الناس كرهاً وبغضاً لعبدالله بن الزبير ف قيل : " أخوه لأبيه عمرو بن الزبير " ، وكان الأمويون يكرمونه لأنه ابن أختهم^(٧) فعينه قائداً لشروطه^(٨) ، وقد رحب عمرو بهذا المنصب^(٩) ، وبدأ يتابع شيعة عبدالله بن الزبير بالمدينة وأخذ يضرب نفراً*** منهم ضرباً شديداً^(١٠) ، وفر*** منه بضع من أنصاره خارج المدينة إلى مكة بسبب قساوته^(١١) .

وبعد خروج أغلب المواليين من آل الزبير ومواليهم إلى مكة بدأ عمرو الأشدق يعد المقاتلين للخروج بجيش كثيف نحو مكة لقتال عبدالله وخرج معه سبعمائة رجل من أهل المدينة بزعامه أنيس بن عمرو الأسلمي^(١) ، وأرسل يزيد قوة من أهل الشام إلى عمرو بن الزبير يقدر بنحو ألف رجل لتعزيزه^(٢) ، وسبب هذا الإعداد استياء بعض صحابة رسول الله (ﷺ) مما حدا بهم التذكير بحرمه

مكة)) وَمَنْ دَخَلَ مَكَّةَ

آمناً^(٣) ، لذلك جاء أبو شريح الخزاعي* الصحابي وقال لعمر بن سعد الأشدق : لا تغز مكة فأنى

*الحارث بن خالد : الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، أمه فاطمة بنت أسد بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام ، شاعر غزل من أهل مكة . ينظر : الزبيري ، نسب قريش ، ج ٩ ص ٣١٣ - الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ٣ ص ٧٣ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ١٥٤ .

^(٤) الزبيري ، نسب قريش ، ج ١١ ص ٣٩٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٢ .

^(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ .

^(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٢٣ .

** عمرو بن الزبير : عمرو بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي ، أمه أم خالد وهي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص ، وكان من أعدى الناس لعبدالله بن الزبير . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ .

^(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٥ ص ١٥٣ .

^(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٤٩ ص ٨ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ .

*** النفر : المنذر بن الزبير ، محمد بن المنذر ، عبدالرحمن بن الأسود بن عبد ، عثمان بن عبدالله ، خبيب بن عبدالله ، محمد بن عمار بن ياسر . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ .

^(١٠) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٩ ص ٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٢ - ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٤ ص ٣٦ .

**** عبدالرحمن بن عثمان : عبدالرحمن بن عثمان بن عمرو بن سهيل . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ .

^(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ .

^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٢ .

^(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٩ ص ٨ .

^(٣) سورة آل عمران ، آية ٩٧ .

* أبو شريح الخزاعي : خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد العزي بن معاوية بن الخثرشي الخزاعي الكعبي . ينظر : الطوسي ، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) ، الخلافة ، تح سيد علي الخراساني وآخرون ، ط ١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (١٤١٧ هـ) ، ج ٥ ص ١٥٧ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٤ ص ٣٠٥ .

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إنما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كالأمس^(٤) ، فقال الأشدق : نحن اعرف بحرمتها منك يا شيخ^(٥) .

وقبل ان يلتقي الجيشان الأموي والزبيري ، كانت هناك مراسلات بين عبدالله بن الزبير وأخيه عمرو حول البيعة ولم يتوصلا إلى حل بسبب ان عبدالله كان مدعياً بأنه تحت انطواء وأمرة يزيد دون ان يبايع^(٦) ، وما صلاته خلف عمرو إلا انه سامع مطيع للخليفة ، باعتبار ان أخاه عمرو هو أحد أركان وأعوان الخليفة ، ولا يوجد خلاف على ذلك^(٧) .

وبعد ان فشلت كل الحلول بينهما التقى الجيشان وتحاربا ، فهزم جيش عمرو بن الزبير الذي كان أكثره بدلاء من العطاء وجلهم يهودون عبدالله بن الزبير^(٨) ، وهذا قد يفسر لنا ان موقف أهل المدينة كان موالياً لعبدالله بن الزبير ، وباتت نهاية الحرب استطاع عبدالله من أسر أخيه عمرو^(٩) ، وأحضر كل من لديه طلب منه لأخذ منه ما يطلبه وأودعه السجن وقيل مات بالسياط^(١٠) ، ولكن انتصار ابن الزبير على أخيه لم يكن ليغفل حقيقة مهمة هي وجود منافس له هو الإمام (ت) الذي يزيد عنه في الاستحواذ على قلوب الناس ، فقد ذكر ابن كثير الدمشقي^(١١) ، انتصر ابن الزبير على من أراد هلاكه من الزبيريين ، ومع هذا كله ليس هو معظم عند الناس مثل الحسين ، وما خرج به عبدالله من هذا الانتصار ان شوكرته قد قويت^(١٢) .

٥. بداية الحركة

انتهت ثورة الإمام (ت) إلى أهل الحجاز فصدموها بها وفضعوا لها ورأوا ان يزيد أمعن في التجبر والخلاف عن أمر الله ، فلم تصبح طاعته لازمة بل أصبح الخروج عليه واجباً حين يمكن الخروج^(١) ، وقد استفاد عبدالله بن الزبير من حادث استشهاد الإمام (ت) واستغله لصالحه فقد كان الإمام (ت) أعظم قدراً منه عند أهل الحجاز^(٢) ، لذلك لما وصلت الأنباء باستشهاد الإمام (ت) استغل ابن الزبير

(٤) الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) ، السيرة النبوية ، تح أحمد جاد ، ط ١ ، دار الغدير ، (٢٠٠٣م) ، ج ٤ ص ٥٢ - البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٣٦ - الكليني ، الكافي ، ج ٤ ص ٢٢٥ - النيسابوري ، روضة الواعظين ، ج ٢ ص ٤٠٥ - العاملي ، وسائل الشيعة ، ج ١٢ ص ٤٠٢ .

(٥) ابن هشام الحميري ، سيرة النبي (ﷺ) ، ج ٤ ص ٨٧٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٨ - ابن كثير ، إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) ، السيرة النبوية ، تح مصطفى عبدالواحد ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت / ١٣٩٦هـ) ، ج ٣ ص ٥٧٩ .

(٦) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٦٣ .

(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٩ ص ٨ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٤ .

(٩) الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٨ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٢٢ - ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج ٤ ص ٣٦ .

(١١) البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٢٤ .

(١٢) الفاضلي ، نعمان ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، دار المعارف ، (مصر / بلات) ، ص ٢٣٧ .

(١) أحمد إبراهيم شريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ط ١ ، مطبعة الرسالة ، دار الفكر العربي ، (١٩٦٨م) ، ص ٤٢٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٩ .

سخط الناس فجعل يُعَظَّم من استشهاده^(٣) ، ويعيب أهل الكوفة بشكل خاص وأهل العراق بشكل عام^(٤) ، لكن هل كان ابن الزبير صادقاً حين ترحم على الإمام (t) وفضله على يزيد ؟ ، وهل كان جاداً حين هاجم أهل العراق لأنهم لم ينصروا الإمام (t) مع أنه أغرى أباه الزبير بقتال الإمام علي (t) في معركة الجمل !!؟

والذي يبدو ان عبدالله بن الزبير كان غير صادق النية حين ترحم على الإمام (t) لأن موقفه كان مضاداً إلى أهل بيت رسول الله (ﷺ) ^(٥) لأنه سبق ان بيتنا في ثورة الإمام (t) بأنه حاول ان يستغل الموقف لغرض تحقيق طموحه السياسي لذلك أخذ بالتشجيع على أهل الكوفة والتعرض ليزيد^(٦) . وسوف نجد موقفه البارز ضد أهل بيت الإمام (t) من خلال موقف الإمام علي بن الحسين (t) من حركة عبدالله .

أما أنه كان جاداً في مهاجمة أهل العراق بشكل عام والكوفة بشكل خاص ، فإنه في بداية حركته أستغل موقف استشهاد الإمام (t) وبدأ بخطبة مليئة بالطعنات القاتلة ليزيد بن معاوية حتى ثار جماعة من أنصار ابن الزبير بعد سماعهم لخطبته فقالوا له : " أيها الرجل أعلن بيعتك فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر " ^(٧) ، وكان ابن الزبير يدعو إلى الشورى^(٨) ، ويتظاهر للناس أنه عائد بالبيت^(٩) ، من أجل ان يستغل حرمة بيت الله في سبيل تحقيق أطماعه وأنه كان حذراً جداً من الولاة الأمويين ، وما قاله عمرو بن سعيد ليزيد عندما ذهب إليه لمعاتبته بشأن أمر عزله من ولاية مكة " وقد كان يحذرني ويتحرز مني " ^(١٠) لذلك فإنه في مكة ظل يدعو بها إلى الحكم لله وإلى الشورى ومن خلال هذه النبذة استطاع ان يكسب جلّ أهل مكة إليه .

فلما أستقر عند يزيد ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة ، أعطى الله عهداً ليوثقنه في سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضة ، فمر بها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة ، فأخبر خبر ما قدم إليه وبالسلسلة فقال مروان^(١١) :

خذاها فليست للعزير بخطة وفيها مقال لأمرىء متضعف

(٣) الانباري ، عبدالرزاق علي العمران ، تاريخ الدولة العربية في العصر الراشدي والأموي ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد / ١٤٠٦هـ) ، ص ١٨١ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ١٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٤ .

(٥) نوري جعفر ، علي ومناؤه ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء للنشر ، (بيروت / ١٩٨٤م) ، ص ١٤١ .

(٦) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٤٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٣ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ١٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٨ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٣ .

ثم مضى من عنده حتى قدم على ابن الزبير ، وبعد ان علم بقول مروان رفض ابن الزبير وقال " والله لا أكون أنا المتضعف " (٣) ، في تلك الأوضاع أعلن أهل المدينة موقفهم من عبدالله فقالوا له " أما إذ قتل الحسين فليس ينازع أحد ابن الزبير " (٤) .

ثانياً . الاتجاه العلوي وموقفه من الحركة

٢. موقف المختار من حركة عبدالله بن الزبير

استطاع المختار ان يفلت من عقاب السلطة الأموية حيث شفعت له قرابته من النعمان بن بشير الأنصاري وعبدالله بن عمر* ، كما أن موقفه لم يكن جدياً يستحق عليه عقاباً صارماً (١) .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص١٧ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٨٣ .

وبعد خروج المختار من السجن غادر الكوفة إلى الحجاز بتهديد من ابن زياد^(١) ، وعند ذلك أقسم المختار ان لا يلقي ابن زياد في موضع إلا أن يقطع أنامله وإباجله وأعضائه أرباً أرباً^(٢) ، وأن يقتل قتلة الإمام (t) وأهل بيته " لأقتلن بقتلة الحسين - عدد القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا (t) " ^(٣) .

ونستنتج من هذا النص أمرين مهمين هما :

٣. أن المختار هو أول من رفع شعار الثأر لأهل بيت رسول الله (ﷺ) وبشكل علني في أثناء مسيره من الكوفة إلى الحجاز ، وفي أثناء محاورته مع ابن الغرق مولى ثقيف^(٤) .

٤. ربط تاريخ الإمام (t) مع تاريخ نبي الله يحيى بن زكريا (t) عند المختار له مدلول سياسي كون رؤوسهما علقت على باب جيرون بالشام ، لذلك فأن هدف المختار البارز هم قتلة الإمام (t) ابن زياد وأعوانه .

بعد ان وصل المختار إلى مكة علم ان عبدالله بن الزبير كان يبايع الناس سراً ، لذلك لجأ إليه من أجل مبايعته فقال له : " أبسط يدك أبايعك ، ... ، وثب على الحجاز فأن أهلها كلهم معك " ^(٥) ، فرفض عبدالله ذلك بسبب عدم ثقته بالمختار^(٦) ، مما حدا به أن يغادر مكة إلى الطائف وهو يدرك أن عبدالله بن الزبير في حاجة إليه أكثر من حاجته إليه " وأني لما رأيته استغنى عني أحببت أن أريه أنني مستغن عنه أنه والله لهو أحوج ألي مني إليه " ^(٧) .

وبعد مرور عام جاء المختار إلى مكة وفي أثناء وجوده في المسجد ، عرف ان أهل الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وثقيف قد بايعت ابن الزبير^(٨) ، لذلك قدم المختار إلى ابن الزبير وسأومه على ان يبايعه ويناصره على إلا يقضي ابن الزبير أمراً دونه وعلى أن " أكون أول من تأذن له وآخر من يخرج عنك ، فإذا أظهرك الله على يزيد بن معاوية فاستخلفني على أجل أعمالك " ^(٩) .

والذي نستنتج من هذا النص أمران مهمان هما :

٣. أن يكون المختار هو نائبه في الوقت الحاضر بمكة .

*كانت صفية اخت المختار زوجة عبدالله بن عمر . ينظر : ابن سلام ، غريب الحديث ، ج٤ ص٢٤٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧١ .

(١) فاروق عمر فوزي ، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، ط١ ، مؤسسة المطبوعات ، (بيروت / ١٩٨٠م) ، ص٥٢ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٤٦ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢١٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ص١٤٦ .

(٧) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج١ ص٤٠٢ - الخربوطلي ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص١٤٠ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .

(١٠) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٤٨-١٤٩ .

٤. تولية المختار أفضل مصر من الأمصار إذا انتصر ابن الزبير على يزيد بن معاوية وبسبب حاجة ابن الزبير إلى خدمات المختار فإنه وافق على شروطه لذلك وقف المختار معه وأبلى في قتال الحصين بن نمير السكوني عند حصاره لابن الزبير في مكة بلاءاً عظيماً^(٣) ، وباعتراف ابن الزبير حينما وصفه قائلاً : " أني لم أر أشجع منه قط "^(٤) ، ولكن حينما مات يزيد وباع أهل الأفاق عبدالله بن الزبير عدا الأردن^(٥) ، لم يجد المختار عهد ابن الزبير له ، فأدرك المختار بأن ابن الزبير لم يوله على أي مصر من الأمصار لذلك فارقه إلى العراق حين علم باضطراب الأوضاع السياسية فيه في أول خلافة ابن الزبير^(٦) .

ويتبين لنا ان ابن الزبير كان يماكر المختار ويتخوف منه لذلك لم يستخلفه على أي مصر من الأمصار وما قاله ابن الزبير لصفوان في حق المختار عند الطواف حول البيت إلا دليل على ذلك " أنظر إليه فوالله لهو أحذر من ذنب قد أطافت به السباع "^(٧) .

٢. موقف الإمام علي بن الحسين (ت)

لا توجد روايات كافية صادرة عن الإمام علي بن الحسين (ت) تلقى ضوءاً على طبيعة موقفه من حركة ابن الزبير ، إنما ثمة رواية واحدة أطلق الإمام علي بن الحسين (ت) فيها وصف الفتنة على حركة ابن الزبير لأنه يدرك أنه ما كان يصبو من ورائها إلا المجد والسلطان^(٨) لذلك كان يتخوف منها .

أما أسباب في عدم بيعته له أو مشاركته في الحركة رغم أنها كانت ضد بني أمية فهي :

٣. أن الإمام علي بن الحسين (ت) قد تنكب طريق السياسة بمعنى السعي وراء السلطة ، وآثر اتجاهات أخرى منها تعميق مفهوم الإمامة ، وتحصين الأمة من الاتجاهات الدنيوية المنحرفة ، وتربية القواعد الموالية للإمام من أهل البيت^(٩) .

٤. اضطراب الأحوال السياسية في العالم الإسلامي حيث كان يلي السلطة في الشام الأمويون وفي مكة عبدالله بن الزبير ، وقد امتد هذا الصراع العنيف إلى سنة ٧٣هـ / ٦٩٣م سنة وفاة ابن الزبير^(١٠) ، لذلك لم يشترك بها .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٤٩ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٥٩ .

(٦) عبدالوهاب ، سلمان بن عبدالله بن محمد (ت ١٢٣٣هـ) ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، مكتبة الرياض الحديثة ، (الرياض ، / بلات) ، ج١ ص٣٢٩ .

(٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٧٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ .

(٨) المروزي ، نعيم بن حمادة (ت ٢٨٨هـ) ، الفتن ، تحقيق سمير امين الزهيري ، ط١ ، (القاهرة / ١٤١٢هـ) ، ص٥٥ .

- ابن عساكر ، علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) ، ترجمة الإمام علي بن الحسين (ت) ، محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (إيران / ١٤١٣هـ) ، ص٤٩ - تاريخ دمشق ، ج٤ ص١٦٥ - الشافعي ، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ، ص٢٧١ - الشبراوي الشافعي ، عبدالله بن محمد بن عامر (ت ١١٧١هـ) ، الاتحاف بحب الاشراف ، المطبعة الادبية ، دار الذخائر للطبع (قم / بلات) ، ص١٣٧ .

(٩) الساعدي ، نوري حاتم ، دراسات سياسية في حياة الإمام السجاد (ت) ، ط٢ ، مطبعة غدير ، جامعة الإمام الباقر

(ت) للعلوم الإسلامية ، (١٤٢٥هـ) ، ص١٧٢ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥٥ .

٣. أن أهل بيت الرسول محمد (ﷺ) أخذوا جانب الحياد بين التيارات السياسية لمعرفةهم بأن هذه الأطراف تحب السلطة والملك وما قتالهما داخل المدن المقدسة (مكة والمدينة) إلا دليل على ذلك .

والذي يمكن الاستنتاج فيه هو ان الإمام علي بن الحسين (ت) قد ابتعد عن طريق السياسة^(٣)

بسبب ما شاهده من قتل لأهل بيت النبوة أمام عينيه ، إضافة إلى ان الإمام علي بن الحسين (ت) استخفى بالإمامة مع من اتبعه من المؤمنين^(٤) وهذا يعني ان الإمام تجنب كل ما من شأنه ان يصدع وحدة الأمة متجاوزاً جراحه وجراح الهاشميين العلويين في فاجعة كربلاء متعالياً على الواقع السياسي^(٥) .

أما موقف محمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس فهما أيضاً لم يشتركا في الحركة ولم يبايعا أبين الزبير وقالوا : أنهما يبايعانه عندما تكون هناك بيعة عامة من قبل الناس^(٦) ، ويعلل المبرد^(٧) ذلك ان ابن الزبير كان يظهر الغيظ لابن الحنفية بسبب كرهه لأهل بيت رسول الله محمد (ﷺ) إضافة إلى حسده ابن الحنفية لقوته وكان ابن الزبير يكره الحديث في هذا الأمر ويرتعد منها ، فيذكر المبرد^(٨) انه كلما ذكر ر ر ح د ي ت ي د ا ب ن الحنفية " غضب واعتراه له أفكـل * " . أما موقف عبدالله بن عباس فيذكر الاشبيلي^(٩) ان سبب عدم بيعة ابن عباس لابن الزبير هو أن ابن عباس وجد بني أمية وابن الزبير قد احلوا القتال داخل الحرم بينما امتنع هو عن ذلك ، إضافة إلى حقد ابن الزبير عليه وقد عبر عن ذلك الحقد حينما قال لابن عباس " أني لا أكرم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة " ^(١٠) لذلك خطب أربعين جمعة لا يصلي على النبي محمد (ﷺ) وقال : لا يمني أن اصلي عليه إلا ان تشمخ رجال بانافها^(١١) .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢١٧ - دكسن ، عبدالأمير ، الخلافة الأموية ، ط١ ، دار النهضة العربية للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٣) ، ص ٦٢ .

(٤) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) ، اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب (ت) ، مطبعة ثامن الأئمة ، ط٣ ، دار انصار بيان للنشر ، (قم / ٢٠٠١ م) ، ص ١٧١ .

(٥) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الإسلام ، ط٣ ، دار الثقافة للطباعة ، (قم / ١٩٩٢ م) ، ص ٣٨٦ .
(٦) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٣٠ ص ١٥٥ - الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير ، ص ٣٥ - سير اعلام النبلاء ، ج ٤ ص ١١٨ .

(٧) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٩ .

(٨) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٩ .

* أفكـل : رعدة تعلق الإنسان من خوف أو برد . ينظر : أبين أبي شبيب الكوفي ، المصنف ، ج ٨ ص ٦٨٥ - الجوهري ، الصحاح ، ج ٥ ص ١٧٩٢ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٣ ص ٤٦٦ .

(٩) عبدالحق بن عبد الرحمن (ت ٥٨٢ هـ) ، الجمع بين الصحيحين ، تح طه علي ، ط١ ، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت / ٢٠٠٣ م) ، ج ٤ ص ٥٤٣ .

(١٠) الجوهري ، أحمد بن عبدالعزيز (ت ٣٢٣ هـ) ، السقيفة وفدك ، تح محمد هادي الأميني ، ط٢ ، شركة الكتبي ، (بيروت / ١٤١٣ هـ) ، ص ١٣١ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٩ - الطبري ، محمد بن جرير بن رستم (اوائل القرن الرابع

والذي يبدو ان هذا الحقد والكراهة لآل الزبير ضد بني هاشم بدأ بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد عبر الخليفة عمر (رضي الله عنه) عن ذلك حينما قال لابن عباس " كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً* بجحاً ، فاختارت قريش لنفسها فأصابته ووفقت " (٥) ، لذا فالذي يبدو ان أهل البيت (i) كانوا يدركون ما يحمل ابن الزبير من حقد ضدهم لذلك لم يبايعوه ، ولم نجد رواية واحدة تؤكدبيعة شخصيات أهل البيت (i) لعبدالله بن الزبير لسببين هما :

٣. أن أهل البيت (i) كانوا يرون أنفسهم أفضل من آل الزبير في تمثيل الخلافة (٦) حتى ابن الزبير كان يدرك ذلك لذلك كان حاسماً شديداً جدياً في أخذ البيعة منهم لأنهم لا يمثلون الحجاز فقط بل يمثلون اغلب الموالين لهم من أهل العراق واليمن ، هذا فضلاً عن ان بيعتهم تعني إضافة الصفة الشرعية لها (٧) لذلك نجده يتابعهم ويسجنهم*** ويضيق الأرض من اجل أخذ البيعة (٨) وما خروج محمد بن الحنفية إلى الطائف (٩) ومراسلة عبدالله بن عباس إلى مروان بن الحكم بالشام لغرض الأمان إلا دليل على هذا الضغط (١٠) ، لكن بالرغم من هذا الضغط فأنهم لم يبايعوا (١١) .

٤. ان شخصية ابن الزبير نفسها لا تتوافق مع سيرة ومنهج أهل بيت الرسول محمد (ﷺ) كونه شخصية ذات طابع حاد تسعى لتحقيق أهدافها بكل ثمن ومن هذا نكته شروط البيعة مع المختار بن أبي عبيدة الثقفي حينما بايعه في الحجاز (١٢) .

(الهجري) ، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين ، تح أحمد المحمودي ، ط ١ ، مطبعة سلمان الفارسي ، (قم / بلات) ، ص ٦٨٤ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٢٨ - اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٨٢ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٩ .

**بجحاً : معجبات بمكانهن . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ص ٨٠١ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٣ ص ٣٠٥ .
(٥) الازدي ، الفضل بن شاهان (ت ٢٦٠ هـ) ، الإيضاح ، تح جلال الدين الحسيني ، (بلات . ط .) ، ص ١٦٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٦٣ .

(٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ .
(٧) شريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني ، ص ٤٣٩ .
***سجن آل بيت الرسول في سجن زمزم . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٠ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٠ .
(٩) ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) ، المعارف ، تح محمد إسماعيل ، ط ١ ، المطبعة الإسلامية ، (مصر / ١٣٥٣ هـ) ، ص ٩٥ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٤ .
(١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٤ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٧٥ .

ثالثاً . الخوارج وموقفهم من الحركة

٣. الخوارج والتحاقهم بعبد الله بن الزبير

شهدت الدولة العربية الإسلامية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م ، تلاهماً مشتركاً للقوى السياسية المناوئة للخلافة الأموية ، وهناك اتفاق شبه مطلق بين المؤرخين في أمر هذا التلاحم فيرى قسماً منهم^(١) ان

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص ١٩٤ - الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٧٠ - النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ص ٥٢١ .

سياسة القسوة والظلم والقتل على الظن التي اتبعها عبيد الله بن زياد ضد أهل العراق عامة والخوارج خاصة كانت من أول أسباب خروج الخوارج من العراق إلى الحجاز ، بينما يرى القسم الآخر^(١) منهم ان خروج خوارج اليمامة من أصحاب نجدة بن عامر إلى مكة من أجل منع أهل الشام من ضرب بيت الله ، لكن يرى الآخرون^(٢) ان نافع بن الأزرق قال لأصحابه " فأخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل ، فأن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو ، وان يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا " .

اما الكتاب المحدثون فيرى السابعي^(٣) ان الحوادث التي ارتكبتها بنو أمية وولاتهم سبب مقتع وكاف لثورة جميع التيارات عليهم واقرب مثال يجمع بين التيارات المختلفة في التصدي لبني أمية هو الدفاع عن الكعبة المشرفة ، أما الرئيس^(٤) فيرى ان خروج الخوارج إلى ابن الزبير هو خروج للجهاد ، لكن السيد أبو النصر^(٥) يقول ان خروجهم إلى ابن الزبير كونهم يجمعون على محاربة الإمام الجائر ، فقد رحلوا يصدون هذا الجيش عن اقتحام مكة إلى بلد الله الحرام ، أما السيد الاعظمي فيرى^(٦) ان سبب خروجهم كان نتيجة حادثة كربلاء ، بينما يرى السيد الشورتاني^(٧) ان الخوارج كانوا يريدون عمل تحالف قوي ضد الخلافة الأموية ، فأرادوا كسب ابن الزبير لصفهم بسبب كثرة مؤيديه وإلا لماذا حاججوا ابن الزبير بعد انتهاء الحرب وانسحاب أهل الشام ، لكن منيرة العزاوي^(٨) تقول ان الخوارج وجدوا لهم متنفساً لتحقيق أهدافهم .

والذي يبدو لنا أن الرأي الثالث هو الأصوب بسبب : ان خروج الخوارج من البصرة إلى مكة كان لهدفين أولهما هو الدفاع عن حرمة البيت فيذكر البلاذري^(٩) ان الخوارج كانوا يقاتلون مع ابن الزبير نصرة للبيت وذباً عنه إذ تعوذ به فلما رماه أهل الشام ازدادوا عليهم حقناً ، وثانيهما عسى ان يكون ابن الزبير على رأيهم وبهذه الحالة يكون توحدهم ضد ساسة بني أمية ، لكون الطرفين من الكارهين للخلافة الأموية .

والسؤال هو كيف كان استقبال عبدالله بن الزبير للخوارج ؟

في رحاب مكة انضم الخوارج إلى عبدالله بن الزبير الذي سَرَّ بمقدمهم ورحَّب بهم وأظهر أنه على رأيهم^(١٠) ، لكن لم يكن ترحيبه بهم هذا إلا عملاً سياسياً وطمعاً بمعاونتهم له ضد الأمويين ، والدليل على هذا عندما عوتب على استعانته بالخوارج وهم الذين قاتلوا أباه وخرجوا على الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)^(١١) ، أجابهم مبرراً ذلك : " لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشام لشايعتها " ^(١٢) ، وفي

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٩٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٥ .

(٣) الخوارج والحقيقة الغائبة ، ص١٧٥ .

(٤) ضياء الدين ، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، ط٢ ، مطابع سجل العرب ، (١٩٦٩م) ، ص١٤١ .

(٥) عمر ، الخوارج في الإسلام ، مكتبة المعارف ، (بيروت / ١٩٥٦) ، ص٤٨ .

(٦) علي ظريف ، مختصر تاريخ البصرة ، مطبعة الفرات ، (١٩٢٧م) ، ص٣٤ .

(٧) قحطان عدنان بكر ، تطور الفكر السياسي لحركة الخوارج ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية

الأداب ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٢م) ، ص١١٤ .

(٨) الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، ص١٠٢ .

(٩) انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٥٨ .

(١٠) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص٢٦٢ - المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٥٩ - ابن الأثير ، الكامل ،

ج٤ ص١٦٥ .

(١١) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٦٥ .

(١٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٦٨ .

كلام آخر : " لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم " (٥) ، وحارب الخوارج إلى جانب ابن الزبير بعد أن عرفوه بأنفسهم (٦) ، ودافعوا عن الحرم بكل بسالة نصرته للبيت (٧) إلى أن جاء نعي يزيد ، وانصرف أهل الشام عن مكة (٨) .

ثم اجتمع الخوارج فيما بينهم واخذوا يتساعلون كيف يقاتلون مع رجل لم يتأكدوا من نواياه ، فاستقر رأيهم أن يمتحنوه قبل الاستمرار في تأييده والمحاربة إلى جانبه (٩) ، فاجتمعوا بعبدالله بن الزبير وسألوه عن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وسيرته وموقفه منه (١٠) .

وكان لهذا السؤال أثره المهم في افتراق الخوارج عن عبدالله بن الزبير فيذكر المبرد (١١) أنهم قالوا له : " ماذا تقول في عثمان الذي أحمى وأوى الطريد وظهر لأهل مصر شيئاً كتب بخلافه وأوطأ إلى أبي معيط رقاب الناس وأثرهم بفيء المسلمين " (١٢) ، فكانت إجابته لهم بأن ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته ثم وصلهم بالسنين التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وخبرهم أنه أوى الحكم بن العاص بإذن رسول الله (ﷺ) .

ومن خلال الإجابة عن بعض أسئلة الخوارج مع ابن الزبير تبين أن ابن الزبير نفسه لم يكن راضياً عن استمرار وجودهم بين عسكره خصوصاً بعد أن تأكد له عدم إخلاصهم له وإنهم يقاتلون إلى جانبه حباً للحرم الشريف ، نكايه بأهل الشام ليس غير (١) ، وربما جاء هذا الإحساس بعد أن عاشهم طوال فترة حصار الكعبة الأول فوجدتهم أنهم غير أتباعه ولا ناصريه لذلك جاءت فرصة السؤال عن موقفه من الخليفة عثمان (رضي الله عنه) هي الأمر الذي كان يتوقعه منهم عبدالله لغرض التخلص منهم (٢) .

٤. ابن الزبير وحصار الكعبة

بعد قدوم المسور بن مخرمة الزهري* الذي كانت له صحبة (٣) ورواية (٤) إلى عبد الله بن الزبير واعلمه ما جرى للمدينة وأهلها وما نيل منهم أيقن عبد الله أن مسلم بن عقبة المري بعد أن فرغ من

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٤٩ .

(٦) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٥٩ - الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي ، ص ٧٣ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٥٨ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٥ - ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٥ - ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٦ - ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ .

(١١) الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٦٥ .

(١٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٦٧ .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٥ .

(٢) ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ .

*المسور بن مخرمة : المسور بن مخرمة بن نوفل بن أصيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب يكنى أبا عبد الرحمن ، أمه عاتكة بنت عوف بن عبدالحارث ، وقد حفظ الحديث عن رسول الله (ﷺ) ولما توفي الرسول كان عمره ٨ سنوات . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص ٥٢١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٢٢ - أبو الحسين ، عبد الباقي بن قانع بن مرزوق (ت ٣٥١هـ) ، معجم الصحابة ، تح صلاح بن سالم ، ط ١ ، دار مكتبة الغرباء الاثرية ، (المدينة المنورة / بلات) ، ج٢ ص ٢١٩ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص ١٢٩ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١ ص ٢٦٤ - ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٦ ص ١٢١ - الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ص ٢٢٥ .

(٣) ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٦ ص ١٢١ .

المدينة نازل به فاخذ يَد ويستعد لملاقاته^(٥) وفعل ما أيقن به حصل ، إذ بدأ الأمويون بعد أن اشفي غليلهم من أهل المدينة بالزحف على مكة حيث عبد الله بن الزبير قد بويع بالخلافة^(٦) ، لذلك تخوف وندم والي مكة** من الخليفة يزيد على انحيازه إلى عبد الله فكتب إليه : " أصلح الله الأمير أتاني بما لا قبل لي به فاتحزت "^(٧) ، ورد عليه مسلم بن عقبة " ... ما أبالي على أي جنب سقطت ، إلا ان أشرهما لك احبهما لي "^(٨) ، وفي ظل هذه الأوضاع التحقت بعبد الله بن الزبير جماعات ممن بقى من أشرف أهل المدينة^(٩) ، ثم يذكر البلاذري^(١٠) " ان النجاشي أرسل مائتي رجل إلى عبد الله بن الزبير " ، الذي استقبلهم وضمهم إلى أخيه مصعب ، بالإضافة إلى التحاق الخوارج الازراقة* والنجذات** الذين جمعهم رجاء النميري وقال لهم ، ان أهل الشام ساروا إلى المدينة ولاشك أنهم يأتون مكة ان ظهروا وغلبوا على أهل المدينة فأخرجوا نمنع مكة ونقاتل عن حرم الله^(١١) ، والذي يبدو ان تجمع هذه التيارات السياسية مع عبد الله بن الزبير كانت لغرض أساسي هو الدفاع عن الحرم .

وبعد ان هزم مسلم بن عقبة المرى أهل المدينة وأباحها ذهب بمن معه من الجند متوجهاً إلى مكة^(١٢) ، واستخلف روح بن زبناغ الجذامي*** ، فلما انتهى إلى المشلل**** ، نزل به الموت^(١٣) ، إلا أنه أحضر

(٥) الواسطي ، أسلم بن سهل (ت ٢٩٢هـ) ، تاريخ واسط ، تح كوركيس عواد ، ط ١ ، دار عالم الكتب ، (بيروت / ١٤٠٦هـ) ، ج ١ ص ٥٠ - ابن حبان ، محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ) ، مشاهير علماء الامصار ، تح مرزوق علي إبراهيم ، ط ١ ، دار الوفاء ، (١٤١١هـ) ج ١ ص ٢١ - الطبرسي ، أحمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٦٤هـ) ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ، تح عيسى عبدالله محمد ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت / ١٩٩٦م) ، ج ٢ ص ٣٦ - الذهبي ، محمد بن أحمد بن قايماز (ت ٧٤٨هـ) ، المعين في طبقات المحدثين ، تح د. همام عبدالرحيم السعيد ، ط ١ ، دار العرفان للنشر ، (عمان / ١٤٠٤هـ) ، ج ١ ص ٢٦ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٢ - الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٢ .

(٧) السيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٩٤ .

(٨) والي مكة : يزيد بن خالد بن المخزومي . ينظر : ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(٩) ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، عيون الأخبار ، تح د. مفيد محمد ، ط ٣ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤٢٤هـ) ج ١ ص ٢٩٥ .

(١٠) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(١١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٢ ج ٨ ص ٥٩٦ .

(١٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٨ .

*خوارج الازراقة : أصحاب أبي راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز فغلبوا عليه . ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ٥٢ .

**خوارج النجدات : اصحاب نجدة بن عامر الحنفي وكان من شأنه أنه خرج من اليمامة مع عسكره يريد الحقوق بالازراقة . ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ٥٣ .

(١٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٩٥ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٣ .

***روح بن زبناغ : روح بن زبناغ بن روح بن سلامة الجذامي أبو زرة أمير فلسطين ، وسيد اليمانية في الشام . ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٣٤ .

****المشلل : جبل يهبط منه الى قديد من ناحية البحر . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٣٦ .

(١٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٣ .

الحصين بن نمير السكوني **** وحذره من ان يقرب قرشياً منه^(٧) ، وقال له " يابن بردعة الحمار ***** لو كان الأمر إليّ ما وليتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك " ^(٨) .

ويتبين لنا من خلال هذا النص ان العلاقة بين قائد الجيش الأموي ونائبه كانت غير طيبة إلا أنهم كانوا محبين للخلافة الأموية وكارهين لأهل المدينة ومكة ، وما وصية مسلم المرى إلى الحصين السكوني إلا برهان لهذا الكره حينما قال : " أسرع السير وعجل الوقاع ، وعم الأخبار ، ولا تمكن قرشياً من اذنك " ^(١) ، هذا فضلاً عن ان مسلم قد علم من خلال عيونه في مكة وضعية وصفات المقمّلين فيها ، لذلك نصح الحصين قـ_____انلاً له : " أعلم أنك تقدم قوم لا منعة لهم ولا عدة ولا سلاح ولهم جبال مشرفة عليهم ، فانصب عليهم المجانيق* فإن عاذوا بالبيت فأرمه فما أقدرك على بنائه " ^(٢) .

ويبدو ان هناك أمراً من مسلم المرى للحصين السكوني بهدم الدور والكعبة في مكة لأن المنجنيق ينصب لتدمير الأبنية والحصون ^(٣) كما هو معروف .

فنزل الحصين ظاهر مكة وخرج إليه عبدالله بن الزبير في أهل مكة ومن التفّ معه فاقتتلوا عند ذلك قتالاً شديداً ، وتبارز المنذر بن الزبير* ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد منهم صاحبه ^(٤) .

وفعلأ أخذ الحصين بوصية مسلم فقد نصب المجانيق^(٥) ، والعرادات* ، على أبي قبيس **** وعلى قيقعان ***** ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وخرق الحيز^(٦) ، وغير ذلك من

***** الحصين بن نمير : الحصين بن نمير بن نائل بن لبيد بن جعفة بن الحارث بن سلمة بن شكامة بن السكون وهو ليس صاحب شرطة ابن زياد مثلما يذهب إليه الأستاذ ماجد عبد المنعم في كتابه التاريخ السياسي . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤٢٩ - ماجد عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة الأموية ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة / ١٩٥٧ م) ، ج ٢ ص ٨٨ .

^(٧) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ص ٧٢٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٣ .
***** بردعة الحمار : كنية للتحقير ، الحلس الذي يلقي تحت الرجل وخص به بعضهم الحمار . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ص ٣٨٠ .

^(٨) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٦١ ص ٨٣ .
^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٣ ، يذكر كلمة الناجزة بدلاً من كلمة الوقاع .

* المجانيق : مفرد ما منجنيق ، وهي آلة من آلات الحرب القديمة استخدمها اليهود قبل ان يستخدمها العرب المسلمون . ينظر : الاسترأبادي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج ١ ص ٢٦٢ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٥ ص ٥٨ .
^(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٤٧ .

^(٣) السرخسي ، محمد بن أبي سهل (ت ٤٨٣ هـ) ، المبسوط ، تح جمع من الأفاضل ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / ١٤٠٦ هـ) ، ج ٢٦ ص ١٢٣ .

** المنذر بن الزبير : المنذر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزيز بن قصي وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، من وجوه قریش وشجعانها ، وكان معاوية قد اوصى ان يحضر المنذر غسله عند موته لمكانته في صدر الدولة الأموية . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢٩٣ .

^(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٧ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٢ .
^(٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ - الكليني ، الكافي ، ج ٢ ص ٦٤ - الشامي ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢ هـ) ، سبل الهدى في سيرة خير العباد ، تح عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / بلات) ، ج ١ ص ٢٢٣ .

*** العرادات : جمع عرادة وهي آلة من آلات الحرب التي استخدمها العرب قبل الإسلام وهي منجنيق صغير ، يرمى بها الحصون والثغور . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج ٢ ص ٥٠٨ - أبين البراج ، القاضي عبدالعزيز (ت ٤٨١ هـ) ، المهذب ، تح الشيخ السبحاني ، جامعة المدرسين ، (قم / ١٤٠٦ هـ) ، ج ١ ص ٣٠٢ - السمعاني ، الانساب ، ج ٤ ص ١٧٢ - أبين أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٨ ص ١٩١ .

***** أبي قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٠٨ .
***** قيقعان : جبل بمكة قيل سمي بهذا الاسم لأن جرهم لما تحاربوا أكثرت قعقة السلاح هناك . ينظر : أبين الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٤ ص ٨٨ .

المحروقات ، فلم يستطع أحد ان يطوف بالبيت^(٦) ، وهذا يدل لنا بأن الأمر كان شديداً على أهل مكة وأنصار ابن الزبير وأتصل الأذى بالأحجار والنار والسيوف لذلك قام عبدالله بن عمير الليثي قاضي عبدالله بن الزبير بدعوة أهل الشام إلى الكف عن رميهم وضرب حرم بيت الله حينما يتوقف القتال في بعض الأوقات ، فيقول أهل الشام إنها الطاعة غلبت الحرمة ، وقد وصف يزيد بن عبيد السلمي السعدي* هذه الهجمات من خلال أبياته^(٧) :

أبن نمير بنس ما تولى قد أحرق المقام والمصلى

وبسبب شدة رمي وضرب الأحجار فأن الزبير قد اسند الحرم بألواح من ساج على البيت وألقى عليها الفرش والقطائف** وعمل له فسطاطاً في ناحية فكلما جرح رجل من أصحابه أدخله ذلك الفسطاط^(٨) ، واستمر الحصار أربعة وستين يوماً^(٩) ، واستمر أهل الشام بحربهم ضد ابن الزبير أربعين يوماً بعد وفاة يزيد ولم يعلموا وقد حاصروهم حصاراً شديداً وضيقوا عليهم ، ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه ولم يبلغ الحصين بن النمير وأصحابه ، فصاح بهم عبدالله " أن طاعتكم قد هلك "^(١٠)

أما مسألة احتراق الكعبة نتيجة الحصار الذي فرضه ابن السكوني على ابن الزبير في مكة فقد اختلفت الآراء بذلك فيذكر قسماً منهم^(١١) ان سبب احتراق الكعبة هو ان رجلاً من أهل الشام قد جاء بنار في طرف سنانها فأشعلها في الفسطاط وكان يومها شديد الحر فتحرقت الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب والسقف وانصدع الركن واخرقت الأستار وتساقط على الأرض ، أما البلاذري^(١٢) فيقول ان رجلاً من أصحاب الزبير يقال له مسلم اخذ ناراً في ليف على رأس رمح في يوم ريح فطارت شررة فتعلقت بأستار الكعبة فأحرقتها ، بينما يرى القسم الآخر^(١٣) بأن أهل الشام رموا البيت بالمنجنيق وحرقوه بالنار وهناك رأي آخر^(١٤) يقول بأن ابن الزبير قد سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء فظن أنهم أهل الشام ، فرفعت نار على رمح لينظروا من هولاء على الجبل فطارت الريح شرارة من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من الكعبة فعلمت أستارها وأخشابها فاحترقت .

ونرى إن الرأي الثالث هو الأكثر صواباً للأسباب الآتية :

(٦) ابن طاووس ، علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ) ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، ط ١ ، مطبعة الخيام ، (قم / بلات) ، ص ١٦٦ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٥ .

*يزيد بن عبيد : يزيد بن عبيد السلمي السعدي ، أبو وجزة ، شاعر محدث مقرئ من التابعين ، اصله من بني سليم .

ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ج ٨ ص ٥٦٣ .

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٢ .

**القطائف : مفردا قطيفة ، دثار مخمل وقيل كساء له خمل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ٤٢٤ .

(٢) أبن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٢ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٨٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٦٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٩٧ .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٤٧ - ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٩٠ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٤ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٢ .

(٦) انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٥ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ١٩٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٨ - أبن اعثم الكوفي ،

مج ٣ ص ١٦٤ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٤ - ابن خلدون ، مقدمة ابن

خلدون ، ص ٣٨٧ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٨ .

٣. إجماع اكبر عدد من المؤرخين على ان حرق الكعبة جاء نتيجة رميها بالمنجنيق ، وان الغرض من نصب المنجنيق هو تدمير الحصون والأبنية والثغور بالإضافة إلى الحرق^(١) .
٤. رمي الكعبة بالمنجنيق والعرادة فترة أربعة وستين يوماً تعد كافية لحرق الكعبة خاصة إذا ما عرفنا طبيعة تكوين هذه الآلات من مواد نفطية وقماش هذا فضلاً عن وجود الفرش والقطائف التي هي أصلاً داخل الكعبة ، لذا يبدو ان إحراقها بالمجانيق والعرادات يكون أكثر من نار شرارة الرمح في جو عاصف .

وخرج من هذا الحصار بنتائج مهمة هي :

٣. عدم وجود حرمة للاماكن المقدسة (المدينة ، مكة) في سياسة يزيد وأعوانه من القادة ، وقد أشار الجاحظ^(٢) إلى ذلك عندما قال : " كيف تقومون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام وقبله المسلمين ، فإن قلتم ليس ذلك أرادوا ، بل إنما أرادوا التخرز به والمتحصنين بحيطاته ، أفما كان من حق البيت وحريمه ان يحصروه فيه إلى ان يعطي بيده ، وأي شيء بقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدميه " .
٤. توافق طموحات يزيد وأشراف أهل الشام ضد العادات والتقاليد العربية الخاصة بحرمة البيت قبل الإسلام وبعده لان العرب القدماء كانوا لا يقتلون عدوهم داخل حرم البيت الشريف^(٣) .
٣. قتل عدد من صحابة رسول الله (ﷺ) بسبب قصف الكعبة بأحجار المنجنيق ومن أبرزهم هو المسور بن مخرمة الزهري الذي أصابته الحجر وهو يصلي وتوفي بعد ضربه بالحجر بخمسة أيام^(٤) .
٤. التعمد بإبقاء الكعبة محترقة فقد ذكر ابن الأثير^(٥) في الكامل ان البخاري في صحيحه قال ان ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة ليحرضهم على أهل الشام .
٥. هدم الكعبة بسبب ميلان جدرانها وإعادة بنائها من ابن الزبير وهو أول من كساها^(٦) .

مربعاً. الأوضاع السياسية بعد وفاة يزيد بن معاوية

١. الحسين بن نمير السكوني وموقفه من ابن الزبير

وجاءت الأخبار بوفاة يزيد ، فاضطرب أمر جند الشام وبخاصة بعد ان بلغتهم أخبار تفرق الأمر في الشام^(١) ، فشرع الحسين في مفاوضة ابن الزبير على ان يبايع له بالخلافة فقال له " إن يك هذا الرجل

(١) السرخسي ، المبسوط ، ج ٢٦ ص ١٢٣ - الكاشاني ، أبو بكر بن مسعود (ت ٥٨٧ هـ) ، بدائع الصنائع ، مكتبة الحبيبية (باكستان / ١٤٠٩ هـ) ، ج ٧ ص ١٠٠ .

(٢) رسائل الجاحظ ، ص ١٢-١٣ .

(٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٥ ص ٦١ .

(٤) الربيعي ، محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٣٩٧ هـ) ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تح د. عبدالله أحمد سلمان ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ) ، ج ١ ص ١٧٩ - الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب (ت ٤٧٤ هـ) ، التعديل والتجريح ، تح الاستاذ أحمد اليزاز ، (مراكش / ٧٠٩ هـ) ، ج ٢ ص ٨٢٣ - الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ١٠ ص ١٣ - الميسر ، خليل محي الدين (ت ١٠١٤ هـ) ، شرح مسند أبي حنيفة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / بلات) ، ص ٣٩٢ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٥) الكامل ، ج ٤ ص ١٢٤ .

(٦) المالكي ، أبو بكر عبدالله بن أبي عبدالله (ت) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية ، تح د. حسين مؤنس ، ط ١ ، مكتبة النهضة العربية ، (١٩٥١ م) ، ج ١ ص ٤٣ .

قد هلك فانت أحق الناس بهذا الأمر هلم فلنبايعك ثم أخرج معي إلى الشام" (٢) ، ويرى السيد القيسي (٣) أن ابن السكوني أراد مبايعة الزبير بسبب وجود الفراغ السياسي ولم يكن هناك أفضل من ابن الزبير في تحمل المسؤولية لكن وعلى ما يبدو أن الحصين أدرك أن الأمور تتجه لمصلحة ابن الزبير لذلك أراد مبايعته .

أما موقف ابن الزبير من الحصين فيتبين أنه قد قبل الأمر الأول ولكنه رفض الأمر الثاني من خلال رفضه الذهاب إلى الشام لأن الحصين كان يريد أن تبقى عاصمة الخلافة الإسلامية في دمشق (٤) ، وهو بذلك قد يعبر عن رأي أهل الشام ورغبتهم (٥) ، وكان ابن الزبير يريد أن تنتقل عاصمة الخلافة إلى الحجاز وهو بذلك يعبر عن رأي أهل الحجاز ورغبتهم (٦) .

لكن هل كان ابن الزبير يتخوف أهل الشام ؟ لذلك رفض الذهاب معه .

لم يكن ابن الزبير ليأمن غدر هؤلاء الذين أحرقوا بيت الله وقتلوا الآمنين وأفرعوهم وما قوله للحصين إلا دليل على تخوفه حينما قال له بعد عرضه بالذهاب معه إلى الشام أن يؤمن النساء ويهدر الدماء التي كانت بينهم وبين أهل الحرم فأبى الحصين ذلك (٧) .

لكن وعلى ما يبدو من النص الآتي " وأخذ الحصين يكلمه سراً ، وهو يجهر جهراً " (٨) أن عبدالله بن الزبير كان حريصاً جداً على مشاعر الحجازيين وهذا ما جعله يخاطب الحصين جهراً في حين كان الحصين يخاطبه سراً ، فقد كان أنصاره قرييين منه فلم يشأ أن يثير شكوكهم بل حرص على أن يسمعهم ما يرضيهم حين قال للحصين أنه لا يرضيه إلا أن يقتل بكل واحد منهم عشرة من أهل الشام (٩) .

وبعد أن فشل الحصين في إقناع عبدالله بن الزبير بالذهاب معه إلى الشام قال له " قبح الله من يعدك بعدداهياً وأريباً " (١٠) ثم غادر مكة متوجهاً إلى الشام مع جنده وبنى أمية ، وبذلك ارتفع شأن عبدالله بن الزبير في الحجاز وأخذت الناس تبايعه بعد أن أعلن نفسه خليفة (١١) ، والذي يبدو أن عبدالله كان خائفاً من أهل الشام لذلك لم يذهب معهم والدلائل على ذلك هي :

يرى ابن سعد (١٢) أن عبدالله بن الزبير قال للحصين أن ابعث رسولاً مني إليكم يأخذ البيعة فرفض الحصين ذلك ، إضافة إلى أن ابن قتيبة (١٣) يقول أن عبدالله قال للحصين في أمر الذهاب معه إلى الشام "

(١) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ١٦٩ .
(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ص ٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٢ .
(٣) قبيلة ثقيف ودورها ، أطروحة دكتوراه ، ص ١٨٣ .
(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ص ٥٧ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٣ .
(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٤ .
(٦) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٦٠ .
(٧) الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٩ .
(٨) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ص ٥٥ - الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٠ .
(٩) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٩ - المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) ، الخطط المقرئية والواعظ والاعتبار ، مطبعة النيل ، (مصر / ١٣٢٤ هـ) ، ج ٢ ص ٨٤ - الناصري ، أحمد بن خالد (ت ١٢١٥ هـ) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح جعفر الناصري وآخرين ، ط ١ ، دار الكتاب للنشر ، (١٩٩٧ م) ، ج ٣ ص ١٨٩ .
(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٩ .
(١١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ .
(١٢) الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٨٧ .
(١٣) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٩١ .

لا والله لا أفعل لا أومن من أخاف الناس ، وأحرق بيت الله ، وأنتهك حرمة " وهذا قد يجعلنا لا نقبل الرأي القائل^(٥) بأن عبدالله بن الزبير ندم على عدم ذهابه مع الحصين بن نمير السكوني .

هذا فضلاً عن انه كان يدرك عاملاً له خطورة وهو السبب في ازوار القرشيين عن الإمام علي (t) عندما نقل عاصمة الدولة من الحجاز إلى الكوفة^(٦) ، ثم ان ابن السكوني أراد ان يخرج معه ابن الزبير على غيربيعة له عنده وإنما هو مجرد وعد بأن يأخذ البيعة في الشام " فأن هؤلاء الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، لا يختلف عليك اثنان "^(٧) ، ولكن هل كان ابن السكوني يمثل تلك القوة السياسية في الشام لكي يتكلم هو بالنيابة عن أهلها ؟

لم يكن الحصين بن نمير السكوني يمثل قوة أهل الشام كلها فهناك روح بن زنباع الجذامي في أنصاره من بني جذام وحسان بن مالك الكلبى خال أولاد يزيد الذي يطمح هو الآخر في بقاء الخلافة عند أولاد أخته معاوية وعبدالله^(٨) .

ولا يمثل قوة القبائل الكبرى منها ففيها القبائل القيسية والقبائل اليمانية بالرغم من انه من قبيلة كندة التي هي بطن من القبائل اليمانية^(٩) ، إلا ان هذا لا يعني بأنه صاحب الحظ الأوفر في أوامر هذه القبيلة ، هذا فضلاً عن ان الأمويين في الشام كانوا يقربون أبناء قبيلة تغلب دائماً إليهم^(١٠) وغيرها من القبائل الأخرى الموالية لهم من جذام ولخم وكتب^(١١) فلو أطاعه ابن الزبير ولم يستطع الحصين ان يحقق له البيعة لكان ألقى بنفسه في يد بني أمية وأهل الشام .

يتبين لنا أن ابن الزبير كان يدرك ويعرف جيداً بأن أهل الشام لا يدينون بالولاء لغير بني أمية لأنهم لا يعرفون غير الفرع السفيفاني كما لم تكن له حتى ذلك الوقت العصبية المطلوبة والمساندة له في الشام .

٢. بيعة عبدالله بن الزبير سنة ٦١هـ / ٦٨٣م .

علا شأن عبدالله بن الزبير ليس في مكة فحسب بل في كل الأمصار العربية الإسلامية لذلك جاءت إليه بيعة أهلها ، بينما كانت أوضاع الدولة الأموية تأخذ طريقاً آخر نحو التفكك بسبب الفتن الداخلية بين القبائل العربية القاطنة في الشام ، لما اقترفته الدولة الأموية من مظالم وما غرسته من أحقاد .

يرى قسماً من المؤرخين^(١) إن عبدالله أخذ يبايع سراً بعد استشهاد الإمام (t) وهذا الرأي هو رأي الأغلبية بينما نجد الرأي الآخر^(٢) يقول ان عبدالله أظهر بيعته بعد وفاة يزيد لكن نجد هناك أحد

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٠٢ .

(٦) ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٣ - القاضي نعمان ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ص٢٤٢ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٩ .

(٨) ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٥ .

(٩) عبدالباسط الالوسي ، قبيلة كندة ، أطروحة دكتوراه ، ص٢٦ .

(١٠) احمد محمد الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي ، ص٤٢٢ .

(١١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٨٢ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٥٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٠١ - ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) ، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، تح د. أحسان عباس وآخرون ، دار المعارف ،

المؤرخين^(٣) يقول ان عبدالله بايع لنفسه في سنة اثنتين وستين من الهجرة ، في حين يذكر الرويحي^(٤) بأن مكة وأهلها بقيت جمادين بلا خليفة .

والذي يبدو بأن عبدالله بن الزبير اظهر بيعته بعد وفاة يزيد حيث كانت البيعة سرية في حياته لأسباب منها :

٥. ان ابن الزبير قد أرسل عماله إلى الأمصار الإسلامية التي بايعت له بعد وفاة يزيد لقبولهم الخلافة الزبيرية^(٥) ولم توجد رواية واحدة تقول ان ابن الزبير أرسل عماله في حياة يزيد .
٦. لم تكن عند ابن الزبير قبل وفاة يزيد تلك الإمكانيات المالية أو العسكرية الواضحة والكبيرة في سبيل ان يرسل منه عمال إلى الأمصار الإسلامية .
٧. ان ابن الزبير كان في حياة يزيد يدعو إلى الشورى ، وبعد وفاة يزيد ألغى تلك الدعوة ودعا لنفسه^(٦) .
٨. اتفاق أكبر عدد من المؤرخين على ان البيعة جاءت بعد وفاة يزيد .

١. الأوضاع السياسية في البصرة

بعد وفاة يزيد أنحل أمر الخلافة وصار الأمر فوضى^(١) ، لذلك جمع ابن زياد أهل البصرة وخطب فيهم وحاول استمالتهم من خلال إعطائهم الأموال " هذا فينكم فخذوا اعطياتكم وأرزاق ذراريكم منه " من اجل ان يدعو لنفسه بالخلافة الأموية في الشام إلى حين تستقر الأوضاع^(٢) . فبايعه أهل البصرة ثم انصرفوا ومسحوا أيديهم بالجدران وقالوا أيظن ابن مرجانه أننا ننقاد له في الجماعة والفرقة^(٤) .

ومن خلال ذلك يتبين ان أهل البصرة رفضوا ابن زياد عاملاً عليهم لأنهم أدركوا بأن الخلافة الأموية لا تستطيع ان تقدم إلى ابن زياد ما يريد من اجل ان يثبت حكمهم لذلك رفضوا أمره .

(مصر / بلات) ، ص ٣٥٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٩ - الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٩ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٦٣ .

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٥٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٦ - المقريزي ، الخطط المقرزية ، ج ٢ ص ٨٤ .

(٢) دحلان ، أحمد زيني (ت ١٠٣١ هـ) ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، ط ١ ، المطبعة المحمدية ، (مصر / ١٣٠٥ هـ) ، ص ٤-٥ .

(٣) علي بن أبي عبد الرحمن (ت هـ) ، بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء ، (القاهرة / ١٩٠٩ م) ، ص ٢٠ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٨٧ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٨ .

(٦) ابن الغملاس ، ولاة مصر ومتسلموها ، مطبعة دار البصري ، (بغداد / ١٩٦٢) ، ص ١٨ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٢٠٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٩ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣١ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

لكنهم لم يظهروا نواياهم إلا بعد معرفة أوضاع الكوفة السياسية بسبب الترابط القبلي الموجود بين المصريين^(٥)، لذلك جاءت فرصة إرسال الوفد* من ابن زياد إلى الكوفة هي الفرصة المناسبة من أجل الإطلاع على أوضاع الكوفة السياسي آنذاك .

وبعد رجوع هذا الوفد من الكوفة إلى البصرة وأخبارهم بما جرى من أمر خلعه في الكوفة انعكس الأمر على وضع البصرة فقال أهل البصرة أيخلعه أهل الكوفة ونوليّه نحن^(٦) .

وكان من نتيجة هذا العزل ان ضعف سلطان ابن زياد بالبصرة فكان يأمر بالأمر فلا يقضى ويرى الرأي فيرد عليه ويأمر بحبس المحض فيحال بين أعوانه وبينه^(٧) هذا فضلاً عن وجود عامل آخر ساعد في أضعاف ابن زياد في البصرة وإيصال أوضاعها الى ما هي عليه ، هو مجيء سلمة بن ذويب الحنظلي** . وهو من الفقهاء^(٨) واحد الدعاة للبيعة لابن الزبير بالبصرة ، مما سبب استياء ابن زياد ، فحاول الاحنف والناس ان يأتوا به إلى ابن زياد لكنهم تركوه بعد ان وجدوا ان أتباعه قد كثرت " نحن نأتيك بسلمة ، فاتوه سلمة فإذا جمعة قد كثف والفتق قد اتسع " ^(٩) ، عندها عرض ابن زياد على الشرط البخارية وأخوته للقتال معه فرفضوا ذلك بسبب عدم وجود خليفة^(١٠) ، إزاء هذه الفوضى والتطورات السياسية في البصرة كسر الخوارج أبواب السجون^(١١) ، وفروا منها واخذوا يعملون في سبيل إفساد البيعة لابن زياد وفشوا في الناس يدعون إلى محاربة السلطان^(١٢) ، أدرك ابن زياد حينها بأن موقفه ضعيف جداً لذلك لجأ إلى الحارث بن قيس الأزدي* بناءً على وصية والده** " أن احتجت إلى الهرب يوماً ان اختاركم " ^(١٣) ، فعلاً قدم الحارث إليه المساعدة في سبيل إيصاله إلى مسعود بن عمرو الأزدي*** زعيم القبيلة وذو المكانة والشرف والطاعة في قومه الذي بدوره ادخله القبيلة وقام بإبلاغها باستجداد ابن زياد لهم^(١٤) ، ويذكر الطبري^(١٥) ان مسعود بن عمرو الأزدي أجاز ابن زياد (تسعين يوماً) بعد وفاة يزيد .

(٥) ماسينون ، خطط الكوفة ، ص ٣٧ .

*الوفد : عمرو بن مسمع ، سعد بن القرصا التميمي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٤ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

**سلمة بن ذويب : سلمة بن ذويب بن عبدالله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة ، وهو من الفقهاء اشترك في

فتح تستر مع عمار بن ياسر في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٠٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٧ - ابن حزم ، جمهرة

انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٣ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥١١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٣ .

(١١) محمود قانصو ، ما بعد كربلاء ، ص ١٥٣ .

(١٢) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج ٣ ص ١٦٩ .

*الحارث بن قيس : الحارث بن قيس بن صهبان بن عون بن علاج بن مازن بن أسود بن جهضم بن جذيمة بن مالك بن

فهم . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٩ .

**وصية والده : كان سبب أجاتهم زياداً ، ان الإمام علي بن أبي طالب (ع) في خلافته ولي زياداً البصرة وعند خروجه

الى صفين ، فوجه معاوية إلى البصرة عامر بن الحضرمي في جمع فغلّب على البصرة وهرب منه زياد ، فلما نزل إلى

الأزد أجاروه . ينظر : الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٨٣ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٩ .

***مسعود بن عمرو : مسعود بن عمرو بن عبد بن محارب بن ضيم بن مليح بن شريطان بن معن بن مالك بن فهم بن غنم

بن دوس ، المعروف بالقمر ، زعيم من بني عتيك من الأزد اليمانيين . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،

ج ٥ ص ٥١٠ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٣٨١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢١٩ .

(١٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج ٣ ص ١٦٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٥ .

ولما فقد ابن زياد بقى أهل البصرة من غير أمير^(٧) ، واختلفوا فيمن يؤمرون عليهم ثم تراضوا على عبدالله بن الحارث بن نوفل المضري الهاشمي^(٨) ، أما ابن زياد فإنه عندما ترك البصرة وذهب إلى الازد كان قد حمل أموال بيت المال كلها معه وقدرها ثمانية آلاف درهم^(٩) ، فأخذ بإنفاق أموال كثيرة في سبيل تعزيز ودعم الحلف الذي كان موجود بين قبيلة الازد وربيعه^(١٠) .

إزاء هذه الأحداث خرج نافع بن الأزرق في ثلاثمائة عند وثوب الناس على ابن زياد وكسروا ابواب السجون وخرجوا إلى الأهواز واستغلوا فرصة انشغال الناس بالحرب الأهلية بين قبيلتي الازد وربيعه من جهة وتميم من جهة أخرى^(١١) والتي جاءت نتيجة قتل مسعود بن عمرو الأزدي ، لكن هذا لا يعني أن الخوارج كلهم خرجوا إلى الأهواز بل تخلف عنهم عبدالله بن الصفار* وعبدالله بن أباض** ورجال ممن كان على رأيهما^(١٢) ، وكان خروج نافع إلى الأهواز في شهر شوال سنة أربع وستين^(١٣) .

والذي يتبين لنا أن خروج نافع وأصحابه إلى الأهواز جاء بعد مقتل مسعود بن عمرو الأزدي الذي أحدث قتله حرب أهلية بين قبائل الازد وربيعه من جهة وتميم من جهة أخرى ، وهناك رواية مفادها بأن الخوارج هم الذين قتلوا مسعود الأزدي^(١٤) ، لكن على ما يبدو أن الخوارج بعيدون عن مسألة قتل مسعود الأزدي لسبب واحد هو ان الاحنف بن قيس زعيم قبيلة تميم ذهب لمفاوضة الازد وربيعه بأمر مقتل مسعود وأعلمهم بأنه يريد دفع الدية فلذلك طلبوا منه الازد عشر ديات فوافق عليها^(١٥) ، ولو كانوا قبيلة تميم ليسوا هم القاتلين لما وافقوا على دفع الديات وما دفع الاحنف إلى هذا العمل هو حالة الاضطراب في البصرة وعدم الاستقرار التي تؤثر في حياتهم الاقتصادية^(١٦) ، وبالإضافة إلى ما ذكره السيد الخربوطلي^(١٧) في كتابه تاريخ العراق بأن سبب كتابة أهل البصرة البيعة لابن الزبير هو وجود خطر الخوارج والعصبية القبلية هذا فضلاً عن أنهم كانوا دائماً يميلون إلى العمل بالتجارة وهذا العمل يتطلب الأمان والاستقرار .

ونحن نرى انه ربما عرف أهل البصرة بأن أهل الكوفة قد كاتبوا ابن الزبير لذلك كاتبوه هم أيضاً .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٢٥٥ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص١٠٤ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥١٣ .

(١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص١٠٢ .

(١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٣٦ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٧ .

* عبدالله بن الصفار : عبدالله بن الصفار ، أحمد زعماء الخوارج المعروفين وإليه ينسب الخوارج الصفورية . ينظر : الجوهرى ، الصحاح ، ج٢ ص٧١٥ .

** عبدالله بن أباض : عبدالله بن أباض التميمي ، احد زعماء الخوارج المعروفين ، وإليه ينسب الخوارج الأباضية . ينظر : عبدالرحمن بن قدامة (ت ٦٨٢هـ) ، الشرح الكبير ، دار الكتاب ، (بيروت / بلات) ، ج١٠ ص٦٣ .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٧ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٢٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٢٦ .

(٥) محمد جابر عبدالعال ، حركات الشيعة المتطرفين ، ص١٤٧ .

(٦) تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، ص١٣٢ .

٢. أهل الكوفة وبيعتهم لعبدالله بن الزبير

بعد ان اخذ عبدالله بن زياد البيعة لنفسه بالخلافة الأموية أرسل وفداً^{**} من أهل البصرة إلى الكوفة حيث نائبه عمرو بن حريث لكي يأخذ البيعة له بالكوفة^(١)، وعندئذ قام خليفته بجمع الناس وقاما الرسولان فخطبا بأهل الكوفة وذكروا لهم ما يريده عبيد الله^(٢)، فقام إليه يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني ويذكر المسعودي^(٣) انه قال : " لا حاجة لنا في بني أمية ولا في إمارة ابن مرجانة ، ان البيعة لأهل الحجر ".*

وبعد رجوع الوفد أخذت قبيلة كندة دورها في الكوفة في محاولة لأخذ البيعة لعمر بن سعد بن أبي وقاص لأنه ابن أختهم كمحاولة للمحافظة على الولاء الأموي ، مما سبب هذا الموقف رد فعل قوي ليس لرجال الكوفة وإنما لنسائهم فأقبلت نساء الكوفة من همدان^(٤) وكهلان والأنصار وربيعه والنخع^(٥) نحو المسجد صارخات باقيات لقتل الإمام (ع) وقلن " أما رضى عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى أراد ان يكون أميراً علينا على الكوفة " (٥) ، مما سبب كلامهن هذا استياء محمد بن الاشعث حينما قال بعد مجيئهن " جاء أمير غير ما كنا فيه " (٦) ، واستطاعت هذه النسوة ان تكسب الناس إلى جانبهن ، وبالتالي ترك محاولة تعيين عمر والياً على الكوفة ، لكن هذا لا يعني عدم وجود دور للرجال في هذا التجمع فقد اجمع أشرف أهل الكوفة على اختيار عامر بن مسعود بن أمية والياً عليهم وكاتبوا بذلك ابن الزبير فاقره عليهم^(٧) .

أما الشيعة بالكوفة فآخذوا طريقاً أخرى هي إعلان بداية حركتهم (التوابين)^{**} وبدأت تكسب الناس في الكوفة ويزداد نفوذهم يوماً بعد يوم إلى انتهت حركتهم بمعركة عين الوردة^{**} سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م^(٨) .

***الوفد : سبق ان وضحنا اسماء شخصيات الوفد في الصفحات الماضية ، ينظر : ص ١٣٩ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٩٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٤ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

(٣) مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

*أهل الحجر : أهل الحجاز . ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٩٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٣ .

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

(٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٣ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٤ .

**التوابين : هناك شرح للطالب عن الحركة بكل جوانبها في الفصل السادس .

***عين الوردة : وهي رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٨٠ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٨ .

٣. أهل الحجاز والبيعة لابن الزبير

كنا قد بينّا فيما مضى من الصفحات الماضية ان البيعة لابن الزبير قد تمت بعد وفاة يزيد بن معاوية باتفاق الآراء لدى المؤرخين لكن كيف اظهر ابن الزبير هذه البيعة لنفسه في الحجاز بعد ان كان يدعو إلى الشورى ويدعو نفسه العائد بالحرم ؟

اختلفت الآراء لدى المؤرخين والدارسين فيذكر ابن سعد^(١) في طبقاته أن ابن الزبير قال لابن السكوني " أنا أحق الناس بهذا الأمر - الخلافة - لأن عثمان عهد إلي في ذلك عهداً ، صلى به خلفي طلحة والزبير وعرفته أم المؤمنين فبايعني وادخل فيما دخل فيه الناس معي يكن لك مالهم وعليك ما عليهم " ، ويذكر ابن خياط^(٢) في تاريخه أن ابن الزبير استغل الوضع السياسي الموجود في الحجاز فأعلن نفسه خليفة " فقال مقاتلاً - رجل من المقاتلين معه - : يا ابن الزبير ، ما سفكنا الدماء ولا قتلنا الناس إلا في ملكك ، قال : ممن تبايعون سواي ، قال : فهلا انتظرت حتى نكون نحن ندعوك ففارقه " ، ويرى قسم من المؤرخين^(٣) ان ابن الزبير اظهر الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال إنما بطني شبر ، فما عسى ان تسع من الدنيا وأنا العائد بالبيت والمستجير بالرب ، بينما نجد احد الدارسين المحدثين^(٤) يقول بأن ابن الزبير اظهر البيعة بعد وفاة المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن كونهما من الشخصيات المهمة في مكة والمنافسين له بالخلافة وما يفند هذا الرأي ان ابن كثير^(٥) يقول بأن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف هو أول من بايع لعبد الله بن الزبير .

ويبدو أن الرأي الثاني هو الأكثر صواباً لأسباب عديدة منها :

٤. ان ابن الزبير في حياة يزيد كان يدعو إلى الشورى^(٦) والعائد بالحرم حتى بعد استشهاد الإمام (t) حينما طلب أهل مكة البيعة له أجابهم " لا تعجلوا " ^(٧) .

٥. بعد وفاة يزيد بن معاوية لم تكن هناك شخصية سياسية تطمح بالسياسة غير عبد الله بن الزبير خاصة إذا عرفنا بان عبد الله بن عمر عندما عرض عليه مروان بن الحكم البيعة رفض ذلك^(٨) ،

وابتعاد الإمام علي بن الحسين (t) عن طريق السياسة وكذلك انعزال أهل بيته عن حركة ابن الزبير كما بينا ذلك .

٦. كره أهل الحجاز الخلافة الأموية بسبب قتلهم الإمام (t) وقتل أهل المدينة في ثورتهم المعروفة بالحرّة ، هذا فضلاً عن نقل عاصمة الدولة العربية إلى الشام لذلك ربما وجدوا بابن الزبير الشخصية الطموحة في إعادة الخلافة كما كانت عليها في عهد الرسول والخلفاء الراشدين الأوائل .

(١) الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ٤٨٧ .

(٢) تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٥ - الاصفهاني ، الاغانى ، ج ١ ص ٢٥ .

(٤) القبلان ، حركة عبد الله بن الزبير ، رسالة ماجستير ، ص ١٤٦ .

(٥) البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٠ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٨ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ .

(٨) ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١هـ) ، الاشراف في منازل الاشراف ، تح د. نجم عبد الرحمن خلف ، ط ١ ، (الرياض / ١٤١١هـ) ، ص ٥ .

أما بيعة أهل الطائف فذكر ابن اعثم الكوفي^(١) بأنها كانت قسرية بالقوة ، وهذا يؤيد بأنه استغل الوضع السياسي آنذاك في الحجاز فاخذ بيعتهم .

خامساً . أسباب إخفاق حركة عبدالله بن الزبير

هناك عوامل ساهمت في إخفاق هذه الحركة أهمها :

٤ . لم يقدم ابن الزبير مساعدات عسكرية تذكر إلى الثوار في المدينة بثورتهم سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م^(١) ، بالرغم من ان عدوهم واحد وهذا الأمر ان دل على شيء فإنه يبرهن لنا أن الحالة الاقتصادية للحركة ضعيفة جداً بسبب عدم وجود موارد ثابتة لها^(٢) .

٥ . لم يتبين لنا وجود رواية واحدة عند احد المؤرخين توعد بأمر من ابن الزبير إلى والي الكوفة تدعوه بتقديم المساعدات لزعماء الحركة التوابية سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م^(٣) ، بالرغم من ان عدوهم السياسي واحد وهذا ان دل على شيء فإنما يدل لنا بأن عبدالله بن الزبير لم يكن سياسياً أو فطناً يستطيع ان يماكر بالسياسة مثلما كان الأمويون معه .

٦ . ان ابن الزبير قد تحصن داخل مكة ولم تكن بيعة الأمصار العربية له إلا نتيجة حاجة أهل الأمصار وهذا فضلاً عن انه لم يفتن لأمر مهم هو ان مكة لم تكن الأرض المناسبة لقيادات الحركة الثورية لسببين مهمين هما :

ت . طبيعة مكة الاقتصادية كونها تعتمد على التجارة فقط لان أراضيها ليست صالحة للزراعة^(٤) .
ث . طبيعة أفرادها ليسوا مقاتلين وإنما انشغلوا باللهو والتجارة وجمع المال ، وخاصة في فترة

خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) مما ولد منهم طبقة أرستقراطية غير محبة للحرب والقتال عكس طبيعة أهل العراق^(٥) .

٤ . شخصية ابن الزبير نفسها كانت واحدة من أسباب إخفاق الحركة بسبب عدم ثباته على أمر واحد فنجد مثلاً انه رفض بيعة يزيد ودعا إلى الشورى وأنه عاين بالحرم^(٦) ، ويدعوهم إلى الصبر وعدم التعجل^(٧) ، ومرة أخرى يدعو إلى البيعة لنفسه بالخلافة لذلك عابه احد مقاتليه بذلك^(٨) .

٥ . ان ابن الزبير كانت فيه صفات لا تصح معها الخلافة " كان بخيلاً ، ضيق العطاء ، سيء الخلق حسوداً ، كثير الخلاف "^(٩) ، وقد عابه عبدالله بن عباس في ذلك حينما قال له : "

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره "^(١٠) .

أولاً . جذور ثورة الحررة وطبيعة أهدافها

(١) الفتوح ، مج ٣ ص ١٥٦ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٩١ .

(٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٥ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦٢٤ .

(٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٥ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ص ٢٨٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ص ٤٧٥ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ .

(٩) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(١٠) الشهيد نور الله التستري (ت ١٠٩٩هـ) ، الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة ، تح السيد جلال الدين المحدث ، مطبعة نهضة ، (طهران / ١٣٦٧هـ) ، ص ٩٧ .

(١١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٩ .

٢. أوضاع الحجاز السياسية سنة ٦١ هـ .

بعد استشهاد الإمام (ت) في واقعة الطف سنة ٦١هـ / ٦٨٠م^(١) . قام عبدالله بن الزبير بدور إعلامي كبير ضد أهل العراق عامة والكوفة خاصة ، لذلك أخذت الناس في مكة تباعب ابن الزبير سرّاً^(٢) ، فظن عمرو بن سعيد الأشدق بأن الناس قد تمت مبايعتها لعبدالله بن الزبير ، لذلك استشار الأشدق عبدالله بن عمرو بن العاص* لمنزلته الكبيرة في قريش التي كانت تعدّه عالماً في أمرهم ، فأجابه قائلاً " لا أرى صاحبك إلا أحد الملوك الذين تتم لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك " فكان من نتيجة هذا القول ان الأشدق اخذ بمتابعة عبدالله بن الزبير وأنصاره بشدة^(٣) ، لكن ما ان قال الوليد بن عتبة وناس معه من بني أمية قالوا ليزيد " لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك " ^(٤) فكانت هذه الكلمات ذات تأثير في تفكير ورأي يزيد مما سبب عزلة للأشدق وتعين الوليد بن عتبة أميراً على الحجاز^(٥) .

وبمجيء الوليد إلى الحجاز ثار عبدالله بن الزبير في مكة ، ونجدة بن عامر الحنفي باليمامة^(٦) ، وجاء نجدة إلى مكة وكان يكثر اللقاء مع ابن الزبير حتى ظن الناس أنه سيبايعه ، وحاول الوليد متابعته لكنه لم يفلح بسبب فطنة ابن الزبير له ، وهذا سبب شدة الوليد في متابعته لكن ابن الزبير عمل بالمكر في سبيل خلع هذا الأمير ، فلذلك كتب إلى يزيد " أنك بعثت إلينا رجل أخرج لا يتجه لأمر رشد ، ... ، ولو بعث إلينا رجل سهل الخلق ، لين الكتف ، رجوت ان يسهل من الأمور ما استوعر منها ، ... ، فأن فيه صلاح خواصنا وعوامنا ان شاء الله " ^(٧) ، وفي هذا الكتاب ظن الخليفة أن ابن الزبير وأهل الحجاز يريدون ان ينفادوا تحت أمرة الخلافة فلذلك عزله وعين عثمان بن محمد بن أبي سفيان* ، الذي وصف بأنه " فتى غر حدث غمر ، لم يجرب الأمور ، ولم يحنكه السن ولم تضرسه التجارب وكان لا يكاد ينظر في شئ من سخط طائفة ولا عمله " ^(٨) ومن هذا نرى أن أغلب الولاة في المدينة كانوا من الأمويين بغض النظر عن العمر والتجربة بل تقودنا إلى مجمل مهم هو احتكار المناصب المهمة في الدولة .

ولما أعلن ابن الزبير عن كرهه ليزيد ، فأن أكثر أهل المدينة كاشفوا بعداوتهم للخلافة الأموية ، فكتب يزيد إلى عثمان بن محمد بن أبي سفيان أن يوجه إليه وفداً ليستمع إلى مقالتهم ويستميل قلوبهم ، فأوفدا إليه المنذر بن الزبير وعبدالله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، وعبدالله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر الأنصاري في آخرين من الأشراف ، فلما قدموا عليه أكرمهم ووصل كل منهم بخمسين ألف درهم ، ووصل المنذر بمائة ألف درهم ثم انصرفوا من عنده^(٩) .

بعد عودة الوفد من الشام إلى المدينة عدا المنذر بن الزبير الذي ذهب الى البصرة لزيارة ابن زياد فأنهم اجمعوا على شتم يزيد وقالوا " إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، ... ، ويلعب بالكلاب ويسامر

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٦٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٨-٩٩ .

*عبدالله بن عمرو بن العاص : عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمي القرشي ابو محمد وابو عبدالرحمن احد الفقهاء ، من قريش ، صحابي ، من النساك ، من اهل مكة كان يكتب في الجاهلية ويحسن السريانية واسلم قبل ابيه . ينظر : ابن ماکولا ، إكمال الدين ، ج ٤ ص ٣٠٤ - الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٤١ - ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ١ ص ٥١٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٤ ص ١١١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٠ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ج ٤ ق ٢ ص ٢٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٢ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٢ .

*عثمان بن محمد بن أبي سفيان : لم أجد له ترجمة .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٢ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٢١ .

الحراب والفتيان ، وانا نشهدكم أنا قد خلعتاه" (٢) ولما بلغ يزيد خلع أهل المدينة وتوليتهم ابن الغسيل أمرهم كتب إلى ابن زياد في حمل المنذر بن الزبير إليه فكره ابن زياد ذلك إذ كان ضيفه وصديق أبيه فكتب إليه أنه إنما صار إلي متبرئاً من أصحابه مخالفاً لقولهم وفعلهم ثم أمر المنذر ان يأذنه على رؤوس الناس في إيتانه الحجاز ، فلما فعل ، اذن له (٣) .

وبعد ان لحق المنذر بن الزبير المدينة أظهر هو الآخر شتمه ليزيد وتحريض الناس عليه وكان أشد من أصحابه فقال " والله انه ليشرب الخمر وانه ليسكر حتى يدع الصلاة " (٤) .

إزاء هذه الأحداث أصبح الوضع السياسي في الحجاز صعباً بالنسبة إلى الخلافة الأموية حيث ان ابن الزبير كان قد اخذ البيعة من أهل مكة سراً ، وبايع أهل المدينة عبدالله بن حنظلة الغسيل (٥) ، وهكذا الحال أصبحت الخلافة الأموية منقسمة أحدهما في الشام والأخرى في الحجاز وهذا مما لا يمكن السكوت عنه بالنسبة إلى الأمويين ، لذلك أرسل يزيد النعمان بن بشير الأنصاري ، كونه أخا لعبدالله بن حنظلة الغسيل لأمه (٦) ، كمحاولة لردهم " أنت الناس وقومك فافتأهم عما يريدون " (٧) .

وعندما جاء النعمان إلى قومه ودعا الناس إليه وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوفهم الفتنة ، وقال لهم : انه لا طاقة لكم بأهل الشام ، فقال عبدالله بن مطيع العدوي : ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من امرنا ، فقال النعمان : أما والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو بها ، ... ، ودارت رحى الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبيها إلى مكة ، وقد خلفت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يقتلون في سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم ، فعصاه الناس فأنصرف (٨) ، ويبدو أن النعمان كان يعرف طبيعة تكوين جيش الشام وأسلحته ، وفي نفس الوقت كان يدرك قوة أهل المدينة لذلك حذر عبدالله بن مطيع العدوي ، وان نصيحته جاءت مثلما توقع .

ان أهل المدينة بعدما بايعوا عبدالله بن حنظلة الراهب (٩) ، على خلع الخليفة يزيد وثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قریش (١٠) ، وحاصروهم في دار مروان بن الحكم حصاراً ضعيفاً (١١) ، لكن ابن كثير (١٢) يقول ان بني أمية اجتمعوا في دار مروان بن الحكم وأحاط بهم أهل المدينة ، ويبدو ان رأي ابن كثير هو الأكثر صواباً بسبب أنه لم يكن حصاراً بمعنى الكلمة وإلا كيف راسلوا الخليفة يزيد ان كان حصاراً .

لذلك كتب مروان وجماعة من بني أمية كتاباً إلى الخليفة يزيد ، فأخذ الكتاب عبدالملك بن مروان وأرسله بيد حبيب بن كره وفيه " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أما بعد ، فإنه قد حُصِرنا في دار مروان ابن الحكم ، ومنعنا العذب ، ورمينا بالجيوب ، فيا غوثاه يا غوثاه " (١٣) ، وأرسل هذا الكتاب عندما كان بنو أمية لا يزالون في المدينة ولم يخرجوا منها .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٧ - الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ص٤٥-٤٦ - محمد كرد علي ، خطط الشام ، المطبعة الحديثة ، المجمع العلمي العربي ، (دمشق / ١٩٢٥ م) ، ج١ ص٤١٥ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢٠ ص٣١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٤ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١١ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٤ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٤ .

(٩) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ص٥٢ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٢ .

(١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١١ .

(١٢) البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٨٩ .

(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٢ .

وعندما وصل الكتاب إلى يزيد ، قال : " أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة " (٦) ، فأجابه حبيب بن كرة : " بل أكثر ، فقال : فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من نهار " (٧) ، فقال له حبيب : " قد اجمع كلهم عليهم " (٨) . ومن هذا نستنتج ان جُلّ أهل المدينة قد خرجوا على بني أمية في المدينة مما سبب فزع ورهب الخليفة يزيد بسبب تخوفه من وجود ابن الزبير في مكة ، لذلك قال الخليفة يزيد بعد غضبه (٩) :

لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان

وهذه إشارة إلى انه سوف يبدأ بسياسة الشدة مع أهل المدينة .

٢ . أهل المدينة وحركة عبدالله بن الزبير

لا يمكن بأي حال من الأحوال تصنيف ثورة أهل المدينة وحركة عبدالله بن الزبير على أنهما ثورتان مختلفتان بسبب ان الفواسم المشتركة بينهما تكاد تكون واحدة ، لكن ما هو موقف ابن الزبير من هذه الثورة ؟

اختلف المؤرخون في مسألة علاقة ابن الزبير بالثورة ، فيقول بعض المؤرخين (١٠) أن ابن الزبير لما قتل أخاه عمرو فإنه خطب في الناس وشم يزيد ودعا الناس إلى إظهار خلعه وكتب إلى أهل المدينة بذلك ، ويقول ابن اعثم الكوفي (١) أن أهل المدينة بلغهم ان أهل مكة والطائف وسائر الحجاز قد بايع ابن الزبير فوثب أهل المدينة على عاملهم عمرو بن سعيد* فأخرجوه من المدينة وبايعوا عبدالله بن الزبير ، ويرى أبو الفرج الاصفهاني (٢) أن ابن الزبير أقام على خلع يزيد ومالاً على أكثر الناس فدخل عليه أهل المدينة .

والذي يبدو أن الرأي الأول هو الأكثر صواباً لأن هناك ترابطاً وثيقاً بين ثورة أهل المدينة وعبدالله بن الزبير كونهما يضدان الخلافة الأموية في الشام هذا فضلاً عن وجود رغبة لديهما بجعل الخلافة الإسلامية في الحجاز .

(٦) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١ ص ٣٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٩ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ .

(٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ - ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٠٨ .

(١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٠ - المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٣ - الرافعي ، حضارة العرب ، ص ١٦٣ - برولكمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٢٩ .

(١) الفتوح ، مج ٣ ص ١٥٦ .

* عمرو بن سعيد : والي المدينة عند ابن اعثم ، لكن عند اغلب المؤرخين هو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وهو الاصبوب .

(٢) الاغاني ، ج ١ ص ٢٧ .

ويتبين ان سبب خلع يزيد من أهل المدينة هو سوء شخصيته فيرى بعض المؤرخين^(٣) بأن سبب خلع أهل المدينة البيعة للخليفة يزيد هي أخلاقه كونه يشرب الخمر وتعزف عنده القيان بالمعازف ، أما ابن الوردي^(٤) فيذكر بأن أهل المدينة اتفقوا على خلع الخليفة يزيد وإخراج نائبه عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، أما ابن طباطبا^(٥) فإنه يقول ان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد وخلعوه وحصره من كان بها من بني أمية واخافوهم ، ويذكر السيوطي^(٦) أن أهل المدينة خلعوا يزيد بعد ما أسرف في المعاصي ، أما ابن عماد الحنبلي^(٧) فيرى ان أهل المدينة خرجوا على يزيد لقلّة دينه .

أما أسباب خلع يزيد لعمر بن سعيد الأشدق فهي :

٤. علو شأن ابن الزبير بمكة بعد استشهاد الإمام (ت) لذلك فقد كاتبه أهل المدينة " أما إذ هلك

الحسين (ت) فليس أحد ينازع ابن الزبير " ^(٨) .

٥. اعتراف عمرو بن سعيد بن العاص ليزيد بن معاوية بعد ان عزله بتنامي قوة ابن الزبير السياسية فقال ليزيد " الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وان جل أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه وأحبوه وأعطوه الرضا ، ودعا بعضهم بعض سراً وعلانية " ^(٩) .

٦. قوة شخصية ابن الزبير بمكة وكان صوتاً إعلامياً يدوي في مكة ضد الخليفة يزيد وسياسته ولم يكن لساسنة بني أمية أي تأثير ضده لربما بسبب عدم وجود قوة عسكرية أموية في مكة تمنعه من ذلك وقد أشار عمرو بن سعيد إلى ذلك في عتابه للخليفة يزيد " ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته " ^(١٠) ، هذا فضلاً عن ان ابن الزبير بعد قتله لأخيه عمرو وإفشال حملة الأمويين ضده دعا الناس إلى إظهاره وخلع الخليفة يزيد وحربه وكتب إلى أهل المدينة بذلك ^(١١) .

٣. أهل المدينة وموقفهم من خلافة يزيد

وبلغت الأخبار أهل المدينة فرأوا ان يتخلصوا من بني أمية حتى لا يكونوا عوناً للجيش الأموي عند القتال^(١٢) ، فعمدوا إلى تهديدهم بالقتل أو يعطوا عهداً وألا يدلوا على عورة^(١٣) ولا يظاهروا عليهم عدوا وان يخرجوا من المدينة فأعطاهم بنو أمية العهد على ذلك^(١٤) .

^(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ص٥٨٧ .

^(٤) تاريخ ابن الوردي ، ص٦٥ .

^(٥) الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٠٨ .

^(٦) تاريخ الخلفاء ، ص١٦٤ .

^(٧) أبو الفلاح عبدالحى (ت ١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار احياء ، (بلات) ، ج١ ص٧١ .

^(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٩ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ - اما ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٨٦ فإنه لم يذكر دعا بعضهم بعض سراً وعلانية .

^(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٨٦ .

^(١١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٣٠ .

^(١٢) ابراهيم محمود شريف ، دور الحجاز السياسي ، ص٤٣١ .

^(١٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٥ - الاصفهاني ، الاغاني ، ج١ ص٢٨ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦ ص٢٢٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٩٠-٥٩١ .

^(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٣ .

فخرجوا من المدينة إلا ولد الخليفة عثمان بن عفان (رض) ^(١) ، وأقاموا في موضع ذي خشب* عشرة أيام ^(٢) .

بعد مجيء أهل الشام بقيادة مسلم المروى التقى بنو أمية عند وادي القرى فحاول المروى الاستفسار منهم عن أحوال أهل المدينة وطبيعة المقاتلين فيها ، لكن الأمويين قد أعطوا العهد على إلا أن يظاهروا عليهم عدواً فيا ترى هل حافظوا على العهد ؟

اجمع المؤرخون ^(٣) عدا ابن سعد في طبقاته ^(٤) على أن بني أمية قد التزموا العهد مع أهل المدينة إلا عبد الملك بن مروان الذي اطلع مسلماً على عورة المدينة ونصح به بأن يأتيها من قبل الحرة** الشرقية ^(٥) عند الصباح ، فعندئذ سوف تكون الشمس في وجوههم فيؤذيهم حرها ويصيبهم أذاها ، وربما كان تصرف عبد الملك هذا بأمر من أبيه مروان وما يدل على ذلك أن مسلم بن عقبة المروى لقي مروان بن الحكم وتكلم معه على عبد الملك وصفاته التي قلما توجد في رجال قريش فقال له مروان وإذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني فقال : اجل ^(٦) ، وبعد دخول مسلم الحرة عسكر فيها ودعا أهل المدينة إلى الدخول في طاعة الخليفة يزيد ، وأعلمهم أنه يؤجلهم ثلاثاً فأجابوا تركهم وسار إلى مكة لقتال ابن الزبير ^(٧) ، فرفض أهل المدينة ما طرحه عليهم مسلم وقالوا له " والله لو أردتم أن تجوزا إليهم ما تركناهم حتى نقاتلكم ، نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام ، وتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمة " ^(٨) .

والذي نستنتجه من هذا الأمر ما يلي :

٣. أن أهل المدينة رفضوا ليس الدخول في طاعة يزيد فقط بل عارضوا أن تمر قوات مسلم بن عقبة من خلال المدينة إلى ابن الزبير .

٤. أن أهل المدينة أرادوا الدفاع في مدينتهم عن حرمة بيت الله ولم يذكروا فيه الدفاع عن عبد الله بن الزبير .

وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقاً في جانب المدينة ونزله جمع عظيم منهم استعداداً لملاقاة جند الشام ^(٩) ، واقبل مسلم من جهة الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة ثم وجه الخيل نحو ابن

^(١) الأزرقى ، محمد عبدالله بن أحمد (ت هـ) ، اخبار مكة المشرفة ، مكتبة خياط ، (بيروت / بلات) ص ١٦٨ .

*ذي خشب : موضع على مرحلة من المدينة على طريق الشام . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ص ٢٩٩ .

^(٢) الأصفهاني ، الاغانى ، ج ١ ص ٣٠ .

^(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .

^(٤) الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٣ ، يرى ابن سعد أن مروان بن الحكم هو الذي اخبر مسلم بن عقبة عن عورة المدينة ولكن على ما يبدو أنه عبد الملك لاجتماع اغلب المؤرخين عليه .

**الحرة : حرة واقم إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية سميت بهذا الاسم نسبة الى رجل من العماليق اسمه واقم وكان قد نزلها في الدهر الأول ، وهي الارض التي البسها حجارة سود كأنها أحرقت بالنار . ينظر : ابن سلام ، غريب الحديث ، ج ١ ص ٣١٥ - الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٤٩ .

^(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٤ .

^(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٢٢٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٤ .

^(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٤-١١٥ .

^(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .

الغسيل ، فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه^(٥) ، واشتبك الجيشان الأموي وأهل المدينة يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين^(٦) في قتال شديد أوشك جند المدينة ان يحققوا نصراً على جند الشام والوصول إلى فسطاط مسلم وقتل حامل رايته الرومي إلا ان مسلم بن عقبة نهض بأصحابه وخطب في الجند وهددهم بمنعه العطاء ونقلهم إلى أقاصي الثغور^(٧) ، مما زاد في همة مقاتلي أهل الشام هذا فضلاً عن انه قام بدور آخر له أهميته في المعركة من خلال خطبة أخرى في جنده يذكرهم بأنهم أهل الطاعة والاستقامة لانتمهم " وان هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا فغير الله بهم "^(٨) وبدأ يحثهم على القتال^(٩) ، ويوعدهم بان مينة الشهادة هي أفضل مينة لذلك يجب عليهم ان يغتتموها " فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها "^(١٠) وهذه الخطب والكلمات جعلت جند الشام يتقدمون للقتال كأنهم فاتحوا البلاد غير العربية وغير الإسلامية .

ثم اقبل طائفة من أهل الشام فدخلوا المدينة من قبل بنو حارثة* من جانب الخندق^(١١) ، وهم الذين قالوا ((إِنِّي بَيِّنَاتٌ عَوْرَةٌ ^(١٢)) ، أي خالية فقد أمكن من أراد دخولها^(١٣) ، لذلك دخلوا وهم يقاتلون من يليهم إلا وأهل الشام يضربونهم من أديارهم ، فقتل عبدالله بن حنظلة الراهب أمير الأنصار ، وقتل عمرو بن حزم الأنصاري قاضي المدينة^(١٤) ، فدخل جند الشام المدينة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٦٣هـ / ٦٨٣م^(١٥) ، وانتهكوا حرمتها^(١٦) ، ويبدو ان مسلم بن عقبة لم يتمسك باحترام المدينة وبذلك فإنه قد أباحها ثلاثاً^(١٧) ، وكان يشجع أهل الشام على قتل أهل المدينة حتى وان كرهوا أهل الشام ذلك فيذكر ابن الأثير^(١٨) ان أهل الشام كرهوا ان يقاتلوا أهل المدينة بعد ان دخلوها ، فلما رأهم مسلم المرى وكان شديد الوجع سبهم وذمهم وحرضهم فقاتلوهم .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٥ .
 (٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٤١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٠ ، يذكر انها لليلتين من ذي الحجة .
 (٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٨ .
 (٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٨ .
 (٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٦ .
 (١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٠ .
 *بنو حارثة : بنو حارث بن جناب الكلبي وهم اخوال يزيد بن معاوية . ينظر : الزبيدي ، تارح العروس ، ج٧ ص٢٢٢ - الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ص٣٣٩ .
 (١١) ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج١٣ ص٦٠ .
 (١٢) سورة الاحزاب ، آية ١٣ .
 (١٣) ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، تح محمد عبدالرحمن ، ط١ ، مطبعة دار الفكر ، (بيروت / ١٤٠٧هـ) ، ج٦ ص١٨٦ .
 (١٤) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٦٥ .
 (١٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٠ .
 (١٦) مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ص٧٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٤ .
 (١٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٤ .
 (١٨) الكامل ، ج٤ ص١١٨ .

ثانياً . موقف الإمام علي بن الحسين (t) من ثورة اهل المدينة

تشير الروايات التاريخية الواردة في أحوال الإمام علي بن الحسين في أثناء ثورة المدينة سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م إلى انه اعتزل المدينة ثم جاءه مروان بن الحكم بحرمة بعد ان رفض عبد الله بن عمر استجارة حرمة^(١) ، فخرج الإمام علي بن الحسين (t) بحرمة وحرمة مروان بن الحكم حتى وضعهم بينبع* وكتب بذلك رسالة إلى يزيد يبين فيها عدم اشتراكه في هذه الثورة وقد وضح يزيد لمسلم ذلك " فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه وقد آتاني كتابه "^(٢) والسؤال هو لماذا اتخذ الإمام علي بن الحسين (t) هذا الموقف مع ان قادة الثورة وخصوصاً عبد الله بن حنظل الغسيل من المعروفين بالورع والعبادة ؟ وهل كان يتخوف بطش الأمويين ؟

الذي يبدو ان هناك عدداً من الأسباب كانت وراء موقف الإمام علي بن الحسين (t) من هذه الثورة أهمها :

٤. ان الإمام علي بن الحسين (t) كان يعلم ان ثورة المدينة سوف تؤدي إلى فجائع كبيرة ، وتقتل النفوس الكثيرة وذلك لأنه شاهد بنفسه ما فعله الأمويون وأنصارهم في كرىلاء بحق الإمام (t) وأهله وأنصاره ولم تكن لديهم حرمة لرسول الله (ﷺ) ولا لأهل بيته^(٣) ، هذا فضلاً عن ابتعاده عن السياسة وانشغاله بأمور الزهد والسلام^(٤) . وكان النعمان بن بشير الأنصاري قد حذر القائمين بالثورة من مغبة تلك الثورة وخوفهم بان القتل والتهتك سيكون شاملاً وجاء ذلك من خلال المحاورة مع عبدالله بن مطيع فقال " ، ... ، وقد خلفت هؤلاء المساكين يقتلون في سكناهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس فاتصرف "^(٥) .

(١) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص ٢٩ .

*ينبع : حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب (t) يتولاها ولده . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص ٤٥٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١١٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٨٥ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٠٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٥٨٧ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٠٤ - دكسن ، الخلافة الاموية ، ص ٦٢ .

وربما جاء كلامهما** هذا لانهما شاهدا واقعة الطف وما أحدثه والي بني أمية من قتل وتمثيل بالإمام (t) وأصحابه .

٥. أن ثورة أهل المدينة كانت متأخرة ، إذ كان ينبغي لها ان تتحرك حين رفض الإمام (t) البيعة ليزيد بن معاوية في أثناء حكم معاوية بن أبي سفيان او تتحرك بعد وفاة معاوية إلا ان ذلك لم يحصل حتى استقر الوضع لصالح يزيد بن معاوية ، لذلك كان الإمام علي بن الحسين (t) يراها متأخرة زمنياً فلا فائدة أو جدوى من الاشتراك بها^(١) .

٦. بشكل عام لا يميل الأئمة من أهل البيت (i) إلى نقض البيعة وأعمال العنف السياسي ، فمثلاً

بعد صلح الإمام الحسن (t) مع معاوية وفي حياته كاتب أهل الكوفة أخاه الإمام (t)

لغرض ان يخرج على هذا الصلح لأن الإمام (t) كان كارهاً له لكن على الرغم من هذا لم

يخرج الإمام (t) احتراماً للعهد الذي قطعه أخوه الإمام الحسن (t) مع معاوية^(٢) ، وحتى

بعد وفاة الإمام الحسن (t) وعندما كتبت الشيعة من أهل الكوفة إلى الإمام (t) في خلع

معاوية والبيعة له امتنع عليهم وقال أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً ولا يجوز له نقضه حتى

نقض المدة ، فإذا مات معاوية نظرنا في ذلك^(٣) .

٤. واغلب الظن ان نهاية المعركة لو كانت لأهل المدينة لكان المستفيد منها هو عبدالله بن الزبير الذي كان نفوذه في مكة يتصاعد يوماً بعد آخر وهذا ما عبر به عمرو بن سعيد الاشدق ليزيد بن معاوية عندما ذهب لمعاتبته بسبب عزله عن مكة حينها قال الاشدق " أن جل أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه - عبدالله بن الزبير - وأحبوه وأعطوه الرضا ودعا بعضهم بعضاً سراً وعلانية " ^(٤) ، على الرغم من ان ابن الزبير لم يقدم أي توضيحات يذكرها

المؤرخون لذلك لم يشترك فيها الإمام علي بن الحسين (t) .

٥. بالرغم ان قادة الثورة من الأشخاص الورعين أمثال عبدالله بن حنظلة الغسيل إلا أن ثمة خيوطاً زبيرية تواجدت في الحركة أمثال ، المنذر بن الزبير الذي ذهب الى الشام مع الوفد ثم رجع الكوفة ومن ثم جاء إلى المدينة بعد أن اخبره ابن زياد بأمر يزيد منه ، نجده يقترح بيزيد أكثر من بقية أصحابه فيقول " ان يزيد والله لقد أجازني بمائة ألف درهم ، وانه لا يمنعني ما صنع إلى ان أخبركم خبره ، ... ، والله انه يشرب الخمر وأنه ليسكر حتى يدع الصلاة ، وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وكانوا معه وأشد " ^(٥) ، ومن الواضح ان المنذر بن الزبير هو أخو عبدالله بن الزبير فليس من المستبعد ان يكون هذا اتفاقاً خاصاً قد جرى بين الاثنين لتحريك الناس في المدينة لحساب عبدالله ، هذا فضلاً عن ان عبدالله بن مطيع العدوي هو زبيري الهوى .

**كلامهما : الامام علي بن الحسين (t) والنعمان بن بشير الانصاري .

(١) الساعدي ، دراسات سياسية في حياة الإمام علي بن الحسين (t) ، ص ١٧٨ .

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٤ .

(٣) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨١ .

أما مسألة المراسلة له من يزيد بن معاوية فنعتقد انه هنالك ثلاث احتمالات لهذه المراسلة ، كان على الإمام علي بن الحسين (ت) ان يتصرف بها :

١. السكوت أو الوقوف على الحياد ، وهي مخاطرة لا يسلم ان تؤدي إلى قتله لو لم يتمسك الإمام بجانب الحياد أو السكوت أو الوقوف لكان أول المقتولين في المدينة من مسلم بن عقبة المرى والدليل أنه عند مجيئه مروان بن الحكم وابنه عبدالملك قال مسلم " أنما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي ، والله لو كان هذا الأمر اليهما لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك " (١)
٢. ومعنى ان أمان مروان وابنه عبدالملك لا يؤخذ به على الرغم من حيادية الإمام تجاه الثورة ، الوقوف إلى جانب الحركة والاشتراك فيها ، وهذا غير ممكن للأسباب التي ذكرناها في الصفحة الماضية .
٣. الإعلان عن عدم الاشتراك بالثورة ، وهو الموقف الذي تصرف به الإمام علي بن الحسين (ت) وكان تصرفه ضرورة تقتضيها الإمامة ليس إلا ... وجاء نتيجة انه عرّف يزيد بموقفه من الثورة ولولا هذه الخطوة لقتله مسلم بن عقبة فيما خاطبه وقال له " أخبرني يزيد أنك كاتبته ، فذلك نافعك عندي " (٢)

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٣٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٩ ، لم يذكر " ذلك نافعك عندي " .

ثالثاً : مجربات الثورة

٣. أسبابها .

هنالك عدد من الأسباب لهذه الثورة أبرزها :

أ. شخصية يزيد بن معاوية وما وصف به بأنه ليس له دين ، وشربه للخمر ، فقد ذكر البلاذري^(١) ان المسور بن مخرمة الزهري وفد إلى يزيد قبل ولاية عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، فلما قدم من عنده شهد عليه بالفسق وشربه للخمر ، وبعد ان علم يزيد ذلك كتب الى عامله بأمره ان يضرب مسوراً الحد فقال أبو حسرة شعراً فيه :

أيشربها صهباء كالمسك ريحها أبو خالد ويضرب الحد مسور

ب. يمكن القول بأن ثورة الإمام (t) كانت السبب الآخر في ثورة أهل المدينة فيذكر ابن

سعد^(٢) ان أهل المدينة بعدما علموا بقتل الإمام (t) من قبل السلطة الأموية طلبوا منه - عبدالله بن الزبير - ان يظهر بيعته للناس ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على تمسك أهل المدينة بمبدأ الأفضل للخلافة من بين أبناء الصحابة .

ج. سياسة العطاء التي كان يعاني منها أهل المدينة ، فقد ذكر ابن قتيبة^(٣) ان يزيد أمر صاحب أول جيش يصل إلى المدينة ان يخبرهم ، ان لأهل المدينة عهداً عليه ، أن أقروا بالطاعة سوف يجعل لهم عطاءين في كل عام ، وان يخرج العطاء الذي أحتبس عنهم في عهد معاوية

د. رغبة أهل المدينة بشكل عام والأنصار بشكل خاص ان تعود الخلافة إلى مدينة رسول الله محمد

(ë) وما بيعتهم لعبد الله بن حنظلة الغسيل إلا دليل هذه الرغبة^(٤) ، هذا فضلاً عن مشاركة معظم القبائل العربية في المدينة في هذه الثورة^(٥) ، وما التضحيات والخسائر إلا دليل ذلك .

(١) انساب الاشراف ، ج٤ ص٣١ .

(٢) الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢٢٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٩٩ .

(٣) الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٦ - البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ص٦٥ ، يذكر فيه عطاءين فقط .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٣ .

(٥) خليفة ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج١ ص٢٣١ . ينظر : خليفة بن خياط في تاريخه ، ج١ ص٢٣١-٢٤٥ لتجد أسماء القتلى من أهل المدينة من مختلف القبائل الساكنة في المدينة .

هـ. تضعضع الأوضاع السياسية في الدولة العربية الإسلامية بسبب وجود عبدالله بن الزبير في مكة والذي بدوره اخذ يبايع لنفسه سراً ، هذا فضلاً عن التحاق الخوارج النجدية بابن الزبير^(١) ، وربما كسرت حاجز الخوف الذي كان موجود عند أهل المدينة .

٤. واقعة الحرة .

بعد عودة النعمان بن بشير الأنصاري إلى الشام وفشله في رد أهل المدينة عما يردونه كتب يزيد إلى أهل المدينة كتاباً فيه تهديد ووعد أمر واليه عثمان بن محمد أن يقرأه عليهم وفيه " ... ، لئن أثرت أن أضعكم تحت قدمي لأطانكم وطأة اقل فيها عدكم وأترككم أحاديث تتناسخ كأحاديث عاد وثمود "^(١) وكان لهذا الكتاب الأثر الكبير في أهل المدينة لذلك أيقنوا بأن يزيد سوف يرسل لهم جيوشاً تحاربهم فعملوا في أخراج بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش وكانوا نحواً من ألف رجل فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم ، فحاصروهم أهل المدينة حصاراً ضعيفاً^(٢) ، وهتفوا بخلع الخليفة يزيد^(٣) .

عندما تجمع بنو أمية في دار مروان كونه أكبرهم وأشهرهم ، فكتبوا إلى الخليفة كتاباً وأرسلوه بيد حبيب بن كره يسألونه الغوث^(٤) .

بعد ان وصل الكتاب إلى الخليفة يزيد فرزع اشد الفزع وقال : أهل المدينة اخرجوا قومنا منها والله لان تقع الخضراء* على الغبراء** أحب إلى من ذلك^(١) .

فبعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد لقيادة الجيش نحو المدينة فرفض ذلك وقال " والله لاجمعتهما للفاسق ، قتل ابن بنت رسول الله ، وغزو الكعبة "^(٢) ثم أشار مرة أخرى على عمرو بن سعيد الأشدق فأقره الكتاب وأخبره وأمره أن يسير إليهم في الناس فرفض أيضاً وقال : قد كنت ضبطت لك البلد وأحكمت الأمور وأردت أن ألطف للرجل فأخذه في رفق أو أقتله وحده بحيلة ، فأما الآن فأني لا أحب إهراق دماء قريش^(٣) ، ويتولاها منهم من هو أبعد منهم مني^(٤) ، ثم أرسل أخيراً إلى مسلم بن عقبة

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٢ .

(٢) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ص٣٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٢ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٣٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٨٩ .

(٥) الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص٣٠ .

*الخضراء : السماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ص١٢٣ .

**الغبراء : الارض ، في قوله (غ) : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ص٥٦٤ .

(٦) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٨ - البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ص٦٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٢ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٣٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١١ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٣ .

المرى* ، وهنا اختلف المؤرخون في إجابة مسلم ليزيد فيرى البلاذري^(١) ان مسلم قال ليزيد بعد ان عرض عليه قيادة الجيش : أما قدروا وهم ألف رجل ان يقاتلوا عن أنفسهم ساعة واحدة ، بينما يرى الاصفهاني^(٢) ان مسلم قال ليزيد : ما كنت مرسلأ إلى المدينة أحدأ إلا قصر وما صاحبهم غيري ، أني رأيت في منامي شجرة غرق تصيح على يدي مسلم فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول أدرك تارك أهل المدينة قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) .

والذي يبدو ان الرأي الثاني هو الأكثر صواباً بسبب ان اتجاه شخصية يزيد مع مسلم بن عقبة المرى هو اتجاه واحد وهما لديهما الرغبة للحرب وللاضطهاد والقتل ، وما يدل على هذا ان بعض المؤرخين^(٤) ذكروا : ان يزيد قال لمسلم ان شئت أعفيتك فأنا أراك مدنفاً منهوكاً ، فقال مسلم نشدتك الله ان لا تحرمني أجراً ساقه الله لي ، ويقول اليعقوبي^(٥) ان مسلم بعدما قص عليه يزيد القصة فقال مسلم يا أمير المؤمنين ، وجهني إليهم فوالله لادعن أسفلها أعلاها .

بالإضافة إلى ذلك فإن هنالك سبباً آخر مهماً هو وصية معاوية لابنه يزيد حينما قال له " ان لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته " ^(٦) من هذا يمكن القول ان سبب اختيار يزيد لمسلم بن عقبة كونه سامعاً مطيعاً ، وأنه ذو آراء سديدة ^(٧) ، هذا فضلاً على انه احد حبابرة العرب ^(٨) .

أما الرغبة عند يزيد في قتال أهل المدينة فيتضح لنا ذلك من خلال رفضه اقتراح مسلم بن عقبة ترك بني أمية يقاتلون أهل المدينة بأنفسهم فقال له " أنه لا خير في العيش بعدهم " ^(٩) لذلك أهتم بشدة بهذه الحملة وسير مع مسلم بن عقبة المرى أثنى عشر ألف رجل ^(١٠) ، وأعطاهم أعطيائهم كاملة ومعونة مائة دينار

توضع في يد الرجل من ساعته^(١) ، وخرج الخليفة يزيد إلى الخيل يتصفحها وينظر إليها وهو يقول :

وأشرف القوم على وادي القرى أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى

أجمع سكران ان هن القوم ترى

*مسلم بن عقبة : مسلم بن عقبة بن رياح بن اسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع بن نحيظ بن مرة بن المرى ، من اصحاب الخليفة معاوية وشارك معه في حرب صفين . ينظر : الزبيرى ، نسب قريش ، ج٤ص١٧٢ – ابن حزم ، جمهرة انبياء العرب ، ج١ص٢٢٤ – البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ص١٢٣٣ – ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦١ص٧٦ .

(٢) انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٣٣ .

(۳) الاغانی، ج ۱ ص ۳۱-۳۲.

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٦٨ - البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ص ٦٤ .

(۵) تاریخ العقوبہ، ج ۲، ص ۱۷۲

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٢٩ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٤٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٥ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٨٧ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٦١ ص ٨٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ - ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج ١ ص ٦٠ .

(۷) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ،

(^٨) ابن طباطبا، الفخر، في الأدب السلطانية، ص ١٠٨.

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٨٣ - ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١١٢.

(١٠) العياشي، محمد بن سعيد (ت ٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، المطبعة العلمية، (١٣٠٨هـ)، ج ٢ ص ٥٨ - ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، بقلم د. محمد عبدالقادر حاتم، المؤسسة العربية، (القاهرة ١٩٦٣)، ج ١ ص ١٦٠ - المجلسي، بحار الانوار، ج ٥٢ ص ٣٤٣.

(^١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ .

والذي يبدو ان هذا القول كان يراد به عبدالله بن الزبير كونه كان يكنى أبا بكر^(٢) ، وكان ابن الزبير يسمى يزيد ، يزيد السكران الخمير^(٣) ، بسبب كثرة شربه للخمر .

وأهتم يزيد بهذه الحملة فقد عين بديلاً لمسلم بن عقبة في حالة حدوث حادث ما به^(٤) ، لأنه كان مريضاً فلذلك عين الحصين بن نمير السكوني ، وأوصى يزيد وصيته إلى مسلم " أدع القوم ثلاثاً ، فإن هم أجابوك والا فقاتلهم ، فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً ، فما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهم للجنـد " ^(٥) .

ويمكن ان نستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

٣. وجود أمر قتل أهل المدينة من يزيد بن معاوية وإباحتها وربما ان هذا الأمر متوارث في البيت الأموي لأن معاوية أخذ وصية جده نهد بن زيد* وأوصى بها لأولاده " أوصيكم بالناس شراً ، ضرباً ، ... ، قصروا الأعنة واشرعوا الأسنة ، ... ، فإن غش الناس يدعو إلى سوء الظن ، وسوء الظن يدعو إلى ... " ^(٦) ، فانطلاقاً من هذا أوصى معاوية سفيان بن عوق الغامدي عندما غار على الانبار بأن اقتل من لقيت ممن ليس على مثل رأيك^(٧) ، فجاءت سياسة يزيد مكملة لسياسة الأجداد حينما أمر مسلم بن عقبة بإباحة المدينة وقتل أهلها لان في قتالهم يتحقق ما يأتي :

أ. قتل المعارضين لسياسته بدون استثناء سواء كانوا أصحاباً أم فقهاء أم قراء أم من قریش أو من بني أمية وليس كما يذهب إليه احد الدارسين^(٨) بان مسلم بن عقبة توجه من دمشق قاصداً حصار المدينة .

ب. عودة مدينة رسول الله (ﷺ) إلى طاعة الخلافة الأموية وبالتالي يعرف المجتمع العربي آنذاك أنه لا توجد لدى الأمويين فضائل أو قدسية مدن وإنما ملكهم فوق كل شيء .

٤. وجود أمر إباحة للمدينة من يزيد بن معاوية^(٩) ، لكن بالرغم من هذا الأمر نجد ان المؤرخين قد اختلفوا في هذا فيرى البعض منهم^(١٠) أن أمر الإباحة قد جاء بعد ان يعرض عليهم شروطاً وأن رفضوها فيدخل ويبحها ثلاثة أيام من مال أو سلاح أو رقة ، ويرى ابن قتيبة^(١١) ان يزيد قال لمسلم بن عقبة " أن صدوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وأنهبها " . أما ابن أعثم

(٢) الشيرازي ، ابراهيم بن علي (ت ٤٧٦ هـ) ، طبقات الفقهاء ، تح خليل الميس ، دار القلم ، (بيروت / بلات) ج ١ ص ٣٢ .

(٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٣ - مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٠ .

(٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٣ - الفاسي ، شفاء الغرام ، ج ٢ ص ١٦٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٤ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣١ ، يذكر فيه كلمة رثة بدلاً من رقة - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ ، يذكر فيه دابة بدلاً من كلمة رقة .

*نهد بن زيد : نهد بن زيد بن ليث بن أسلم بن قضاة ، جد جاهلي يمني كان يسكن بقرب نجران ، عاش عمراً طويلاً . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ٢ ص ٢١٦ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٨ ص ٤٩ .

(٦) السمعاني ، الانساب ، ج ٢ ص ٢١٦ .

(٧) الشيخ الصدوق ، محمد بن علي (ت ٣٨١ هـ) ، كمال الدين وتمام النعمة ، تح علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر لجماعة المدرسين ، (قم / ١٤٠٥ هـ) ، ص ٥٦١ .

(٨) الراوي ، قصي اسعد الحميد ، آل الزبير ودورهم في الدولة العربية حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، مقدمة الى كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٤ م) ، ص ٢٥٤ .

(٩) الزبير ، نسب قریش ، ج ٤ ص ١٢٧ - الفاكهي ، اخبار مكة ، ج ٢ ص ٣٥٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٤ - ابن أبي يعلى ، أبو الحسين محمد (ت ٥٢١ هـ) ، طبقات الحنابلة ، تح محمد حامد الفقي ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / بلات) ، ج ١ ص ٣٤٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ -

المحامي ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية ، تح د. إحسان حققي ، ط ٢ ، دار النفائس ، (بيروت / ١٤٠٣ هـ) ، ج ١ ص ٣٤ .

(١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٠ .

(١١) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٦٨ .

الكوفي^(٤) فيذكر ان يزيد قال لمسلم ان كان أهل المدينة قتلوا أحداً من بني أمية فادخلها بالسيف وأرق الدماء فيها ثلاثة .

ومن خلال مناقشة الآراء نجد ان رأي ابن أعثم الكوفي مُستبعداً بسبب عدم وجود رواية واحدة تثبت أن هناك رجلاً واحداً من بني أمية قد قتل في المدينة قبل مجيء جند الشام ، أما رأي ابن قتيبة فينبغي علينا أن نوضح أن أهل المدينة لم يحاربوا ابن عقبة أكثر من عملهم الحصون لحماية أنفسهم من الجيش الكبير القادم من الشام ولم يقاتلوهم إلا ان دخل جند الشام بقتالهم وكان هو البادي في الحرب وليس جيش أهل المدينة ، أما الرأي الأول فهو وجود أمر الإباحة ولكن لا توجد فيه إباحة للنساء ، والسؤال هو هل كانت إباحة النساء بأمر يزيد أو من ابن عقبة نفسه .

لم توجد رواية تحدد فيها أمر إباحة النساء من يزيد إلى مسلم بن عقبة بل أن أمر إباحة النساء قد تم بأمر مسلم بن عقبة المرى نفسه لذلك وصف بأنه احد جبابرة العرب ، فقد ذكر الحموي^(٥) بأن أهل الشام سبوا الذرية واستباحوا الفروج وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدت ، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة ، وبسبب هذه الأعمال الشنيعة التي صنعها مسلم بالمدينة فقد سماه أهل المدينة مسرفاً^(٦) .

مربعاً . مسلم بن عقبة المرى في المدينة .

بعد دخول مسلم بن عقبة المرى وجنده مدينة رسول الله (ﷺ) فإنه أفرع من كان بها من الصحابة والشيوخ والكبار ، فيذكر بعض المؤرخين^(١) أن من بين الصحابة الذين هربوا من جند الشام وأفرعوا هو أبو سعيد الخدري* الذي أقحم عليه رجل من أهل الشام الغار الذي آوى إليه ، واختفاء جماعة من سادات العرب منهم جابر بن عبدالله** ، وقتل عبدالله بن يزيد المازني*** وهو من

(٤) الفتوح ، مج ٣ ج ٥ ص ٣٤ .

(٥) معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٦) البغدادي ، محمد بن حبيب ، المحبر ، ص ٤٨٢ ، المنق ، ص ٣١٦ - الجوهرى ، الصحاح ، ج ٤ ص ١٣٧٣ - الشيخ المفيد ، الافصاح ، ص ٤٤ - القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ٧ ص ١١٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ - الفيروز آبادي ، نصر الهوتي (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، (بلات) ، ج ٣ ص ١٥٢ .
(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٣٠ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٨ - ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٠٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٢ .

*أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن الابجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، مدني ، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين والانصار . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ٣٥٠ - البرقي ، رجال البرقي ، ص ٢ .
**جابر بن عبدالله : جابر بن عمرو بن حزام الانصاري ، عظيم الشأن ، كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ﷺ) وكان من محبي أهل البيت (t) . ينظر : ابن داود الحلي ، تقي الدين بن داود الحلي (ت ٧٠٧هـ) رجال ابن داود ، المطبعة الحيدرية ، (النجف / ١٣٩٢هـ) ، ص ٦٠ .

الصحابه^(٢) وكذلك قتل سبعمئة رجل من حملة القرآن^(٣) ، وبذلك هتكت حرمة مدينة الرسول محمد (

هـ) فيذكر مالك^(٤) انه قال عنها " هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرم مكة ، وأنا أحرم ما بين لايتهما*** " ، وقوله : " لا يكيد أهل المدينة أحداً الا أنماع كما ينماع الملح في الماء " ^(٥) وانتهت هذه المأساة الكبيرة بأمر لا يحبه الله^(٦) .

هذا فضلاً عن النتائج الأخرى منها :

٦. قتل عدد كبير من الأنصار والمهاجرين بلغ عددهم ثلاثمئة رجل وستة رجال^(٧) .
٧. قتل عدد كبير من الموالى والعرب بلغ عددهم عشرة آلاف رجل^(٨) .
٨. الانكسار النفسي أهل المدينة فلم يستطيعوا ان يقيموا بأي عمل عسكري على المدى القريب ، وما ذكره بعض المؤرخين^(٩) من ان مروان بن الحكم وجه حبيش بن دلجة العتيبي* إليهم في سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م فدخلها من دون مقاومة إلا دليل على ذلك .
٩. هروب أغلب الناجين من هذه المعركة إلى مكة ، مما زاد في قوة عبدالله بن الزبير وربما اعلموا ابن الزبير بحجم القوة العسكرية القادمة إليه من المدينة لذلك تحصن في مكة وابرز من لجأ إليه عبدالله بن مطيع العدوي^(١٠) وأخيه المنذر بن الزبير^(١١) .
١٠. البيعة على أنهم خول* ليزيد بن معاوية^(١٢) ، وهذا أمر جديد في حياة العرب المسلمين

لذلك يجب علينا ان نعرف كيف كانت البيعة على عهد رسول الله محمد (هـ) ، وما الغرض

من هذه البيعة على أنهم خول .

أجمع المؤرخون^(١٣) على ان مسلم بن عقبة قد دعا الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول يحكم في دمائهم وأموالهم وأهاليهم فيما شاء ، فمن أمتنع عن ذلك قتله ، وهذا مخالف للبيعة التي أقرها الله

***عبدالله بن يزيد : عبدالله بن يزيد بن عاصم بن عمرو بن كعب الانصاري وهو من مشاهير علماء أهل المدينة . ينظر : أبن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ج١ ص١٩ - السخاوي ، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩١) ، ج٢ ص٣٨ .

^(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٢ .

^(٢) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ص٣٢٥ - عيسى ، أحمد بن ابراهيم ، شرح قصيدة ابن القيم ، تح زهير الشاوشيش ، ط٣ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤٠٦هـ) ، ج٢ ص٤ .

^(٣) ابن أنس ، الموطن ، ج٢ ص٨٨٩ .

***لايتيها : معناها حراتها و طرفاها . ينظر : المنذري ، زكي الدين عبدالعظيم (ت ٦٥٦هـ) ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٤هـ) ، ج٢ ص١٥٢ .

^(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ص٤٤٥ - أبن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص٢٨٨ - المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج٢ ص١٤٤ - أبن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٤ .

^(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٣٧ .

^(٦) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج١ ص٢٤٤ .

^(٧) أبن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٧٤ - أبن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٢ .

^(٨) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص٢٢٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ص١٦٧ .

*حبيش بن دلجة : حبيش بن دلجة العتيبي ، أحد بني وائل بن حيشم ، من المعروفين بولائه للأمويين ، أشترك معهم في معركة صفين . ينظر : المنقري ، وقعة صفين ، ص٢٠٧ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٤٠-١٤١ - السمعاني ، الانساب ، ج٢ ص٤٨٨ .

^(٩) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص١٤٦ .

^(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٧ .

***خول : أسم يقع على العبد . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ج١ ص٨١ .

^(١١) ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج٣ ص٦٠ ، لسان الميزان ، ج٦ ص٢٩٤ .

ورسوله (ع) فيذكر عبدالله بن عمر " كنا إذا بايعنا رسول الله (ع) على السمع والطاعة يقول لنا رسول الله (ع) ، فيما استطعتم " (١).

أما البيعة التي أمر بها وأقرها مسلم بن عقبة المري ، فأنها كانت غير مألوفة وما أتى به الإسلام من أمر البيعة ، ولكن لماذا أصر عليها ابن عقبة هل انه أراد قتل أهل المدينة أم أنه أراد أثبات نفسه بأنه مطيع وعارف للنصيحة مثلما وصفه معاوية ، فيذكر بعض المؤرخين (٢) ان ابن عقبة جلس للبيعة فكان أول من اتاه يزيد بن عبدالله بن زمعة بن الأسود** ، فقال : بايع لأمر المؤمنين على أنك عبد قن يحكم في مالك ودمك ، قال : أبايح على كتاب الله وسنة نبيه وعلى أني ابن عمه ، فقدمه مسلم فضرب عنقه ، وكان الأسود من ضمن شخصيات الوفد التي ذهبت إلى يزيد وشهدت عليه بشربه للخمر وربما ان سبب قتله لأنه شهد على يزيد بذلك والا فإنه دخل على ابن عقبة المري بعد ان أعطاه الأمان ، ويقول الطبري (٣) ان ابن عقبة أمر بقتل معقل بن سنان الاشجعي* لمجرد انه قال في يزيد كلام غير مقبول ، مع انه قد أعطاه الأمان في ذلك ، لذلك قيل عنه انه قتل صبراً (٤).

من هذا يتضح لنا أمران هما :

٣. ان مسلم بن عقبة أراد قتل أهل المدينة لذلك شرط عليهم أنهم خول له يحكم فيهم ما يشاء (٥) لأنه يدرك إنهم يرفضون ذلك لذلك أخذ باستخدام الحيلة مع بعض الشخصيات البارزة من اجل قتلهم وكما بينا أعلاه .
٤. ربما ان هناك أمر من يزيد إلى مسلم بن عقبة المري باستخدام هذا الشرط لدخول الطاعة ، والا كيف لم يتناس المري وصية يزيد بالإمام علي بن الحسين (ع) .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٣٠ - البغدادي ، المنمق ، ص ٣١٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٣ - البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ص ٦٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٨ .

(٦) ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، ج ٦ ص ٢٥٦ - مالك بن أنس ، الموطأ ، ج ٢ ص ٩٨٢ .

(٧) الزبير ، نسب قریش ، ج ١٠ ص ٣٧١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٨٢ .

***يزيد بن عبدالله : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي . ينظر ، الطبري ، هامش تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٢ .

(٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٩ .

*معقل بن سنان : معقل بن سنان بن مظهر بن عركي بن قتيان بن سبيع بن بكر بن اشجع ، شهد الفتح مع النبي محمد (ص) . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ١٧٠ .

(٩) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ١٧١ - الذهبي ، من له رواية في كتب السنة ، ج ٢ ص ٢٨١ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٨ .

خامساً : أسباب إخفاق ثورة الحرة ونتائجها

١. أسباب إخفاق الثورة

تضافر عدد من الأسباب لإخفاق هذه الثورة التي كادت ان تمسح ذكر بني العاص من هذه المدينة وأهمها :

٦. تجهيز جيش الخلافة الأموية إذ كان ذا سلاح شاك وأداة كاملة ومعه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حين خرج^(١) ، في حين ان جيش أهل المدينة لا تتوافر فيه هذه الإمكانيات .
٧. دور مروان بن الحكم في توضيح طبيعة عسكر المدينة لأهل الشام ، مما ساعد على رفع نفوسهم ومعنوياتهم للقتال حيث قال " ليس لهم نيات ولا بصائر ، وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف "^(٢) .
٨. خيانة بني الحارثة لأهل المدينة كونهم أحوال يزيد بن معاوية^(٣) ، فيذكر ابن قتيبة^(٤) ان أحد رجال بني حارثة فتح لهم الطريق للدخول إلى المدينة مقابل ان يضاعف له العطاء ويكتب له إلى الخليفة يخبره بمساعدته لهم .

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٦٩ .

(٣) الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٣٣٩ .

٩. دور عبد الملك بن مروان في توجيه الجيش الشامي نحو منطقة الحرة الشرقية^(٥) ، وبذلك فإنه قد ساعد بشكل مباشر في دخولهم المدينة .
١٠. ان ثورة أهل المدينة خاصة بأهل المدينة ولم تقدم لها أي مساعدات تذكر من الأقاليم الإسلامية الأخرى المعادية للخلافة الأموية وبالأخص إقليم الحجاز أي عبدالله بن الزبير ، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى سهولة حصر المدينة والقضاء على عناصر الثورة وفرار القسم القليل منهم إلى مكة ومن أبرزهم عبدالله بن مطيع العدوي^(٦) ، والمنذر بن الزبير^(٧) .

٢. نتائج الثورة

- بالرغم من ان ثورة أهل المدينة أخفقت إلا إنها خرجت بمجموعة من النتائج القاسية منها :
٦. ان سياسة بني أمية وأعوانهم كانت ضد مبادئ الإسلام الحنيف ويتجلى لنا ذلك من خلال الأمور الآتية :
- أ. انتهاك حرمة مدينة رسول الله محمد (ﷺ) فقد ذكر البخاري^(١) عن ثابت بن زيد عن النبي محمد (ﷺ) قال " المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث منها حدثاً ، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " ولم يجاهرهم أحد من الأمة بنكيرهم^(٢) ، بسبب انتهاك قدسية حرم الرسول (ﷺ) حيث يذكر الجندي^(٣) عن عمرة بنت عبدالرحمن بأنها سمعت مروان بن الحكم يخطب بمكة فذكر فضلها فأطنب فيها ، فقال رافع بن خديج له : ذكرت مكة وفضلها وهي على ما ذكرت ولم أسمعك ذكرت المدينة ، أشهد لسمعت رسول الله (ﷺ) يقول المدينة أفضل من مكة .
- ب. البيعة التي أقرها رسول الله محمد (ﷺ) هي بيعة على قدر الاستطاعة ولكن وجدنا ابن عقبة المري يريد خولاً .
٧. كره بني أمية لأهل المدينة وقد أشار مروان بن الحكم إلى ذلك حينما قال " أنا والله ماضٍ مع مسلم إلى المدينة ، فمدرك ثاري من عدوي وممن أخرجني من بيتي " ^(٤) وقد ذكر

(٤) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٠ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٦ .

(٧) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٧ .

(١) صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٤٣ .

(٢) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد (ت ٤١٣هـ) ، الافصاح في إمامة أمير المؤمنين ، مؤسسة البعثة ، (قم / ١٤١٢هـ) ،

ص ٤٤ .

(٣) الفضل بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٠٧هـ) ، فضائل المدينة ، (بلا ت. ط.) ، ص ٢٢ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٣ - ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٣ .

الاصفهانى^(٥) ذلك حينما قال ان مسلم بن عقبة عندما توجه نحو المدينة " سمعتُ قائلاً يقول أدرك ثارك أهل المدينة ، قتلة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

٨. كره قريش لبني أمية وقد أشار القرشيون إلى ذلك عندما جاء مروان يعتذر إليهم فقالوا له " أنت والله الذي قتلنا ، ما عذرك الله ولا الناس " ^(٦) ، ولم يكن خروج بني أمية من المدينة باجمعهم بل خروج الموالين ليزيد ، ودليل هذا وجود عدد من القتلى من بني أمية في هذه الثورة^(٧) .

٩. الخسائر البشرية الكبيرة التي أخضعت إكاثيات أهل المدينة عسكرياً ، لذلك قال المسعودي^(٨) عنها كانت من أعظم الأحداث في الإسلام وأجلها وافضعها رزءاً بعد استشهاد الإمام (ت) لما حدث فيها من شر عظيم وفساد عريض^(٩) .

١٠. دور مسلم بن عقبة المرى في الخطابة مع أهل الشام ، وحثهم على قتال أهل المدينة^(١٠) وتذكيرهم بأن أهل الشام هم أفضل عند الله من بقية الناس في الأمصار الأخرى^(١١) ، إضافة إلى دوره في تحويل المعركة إلى ما يحب الإنسان إلى سياسة المال فقد كان يوعد كذا من جاء بكذا فازدادت حماسة أهل الشام لان قتالهم ليس عن الدين أو الإسلام والخلافة بل من اجل المال كأى فتح من الفتوح العربية الإسلامية آنذاك لذلك فإن مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغري قوماً لا دين لهم ، فقتلوا وظهروا على أكثر المدينة^(١٢) .

أولاً. أوضاع الشام السياسية بعد وفاة يزيد

١. خلافة معاوية بن يزيد سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ م .

(٥) الاغانى ، ج ١ ص ٣١-٣٢ .

(٦) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٣ .

(٧) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٤٤ .

(٨) التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٤ .

(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٠ ،

(١٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٠-١٧١ .

بعد وفاة الخليفة يزيد بويق لابنه معاوية بالخلافة في الشام وكذلك لعبدالله بن الزبير بالحجاز والعراق واليمن ومصر وأكثر الشام^(١) ، ولم تكن هناك بوادر للحرب الأهلية بين القبائل القيسية والكلبية في الشام بسبب قصر فترة خلافة معاوية ، فقد قيل في حكمه انه حكم عشرين يوماً^(٢) ، وقيل أربعين يوماً^(٣) وقيل مئة يوم^(٤) ، لكن على ما يبدو انه حكم أربعين يوماً لإجماع أغلب المؤرخين عليه .

توفي الخليفة معاوية بن يزيد^(٥) من دون أن يرشح أو يعين له ولياً للعهد أو الخلافة وقد أشار الخليفة إلى سبب ذلك في خطبته عندما قال " ، ... ، وان جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به فركب ردعه واستحسن خطاءه ولا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم " ^(٦) .

والذي يمكن أن نستكشفه من هذا النص هو ميل الخليفة معاوية إلى أهل بيت رسول الله (ﷺ) وإنكاره الشديد على جده وأبيه^(٧) ، هذا فضلاً عن إن الحكم لم يكن لبني أمية وإنما الخلافة للإمام علي وأولاده ، وهذا رد اعتبار من البيت الأموي بحق أهل بيت رسول الله (ﷺ) ^(٨) ، إضافة إلى انه لم يعترف بأهله وأخوته في إدارة الخلافة^(٩) لذلك نجده يترك أمور السياسة وينشغل بأمور الدين حتى وصـف بأنـه رـجـل دین^(١٠) ولقب الراجع إلى الله^(١١) ، وكان من نتيجة هذه الخطبة قتل عمر المكصوص مؤدب الخليفة معاوية بن يزيد^(١٢) .

(١) السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ) ، اسعاف المبطأ برجال الموطأ ، تح موفق فوزي جبر ، مطبعة دار الهجرة ، (بيروت / ١٤١٠هـ) ، ص ٥٧ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٦٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٣ - ابن حبان ، الثقات ، ج ٢ ص ٣١٤ - ابن حزم ، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، ص ٣٥٨ - ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت ٦٦٦هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت / ١٩٥٨م) ، ص ١١١ - العاملي ، بهاء الدين محمد بن الحسين (ت ١٠٣٠هـ) ، توضيح القاصد ، مكتبة آية الله المرعشي للنشر ، (قم / ١٤٠٦هـ) ، ص ١٢ - الشيرازي ، محمد طاهر القمي ، (ت ١٠٩٨هـ) ، الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين ، تح مهدي الرجائي ، ط ١ ، مطبعة الامير ، (١٤١٨هـ) ، ص ٥٠٢ .

(٤) الجرجاني ، عبد القادر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ) ، ديوان الحماسة ، تح د. محمد النتنجي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٩٩٥م) ، ص ٢١٣ .

(٥) البسوي ، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ) ، المعرفة والتاريخ ، تح د. أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد / ١٩٧٤م) ، ص ٣٥ .

(٦) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٥ ص ١٧ .

(٧) الكركي ، علي بن الحسين (ت ٩٤٠هـ) ، رسائل الكركي ، تح محمد الحسون ، ط ١ ، مطبعة الخيام ، مكتبة آية الله المرعشي ، (قم / ١٤٠٩هـ) ، ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٨) الراوي ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١٢٤ .

(٩) الطائي ، نجاح ، هل قتل معاوية علناً ، ط ١ ، دار الهدى لإحياء التراث ، (لندن / ٢٠٠٤م) ، ص ١٦٢ .

(١٠) أبي الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ) ، المختصر في اخبار البشر ، تع محمود يوب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٧هـ) ، ج ١ ص ٢٦٨ .

(١١) القلقشندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ص ١٢١ .

(١٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١١ .

بعد وفاة الخليفة معاوية بن يزيد تضعضعت الأوضاع السياسية في الشام نتيجة اختلاف الأهواء فيها ، ليس بين الأمويين أنفسهم فقط وإنما بين القبائل العربية في من يكون خليفة للمسلمين فهناك الفرقة الزبيرية والفرقة البحدلية هوام لبني أمية والباقيون لا يبالون لمن كان الأمر من بني أمية^(٤) .

استغل عبدالله بن الزبير هذا الوضع بعد أن عرف بعدم وجود منافس له فكتب إلى الضحاك بن قيس الفهري وكان صاعياً إليه وقد كاتبه فبعث إليه بعهد كتاباً من قبله يدعو إلى طاعته^(٥) ، وبعث إلى النعمان بن بشير الأنصاري بعهد على حمص وكان النعمان مائلاً إليه ، وولي ناتل بن قيس الجذامي* في فلسطين بعد أن طرح عليه فكرة أن يكفيه قومه من فلسطين وكان ناتل عند عبدالله بن الزبير في الحجاز فقال له عبدالله : " ألا تكفيني قومك فخرج ناتل حتى أتى فلسطين " ^(٦) .

يبدو إن عبدالله قد كاتب واخذ بيعة أمراء الأجناد في الشام في الوقت الذي لم يكن عندهم خليفة أو من ينوب عنه ولم تكن في أعناقهم بيعة للأمويين ولعل هذا السبب هو الذي جعل الضحاك لا يظهر بيعته أمام الأمويين أو أمام بني كلب في دمشق في الوقت الذي كان دور حسان بن مالك الكلبى يظهر إلى الساحة السياسية بالدعوة لابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية^(٧) .

في الجهة المقابلة له وقف الحصين بن نمير السكوني الذي أخبر مروان بن الحكم بعد رجوعهما من مكة إلى الشام بأنه عرض البيعة على عبدالله بن الزبير فرفض ذلك، لذا فقد حذر الحصين مروان من احتمال مجيء ابن الزبير إلى الشام وخوفه منه ، ويبدو لنا ذلك من خلال نصيحته عندما قال له : "نراكم في اختلاط شديد فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شامكم ، فتكون فتنة عمياء صماء"^(٨) ، وربما جاءت هذه النصيحة نتيجة حرص الحصين على بقاء الخلافة في الشام دون غيرها من الأمصار الإسلامية الأخرى وبالأخص الحجاز.

فكان أول من خالف فيها من الأمراء هو النعمان والي حمص الذي دعا إلى بيعة عبدالله بن الزبير^(٩) ، وثار زفر بن الحارث* على حسان بن بحدل الكلبى في قنسرين** وأخرجه منها وباع لعبدالله بن الزبير وكان زفر سيد قيس في زمانه^(١٠) وقال على المنبر : " الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر

(٤) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ، ج ٢٦ ص ٢٠٣ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٧ .

*ناتل بن قيس : ناتل بن زيد بن حيان بن أمري القيس الجذامي ، من التابعين كان سيد جذام بالشام ، شهد صفين مع معاوية . ينظر : المنقري ، وقعة صفين ، ص ٢٠٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٣٤٣ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٠ .

(٩) أبى عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٨٥ - أبى عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٦ ص ٢٠٣ - ج ٦٠ ص ٢٢٥ .

*زفر بن الحارث : زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابى أبو الهذيل ، أمير من التابعين بالجزيرة ، روى عن عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . ينظر : الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ٣ ص ٦٠٧ - ابن ماكولا ، اكمال الكمال ، ج ٥ ص ١٨١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٤٥ .

**قنسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٤ .

(١٠) الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٤٥ .

«^(٣) ، أما الضحاك فكان يدعو إلى بيعه ابن الزبير في دمشق سرّاً^(٤) لوجود بني أمية والقبائل الكلبية إلى جانبه^(٥) .

لذلك يبدو لنا إن الناس قد انقسمت أهواؤهم إلى قسمين أحدهما لهم هوى في بني أمية وهم أتباع حسان بن مالك الكلبى والقسم الآخر لهم هوى في ابن الزبير وهم أتباع الضحاك بن قيس الفهري ، فما كان من حسان إلى إن قام خطيباً في أهل الأردن وأراد من خلال هذه الخطبة أن يكسب ود أهلها بعد أن وضع لهم أن ابن الزبير منافق وإن قتل أهل الحرة من أهل المدينة في النار^(٦) واستطاع من خلال هذه الكلمات أن يكسب بيعه أهل الأردن له على أن يجنبهما الغلامين*** من أبناء يزيد^(٧) .

وهكذا لاحظت في الأفق بوادر الحرب الأهلية في الشام لرغبة أهل الأردن من الأمويين والمواليين لهم من القبائل العربية اليمانية بأن تكون الخلافة أموية في الشام ورغبة أمراء الأجناد في الشام بأن تكون الخلافة زبيرية في الحجاز .

٤. الأوضاع السياسية في الشام بعد وفاة معاوية بن يزيد

لما مات الخليفة معاوية بن يزيد مال أكثر الناس إلى عبدالله بن الزبير وقالوا هو رجل كامل السن وقد نصر أمير المؤمنين عثمان (رضي الله عنه) وهو ابن حوارى رسول الله (ﷺ) وأمه بنت أبي بكر بن أبي قحافة وله فضل في نفسه ليس لغيره^(١) .

(٣) الاصفهاني ، الاغانى ، ج ١٩ ص ٢٠٨ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١ ص ٤٥ - احمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج ٣ ص ٣٥٣ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٨٥ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

*** الغلامين ، خالد وعبدالله أبناء يزيد بن معاوية . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٦ ص ١٠٧ .

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

فعندما ورد كتاب ابن الزبير إلى الضحاك بتوليته دمشق سارع أهلها بإعلان الطاعة والبيعة له فأخذها عليهم بينما انخل حسان بن مالك الكلبى إلى فلسطين فأقام بها وكان يدعو إلى خالد بن يزيد^(١) ، لذلك أرسل ابن الزبير ناتل بن قيس من أجل إخراجها منها ليسهل عليهم متابعتها ومن ثم حربه فعندما جاء ناتل إلى فلسطين قال لحسان : " أما أن تخرج من بلاد قومي وأما أن ادخل عليك فأقاتلك " (٢) ، فعندها أدرك حسان أن هوى أهل فلسطين في ابن الزبير أقوى من هوى بني أمية ، لذلك خرج منها متوجها نحو الأردن حيث ترك نائبه عليها روح بن زنباع الجذامي الذي ثار عليه ناتل وأخرجه من فلسطين وباع لابن الزبير^(٤) ، ولم يبق أمام الأمويين ومواليهم سوى الأردن لإعادة تنظيم صفوفهم ضد ابن الزبير .

فبعدها وصل حسان الكلبى إلى الأردن أدرك أنه لابد من إنهاء أمر ابن الزبير فيها ، لذلك خطب فيهم خطبته فقال : " ... ، أن الزبير في شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة لجماعة المسلمين فانظروا رجلاً من بني حرب فبايعوه " (٥) ، وفعلاً كانت استجابتهم له سريعة بسبب منزلته العظيمة فيهم ، فقال رجال بني أمية بعضهم لبعض : " أن الملك كان فينا أهل الأردن فانتقل عنا إلى الحجاز ، لا نرضى بذلك ، هل لكم أن تأخذوا رجلاً منا فينظر في هذا الأمر " (٦) .

والذي يبدو لنا أن أهل الأردن ولاسيما بني أمية والقبائل اليمانية الموالية لهم كانت تكره انتقال الخلافة إلى الحجاز ، لذلك كانوا شديدي الحرص على بقائها في الشام فوحدوا كل خلافتهم في مؤتمرهم* بعد أن وجدوا أنفسهم أمام خطر يهددهم .

٥. يوم جيرون

بعد مجيء حسان الكلبى من فلسطين إلى الأردن اخذ يدعو إلى بني أمية " قال لهم : ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلى الحرة ؟ قالوا : نشهد أنه منافق وإن قتلى الحرة في النار " (١) ، والذي يتبين لنا أن حسان أراد ربط أحداث الحرة بأحداث الشام آنذاك باعتبار ابن الزبير لا يزال موجوداً وخليفة في الحجاز واخذ الناس تباع له في الشام ، لذلك اخذ يذكرهم بقتلهم في واقعة الحرة وبالنتيجة استطاع أن

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٤ ص٢٦٥ .

(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٥ ص١٢٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١ - الفلقشدي ، صبح الاعشى في صناعة الانشى ، ج١ ص٤٥٠ .

(٤) أبين عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٥ .

(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٤ .

*مؤتمر الجابية : سيتم بيان ذلك في الصفحات الآتية .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٤٦ .

يكسب ثقة وود أهل الشام بهذه الكلمات بسبب منزلته الكبيرة والرفيعة عندهم^(٢) ومن ثم استطاع اخذ بيعتهم لذلك قالوا له : " نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك وأطاع ابن الزبير " (٣) ، عند ذلك كتب حسان الكلبي إلى الضحاك الفهري " يعظم فيه حق بني أمية وحسن بلائهم عنده ، ويذم ابن الزبير وانه خلع خليفتين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس " (٤) ، والذي يتبين لنا أن حسان بن مالك الكلبي أدرك بأن الضحاك كان يبايع الناس بدمشق لابن الزبير (٥) ، لذلك أرسل إليه كتابه الذي أمره بقراءته على الناس ، وما إرساله كتاباً آخر بيد ناغظة* إلا دليل آخر على ذلك " إن قرأ الضحاك كتابي على الناس كان بها ، والا فقم وأقرأ هذا الكتاب عليهم " (٦) .

وحدث ما توقعه حسان فقد اعتلى الضحاك المنبر يوم الجمعة^(٧) ، ولم يشر قط إلى موضوع الكتاب الذي تسلمه من حسان بالرغم مما كان يتظاهر به الضحاك أمام القبائل اليمانية وشيعة بني أمية من انه أموي الهوى^(٨) .

عندئذ قام مبعوث حسان وقرأ كتابه على المجتمعين ولم ينته حتى تعالت الأصوات من بعض الجوانب فقال الوليد بن أبي سفيان " صدق حسان وكذب ابن الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبي النمس** ، فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير " (٩) ، لكن أبا رجاء عمر بن يزيد الحكمي اظهر تأييده لابن الزبير وشتم حسان بن مالك وكذبه^(١) وكان من نتيجة هذه الأوضاع اضطراب الناس في المسجد ، لذلك أمر الضحاك بحبس الوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الكلبي^(٢) .

ويبدو إن الأحداث التي وقعت كانت نتيجة التعصب القبلي ودليل ذلك إن قبيلة كلب جاءت فأخرجت سفيان وجاءت قبيلة غسان فأخرجوا يزيد^(٣) ، فعند ذلك قال الوليد لو كنت من كلب أو غسان أخرجت ، لذلك جاء خالد بن يزيد وأخوه عبدالله ومعهما اخوالهما من كلب فأخرجوا الوليد^(٤) ، فكان هذا اليوم عند أهل الشام يسمونه يوم جيرون* الأول^(٥) ، ومن أبرز نتائج هذا اليوم هو انقسام الشام إلى قسمين ،

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣١-٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٨ .

*ناغظة : ناغظة بن كريب الطابخي . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٦ ص ٢٠٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ ، لكنه يذكر ان أسمه باغظة - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٦١١ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٨) الاصفهاني ، الاغانى ، ج٩ ص ٢٠٨ .

**يزيد بن أبي النمس : الأسود بن المعد بن شراحيل الغساني ، وكان قد أرتد عن الإسلام ثم عاود وشهد صفين مع معاوية وعاش إلى أيام عبدالملك . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٥٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٦ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٧ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٣ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٦ .

*جيرون : باب من أبواب دمشق ، اختلف في بانيها ويقال ان جيرون بن سعد بن عاد هو الذي بناها وعلق عليها رؤوس

الصالحين من امثال نبي الله يحيى بن زكريا (ت) والإمام (ت) . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ص ٩٥-١٠٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص ١٤٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٦١١ .

يتمثل القسم الأول بالقبائل اليمانية والكلبية بصحبة حسان بن مالك الكلبي ، والأخرى القيسية بصحبة الضحاك بن قيس الفهري وكل منها ترى نفسها أحق من غيرها^(٦) .

ثانياً . المجابية* أسبابها ومجريات أحداثها

(٦) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج١ ص٤٨٩ .
 * المجابية : قرية من قرى دمشق ، قيل عنها حوض يجتبى فيها الماء ، أو الأرض النزهة البعيدة عن الوباء . ينظر :
 الجوهري ، الصحاح تاج اللغة ، ج٤ ص١٥٤٦ - أبن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٥ ص٤٣ - القرطبي ، الجامع
 لاحكام القرآن ، ج٣ ص٣٠ - الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) ، فتح الغدير ، مطبعة عالم الكتب ، (بلات) ،
 ج٤ ص٣١٧ .

٢. أسباب مؤتمر الجابية

تجمعت أسباب عدة لعقد هذا المؤتمر ولكن أبرزها هي :

١. طرد بني أمية من المدينة بعيالاتهم ونسائهم إلى الشام بأمر من عبد الله بن الزبير إلى واليها فقدموا دمشق وفيهم مروان بن الحكم^(١).
٢. هروب عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام والذي كان يتخوف من الهلاك في حالة تولي غير بني أمية الخلافة^(٢) ، لذلك فإنه قد أدى دوراً كبيراً في الأحداث السياسية لهذا الإقليم فاستطاع من إقناع الضحاك بأن يدعو الناس إلى بيعته وقال له : " يا أبا أنيس العجب لك وأنت شيخ قريش تدعو لابن الزبير وتدع نفسك وأنت أرضى عند الناس منه " ^(٣) ، مما ولد عند أنصار الضحاك حالة من الاستياء فقالوا له : أخذت بيعتنا وعهودنا لرجل ثم دعوتنا إلى خلعه من غير حدث أحدثه^(٤) ، ثم عاد الضحاك بعد كلامهم هذا إلى البيعة لابن الزبير وبهذا وجد أنصاره تذبذب في شخصيته ، إضافة إلى أنه استطاع إقناع مروان بن الحكم عن العودة عن مبايعة عبدالله بن الزبير حينما قال له : " انك على حق وابن الزبير على باطل " ^(٥).
٤. رغبة الكلبيين ومواليهم من القبائل اليمانية في إبقاء الخلافة في بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد من بعده لأنه ابن أختهم^(٦) ، على أن لا يتم انتقال مقر الخلافة من الشام إلى الحجاز ، فعلى سبيل المثال إن حسان بن مالك الكلبي بعد وفاة معاوية بن يزيد كان يدعو لنفسه تارة ، ولابن أخته تارة أخرى ، ولكن حينما وجد أن رغبة أهل الأردن في بيعه مروان بن الحكم فإنه أعلن بيعته وموافقة على الرغم مما كان يدعو إليه على شرط عدم انتقال الخلافة إلى الحجاز .

٣. مجريات مؤتمر الجابية

بعد أن أيقن حسان بن مالك الكلبي إن عموم مناطق إقليم الشام عدا الأردن كان توجههم نحو ابن الزبير ، سار في قبيلة كلب حتى نزل الجابية فاجتمع إليه بها أشراف ورجال قبائل اليمن* وصار إليه

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٠٦-١١ .

(٣) أبين عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٦ ص٢٠٤ - المقريزي ، النزاع والتخاضم ، ص٥٤ .

(٤) أبين عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٦ ص٢٠٤ .

(٥) أبين عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٦ ص٢٠٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١-٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٤٦ .

* رجال قبائل اليمن : الحصين بن نمير الكوني ، روح بن زنباع الجذامي ، زميل بن عمرو العذري ، عبدالله بن مسعدة الفزاري ، عبدالله بن عضاة الأشعري وأبو كبشة صيويل بن يسار السكسي . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٢٨ .

مروان بن الحكم وخالد بن يزيد وعمر بن سعيد الأشدق ، وكان حسان قد دعا قوماً من أهل البلقاء** واذرعات*** إلى الجابية فأجابوه^(١) ، وهذا يدل لنا على ان القوة السياسية لبني أمية كانت تتوزع في دمشق متمثلة بابن زياد وبتدمر*** متمثلة ببني أمية^(٢) .

لكن هل كان هناك طموح لحسان الكلبى بالوصول إلى الخلافة ؟ أم أنه كان يريد لها لابن أخته خالد ؟ وكيف انتهت مقررات المؤتمر بانتخاب مروان بن الحكم الذي لم يكن معروفاً عند أهل الشام ؟

بالنسبة إلى حسان الكلبى فقد اختلف المؤرخون واللغويون في ذلك ، فيرى ابن عبدربه^(٣) إن حسان قد نصح الناس إلى انتخاب رجل من بني حرب فبايعوه ، بينما يذكر بعض المؤرخين^(٤) إن حسان سلم بالخلافة أربعين ليلة ثم سلم الأمر إلى مروان بن الحكم ، ويرى ابن الأثير^(٥) إن حسان كان يدعو إلى بني أمية ، أما ابن كثير^(٦) فيقول إن حسان كان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد .

ونرى إن الرأي الثاني هو الأكثر صواباً لوجود رغبة لديه بالوصول إلى الخلافة ومن الأدلة على ذلك هي :

٣. صلاته بالناس أربعين يوماً والناس يتشاورون^(٧) .

٤. قد عبر عبدالرحمن بن الحكم اخو مروان عن تلك الرغبة حينما قال شعراً في ذلك^(٨) :

وما الناس إلا بحدلي عن الهوى والا زبيري عسى فتزبرا

وهناك من قال من بعض الكلبيين^(٩) :

نزلنا لكم عن منبر الملك بعدما ضللتكم وما أن تستطيعون منبرا

هذا فضلاً عن دور حسان في تحذير أهل الأردن والأمويين ومواليهم من انتخاب مروان بسبب تخوفه من انتقال الخلافة من الفرع السفيفاني إلى الفرع المرواني ، لذلك قال عنه " إن مروان أبو عشرة ، واخو عشرة ، فأن بايعتم له كنتم عبيداً لهم "^(١٠) .

** البلقاء : كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى بها قرية الجبارين ومدينة الشراة وبها الكهف والرقيم ، وفيها مزارع واسعة وتمتاز بجودة خطتها ويضرب بها المثل . ينظر : البغدادي ، المنمق ، ص ١٥٤ - القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت / ١٩٦٠ م) ، ص ١٥٦-١٥٧ .

*** اذرعات : بلد في اطراف الشام ، يجاور ارض البلقاء وعمان ، ينسب اليه الخمر . ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٣٠ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

**** تدمر : مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١٧ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨١٣ .

(٣) العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٤ .

(٤) ابن عسك ، تاريخ مشق ، ج ١٣ ص ٣١٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ١٧٦ .

(٥) الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

(٦) البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨١٣ .

(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١٣ ص ٣١٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٧ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٣٢ .

(٩) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١٣ ص ٣١٧ .

(١٠) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ .

كان الناس في الجابية لهم أهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني* فكان يهوى أبناء يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم^(٤) ، لأنه كان يرى فيهم مستقبله السياسي^(٥) ، لذلك قال للحصين : " وقد عرفت منزلتنا من أبيه فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً " ^(٦) ، وأما الحصين بن نمير السكوني فقد رفض هذا المرشح كونه صبياً ، لذلك قال : " لا لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ " ونأتيها بصبي ^(٧) ، وهناك محاوراة أخرى بين ابن عضاة الأشعري وحسان بن مالك الكلبي كان الغرض منها أن يبرهن ابن عضاة الأشعري بأن خالد بن يزيد ليس أهلاً للخلافة ولا يستحقها ، فيذكر البلاذري^(٨) إن ابن عضاة الأشعري قال لحسان بن مالك الكلبي : أراك تريد هذا الأمر - الخلافة - لخالد بن زيد وهو حدث السن ، فقال له : انه معدن الملك ومقر السياسة والرئاسة ، مما حدا بالأشعري ونظرائه أن يأتوا إلى خالد بن يزيد فوجدوه نائماً متصبحاً فقال : يا قوم أنجعل نحورنا أغراضاً للأسنة والسموم بهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة ، وإنما صاحب هذا الأمر المجد المثمر الحازم المتيقظ ، ثم أتوا إلى مروان بن الحكم فوجدوه " فآلقاه في فسطاط له وإذا درعه إلى جانبه والرمح مركز بفتانه وفرسه مربوط إلى جانب فسطاطه والمصحف بين يديه وهو يقرأ القرآن الكريم ، فقال ابن عضاة : يا قوم هذا صاحبنا الذي يصلح له الأمر وهو ابن عم الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وشيخ قريش وسنها " .

فرجعوا إلى حسان فأخبروه بخبر خالد ومروان وأعلموه إنهم يجمعون على مروان لأنه كبير قريش وشيخها وقال حسان رأيي لرأيكم تبع^(٩) .

وهناك دور لروح بن زبناغ الجذامي إذ خطب بالناس وذكر في خطبته إن عبدالله بن عمر بن الخطاب بالرغم من انه من صحابة رسول الله (ﷺ) وقدمه في الإسلام إلا انه رجل ضعيف وليس بصاحب امة محمد بالضعيف^(١٠) ، لكن أبى الجذامي لم يعلم أن عبدالله بن عمر رفض أمر الخلافة لأنه لا يريد أن يقتل رجلاً واحداً بسببها^(١١) ، ثم أكمل الجذامي خطبته وجاء إلى ذكر سيرة عبدالله ابن الزبير فقال للناس عنه بالرغم من فضله في الإسلام لكنه منافق خلعت خليفتهين* وسفك الدماء وشق عصي المسلمين وليس صاحب امة محمد المنافق ، وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع قط ، إلا

*مالك بن هبيرة : مالك بن الحارث بن بكر بن ثعلبة بن عقبة بن السكون وكان شريفاً بالشام . ينظر : أبى حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٣٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٧-١٤٨ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ .

**الشيخ : المقصود به مروان بن الحكم ، والصبي هو خالد بن يزيد بن معاوية . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ .

(٨) انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٢٨-١٢٩ .

(٩) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٢٩ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ - أبى أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٦ ص ١٦١ .

(١١) ابن أبي الدنيا ، الاشراف في منازل الاشراف ، ص ٥ .

*خليفتهين : يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، لكن يرى الطالب بأنه لم تكن هناكبيعة له في عنقه وقد اشار ابن الزبير الى ذلك . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - الاصفهاني ، محاضرات الادباء ، ج ١ ص ٩٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار والذي قاتل علي يوم الجمل ، وإنا نرى أن يبايعوا الكبير ويستشبهوا الصغير^(٤) .

وبهذه السياسة الإعلامية التي زرعتها الأمويون في قادة الشام استطاعوا أن يغيروا الأهواء في كثير منهم لذلك جاءت بيعتهم لمروان بن الحكم وفق انتخابات ظاهرية تحمل آثار الديمقراطية لكن في باطنها كثير من الاتفاقيات والمعاهدات والمصالح لكل الأطراف الموجودة في الجابية ومن أهم هذه الاتفاقيات هي :

٥. أن الحصين بن نمير السكوني كان قد اشترط على مروان أن ينزل البلقاء من كان بالشام من قبيلة كندة وأن يجعلها لهم مأكله فأعطاه ذلك^(٥) .

٦. اشترط عمرو بن سعيد على مروان " أدعو الناس إليك ، وأخذها علي أن تكون الخلافة لي من بعدك ، فقال مروان : لا ، بل بعد خالد بن يزيد فرضي عمرو بذلك "^(٦) .

٧. ذكر بعض المؤرخين^(٧) أن الحصين بن نمير ومالك بن هبيرة قد اشترطا على مروان شروطاً لهم ولخالد بن يزيد ، فلما توطن ملكه قال ذات يوم ومالك عنده " أن قوماً يدعون شروطاً ، منهم عطارة مكحلة يعني- مالك بن هبيرة - كان يتطيب بها ويتكحل ، قال مالك : هذا ولما تردى تهامة وبلغ الحزام الطيبين ، فقال مروان : مهلاً يا أبا سليمان إنما داعبناك " . ويبدو من هذا إن مروان أراد معرفة هوى وفطنة مالك السياسية ، وهذه الشروط نفذها لهم مروان لأنها لا تقف في طريق تحقيق رغباته وطموحه .

٨. اشترط حسان بن مالك الكلبي وكان سيد قحطان بالشام على مروان ما كان لهم من الشروط على الخليفة معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية منها " أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين ، وأن مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منهم ومشورة "^(٨) ، والذي يبدو أن سياسة التمييز في العطاء بين القبائل الكلبية والقبائل القيسية كانت من أسباب كره القبائل الأخيرة لحكم بني أمية في الشام .

بعد أن عرفنا كيف جرت الاتفاقيات والشروط ، لا بد لنا أن نعرف كيف تمت البيعة لمروان بن الحكم بالخلافة في هذا المؤتمر ، اختلف المؤرخون في ذلك ، فيرى البعض^(٩) منهم إن خالد بن يزيد قال عنها " أمر قضي بليل " ، وجاءت مقولته هذه بعد أن خطب عبدالعزيز بن مروان بن الحكم وقال : ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان كبير قريش وسيدها . بينما يرى الطبري^(١٠) " أن أهل الأردن قالوا لمروان : أنت شيخ كبير وابن يزيد غلام وابن الزبير كهل ، ... ، أبسط يدك فبسطها ، فبايعوه " . والذي يبدو أن الرأي الأول هو الاصول لسببين :

٣. أن روح بن زنباع الجذامي قال لمروان بن الحكم أن معي أربعمائة من جذام ، فأنا أمرهم أن يتقدموا في المسجد غداً ، وأمر أنت ابنك عبدالعزيز أن يخطب الناس ويدعوهم إليه فإذا فعل ذلك تبادوا من كل جانب في المسجد : صدقت ، صدقت فيظن الناس إن أمرهم واحد^(١١) .

٤. رغبة المبايعين لمروان بن الحكم في أن يسير بهم بسيرة الخليفة معاوية وابنه يزيد وقد أوضحوا ذلك حينما قالوا لمروان : " أنه ليس لك في أعناقنا بيعة ، وليس نقاتل إلا عن عرض

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٤٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٤٤ .

(٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٨٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٤٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٥٤ .

(٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٨٦ .

(٩) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٩١ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٤ ، لكنه يذكر كلمة غير بدلاً من كلمة قضى .

(١٠) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٤ .

(١١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٩١ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٤ .

- دنيا ، فإن تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك ، وإن تكون الأخرى فوالله ما قريش عندنا إلا سواء ^(٥) .
- هذا فضلاً عن الشروط والاتفاقيات التي سبق ذكرها قبل قليل ، لذلك تم توحيد الأمويين في هذا المؤتمر الذي خرج بمجموعة من النتائج المهمة أبرزها :
- ٤ . البيعة لمروان بن الحكم في ثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين ^(٦) علي أنه خليفة الأمويين في الشام ثم إلى خالد بن يزيد من بعده ثم لعمر بن سعيد بن العاص ^(٧) ، على أن تكون إمرة دمشق لعمر بن وإمرة حمص لخالد بن يزيد ^(٨) .
 - ٥ . تحقيق رغبة الكلبيين بشكل عام ببقاء الخلافة في الشام حصراً من دون نقلها إلى الحجاز وقد عبر حسان الكلابي عن هذه الرغبة عندما بايع لمروان فقال : " إنما كرهت أن تعدل الخلافة إلى ابن الزبير وتخرج من هذا البيت " ^(٩) .
 - ٦ . عجز حسان بن مالك الكلابي بالتوصل إلى أمر خالد بالخلافة وهذا ما عبر عنه خالد حينما قال لحسان : " ... ، أن الناس أبوك لحدثة سنك ، ... ، وما أبايح مروان إلا نظراً لكم فقال له خالد بن يزيد : بل عجزت عنا " ^(١٠) .
- والذي يتبين لنا أن هذا المؤتمر قد سن سنة شكلت فيما بعد خطراً على الخلافة الأموية ، فقد بدأت أول بوادر تعيين أكثر من ولي عهد للخليفة في آن واحد من خلال الاتفاقيات .

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٦ .

(٦) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٦٠ ص ٢٢١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٢ .

(٧) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٦ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٩ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ .

ثالثاً. مرج راهط وتائجها

١. معركة مرج راهط

بعد أن بايع أهل الأردن وموالوهم لمروان بن الحكم سار بهم إلى الجابية حتى نزل مرج راهط* ، على الضحاك بن قيس الفهري في أهل الأردن من كلب ، وافته السكاسك** والسكون*** وغسان^(١) ، وكان الضحاك قد خرج إلى المرج بفضل دهاء ابن زياد حينما أشار عليه بقوله أن من يريد الخلافة لا يبقى في الحصون وإنما يخرج إلى الصحراء^(٢) ، وفعلاً سمع الضحاك نصيحة ابن زياد المخدعة مما وفر الجو المناسب ليزيد بن أبي النمى الذي كان مختبئاً بدمشق^(٣) ، ولم يشهد الجابية^(٤) ، والذي ثار بدمشق فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح فكان أول فتح لبنى أمية^(٥) ، ولهذا النصر أهمية كبرى كونه أعطى لمروان مغنويات مادية ومغنوية كبيرة في دمشق كان يحتاج إليها مروان بسبب عدم وجود قاعدة مناصرة له

* مرج راهط : موضع في الغوطة من دمشق من شرقيه بعد مرج عذراء ، إذا منت في القصير طالباً لثنية القصاب تلقاء حمص فهو عن يمينك . ينظر : ابن قتيبة ، هامش الإمامة والسياسة ، ص ١٩٢ - الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٠١ .
** السكاسك : بطن من قبيلة كندة يرجع نسبها الى سكسك بن أشر من بن كندة ، وهي من قبائل اليمن التي سكنت الشام . ينظر : ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت ٨٣٨هـ) ، الفهرست ، تح محمد أحمد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، (بلات) ، ص ١٤١ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ص ١٨ - السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ) ، لب الباب في تحرير الانساب ، دار صادر ، (بيروت / بلات) - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ١٠٥ - عمر كماله ، معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٥٢٧ .
*** السكون : بطن من قبيلة كندة يرجع نسبها الى اشرس بن ثور بن كندة أخر السكاسك وهي من قبائل اليمن . ينظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٤١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ١٠٦ - عمر كماله ، معجم قبائل العرب ، ج ١ ص ٩٩ .
(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٩ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .

في الشام قبل قدومه ، ولربما عدم وجود هذه القاعدة وقلة أنصاره كانت وراء لجوئه إلى بيعة عبدالله بن الزبير في أول الأمر^(١) .

أما في الجهة الأخرى فهناك الضحاك بن قيس الفهري ومعه ألف فارس ثم استمد قوات أخرى من الأجناد التابعة له فأمدّه النعمان بن بشير الأنصاري وهو على حمص بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص ، واستمد أيضاً زفر بن الحارث وكان على قنسرين وكان سيد قومه في زمانه^(٢) ، فأمدّه بأهل قنسرين ، وأمدّه نائل بن قيس الجذامي بأهل فلسطين فاجتمعوا عنده لمناصرة عبدالله بن الزبير^(٣) .

والذي يبدو لنا إن نفوذ ابن الزبير السياسي قد شمل أغلب مناطق الشام وخاصة القبائل القيسية منها .

والتقى جيش الضحاك الذي كان في ثلاثين ألفاً^(٤) ، مع جيش مروان الذي كان في ثلاثة عشر ألفاً^(٥) ، في مرج راهط في النصف من ذي الحجة سنة أربع وستين^(٦) ، وتحاربوا عشرين يوماً^(٧) ، يلتقون في المرج كل يوم فيقتتلون قتالاً شديداً وبسبب قوة الضحاك وأنصاره أشار عبيدالله بن زياد على مروان بقوله انك على حق وابن الزبير ومن معه على باطل وهم أكثر منا عدداً وعدة ، ومع الضحاك فرسان قيس واعل^(٨) .

لا تنال منهم ما تريد إلا بمكيدة وإنما الحرب خدعة فادعهم إلى المودعة ، فإذا امنوا وكفوا عن القتال فكو عليهم^(٩) .

وفعلاً تم التوصل بينهما إلى المودعة وامسك الضحاك والقبائل القيسية الملحقة به عن القتال وهم يطمعون أن يبايع مروان لابن الزبير وقد عد مروان خطة لم يشعر الضحاك وأصحابه إلا والخيل قد شدت عليهم ففزع الناس إلى راياتهم من غير استعداد وقد غشيتهم الخيل ، وصبر الضحاك وقاتل قتالاً بليغاً لكنه قتل في المعركة قتله زحمة بن عبدالله بن كلب ، وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فر أنصار الضحاك بين يديه^(١٠) ، وقتل مع الضحاك ثمانون رجلاً من أشرف أهل الشام كلهم كانوا يأخذون القطيفة* ، وقتلت القبائل القيسية مقتلة لم تقتل مثلها في موطن قط^(١١) .

والذي يبدو إن مروان قد اعد لهذه المعركة أعداداً كبيراً ، فيذكر ابن عبد ربه^(١٢) إن مروان بن الحكم قال عندما نزل إلى ساحة القتال " قبح الله من ولاهم اليوم ظهره ، حتى يكون الأمر لإحدى الطائفتين "

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .

(٢) ابن ماكولا ، الكمال في رفع الأرتياح ، ج ٧ ص ٢٧٣ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٤٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٠ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ - المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ - خليفة ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٥٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٠ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ .

(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .

* القطيفة : وهي كل ثوب له خمل من أي شيء كان ، وقيل الخميل الأسود من الثياب . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ص ٨١ - الشيخ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج ١ ص ٧٠٤ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٠ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٤٥ .

(١١) العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٦ .

(١٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٦ .

، وهذا دليل آخر على رغبته بالقتال ضد الضحاك والقبائل القيسية إضافة إلى أنه قد خدع وماكر خصمه من أجل دحرهم في المعركة ، وما قاله مروان عندما تقدم لقتالهم^(٩) إلا تأكيد لذلك .

لما رأيت الأمر أمراً نهياً سيرت غسان لهم وكلبا

والسكسين رجالاً غلبا وطيناً تأباه إلا ضربنا

لكن هل ندم مروان على تلك المعركة فيقول البعض من المؤرخين^(١) ، إن مروان بن الحكم ساء عندما رأى رأس الضحاك وقال : " الآن حين كبرت سني ودق عظمي وصرت في مثل ظم الحمار* أقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض " ، ويرى ابن كثير^(٢) إن مروان عندما رأى رأس الضحاك بكى ، وهذه الروايات على اختلافها إلا إنها تدلل لنا بأنه اظهر أمراً مهماً ليس الندم وإنما الأمر جاء إليه بعد أن كبر سنه ليس إلا .

٢ . نتائج معركة مرج راهط

ابرز ما يمكن أن نخرج به من نتائج من هذه المعركة هي :

٦. إن أنصار الضحاك ليسوا من القبائل القيسية فقط بل هناك مالك بن يزيد الكلبي* وعبدالله بن معاوية بن أبي سفيان^(٣) ، وهذا يوضح لنا انقسام الولاء السياسي داخل القبيلة الكبيرة والبيت الأموي ووقوفهم ضد الخلافة الأموية .

٧. شجاعة وصبر أنصار مروان بن الحكم في القتال وقد عبّر عن ذلك زفر بن الحارث بشعر واصفاً صبرهم وشجاعتهم^(٤) :

سقيانهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت اصبر

٨. استقرار الخلافة في الشام لمروان بن الحكم بشكل مطلق بعد قتل الضحاك وأنصاره من القبائل اليمانية في موقعة مرج راهط^(٥) .

(٩) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص ٨٥ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٥٠ - القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الأنشئ ، ج١ ص ١٧٨ .

*ظم الحمار : أنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار وتعني (الاظماء) ، هي الأيام التي تنظم فيها الابل أي تعطش لا ترد الماء قالوا : والحمار لا يصبر أكثر من غب . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ص ١٧٨ .

(٢) البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٦١٤ .

**مالك بن يزيد : مالك بن يزيد بن مالك بن كعب من بني عليم الكلبي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٨ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص ٣٩٧ .

(٤) المقرئزي ، ديوان الحماسة ، ج١ ص ٤٦ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٥٠ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ص ٣٧٣ .

٩. ضعف شخصية الضحاك كانت من أبرز أسباب خسارته وأنصاره في المعركة كونه دعا الناس إلى بيعه عبدالله بن الزبير باديء الأمر ومن ثم دعا لنفسه مما جعله يفقد ثقة أنصاره^(١).
١٠. إن واقعة مرج راهط كانت الشرارة الأولى التي أشعلت نار العداوة المباشرة بين مضرية الشام التي كانت تمثلها قبيلة قيس وبين القبائل اليمانية فيها وكثرتها من كلب^(٢)، وما التفاخر بشعراء كلب وأحلافهم بما تحقق لهم من النصر على القيسية^(٣) إلا دليل على ذلك.

(١) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص٤٧٧ .

(٢) محمد حامد ناصر ، الحياة السياسية عند العرب ، ص ١٦٩ .

(٣) نعمان القاضي ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ص ٤٨٠-٤٨١ .

مربعاً. خلافة مروان بن الحكم

خلافة مروان بن الحكم

لا ينبغي لنا أن نغفل ذكر طموح مروان بن الحكم في منصب الخلافة بالرغم مما زعمه بعض المؤرخين^(١) انه هم بالسير إلى عبدالله بن الزبير ليباعه ويأخذ منه أماناً لبني أمية ، وقال احد المؤرخين^(٢) انه حرض عبدالله بن عمر ليباع بالخلافة لنفسه لكنه رفض ذلك .

فقد سبق ان وضحنا في الدراسة* كيف انه زور على لسان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، هذا فضلاً عن خروجه مع أم المؤمنين عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام لقتال الإمام علي (ع) في معركة الجمل ، وأدى دوراً كبيراً في هذه المعركة حيث قتل طلحة بن عبيد الله كونه احد قتلة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)^(٣) وبهذا الأسلوب المخادع حاول الوصول إلى الخلافة آنذاك ولكن وجود الأفضل من الصحابة منعه من أن يظهر نواياه .

وصدق الإمام علي (ع) حينما قال " ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة الكلب انفه "^(٤) ، لذلك كان معاوية يتخوفه مما جعل ولايته على المدينة لفترات قصيرة وبالتناوب مع سعيد بن العاص وكان يغري بينهما^(٥) ، هذا فضلاً عن حقد مروان على معاوية بسبب اخذ بيعة أهل

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٤ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٢٨ - الجرجاني ، ديوان الحماسة ، ج٢ ص٢١٣ .

(٢) ابن أبي الدنيا ، الاشراف في منازل الاشراف ، ص٥ .

* ينظر فص٢ ص٩٥ من هذه الدراسة

(٣) ابن أبي شبة النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، ج٤ ص١١٧ - الشريف المرتضى ، رسائل المرتضى ، ج٤ ص٧٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٦ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦ ص٢٢٧ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٢٩٣ .

الحجاز وولاية العهد لابنه يزيد بدلاً عنه وهذا ما دفع مروان أن يحرض عمرو بن عثمان بن عفان على معاوية بقوله " ما أخذ هؤلاء - يعني بن حرب بني أمية - الخلافة إلا باسم أبيك " (١).

وهناك من الأدلة التي تثبت وجود الرغبة عند مروان بالخلافة منها :

٤. ذكر المقدسي (٧) أن الخليفة معاوية عندما كتب إلى مروان بأخذبيعة أهل المدينة لابنه يزيد بولاية العهد غضب مروان لان معاوية لم يجعل له الامر ، فسار الى الشام فكلمه وجعله ولي عهد يزيد .

٥. ذكر اليعقوبي (٨) عندما وصل مروان الشام وأمرها مضطرب دعا إلى نفسه بالخلافة .

٦. ذكر المسعودي (٩) إن مروان أول من أخذ الخلافة بالسيف كرهاً بغير رضا عصابة من الناس .

٥. إن مروان بعد معركة مرج راهط أخذ يوسع نفوذه على حساب عبدالله بن الزبير فقاد جيش أهل الشام بنفسه إلى مصر (١) ، وبعد ان ضمها إلى الخلافة عين ابنه عبدالعزيز والياً عليها ورجع إلى دمشق (٢) ، وكان قد أخذ بيع أهلها بشكل قسري وانه قتل من رجالها ثمانين رجلاً بسبب امتناعهم عن تركبيعة ابن الزبير (٣) .

٦. إن مروان بعد أن أعاد مصر إلى أحضان الخلافة الأموية (٤) أرسل حملتين عسكريتين أحدهما إلى قرقيسياً* بقيادة عبيدالله بن زياد لمحاربة زفر بن الحارث الهارب إليها من قنسرين (٥) ومن ثم يتوجه إلى العراق لأعادته إلى الخلافة الأموية (٦) ، والحملة الثانية إلى المدينة بقيادة حبيش بن دلجة القيني ، فيذكر البلاذري (٧) عن هذه الحملة بأنها من الحملة التي عد لها مروان بجيش عده ستة آلاف وأربعمائة فيهم يوسف بن الحكم الثقفي ومعه ابنه الحجاج بن يوسف بقيادة حبيش بن دلجة القيني إلا إن وفاته جاءت بالوقت الذي كان فيه الجيش قد وصل إلى المدينة ، لذلك لم يتابع هذه المهمة التي انتهت أول الأمر بانتصار أهل الشام على أهل المدينة وهروبهم واخذوا منهم الضريبة ، ولم يتمكن أهل المدينة من إخراجهم إلا بعد أن استعان عبدالله بن الزبير بأهل العراق ، فأرسل والي البصرة الحننف بن النحف التيمي** لإتقاذهم وفعلاً استطاع من الانتصار على جيش أهل الشام في يوم الربرة*** .

(١) الزبيري ، نسب قریش ، ج ٤ ص ١٠٩ .

(٢) البدء والتاريخ ، ج ٥ ص ٦ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٨ .

(٤) مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٥ .

(٥) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٩٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٤٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٤ .

(٦) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٩ .

(٧) المقرئ ، الخطط المقرئية ، ص ٨٤ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٠ - ابن نما الحلي ، ذوب النصار ، ص ١١٠ .

*قرقيسياً : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصب الخابور على الفرات فهي مثلث بين الخابور والفرات . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٢٨ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥١ .

(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٣٤٩ .

(٢) انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٥١ .

**الحننف بن الحنف : الحننف بن السجف بن سعد بن عون بن زهير بن مالك بن ربيعة بن مالك بن حنظلة ، أمه بنهارة بنت يزيد بن الانوس من بني عيس ، يكنى أبا عبدالله . ينظر : خليفة ، طبقات خليفة بن خياط ، ص ٣٣١ .

***الربرة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها ، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز ، إذا وصلت من فيد تريد مكة ، بها قبر أبي ذر الغفاري . ينظر : ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج ٢ ص ٤٢٧ - الجواهري ، الصحاح ، ج ٢ ص ٥٦٤ .

ومن أهم نتائج هذا اليوم هو إن أهل المدينة قد اخذوا ثأرهم من أهل الشام ، فيذكر البلاذري^(٨) إن المرأة من أهل المدينة تأتي الحننف فتقبل رأسه وتقول شفيت النفوس وثارت لنا بقتلى أهل الحرة .

٧. عدم التزام مروان بالعهود والمواثيق التي اتفق عليها مع خالد بن يزيد بن معاوية وعمرو بن سعيد بن العاص والتي سبق ان تم ذكرها ، وجعل ولاية العهد من بعده لابنيه عبد الملك ومن بعده لابنه عبدالعزيز ، إضافة إلى انه جعل ولاية العهد لاثنتين بدلاً من واحد^(١) وهذا ما أكد رغبته بالخلافة بقائها في البيت الأموي والمرواني حصراً .

٨. ما ساعد على تنمية هذه الرغبة لدى مروان هم أصحابه عندما قالوا له : لا نتخوف عليك سوى خالد بن يزيد ، فتزوج أمه فأثك تكسره بذلك^(٢) ، لأن أهل الشام كانوا يرون خالد انه البديل المناسب عن أخيه معاوية وبهذا الزواج يضعف في أعين الناس^(٣) .

وان أبرز ما نخرج به من خلال هذا الموضوع :

٥. استقرار الخلافة في الشام لمروان بن الحكم وبهذا تكون الخلافة الإسلامية قد انشطرت إلى نصفين أحدهما في الشام والآخر في الحجاز تحت قيادة عبدالله بن الزبير ، هذا فضلاً عن انتقال الخلافة الأموية من الفرع السفيني إلى الفرع المرواني ، وهذا ما كان معاوية كارهاً له في حياته .

٦. رغبة أهل الأردن ولاسيما بني أمية والقبائل اليمانية أن يكون مقر الخلافة في الشام بدلاً من نقلها إلى الحجاز .

٧. توسع نفوذ عبدالله بن الزبير حتى شمل معظم أجناد الشام عدا الأردن .

٨. إن مروان بن الحكم أول من سن ولاية العهد لأكثر من واحد وبهذا فإنه قد ساعد على انشقاق البيت الأموي نفسه .

أولاً. جذور الحركة وطبيعتها

١. بداية الحركة وفكرتها

بعد استشهاد الإمام (ت) في واقعة الطف سنة ٦١هـ / ٦٨٥م^(١) ورجوع ابن زياد ، المنفذ الرئيس لهذه المجزرة إلى الكوفة يحمل في كفيه وزر الجريمة النكراء من دون أن يرتعش لهولها أو يدخل في روعه الندم ، تلاقت الشيعة بالتلاوم والندم " ورأت إنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين وتركهم

(٨) انساب الأشراف ، ج٥ ص ١٥٤ ، ولمزيد من الاطلاع عن يوم الربة ينظر المصدر نفسه .

(١) أبين سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص ٤٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٦١٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٨٩ .

(٢) مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص ١٣٩ - أبين عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص ٣٩٠ .

(٣) أبين كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٥٣ .

نصرته وإجابته حتى قتل إلى جانبهم ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عليه إلا قتل من قتله أو القتل فيهم^(٢).

والذي نكتشفه من هذا إن ثمة موالين عديدين لأهل البيت (i) وللإمام (t) خاصة ثبتوا على ولائهم وحبهم لهم غير إن الفرصة لم تتح لهم لنصرته ، أما لأنهم سجنوا أو اختفوا أو انسحبوا تحت تأثير أقاربهم وزعمائهم ، وإن غالبيتهم لم يشاركوا في الجيش الذي تقدم لقتال الإمام (t) ولو أنهم شاركوا في قتله لما رفعوا الثأر له^(٣).

لذلك التجأ الشيعة إلى خمسة من رؤسائهم البارزين إلى سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري ، وإلى عبدالله بن وال التميمي وإلى رفاعه بن شداد البجلي* ، وإلى عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي** المعروفين بالصحة والولاء للإمام علي (ع)^(٤) فاجتمع هؤلاء في منزل سليمان بن صرد^(٥).

كان أول ما ابتدءوا به أمرهم بعد استشهاد الإمام (t) بشكل سري فأخذوا يجمعون آلة الحرب ودعاء الناس في السر إلى الطلب بدم الإمام (ع)^(٦) فكان يجيبهم النفر وما زالوا على ذلك إلى إن هلك يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م^(٧).

كان الاتجاه العام للمناقشات يدور حول التكفير عن الذنب والمخطط الذي يمكن أن يزيل عنهم الشعور بالإثم وذلك في جو من الانفعال الشديد وكان أول المتكلمين المسيب بن نجبة الفزاري الذي خطب وقال : " فأننا قد ابتلينا بطول العمر ، والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً ، ((أَوْكُمْ مَعْرُكُكُمْ مَا تَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ))"^(٨) ، فأن أمير المؤمنين قال : العمر الذي اعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، ... ، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا (ع) وقد قتل فينا ولده وحبيبه ، وذريته ونسله ، ... ، ولوا عليكم رجلاً منكم فأنه لابد لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحفون بها"^(٩).

(٢) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٤٨-٢٤٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٢ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٩٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٨ .

(٣) السماوي ، محمد نعمة ، موسوعة الثورة الحسينية ، ط ١ ، دار المرتضى للطباعة ، (بيروت / ٢٠٠١) ، ج ٨ ص ١٨٧ .
* رفاعه بن شداد : رفاعه بن شداد بن عبدالله بن قبيس بن حيال بن بد ابن فتيان الفتياني ، وفتيان بطن من بطون بجيلة ،

يكنى أبا عاصم ، تولى القضاء لمدينة الاهواز في عهد الإمام علي (t) . ينظر ابن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، العلل ومعرفة الرجال ، تح د. وحي الله بن محمود بن عباس ، ط ١ ، مطبعة المكتب الإسلامي ، دار الخاني ، (الرياض / ١٤٠٨هـ) ، ج ٣ ص ١٤٥ - المغربي ، نعمان بن محمد (ت ٣٦٣هـ) ، دعائم الإسلام ، تح ، أصفي بن علي أصغر ، دار المعارف للطباعة ، (١٩٦٣م) ، ج ٢ ص ١٧٦ - ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٧٢ - الثقات ، ج ٤ ص ٢٤٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٢٩٠ .

** عبدالله بن سعد : عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي من أزد شنة ، أحد رؤساء الكوفة وشجعانها . ينظر : ابن نما الحلي ، ذوب النضار ، ص ٧٤ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٤ ص ٨٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٢ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٣ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢٠٥ - الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج ٩ ص ١٨٠ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(٨) سورة فاطر ، آية ٣٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٢-٥٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٩ .

ثم تكلم رفاعه بن شداد البجلي بعد المسيب وقال : أما بعد ، فإن الله قد هداك لأصوب القول ، ودعوت إلى ارشد الأمور ، ... ، ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم^(٣) ، ثم تكلم عبدالله بن وال وعبدالله بن سعد فحمدا الله وتكلما بنحو من كلام رفاعه بن شداد ، فذكر المسيب بن نجبة بفضلته وذكر سليمان بن صرد وسابقه ورضاهما بتوليته وكان أكبرهم سنأ وشيخ الشيعة وصاحب رسول الله (ص) (٤) .

ثم تكلم سليمان بن صرد الخزاعي : " ، ... ، إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ، ونمنيههم النصر ونحثهم على القدوم ، فلما قدموا ونينا ، وعجزنا ، وادهنا ، وتربصنا ، وانتظرنا ما يكون قد قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارتة وبضعة من لحمه ودمه ، ... ، كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم ((إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ)) (٥) فَوَيْلٌ لَّكُمْ يَوْمَ تَأْتِي سُورَةُ الْإِنْشَارِ ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)) (٦) حتى تدعوا وتستغفرون " (٧) .

الذي يبدو من هذه الخطب الحماسية لزعماء الحركة ، أن التوبة كانت في مقدمة منهاج عملهم استناداً لقوله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)) (٨) ، أي يثيبهم وينعم عليهم^(٩) ، وعن انس بن مالك قال : سمعت رسول الله محمد (ﷺ) قال : " التائب من ذنب كمن لا ذنب له " (١٠) وعلامة التوبة هي الندم^(١١) .

إضافة إلى تجسيد فكرة الاستشهاد وبالتنازل عن الأملاك واعتزال النساء ، وهذا ما أشار إليه سليمان بن صرد حينما قال لأنصاره " ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله " (١٢) ، لذلك قالوا لا توبة لنا إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه^(١٣) .

٢. اتصالات الحركة

بسبب الظروف القسرية التي عاشها أهل الكوفة طوال فترة خلافة معاوية (٤٠هـ - ٦٠هـ / ٦٦٠م - ٦٧٩م) فإنهم قد عانوا من سياسة القسوة والبطش والتظلم من الولاة الذين عينهم الخليفة معاوية على العراق عامة والكوفة خاصة ، لذلك فقد زرع في نفوسهم الخوف والتردد .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٥٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٠ .

(٥) سورة البقرة ، آية ٥٤ .

(٦) سورة الانفال ، آية ٦٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦١ .

(٨) سورة البقرة ، آية ٢٢٢ .

(٩) الإصفهاني ، الحسين بن حمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، ط ١ ، دار الكتاب للنشر ، (١٤٠٤هـ) ، ص ١٠٥ .

(١٠) ابن النجار البغدادي ، محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود ، (ت ٦٤٣هـ) ذيل تاريخ بغداد ، تح مصطفى عبدالقادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٧١هـ) ، ج ٣ ص ٢٦ .

(١١) ابن النجار البغدادي ، ذيل تاريخ بغداد ، ج ٣ ص ٢٦ .

(١٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٩ .

(١٣) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٤ ص ١٢٧٧ .

ودليل ذلك بعد استشهاد الإمام (ت) وعودة عبيد الله بن زياد إلى الكوفة وصعد المنبر وقال : " الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب بن الكذاب ، الحسين بن علي وشيعته " (٣) ، فلم يجبه احد من أهل الكوفة سوى رجل* من بني الازد ، وكان ضريراً بالرغم من وجود زعيم قبيلته وسبعمانه من رجال القبيلة (٤) إلا إنهم كانوا خائفين من سطوة ابن زياد . وهذا يوضح لنا طبيعة الحياة الاجتماعية التي عاشها أهل الكوفة آنذاك ، لذلك رسم زعماء الحركة التوابية خطة سرية فبدأت حركتهم تسير وفق هذه الخطة ، فبدأوا بالدعاء للناس وجمع آله الحرب من رجال الشيعة (٥) ، فكان بعضهم يمشي إلى بعض ويديرون آراءهم ولا يطلعون أحداً على ما هم فيه (٦) ، وبقيت الحركة هكذا طوال فترة خلافة يزيد لتخوفهم من أهل الكوفة أنفسهم " وكان أشد خووفهم من أهل مصرهم لان أكثرهم قتلوا الإمام (ت) " (٧) .

إن الحركة كانت سرية في العمل من حيث جمع آله الحرب والاجتماعات ، وهذا لا يبعدنا عن القول والاعتراف بأنهم فعلاً كانوا خائفين من أهل الكوفة حتى بعد هلاك الخليفة يزيد بن معاوية ، وما يدل على خوفهم أن الشيعة في الكوفة ذهبوا إلى سليمان بن صرد الخزاعي وطلبوا منه الذهاب لإخراج عامل عبيد الله بن زياد فقال لهم : " رويداً ، لا تعجلوا ، ... ، فرأيت إن قتل الحسين أهم أشرف أهل الكوفة " (٨) .

لذلك تعامل معهم سليمان بمنتهى الحيلة والحذر لأنه وجدهم العدو الشرس للحركة والخصم الدائم لكل الحركات التحررية المناوئة للسلطة الحاكمة سواء كانت أموية أم زبيرية .

وكان زعماء الحركة قد اتفقوا على أن يعقدوا لقاءات دورية لتقويم نشاطاتهم التي قاموا بها والإنجازات التي حققوها ومن ثم تحديد موعد للخروج وإعلان الثورة واستقر رأيهم أخيراً على أن يكون التجمع في النخيلة نهاية ربيع الآخر سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م (٩) .

كانت أولى الخطوات التنفيذية التي قام بها سليمان بن صرد في محاولة استقطاب واستمالة اكبر عدد ممكن من الجماهير هو الكتابة إلى رجالات الحزب الشيعي في البصرة والمدائن وكانت هذه الكتب فيها مفهوم وأهداف الحركة ثم الدعوة إلى المشاركة معهم في الموعد المذكور أعلاه .

فقد كتب سليمان إلى عامل المدائن* سعد بن حذيفة** ، وهو أول أمير على المدائن (١٠) ، " ، ... ، إن أولياء من إخوانكم ، وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم في ما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذي دعي فأجاب ، ودعا فلم يُجب ، ... ، دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم ، فقد جد إخوانكم

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٢ .

*عبدالله بن عفيف الازدي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٩ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٣ .

(٧) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(٩) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٥ .

*المدائن ، بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٧٥ .

**سعد بن حذيفة : سعد بن حذيفة بن اليمان العيس ، روى عن أبيه حذيفة ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي ومنذر الثوري أبو يعلى . ينظر : الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ٤ ص ٨١ - ابن حبان ، الثقات ، ج ٤ ص ٢٩٤ .

(١٠) ابن نما الحلي ، نوب النصار ، ص ٧٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٨ .

فجدوا ، واعدوا واستعدوا ، وقد ضربنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه ، وموطنا يلقوننا فيه ، فأما الأجل فغرة شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأما الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخيلة ^(٣) .

كان وقع هذا الكتاب مؤثراً جداً في شيعه المدائن ، ولا سيما ان عدداً من الكوفيين قد نزحوا إليها ، وهؤلاء ظهروا شديدي الحماس للاستجابة الفورية إلى دعوة التوابين ، وما لبث أن جاء الرد ايجابياً من عامل المدائن وشيعتها والاستعداد الكامل للتحرك في اليوم الموعود " أما بعد ، فقد قرأنا كتابك وفهمنا الذي دعوتنا إليه ، ... ، فإذا جاء الصريخ *** أقبلنا ، ولم نخرج إن شاء الله " ^(٤) ، وكان سليمان قد أرسل نسخة ثانية من هذا الكتاب إلى المثنى بن مخرمة العبدي *** في البصرة لكسب تأييده مع الشيعة هناك ، فأجابوا إلى دعوته فكان رد المثنى إليه " قرأت كتابك وأقرأته على إخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك " ^(٥) .

والذي يتبين لنا أمر مهم هو ان تحديد هذا الوقت كان لكي يتمكن زعماء الحركة إكمال شؤونهم العسكرية ، لأننا نعلم بأن هذه الحركة لا يوجد لها أي وارد مادي سوى التبرعات من أهل الكوفة ^(٦) ، وتحديد هذا الوقت بالذات للقيام بالحركة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م هو لغرض إكمال كافة الاستعدادات العسكرية ليس في الكوفة فقط وإنما في المدائن والبصرة ، هذا فضلاً عن كسب اكبر عدد من الشيعة إلى جانبهم .

أما اتصالات الحركة فكانت بعد وفاة يزيد بن معاوية تسير بدعوتها على مركز الكوفة من دون اللجوء إلى أطرافها وهذا يجعلنا نتصور ربما احد أسباب إخفاقها هو عدم كسب القبائل الساكنة في أطراف الكوفة ، والدليل هو عندما نتابع سير المختار بن أبي عبيدة الثقفي من الحجاز إلى الكوفة فنجد أنه كان يدعو القبائل العربية القاطنة من نهر الحيرة (بني بدء من قبائل كندة ، وبني هند) إلى نصرته ومساعدته في قتال الملحدين واخذ الثأر لرسول الله محمد (ﷺ) والدفاع عن الضعفاء فبايعوه ^(٧) .

وهذا يؤدي بنا إلى الاعتقاد ان هذه القبائل كانت لا تعرف بطبيعة الحركة وأهدافها بالرغم من أن مجيء المختار كان بعد وفاة يزيد ، وهذا يعني أن الحركة كانت معروفة لأهل الكوفة في مركزها دون أطرافها .

٣. طبيعة الحركة

من خلال الإطلاع على أبرز شخصيات هذه الحركة تتبادر لدينا فكرة بأنها حركة دينية الغرض منها التكفير عن الذنب ، لكن من خلال دراسة طبيعتها بدقة ومعرفة أهدافها نجد إنها تحمل في صفحاتها أهداف سياسية واجتماعية .

^(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٦ .

***الصريخ : الصارخة بمعنى الصريخ الغيث ، وفي الحديث : ان النبي (ﷺ) كان يقوم من الليل اذا سمع صوت الصارخ يعني الديك لانه كثير الصياح في الليل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ص٣٠٩ .

^(٤) ابو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٦ .

***المثنى بن مخرمة العبدي : المثنى بن مخرمة العبدي من اصحاب الامام علي (ت) واشترك معه في معركة الجمل . ينظر : سيف بن عمر الضبي ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص١٧١ .

^(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٨ - المجلسي ، بحار الانوار ، ج٤٥ ص٣٥٦ - البحراني ، العوالم الامام الحسين (ت) ، ص٦٧٥ .

^(٦) ابن ماکولا ، اكمال الدين ، ج١ ص٤١٩ .

^(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٢ .

فقد شارك في هذه الحركة عدد من الشخصيات البارزة من الكوفة من أمثال سليمان بن صرد الخزاعي ، الذي كان يعرف في الجاهلية باسم يسار^(٣) وان النبي محمد (ﷺ) غير اسمه وسماه سليمان بعد اعتناقه الإسلام^(٤) ، سكن الكوفة وابتنى بها داراً في خزاعة وكان نزوله بها في أول ما نزلها المسلمون^(٥) ، وكان له سن عالية وشرف في قومه^(٦) ، شهد مع الإمام علي (ع) معركة صفين^(٧) ، أما معركة الجمل فاختلف المؤرخون فيها فيرى بعضهم^(٨) بأنه اشترك فيها ، بينما يرى البعض الآخر^(٩) بأنه لم يشترك فيها . والذي يبدو أنه لم يشترك في هذه المعركة بإجماع اكبر عدد من المؤرخين بسبب ضعفه وعجزه وقد وضع سليمان بن صرد سبب ذلك حينما عاتبه الإمام علي (ع) عن عدم مشاركته في هذه المعركة فأجابته سليمان : " تربصت وتناأت* ، فكيف ترى صنع الله ، فأجابه سليمان : الشوط بطين** ، وقد بقي من الأمر ما تعرف له صديقك من عدوك"^(١٠) ، أي ممكن للإنسان أن يستدرك ما فاتته^(١١) .

بعد استشهاد الإمام علي (ع) ظل سليمان بن صرد على ولائه لأهل بيت رسول الله (ﷺ) وعاتب الإمام الحسن (ع) نتيجة صلحه وبيعته معاوية بن أبي سفيان وقال له : " ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك مئة ألف مقاتل من أهل الكوفة كلهم يأخذ العطاء"^(١٢) ، ثم يستقر في ولائه ويظهره لكن هذه المرة بشدة للإمام (ع) بعد وفاة معاوية ويعرض عليه بأن يأتي الكوفة وكان ممن كتب إلى الإمام (ع) بالقدوم^(١٣) .

أما رفاقه الباقون من أمثال المسيب بن نجبة الفزاري فهو تابعي وكان على رأس قومه شهد مع الإمام علي (ع) مشاهدته كلها^(١٤) ، وكذلك رفاعة بن شداد البجلي فهو من قرّاء الكوفة وخيار أصحاب الإمام علي (ع)^(١٥) وكذلك عبدالله بن وال التميمي^(١٦) .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٩٦ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص٢٨٤ .
 (٤) الطبري ، ذيل تاريخ الرسل والملوك ، ص٥٧٧ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص٢٨٤ .
 (٥) ابن الأثير ، أسد الغاية في معرفة الصحابة ، ج٢ ص٣٥١ .
 (٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٩٦ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص٢٨٤ .
 (٧) البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ص٢٠٠ .
 (٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٩٦ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ - الشيخ المفيد ، الجمل ، ص١٠٨ - ابن الأثير ، أسد الغاية في معرفة الصحابة ، ج٢ ص٣٥١ .
 (٩) ابن أبي شيبه الكوفي ، المصنف ، ج٨ ص٧٢١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٢٧١ - الطوسي ، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، رجال الطوسي ، تح جواد القيومي الاصفهاني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، (قم / ١٤١٥هـ) ، ص٦٦ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ص٢٠٠ - الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر ، (ت ٨٠٧هـ) ، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تح مسعد عبد الحميد محمد ، مطبعة دار الطلائع للنشر ، (بلاط) ، ص٢٤٠ - النقرشي ، نقد الرجال ، ج٢ ص٣٦٥ - الجابلي ، السيد علي اصغر ، طرائف المنال ، تح مهدي الرجائي ، ط١ ، مطبعة بهمن ، مكتبة المرعشي ، (قم / ١٤١٠هـ) ، ج٢ ص٨٨ .
 *تتناأت : تتأناأ الرجل ، عف واسترخى . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف هامش ، ص٢٧٢ .
 **بطين : البعيد أي الزمان الطويل . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف هامش ، ص٢٧٢ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج١ ص١٠ .
 (١١) ابن سلام ، غريب الحديث ، ج٣ ص٤٧٥ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٢٧٢ - الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، ج٢ ص٥ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ص٥٠٩ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ع) ، ج٢ ص٢٦ .
 (١٢) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج١ ص١٠ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج٥ ص١٧٢ .
 (١٣) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٣٣ .
 (١٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .
 (١٥) ابن نما الحلبي ، ذوب النضار هامش ، ص٧٤ .
 (١٦) الذهبي ، من له رواية في كتب السنة ، ج١ ص٣٩٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ص٢٩ .
 (١٧) الشيخ الطوسي ، رجال الطوسي ، ص٧٨ .

والذي نستنتجه من خلال هذه الأسماء إنها حركة فقهاء وقراء وقصاصين خاصة إذا ما عرفنا انه كان من دعائها عبيد الله بن عبد الله المري***، ذو المنطق والبلاغة في المصر، الذي أدى دوراً كاملاً في إعلان أهداف الحركة وكان كلما اجتمعت إليه جماعة جديدة من أهل الكوفة يخطب فيهم قائلاً "، ... ، فويل للقاتل وملامة للخاذل، أن الله لم يجعل لقائله حجة ولا لخاذله معذرة، إلا أن يناصح الله في التوبة، ...، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته وإلى جهاد المحليين*** والمارقين، فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وإن ظهرنا ردنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا" (٨)، وكان يوضح في خطبه أهداف الحركة والتي تبرز في:

٤. التوبة من خذلانهم للإمام (t) وهذه التوبة تتطلب منهم الطلب بدماء أهل بيت رسول الله (ﷺ)

(هـ) جهاد المحليين والمارقين (١).

٥. عدم الاعتراف بشريعة الخلافة الأموية، وهذا نجده من خلال مقولته " ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه" (٢).

٦. إعادة الخلافة إلى أهل بيت النبوة (i) (٣) وهذه كانت أهم الأفكار في الحركة وإن الشهادة في

سبيلها هي أفضل ما تكون لهم، هذا فضلاً عن إن عبيد الله بن عبد الله المري قد استمر في هذا الخطب حتى بعد هلاك يزيد بن معاوية وهذا يدلنا على أمرين هما:

ت. عدم الاعتراف الشرعي بخلافة عبد الله بن الزبير، وهذا الأمر قد نجده من خلال اعتزال زعماء الحركة وأنصارهم أوضاع الكوفة السياسية خاصة بعد قيام أشراف الكوفة بعزلهم لعمر بن حريث المخزومي ومبايعة عبد الله بن الزبير (٤).

ث. هدفهم المباشر هو قتل عبيد الله بن زياد وهذا الهدف نجده واضحاً عندما التقى الجيشان التوابون والشامي في عين الورد، فكانت مطالب سليمان وأنصارهم إن يدفعوا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلوه (٥).

ومن خلال انتماءات زعماء الحركة القبلية نلاحظ إنهم ينحدرون جميعاً من اصل يمانى (خزاعة، فزارة، الازد، تميم اللات، بجيلة، مزينة، كنانة، حمير، عبد القيس)، لكن لا يعني هذا إن كل القبائل اليمانية قد اشتركت في هذه الحركة لأن قبيلة مذحج بالرغم من ولائها العلوي المعروف ووقوفها إلى جانب أهل البيت (i) إلا أنهم لم يشتركوا في هذه المعركة.

أما بالنسبة إلى الموالى واشترائهم في هذه المعركة فانفرد الطبري (٦) برواية واحدة يذكر فيها إن مولى للمسيب بن نجبة الفزاري كان يقاتل في هذه المعركة وقد انضم فيما بعد إلى شبيب بن يزيد الخارجي وقد وصف المعركة - عين الورد - وهذا ما دعا أحد الكتاب المحدثين (٧) إلى نفي اشتراك الموالى في هذه الحركة. ولكن نقول أن من طبيعة المولى أن يتبع سيده في كل شيء ولا يصبح حراً إلا

***عبيد الله بن عبد الله المري: لم أجد له ترجمة.

***المحليين: هم الذين أحلوا القتال في الأشهر الحرام (ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب)، وكانت العرب تستحل دماءهم خاصة في هذه الشهور وكان المحلون ينتسبون إلى حيان، خثعم وطي. ينظر: ابن سلام، غريب الحديث، ج ٣ ص ٦ - الجوهري، الصحاح، ج ٥ ص ١٨٩٥.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٥٥٩-٥٦٠.

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (t)، ص ٢٥٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٥٦٠.

(٣) أبو مخنف الازدي، مقتل الحسين (t)، ص ٢٥٨ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٥٦٠ - الزركلي،

الإعلام، ج ٣ ص ١٢٧.

(٤) أبين الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٦٣ - الزركلي، الإعلام، ج ٣ ص ١٢٧.

(٥) أبين الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٨٢.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٥٩٩.

(٧) جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص ١٤٠.

بعد وفاة سيده بالوصية أو بيعه في حياة مولاه ، ونحن نعلم أن هناك الكثير من الشخصيات الكبيرة التي اشتركت في هذه المعركة وبطبيعة الحال فقد اشترك معهم مواليهم إلا إن المؤرخين لم يذكروا ذلك وتجاهلوه لكون الموالي لا يمثلون ثقلاً مهماً في هذه المعارك .

قد يتساءل البعض منا لماذا لم ينصر زعماء الحركة التوابية الإمام (ت) في حياته وخرجوا يطالبون بدمه من بعد استشهاد ؟

إن هناك من الأسباب التي أدت إلى عدم خروج سليمان بن صرد الخزاعي وأنصاره لمؤازرة الإمام (ت) كنا قد بينا البعض منها في الفصل الثاني* ونضيف الآن سبباً مهماً آخر هو : إن سليمان بن صرد الخزاعي قد عبر عن حالته في عدم المشاركة عندما قال : " الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين ، اللهم إذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده " (١) ، والذي يبدو أن هناك عائناً في عدم مشاركته بثورة الإمام (ت) ضد الخلافة الأموية وقد وضح ذلك السيد البراقي (٢) عندما قال إن عبيدالله بن زياد نفى الرجال العاملين لمعونة مسلم بن عقيل من بلده ، وزج في السجن من وجوه الشيعة أمثال المختار وسليمان والمسيب ورفاعة وغيرهم .

أما دور القرّاء والقصاصين في هذه الحركة فكان دوراً بارزاً من خلال خطب صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني ، الذي كان يذو أنصاره بأن هدفهم في الحركة هو التوبة من ذنبهم والطلب بدم ابن بنت نبيهم وليس معهم دينار ولا ذهب (٣) ، وكان إجابة الناس من حوله ، إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا (٤) ، وكان دوره واضحاً في المعركة حيث كان يدور في المقاتلين ويقول لهم " ابشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه ، محق والله لمن ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة والراحة من ابرام الدنيا وأذاها إلا فراق هذه النفس الأمارة بالسوء " (٥) ، ويبدو أن صخير بالإضافة إلى دوره في الخطابة وحث أصحابه على القتال إلا أنه كان مقاتلاً شجاعاً ، فيذكر الطبري (٦) أنه جمع ثلاثين مقاتلاً من مزينة* وقال لهم إن الموت لا فيكم وإن الدنيا زائلة فمضوا معه فقاتلوا حتى قتلوا .

أما أبو الجويرية العبدى*** فإنه كان من القصاصين في المعركة بالرغم من جرحه إلا أنه لم يترك المعركة إلا بعد انسحاب جيش التوابين (٧) ، كما لا ننسى رفاعة بن شداد البجلي بالإضافة إلى كونه أحد زعماء الحركة إلا أنه كان من قرّاء الكوفة البارزين (٨) ، وكان دائماً يشدد أزر المقاتلين للحرب (٩) ، ثم يأخذ دور القيادة للحركة بعد استشهاد أصحابه ، ويؤدي دوراً مهماً في إنقاذ ما تبقى من أنصاره في عبور الخابور* ، فضلاً عن وضع أبا الجويرية العبدى في سبعين فارساً يسترون الناس ، فإذا مروا

*ينظر فص ٢ ص ٩٩-١٠٠ من الدراسة .

(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٢٩١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٠ .

(٢) تاريخ الكوفة ، ص ٢٩٧ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٢٨٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٦٠٤ .

** مزينة : قبيلة من مضر ، وهي مزينة بن آد بن طانحة بن الياس بن معن بن نزار بن معد بن عدنان والنسب اليهم المزني . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج ٦ ص ٢٢٠٤ - السمعاني ، الأنساب ، ج ٥ ص ٢٧٧ - ابن الأثير ، اللباب ، ج ٣ ص ١٣٢ .

*** أبو الجويرية العبدى : عبدالرحمن بن مسعود من أهل الكوفة ، يروى عن محمد بن النفي وروى عنه الصلت بن الهرام . ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج ٢ ص ٩٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٨ .

(٨) الزركلي ، الأعلام ، ج ٣ ص ٢٩ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٨ .

*الخابور : أسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٣٤ .

برجل قد سقط حمله ، أو بمتاع قد سقط قبضه حتى يعرفه إلى ان مروا بقرقيسيا من جانب البر^(٣) ، ويقف عبدالله بن وال التميمي طليعة المفتيين للجهاد ويوعد المقاتلين في الجنة^(٤) . والذي يبدو إنها حركة فقهاء وقراء وقصاصين ، لذا نرى ان تكون تسمية حركتهم هي حركة وجهاء الكوفة .

ثانياً . الاتجاه العلوي وموقفهم من الحركة

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٦٠٥ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٥ .

١. الإمام علي بن الحسين (ع) وموقفه من الحركة

لم نجد نصاً واحداً للإمام علي بن الحسين (ت) يتناول فيه مدح الحركة أو ذمها ، بل حتى لم يجد نصاً من غيره من أهل المدينة آنذاك في تقييم الحركة ، وهذا ما جعل إبراز موقف الحركة يبدو صعباً إلا من خلال الاستنتاج ، لذلك يبدو إن أسباب عدم وجود رواية عند المؤرخين لموقف الإمام علي بن الحسين (ت) هي :

٣. إن طبيعة اتصالات الحركة اتسم بالسرية التامة إلى لحظة وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م^(١) ، فإذا كانت سرية فليس من المعقول أن يصدر عن الإمام علي بن الحسين

(ت) كلام بخصوصها لأنه سوف يؤدي إلى كشفها وبالتالي يتم القضاء عليها .
٤. هدف الحركة الأساسي كان طلب التوبة والتكفير عن الذنب ، فلا موجب لصدور نص من الإمام علي بن الحسين (ت) أو تعليمات أو إرشادات محددة ، ولا سيما ان زعماء الحركة من كبار الصحابة والتابعين .

ولكن يبدو إن موقف الإمام علي بن الحسين (ت) كان موالياً للحركة التوابية لأسباب منها :

٣. عدم وجود رواية واحدة تقترح بزعماء الحركة من الإمام علي بن الحسين (ت) .
٤. إن ما حفز الشيعة للخروج في هذه الحركة لأنهم رأوا إن الخلافة حق في بني هاشم^(٢) ، لذلك فمن المستبعد عدم معرفة الإمام علي بن الحسين (ت) بنشاطهم بالرغم من إنها كانت سرية في الكوفة طوال فترة ثلاث سنوات من عمرها ، لان الشيعة في اتصال مستمر مع الأئمة (ت) سواء في حياة الإمام الحسن (ت) في عهد معاوية أو في حياة الإمام (ت) في عهد يزيد .

٢. موقف المختار من الحركة

بعد وفاة يزيد بن معاوية بخمسة أشهر^(٣) وأيام^(٤) ، أدرك المختار إن عبدالله بن الزبير لا يستعمله على أي عمل من أعماله لذلك فكر بالخروج إلى الكوفة ، لكن ما هي الأسباب التي أدت المختار أن يعود مرة أخرى إلى الكوفة ، هل كونها مدينة موالية لأهل بيت النبي (ص) ؟ أم مدينة المال والرجال مثلما وصفت ؟

إن المختار على الرغم من انه كان في الحجاز إلا انه كان لا يغفل عن السؤال عن هذه المدينة ومتابعة أخبارها باستمرار ، فلما قدم هاني بن أبي حية الوادي* مكة ، يريد عمرة رمضان ، فسأله المختار عن حاله وعن حال الناس في الكوفة وهيئتهم ، فقال له: " إنهم في صلاح وانشقاق على

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

(٢) مغنية ، محمد جواد ، الشيعة في الميزان ، مؤسسة صدر الخلائق ، مكتبة الآداب الشرقية للنشر ، (النجف / ١٤٢٤هـ) ،

ص١٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ .

*هاني بن أبي حية الوادي : لم أجد له ترجمة .

طاعة ابن الزبير إلا إن طائفة من الناس إليهم عدد أهل مصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم ، أكل بهم الأرض" (١) .

والذي نكتشفه من هذا النص إن أهل الكوفة منقسمون جماعة تتبع ابن الزبير وهناك طائفة من أهلها ليس لهم قائد يجمعهم على رأيهم ، لذلك ربما كان هذا الوصف هو الحافز للمختار بالذهاب إلى الكوفة وأنه ذلك الرجل الذي يجمعهم " أنا أبو إسحاق ، أنا والله لهم " (٢) ، وما يؤكد على إن أهل الكوفة بدون قائد يجمعهم ويقودهم ما وصفه مسلمة بن حرثة للمختار " هم كغنم ظل راعيها " (٣) .

ويبدو إن عودة المختار إلى الكوفة مرة أخرى هي كونها موالية لشيعة أهل البيت (i) وقد عبر عن ذلك المختار نفسه عندما حاول إقناع عبدالله بن الزبير بالذهاب إلى الكوفة حيث قال له " أني لأعرف قوماً لو إن لهم رجلاً له رفق وعلم مما يأتي لاستخرج منهم جنداً تغلب بهم أهل الشام ، قال : من هم ؟ قال : شيعة بني هاشم بالكوفة ، فكن أنت ذلك الرجل فبعثه إلى الكوفة " (٤) ، وبعد إقناعه لعبدالله بن الزبير جاء المختار إلى الكوفة ودخلها يوم الجمعة نصف رمضان سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م (٥) وكان الناس يتهياؤون للصلاة (٦) ، فكما كان المختار سياسياً ماهراً ، كذلك كان خطيباً من خطباء الشيعة البارزين فإنه يمتلك قوة ساحرة للتأثير (٧) ، لذلك قيل عنه أنه من دهاة ثقيف (٨) ، كان دارساً لأحاسيس الناس ونفسياتهم فوظف هذه المواهب من أجل تحقيق هدفه الذي جاء من أجله وهو أخذ ثأر أهل البيت (i) وقتال الفاسقين (٩) ، لكنه وجد إن الشيعة قد بايعت سليمان بن صرد الخزاعي (١٠) ، بالرغم من ذلك دخل المختار الكوفة فأخذ البعض من الشيعة بتأييده لأنه كان معروفاً فيهم سابقاً (١١) .

ولكن كيف صور المؤرخون العلاقة ما بين المختار وسليمان بن صرد الخزاعي ؟

اختلفت آراء المؤرخين في مسألة العلاقة التي كانت بينهما فيرى البعض (١) منهم ان المختار حرّض الشيعة على سليمان بن صرد الخزاعي في محاولة من تقليل شأنه بالحروب " ليس له بصراً بالحروب ولا تجربة بالأمر إنما يريد ان يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه " ، بينما يرى احد المؤرخين (٢) " ان الناس قالوا للمختار لا تعجل إلا ان تنظر (وينظر) ، ... ، فسكت المختار فأقام بالكوفة ينتظر ما يكون

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢١٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٧٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٩ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ص٦٢٠ .

(٧) عبدالحسين طه حميد ، أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، ط١ ، مطبعة السعادة ، (مصر / ١٩٥٦) ، ص١٨٨ .

(٨) الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ) ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ، تح د. معيد محمد ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٦) ، ج٢ ص١٩٩ .

(٩) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٠٧ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص١٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ص١٧٩ - الشيرازي ، السيد محمد الموسوي ، الفرقة الناجية ، تح فاضل الفراتي ، ط٢ ، دار الأمين للطباعة ، (بيروت / ١٤٢٥هـ) ، ص٦٢٧ .

(١١) أبو مخنف ، لوط بن يحيى الغامدي (ت١٥٧هـ) ، أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي ، تح كامل سلمان الجبوري ، ط١ ، مطبعة دار المحجة البيضاء ، (بيروت / ١٤٢٠هـ) ، ص٤٨ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢١٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦١ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص١٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٢ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٦ ص٢٠٨ .

أمر سليمان بن صرد " ، ولكن يرى ابن كثير^(٣) انه عند مجيء المختار إلى الكوفة وجد الشيعة قد التفتت على سليمان بن صرد وعظموه وهم معدون للحرب .

والذي يبدو ان الرأي الثاني هو الاصبوب من بين هذه الآراء للأسباب الآتية :

١. ان المختار وزعماء الحركة كانوا في السجن في أحداث الطف سنة إحدى وستين^(٤) ، وعندما جاء إلى الكوفة في فترة وجود الحركة التوابية ذهب بعض من أشرف الكوفة من أمثال عمر بن سعد وشبث بن ربعي وقال لأهل الكوفة ان المختار اشد عليكم من سليمان ، لان سليمان خرج لقتال عدوكم والمختار إنما يريد أن يثب عليكم فساروا إليه فأوثقوه بالحديد وخلدوه في السجن^(٥) في حين ظل سليمان يمارس عمله السياسي دون أي ضرر من المختار .

٢. ان المختار وزعماء الحركة التوابية كان هدفهما هو اخذ الثأر وقتل قتلة الإمام (t) وأهل بيته . وقد وضح المختار ذلك بعد خروجه من السجن وذهابه إلى الحجاز حيث قال لابن العرق " فإذا سمعت بـمكان قد ظهرت به فقل إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المرسلين وابن بنت سيد المرسلين ، وابن سيدها الحسين بن علي ، فورك لاقتل بقتله عدة من قتله على دم يحيى بن زكريا " ^(٦) ، وهذا يوضح لنا ان المختار قد حدد هدفه وهو اخذ الثأر لأهل بيت رسول الله (ﷺ) في حين زعماء الحركة لم يعلنوا حركتهم إلا بعد وفاة يزيد .

٣. ان المختار لم ينضم إلى الحركة التوابية بسبب عدم وجود خبرة وتجربة عند زعيم الحركة سليمان بن صرد^(٧) ، لأن المختار كان موجوداً في أحداث الطف في الكوفة ثم أودع السجن وكان معه ، فكان يعرفه أو ربما تعرف عليه في السجن بأنه ليس شخصية قيادية أو عسكرية .

ثم ما يجمع عليه عدد من المؤرخين^(٨) ان المختار خرج من الحجاز إلى الكوفة باسم الدعوة لمحمد بن الحنفية وانه سفيره " ان المهدي بن الوصي بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدم أهل بيته ، والدفع عن الضعفاء ، فكونوا أول خلق استجابة " ، والذي يمكن ان نستخرجه من هذا هو :

٣. ان المختار له الفضل كونه أول من طور فكرة المهدي كمنقذ ديني وإنها فكرة كانت موجهة إلى الطبقات ذات المستوى الاجتماعي الواسع التي نظرت إلى محمد بن الحنفية كمنقذ لها^(٩) .

٤. ان المختار أول من أدرك وحاول ان يعالج التمايز القائم في الحقوق الاجتماعية والاقتصادية بين العرب والموالي^(١٠) .

وعلى ما يبدو ان المختار ربما وجد هذه الصيغة من اجل كسب الشيعة في الكوفة ، لكن هل هذا الخطاب كان سبباً في انقسام الشيعة بالكوفة مثلما يرى بعض المؤرخين^(١١) واحد الكتاب المحدثين .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨١ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١٤ - ابن نما الحلبي ، ذوب النضار ، ص ٨٠ - الشيخ البحراني ، العوالم ، ص ٨٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٢ .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٨٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٠ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٠ .

(٩) دكسن ، الخلافة الأموية ، ص ٦٧ .

(١٠) دكسن ، الخلافة الأموية ، ص ٦٧ .

لم نجد رواية واحدة عند المؤرخين عن سليمان بن صرد الخزاعي تدين عمل المختار بن أبي عبيد الثقفي ، والدليل عن ذلك ان حميد بن مسلم احد رواة الحركة قال : قلت لسليمان ، " ان المختار والله يثبط الناس عنك ، أني كنت عنده أول ثلاث ، فسمعت نفرأ من أصحابه يقولون ، قد كملنا ألفي رجل ، فقال وهب ان ذلك كان ، فأقام عنا عشرة آلاف ، أما هؤلاء بمؤمنين " (٥) ، ومن هنا يبدو لنا ان أهل الكوفة أنفسهم هم السبب المباشر في إخفاق هذه الحركة وليس المختار كونه ادعى بأنه سفير للمهدي ، لأن مسألة المهدي (ع) هي ليست موجودة عند الشيعة من أهل الكوفة فقط وإنما موجودة حتى عند الأمويين في الشام ، فكان خالد بن يزيد بن معاوية يسمي نفسه السفيناني المنتظر (٦) .

أما موقف أهل الكوفة من هذه الأمور فقد أرسلوا وفداً* إلى محمد بن الحنفية للاستفسار عن ما جاء به المختار بن أبي عبيد الثقفي فأجابهم " وأما ما ذكرتم من أمر المختار بن أبي عبيد فوالله لقد وددت ان الله تعالى قد انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه والسلام " (٧) . وفي هذا الجواب أدرك أهل الكوفة انه فعلاً مرسل من ابن الحنفية ، هذا فضلاً عن ان المختار كان يرسل الأموال إلى محمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر (٨) . ولو كانت هذه الشخصيات ترى فيه رؤية غير طيبة لرفضت هذه الأموال ، فضلاً عن ان سبب قتل المختار بالكوفة من مصعب بن الزبير هو لأنه حاول اخذ البيعة في الكوفة إلى محمد بن الحنفية (٩) وخلع عبدالله بن الزبير (١٠) .

ونرى ان شخصية المختار هي من الشخصيات الموالية لآل بيت رسول الله محمد (ع) بالرغم مما كتبه عنها المؤرخون والدليل على ذلك :

ننظر إلى ما قاله الحجاج بن يوسف الثقفي فيه " لله دره رجلٌ ديناً ، ومسعر* حرب ومقارع*
أع
كان " (٤) ، ويقول عنه السيد البراقي (٥) بأنه تربى في وسط شيعي مشبع بالإخلاص والولاء والحب لعلي وأبنائه.

أما موقف الإمام علي بن الحسين (ع) من المختار فلا توجد رواية تثبت ان الإمام (ع) كان يدعو مؤيديه إلى الالتحاق بالمختار لكن يوجد هناك نص يؤيد بأنه مدحه بعد ان وصل إليه رأس

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٦٢٠ - الخربوطلي ، علي حسني ، ١٠ ثورات في الإسلام ، ط١ ، دار الأداب ، (بيروت / ١٩٦٨) - ص ١٦٦-١٦٧ .

(٥) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٢٨٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٨٤ .

(٦) المروزي ، الفتن ، ص ٢٨ .

*الوفد : عبدالرحمن بن شريح الشامي ، سعد بن منقذ ، سعد بن أبي مسعر الحنفي الاسود الكندي ، قدامة بن مالك الجشمي . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٢١٤ ، يذكر سعيد بدلاً من سعد بن منقذ ، ومسعر بن أبي مسعر بدلاً من سعد بن أبي مسعر - المجلسي ، بحار الانوار ، ج٤ ص ٣٦٤ - البحراني ، العوالم ، ص ٦٨٤ .

(٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٣٢٠ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص ٢٢٨ .

(٨) ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٤ ص ٣٣٦ - ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٦ ص ٣٥١ .

(٩) الأشعري ، أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٢٤ هـ) ، مقالات الاسلاميين ، تح هلموت ريتز ، ط٣ ، دار احياء التراث ، (بيروت / بلات) ، ج١ ص ١٨ .

(١٠) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج٢ ص ١٩٨ .

*مسعر : مسعر حرب تعجباً من شجاعته وجراته وإقدامه . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٥ ص ٢٣٦ .

**مقارع : مفردها مقرعة : السوط وكل ما تحركت به . ينظر : هامش البغدادي ، المنق ، ص ٣٦٨ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧٠ .

(٥) تاريخ الكوفة ، ص ٣١٥ .

عبدالله بن زياد وعمر بن سعد ، حيث يذكر الحلي^(٦) أنه لما أتى برأس عبدالله بن زياد ورأس عمر بن سعد قام فخر ساجداً وقال الحمد لله الذي أدرك ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً ، وهذا دليل أن الإمام كان راضياً عن تحركات المختار لأنه أخذ بالثأر من قتلة أهل بيت النبوة ، هذا فضلاً عن أن المختار كان يدعي الكذاب ولكن عبدالله بن عباس قد فند ذلك في محاورته مع عبدالله بن الزبير بعد قتل المختار في الكوفة حينما قال ابن الزبير لابن عباس " ألم يبلغك قتل الكذاب ؟ قال : ومن الكذاب ؟ قال أبي عبيد ! قال : قد بلغني قتل المختار ، قال : كأنك نكرت تسميته كذاباً ، ومتوجع له ، قال : ذاك رجل قتل قتلنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا ، وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة " ^(٧) ، هذا فضلاً عن دور زوجته عمرة بن النعمان بن بشير الأنصاري والدفاع عنه في مسألة وصفه بالكذب وقالت " رحمه الله كان عبداً لله صالحاً " ^(٨) .

٣. التوابون وموقفهم الصعب

لما استهل هلال شهر ربيع الآخر سنة خمسة وستين ، خرج سليمان في وجوه أصحابه ، وكان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة ، فخرج حتى أتى عسكره ، فدار في الناس ووجوه أصحابه ، فلم يعجبه عدة الناس^(١) ، لذلك عمد بالدعوة الإعلامية لأنصار هذه الحركة في الكوفة فأرسل حكيم بن منقذ الكوفي والوليد بن غصين الكوفي ، وقال : اذهبوا حتى تدخلوا الكوفة فناديا " يالثرات الحسين " ^(٢) ، وطافت الخيل تلك بالكوفة ينادون " يالثرات الحسين " ، ونادوا في المسجد الجامع والناس يصلون العشاء " يالثرات الحسين " ^(٣) ، وكان أول من نادى إلى أخذ ثأر الإمام (t) بعد وفاة يزيد^(٤) .

والذي يبدو أن غرض سليمان بن صرد من هذا العمل هو تذكيرهم بالعهود والمواثيق التي أعطوها أهل الكوفة لسليمان " وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليجاهدون ولينصروا " ^(٥) .

وقد أعطت هذه الحملة الإعلامية بعض من ثمارها ولاقت قدراً من التجاوب ولكن المسألة لم تكن في تجمع المؤيدين في أسواق الكوفة ، بل فيمن يمتلك القدرة على الصمود والاستمرار عندما ترفع راية الحرب ويتعالى صوت النفير وهؤلاء لم يتجاوز عددهم في بادئ الأمر ألف مقاتل ، ثم ارتفع إلى أربعة آلاف مقاتل مع التصعيد الإعلامي .

أما أسباب عدم تجاوب أهل الكوفة مع هذه الحركة فهي :

(٦) ذوب النضار ، ص ١٤٤ .
 (٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٧٨ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢٦٥ ، يتوقف الى كلمة صدورنا .
 (٨) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٩ ص ٢٦٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٧٥ .
 (١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦٢٢ .
 (٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٣ .
 (٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٤ .
 (٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٥ .
 (٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٤ .

٥. جو الكوفة المشحون سياسياً والصراعات فيما بينهم وانقسام سكانها إلى فئات زبيرية وتوابية وفئة ثالثة لا مع الزبيرية ولا مع التوابية .

٦. بعض المؤرخين^(١) يعزون ميل بعض الشيعة من أهل الكوفة إلى المختار وهذا ما سبب في قلة عدد أصحاب سليمان بن صرد الخزاعي ، وقد تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية .

٧. هدف الحركة كان يبدو لأهل الكوفة الانتقام فقط ، لذلك كانت تبدو لهم حركة مثالية ليس إلا ، أي إنها مجردة من الأهداف السياسية لذلك لم يشتركوا بها بالرغم من أن أهدافها كانت سياسية بحتة .

٨. خطبة سليمان بن صرد الخزاعي التي أبعدت كثيراً من أصحابه حينما قال " ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فينا نستفيئه ولا غنيمة نغنمها " (٢) ، لأن سليمان بن صرد أدرك أن انضمام البعض من أهل الكوفة إليه وهم معروفون بأنهم مقاتلون من أجل الغنيمة فقط ، فلذلك حدد أن أصحابه هم حملة السيوف والرماح ، أما غيرهم فليسوا من أصحابه (٣) ، لذلك سببت خطبته هذه بتفرقهم عنه .

عندما خرج سليمان وأصحابه من النخيلة دعا حكيم بن منقذ العبدى الناس إلى المبيت في دير الأعور* ، وخطب سليمان فيهم خطبة بعد أن وجد تخلف ناس كثيرين عنه فقال لهم : " ما أحب أن من تخلف عنكم معكم ، ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالاً* " ، أن الله عز وجل كره انبعاثهم فثبطهم ، وخصمكم بفضل ذلك فاحمدوا ربكم (٤) ، والذي يبدو أن أصحاب سليمان بدأوا يتفرقون عنه وهو في مسيره نحو ابن زياد ..

فلما وصل سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه إلى قبر الإمام (t) نادوا صيحة واحدة (٥) " يا رب انا قد خذلنا ابن بنت نبينا ، فاغفر لنا ما مضى منا ، وتب علينا انك التواب الرحيم " (٦) ، ثم اجتمعوا على قبر الإمام (t) اكثر من اجتماع الناس على الحجر الأسود (٧) .

ثم سار سليمان بن صرد من موضع قبر الإمام (t) حتى وصل الحصاصة* ، ثم الانبار*** ثم الصدود**** ، ثم على القيارة***** .

(١) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٦٢٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢١١ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

* دير الاعور : موضع بظاهر الكوفة بناه رجل من اياد ويقال له الاعور بن بني حذافة بن زهر بن اياد . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص٤٩٩ .

** خبالاً : أي فساداً . ينظر : الشيخ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج١ ص٦٢١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٩ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢١٤ .

(٥) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٨ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٩ - أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢١٤ .

(٧) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢١٥ .

*** الحصاصة : وهي من قرى السواد قرب قصر أبين هبيرة من اعمال الكوفة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص٢٦٣ .

**** الانبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ ،، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص٢٥٧ .

***** الصدود : بلدة في الطريق ما بين الشام والطريق . ينظر : ابن مزاحم ، واقعة صفين ، ص٥٢٨ .

***** القيارة : منزل للحاج من واسط على مرحلتين وهو بئر لبني عمل ماؤها غليظ ، وهو قريب من الوحل . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٢١٩ .

والسؤال هو هل قدمت مساعدات لسليمان بن صرد الخزاعي من غير أهل الكوفة ؟ يذكر بعض المؤرخين^(١) ان سليمان وأنصاره قد مروا بجانب قرقيسيا ، فنزل قريب منها ، وكان زفر بن الحارث الكلابي قد تحصن بها بعد هروبه من حمص بعد معركة مرج راهط ، لذلك أرسل سليمان المسيب بن نجية الفزاري وطلب منه ان يخرج ابن عمه سوقا ، والذي يبدو من غرض السوق عند سليمان ان يعرف طبيعة القوى العسكرية التي سوف يحاربها لأنه ربما يعلم ان زفر هو احد الهاربين من معركة مرج راهط ، هذا فضلاً عن المعلومات الأخرى التي سوف يستفسر عنها زفر بن الحارث وأنصاره عن طبيعة المنطقة جغرافياً .

وفعلاً تحقق لسليمان ذلك عندما وصف زفر بن الحارث القوات القادمة وعددهم " وقد جاءكم في مثل الشوك والشجر "^(٢) ، وأمرأؤهم الخمسة* ثم أشار زفر علي سليمان ان تتوحد قواتهما معاً للوقوف بوجه القوات الأموية القادمة من الرقة* باتجاه الجزيرة*** " ان شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها ، فكان امرنا واحداً وأيدينا واحدة ، وان شئتم نزلتم على باب مدينتنا ، وخرجنا فعسكرنا إلى جانبكم "^(٣) ، فرفض سليمان ذلك لان هدفه وطموحه لا يتوافق مع زفر بن الحارث ، وهو نفس ما أشار عليه والي الكوفة قبل خروجه منها^(٤) ، وهذا يعني ان سليمان رفض الآراء والمشاورات من الأطراف السياسية الجانبية لأنه يعلم أنهم يقفون إلى جانبه بسبب ان الخلافة الأموية في الشام لا تتركهم بدون حرب وإعادة مناطقهم إلى أحضان الخلافة الأموية^(٥) .

بعدما أيقن زفر بن الحارث ان سليمان بن صرد الخزاعي مصر على التقدم وجه له مشورة عسكرية هذه المرة بأن يتقدم أولاً ويصل إلى موضع عين الوردية وان يجعل المدينة في ظهورهم حينئذ يكون الرستاق والماء والمادة في أيديهم^(٦) ، وتكون المنطقة من قرقيسيا إلى عين الوردية أمامه ، وكانت هذه المشورة بسبب كره زفر للدولة الأموية^(٧) .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٣ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٢٠ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤ ص١٣٣٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٩ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٤ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٢١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٠ .

*أمرأؤهم : الحصين بن نمير السكوني ، شرحبيل بن ذي الكلاع ، أدهم بن محرز الباهلي ، جبلة بن عبدالله الخثعمي ووايد بن مالك بن ادهم وربيعه بن المخارق الغنوي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٠ ، ويضيف ابن الاثير عبيدالله بن زياد .

**الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران أيام معدودة في بلاد الجزيرة ، لأنها في جانب الفرات الشرقي . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص٥٩ .

***الجزيرة : يريد بالجزيرة التي بين دجلة والفرات . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ص٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٠ .

(٣) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٢١ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٠ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٢١ .

ثالثاً. موقف الخلافة الزيرية من حركة التوابين

٣. موقف أهل الكوفة من عبدالله بن الزبير

بعد وفاة يزيد بن معاوية ٦٤هـ / ٦٨٣م^(١)، بدأت استجابة الناس إلى حركة التوابين تتضاعف " فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والنفر بعد النفر " ^(٢) ، بسبب ضعف أمر نائب الوالي وهذا ما عبر عنه أهل الكوفة حينما قالوا لسليمان " قد مات هذا الطاغية والأمر الآن ضعيف " ^(٣) ، لذلك بدأت مرحلة جديدة من انتقال العمل في الحركة التوابية من مرحلتها السرية والعمل تحت جنح الظلام إلى دور النشاط العلني والمجاهرة الصريحة ، وعند ذلك أعلن أهل الكوفة حركتهم وهاجموا دار الإمارة وطردوا ممثل ابن زياد الذي كان يقيم في البصرة والذي تعرض بدوره لحركة مماثلة ، وقد أعقب ذلك خلال تلك الفترة من الفراغ في السلطة إلى ان جرى تسليم الحكم إلى رجل اتفق عليه وجهاء الكوفة وزعمائها وهو عامر بن مسعود* ، الذي ما لبث ان دان بالولاء لعبدالله بن الزبير حيث تمكن من توطيد مركزه في الكوفة ^(٤) .

ولم يكن هذا الإجراء عائداً إلى اقتناع الكوفيين بسلامة هذا الموقف ، وإنما كان ضرورة اقتضتها المصلحة ليس أكثر ، فالأشراف يبدو أنهم هم الذين شغلوا دوراً بارزاً في حركة التمرد ضد نائب ابن زياد وما قاله يزيد بن الحارث بن يزيد إلا دليل على ذلك " الحمد لله الذي أراحنا من ابن سمية أنحن نبايعه ، لا ولا كرامة " ^(٥) ، وجاء موقف الأشراف هذا بعد ان رياح الحركة الحجازية بدأت تهب بشكل عاصف على العراق فسارعوا إلى التودد لابن الزبير لضمان مصالحهم السياسية والاقتصادية واستمراراً لها ، أما زعماء الحركة التوابية فقد أظهروا استنكافهم عن تسلم الحكم بالرغم من توفر فرص النجاح آنذاك عندهم إلا أنهم أراؤا المسير وفق الخطة التي وضعها لهم اجتماعهم الأول في دار سليمان وتدور حول هدف محدد ثابت هو الانتقام لقتلة الإمام (ت) وما قاله سليمان بن صرد الخزاعي إلا دليل على ذلك حينما قال " أيها الناس ، من كان إنما أخرجه أراد وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ... ، ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فيناً نستفيئه ولا غنيمة نغنمها " ^(٦) .

لذلك بايع أهل الكوفة عبدالله بن الزبير وبسرعة أصبحت الكوفة تابعة إلى خلافة عبدالله بن الزبير الذي كان يحمل في نفسه ما يحمله أهل الكوفة من الكره والحقد للخلافة الأموية ، لكن هذا لا يعني بأن زعماء الحركة التوابية قد بايعوا عبدالله بن الزبير بل أنهم رفضوا الاعتراف حتى بهذه الخلافة وما قاله سليمان بن صرد إلا دليل على ذلك " أنا وهؤلاء مختلفون ، ان هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

* عامر بن مسعود : عامر بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي المكي القريشي ، له صحبة وله حديث في صوم الشتاء ، روى عنه عبدالعزيز بن رفيع وكان يلقب بحروجة العجل . ينظر : أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٥٨ - البغدادي ، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) ، الكفاية في علم الرواية ، تح أحمد عمر هاشم ، ط١ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، (١٤٠٥هـ) ، ص٦٨ - الذهبي ، الكاشف في معرفة من رواة في الكتب الستة ، ج١ ص٥٢٦ - ابن المبرد ، يوسف بن عبد الهادي

(ت ٨٤٠هـ) ، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ، تح د. روحية عبدالرحمن السويقي ، ط١ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٣هـ) ، ص٨٢ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ص٦١٨ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٣٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

ابن الزبير ، ... ، ان لنا شكلاً ، وان لابن الزبير شكلاً^(١) ، لذا فقد كان أهل الكوفة وكما اشرنا سابقاً منقسمين إلى عدة فئات منها أتباع سليمان بن صرد الخزاعي وأخرى مع أشراف أهل الكوفة وفئة أخرى منعزلة عن هذه الفئات السياسية والتي استطاع المختار عندما جاء إلى الكوفة ان يأخذ بيعتها وخاصة مناطق أطراف الكوفة ، وهذا ما جعل الأوضاع السياسية في الكوفة مفككة يسهل اختراقها لمن يجيد القابلية في الكلام والإقناع والحجة عليهم ، فاستغل المختار هذا الوضع .

٤. موقف والي الكوفة من حركة التوابين

بعد هلاك يزيد بن معاوية بستة اشهر^(٢) ، قدم المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكوفة في النصف من شهر رمضان^(٣) ، وبعده بثمانية أيام^(٤) ، قدم من عبدالله بن الزبير الوالي الجديد عبدالله بن يزيد الانصاري* ، والياً عليها وإبراهيم بن محمد بن طلحة** عاملاً للخارج^(٥) .

ويبدو ان إرسال الوالي الجديد من ابن الزبير إلى الكوفة ربما بسبب معرفته بشخصية المختار وأثره في مجتمع الكوفة وانه كان يتخوف منه " فوالله لهو احذر من ذنب قد أطاف به السباع " ^(٦) ، لكن كيف تعامل الوالي الجديد بالكوفة ؟ وكيف ناصره الأشراف ؟ وهل سياسته تجاه الحركة كانت ناجحة ؟

يذكر الطبري^(٧) ، ان يزيد بن الحارث الشيباني قدم إلى الوالي وحثه على محاربة الحركة التوابية حينما قال له " ان الناس يتحدثون ان هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد ، ومنهم طائفة أخرى مع المختار ، ... ، فأنت رأيت ان تجمع الشرطة المقاتلة ووجوه الناس ، ثم تنهض إليهم ، ونهض معك " .

والذي نكتشفه من هذا انه وضع الوضع السياسي في الكوفة ونوعية القوتين السياسيتين الموجودتين فيها وإبداء المساعدة إليه في حربه ضد الحركة التوابية ، وهذا يعني أن موقف يزيد بن الحارث كان ضد كل من يريد ان يقف او يعرقل الوالي الزبيري في الكوفة .

أما والي الكوفة فكان رأيته بمنتهى الفطنة السياسية وبرز موقفه من الحركة التوابية بعد ان عرف هدف الحركة " ، ... ، الله بيننا وبينهم ، ان هم قاتلونا قتلناهم ، وان تركونا لم نطلبهم ، ... ، لعن الله قاتل الحسين ، ... ، فوالله ما أنا قتلت حسيناً ، ولا أنا ممن قاتله ، ولقد أصبت بمقتله رحمه الله عليه ، فأن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين ، ... ، وأنا لهم على قاتله ظهير " ^(٨) . وبهذه الكلمات استطاع الوالي ان يكسب لنفسه ولمستقبله السياسي مجموعة من الأهداف السياسية المهمة أبرزها :

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٣) أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٤) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٥٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

*عبدالله بن يزيد : عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصين بن عمرو بن الحارث بن خزيمة ، شهد الحديبية وهو ابن سبع سنين وقد رأى النبي محمد . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٥٦٠-٥٦٢ .

**إبراهيم بن محمد : إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله النعيمي أبو اسحاق المدني ، الاعرج . ينظر : أبو مخنف ، مقتل

الحسين (ت) ، ص٢٥٩ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص١٣٩ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦١ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦١-٥٦٢ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

٥. كسب ود شيعة سليمان بن صرد الخزاعي إلى جانبه بعد ان عرف ان اتجاههم السياسي ضد ابن زياد " فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين " (٢).

٦. عدم إثارة النزاع بين أشرف الكوفة وقادة الحركة التوابية وبالتالي كسب الاثنين معاً .

٧. أراد الوالي ان يوجه زعماء الحركة نحو جيش ابن زياد الذي أخرجه مروان بن الحكم نحو قرقيسيا ومنها إلى العراق " وانه قد أقبل إليكم أعدى فلق الله لكم " (٣).

٨. حدد الوالي العدو المباشر لأصحاب الحركة من خلال ما قاله لهم " من ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يقتلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذي قتلكم ومن قبله أتيتم والذي قتل من تتأرون بدمه " (٤) ، وربما أدرك والي الكوفة ان هدفهم هو عبيدالله بن زياد لذلك فإنه قد وصفه ووصف أبيه كذلك وكيف كانت سياستهما .

وبعد كلام الوالي قام إبراهيم بن محمد بن طلحة وخطب خطبة أخرى فيها تهديد ووعد " والله لننخرج علينا خارج لنقتلنه ، ولنن استقينا ان قوماً يريدون الخروج علينا لنأخذ الوالد بولده والمولود بوالده ، ولنأخذن الحميم بالحميم ، ... ، والعريف بما في عرافته حتى يدينوا للحق ويدلوا للطاعة " (٥) ، ويبدو ان ما قام به الوالي من محاولة كسب لزعماء الشيعة قد ساء عامل الجزية له ، فخطب فيهم وذكرهم بسياسة بني أمية التي مارسها في أهل الكوفة قبل مجيئهم مما حدا بالمسيب بن نجبة الفراري ان يرد عليه وان يذكره بأن سياسة البغض التي وعدهم بها هي سياسة أبيه وجده مع شيعة الإمام علي

(t) " وقد قتلنا أباك وجدك " (٦) ، ثم قدم عليه عبدالله بن وال التميمي الذي رد عليه بأنه عامل جزية وليس له بأمور السياسة شيء " ولا لك علينا سلطان ، إنما أنت أمير الجزية ، فأقبل على خراجك " (٧) ، وأنه ابن الناكثين من أبيه وجده ، ثم قدموا على عبدالله بن يزيد بسبب غضب الناس من عمال إبراهيم بن محمد بن طلحة (٨) ، عند ذلك أقسم إبراهيم ان يكتب إلى عبدالله بن الزبير ، فعلم عبدالله بن يزيد ما نوى عليه إبراهيم ، فجاءه وأقنعه بأن الغرض من عمله هذا هو التوحد وعدم التفرقة " فرأيت ان أقوم فيهم بما سمعت إرادة ألا تختلف الكلمة ، ولا تتفرق الألفة وألا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم " (٩) .

ويبدو أن الوالي قد قرب زعماء الكوفة وأشرفها الذين ساهموا في قتل الإمام (t) وفي الوقت نفسه اتاح لزعماء الحركة التوابية ان يمارسوا نشاطهم السياسي وبالنتيجة فإنه استفاد كثيراً من هذه السياسة ودليل ذلك ان إبراهيم بن محمد بن طلحة عندما أراد الكتابة إلى ابن الزبير عن خطبته علم عبدالله بن يزيد عن طريق الأشرف* ما أراد نائبه عامل الخراج عمله ، لذلك يتبين لنا أنه كان يقربهم إليه حتى يحاول ان يلاقيهم مع زعماء الحركة التوابية من اجل ان ينقلوا إليه أخبار الكوفة ، هذا فضلاً عن منعهم من الاصطدام مع زعماء الحركة " قال عبدالله بن يزيد لكل رجل معروف قد علم انه شرك في دم الحسين ، لا تصحبني إليهم مخافة ان ينظروا إليه فيعدوا عليه " (١٠) ، في حين انه امر عمرو بن حريث المخزومي ان يصلي بالناس ان تأخر هو عنهم " (١١) .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣-١٦٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٣ .

*الأشرف : شيبث بن ربعي ، يزيد بن الحارث بن رويم . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٧ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ .

ويبدو ان عبدالله بن يزيد قد اعتمد على الأشراف من أهل الكوفة من اجل وحدة الكلمة ، هذا فضلاً عن ان اشراف الكوفة كانوا يظهرون الولاء لكل الولاة الذين يحكمونهم ، وهذا من مساويء الأخلاق^(٥)

لكن هل قدم عبدالله بن يزيد الأنصاري مساعدات مالية الى زعماء الحركة التوابية ؟

لا توجد هناك رواية واحدة تقول ان الوالي قدم مساعدات (عينية أو مالية) إلى قادة الحركة التوابية ، لكن توجد هناك رواية اجمع عليها بعض المؤرخين^(٦) هي " ان عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة قد عرضا على سليمان بن صرد ان يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشام على ان يحضاه وأصحابه بخراج جوخي ** خاصة لهم دون الناس " ، والذي نكتشفه من هذا النص ان هناك شروطاً قد وضعت على سليمان منها الإقامة في الكوفة والقتال تحت سيطرة والي الكوفة ، لذلك رفض سليمان ذلك .

اما أسباب الرفض فهي :

٢. ما قاله سليمان بن صرد الخزاعي بأن العمل مع ابن الزبير هو ضلالة " ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً " ^(٧) ، وهذا يدلنا على أن سليمان وأنصاره كانوا لا يعترفون بشرعية خلافة ابن الزبير .

٥. ان سبب رفض سليمان بن صرد اقتراحات والي الكوفة تخوفه من الوالي نفسه بسبب وجود أشراف الكوفة بجانبه الذين يقترحون عليه الأمور التي يريدونها وهم أنفسهم من راسل الإمام

(t) وخذلوله خوفاً على مصالحهم العامة والخاصة ، وما يدل على خوف سليمان من الوالي ان الطبري^(٨) يذكر " ان سويد بن عبدالرحمن اتى سليمان بن صرد فقال له : ان عبدالله وإبراهيم يقولان : انا نريد ان نجيتك الآن لأمر عسى الله ان يجعل لنا ولك فيه صلاحاً ، ... ، قال سليمان لرفاعة بن شداد البجلي : قم أنت فأحسن تعبئة الناس فأذن الرجلين قد بعثا بكيت وكيت " ، وهذا النص يوح لنا أن سليمان بن صرد كان يتحاشى الأشراف بسبب ما عرفوا به من سمات الغدر والمكر .

٦. ان احد أهداف الحركة هو ان تعود الخلافة إلى أهل بيت النبي محمد (ﷺ) " وانا ان نحن ردنا هذا الأمر إلى أهله " ^(٩) ، لذلك رفض العمل مع الوالي تحت خلافة ابن الزبير .

٧. ان عبدالله بن زياد كان خارجاً إلى العراق بجيش كثيف في محاولة لإعادته إلى سيطرة الخلافة الأموية^(١٠) ، لذلك حاول والي الكوفة جاداً في إبقائهم إلى جانبه ليستفيد منهم كمقاتلين وما قوله في خطبته " فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين ، فقد اقبل إليهم " ^(١١)

(٥) القرشي ، باقر ، مسلم بن عقيل (t) ، ص ١٩٥ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٨٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٧ .

**خراج جوخي : بلغ خراجة ثمانين ألف ألف ، وهي بلد بالعراق ، وهو ما سقى من نهر جوخي . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ص ٤٠٢ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٢ .

(٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٧٨ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٢ - جمال الدين ، الحياة السياسية في الدولة العربية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، ص ١٣٩ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٠ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٣ .

مربعاً. أسباب إخفاق الحركة ونتائجها

٣. أسباب إخفاق حركة التوابين

هناك مجموعة من العوامل ساهمت في إخفاق حركة التوابين من أبرزها هي :

٨. تخاذل أهل الكوفة عن نصره سليمان بن صرد الخزاعي وأنصاره في الوقت الصعب من الحركة ولم يذهب مع سليمان سوى أربعة آلاف رجل من ضمن المبايعين له في الديوان^(١) ، إضافة إلى تخلف طائفة من الناس عنه في أثناء مسيره نحو الشام^(٢) ، في حين أن أصحاب مروان بن الحكم كانوا ستين ألفاً^(٣) .

٩. خطبة سليمان بن صرد الخزاعي حينما قال لهم : " من كان إنما أخرجته إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ... ، ومن كان يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فينا نستقينه ولا

(١) الذهبي ، العبر في خير من غير ، ص ٧٢ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مد٤ ج ٨ ص ٦٢٣ .

(٣) ابن عماد الحنبلي ، شذرات من ذهب ، ج ١ ص ٧٣ .

- غنيمة نغمها ، ... ، فمن كان غير هذا فلا ينوي فلا يصحبنا " (٤) ، كان لهذه الخطبة تأثير كبير في تفريق المتطوعين للحرب لأن البعض كان يسعى وراء الغنائم .
- ١٠ . ان طبيعة تكوين عدة جيش التوابين يعتمد على تبرعات المقاتلين وأهلهم (٥) ، لذلك عين سليمان بن صرد عبدالله بن وال التميمي لجمع هذه التبرعات (٦) ، في حين ان الجيش الأموي كان كامل العدد (٧) .
- ١١ . عدم الاتفاق في الآراء ، فيما بين قادة الحركة أنفسهم ، فمثلاً كان رأي عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي وهو احد ابرز زعماء الحركة يدعمه رأي أغلبية الشيعة الذين معه ان يبدأوا بالكوفة ويقتلوا قتلة الإمام (٨) ، عمر بن سعد ورؤوس الأرباع وأشرف القبائل (٩) ، لكن سليمان رفض ذلك ، لذلك ولدت هذه الأمور اختلافاً في الرأي وهي أول علامات الاختلاف بين زعماء الحركة .
- ١٢ . تمركز نشاط الحركة في مركز الكوفة دون أطرافها ، فعندما جاء المختار من الحجاز إلى الكوفة بايعته القبائل العربية الساكنة في الحيرة (جبانة كندة ، وبني بداء ، بني هند) (١٠) .
- ١٣ . لم يقدم والي الكوفة عبدالله بن يزيد الانصاري ، مساعدات تذكر إلى قادة الحركة التوابية لكنه عرض عليهم ان يقيموا معه ، ويدافعوا عن الكوفة مقابل إعطائهم خراج جوخي (١١) ، فرفض سليمان وأنصاره ذلك لانه يعني العمل تحت ظل خلافة ابن الزبير .
- ١٤ . تأخر وصول قوات أهل المدائن والبصرة إلى منطقة القتال ، وحينما وصل سعد بن حذيفة إلى منطقة هيت* استقبله الإعرابي فأخبره بما لقي الناس فانصرف فتلقي المثنى بن مخزومة العبدي الذي جاء في ثلاثمائة من أهل البصرة (١٢) ، بصندوقاء فأخبره (١٣) ، فرجع الى العراق .

٤ . نتائج حركة التوابين

- ان حركة التوابين قد أخفقت وبالرغم من ان احد الكتاب المحدثين (١٤) قال بأنها لم تحقق أهدافها إلا أننا نرى إنها حققت النتائج الآتية :
- ٥ . إنها حركة بعثت روح التضحية والجهاد في الأمة الإسلامية بعد ان رفضت كل الأحداث السياسية الجانبية في الكوفة ورسمت طريقها إلى حق الاستشهاد والتكفير عن الذنب .
- ٦ . إنها حركة رفضت الخلافة الأموية متمثلة بيزيد بن معاوية وكذلك الخلافة الزبيرية متمثلة بعبدالله بن الزبير ووجدت ان الخلافة حق كان لبنى هاشم (١٥) .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

(٥) ابن ماكولا ، اكمل الدين ، ج١ ص٤١٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٥ .

(٧) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٨ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٧ .

* هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص٤٥١ .

(١١) ابن ماكولا ، اكمل الدين ، ج٧ ص٢١١ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ص٢٣١ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٦٠٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٥ .

(١٣) نبيلة عبدالمنعم داود ، نشأة الشيعة الإمامية ، ط ١ ، دار المؤرخ العربي ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ص ٧٨ .

(١٤) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (٨) ، ص ٢٥٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ .

٧. إنها حركة تسير وفق خطة مدروسة وثابتة وإلا لماذا حددوا المكان والزمان لخروجهم وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على التهيؤ الكامل لها ونجاحها في رسم الموعد المحدد لها .
٨. إنها حركة وجهاء وقراء الكوفة من الشيعة فقط .

خامساً . الخوارج في البصرة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م

بعد ان جمع الخوارج الجموع الكثيرة خرجوا* من البصرة إلى الأهواز** ، فغلبوا عليها وعلى جميع كنوزها وقتلوا أعمالها^(١) ، وجبوا أموالها^(٢) ، ورئيسهم هو أبو راشد^(٣) ، نافع بن الأزرق الحنفي وقد بايعته الازارقة وسموه أمير المؤمنين^(٤) .

إزاء هذه الإحداث السياسية كتب والي البصرة عبدالله بن الحرث إلى عبدالله بن الزبير أخبره أن الخوارج أخذوا الأموال وقتلوا العمال والناس في الأهواز وقد لحق بهم من لحق من أهل البصرة وغيرهم ممن كان على دينهم ويرى رأيهم ، فكان رد ابن الزبير سريعاً بعد وصول الكتاب إليه ، فقام واليه بجمع أشرف*** البصرة ، وعرض عليهم الأمر قبل ان يكثر جمع الخوارج ان يختاروا رجلاً

*كان خروجهم بسبب اختلاف في العقائد لكن ظل في البصرة عبدالله بن أباض وعبدالله بن صفار واتباعهما . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٧ .

**الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس وسوق الأهواز من مدنها . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ص٢٨٥ .

(١) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص١٧٨ .

(٢) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٨ .

(٣) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٦٠ .

(٤) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص١٧٨ .

***أشراف البصرة : الاحنف بن قيس التميمي ، سويد بن منجوق الذهلي ومالك بن مسمع الجحدري . ينظر : ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص١٧٩ .

لقتالهم يرتضيه أهل البصرة وانه يسنده بالمال والسلاح والرجال^(٥) ، فطلبوا مهلة ثلاثة أيام ليختاروا الرجل المناسب لهذا الأمر ، وبعد انتهاء المدة^(٦) ، تم الاتفاق على مسلم بن عبيس بن كرز القرشي*** ، الذي جمع الجموع معه فخرج معه سبعمائة رجل لقتال الأزارقة ، وكان ابن الأزرق هو الآخر قد اشتدت شوكته وكثرت جموعه وأقام بالأهواز يجبي الخراج ويتقوى به ثم أقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر ، يريد قتال أهل البصرة الذين ساروا باتجاه الخوارج يريدون حربهم والقضاء عليهم^(٧) .

ثم خطب ابن عبيس القرشي خطبته المشهورة بأنه لم يخرج لامتياز ذهب ولا فضة ، واتي ليحارب قوماً ان ظفر بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم ، فمن كان الجهاد شأنه فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع ، فرجع نفر يسير منهم ومضى الباقيون معه ، فلما صاروا بدولاب* خرج إليهم نافع فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيول وكثرت الجراح وتضاربوا بالسيوف فقتل كل من ابن عبيس القرشي ونافع بن الأزرق^(٨) .

وبعد مقتل نافع بن الأزرق لم يتوقف الخوارج في نشاطهم وإرادتهم بالتوجه نحو البصرة^(٩) ، وتم اختيار عبدالله بن الماحوز** ، قائداً للخوارج ، فوجد الاحنف بن قيس إن أفضل من يقاتل الخوارج هو المهلب بن أبي صفرة*** ، لما يعلم فيه من الشجاعة والرأي والمعرفة بالحرب^(١٠) ، وكان آنذاك المهلب والياً على خراسان ، فذهب إليه أشراف أهل البصرة وواليتها فاعتذر عن ذلك ، لذلك زوّروا كتاباً وأرسلوه إليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتاب ، عند ذلك جاء إلى قتالهم^(١١) .

فعندما جاء المهلب إلى البصرة ، أخذ باختيار اثني عشر ألف رجل من أهلها ممن يعرف بالشجاعة وخرج المهلب لقتالهم - الخوارج - وهم عند الجسر الأصغر ، فحاربهم وهو في وجوه الناس وأشرفهم فدفعهم عن الجسر ولحق بهم نحو الجسر الأكبر ، فلما رأوه قد قاربهم ابتعدوا عنه^(١٢) ، وكان المهلب يعرف إخبارهم عن طريق جواسيسه الذين سيرهم إلى معسكر الخوارج ، فلما علم أنهم بالأهواز ، استخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر تيري*** وذهب هو بجيشه نحو الأهواز فلما

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٨ .

(٦) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٥٢٣ .

****مسلم بن كرز : مسلم بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وكان فاضلاً . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٧٥ .

(٧) ابن اعثم الكوفي ، هامش الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٩ .

*دولاب : موضع بقرب الاهواز . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ص ٥٦٣ .

(٨) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٩ - النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٥٢٣ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٥ .

**عبدالله بن الماحوز : عبيدالله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي . ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ص ١٤٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٤ ص ١٩١ .

***المهلب بن أبي صفرة : المهلب بن ظالم بن سراف بن صبح ابن كندي بن عمرو بين عدي بن وائل بن الحارث بن العشيك بن الازد بن عمران . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٣٦٧ - ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ ص ٣٨٧ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٦ .

(١١) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٨٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٦ .

(١٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٦ .

****نهر تيري : قرية بنواحي البصرة . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ٥ ص ٥٤٣ .

وصلوا قاتلت الخوارج مقدمته وعليه ابنه المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة ، فجال أصحابه ثم عادوا^(٦) .

فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى مناذر**** ، فسار يريداهم ، فلما قاربهم سير الخوارج جمعاً عليهم واخذ مولى أبي صفرة إلى نهر تيرى وبها المعارك فقتلوه وصلبوه وبلغ الخبر إلى المهلب فسير ابنه المغيرة إلى نهر تيرى ، فأنزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة وعاد إلى أبيه وقد نزل سولاف* .

والذي يبدو أن المهلب كان قيادي شديد الاحتياط والحذر لا ينزل إلا في خندق وهو على مهارة في التعبئة ويتولى الحرس بنفسه وما حربه وأصحابه ضد الخوارج في يوم سولاف إلا دليل هذه التعبئة وقتالهم وصبرهم ضد الخوارج ، فيذكر ابن الأثير^(١) إن المهلب قد نزل قريباً من الخوارج وخندق عليهم ووضع المسالحي وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة فكان الخوارج إذا أرادوا بياتته وغرته وجدوا أمراً محكماً فرجعوا فلم يقاتلهم إنسان كان اشد على الخوارج من المهلب .

وعندما التقى المهلب وأصحابه مع الخوارج في قتال شديد ظل نهاراً كاملاً وبعد أن رأى الخوارج شجاعتهم شدوا عليهم شدة منكراً ، فأجفلوا وانهمزوا حتى بلغت الهزيمة أهل البصرة وخاف أهلها السبي ، لذلك أسرع المهلب حتى سبق المنهزمين وصعد إلى مكان مرتفع وحث الناس إليه فأجابه ثلاثة آلاف أكثرهم قومه من الأزد ، فلما رآهم في عدتهم فخطبهم وحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم أن يأخذ كل رجل منهم عشرة أحجار ، وأمرهم أن يسيروا في طلب الخوارج لأنهم آمنون الآن بسبب خروجهم في طلب الهاربين من أنصار المهلب^(٢) ، فلقبهم عبدالله بن الماحوز والخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالأحجار حتى اثخنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف فاقتتلوا ساعة وقتل عبدالله بن الماحوز^(٣) ، في موضع سلي* سلبري^(٤) ، وقتل عدد كبير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم ، وقال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة^(٥) :

أتانا بأحجار ليقتلنا بها وهل تقتل الأقران ويحك بالحجر

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٧ .

****مناذر : قرية من قرى الأهواز ، وهي قريتان ، مناذر الكبرى ومناذر الصغرى ، ويبدو ان المقصود هنا مناذر الصغرى التي كان بها انحياز عبيدالله بن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج فيها . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ص١٢٦٣-١٢٦٤ .

*سولاف : قرية في غربي دجيل من ارض خوزستان قرب مناذر الكبرى . ينظر الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص٢٨٥ .

(١) الكامل ، ج٤ ص١٩٨ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٩ .

(٣) الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ص٤٢ .

**سلي سلبري : موضع بناحية الأهواز معروف . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ص٧٤٨ .

(٤) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ص٧٤٨ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧ ص٣٧٩ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠٠ .

وبهذا استطاع المهلب من كسر شوكة الخوارج فخرجوا إلى كرمان *** وجانب أصفهان *** ، والذي يبدو إن الخوارج كانوا مضطهدين من قبل الخلافة الأموية وابن الزبير ولم يتخلصوا من اضطهادهم حتى خارج إقليم العراق بسبب تفقههم بالدين .

الخاتمة

بعد أن بيّنا الأوضاع السياسية في العراق والحجاز (٦٠-٦٥هـ / ٦٧٩-٦٨٤ م) ، توصل في دراسته إلى النتائج الآتية :

١. أن سياسة بني أمية كانت ضد مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، ويتضح ذلك من خلال ، التمثيل بجسد الميت ، سبّ صحابة رسول الله (ص) ، وبالأخص الإمام علي (ع) ، هذا فضلاً عن انتهاك حرمة المدن المقدسة من أجل مناصبهم السياسية كمكة والمدينة .
٢. أن ثورة الإمام (ع) عكست أسباب صلح الحسن (ع) مع معاوية ، لأنه في ثورته وضع طبيعة أهل الكوفة الاجتماعية وما يمتاز به من تناقضات ، لذلك لم يكن صلح الإمام الحسن (ع) شيئاً اعتباطياً وإنما جاء من أجل أن يثبت حقيقة غدر وتخاذل أهل الكوفة .
٣. أن ثورة الإمام (ع) كشفت ضعف سياسة يزيد بن معاوية وعدم أخذه بنصيحة أبيه معاوية بن أبي سفيان " فأن ظفرت بالحسين فلا تقتله " .
٤. أن الإمام (ع) كان يريد الشهادة ، فهو يعرف بأن بني أمية أقوى من أن يستطيع القضاء عليهم بهذه الثورة ، وهو لا بد هالك في سبيله الذي سار فيه ، ولعله أراد بهذه الشهادة أن تكون صرخة مدوية تقض مضاجع بني أمية ، وهي التي مهدت للقضاء عليهم فيما بعد .
٥. أن ثورة الإمام (ع) قد وضحت لأهل الشام بأنهم ليسوا من الخوارج مثلما كان التضييل الإعلامي ضدهم ، وقد وضع الإمام علي بن الحسين (ع) وزينب بنت علي (ع) ، هذا الدور ، لذلك نقول بأن هذه الثورة هي ثورة سياسية وإعلامية ، فالأولى قادها الإمام (ع) والثانية قادها الإمام علي بن الحسين (ع) مع عمته زينب بنت علي (ع) .
٦. أن حركة عبدالله بن الزبير كانت ذات جذور لكنها لم تظهر إلا بعد استشهاد الإمام (ع) ، لأن استشهاداه وُلد استياء لدى الناس في الأمصار وبالأخص في العراق والحجاز من سياسة يزيد وأعوانه .
٧. أن حركة عبدالله بن الزبير لم تقدم عوناً أو مساعدات تذكر لكثير من الحركات والثورات التي ظهرت طوال فترة الدراسة وبالأخص ثورة أهل المدينة وحركة التوابين .
٨. أن حركة عبدالله بن الزبير قد جمعت كل التيارات السياسية المناوئة للسلطة الأموية في حصار الكعبة الأول ، ولكن بسبب عدم فطنة ابن الزبير السياسية تفرقت عنه هذه الأطراف لتعمل ضده من جديد أمثال الخوارج والمختار بن أبي عبيد الثقفي .
٩. أن حركة عبدالله بن الزبير قد امتدت إلى إقليم الشام وأصبح هذا الإقليم موالياً له عدا الأردن ، وهذا يدلنا على توسع نفوذ عبدالله بن الزبير في الأمصار الإسلامية لكنه لم يحسن التصرف .
١٠. أن ثورة أهل المدينة ضد يزيد بن معاوية كانت بسبب سوء سيرته ، وكانت خاصة بأهل المدينة حصراً ، ولم تكن هناك أي مساعدات أو تداخلات جاءت إليهم من الأمصار الإسلامية مما سهل على الأمويين القضاء عليهم خاصة بعد أن قدم بنو حارثة المساعدة لهم بالدخول إلى المدينة عن طريق الحرة الشرقية .

***كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٤٥٤ .

****أصفهان : مدينة مشهورة وتعرف بجي وهي الآن تعرف بشهرستان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص٢٠٨ .

١١. أن من أسباب إخفاق ثورة أهل المدينة هو زعماء الثورة أنفسهم إذ ليس فيهم قياديون عسكريون أو سياسيون لأنهم اخطأوا عندما حاصروا بني أمية في دار مروان بن الحكم لأن حصارهم كان ضعيفاً ، هذا فضلاً أنهم بعد أن علموا بقدوم قوات مسلم بن عقبة المرى أخرجوهم من المدينة وهذا ما أدى إلى مساعدتهم لمسلم وأنصاره وتوضيح طبيعة وإمكانات المقاتلين في المدينة .
١٢. بسبب واقعة الحرة سنة ٦٣ هـ / ٦٨٧ م وما نتج عنها من خسائر فأن أهل المدينة لم يستطيعوا أن يقفوا بوجه أي تعرض لهم مهما كان صغيراً ، لذلك أدرك ابن الزبير ذلك عندما قدم المدينة الحنتف بأمر من مروان بن الحكم ، وجدنا ابن الزبير قد استعان بأهل البصرة لمحاربتهم وقتالهم وأخذ ثار أهل المدينة في يوم الربذة المعروف .
١٣. اعتراف معاوية بن يزيد بن معاوية بأن الخلافة حق لبني هاشم وقد أخذ منهم ، وهذا رد اعتبار كبير لهم .
١٤. ظهور أول بوادر أعطاء ولاية العهد لأكثر من واحد من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي جرت بين مروان بن الحكم وخالد بن يزيد وعمرو بن سعيد الأشدق .
١٥. رغبة أهل الشام من القبائل الكلبية واليمانية في بقاء الخلافة الأموية في الشام بدلاً من نقلها إلى الحجاز ، وقد وحدوا صفوفهم في مؤتمر الجابية من أجل تحقيق هذه الرغبة .
١٦. كان من نتائج مؤتمر الجابية انتقال الخلافة من الفرع السفيني إلى الفرع المرواني وعدم رجوعها إليهم .
١٧. ان حركة التوابين سرية في مركز الكوفة في بادئ الأمر - أي قبل وفاة يزيد - فلم تستقطب الناس الموجودين خارجها ، لذلك قد يكون هذا احد أسباب إخفاقها .
١٨. لم يتوافق هدف وطموح زعماء الحركة التوابية مع والي الكوفة وكذلك مع زفر بن الحارث ، بسبب اختلاف الأهداف الرئيسية لكل الأطراف .
١٩. ان حركة التوابين ناجحة جداً في رسم أهدافها وتحقيق خطواتها ودليل هذا النجاح هو انضمام بعض زعماء الشيعة في البصرة والمدائن وموافقتهم على اللقاء في النخيلة سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م .

أولاً. خلافة يزيد بن معاوية ٦٠-٦١ هـ / ٦٧٩-٦٨٠ م

بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ستين من الهجرة^(١) ، كان قد أوصى لأبنه يزيد وصية تدل على عقله وخبرته بالأمور ومعرفته بالرجال " يا بني أني قد كفيتك الشد والترحال ، ووطأت لك الأمور ، وذلت لك الأعداء ، وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد ، فأنظر أهل الحجاز فأنهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم ، وتعهّد من غاب ، وأنظر أهل العراق فأن سألوك أن تعزل كل يوم عاملاً فأفعل ، فأن عزل عامل أيسر أن يشهر مائة ألف سيف ، وأنظر أهل الشام ، وليكونوا بطانتك وعيبك فأن نابتك شيء من عدوك فأنتصر بهم ، فإذا أجليتهم فأردد أهل الشام إلى بلادهم ، فأنهم أن قاموا بها تغيرت أخلاقهم "^(٢) .

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا النص عدة أمور منها :

(١) الدنيوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) الاخبار الطوال ، تح عبد المنعم عامر ، طبع مكتبة المثنى ، (بغداد / ١٩٥٩) ص ٢٢٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٢ - ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ) ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، تح محمد بن عوض بك وعلي حازم ، مطبعة المعارف ، (مصر / ١٩٢٣ م) ، ص ١٠٤ .

٩. أخذ البيعة على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعد والإخافة والتهديد والرغبة^(٣).
١٠. أوصاه بأهل الحجاز خيراً بعد أن جعل النخبة منهم (قريش وغيرهم) تغرق في الترف واللهو مما جعلهم يحاذرون من أي نشاط يعرض ترفهم للزوال^(٤).
١١. أدرك الخليفة معاوية أن الروح الثورية موجودة عند أهل العراق بسبب المناخ الثقافي الذي زرعه فيهم الإمام علي (ت) مما جعلهم أكثر إدراكاً ووعياً للانحرافات عند الحاكمين^(٥).
١٢. أن معاوية أوصى يزيد بأهل الشام خيراً لأنهم أكثر طاعة في المخلوق ضد الخالق^(٦)، هذا فضلاً عن أنهم أقل ذكاءاً ووعياً من أهل العراق^(٧)، لذلك سيطر عليهم إعلامياً ومنع الأمصار الأخرى من الاختلاط معهم، فيذكر الحموي^(٨) أن الخليفة معاوية كان يأمر أصحابه بإخفاء كتب الإمام علي (ت) المرسل إليه لكي لا يميلوا إليه، لذلك أوصاه بأن لا يقيموا في غير ديارهم، مما سهل عليه قيادتهم وفق مشينته الخاصة لأن سياسة الأغبياء أسهل عليهم^(٩).
- بعث الضحاك بن قيس*، البريد إلى يزيد بن معاوية^(١)، الذي كان بحوارين** بمرض معاوية فقال يزيد في ذلك^(٢):

جاء البريد بقرطاس يخب به فأوجس القلب من قرطاسه فزعاً
قلنا : لك الويل ماذا في كتابكم قالوا الخليفة أمسى منبتاً وجعاً

وبعد مجيء يزيد إلى الشام، دخل عليه الناس يهنئونه بالخلافة ويعزونه في أبيه، وأول من دخل عليه عبدالله بن همام السلولي، الذي قام إلى يزيد فأنشده شعراً في الخليفة معاوية وحثه على البيعة^(٣)، وبقاء الخلافة في بني أمية حينما قال "تلقفها يزيد عن أبيه وخذها يا معاوية عن يزيد"، فان عرفت لكم فتلقفوها ولا ترموا بها الغرض البعيدا"^(٤) وعند ذلك قال لهم يزيد "نحن أهل الحق وأنصار الدين، وابشروا يا أهل الشام فإن الخير لم يزل فيكم وسيكون بيني وبين أهل العراق حرب شديد،

(٣) القرشي، مهدي، معاوية امام محكمة الجزاء، ط ١، دار الحجة البيضاء للطباعة، (بيروت / ١٩٨٨م)، ص ٢٤٧ - ادريس حسن، الخلافة المغتصبة، دار البيضاء للنشر، (١٩٩٤م)، ص ١٨٩.

(٤) شمس الدين، محمد مهدي، انصار الحسين (ت)، ط ٣، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، (بيروت / ١٩٦٠م)، ص ٢١٦.

(٥) محمد مهدي، انصار الحسين (ت)، ص ٢١٧.

(٦) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الاشراف، مطبعة مكتبة المثنى، (بلاط)، ج ٥ ص ٣٧٨.

(٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٢٢.

(٨) شهاب الدين أحمد (ت ٦٢٦هـ)، معجم الادباء، تح د. أحمد فريد رفاعي، المطبعة الاميرة، دار احياء التراث، (لبنان / بلاط)، ج ٤ ص ٤٧-٤٨ - أبين كثير، البداية والنهاية، مج ٧ ص ٣٧٤.

(٩) القبرواني، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ)، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تح علي محمد البجاوي، ط ١، مكتبة عيسى البابي الحلبي، دار احياء الكتب المصرية، (١٩٥٣م)، ص ٨٧.

*الضحاك بن قيس: الضحاك بن قيس بن خالد الاكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة القرشي أبو أنيس الفهري، روى عن النبي محمد وعن حبيب بن مسلمة الفهري وعمر بن الخطاب وروى عنه الحسن البصري، شهد فتح دمشق وسكنها إلى حين وفاته. ينظر: أبين عساكر، علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تح علي عاشور، ط ١، دار احياء التراث، (بيروت / ١٤٢١)، ج ٦ ص ١٩٤ - المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح د. بشار عواد معروف، ط ١، مؤسسة الرسالة، (بيروت / ١٩٩٨)، ج ٣ ص ٤٧٧.

(١) العمراني، محمد بن علي (ت ٥٨٠هـ)، الانباء في تاريخ الخلفاء، تح د. قاسم السيد أحمد، (لندن / ١٩٧٣)، ص ٤٩.

**حوارين: حصن من ناحية حمص. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢ ص ٣١٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٢٢.

(٣) الجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ)، طبقات فحول الشعراء، تح د. محمود محمد شاكر، ط ٣، دار المندني للنشر، (جدة / ١٩٨٣)، ج ٢ ص ٦٢٥ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٢٨.

(٤) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج ٢ ص ٦٢٨.

فأجابه أهل الشام ، قالوا أمض بنا حيث شئت وأقدم بنا على من أحببت ، فنحن بين يديك ، وسيوفنا تعرفها أهل العراق يوم صفين فقال لهم يزيد ، أنتم لعمرى كذلك " (٥) .

والذي يمكن أن نستخرجه من هذا هو أمران مهمان هما :

٥. نظرية الحكم الإلهي للأمويين وفق سياسة الجبر التي أرادها وما مقولته " نحن أهل الحق " (٦) إلا دليل على ذلك ، وكان لابد من أن يوجد هناك من يواجه نظريته في الحكم ويخالفه وربما يصل حد الاختلاف إلى المواجهة المسلحة (٧) .
 ٦. أن يزيد سلك طريق إثارة الضغائن القبلية والتهديد (٨) .
- ويتبين لنا من هذه الخطبة أن يزيد قد فقد شرطاً أساسياً من شروط الخلافة وهو العدالة (٩) بين الرعية ،

قال تعالى ((وإذا حكمتكم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيراً)) (١) ، وقد أدرك معاوية أن ابنه يحمل شراً من خلال آخر خطبة له في الشام " وأنه لا يأتيكم بعدي إلا من هو شر مني " (٢) .

وبعد مجيء يزيد إلى الشام لم يكن همه إلابيعة أهل الحجاز وساكنيه (٣) ، لذلك كتب إلى الوليد بن عتبة والي المدينة آنذاك كتاباً وأرفق معه صحيفة كأنها أذن فأرة ، الزم (٤) فيها الوليد بأخذ بيعتهم وأرسلها بيد مولاه رزيق (٥) ، وفيها " أما بعد ، فخذ حسيناً وعبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام " (٦) ، من هذا يتضح لنا أمره بأخذ البيعة بشكل قسري ليس في الحجاز فحسب بل حتى في مصر فيذكر الكندي (٧) إن عبدالله بن عمرو بن العاص قد رفض بيعة يزيد أول الأمر لكن عندما جلب عابس النار وأراد حرقه بايع عبدالله بن عمرو مرغماً .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٨ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٨ .

(٧) الفراجي ، عدنان علي ، حركات المعارضة للخلافة الاموية ، ط ١ ، منشورات المكتبة العالمية ، (بغداد / ١٩٩٠) ، ص ٣ .

(٨) أسد حيدر ، مع الحسين في نهضته ، مطبعة المعارف ، (لبنان / بلات) ، ص ٦٢ .

(٩) الرافعي ، د. مصطفى ، حضارة العرب في العصور الاسلامية ، ط ٢ ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت / ١٩٧٨) ، ص ١٠٦ .

(١) سورة النساء ، آية ٥٨ .

(٢) القالي ، ذيل الامالي والنوادر ، ص ٣١١ .

(٣) محمد صبيح عبدالقادر ، معاوية ، دار الثقافة العامة ، (مصر / ١٩٣٨) ، ص ١٥١ .

(٤) ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ) ، تاريخ ابن الوردي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٦) ، ج ١ ص ١٦٢ - القزويني ، السيد جواد ، يزيد في محكمة التاريخ ، مطبعة امير ، (ايران / ١٩٩٩ م) ، ص ٦٥ .

(٥) العصفري ، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تح اكرم ضياء العمر ، (بلات . ط .) ، ج ١ ص ٢٢٢ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ١٢ ، يضيف كلمة هوادة بعد كلمة رخصة - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٣٨ .

(٧) أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ) ، الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح رفن كست ، طبع بمطبعة الآيا اليسوعيين ، (بيروت / ١٩٠٨) ، ص ١٩ .

ولكن لماذا هم دون غيرهم من أهل المدينة؟ اختلف المؤرخون في ذلك، فيرى الدكتور سرور^(٨) أن يزيد شرع بعد أن ولي الخلافة في أخذ البيعة من زعماء الحجاز لمكانتهم، لكن الأصفي^(٩) يرى أن يزيد أراد فرض البيعة على الحرمين الشريفين بسبب ثقلهما السياسي في إعطاء الشرعية، بينما يرى الشيخ شمس الدين^(١٠) أن كل هم يزيد كان في بيعة النفر* الذين آبوا على معاوية ببيعة يزيد.

نرى أن الرأي الأول هو الأكثر صواباً لسببين هما:

٥. إن بيعة أبناء الصحابة في الحجاز تعني إعطاء الصفة الشرعية ليزيد بخلافته.
٦. بيعة الإمام (ت) لا تعني بيعته مع بني هاشم فقط، وإنما تعني بيعة أهل الكوفة معهم^(١)، لذلك ركز على بيعة الإمام (ت) حسب وصية والده بأن أهل العراق لن يتركوه^(٢)، ودليل هذا هو عندما رفض الإمام (ت) بيعتهم وذهب إلى مكة، بدأت الرسل والأشخاص يتوافدون عليه ويحثونه على الذهاب معهم إلى الكوفة.
- ف عندما وصل الكتاب إلى الوليد بن عتبة فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه فلما قرأ الكتاب مروان قال: "أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فأن فعلوا أقبلت منهم وكففت عنهم وان آبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية"^(٣)، وهنا قد يتساءل البعض لماذا استشار مروان؟

يبدو لنا إن استشارته لمروان بسبب أنه سبق وأن كان والياً على المدينة أغلب فترة خلافة معاوية لذا فإنه أعرف بكيفية حل أمور السياسة منه هذا فضلاً عن معرفته بأهلها اجتماعياً وسياسياً إضافة إلى إن مروان كان من أشرف بني أمية في المدينة.

يذكر معظم المؤرخين^(٤) أن الوليد لم يرض استشارة مروان لأن فيها هلاك دينه، وهذا ما عبر به الوليد في كلامه لمروان؟ حينما قال له "أنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وأني قتلت حسيناً، سبحان الله، اقتل حسيناً ان قال لا أباع، والله أني لأظن امرأ يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة".

لماذا طرح مروان على الوليد والي المدينة فكرة قتلها من دون أي حل آخر؟

(٨) محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، ط٢، دار الفكر العربي، (القاهرة / ١٩٦٤)، ص ١٠٥.

(٩) الأصفي، محمد مهدي، في رحاب عاشوراء، ط٣، تح مؤسسة النشر الثقافية، (إيران / ١٤٢٤هـ)، ص ٣٤٣-٣٤٨.

(١٠) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الإمام الحسين (ت)، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت / ١٩٧٩)، ص ١٧١.

* النفر: الحسين بن علي، عبدالله بن الزبير، عبدالله بن عمر. ينظر: البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، جمل من انساب الاشراف، تح د. سهيل زكار ود. رياض زركلي، ط١، دار الفكر للطباعة، (بيروت / ١٤١٧هـ)، ج ٣١٣ ص ٣٣٨.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٣٨.

(٢) الخربوطلي، علي حسني، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي والاجتماعي والديني، دار المعارف، (مصر / ١٩٥٩م)، ص ١١٣.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج ٤ ص ٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٣٩ - المالكي، العواصم من القواصم، ج ١ ص ٢٣٥.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٤٠ - ابن الاثير، الكامل، ج ٤ ص ١٥.

يذكر السيد أبو سعيد^(٥) أن مروان كان يطمح بالوصول إلى الحكم ، ويتطلع للرئاسة ولم يصل إليها ما لم يحرض يزيد وأتباعه للفتك بالحسين ، وأنه يعلم يقيناً أن يزيد لا يفلح بقتله الحسين . ويرى السيد بدران^(٦) أن مروان يريد الخلافة لنفسه ولكنه علم بعد موت معاوية وقيام يزيد أن الأمر اليوم أمر بني أمية ، فأن خرج منهم فقد خرج منهم أجمعين فنصح الوليد نصيحة ذات وجهين ظاهرها الشدة في الدعوة ليزيد ، وباطنها السعي إلى الخلاص من يزيد نفسه ومنافسيه ، وضرب عنق الإمام (ت) وابن الزبير معناه الخلاص من أعظم المنافسين ليزيد ثم الخلاص من يزيد نفسه .

والذي يبدو لنا أن مروان إنما نصح بهذه النصيحة لغايتين :

٧. إن مروان يدرك إدراكاً تاماً بأن أبناء الصحابة سيعارضونبيعة يزيد لذلك فهو يمهد للقضاء على يزيد نفسه من خلال قتله أبناء الصحابة .
 ٨. التخلص من منافسي يزيد في الخلافة وهم أبناء الصحابة حتى تبقى الساحة خالية وممهدة لوصوله إلى الحكم .
- وكان الوليد قد أرسل عبدالله بن عمرو بن عثمان* ليلاً^(١) ، يدعوها فوجدهما في المسجد جالسين فأخبرها ما أراد منهما الوالي ، فجاءا إليه في ساعة لم يكن أحد يدخل عليه^(٢) ، فدخل عليه الإمام (ت)

فلما رأى عنده مروان وقد كانت بينه وبين الوليد تلك النفرة ، قال : " الصلة خير من القطيعة والصلح خير من العداوة وقد آن لكما أن تجتمعا له ، أصلح الله ذات بينكما ، فلم يجيباه بشيء وأقراه الوليد كتاب يزيد " ^(٣) ، فقال له الإمام (ت) وبشكل معلن^(٤) : " أيها الأمير ، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد رجل شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظروننا أينما أحق بالخلافة والبيعة " ^(٥)

وبعد أن سمع مروان كلامه قال للوليد : " أحبس هذا الرجل ولا يخرج من عندك ، حتى يبايع أو تضرب عنقه " ^(٦) فردّه الإمام (ت) : يابن الزرقاء* ، أنت تقتلني أم هو ، كذبت والله وأثمت " ^(٧) ،

(٥) حسين الموسوي ، بلاغة الحسين (ت) ، ط ١ ، مركز العترة للدراسات والبحوث ، (بيروت / ١٩٩٨) ، ج ٢ ص ٥٠ .
(٦) محمد بن فتح الله ، غصن الرسول ، تح جواد علي رضا ، ط ٢ ، مكتبة المعارف ، (بيروت / ١٩٧٣) ، ص ١٠٤-١٠٥ .
* عبدالله بن عمرو : عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، أمه حفص بنت عبدالله بن عمر الخطاب وكان يسمى المطرف لجماله . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٠٧ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٨٣ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٢٤ - الديار بكري ، حسين بن محمد (ت ٩٨٢هـ) ، تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس ، مطبعة عثمان بن عبدالرزاق ، (مصر / ١٣٠٢هـ) ، ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٣٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٤-١٥ .

(٤) الآصفي ، محمد مهدي ، دراسات وبحوث مؤتمر الحسين (ت) ، ط ١ ، المجمع العالمي لاهل البيت ، (ايران / ٢٠٠٣) ، ص ١٧٧ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ١٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥ .

فأرى الإمام (t) أموراً اقتضت منه ان يخرج من المدينة^(١) ، لأن بقاءه في المدينة من دون مبايعة يزيد سوف يؤدي إلى قتله^(٢) ، لذا فقد أحس بحرارة الموقف وأخذ يستعد للخروج من المدينة^(٣) . وكان الوليد ذا رفاة فقد وصفه ابن عباس بأنه لم يترك فيهم عانياً " فوالله ما ترك فينا عانياً إلا فكه ، ... ، ينظر إلى نبيهم بعينين أرق من الماء " ^(٤) ، لذلك رفض نصيحة مروان وقال له : " والله ما أحب أن لي ، ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً ، أن قال لا أبايع " ^(٥) ، وانتهى الأمر بينهما بخروج الإمام (t) من عند الوليد بن عتبة دون مبايعة .

نستدل من هذا أن الإمام (t) قد رفض البيعة لرجل شارب الخمر^(٦) ، ومدمنه^(٧) ، ونحن نعلم أن الخمر قد حرم من بعض القبائل الحنفية حتى قبل الإسلام^(٨) ، وقد حرّمه الإسلام بإجماع المؤرخين والفقهاء^(٩) ، لأنه صفة أهل السوء ومن منطق الجاهلية^(١٠) ، هذا فضلاً عن أن الإمام (t) كان يرى أن البيعة تصلح إذا كان المبايع صالحاً ومؤهلاً ومنصباً تنصيباً شرعياً^(١١) ، إضافة إلى أن يزيد ولد في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، ولم يدرك النبي محمد (ﷺ) ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح^(١٢) .

*الزرقاء : إحدى امهات مروان بن الحكم وكانت لها راية وكانوا يسبونهم بالزرقاء . ينظر : البكري ، أبو عبيدة (ت ٢٣١هـ) ، فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، تح د. احسان عباس ود. عبدالمجيد عابدين ، دار الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٩٨٣) ، ج ١ ص ٤٩٩ - النيسابوري ، أبو الفضل احمد بن محمد (ت ٥١٨هـ) ، مجمع الامثال ، تح محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ٢ ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / ١٩٨٨) ، ج ١ ص ٤٠٩ - الزمخشري ، جابر الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) ، المستقصى في امثال العرب ، تح طاهر احمد الزاوي ومحمد الطناحي ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ج ١ ص ٢٠٢ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥ .

(٨) الشافعي ، كمال الدين محمد بن طلحة (ت ٦٥٢هـ) ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، ط ١ ، طبع مؤسسة البلاغ ، (بيروت / ١٩٩٩م) ، ص ٢٥٨ .

(٩) الحائري ، محمد مهدي ، معالم السبطين في احوال الحسن والحسين ، ط ٢ ، مطبعة أمير ، منشورات الشريف الرضي ، قم ، (إيران / ١٣٤٧هـ) ، ص ٢٤٥ .

(١٠) الحسن ، هاشم معروف ، سيرة الانمة الاثني عشر ، دار التعارف للمطبوعات ، (لبنان / ١٤٢٢هـ) ، ج ٥ ص ٥٤ .

(١١) الزمخشري ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) ، ربيع الابرار ونصوص الاخيار ، تح د. سليم النعيمي ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٨٢) ، ج ١ ص ١٣ .

(١٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥-١٦ .

(١٣) الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ، دول الاسلام ، ط ٢ ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند / ١٣٦٤هـ) ، ج ١ ص ٢٩ .

(١٤) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، كتاب التاج في اخلاق الملوك ، تح أحمد زكي باشا ، ط ١ ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة / ١٩١٤) ، ص ١٥١ .

(١٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٦٧ .

(١٦) أنس ، مالك (ت ١٧٩هـ) ، الموطن ، تح محمد فواد عبد الباقي ، مكتبة عيسى البابي وشركاؤه ، دار احياء الكتب المصرية ، (١٩٥١م) ، ج ٢ ص ٨٤٥ - الاسدي ، عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله (ت ٢٥٦هـ) ، الاخبار الموفقيات ، تح د. سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٧٢) ، ص ٤٩٣ - الحجاج ، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) ، صحيح مسلم ، تح فاضل عرفات العش حسونة ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت / بلات) ، ج ٧ ص ٦٧ - النسائي ، عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، سنن النسائي ، ضبط نصها أحمد شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ٢٠٠٢م) ، ص ٨٩٩ - الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ) ، الاحكام السلطانية ، تح القاضي نبيل عبدالرحمن حياضي ، دار الارقم بن الارقم للطباعة ، (بيروت / بلات) ، ص ٣٠٦ .

(١٧) الناصر ، محمد حامد ، الحياة السياسية عند العرب ، ط ٢ ، مكتبة السنة ، دار الجبل ، (بيروت / ١٤١٤هـ) ، ص ٢٨٢ .

(١٨) الغريزي ، سامي ، البيعة وولاية العهد ، ط ١ ، مطبعة تكارش ، (قم / ١٤١٥هـ) ، ص ٢٥ .

(١٩) ابن تيمية ، احمد بن عبدالحليم (ت ٧٢٨هـ) ، كتب ورسائل فتاوى ابن تيمية في العقيدة ، تح عبدالرحمن محمد قاسم ، مكتبة ابن تيمية ، (بلات) ج ٣ ص ٤٠٨ .

لذلك خرج الإمام (ت) من المدينة إلى مكة بعد خروج ابن الزبير بليلة واحدة^(١) ، وهو يقول هو يزيد الذي يعرف والله ما حدث له حزم ولا مروءة^(٢) ، وأخذ معه بنيه وأخوته وبنو أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية^(٣) ، الذي أمره بأن يكون له العين الساهرة في المدينة^(٤) ، فخرج يقول أبيات يزيد بن المفرغ الحميري** :

لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دعوت يزيداً
يوم أعطى من النهاية خيماً والمنايا يرصدني أن أحيداً^(٥)

فعلم من سمع هذه الأبيات من الإمام (ت) أنه سينازع يزيد في الأمر^(٦) ، وبهذه الأبيات رفض الإمام (ت) الظلم ، وامتنع عن الخضوع وعدم المبالاة بالموت^(٧) ، وعند خروجه أخذ يتلو الآية القرآنية ((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))^(٨) . وهذا يؤكد خوف الإمام من السلطة الأموية^(٩) ، وليس كما يذهب إليه أحد الكتاب المحدثين^(١٠) بأنه كان يدعو لنفسه بالخلافة في مكة .

وفي الطريق لقيه عبدالله بن مطيع العدوي*** فسأل الإمام (ت) : أين تريد ؟ فأجابه الإمام (ت) : أما الآن فأريد مكة وبعدها أستخير الله ، فقدم ابن مطيع نصيحته للإمام (ت) بأن يلزم الحرم ، وحذره أن يقرب الكوفة وقال : " فوالله لنن قتلنا ليتخذونا خولاً وعبداً " ^(١) ، وعندما تقرب الإمام (ت) من

(١) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣٤١ .

(٢) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ١٤ ص ٢٠٣ .

*محمد بن الحنفية : هو محمد الأكبر بن علي بن ابي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن مناف ، امه الحنفية هي خولة بنت جعفر بن قيس وكانت من سبايا اليمامة . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٩٣ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٢١٥ - الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣٤١ .

(٤) الهاشمي ، علي بن الحسين ، محمد بن الحنفية ، تح المؤسسة الاسلامية ، ط ١ ، دار الهدى للنشر ، (١٤٢٤ هـ) ، ص ١١٠ .

**يزيد بن المفرغ : يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بالمفرغ الحميري ابو عثمان شاعر الغزل ، وفرغ لقب ربيعة لأنه راهن على ان يشرب عساً من لبن فشربه حتى فرغه فلقب مفرغنا . ينظر : الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) ، الاغاني ، تح سمير جابر ، ط ٢ ، دار الفكر للنشر ، (بيروت / ١٩٨٥) ، ج ٧ ص ٢٤٩ - الحموي ، معجم الادباء ، ج ٢٠ ص ٤٣ .

(٥) النقي ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد (ت ٢٨٣ هـ) ، الغارات ، تح عبدالزهرء الحسين ، ط ١ ، دار الاضواء للنشر ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ص ٤٤٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٢ .

(٦) ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تح د. احسان عباس ، دار الثقافة ، (بيروت / ١٩٦٨) ، ج ٦ ص ٣٥٣ .

(٧) حسين أبو سعيدة ، بلاغة الامام الحسين (ت) ، ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٨) سورة القصص ، آية ٢١ .

(٩) النيسابوري ، محمد بن القتال (ت ٥٠٨ هـ) ، روضة الواعظين ، تح السيد محمد مهدي وآخرون ، منشورات الشريف الرضي ، (قم / بلات) ، ص ١٦٩ - القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، ط ١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، (بلات) ، ج ١١ ص ٢٠٢ - ابن كثير ، إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) قصص الانبياء ، تح مصطفى عبدالواحد ، دار الكتب الحديثة ، (١٣٨٨ هـ) ، ج ٢ ص ١٤ .

(١٠) الفاتح ، حسن شيخ ، الحرب الاهلية في صدر الاسلام ، دار الجيل ، (بيروت / ١٩٩٩) ، ص ٣٨ .

***عبدالله بن مطيع : عبدالله بن الاسود بن حارثة بن فضلة بن عون بن عبيد بن عدي ولد على عهد رسول الله (ﷺ) ، وهو من اشراف قريش من حيث الشرف والسن ، ولي الكوفة في عهد ابن الزبير . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٤٣-١٤٤ - ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد (ت ٩٧٣ هـ) ، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، تح ، عبدالرحمن بن عبدالله وآخرون ، ط ١ ، دار الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٩٩٧ م) ، ج ٢ ص ٥٤ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٥٤ - ابن عساکر ، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ) ، ترجمة الامام الحسين (ت) ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ٢ ، مطبعة فروردين ، مجمع احياء الثقافة الإسلامية ، (١٤١٤ هـ) ، ص ٢٩٣ - الذهبي ، محمد

مكة ولما رأى جبالها قال مقولة موسى بن عمران (t) حينما خرج من مصر إلى مدين^(٢) ((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ))^(٣) وهذا يوضح لنا بأن الإمام (t) شبه وضعه بوضع نبي الله موسى (t).

وصل الإمام (t) إلى مكة بعد أن أمن الله له ذلك فدخلها لثلاث مضيّن من شعبان^(٤) ، فنزل دار العباس بن عبدالمطلب^(٥) ، والسؤال هو لماذا اختار الإمام (t) مكة دون غيرها من الأمصار الإسلامية آنذاك ؟.

أجمع المؤرخون على أن اختيار الإمام (t) لمكة بسبب قدسيّتها ، فيرى البعض^(٦) أن لهذه المدينة قدسية وأنها آمن الخائف وهيبة البيت وامتناع الطير من العلو عليها ، ويرى السيد البصري^(٧) أن كل نبي من الأنبياء (i) إذ كذبه قومه خرج من بين أظهرهم إلى مكة لقوله تعالى ((فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ))^(٨) ، ويرى ابن ظهيرة^(٩) أن مكة بلد آمن ولها فضائل في قوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا))^(١٠) ، لأن الآية الكريمة في سورة البقرة ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا))^(١١) يقصد بها مكة من جملة البلاد التي يأمن أهلها ، لكن أحد الدارسين المحدثين^(١٢) يرى بأن مركزها الاجتماعي والسياسي هو سبب اختيار الإمام (t) لها دون سائر البلاد ، بينما يرى القاسم^(١٣) أن اختيار الإمام (t) لمكة هو بسبب كونها قاعدة الإسلام الكبرى حيث منها بدأ الإمام (t) يعلن

بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تح شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوي ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٤١٣هـ) ، ج ٣ ص ٢٩٦ .

(٢) الطوسي ، أبو جعفر محمد (ت ٤٦٠هـ) ، البيان في تفسير في القرآن ، تح أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، مكتب ومطبعة الاعلام الاسلامي ، (١٤٠٩هـ) ، ج ٨ ص ١٤٠ .

(٣) سورة القصص ، آية ٢٢ . ويرى قسم من المؤرخين ان من قرأ هذه الآية آمن من سبع ضار او من كل لص . ينظر : النسابوري ، روضة الواعظين ، ج ١ ص ١٧٢ - الديلمي ، الحسن بن ابي الحسن (ت ٨٤١هـ) ، اعلام الدين ،

مؤسسة آل البيت (i) للنشر ، (قم / ١٤٠٨هـ) ، ص ٣٩٥ — المجلسي ، بحار الانوار ، ج ١٣ ص ١٨ .

(٤) الطبرسي ، الشيخ بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) ، اعلام الوري بأعلام الهدى ، تح علي أكبر الغفاري ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ٢٠٠٤م) ، ص ٢٢٩ .

(٥) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح عمر عبدالسلام ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٩٩٠م) ، حوادث سنة ٦١-٨٠هـ ، ص ٧ .

(٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٣٣ - الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٨٣ .

(٧) البصري ، الحسن بن يسار (١١٠هـ) ، فضائل مكة والسكن فيها ، تح سامي مكّي العاني ، مكتبة الفلاح للنشر ، (الكويت / ١٤٠٠هـ) ، ج ٢ ص ١٦-٢٠ .

(٨) سورة قريش ، آية رقم ٤ .

(٩) محمد بن أبي بكر (ت ٩٨٦هـ) ، الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها ، تح د. عمر علي ، ط ١ ، مكتبة الثقافة ، (القاهرة / ٢٠٠٣) ، ص ١٣٧ .

(١٠) سورة إبراهيم ، آية ٣٥ .

(١١) سورة البقرة ، آية ١٢٦ .

(١٢) مطهري ، السيد مرتضى ، الملحمة الحسينية ، ط ١ ، مطبعة فيضية ، (ايران / ١٤٢٥هـ) ، ج ٢ ص ٢٢ .

(١٣) أسعد ، أزمة الخلافة والإمامة وأثارها المعاصرة ، ط ١ ، مركز الغدير ، (بيروت / ١٩٩٧م) ، ص ١٣٢ .

من خلال اتصاله بالناس ضرورة رفض مبايعة يزيد ، ويقول الربيعي^(٢) أن اختيار الإمام (ت) لمكة دون غيرها لأنه لم يسبق لأحد انتهاك حرمتها لا في الجاهلية ولا في الإسلام .

وفي رأينا أن لا تناقض بين كل هذه الأسباب وإنها بمجموعها تمثل سبب اختيار الإمام (ت) لها دون غيرها .

وبعد أن وصل الإمام (ت) مكة ، كان يزيد قد أمر بعزل والي المدينة وتعيين عمرو بن سعيد الأشدق * بدلا عنه^(٣) .

أما بالنسبة إلى عبدالله بن عمر فقد اختلف المؤرخون في وصف موقفه فيذكر ابن قتيبة^(٤) أن ابن عمر قال في أمربيعة معاوية ليزيد " أما بعد فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يوارثها الأبناء عن الآباء " ، أما اليعقوبي^(٥) فقد ذكر أنه لما أصبح معاوية وحاول أخذ البيعة من أهل الكوفة والمدينة ، أبى عبدالله بن عمر وقال : " نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق ، وما حجتنا عند الله " ، ويذكر ابن الأثير^(٦) أن معاوية كان قد أرسل مائة ألف درهم إلى عبدالله بن عمر فقبلها منه فلما ذكر امر البيعة قال ابن عمر " هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص " ، لذلك ذكر ابن خلدون^(٧) بأن قراره محمول على الورع المعروف عنه ، لكن القلقشندي^(٨) ذكر بأنه قال : إذا لم يبايع الناس ولم يبق غيري بايعت ، لذلك تركوه وكانوا لا يتخوفونه .

ونرى أن عبدالله بن عمر ممن أبى البيعة على الإمام علي (ت) وكان من المبايعين لمعاوية ثم من المبايعين إلى يزيد بن معاوية ولم يبايع عبدالله بن الزبير في خلافته على ما سوف نرى ، لذلك نقول أن بيعته لبني أمية بسبب تخوفه منهم " لا يخلعن أحد منكم يزيد ، فتكون الفيصل ويروى الصيلم * ببني وبينه " ^(٩) .

(٢) عبدالعظيم ، سياسة الحسين ، مطبعة الرشدية ، بالافست ، (١٣٧٨ هـ) ، ج ١ ص ٣١ .
* عمرو بن سعيد : عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الاموي القرشي أبو أمية ، أمير من الخطباء والبلغاء سمي بالاشدق لفصاحته . ينظر : الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ) ، المعجم الكبير ، تح حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط ٢ ، مكتبة ابن تيمية ، دار احياء التراث للنشر ، (القاهرة / بلات) ، ج ٨ ص ٢٦٧ - الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ) ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تح د. ناجي حسن ، ط ١ ، دار العربية للنشر ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٣) المالكي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٣٨٢ هـ) ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، تح نخبة من كبار العلماء ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (١٩٥٦ م) ، ج ٢ ص ٦٧ .

(٤) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٤١ .

(٥) أحمد بن اسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، تح خليل منصور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٩ هـ) ، ج ٢ ص ١٥٩ .

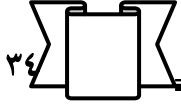
(٦) الكامل ، ج ٤ ص ٥٠٦ .

(٧) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٤٢ .

(٨) أبو العباس بن أحمد الفزاري (ت ٨٢١ هـ) مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تح عبدالستار أحمد خراج ، ط ١ ، عالم الكتب ، (بيروت / ١٩٦٨ م) ، ص ١١٠ .

*الصيلم : أي القطيعة المنكرة . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٣ ص ٤٩ .

(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٩ .



ثانياً : الإمام في مكة

١ . أوضاع مكة السياسية

دخل الإمام (t) مكة ليلة الجمعة لثلاث مضي من شعبان^(١) ، وكان لدخوله أثر مهم في أحداثها السياسية بسبب نزول أبناء الصحابة فيها تاركين مدينة رسول الله (ﷺ) ، وأجمع المؤرخون في أمر استقبال الإمام (t) بالحفاوة من أهل مكة ، فيذكر قسم منهم^(٢) ان الناس قالوا للحسين تقدم فصل بنا فقال الإمام (t) : " الصلاة في الجماعة أفضل " ، ويذكر القسم الآخر^(٣) أن الإمام (t) عندما نزل مكة أقبل أهلها ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه ويأتونه ، ويذكر ابن أعثم الكوفي^(٤) بأن أهلها فرحوا فرحاً شديداً ، أما ابن كثير^(٥) فيذكر أن الناس عكفت على الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون من حواليه ويستمعون كلامه .

والذي يتضح لنا أن المؤرخين ذكروا أن أهل مكة فرحوا بقدوم الإمام عليهم ، ولكن لم يكن عندهم الاستعداد الكامل للوقوف ضد يزيد أو الوقوف بجانب الإمام في ثورته ، لأن في مكة من المكين القليل ممن ليسوا من بطون قريش ، ممن سكن مكة بعد الفتح ، وبعد انتشار الإسلام في الأرض ، والظاهر أن جل المكين آنذاك هم من قريش وبسبب توارث قريش عداها للإمام علي وأهل علي (t) ، كما لا ننسى ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعبدالله بن عباس ، حينما أراد أن يختار واحداً من الصحابة للخلافة " كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم " ^(٦) ، كل هذا كان عاملاً أساسياً في نفور قريش من الإمام (t) ، ويبدو هذا واضحاً في مشاركتهم مع الإمام (t) في ثورته

(١) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) ، الارشاد ، تح حسين الاعلمي ، طه ، (بيروت / ٢٠٠١) ، ص ١٤١ .

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٦٥ ، ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) ، العقد الفريد ، شرح أحمد أمين وآخرون ، مكتبة المثنى ، (بغداد / ١٩٦٧) ، ج ٤ ص ٣٧٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥١ ، الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤١ .

(٤) الفتوح ، مج ٣ ص ٢٣ .

(٥) البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٤ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٣ .

حيث كانت مشاركة أفراد^(٧) وأن دل هذا على شيء فيدل على أن موقفهم كان غير موال للإمام (ت) ، إضافة إلى وجود شخصية سياسية بارزة في مكة إلى جانب الإمام (ت) وهو أبْن الزبير الذي وصل إلى مكة قبل الإمام بليلة واحدة^(٨) ، ولقب نفسه " عائذ البيت " ^(٩) ، ولم يظهر أبْن الزبير نواياه ورغبته بسبب معرفته المسبقة أولاً بأن منزلة الإمام (ت) عند مكة أفضل منه ، لذلك كان الإمام (ت) أثقل خلق الله على عبدالله^(١٠) ، بالرغم مما قدمه له من آراء حول البقاء معه في مكة وأن يأخذ بيعة الناس له أو يسنده ويرشح هو نفسه لأخذ البيعة للناس^(١١) ، وثانياً لأن الإمام (ت) كان يدرك نوايا عبدالله وما قاله الإمام له " وأن الناس لم يعدلوه بي ، فود أني خرجت منها لتخلو له " ^(١٢) وليس مثلما قال أحد الدارسين المحدثين^(١٣) بأن الاثنين يعرف كل منهما أنه يطلب الأمر لنفسه .

إزاء هذه الأوضاع في مكة كتب واليها إلى يزيد بن معاوية يخبره بقدوم الناس حول الإمام (ت) وتعظيمهم له وإقبالهم عليه ، وأن ذلك يشكل خطراً على الدولة الأموية ، ولما قرأ يزيد رسالة واليه فزع أشد الفزع بسبب موقع الحجاز الديني وأهميتها بالنسبة إلى الخلافة الأموية لذلك كتب رسالة إلى عبدالله بن عباس يستجلب فيها وده ويهدد الإمام (ت) وفيها " أحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق ضمنوه الخلافة ، وعندك منهم خبر وتجربة ، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه فأكففه عن السعي في الفرقة " ^(١٤) ويبدو أن مراسلة يزيد بن معاوية لعبدالله بن عباس بسبب منزلته الرفيعة في بني هاشم وأنه حبر الأمة لكثرة علومه^(١٥) ، فكتب إليه أبْن عباس أن لا يكون خروج الإمام (ت) في أمر تكرهه^(١٦) ، ويبدو أن السلطة الحاكمة لم ترع مقامه ولم تحترم مركزه فلذلك لجأ إلى البيت الحرام عائذاً به ، وحتى الإمام (ع) نفسه وضح بأن فترة بقائه في مكة تعتمد على معاملة أهلها له أن تغيرت فإنه سوف يختار بلداً آخر^(١٧) ، وهذا أن دل على شيء فإنه يدل على أن اختياره لمكة آنذاك هو لغرض تكوين صورة واضحة للموقف النهائي إزاء موقفه .

(٧) المغربي ، النعمان بن محمد (ت ٣٦٣هـ) ، شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تح محمد الحسيني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / بلاط) ، ج ٣ ص ٢٤٨ - أبْن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٥٣ ، يذكرون عددهم أربعة إلى خمسة أفراد وهناك ملحق في آخر الدراسة يبين اسماءهم .

(٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٠ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٤ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ .

(١٣) القبلان ، قبلان محمد ، عبدالله بن الزبير حركته وخلافته ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية ، (جامعة بغداد / ١٩٧٣) ، ص ٨١-٨٢ .

(١٤) ابن كثير البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٣٦ .

(١٥) أبْن ظفر ، ابناء نجباء الأبناء ، ص ٦٥ .

(١٦) أبْن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٢٧ - ابن كثير البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٣٧ .

(١٧) أبْن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٢٢ .

٢. رسائل أهل الكوفة إلى الإمام (ت)

بعد أن علم الشيعة من أهل الكوفة بأن الإمام (ت) قد رفض البيعة ليزيد بن معاوية^(١)، راحت انديتهم تتحدث عن مساوئ معاوية وسوء معاملته وما الحقه ببلدهم من الدمار الشامل وما استهدفه من تصفية لأعلام الشيعة في الكوفة مثل حجر بن عدي الكندي* وعمر بن الحمق الخزاعي**، وغيرهم من الاخيار والعلماء^(٢). لذلك عقدوا مؤتمراً عاماً في بيت أكبر زعمائهم، فألقوا الخطب الحماسية التي شجبت الحكم الاموي واشادت بالإمام (ت)، فقد ذكر الطبري^(٣)، أن سليمان بن صرد*** خطب خطاباً بليغاً جاء فيه: "أن معاوية قد هلك وأن حسيناً تقبض**** على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وانتم شيعته وشيعة أبيه، فأن كنتم تعلمون أنكم ناصرته فجاهدوا عدوه فاكتبوا إليه، وأن خفتم الوهل والفشل، فلا تغروا الرجل من نفسه"، فكانت إجاباتهم بحماس: "نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه". وهذا يوضح دعمهم للإمام (ت) من خلال إرسال الوفود والرسائل له، هذا فضلاً عن خروجهم على بيعة يزيد بن معاوية مما سبب رد فعل قوياً من أهل الكوفة ومن مختلف طبقاتهم فكانت أول الكتب من وجهاء الشيعة أمثال سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة***** وحبيب بن مظاهر الاسدي***** وفيه "الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار الغنيد الذي انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغضبها فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها"^(٤)، والذي نجده في رسالة الوجهاء أنهم وضحو كيف كانت سياسة معاوية في أهل العراق طوال فترة خلافته، إضافة إلى أنهم قد وضحو بأن ليس لهم إمام عادل وأن النعمان بن بشير الانصاري في مقر

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٥١ - ابن الاثير، الكامل، ج٤ ص٢٠. *حجر بن عدي: حُجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الاكرمين، جاهلي، اسلامي، حُجر الخير قتل سنة ٥١هـ / ٦٧١م في مرج عذراء بأمر من معاوية بن أبي سفيان. ينظر: ابن سعد الطبقات الكبير، ج٦ ص٢٣٩ - الزركلي، الاعلام، ج٢ ص١٦٩.

**عمر بن الحمق: عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمر بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعيد بن كعب، بايع النبي (ﷺ) في حجة الوداع وله صحبة قتل سنة ٥١هـ / ٦٧١م في الموصل بأمر من معاوية وحمل رأسه على الرمح وهو أول رأس حمل في الإسلام. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٦ ص٢٨٣ - العصفري، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) طبقات خليفة بن خياط، تح سهيل زكار، دار الفكر للنشر، (١٤١٤هـ)، ص٢٣٠ - البغدادي، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، المحبر، ورقة الاصل الخطية، (بلاط)، ص٢٦٢ - الاصفهاني، الاغانى، ج٣ ص٤١٢ - الزركلي، الاعلام، ج٥ ص٣٦.

(١) القرشي، باقر شريف، مسلم بن عقيل، ط١، مطبعة شريعت، دار الهدى، (١٤٢٤هـ)، ص١٠٥.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٥٢.

***سليمان بن صرد: سليمان بن صرد بن الجون بن منقذ بن ربيعة بن احرم بن خبيس بن حبشة ابو الطرف الخزاعي، من الصحابة روى عن النبي (ﷺ) وعن الإمام علي (ت) وروى عنه أبو إسحاق. ينظر: البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بلاط)، ج١ ص٢٠٠ - ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢ ص٣٥١ - الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣ ص٣٩٤ - المزي، تهذيب الكمال، ج٣ ص٢٨٤ - سبط ابن العجمي، برهان الدين أبو الوفاء ابراهيم بن محمد (ت ٨٤١هـ)، نهاية الرسول في رواة السنة الاصول، تح عبدالمعظم ابراهيم، ط١، دار الفكر، (بيروت / ٢٠٠٣م)، ج٣ ص٩٦٦.

****تقبض: امتنع وامتنع. ينظر: ابن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، ج١ ص٢٦، هامش الصفحة.

*****المسيب بن نجبة: المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال بن شمع بن فرارة الفزاري، ادرك النبي محمد (ﷺ) شهد القادسية وفتوح العراق، روى عن النبي وليست له صحبة. ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، الاصابة في تمييز الصحابة، تح علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، (بيروت / ١٩٩٣)، ج٦ ص٢٩٧.

*****حبيب بن مظاهر: حبيب بن مظاهر الاسدي من اصحاب الامام علي والحسن والحسين (عليهم السلام). ينظر: البرقي، احمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ)، رجال البرقي، مؤسسة النشر في جامعة طهران، (١٣٨٣هـ)، ص٧ - القرشي، مصطفى (ت ١٠١٥هـ)، نقد الرجال، تح مؤسسة آل البيت (ج)، مطبعة ستارة، (قم / ١٤١٨هـ)، ج١ ص٣٩٩ - الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث، ط٥، (١٤١٣هـ)، ج٥ ص٢٠١.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٥٢.

الامارة معزولون عنه لا يجمعهم معه جمعة أو عيد ، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام^(١) ، وحمل هذه الرسالة عبدالله بن وال* وعبدالله بن سبع الهمداني** ، وقد أوصيا بالإسراع وكتمان أمرهما خوفاً من السلطات الأموية .

أما الرسالة الثانية من أهل الكوفة ففيها " أما بعد ، فحي هلا ، فإن الناس ينتظرونك ، ولا أرى لهم في غيرك فالعجل العجل والسلام "^(٢) ، وحمل هذه الرسالة هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي ثم لبثنا يومين ، ثم سرحنا قيس بن مسهر الصيدائي*** وعبدالرحمن بن عبدالله بن الكدن الارحبي**** وعمار بن عبيد السلولي***** ، فحملوا معهم نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنتين والاربعة^(٣) ، وهي تحت الإمام (t) على الإسراع في المجيء إليهم وتظهر له الترحيب به والدعم الكامل^(٤) . وهناك رسالة رابعة أرسلها أشراف أهل مكة من أمثال شبيب بن ربيعي***** ومحمد بن عمير التميمي***** وحجار بن أبجر***** وعمرو بن الحجاج الزبيدي***** وي زيد بن الحارث بن يزيد بن

رويم وعزرة بن قيس ، وقد كتبوا إلى الإمام (t) بشيوع الامل وازدهار الحياة وتهينة البلاد عسكرياً وجاء في كتابهم " أما بعد ، فقد اخضر الجناب ، واينعت الثمار ، وطمت الجمام ، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند "^(١) ، والحق أهل الكوفة على الإمام (t) طالبين إليه ان يخرج إليهم ليبايعوه^(٢) ، وبعد أن جمع هذه الرسائل والكتب سأل الرسل عن أمر الناس ، ورأى ان الواجب الشرعي يدعوه للقيام بهذه المهمة الخطيرة التي لا يقوم بها أحد سواه لذلك استجاب لهم مع علمه بنفسيات الكوفيين واتجاهاتهم السياسية وغدرهم فرأى أنه من الأفضل إرسال

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٨٢ .
* عبدالله بن وال : عبدالله بن وائل بن قاسط بن هنب بن أخص بن وعص بن جديلة بن أسد من عدنان . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٣٠٢ .
** عبدالله بن سبع : عبدالله بن سبع بن صعيب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن خيران بن نون بن همدان . ينظر : الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، المنتخب من ذيل الطبري ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، طه ، دار المعارف (مصر / بلات) ، ص ٦٦٢ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٢ .

***قيس بن مسهر : قيس بن مسهر بن خليل بن جندب بن منقذ بن جسر بن نكرة بن نوفل الصيدا ، سفير الإمام (t) إلى الكوفة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ١٩٥ .
****عبدالرحمن بن عبدالله : عبدالرحمن بن كعب بن الارصي نسبة الى ارضب بطن من همدان . ينظر : الثقفى ، الغارات ، ص ٣١٨ .
*****عمار بن عبيدالله السلولي : لم أجد له ترجمة .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٢ .
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٥٢٤ .
*****شبيب بن ربيعي : شبيب بن ربيعي بن عتيم بن ربيعة بن زيد بن رياح بن يربوع ، كان مؤذن سجاح ثم سار مع الخوارج ثم رجع عنهم تائباً . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج ٨ ص ٣٣٥ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٧ - الحموي ، المقتضب ، ج ١ ص ١٠٧ .

*****محمد بن عمير : محمد بن عمير بن عطار بن حاجب الدارمي ، روى عن النبي محمد (ﷺ) وروى عنه أبو عمران الجوني ، كان له شرف وقدر بالكوفة وولي اذربيجان . ينظر : الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ٨ ص ٤٠ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٣٢-٢٣٣ .
*****حجار بن ابجر : حجار بن ابجر بن بحير بن عائذ بن شريط بن عمرو بن مالك بن ربيعة ، روى عن الامام علي (t) . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٨ ص ٣٥٠ .

*****عمرو بن الحجاج : عمرو بن الحجاج بن عبدالله بن عبدالعزيز بن كعب بن سلمة بن مالك بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زيد ، كان من اشراف الكوفة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤١٢ .
(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٥٢٤ .
(٢) الرافعي ، حضارة العرب في العصور الاسلامية ، ص ١٦٢ .

سفير عنه ليعلمه صدق ما كتبوا به أهل الكوفة فلم يجد أفضل من ابن عمه مسلم بن عقيل لأخذ البيعة له^(٣).

ثم كتب الإمام (t) كتاباً إلى أهل الكوفة وأرسله بيد هاني بن هاني السبيعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي ، وكانا آخر الرسل وفيه " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من الحسين بن علي إلى الملائكة من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد ، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتابكم ، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم ، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جلکم ، أنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق ، وقد بعثت إليكم أخي وأبن عمي وثقتي من أهل بيتي ، ... ، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والأخذ بالقسط والدائن بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله والسلام " ^(٤) ، وقد حدد الإمام (t) صفات الإمام الواجب طاعته وهذا يدل لنا عدم اعترافه بخلافة يزيد .

٩. موقف أهل البصرة من الإمام (t)

المعروف من ظاهر الحياة السياسية والاجتماعية في البصرة سنة ستين للهجرة كانت توحى بأن عبيد الله بن زياد قد هيمن هيمنة سياسية وإدارية كاملة على مجرى أمورها لذلك نجد إن اجتماعات الشيعة الموالين للإمام (t) كانت تتم في منزل مارية بنت سعد وهي امرأة من عبد القيس^(٥) ، وكان منزلها لهم موئلاً يتحدثون فيه^(٦) ، إضافة إلى ان خروجهم للإمام (t) كان خروج أفراد بعدد الأصابع ، فقد ذكر الطبري^(٧) إن يزيد بن نبيط أراد الخروج إلى الإمام (t) وكان له عشرة بنين ، فقال : أياكم يخرج معي فانتدب معه اثنين هما عبد الله وعبيد الله ، فقالا له أصحابه : نخاف عليك ابن زياد ، فقال : أني والله لفرقد استوت اخفافها بالجدد* لهان على طلب من طلبني .

(٣) ابن حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، لسان الميزان ، ط ٢ ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت / ١٣٩٠هـ) ، ج ٦ ص ٢٩٤ .

* الملائكة : الجماعة . ينظر : الحربي ، غريب الحديث ، ج ١ ص ١٣٣٩ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .

(٥) أبو مخنف ، لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ) ، مقتل الحسين (t) ، تح ميرزا حسن الغفاري ، المطبعة العلمية ، (قم / ١٣٩٨هـ) ، ص ١٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .
(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .

*الجدد : الخطط والطرق تكون في الجبال . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢ ص ٣١٤ .

ذكر قسم من المؤرخين^(١) إن عبيد الله عندما جاءه أمر يزيد بن معاوية بالذهاب إلى الكوفة فإنه قد جمع أهل البصرة وخطب فيهم قائلاً " ... ، فوالله ما تقرن بي الصعبة ، ولا يقعق لي بالشنان ** ، ... ، أنصف القارة *** من رامها ، يا أهل البصرة ، ... ، إياكم والخلاف والإرجاف ، فوالذي لا إله غيره ، لنن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه **** ووليه ، ولاخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي . "

نستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

٥. أن شخصية ابن زياد هي نفس شخصية أبيه ، وأنه يعيد نفس كلمات خطب والده في أهل البصرة عندما كان يقول لهم : " وأني أقسم بالله لأخذن الولي بالولي ، والمقيم بالظاعن ، والمقرب بالمقرب ، والصحيح منكم بالسقيم " (٢) ، وكان غرضهما من هذه الخطب والكلمات هو زرع أوبنة الخوف .

٦. عدم مخالفة نائب الوالي عثمان بن زياد وفي حالة المخالفة تكون العقوبة للمخالف وللولي والعريف ، أي ليس عنده للناس منزلة سواء كان كبيراً في قومه أو صغيراً .

وكان الامام (ع) قد كتب الى أهل البصرة وأرسله بيد مولا هم سليمان فيه " أما بعد ، ... ، وكنا اهله وأولياؤه وأوصياه وورثته واحق الناس بمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، واحببنا العافية ، ونحن نعلم انا احق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، ... ، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وانا ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه (ع) ، فإن السنة قد أمّيتت وان البدعة قد أحييت " (٣) .

(١) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٣ .

** هذا مثل يضرب به وهو البغض . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج ٥ ص ١٢٤٦ .
*** القارة : قوم رماة من العرب ، وقيل أنه التقى قاري وأسدي فقال القاري للأسدي ان شئت صارعتك وان شئت راميتك وان شئت سابقتك فاختار الاسدي المراماة فقال القاري :

قد علمت سلمى ومن والاها
إنا نصد الخيل من هواها

قد أنصف القارة من رامها
إنا إذا ما فئة نلقاها

ترد أولاها على آخرها

ينظر : البكري ، فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، ج ١ ص ٢٠٥ - الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٢ - الزمخشري ، المستقصى من امثال العرب ، ج ٢ ص ١٨-١٩٠ .

**** العريف : وهو النقيب دون الرئيس ، وهو المسؤول عن جماعة من عشيرته أو قبيلته ، ومنه الحديث " فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم " والعريف هو القائم بأمور القبيلة والجماعة من الناس يلي أمورهم ويتعرف الأمير منه احوالهم . ينظر : الكوفي ، ابن أبي شيبه (ت ٢٣٥هـ) ، المصنف ابن أبي شيبه في الأحاديث والآثار ، تح سعي محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة ، (١٤٠٩هـ) ، ج ٦ ص ٢٦٦ - ابن سلامة ، القاضي أبو عبدالله محمد (ت ٤٥٤هـ) ، دستور معالم الحكم ، مطبعة محمد ، المكتبة الازهرية ، (قم / بلات) ، ص ٩٢ - العتبي ، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ) ، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، تقديم محمد أحمد خلاف ، ط ١ ، دار احياء التراث ، (بيروت / ٢٠٠٣م) ، ج ٢٤ ص ٣٦٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٢١٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

ونستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

٥. ان الامام (t) وضح انهم اهل بيت النبوة وهم احق بالخلافة من يزيد .
٦. دعوة اهل البصرة الى كتاب الله وسنة نبيه ، وهذا يدل لنا ان الخلافة الاموية غير شرعية
وكان الامام (t) قد بعث بهذا الكتاب الى اشراف البصرة ، وكل من قرأ هذا الكتاب كتبه ألا المنذر بن الجارود* .

ولكن لماذا لم يكتب المنذر رسالة الإمام (t) ؟!

اختلف المؤرخون في ذلك فيرى البلاذري^(٢) ان المنذر كان صديقاً له ، لكن الدنيوري^(٣) يقول : ان المنذر لم يكتب الكتاب بسبب تزويجه ابنته هند من عبيد الله ، بينما يرى قسم منهم^(٤) أنه خشي بزعمه ان يكون دسيسة من قبل عبيد الله ، ويرى أحد الكتاب المحدثين^(٥) ان المنذر كان شديد الحذر من ابن زياد .

وفي رأينا ان الرأي الأول هو الأصوب لسبب واحد هو ان المنذر سبق له ان سلم الشاعر يزيد بن المفرغ الحميري الذي هجا ابن زياد في شعره من دون أي دفاع عنه^(٦) .

وبعد ان علم ابن زياد من ابن الجارود ما كتبه الإمام (t) إلى اهل البصرة ، قدم الرسول فضرِب عنقه وخطب فيهم ما تم ذكره ، لكن كيف كان موقف أهل البصرة بعد ان تسلموا الكتاب وهم رؤساء الاخماس ويمثلون قبائلهم ؟!

٧. الاحنف بن قيس

رد الاحنف بن قيس على كتاب الامام (t) رداً يدعو بالتمسك بالصبر ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْخِفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُبْقُونَ))^(٧) ولم يزد على هذه الآية شيئاً^(٨) ، وعندما نتابع تاريخه فأننا سوف نجد بأنه تردد عن مناصرة الامام (t) وهذه ليست بجديدة عليه حيث سبق ان وقف موقفه الضعيف مع الامام علي (t) في معركة صفين ، عندما بعث اليه " اني مقيم على طاعتك في قومي فأن شئت أتيتك في مائتين من اهل بيتي فعلت ، وان شئت حبست عنك اربعة الاف سيف من بني سعد " ، فقال له الإمام

*المنذر بن الجارود : بشر بن عمرو بن حنيس بن المعلي بن يزيد بن الحارثة بن معاوية العبدلي ، ولد في عهد رسول الله (ﷺ) وشهد الجمل مع الامام علي (t) وولاه اصطخر ثم عزله بسبب عدم عدله . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج٤ ص١٣٨ - ابن الحاجب ، شرح الشافعية ، ج٤ ص٢١٥ - الزركلي ، الاعلام ، ج٥ ص٦٩ .

^(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٨٤ .

^(٢) الاخبار الطوال ، ص٤٣١ .

^(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٥٧ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٣٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٣ - المقرم ، مقتل الحسين ، ص١٤٢ .

^(٤) أسد حيدر ، مع الحسين في نهضته ، ص٩١ .

^(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣١٨ .

^(٦) سورة الروم ، آية ٦٠ .

^(٨) ابن نما الحلي ، جعفر بن أبي إبراهيم (ت ٦٤٥هـ) ، مثير الأحزان ، الناشر مؤسسة الإمام المهدي (عج) ، ط٣ ، (قم ١٤٠٦هـ) ، ص٢٧-٢٨ .

علي (ت) : " بل احبس وكف " (١) ، هذا فضلاً عن موقفه الآخر في فتنة عبدالله بن الحضرمي* بعد واقعة صفين الذي دعا الى نكث بيعة الامام علي (ت) حيث يقول الاحنف على ما دعا اليه الحضرمي رسول معاوية " أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل " (٢) .

٨. المنذر بن الجارود

وقد تم ذكر كيف أنه أفشى سر كتاب الامام (ت) إلى عبدالله بن زياد .

٩. يزيد بن مسعود النهشلي**

من شخصيات تميم المعروفة فأنه أحضر بني تميم وبني حنظلة وبني سعد فقال " اما معاوية فقد هلك فأهون به هالكاً ومفقوداً فقد انكسر باب الجور ، ... ، وأنا اقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين افضل من جهاد المشركين " (٣) .

وعلى ما يبدو فإن أهل البصرة كانوا منقسمين إلى ثلاث فئات أولها موالون للبيت الأموي حرصاً منهم على مصالحهم الشخصية كالمنذر بن الجارود ، وفئة ثانية تنتظر ما تصير إليه الأمور مثل الاحنف بن قيس والفئة الثالثة وهي الموالية للإمام (ت) متمثلة بيزيد بن مسعود .

لكن بالرغم من هذا كانت البصرة حالها حال الكوفة قد اصبحت بمرض الخوف الذي زرعه فيهم زياد بن أبيه ومن ثم بعده ابنه عبدالله وما قدوم شريك بن الاعور وعبدالله بن الحارث بن نوفل مع عبدالله من البصرة الى الكوفة الا دليل على ذلك حينما اظهروا بأنهم عاجزون عن متابعة السير من البصرة الى الكوفة وسقوطهم في السير وأول من سقط هو شريك راجياً ان يقف اليهم أبن زياد ويسبقه الامام (ت) الى الكوفة (٤) .

لكن لماذا كتب إليهم الإمام (ت) وهم لم يكتبوا إليه ؟

(١) الشيخ المفيد ، محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ) ، الجمل ، تح علي مير شريف ، ط ٢ ، مكتب الاعلام الإسلامي ، (قم / ١٣٧٤هـ) ، ص ٢٩٥ .

*عبدالله بن الحضرمي : هو عبدالله بن أبي مسلم الحضرمي ، صحابي له حديثان ويقال تابعي . ينظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ١ ص ٦٣٩ .

(٢) التقي ، الغارات ، ص ٢٦٣ .

**يزيد بن مسعود : يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل . ينظر : ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت ٢٦٦هـ) ، مسائل الإمام أحمد ، تح د. فضل الرحمن بن محمد ، ط ١ ن دار الكتب العلمية ، (داهي / ١٩٨٨) ، ج ٥ ص ٢٤١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤١ .

(٣) ابن نما الحلي ، مثير الأحران ، ص ٢٧-٢٨ - المرقم ، السيد عبدالرزاق ، مقتل الحسين (ت) ، ط ١ ، مطبعة غدِير ، (١٤٢١هـ) ، ص ١٤٢ .

(٤) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) ، نهارية الأرب في فنون الأدب ، تح محمد رفعت فتح الله ، الهيئة المصرية للكتاب ، (١٩٧٥) ، ج ٢٠ ص ٣٨٩ .

اختلف المؤرخون في ذلك فيرى قسم منهم^(١) ان الامام اراد القاء الحجة عليهم ، لانه يدرك انهم غير مقاتلين ولا يحبون الحرب وهذا ما جعل الإمام علي (ت) يصفهم " أهل المؤتفكة ، ويا جند المرأة واتباع البهيمة ، أحلامكم رقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وانتم فسقة مراق " ، ويرى السيد العاملي^(٢) بانها دعوة للجهاد مع الامام العادل ، ويرى السيد خالد^(٣) ان رسالة الإمام (ت) توضح لنا كيف كان يعرف مسؤوليته ويمضي إليها ، بينما يرى السيد أبو سعيدة^(٤) ان الامام (ت) هب لأقبار الانحراف وازالة الباطل الذي صار يهدد دوام الرسالة .

والذي يبدو أن الرأي الاول هو الاصول لسبب مهم هو ان الامام (ت) قد وضع اليهم بأن هناك شروطاً للإمام يجب ان تتوافر فيه وبهذا فقد ذكر اهل البصرة بأنه قد القى الحجة عليهم .

(١) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص ٤٠٧ - الابي ، أبو سعيد منصور بن الحسين (ت ٤٢١ هـ) ، نثر الثور ، تج عدة من الفضلاء ، دار النهضة العربية العامة ، (مصر / ١٩٨٩) ، ج ١ ص ٣١٥ - الخوارزمي ، موفق بن أحمد بن محمد (ت ٥٦٨ هـ) ، المناقب ، إعداد مالك المحمودي ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، (قم / ١٤١١ هـ) ، ص ١٨٩ .

(٢) محمد بن الحسن الحر (ت ١١٠٤ هـ) ، وسائل الشيعة ، الناشر مؤسسة آل البيت (ع) ، (قم / ١٤٠٩ هـ) ، ج ١ ص ٤٥ .

(٣) خالد محمد ، ابناء الرسول في كربلاء ، (بلات. ط.) ، ص ٦٥ .

(٤) بلاغة الإمام الحسين ، ج ٢ ص ١٩٩ .

ثالثاً . موقف الإمام (t) من أهل الكوفة

٧. إرسال مسلم بن عقيل

بعد أن أرسل أهل الكوفة الرسائل إلى الإمام (t) تدعوه للمجيء إليهم ، أرسل إليهم ابن عمه مسلم^(١) ، الذي غادر مكة ليلة النصف من رمضان^(٢) ، وعرج في طريقه على المدينة فوصل في جامع الرسول (ﷺ) وطاف بضريحه ، وودع أهله وأصحابه وأتجه صوب العراق ومعه قيس بن مسهر الصيداوي وعمار بن عبيد السلولي وعبدالرحمن بن عبدالله الأرحبي ، واستأجر من المدينة دليلين من قيس يدلانه على الطريق ، فأقبل به ، فضلاً عن الطريق وعطشوا ، فمات الدليلان من العطش وقالوا لمسلم : هذا الطريق إلى الماء ، فكتب مسلم إلى الحسين (t) وهو في مضيق الخبت* : إني ، ... ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا ، ... ، وقد تطيرت فأن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري " ، فكتب إليه الإمام (t) : أما بعد ، فقد خشيت ألا يكون عملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن ، فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام " (٣) . فمضى مسلم في طريقه إلى أن وصل إلى الكوفة^(٤) .

والذي يبدو بالرغم من وجود هذه الرواية الوحيدة عند المؤرخين إلا أنها لا تخلو من بعض المسائل المهمة كان الغرض منها الخدش بشخصية مسلم بن عقيل وإعطاءه صفة الجبن التي لا تتوافق مع ما وصف به من شجاعة عند المؤرخين ومنها :

(١) ابن عتبة ، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ١٧١ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٥٦ .

* مضيق الخبت : موضع بين مكة والمدينة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٤٣ .
(٣) أبو مخنف ، مقتل الحسين ، ص ١٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١-٢٢ .

(٤) ابن تيمية ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ، رأس الحسين (t) ، تح د. السيد الجميلي ، (بلاط. ط.) ، ص ٢٠٠ .

٩. يقول البلاذري^(٥) ان مسلم بن عقيل كان أرجل** ولد عقيل وأشجعها فقدمه الإمام (t) إلى الكوفة حين كاتبه أهلها .

١٠. ان الامام (t) كما ذكرنا وصف مسلم بأنه ثقته من أهل بيته فكيف يكون ثقته جباناً ؟

١١. وصف محمد بن الاشعث لمسلم عند أين زياد " أيها الأمير أما تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كف بطل همام من آل خير الأنام"^(٦) .

١٢. أن مضيق الخبت يقع بين مكة والمدينة كما ذكره الحموي ، وقد نصت الرواية على انه

استأجر دليلين من المدينة ، وخرجوا من المدينة الى العراق وأنه راسل الإمام (t) من

مضيق الخبت وذكر ما حلّ بالدليلين أي قبل وصوله إلى المدينة وهذا تناقض واضح فكيف يستأجر مسلم الدليلين وهو لم يكن قد التقى بهم اصلاً لانه لم يصل الى المدينة بعد ، يقول السيد القرشي^(١) " لوسلمنا ان هناك مكاناً يسمى بمضيق الخبت يقع ما بين المدينة والكوفة لم

يذكره الحموي ، فإن السفر منه إلى مكة لمقابلة الإمام (t) يستوعب زماناً يزيد على عشرة

أيام ، في حين أن سفر مسلم من مكة إلى العراق مع مروره بالمدينة وتوديعه إلى أهله قد حدده المؤرخون بعشرين يوماً وهي أسرع مدة يقطعها المسافر فإذا استثنينا مدة سفر رسول من ذلك المكان ورجوعه إليه وهو يقارب عشرة أيام على الأقل فيكون مجموع المدة في سفر مسلم عشرة أيام ويستحيل ان يقطع الطريق من مكة الى الكوفة بعشرة أيام " .

٨. أهل الكوفة ومبايعتهم لمسلم بن عقيل

بعد أن وصل مسلم بن عقيل وجماعته الكوفة ، نزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي* ، بسبب وصية

الإمام (t) له حينما قال " فأنزل عند أوثق أهلها وأدع الناس طاعتي"^(٢) ، وهذا يجعلنا نقول بأن المختار هو من أبرز رجال الشيعة في الكوفة آنذاك ، هذا فضلاً عن وجود سبب آخر لاختياره دار المختار هو علاقة المصاهرة التي تجمع المختار مع والي الكوفة النعمان بن بشير الانصاري كونه زوجاً لابنته عمرة^(٣) ، وبهذا أصبح دار المختار مركزاً سياسياً مناهضاً للدولة الاموية .

أما موقف أهل الكوفة من مسلم فذكر أغلب المؤرخين^(٤) بأن الشيعة من أهل الكوفة كانوا يأتون مسلماً وهو يقرأ عليهم كتاب الإمام (t) وهم يكونون وكان مسلم يوصي بتقوى الله تعالى وكتمان أمره

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٧٧ .

**أرجل : أكمل الرجال وأشدهم وأقواهم . ينظر : إلى هامش أنساب الأشراف للبلاذري ، ص ٧٧ .

(٦) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٥٢ .

(١) مسلم بن عقيل ، ص ١١٨ .

*المختار بن أبي عبيد الثقفي يكنى أبا إسحاق ولد عام الهجرة وليست له صحبة ولا رؤية وأخباره كانت غير مرضية ، حكاها عنه الشعبي . ينظر : الحموي ، المقتضب ، مج ١ ص ١٦٤ - ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ص ٣٣٦ - ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ ص ٣٤٩ - .

(٢) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٣١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ص ٧٢ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٥ - ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٣٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٢ .

حتى يقدم إليهم الإمام (ت) بناءً على طلب الإمام (ت) ^(٥) ، واثالت الجماهير على مسلم تبايعه ، فبايعه ثمانية عشر ألف من أهل الكوفة ^(٦) ، وكان حبيب بن مظاهر يأخذ البيعة له ^(٧) .

أما موقف والي الكوفة إزاء هذه الأحداث فيذكر قسم من المؤرخين ^(٨) أنه سعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال " أما بعد ، فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء ، ... ، أني لم أقاتل من لم يقاتل ، ولا أثب على من لا يثب علي ، ولا أشاتكم ولا أتحرش بكم ، ولا أخذ بالعرف ولا الظنة ولا التهمة ، ولكنكم أن أبديتم صفحتكم لي ونكتتم بيعتكم وخالفتم إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لا ضرينكم بسيفي ، ... ، أما أني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرون الباطل " ، والذي يبدو أن موقف الوالي كان موالياً لمسلم بن عقيل وأنه لم يرد بكلمته " نكتم بيعتكم وخالفتم إمامكم " ^(٩) إلا التمويه على العامة بصورة خلافة يذكر بها البيعة ليزيد وأنه إمام لا تجوز مخالفته وإلا فهو جد عليم بأن ما رماه من القول لا صلة له بالحقيقة لولا تأليفه ^(١٠) .

أليس هو القائل : " أن ابن رسول الله أحب إلينا من ابن بحدل " ^(١١) ، وما يؤكد هذا ما قاله عبدالله بن مسلم الحضرمي وهو من الموالين واحد العيون والجواسيس للأمويين في الكوفة " أنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم أن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين " ^(١٢) ، فإنه أراد استفزاز النعمان الذي أجابه " لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قوياً في معصية الله وما كنت لأهتك سترأ ستره الله " ^(١٣) ، وبهذا دافع النعمان عن نفسه بأنه لا يعتمد على أية وسيلة تبعده عن الله تعالى وتتجافى مع دينه ، واستبان للحزب الأموي ضعف سياسة النعمان وبموقف النعمان هذا أعطى للشيعة الموجودين في الكوفة قوة وزخماً شجعهم على العمل ضد يزيد وربما كان هذا الموقف يعود بسبب أن النعمان كان ناقماً على يزيد وذلك لبغضه وكرهيته للأنصار ، فقد أغرى يزيد الشاعر المسيحي الأخطل بهجائهم ^(١٤) .

٩. دور الحزب الأموي في الكوفة

فزع الحزب الأموي من تجاوب الرأي العام مع مسلم بن عقيل وأتساع نطاق الحركة ، في حين أن السلطة المحلية في الكوفة قد غضت النظر عن مجريات الأحداث واتهمت بالضعف أو التواطؤ مع الحركة . لذلك كتبوا إلى السلطة الأموية في الشام ، فكان أول من كتب إلى يزيد بن معاوية عبدالله بن

^(٥) أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢١ .

^(٦) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٣٥ .

^(٧) القاضي نعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ج٣ ص٢٤٥ .

^(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٦ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ .

^(٩) أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ .

^(١٠) المقرم ، السيد عبدالرزاق ، مسلم بن عقيل ، ط١ ، دار الأضواء للنشر ، (بيروت / ٢٠٠١) ، ص٩١ .

* أبين بحدل : حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة ، أبو سليمان الكلبي ، زعيم بني كلب ومقدمهم ، شهد صفين مع معاوية وكانت له منزلة عند بني أمية كونه خال يزيد بن معاوية . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٣ ص٣١٦ - الزركلي ، الاعلام ، ج٢ ص١٧٦ .

^(١١) أبين قتيبة ، الإمامة والسياسة ، مج١ ص١٨٢ .

^(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٦ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ .

^(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٦ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ .

^(١٤) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج١ ص١٢١ .

مسلم بن سعيد الحضرمي^(١) يخبره بالأوضاع السياسية في الكوفة : " أما بعد ، فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعه الشيعة للحسين بن علي ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف " ^(٢) ، ثم كتب إليه عمار بن عقبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص * بمثل ذلك ^(٣) .

وبعد وصول هذه الرسائل من شيعته *** من اهل الكوفة تخوف يزيد أكثر مما كان ، بسبب بروز الكوفة كمصر آخر موالٍ ومناصر للإمام (ت) فضلاً عن مكة التي كانت تمثل هملاً آخر من همومه ، فراودته الهواجس وظل ينفق ليله ساهراً فهو يعلم ان العراق مركز القوة في العالم الإسلامي آنذاك لذلك دعا يزيد سرجون بن منصور الرومي **** وكان كاتباً لمعاوية^(٤) ، فقال له : " ما رأيك ، فإن حسينا قد توجه نحو الكوفة ومسلم بن عقيل يبايع للحسين ، وقد بلغني عن النعمان ضعف واعطني رأياً ك ف ي من أض ع ع على الكوفة " ^(٥) ، وكان يزيد عاتباً على عبيدالله بن زياد وغير مرتاح منه وأراد عزله من البصرة وذلك لمعارضة أبيه زياد البيعة له^(٦) ، فقال سرجون : " أرايت معاوية لو نشر إليك أكنت أخذاً برأيه ، قال : نعم ، فأخرج عهد عبيدالله بن زياد على الكوفة فقال هذا رأي معاوية " ^(٧) ، لذلك استجاب يزيد لسرجون من أجل الحفاظ على ملكه ، فعهد له بولاية البصرة والكوفة معاً^(٨) .

ولكن لماذا اختار يزيد عبيدالله بن زياد دون غيره ؟

اختلفت الآراء في ذلك فيرى البلاذري^(١) أن سرجون كان كاتبه وانيسه لذلك أخذ برأيه بينما يرى قسم آخر من المؤرخين^(٢) أن اختياره لعبيدالله جاء بناءً على عهد من أبيه إليه قبل وفاته ، لكن أبين

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٦ .

* عمار بن عقبة : عمار بن عقبة بن كديم بن عدي بن حارثة عمرو بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك قتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢٦٢ .

** عمر بن سعد : عمر بن سعد بن أبي وقاص بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، قاتل الإمام (ت) ، قتله المختار بن أبي عبيدة الثقفي . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص١٢٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٦ - الجهشيارى ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ) ، الوزراء والكتاب ، نخ عبدالله إسماعيل الصاوي ، ط١ ، مطبعة عبدالحميد أحمد ، (مصر / ١٩٣٠) ، ص١٥-١٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٥ - .

*** شيعته : الشيعة أي أولياؤه وأنصاره ، وأهل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى علياً وأهل بيته (ت) حتى صار لهم اسماً خاصاً فإذا قيل فلان من الشيعة عُرف أنه منهم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ص٢٥٠ .

**** سرجون بن منصور الرومي : كان على ديوان الخراج في عهد معاوية وبقي على نفس الديوان في عهد يزيد بن معاوية . ينظر : الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص١٥-١٩ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٨٢ - القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج١ ص٦٩ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٦ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٥ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٨٢ - الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص١٩ - النويري ، نهاية الأرب ج٢ ص٣٨٨ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٨٢ - الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص١٤٤ .

(١) انساب الاشراف ، ج٤ ص٨٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٥ .

عبدربه^(٣) يقول أن اختياره لعبيدالله بن زياد جاء بعد استشارة أهل الشام في ذلك ، ولكن المستشرق فلهاوزن^(٤) يرى أن سبب اختياره كونه شخصاً أقل تحفظاً وورعاً ، بينما يرى السيد أسد^(٥) أن اختيار سرجون لعبيدالله بسبب أنهما من عقيدة مجوسية ، ويرى الشيخ القرشي^(٦) أن سبب اختيار عبيدالله كونهم يعرفون قساوته وبطشه وأنه لا يقوى على إخضاع العراق إلا هو ، ويرى السيد الصدر^(٧) أن يكون سرجون كاذباً وإنما يريد أن يخدع يزيد لأجل تنفيذ أغراضه التي يدركها أجماًلاً .

والذي يبدو بأن الرأي الثاني هو الصائب بسبب اتفاق اكبر عدد من المؤرخين عليه ، فضلاً عن احتياج يزيد آنذاك إلى رجل ذي سياسة ظالمة وبطش ضد رعيته ، فلم يكن هناك أفضل من عبيدالله بن زياد مطيعاً لأوامره .

(٣) أبْن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٧٧-٣٧٨ .

(٤) يوليوس ، الخوارج والشيعة ، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي ، ط٢ ، (الكويت / ١٩٧٦) ، ص١٢١ .

(٥) مع الحسين في نهضته ، ص٨٩ .

(٦) مسلم بن عقيل ، ص١٢٦ .

(٧) محمد محمد صادق ، شذرات من فلسفة تاريخ الامام الحسين (ع) ، تح الشيخ أسعد الناصري ، دار الاضواء للنشر ، (بيروت / ١٤٢٣هـ) ، ص٢٦٩ .

مربعاً . ابن زياد ومهمته تجاه مسلم

٩. ابن زياد ومكره مع أهل الكوفة

بعث يزيد الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي* ، وعندما تسلم ابن زياد العهد بولاية الكوفة من الباهلي^(١) ، طار فرحاً ، فقد تم له الحكم المطلق على جميع أنحاء العراق بعدما كان مهدداً بالعزل عن ولاية البصرة ، هذا فضلاً عن تخويله الحكم المطلق من حكومة دمشق بإباحة الشدة والقسوة وسفك الدماء لكل من يقف بوجه يزيد وبالأذات مسلم بن عقيل ، " فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه** فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام"^(٢) ، وهي إمارة الاستكفاء*** التي اعتاد بنو أمية إعطاؤها لجميع قادتهم على أهل العراق^(٣) .

خرج ابن زياد من البصرة وأستخلف أخاه عثمان بن زياد^(٤) ، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وانتخب من أهل البصرة خمسمائة رجل فيهم عبدالله بن الحارث**** وشريك بن الأعور***** وهما من شيعة الإمام علي (ت) لمكانتهم في نفوس الشيعة من أهل الكوفة^(٥) .

كان عبيدالله بن زياد يسارع أنصاره بالوصول إلى الكوفة وبعد أن تساقط أنصاره ومولاه مروان^(٦) ، نزل عبيدالله فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن ، ثم اعتجر***** بمعجرة يمانية فركب بغلته ثم انحدر راجلاً وحده فجعل يمر بالمجالس ، فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الإمام (ت) فيقولون له :

*مسلم بن عمرو : مسلم بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخضير بن قضاعي بن هلال بن وائل ، أبو قتيبة بن مسلم تمت ترجمته عن طريق ترجمة ابنه قتيبة. ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ١ ص ٢٧٥ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ص ١٨٩ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٧٨ - المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٤٤ ص ٣٣٧ .

**تثقفه : تظفر به . ينظر : هامش الطبري ، تاريخ الرسل ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٥ .

***إمارة الاستكفاء : هي الامارة التي تتعد عن اختيار الخليفة ليس اضطراراً وتشمل سبعة أمور . ينظر : الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٩٢ .

(٣) الخربوطلي ، علي حسني ، الحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة / بلات) ، ص ٣٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٨ .

****عبدالله بن الحارث : عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ويلقب ببه وهو الذي اتفق عليه أهل البصرة في قتلهم بعد وفاة يزيد بن معاوية . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٧٠ .

*****شريك بن الاعور : شريك بن الحارث بن عبد يغوث بن خلف بن سلمة بن دهي المذحجي ، شهد الجمل وصفين مع الامام علي (ت) ، وهو من اخيار الشيعة في البصرة . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٧٩ - ابن مأكولا ، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥ هـ) ، اكمال الكمال في رفع الارتياح ، تح نايف عباس ، دار الكتاب الإسلامي ، (القاهرة / بلات) ، ج ٣ ص ٤٠٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٩ .

*****اعتجر : لبس قطعة قماش على رأسه . ينظر : ابن الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ١٧ ص ٢٠٦ .

مرحباً بك يا ابن رسول الله ، وجعل لا يكلمهم ، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم^(١) لاستقباله والترحيب به ، والذي يبدو أن عبيدالله كان قد تهيأ لدخول الكوفة واعد العدة لذلك خاصة بعد ان عرف طبيعة الأوضاع في الكوفة من خلال مسلم الباهلي ، لذلك جلب معه ملابس مشابهة إلى ملابس أهل البيت (i) من أجل خداع الناس وخاصة الشيعة منهم لكي لا يقتلوه^(٢) ، وفعلاً استطاع النجاح في ذلك لأنه لم يجب الناس عند السلام عليه وهذا ما يجعلنا نشكك من تصرفاته بأمرين هما :

٥. أنه كان حريصاً على عدم معرفة الناس له سواء من خلال الملابس أو من خلال عدم الرد على

عند السلام عليه .

٦. أنه ربما كان يستحقر الناس فلم يرد عليهم ، لكن الذي يبدو بأنه كان يرمي ليس خداع الناس فقط بل حتى خداع النعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة عندما كلمه فقال : " أنشدك الله إلا تنحي

عني ، ما أنا بمسلم إليك أمانتي "^(٣) .

كما يتضح لنا ان ابن زياد قد عرف طريقة خداع أهل الكوفة ودخوله إليهم ، وانه يعلم بطرقها وأبوابها وإلا كيف استطاع من دخولها وما يعزز هذا الكلام ان زياد بن ابيه قد حكم الكوفة فترة ثلاث سنوات (٤٩ - ٥٣ هـ / ٦٧٢ م - ٦٧٩ م) ، وهذه الفترة يمكن ان تُعرف عبيدالله على أشرف الكوفة هذا فضلاً عن معرفته بطرقها ومساكنها^(٤) .

١٠. سياسة ابن زياد بعد أن وصل إلى الكوفة

بعد ان دخل ابن زياد قصر الإمارة وفي الصباح أمر بجمع الناس في المسجد الأعظم فأسرت الناس إليه وقد خيم عليهم الفرع والذعر وخرج إليهم متقلداً سيفه ومعتماً بعمامة فخطب قال : " أما بعد ، فأن أمير المؤمنين أصلحه الله ، ولاني مصركم وثغركم وفيئكم ، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم ، فانا لمطيعكم كالوالد البر الشفيق وسيوفي وسوطي على من ترك أمري ، وخالف عهدي ، فليبق امرؤ على نفسه ، الصدق ينبيء عنك لا الوعيد "^(٥) .

ونستنتج من هذا ان ابن زياد قد حدد منهاج عمله في الكوفة وكانت فيها الأمور الآتية :

٧. إعلام أهل الكوفة بولايته على مصرهم ، وعزل النعمان بن بشير الأنصاري عنها .
٨. إمارة ابن زياد وكانت إمارة استكفاء مطلق في جباية الخراج وتفويض له في الفيء والعطاء .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٩ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (t) ، ص٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٤ - ابن شهر آشوب ، محمد (ت٥٨٨هـ) ، مناقب آل أبي طالب ، مؤسسة العلامة للنشر ، (قم / ١٣٧٩هـ) ، ج٣ ص٢٤٢ .

(٢) الراوي ، ثابت اسماعيل ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص١١٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٤ .

(٤) الصدر ، شذرات من فلسفة تاريخ الامام الحسين (t) ، ص٢٧٩-٢٨٠ .

(٥) الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) ، مقاتل الطالبين ، تح السيد أحمد صقر ، ط١ ، مطبعة عترة ، (ايران / ١٤٢٥هـ) ، ص١٠٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٨ .

٩. إعلام أهل الكوفة بأن السيف هو مصير كل من يخالف سياسة يزيد بن معاوية والذي يبدو أن ابن زياد لم يحدد واجبه المهم وهو قتل أو نفي مسلم بن عقيل وهناك سببان مهمان لهذا :
ج. انه يعرف عدد المبايعين لمسلم بن عقيل والذين كانوا قادرين على مواجهته وإفشال دوره في قيادة أهل الكوفة نحو السلطة الأموية وقد اعلمه يزيد بذلك^(١).

ح. أن المبايعين للإمام (ت) كان أغلبهم من الشباب لذلك خاف الانتفاضة والخروج عليه ومما يدل على أن أغلبهم من الشباب هو أن المرأة كانت تأتي أبنها أو أخاها أو زوجها تقول له الناس يكفونك^(٢).

وكانت لهذه الخطبة أثرها الواضح في استفزاز الناس فقام إليه أسد بن عبدالله المري* وقال : أن الله تبارك وتعالى يقول : ((أَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّةً أُخْرَى))^(٣) ولم يجبه بن زياد عن ذلك مع انه قد وقف ضد نهجه وهذا يدل لنا على تخوفه من أهل الكوفة أول مجيئه.

ثم حدد منهاج عمل العرفاء في الكوفة من خلال خطبته فيهم فقد ذكر أبو مخنف الأزدي^(٤) " فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً ، فقالوا اكتبوا إلى الغرباء ، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب ، الذين رأيهم الخلاف والشقاق ، فمن كتبهم لنا فبريء ، ومن لم يكتب لنا احد فيضمن لنا ما في عرافته إلا يخالفنا منهم مخالف ، ولا يبغى علينا منهم باغ ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة ، وحلال لنا ماله وسفك دمه ، وإيما عريف ، وجد من عرافته من بغية أمير المؤمنين احد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره ، وألغيت تلك العرافة من العطاء ، وسير إلى موضع بعمان الزارة**"

وأحتوى منهاج عمل ابن زياد الأمور الآتية :

٩. الكتابة إلى عبيدالله عن الغرباء الذين يأتون إلى الأمصار لأنه كان لديهم سجلات عامة فيها أسماء الرجال والنساء والأطفال .

١٠. تحديد الناس في الكوفة ، أهم إتباع يزيد بن معاوية أو ضده ؟

١١. تحميل العريف مسؤولية ما موجود في عرافته من الغرباء إن لم يكتب وبذلك يكون حق لابن زياد صلبه على باب داره .

١٢. اعتماد أهل الكوفة على العطاء بسبب قلة المهن والحرف الصناعية إذ أغلبهم فقراء يعتمدون على الحرب كوسيلة للعيش لذلك لجأ ابن زياد إلى نقطة الضعف هذه عندهم هذا فضلاً عن ان العريف قد ينفي إلى منطقة ليس فيها سوى زبير الأسد والذي يتضح بأن عبيدالله قد حدد سياسته بالعراق (البصرة والكوفة) باتصاله بالعرفاء كونهم يعرفون قبائلهم جيداً وبذلك سهلت عليه الأمور في قيادتهم .

أما بالنسبة لمسلم بن عقيل فبعد أن سمع بمجيء عبيدالله ومقاتله التي قالها ، وما أخذ به العرفاء والناس ، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هاني بن عروة المرادي* فدخل بابه^(١) ، ويبدو ان سبب اختياره لدار هاني بن عروة انه لم يكن عنده قوة تحميه لذلك لجأ إلى هاني كونه سيد مصر

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣١ .

*أسد بن عبدالله المري : لم أجد ترجمته .

(٣) سورة النجم ، آية ٣٨ .

(٤) مقتل الحسين (ت) ، ص ٢٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٩ .

**الزارة : الأجمة ، أجمة القصب ، وهي مأوى الأسد . ينظر : البكري ، معجم ما أستعجم ، ج ٢ ص ٦٩٢ .

*هاني بن عروة : هاني بن عروة بن تمران بن عمرو بن قعاس بن عبد يغوث بن مخدش بن عصم بن مالك بن عرف بن ناجية . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤٠٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٦٥ .

وزعيم مراد ، وعنده من القوة ما يضمن حمايته وحماية أنصاره ، فقد ذكر قسم من المؤرخين^(٢) " إذا ركب يركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل ، وإذا أجابته أحلافه من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع " ، هذا فضلاً عن كونه اكبر مشايخ الكوفة سناً وشأناً^(٣) ، وليس مثلما يقول قسم من المؤرخين^(٤) من أنه ثقل على هاني استجارة مسلم به ولولا دخوله داره لرغب هاني في الخروج منه ، لان هناك من الأمور ما يحمل على رفض هذه الرواية ، فيقول القرشي^(٥) أن مسلم لو شعر بعدم الرضا والقبول من هاني لما ركن إليه وتخرج من دخول داره وذلك لما توافرت في مسلم من الطاقات التربوية الدينية التي تصده من الالتجاء إلى من يكره وفادته ، مضافاً إلى ما عرف به مسلم من الشمم والإباء الذي يبعده كل البعد من ان يفرض نفسه على احد لا يرغب فيه . ثم كيف ان الشيعة تذهب إليه وتباعيه وهو في دار هاني الذي أواه مجبراً^(٦) ، ثم تثبت الأيام التي مر بها هاني واعتقاله انه رفض أوامر ابن زياد بأن يذهب ويجلب له مسلم فقال هاني : " والله لا أجيبك أبداً ، أنا أجيبك بضيقي تقتله " ^(٧) ، هذا فضلاً عن ما ذكره ابن كثير^(٨) ان هاني قال لعبيد الله : " والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه " ، وقد ضربه ابن زياد وتحمل هاني الضرب من اجل عدم خيانة مسلم بن عقيل .

١١. التجسس على مسلم

أن أول بادرة سلكها ابن زياد هي التجسس على مسلم ومعرفة جميع نشاطاته السياسية والوقوف على نقاط القوة والضعف عنده وقد اختار لهذه المهمة مولاة مقل التميمي^(١) ، وكان ابن زياد قد دعاه وأعطاه ثلاثة آلاف درهم ، وقال له اطلب مسلم بن عقيل ، وأطلب لنا أصحابه ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف فقل لهم " استعينوا بها على حرب عدوكم ، وأعلمهم انك منهم ، فأنك لو قد أعطيتها إياهم اطمنوا إليك ، ووثقوا بك ، ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم " ^(٢) .

نستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

٥. خداع أنصار مسلم بن عقيل بالأموال ، وهذه الخديعة لها مدلولان هما :
- أ. افتقار مسلم بن عقيل وأنصاره إلى الأموال

(٢) أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٤٠ - المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجواهر ، تح السيدين أبي ليلي ، المكتبة التوفيقية ، (مصر / بلات) ، ج ٣ ص ٦١ - المشهدي ، محمد بن جعفر (ت ٦٠٠هـ) ، فضل الكوفة ومساجدها ، تح محمد سعيد الطريحي ، دار المرتضى للنشر ، (بيروت / بلات) ، ص ٨٧ .

(٣) الاسفرايني ، أبو إسحاق ، نور العين في مشهد الحسين (ت) ، مطبعة المنار ، (تونس / بلات) ، ص ٢٣ - البراقي ، السيد حسين بن أحمد ، (ت هـ) ، تاريخ الكوفة ، تح محمد صادق بحر العلوم ، ط ٤ ، دار الاضواء ، (بيروت / ١٤٠٧) ، ص ٢٩٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ - أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥ .

(٥) مسلم بن عقيل ، ص ١٣٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٠ - أبين نما الحلي ، مثير الاحزان ، ص ٢٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٦ .

(٨) البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٥٢٧ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ - أبين الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥ - أبين كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٥٤٦ .

(٢) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٣١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ .

ب. عدم سرية عمل مسلم بن عقيل وإلا كيف يقول ابن زياد لمولاه اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايعه أهل الكوفة^(٣).

٦. ان وصية ابن زياد لمعقل فيها من اليقظة الشيء الكثير وهي ان دلت علي شيء فأنها تدل على معرفته بطبائع مجتمع الكوفة الاجتماعي والاقتصادي وهذا غير بعيد عنه لأنه حكم البصرة من سنة (٥٣-٦٠ هـ / ٦٢-٦٧٩ م) وهذه الفترة تكفيه لمعرفة أطباع أهل الكوفة بسبب الترابط القبلي الموجود بين القبائل الموجودة في المصريين^(٤).

كما لا ننسى ان اختيار ابن زياد لمعقل لهذه المهمة تدل على خبرته بالطبيعة النفسية لأهل الكوفة ولمعقل معاً وقد اثبت معقل بأنه خير صنيع له بانتحال صفة احد الموالى لذي الكلاع ومن أهل الشام لكي ينفي الشك والريب عنه^(٥).

وقام معقل بالتمثيل والتمسكن بأنه من محبي أهل البيت (i) ^(١). وتردد إلى المسجد فنظر إلى رجل يكثر الصلاة فقال في نفسه " أن هؤلاء الشيعة يكثررون الصلاة واحسب هذا منهم " ^(٧) ثم قرب معقل منه وبعد الانتهاء من صلاته قال لمعقل له " جعلت فداك أني رجل من أهل الشام ، مولى لذي الكلاع ، ... ، ومعى ثلاثة آلاف درهم ، أحب إيصالها إلى رجل منهم ، بلغني انه قدم هذا المصر داعية الحسين بن علي ، ... ، فهل تدلني عليه لأوصل هذا المال إليه ، ليستعين به على بعض أموره ، ويضعه حيث أحب من شيعته " ^(١) ، قال له الرجل " وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيري ممن في المسجد " ^(٢) ، قال " لأنني رأيت عليك سيما الخير ، فرجوت ان تكون ممن يتولى أهل بيت رسول الله (ع) " ^(٣) ، قال له الرجل " ويحك ، قد وقعت علي بعينك " ^(٤). وبهذه الكلمات استطاع معقل خداع مسلم بن عوسجة* وان يعترف له بأنه من شيعة أهل البيت ولم يعمل بشكل علني خوفاً من ابن زياد وطلب مسلم بن عوسجة من معقل ان يكتم هذا عن جميع الناس^(٥).

وبهذا استطاع معقل الوصول إلى إخبار مسلم بن عقيل بل حتى الدخول عليه وما يؤخذ على مسلم بن عوسجة أنه وثق بمعقل من دون ان يعرفه بشكل جيد هذا فضلاً عن عدم فطنته مع أصحابه على فترة مكوث معقل يومياً في دار هاني فكان أول القوم دخولاً وآخرهم خروجاً^(٦) ، إضافة إلى ان المحاورات والمناقشات في أمورهم السياسية كانت تجري أمامه من دون ريبه ، وقد دفع هاني ثمن

(٣) أبين حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٤) ل. ماسينيون ، خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة تقي محمد المصبيعي ، مطبعة العرفان ، صيدا ، (بيروت / ١٩٣٩ م) ، ص ٣٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣١٢ - أبين الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥ .

(٧) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(١) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(٢) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(٣) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

(٤) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ .

* مسلم بن عوسجة : مسلم بن عوسجة من بني سعد بن ثعلبة السعدي يكنى بأبي جعل ، من ابطال العرب المشهورين ، وهو من اصحاب الإمام علي (ع) . ينظر : القاضي ، المغرب في شرح الاخبار ، ج ٣ ص ٢٤٥ - الزبيدي ، تاج العروس

، ج ٧ ص ٢٥٢ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢٢٢ .

(٥) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٤ .

ذلك عندما قال له ابن زياد " جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك ، ... ، وأبى هاني إلا مجاهدته ومناكرته ، فدعا ابن زياد معقلاً ، ... ، أتعرف هذا ، قال : نعم " (٧) هذا فضلاً عن نقله كل الأخبار التي دارت في دار هاني بن عروة فقد ذكر ابن الأثير (٨) أن معقل بعد خروجه من دار هاني يذهب إلى ابن زياد آخر الليل ليطلععه على آخر الأخبار .

١٢. مسلم والغدر

يذكر قسم من المؤرخين (٩) في مرض هاني بن عروة ، جاء عبيد الله عائداً له ، فقال له عمارة بن عبد السلولي : " إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية فقد أمكنك الله قتله فأقتله ، قال هاني : ما أحب أن يقتل في داري " . والذي يبدو أن هاني كره قتل ابن زياد في داره وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على تمسكه بالعبادات العربية التي لا تبيح قتل الضيف والقاصد إليها في بيوتها بالرغم مما يحمل القادم من صفات غدر ومكر .

وبعد أسبوع مرض شريك بن الأعور مرضاً شديداً في دار هاني بن عروة ، فأنتهى خبره إلى ابن زياد ، فأرسل إليه رسولاً يعلمه أنه آت لعيادته ، فاعتنم شريك هذه الفرصة فقال لمسلم : " إنما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية ، وقد أمكنك الله منه وهو صائر الي ليعودني ، فقم فادخل الخزانة حتى إذا أطمأن عندي فأخرج إليه فاقتله ثم صر إلى قصر الإمارة ، فاجلس فيه فإنه لا ينازعك فيه احد من الناس ، وأن رزقتي الله العافية صرت إلى البصرة فكفيتك أمرها ، وبائع لك أهلها " (١٠) . ثم اختلفت الآراء فيما بينهم على قتل ابن زياد وكره هاني أن يقتل ابن زياد في داره ، وأجابه شريك بأن قتله قربان إلى الله وقال لمسلم لا تقصر في ذلك (١١) . وبينما هم في الحديث وإذا بابن زياد وحاشيته على الباب ، فقام مسلم ودخل الخزانة مختفياً فيها ، ودخل ابن زياد فجعل يسأل شريكاً عن مرضه وشريك يجيبه ، ولما استبطأ شريك خروج مسلم جعل يقول :

حيوا سلمى وحيوا من يحييها

ما الانتظار بسلمى ان تحيوها

كأس المنية بالتعجيل فاسقوها (١٢)

ورفع صوته لسمع قائلاً " لله أبوك ! اسقنيها وأن كانت فيها نفسها " (١٣) قال ذلك مرتين أو ثلاث مرات فقال ابن زياد : " هو لا يفطن ما شأنه أترونه يهجر ، فقال له هاني : نعم ، احلمك الله ، ما زال هكذا قبل غياب الشمس إلى ساعتك هذه " (١٤) . وفطن مهران مولى لابن زياد إلى ما دبر لسيدته ، فغمزه ونهض به سريعاً ، فقال له شريك : أيها الأمير ، أني أريد أن أوصي إليك ، فقال ابن زياد : " سأعود

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٧ .

(٨) الكامل ، ج ٤ ص ٢٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٦ .

(١٠) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٤ .

(١١) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٤ .

(١٢) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠١ .

(١٣) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠١ .

(١٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ .

"(٦) والتفت مهران وهو مذعور إلى ابن زياد فقال : " ان القوم أرادوا قتلك "(٧) فبهر ابن زياد من ذلك .

وبعد خروجه من دار هاني بن عروة أعتمر مسلم من شريك^(٨) ، وعندما سأل شريك مسلماً : ما منعك من قتله ، فقال مسلم : " منعني منه خصلتان : أحدهما كراهية هاني لقتله في منزله والأخرى قول رسول الله (ﷺ) أن الإيمان قيد الفتك ، لا يفتك مؤمن "(٩) ، رفض مسلم سياسة الغدر لأي شخص لأنه اعم من الفتك^(١٠) ، هذا فضلاً عن ان إيمان مسلم يمنعه سفك الدم الحرام^(١١) .

فقال شريك : " أما لو قتلته لجلست في القصر لم يستعد منه احد وليكفينك أمر البصرة ، ولو قتلته لقتلت ظالماً فاجراً "(١٢) ، وبعد ثلاثة أيام توفي شريك وصلى عليه ابن زياد وعندها علم أن شريك في كلامه كان يحرض مسلم على قتله فعندها أقسم ابن زياد على ان لا يصلي على جنازة من أهل العراق^(١٣) .

والسؤال أن أراد شريك قتل ابن زياد لماذا يرسم خطة ويطلب من مسلم تنفيذها ولا ينفذها هو نفسه ؟ ولماذا لم يقتله شريك في أثناء مسيره معه من البصرة إلى الكوفة ؟ وللإجابة عن السؤال الأول وجهان ، الوجه الأول : ان الرواة يذكرون ان شريك كان مريضاً شديداً وهذا سبب كاف لعدم استطاعته قتله والوجه الثاني : ان مسلم بن عقيل هو رسول الإمام (ت) إلى أهل الكوفة وهو صاحب الأمر بأخذ البيعة للإمام وتصفية الخصوم وبذلك فهو الأجدر بقتل ابن زياد . أما الإجابة عن السؤال الثاني فلا يخفى أن ابن زياد عند مجيئه من البصرة كان معه خمسمائة رجل وقتله في ذلك الوقت يعد انتحاراً لأنه لا يسلم ان يقتل بعد ذلك من حاشية وشرطة ابن زياد هذا إذا كان مستطاعاً قتله وهو مع حاشيته وجنوده . هذا هو جواب السؤالين إلا أنه لا يمكن الجزم بذلك لأنه ربما تكون المصالح الشخصية لأشراف البصرة والكوفة ومن ضمنهم شريك حافزاً آخر في عدم دخول هذه المجازفة الخطيرة كـ سـ و ن شـ رـ يـ ك كـ نـ و ا لـ يـ لـ كـ رـ مـ نـ سنة ٦٧٨هـ / ٥٩م^(١٤) .

يبقى سؤال آخر إذا كان معقل مولى ابن زياد أول القوم دخولاً وآخرهم خروجاً لدار هاني بن عروة لماذا لم يتم أخبار ابن زياد بمحاولة قتله ؟ وللجواب عن هذا السؤال يذكر الطبري^(١٥) ان معقل مولى ابن زياد كان يأتي إلى مسلم بن عوسجة أياماً ولم يأت إلى دار هاني بن عروة إلا بعد موت شريك الأعور ، والظاهر أنه علم بمحاولة قتل ابن زياد بعد موت شريك .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(٧) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(٨) الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، تنزيه الانبياء ، ط ٢ ، دار الاضواء ، (بيروت / بلات) ، ص ٢٢٨ .

(٩) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ - الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، المجازات النبوية ، تج طه محمد ، مكتبة بصيرتي ، (قم / بلات) ، ص ٣٥٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ يذكر ضد بدلاً من قيد .

(١٠) العاملي ، جعفر مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ط ١ ، دار الهادي ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ج ٦ ص ٤٤ .

(١١) الشريف المرتضى ، تنزيه الانبياء ، ص ٢٢٨ .

(١٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٦ .

(١٣) أبو مخنف الازدی ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٣٣ - الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٧ .

(١٤) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة / ١٣٧٩هـ) ، ج ٢ ص ٤٨٣ .

(١٥) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٤ .

أسباب عدم قتل مسلم بن عقيل لعبيد الله بن زياد

هناك عدد من الأسباب في عدم قتل مسلم لعبيد الله بن زياد منها :

٥. قول مسلم بن عقيل نفسه عن رسول الله (ﷺ) : " أن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن " (٥) ، هذه الكلمة تدل على أن آل البيت (i) من قوة تمسكهم بالحق والصدق نبذوا الغدر حتى لدى الضرورة (٦) .
٦. كان مسلم بن عقيل يمثل الحكومة الدينية التي تعنى قبل كل شيء بمبادئ الدين والالتزام بتطبيق سننه وأحكامه وليس من الإسلام في شيء للقيام بعملية الاغتيال (١) .
٣. كان أهل البيت (i) ينعون على الأمويين شذوذ أعمالهم التي لا تتفق مع نوااميس الدين وما قام به الإمام (t) بنهضته إلا لتصحيح الأوضاع الراهنة وإعادة المنهج الإسلامي إلى الناس " ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب " (٢) .
٤. معرفة مسلم بن عقيل بكراهية قتل أبين زياد في دار هاني بن عروة نفسه (٣) .
٥. كان واجب مسلم بن عقيل هو أخذ البيعة ومعرفة هوى أهلها والكتابة عنهم إلى الإمام (t) ولم يكن واجبه القتل وقد أشار إلى ذلك أبين الأثير (٤) " أمره بتقوى الله وكتمان أمره واللفظ وأن رأى الناس مجتمعين له يحمل إليه بذلك " .
٦. ومن القرائن على كراهة هاني من قتل أبين زياد في داره ، أن مهران الحارس لعبيد الله القائم على رأسه بالسيف يصارع مسلم دفاعاً عن عبيد الله حتى يقوم هو أيضاً بالدفاع عن نفسه ، هل كان مسلم بوحدته مع شجاعته البالغة ينال أمه من قتل عبيد الله (٥) .

(٥) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ - أبين سلام ، القاسم بن الهروي (ت ٢٢٤هـ) ، غريب الحديث ، تح محمد عبدالمعبد خان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٣٩٤هـ) ، ج ٣ ص ١٠٣ .

(٦) السيد البرقي ، تاريخ الكوفة ، ص ٢٩٧ .

(١) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٢ .

(٢) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٣ - ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ .

(٤) الكامل ، ج ٤ ص ٢١ .

(٥) الشافعي ، محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧١هـ) ، جواهر المطالب في مناقب الامام الجليل علي بن أبي طالب ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، مكتبة احياء ، مطبعة باسدار السلام ، (قم / ١٤١٦هـ) ، ج ٢ ص ٢٦٥ .

خامساً . ابن زياد وإجراءاته تجاه هاني

٣. اعتقال هاني بن عروة

كان هاني يغدو ويروح إلى عبيد الله ، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتمارض فجعل لا يخرج ، فقال ابن زياد لجلسائه : ما لي لا أرى هانئاً ، فقالوا : هو شاك ، فقال : لو علمت بمرضه لعدته^(١) . ويبدو ان معقل قد أخبر ابن زياد بأن هاني هو العضو البارز في أنصار مسلم بن عقيل لذلك كان يطيل التفكير ويطيل البحث في شأن هاني فهو أعز من في المصر ، وأقوى شخصية يستطيع حماية مسلم وأنصاره ، لذلك تناقش مع أعوانه وقد اتفق رأيهم على خديعته بإرسال وفد إليه من السلطة يعرض عليه رغبة ابن زياد في زيارته ، فإذا وقع تحت قبضته ، فقد تم كل شيء ، ويكون تشتيت إتباعه ليس بالأمر العسير ، فشكّلوا وفداً لدعوته من أسماء بن خارجة* ومحمد بن الأشعث** وعمر بن الحجاج الزبيدي^(٢) .

ولم يكن لأسماء بن خارجة علم بالمؤامرة التي دبّرت ضد هاني^(٣) ، وإنما كان يعلم بها محمد بن الأشعث وعمر بن الحجاج وقد أمرهم ابن زياد أن يحملوا له عواطفه ورغبته الملحة في زيارته ويعملوا جاهدين على إقناعه^(٤) .

وعندما ذهب الوفد إلى هاني عشية فوجده جالساً على باب داره ، فسلموا عليه وقالوا له : " ما يمنعك من لقاء الأمير فإنه ذكرك ، وقال لو أعلم أنه شاك لعدته ، فقال : الشكوى تمنعني ، وأبطلوا هذا

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٧ .

* أسماء بن خارجة : أسماء بن خارجة بن حصين بن حذيفة بن بدر الفزاري ، زعيم فزارة ومن سادات أهل الكوفة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص٢٥٧ .

** محمد بن الأشعث : محمد بن الأشعث بن قيس بن معد بن يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية يكنى بأبي القاسم ، روى عن عمر وعثمان . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٦٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٨ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٨ .

الزعم وقالوا له : " أنه قد بلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك ، وقد استبطاك والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان ، اقسنا عليك لما ركبت معنا " (٥) .

وأخذوا يلحون عليه في زيارته فاستجاب لهم على كره ، فدعا بثيابه فلبسها ودعا ببغلة فركبها فلما كان قريباً من القصر أحست نفسه بالشر فعزم على الانصراف وقال لابن خارجة " يا ابن أخي ، أني والله لخائف من هذا الرجل ، فماذا ترى (٦) ؟ فقال ابن خارجة : " يا عم والله ما أخوف عليك شيئاً ولم تجع لعل على نفسك نفسك " (٧) .

سبيلاً (٨) ودخل القوم على ابن زياد ، فاستقبله ابن زياد وقال له : " أنتك بخائن رجلاه " (٩) وكان شريح القاضي* إلى جانبه فالتفت نحوه وقال ابن زياد :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وذعر هاني منه فقال له : ما ذاك أيها الأمير (٣) ، فقال له ابن زياد : " إيه يا هاني ما هذه الأمور التي تربص في دورك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين ، جنت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك وظننت ان ذلك يخفى علي " (٤) والذي يتضح من هذا ان معقلاً كان يوصل الأخبار التي تمارس أمام العين إلى ابن زياد أولاً بأول وهذا ما جعل ابن زياد يقول ذلك لهاني ، وعندما انكر ذلك اخرج له معقل ، وعلم هاني عند ذلك انه كان عيناً عليهم ، وأنه قد أتاه باخبارهم (٥) . وقد حاول هاني ان يدافع عن نفسه فقال لابن زياد " قد كان الذي بلغك ، ولن أضع يدك عندي ، وأنت آمن " (٦) ، ويضيف المسعودي (٧) بأن هاني قال لابن زياد : " تشخص أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم ، فإنه جاء حق من هو أحق من حقلك وحق صاحبك " .

(٥) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٢ - الخوارزمي ، الموفق بن أحمد بن محمد (ت ٥٦٨هـ) ، مقتل الحسين (ت) ، تح محمد السماوي ، مطبعة مهر ، (قم / ١٤٢٣) ، ج١ ص٢٩٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٥ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج١ ص٢٩٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٨ .

(٧) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٨ .

(٨) أنتك بخائن رجلاه : هذا المثل أستخدمة الحارث بن جبلة الغساني للحارث بن العيف العبدلي حين أسره في هزيمة المنذر وكان قد هجاه ، ويضرب هذا المثل للرجل يسعى الى المكروه حتى يقع فيه . ينظر : النيسابوري ، مجمع الامثال ، ج١ ص١١٩ - الزمخشري ، المستقصى في امثال العرب ، ج١ ص٣٧ .

*شريح القاضي : شريح بن الحارث بن قبيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الراش من كندة ، يكنى أبا أمية ، وليس

من بني الراش في الكوفة غيره وكان شاعراً قلي القضاء في الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . ينظر : ابن

سعد ، الطبقات الكبير ، ج٨ ص٢٥٢-٢٥٣ - الاصفهاني ، أحمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ) ، معرفة الصحابة ، تح

محمد حسن محمد وآخرين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢هـ) ، ج٣ ص٢١ - سبط ابن العجمي ، نهاية الرسول

في الرواة الستة الاصول ، ج٣ ص١٠٤٨ - ابن حجر ، الاصابة في معرفة الصحابة ، ج٣ ص٣٣٤ .

(٩) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٣٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٥ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج١ ص٢٩٥ - ابن الاثير ، الكامل ،

ج٤ ص٢٨ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٩٤ .

(٧) مروج الذهب ، ج٣ ص٥٩ .

وهذه النصوص تدل لنا على شجاعة هاني بن عروة المرادي في إيضاح الحق مع مسلم وآل بيته (t) وليس مع ابن زياد وخليفته يزيد بن معاوية لذلك استفز ابن زياد من كلام هاني فقال له والله لا تفارقني حتى تأتيني به^(٨) ، فرفض هاني ذلك وقال : والله لا آتيك بضيفي أبداً^(٩) .

ولما طال الجدل بينهما أنبرى مسلم بن عمرو الباهلي ولم يكن رجل غريب في المجلس غيره فطلب من ابن زياد ان يختلي بهاني ليقنعه فأذن له ، فقام وخلا به ناحية بحيث يراهما ابن زياد ويسمع صوتهما إذا علا ، وحاول الباهلي إقناع هاني وحذره من نقمة السلطان وان السلطة لا تنوي السوء بمسلم قائلاً : " يا هاني أشدك الله إلا تقتل نفسك ، وتدخل البلاء على قومك ، ان هذا الرجل ابن عم القوم ، وليسوا بقاتليه ، ولا ضائريه ، فادفعه إليه ، فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنما تدفعه إلى السلطان "^(١٠) .

نستنتج من هذا ان أعوان ابن زياد أرادوا الأمور الآتية من هاني بن عروة .

٧. تسليم مسلم بن عقيل إلى ابن زياد ، وقد رفض هاني ذلك لأسباب كثيرة أهمها :

ج. معرفة هاني بأن آل البيت (i) هم أفضل من يتولى الخلافة وان الخلافة حق لهم " فإنه قد جاء من هو أحق من حقك وحق صاحبك "^(١١) .

ح. أن هاني بن عروة يمثل زعيم قبيلة كبيرة في الكوفة وبالتالي فإن سياسة التهديد والوعيد التي استخدمها ابن زياد وأعوانه ليست هي السياسة المطلوبة من أجل إنهاء المسائل .

ج. كيف يسلم هاني مسلم بن عقيل وهو ضيفه وهذا مناف للعادات العربية الأصيلة " أن علي في ذاك

الخزي والعار ، ان ادفع جاري وضيفي "^(١٢) .

د. قوة هاني البدنية وهذه القوة قد عبر عنها هاني نفسه عندما قال " أنا حي صحيح أسمع وأرى ، شـ

الساعد ، كثير الأعوان "^(١٣) .

٨. أقناع هاني بأن بتسليمه لمسلم بن عقيل ليس منقصة ولا مخزاة له ولعشيرته وهي سياسة ترغيب وسياسة تهديد ليس ضد الشخص فقط وإنما ضد عشيرته وفي هذه الحالة يكون البلاء على العشيرة بالكامل من منع العطاء الكامل في ابسط عمل ضدهم ، وهذه هي من سمات الحكم الأموي التي زرعتها معاوية .

ولما فشل الباهلي من إقناع هاني انطلق نحو ابن زياد وقال له : " قد أبى ان يسلم مسلماً أو يقتل ، فغضب ابن زياد وقال : والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك فقال : إذا والله تكثر البارقة* حول دارك فقال

(٨) ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ١٠٢ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ج ١ ص ٢٩٥ .

(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٨ .

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

(١١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٥٩ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

(١٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٦ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ج ١ ص ٢٩٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

أبن زياد : وبالبارقة تخوفني ^(٥) . وظن هاني ان عشيرته ستقف معه وستمنع أبن زياد من ضرب عنقه ^(٦) . فتحدى أبن زياد هاني فطلب منه ان يدنو منه ، فلما دنا منه ضربه بالقضيب على وجهه ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخذه حتى كسر أنفه ، وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب ، وحاول هاني أن يأخذ سيف أحد الشرطة والدفاع عن نفسه فمنع من ذلك فقال أبن زياد له " احروري * سائر اليوم " ^(٧) ويبدو ان عبيدالله بن زياد قد تحدى هاني بن عروة وضربه في قصر الأمارة وخاصة بعد ان هدد هاني بالبارقة ولم يقف تصرف ابن زياد هذا ضد هاني فحسب بل يذكر قسم من المؤرخين ^(٨) ان أسماء بن خارجة قد عاتبه بسبب ضربه لهاني فقال له : " أرسل غدر سائر اليوم ، أمرتنا ان نجينك بالرجل حتى إذا جئناك به ، ... ، وزعمت انك تقتله " فغضب ابن زياد منه فأوعز إلى شرطته بتأديبه فضربه بجمعة بحركة عنيفة ^(٩) ثم حبس فقال أسماء في السجن " ، ... ، إلى نفسي أنعاك * يا هاني " ^(١٠) . وهذا معناه ان ابن زياد لا يريد ان يقف أحداً ضده في سياسته حتى وان كان من أعوانه وربما أدرك محمد بن الأشعث ذلك فعندما رأى الموقف قال : " قد رضينا بما رأى الأمير ، لنا كان أم علينا ، إنما الأمير مودب " ^(١١) ، إزاء هذه الأوضاع تدارك ابن زياد الموقف لتخوفه من ان يثب عليه الناس فخرج عند ذلك وصعد المنبر ومعه أشراف الكوفة وشرطته وحشمه فقال : " اما بعد ، أيها الناس اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلوا وتقتلوا وتخيفوا وتحرموا ، ان أخاك من صدقك وقد اعذر من انذر " ^(١٢) .

والذي يمكن ان يستنتج من هذا النص أمر مهم جداً هو ان الأمويين وأعوانهم كانوا دائماً يسعون إلى إفهام الناس بأن الخلافة لهم وفق نظرية الحكم الإلهي أو وفق سياسة الجبر وما قوله " اعتصموا بحبل الله وطاعة أئمتكم " إلا دليل ذلك .

أما موقف قبيلة مذحج من هذا العمل المضاد لزعيم قبيلتهم فقد ذكر قسم من المؤرخين ^(١٣) : " أن عمرو بن الحجاج قد سمع خبر ان هانئاً قد قتل ، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم ، نادى : " أنا عمرو بن الحجاج ، هذه فرسان مذحج ووجوهها ، لم نخلع طاعة ، ولم نفارق جماعة وقد

* البارقة : السيف ، تقول رأيت بارقة القوة إذا رأيت بريق سيوفهم ، ويقال : أبرق فلان بسيفه يبرق إذا لمع بسيفه . ينظر : الدنيوري ، عبدالله بن مسلم (ت ٧٢٦هـ) ، غريب الحديث ، تح عبدالله الجبوري ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٨هـ) ، ج ٢ ص ١٤ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٤٧ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج ١ ص ٢٩٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ - أبن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

* يقول الجاحظ أن ابن زياد قال لهاني : " أهروري سائر اليوم " يريد احروري بسبب وجود لكنة فارسية في كلامه . ينظر : الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، تح المحامي فوزي عطور ، ط ٢ ، دار صعب ، (بيروت / ١٩٦٨م) ، ج ١ ص ٥٣ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج ١ ص ٢٩٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ .

* أنعاك : مفردا نعي ، هو الذي يأتي يخبر الموت . ينظر : محمد عبدالقادر ، مختار الصحاح ص ٣٤٢ - الطريحي ، مجمع البحرين ، ج ٤ ص ٣٣٩ .

(٤) أبن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٤٨ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ج ١ ص ٢٩٦ .

(٥) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ - أبن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - أحمد زكي صفوت (ت ١٢٧٢هـ / ١٤٢٣م) ، جمهرة خطب العرب ، المكتبة العلمية ، (بيروت / بلات) ، ج ٢ ص ٩٣ .

(٧) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٣٩ - الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٧ - الخوارزمي ، مقتل

الحسين (ت) ج ١ ص ٢٩٦ - أبن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٠ - أبن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص ٢٣ - بحر العلوم ، السيد محمد مهدي (ت ١٢١٢هـ) ، الفوائد الرجالية ، تح محمد صادق بحر العلوم ، ط ١ ، مكتبة الصادق ، (ايران / ١٣٦٣هـ) ، ج ٤ ص ٢٤ .

بلغ ان صاحبهم يقتل ، فاعظموا ذلك " . ونرى فيه من الخنوع والمسالمة إلى السلطة وليس فيه اندفاع لإنقاذ هاني ، ولذا لم يحفل به ابن زياد فالتفت إلى شريح وقال له : " ادخل على صاحبهم فأنظر إليه ، ثم اخرج إليهم وأعلمهم بأنه حي " (١) .

وهذا يوضح لنا أمرين مهمين هما :

١. ان أمر إدخال شريح القاضي على هاني قد تم بإيعاز من ابن زياد ، وكان قد اعلمه بما سيقوله بعد خروجه إليهم ولزيادة الاطمئنان إليه فإنه ادخل معه حميد بن بكير الاحمري وهو احد حراسه من اجل عدم قدرة شريح على الكلام وما قاله شريح إلا دليل على ذلك : " فخرجت إليهم ، ... ، وايم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما امرني به " (٢) .
٢. ربما هناك اتفاق مسبق ما بين عمرو بن الحجاج وعبيدالله بن زياد حول عملية خروج القبيلة ، وما يؤكد هذا ان ابن زياد لم يخش القبيلة التي جاءت بفرسانها ، هذا فضلاً عن عدم وجود نية للقتال من أشراف القبيلة التي جاءت إليه بفرسانها وبضمنهم عمرو بن الحجاج ، وما يجعل هذا الكلام واضحاً هو قول هاني لشريح عندما دخل عليه : " يا شريح أني لاظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين ، ان دخل علي عشرة نفر أنقذوني " (٣) .
- والذي نراه ان الاتفاق قد تم بين أشراف القبيلة فيما بينهم وبين ابن زياد من اجل قتل هاني ، وفعلاً تم قتله في سوق الحذائين وفي وضح النهار ولم يحرك أهله ساكناً ، ولكن بمرور الوقت نجد ان عبدالرحمن بن الحصين المرادي بصر إلى مولى عبيدالله بن زياد يقال له رشيد في خازر* ، فقال الناس له : هذا قاتل هاني بن عروة فقال ابن الحصين قتلتني الله ان لم يقتله أو اقتل دونه ، فحمل عليه الرمح فطعنه فقتله (٤) ، وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على وجود حواجز لم يستطع أهل مذحج تجاوزها للخروج والدفاع عن هاني آنذاك .

٢. انتفاضة مسلم بن عقيل

لما علم مسلم بما جرى بادر لإعلان الثورة على ابن زياد لعلمه بأنه سوف يلقي نفس المصير الذي لاقاه هاني ، أوعز إلى عبدالله بن خازم** أن ينادي في أصحابه وقد ملأ منهم الدور حوله ، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً (١) وفي الدور أربعة آلاف (٢) . لربما أدرك مسلم أنها أول بوادر الغدر عند أهل الكوفة

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

*الخازر : نهر بين أربل والموصل ثم بين الزاب الاعلى والموصل وعليه كورة يقال لها نخلا . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص٣٣٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٧٩ .

**عبدالله بن خازم : عبدالله بن خازم من أنصار مسلم بن عقيل وممن استشهد في عين الورد سنة ٦٥هـ . ينظر : أبو

مخنف ، مقتل الحسين (٦) ، ص٣٠٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ .

(٢) أبين كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٥٢٧ .

لذلك أوعز مرة أخرى إلى عبدالله بن خازم أن ينادي في الناس شعار يوم بدر : " يا منصور أمت " (٣) بسبب ما يحتويه هذا الشعار من الاندفاع للتغلب على الأعداء وفيه تفاؤل بالنصر (٤).

فقام مسلم بتوزيع قيادات جيشه على من عرف بالولاء والإخلاص لأهل البيت (١) وهم عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي ، وجعله على ربع كندة وربيعه ، ومسلم بن عوسجة جعله على ربع مذحج ، وأبو ثمامة الصائدي وجعله على ربع قبائل بني تميم وهمدان ، والعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة (٥). وبعد أن أنهى مسلم تحديد مسؤوليات القيادات خرج لثمانى ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين (٦) ، واقتبلوا نحو القصر ، فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز في القصر وغلق الأبواب (٧).

وقد ذكر الطبري (٨) أن ابن عقيل خرج في أربعة آلاف وعند وصولهم إلى القصر بلغوا نحو ثلاثمائة رجل ، ثم بقي منهم ثلاثون رجلاً وعند المساء لم يبق معه إلا أولئك نفر وبعد وصوله إلى أبواب كندة بلغ عددهم عشرة وإذا خرج من الباب ليس معه إنسان يدلّه على الطريق (٩).

فما هي أسباب هذا التحول في أنصار مسلم بن عقيل ؟!

٩. أسباب فشل مسلم بن عقيل في مهمته

تجمعت عدة أسباب لفشل مسلم في مهمته ولكن أبرزها هو :

ج. العامل الاجتماعي

ج. العامل النفسي

ج. العامل الاقتصادي

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠.

(٤) الصدر ، شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين (ع) ، ص٢٨٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦٩ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ع) ج١ ص٢٩٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٦ .

(٧) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ .

(٨) تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٦٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٥ ص٣٧٠-٣٧١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٢٨ .

أ. العامل الاجتماعي

امتاز مجتمع الكوفة دون غيره من مجتمعات الامصار العربية الاسلامية بعدد من الصفات التي سببت في اخفاق مسلم بن عقيل في مهمته ابرزها هو :

١١. الغدر
فقد اشتهر مجتمع الكوفة بظاهرة الغدر وقد ضرب بهم المثل " اغدر من كوفي " ^(١) ، وقد وصفهم الامام علي (ع) " أسود روعة و ثعالب روعة عند الناس " ^(٢) وربما ان سبب وجود هذه الظاهرة هو الظروف السياسية القاسية التي مرت عليهم خلال فترة خلافة معاوية لاختياره لهم الولاة القساة .

١٢. التمرد على الولاة
والطابع الخاص الذي عرف به المجتمع الكوفي ، التمرد على الولاة والتبرم منهم ، فقد ذكر الطبري ^(٣) ان أهل الكوفة عزلوا عمار بن ياسر في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعينوا بدلاً عنه أبا موسى الأشعري برضائهم وعزل بعد سنة أيضاً برضائهم هذا فضلاً عن وصية الخليفة معاوية إلى ابنه يزيد " وأما أهل العراق فأن سألوك ان تعزل كل يوم عاملاً فافعل " ^(٤) ويبدو من وصية الخليفة معاوية أنه يريد بأهل العراق الكوفة ليس إلا بسبب كثرة الولاة عليها خلال فترة حكمه لذا فقد لاحظنا ظاهرة تعيين وعزل الولاة في العراق ومن خلال المتابعة وجد عدد الولاة في الكوفة والبصرة خلال فترة حكم الخليفة معاوية كانت ثمانية ولاة لكل مصر من الأمصار * .

١٣. التناقض في السلوك
وهذه الظاهرة وجدت في مجتمع الكوفة الذي بدأ في تناقض صريح مع حياته الواقعية فهو يقول شيئاً ويفعل ضده ، ويؤمن بشيء ويفعل ما ينفيه ، والحال أنه يجب ان تتطابق أعمال الإنسان مع ما

(١) البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) ، الفرق بين الفرق ، تح مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية ، (القاهرة / بلات) ، ص ٣٤ .

(٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٤ ص ٣٦٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ص ٣٢٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦ .

* هناك ملحق للطبري استعنت به لتبيان عدد الولاة للمصريين في خلافة معاوية .

يؤمن به ، وقد أدلى الفرزدق بهذا التناقض حينما سأله الإمام (ت) عن أهل الكوفة فقال : " من الخبير سألت ، قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية " (٥) .

١٤. عدم المجابهة أو الانهزامية
ويمكن ملاحظة ظاهرة الهروب أو الانهزامية في مجتمع الكوفة ، لأنه قد عرفنا ان عدد المبايعين لمسلم بلغوا ثمانية عشر ألفا ولكن عندما خرج مسلم بمهمته لم يخرج معه إلا نفر قليل منهم ثم لم يبق إلا وحده وحيداً فريداً . ولم يجد شخصاً واحداً يدلّه على الطريق (١) . وربما جاءت إليهم هذه الصفة كونهم قد ملوا الحروب لأنهم خاضوا حروب الجمل وصفين والنهروان .

١٥. الطمع في المال
لقد فطن ابن زياد ان الأموال هي سلاحه ضد أهل الكوفة لذلك فقد بذل الأموال بسخاء لأشراف الكوفة وقد وصف مجمع بن عبدالله العائذي* حالتهم للإمام (ت) حينما قال له : " أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ، وملئت غرائرهم " (٢) وقد وصفهم عمر بن عبدالرحمن** للإمام (ت) قبل خروجه إليهم : " إنما الناس عبيد لهذا الدرهم أو الدينار " (٣) .

ب. العامل النفسي

أوعز عبدالله بن زياد إلى أشراف أهل الكوفة ان يبادروا إلى بث الذعر ونشر الخوف بين الناس ، وقد انتدب للقيام بهذه المهمة كثير بن شهاب الحارثي*** وأمره ان يخرج الى مذحج ومجد بن الاشعث ان يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وكذلك كان دور القعقاع

(٥) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - العاملي ، علي بن يونس (ت ٨٧٧هـ) ، الصراط المستقيم إلى مستحقى التقديم ، تح محمد الباقر البهبودي ، مطبعة الحيدري ، دار المكتبة المرتضوية للنشر ، (بلا ت) ، ج ٢ ص ٣٦ .
(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣١ .

* مجمع بن عبدالله : مجمع بن عبدالله بن مجمع بن مالك بن أياس بن عبد مناة بن عايذ الله ، قتل مع الإمام (ت) . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ٤ ص ١٢١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧١-٣٧٥ .
** عمر بن عبدالرحمن : عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي المدني ، ثقة من الطبقة الثانية ، ولد يوم وفاة الخليفة عمر (رضي الله عنه) ، وولاه ابن الزبير الكوفة ثم صار مع الحجاج ومات بعد السبعين . ينظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ١ ص ٧٢١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٧ .
*** كثير بن شهاب : كثير بن شهاب بن الحصين بن يزيد بن شلد بن قنان بن سلمة المذحجي ، وكان والياً على الري في عهد معاوية واختال أموالاً كثيرة من معاوية واستتر بهاني بن عروة ، ومن المبغضين للإمام علي (ت) . ينظر : أبين سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٨ ص ٢٧٠ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ص ٣٧٨ - المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ج ١ ص ٨٤ - المرصفي ، سيد بن علي (ت ٤٨٠هـ) ، رغبة الأمل من كتاب الكامل ، مطبعة النهضة ، ط ١ (مصر / ١٩٢٧) ، ج ٢ ص ٨٦ .

بن شور الذهلي**** وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن ابجراد العملي وشمر بن ذي الجوشن العامري**** وترك وجوه الناس عنده استئناساً بهم لقلته من معه^(٤).

ولقد أدى كثير بن شهاب الحارثي دوراً كبيراً في تفريق أنصار مسلم بن عقيل من خلال ما قام به من زرع الخوف والذعر في صفوف الناس فكان يقول لهم " أيها الناس ، الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل ، فإن هذه جنود أمير المؤمنين قد أقبلت ، وقد أعطى الأمير العهد لنن أتممت على حربته ، ولم تنصرفوا من عشيتكم ، ان يحرم ذريتكم العطاء ، ويفرق مقاتلكم في مغازي أهل الشام على غير طمع ، وان يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب "^(١) . وتكلم بعده الأشراف في كلام مشابه إلى ما تكلم به كثير بن شهاب .

والذي يمكن ان نستنتجه من خلال هذا الكلام عدة أمور منها :

٩. التهديد بجيوش أهل الشام ، فقد زحفت إليهم وهي ستنتشر فيهم القتل والتنكيل ان بقوا مصرين على المعصية والعناد .
 ١٠. حرمانهم من العطاء ، وهذه الظاهرة قد تمسك بها كل الولاة كون اغلب رجالها هم من المسلمين الأحداث والمنتفعين من الدولة^(٢) .
 ١١. نفيهم في مغازي أهل الشام ، وزجهم في ساحات الحروب .
 ١٢. أنهم ان أصروا على هذا التمرد ، فإن ابن زياد سوف يأخذ بسياسة أبيه التي تحمل شارات الموت والدمار حتى يقضي على جميع ألوان الشغب والعصيان .
- كان من نتيجة هذا الكلام الذي قاله ابن شهاب الحارثي ان تفرقت أنصار مسلم عنه فكانت المرأة تأتي أبنها أو أخاها أو زوجها وهي مصفرة الوجه من الخوف فتتوسل إليه قائلة : " الناس يكفونك "^(٣) ويفعل الرجل مثل ذلك .

وبهذا قد خلع الكوفيون ما كانوا يرتدونه من ثياب التمرد على بني أمية ، ولبسوا ثياب الذل والعبودية من جراء ذلك وقد أيقن الإمام علي (ت) إلى ذلك حينما خطب في الكوفة وقال : " أصبحت لا اطعم في نصرتكم ، ... ، أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيافاً قاتلاً "^(٤) .

ج. العامل الاقتصادي

لقد عرفنا سابقاً بأن هناك كتباً من كبار شخصيات أهل الكوفة وهم أنفسهم الطبقة الغنية تطلب من الإمام (ت) المجيء إليهم ، ولكن ما الذي غير سلوكيات هذه الشخصيات بعد مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة ؟ فلندرس بعض هذه الشخصيات :

**** القعقاع بن شور : القعقاع بن شور بن بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٣١٩ .

***** شمر بن ذي الجوشن : شمر بن شرحبيل أبن الاعور بن عمرو بن معاوية الضبابي ، من بني رواس بن كلاب . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٢٨٧ .

^(٤) أبن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣١ .

^(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٨١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٠ - المرصفي ، رغبة الكامل من كتاب الكامل ، ج٢ ص٢٦ .

^(٢) المحامي أحمد حسين يعقوب ، النظام السياسي في الاسلام ، ط٣ ، مطبعة بهمن ، مؤسسة انصاريان للطباعة ، (قم / ٢٠٠٣) ، ص ١٨٠ .

^(٣) أبن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣١ - نوري جعفر ، الصراع بين الأمويين ومبادئ الاسلام ، مطبعة الزهراء ، (بغداد / ١٩٥٦) ، ص ١١٦ .

^(٤) أبن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص ١٢٢ .

٥. عمرو بن حريث المخزومي*

من الشخصيات المعروفة التي نزلت الكوفة مبكراً وابتنى فيها داراً قريباً من المسجد والسوق ، وولده فيها ، وله شرف بالكوفة ، وأصاب مالا عظيماً^(١) ، حتى انه قيل أغنى رجال الكوفة ، وولي الكوفة في عهد زياد بن أبيه . لذا نرى ان سبب ارتداده عن الإمام (ت) بعد مجيء مسلم احتمالان هما :

٧. ان عمرو ربما كان على علاقة بعبيد الله بن زياد خاصة وانه كان احد نواب أبيه في الكوفة ، وعندما كتب أهل الكوفة إلى الإمام (ت) كان واليها هو النعمان بن بشير الأنصاري ، فكان من ضمن الأشراف الذين كتبوا للإمام (ت) ، وبعد مجيء ابن زياد إلى الكوفة حسب أوامر يزيد لم يستطع عمرو ان يقف ضده لذلك ارتد عن الإمام (ت) .

٨. المصالح الشخصية لأشراف الكوفة وبضمنهم عمرو لأننا نجد بعد مجيء ابن زياد إلى الكوفة أصبح عمرو من المقربين إليه وحتى نائبه في الكوفة في حالة مغادرته البصرة فقد ذكر الطبري^(٢) انه بعد وفاة يزيد بن معاوية كان عبدة الله بن زياد بالبصرة وعمرو بن حريث المخزومي نائبه في الكوفة . وسوف نجد أنه في خلافة عبدة الله بن الزبير يأخذ الدور نفسه .

٦. شبيب بن ربعي

وهو من الشخصيات الغنية في الكوفة ، ليس له رأي ثابت فقد سبق له ان خرج على الإمام علي (ت) وانكر عليه التحكيم ثم تاب وأناب^(٣) ، لذلك قال عنه الدكتور حسن^(٤) بأنه شخصية متقلبة الأهواء ، وانتهازي من طراز عجيب فكان أول الكاتبين للإمام (ت) بالقدوم وحين قدم كان أول الخاذلين له .

ونرى ان هناك عاملاً سياسياً مهماً قام به أشراف الكوفة دون غيرهم من أعوان ابن زياد هو اعتقال من يريد إعانة مسلم بن عقيل والدليل على ذلك ما فعله كثير بن شهاب الحارثي مع عبدة الله بن يزيد** ومحمد بن الأشعث مع عمارة بن صلخب الأزدي** باعتقالهم عندما خرجا لمساعدة ابن عقيل^(٥) وكذلك المختار بن ابي عبيدة الثقفي وعبدة الله بن الحارث بن نوفل^(٦) ، وأحياناً استخدم ابن زياد سياسة القتل مع أعوان الإمام (ت) لكونهم من شيعة الإمام (ت) كما حصل مع ميثم التمار**** .

* عمرو بن حريث : عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدة بن عمر بن مخزوم يكنى أبا سعيد . ينظر : ابن سعد : الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٣٤ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٣٥ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ص ١٥٠ .

(٤) ناجي حسن ، البداوة والتحضّر ، مجلة الجمعية التاريخية ، العدد ٣ ، (بغداد / ١٩٧٤) ، ص ٣٠٩ .

** عبدة الله بن يزيد : لم أجد له ترجمة .

*** عمارة بن صلخب : عمارة بن صلخب الأزدي ، من عرب الجنوب ، شاب كوفي خرج لنصرة الإمام (ت) ، فقبض عليه وحبس . ينظر : محمد شمس الدين ، انصار الحسين (ت) ، ص ١٢٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٦ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٦ .

**** ميثم التمار : ميثم بن يحيى الأسدي معروف بالولاء لعلي بن أبي طالب ، أول من أجم في الإسلام سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م ، وكان في السجن مع المختار وكان قد أخبر المختار بأن ابن زياد سوف يقتله ويخرجه من السجن وما تكلم به حصل . ينظر : الحلي ، ابن نما (ت ٦٤٥هـ) ، ذوب النضار في شرح الآثار ، تح فارس حسون كريم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / ١٤١٦هـ) ، ص ٦٩ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٣٣٦ .

سادساً. ابن زياد وإجراءاته تجاه مسلم

١. ابن زياد ومهمته الجديدة تجاه مسلم

لما تفرق الناس عن مسلم ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال^(١) ، لم يطمئن إلى ذلك خوفاً من ان يكون ذلك مكيدة وخديعة فعهد إلى أصحابه بالتأكد من انهزام جيش مسلم فقال : " انظروا لعلهم تحت الظلال* قد كمنوا لكم ، ففرعوا بحايح** المسجد ، وجعلوا يخفزون شعل النار في أيديهم ، ثم ينظرون هل في الظلال احد ، ... ، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها أو وسطها حتى فعلوا بالظل التي فيها المنبر" ^(٢) .

والذي يتضح لنا من هذا النص أمر مهم واحد هو تخوف ابن زياد وأعوانه من مسلم بن عقيل ، ولكن كيف تصرف ابن زياد إزاء هذا الموقف ؟

أدرك ابن زياد ان جيش مسلم بن عقيل قد تفرق عنه من خلال أعوانه وجواسيسه لذلك نزل من القصر الى باب السدة التي في المسجد ثم خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه فأمرهم فجلسوا حوله فأمر عمرو بن نافع فنادى " ألا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة ، صلى العتمة في المسجد فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد في الناس" ^(٣) .

ومن هذا يتبين لنا ان أول إجراءات ابن زياد هو جمع رؤساء أهل الكوفة من الشرطة والعرفاء والمقاتلة وبهذا يكون قد سيطر على المدينة ، ثم خطب فيهم ابن زياد بعد ان جمعهم " أما بعد ، ... ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرئت ذمة الله عن رجل وجدناه في داره ومن جاء به فله ديتة ، ... ، يا حصين بن تميم*** ثكلتك أمك إن صاح باب سكة من سكك الكوفة ، أو خرج هذا الرجل ولم تائتني به ، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة ، فابعث مراصدة على أفواه السكك ، وأصبح غداً واستبر الدور وجس خلالها حتى تائتني بهذا الرجل" ^(٤) .

ويبدو انه حدد واجبات الحصين من خلال الأمور الآتية :

(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٤٦ - المقدم ، مسلم بن عقيل ، ص ١٣١ .
*الظلال : جمع ظلة ، وهي السقيفة يستتر بها من الحر والبرد . ينظر : ابن أبي الدنيا ، عبدالله بن عبيد (ت ٢٨١هـ) ، الورع ، تح محمد عبد حمد الحمود ، ط ١ ، دار السلفية ، (١٤٠٨هـ) ، ص ١٠٠ .
**بحايح : أي ساحة المسجد . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١٠ ص ٤٦٢ .

(٢) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٤٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٢ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٤٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٢ .

***الحصين بن تميم : الحصين بن نمير بن أسامة بن زهير بن دريد بن جشيش بن مالك من بني تميم ، كان على شرطة ابن زياد وليس السكوني مثلما يذهب إليه السيد الألوسي في أطروحته . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٨ - الألوسي ، عبدالباسط عبدالرزاق ، قبيلة كندة ودورها في التاريخ الاسلامي من ٤١-١٣٢هـ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٣) ، ص ١٢٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢ .

١. الاحاطة بالطرق والسكك لكي لا يهرب منها مسلم ، وتحميل ابن الحصين مسؤولية الهروب منه .
٢. تفتيش جميع الدور والمنازل في الكوفة .
٣. اعتقال مؤيدي مسلم بن عقيل وقد أعان ابن زياد الحصين بذلك عندما عقد لعمر بن حريث راية وأمره على الناس الذي استطاع من خلاله اعتقال المختار بن عبيدة الثقفي وعبدالله بن الحارث بن نوفل^(١) ، وهما من الشخصيات البارزة في الكوفة .

كما حدد واجبات الرعية في الكوفة من خلال :

٧. الحكم بإعدام كل من آوى مسلماً مهما كانت منزلته الاجتماعية في المصر ، مما سبب نفوراً ليس في أهل الكوفة بل حتى الذين خرجوا معه لقتال ابن زياد .
٨. دفع دية لكل رجل يستطيع ان يأتي بمسلم وقد ذكر ابن اعثم الكوفي^(٢) مقدار الدية بأنها عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية وله كل يوم حاجة مقضية .
٩. التأكيد على لزوم الطاعة وعدم مفارقة الجماعة باعتبار الحكم الأموي حكماً إلهياً لا يجوز الخروج عليه لذلك قال ابن زياد في خطبته " اتقوا الله عباد الله " ^(٣) ؟!

بعد هذا العرض والإغراء المادي والمعنوي لأهل الكوفة قدم بلال بن طوعة في صباح اليوم التالي إلى عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث* فأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه ، فأقبل عبدالرحمن حتى أتى أبيه عند ابن زياد فساره ، فقال له ابن زياد : ما قال لك ، قال : أخبرني ان ابن عقيل في دار من دورنا^(٤) . ثم أمر عبيدالله خليفته عمرو بن حريث المخزومي ان يبعث مع محمد بن الاشعث سبعين رجلاً كلهم من قيس^(٥) ، لأن أبين الاشعث كره ان يكونوا من قومه لأنهم لا يحبون لقاء مسلم بن عقيل خوفاً من العصبية التي تقع بينهم^(٦) ، حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل ، فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف انه قد أتى فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشد عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ثم عادوا إليه^(٧) ، واستعمل معه أهل الكوفة ألواناً قاسية وشاذة في الحرب فقد

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨١ .

(٢) الفتوح ، مج٣ ج٥ ص٥٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٢ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

* عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث : عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية بن الحارث وهو من أعرف العرب بالعدو . ينظر : البغدادي ، المحبر ، ص٢٤٤ - أبين حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٤٢٥ .

(٤) البغدادي ، المحبر ، ص٢٤٥ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

(٥) أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

(٦) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٤٠ .

(٧) أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٢ .

اعتلوا سطوح بيوتهم ، وجعلوا يرمونه بالآجر^(٢) ، ويلهبون النار في نواحي القصب^(٣) ، فلما رأى ذلك مسلم خرج عليهم بسيفه في السكة وقاتلهم وهو يقول^(٤) :

أقسمت لا أقتل إلا حراً

وان رأيت الموت شيئاً نكراً

كل امري يوماً ملاق شراً

ويخلط البارد سخناً مرأ

ولما رأى الاشعث شجاعة مسلم بن عقيل وعندما سمع رجزه الذي أقسم فيه ان يموت ميتة الأحرار والا يخدع ولا يفر ، انبرى إليه قائلاً : " انك لا تكذب ولا تخدع ، ان القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربك^(٥) " ، ويبدو ان ابن زياد قد وضع أمراً مهماً لابن الاشعث بأنه لا يستطيع مجاراته إلا بأن يعطي له الأمان^(٦) وفعلاً ذكر الطبري^(٧) " بعد ان عجز مسلم عن القتال وانبهر* ، فاسند ظهره إلى جنب تلك الدار ، فدنا محمد بن الاشعث فقال : لك الأمان ، فقال : آمن أنا ، قال : نعم " ، وهكذا الحال دخل مسلم في أمان ابن الاشعث الذي لا قدرة له على الوفاء به لكنها من مكاييد ابن زياد السياسية .

٢. موقف مسلم بن عقيل

أيقن مسلم بعد ان انتزعوا سيفه من عنقه ، أنه أول الغدر به ، فدمعت عيناه ، فظن عمرو بن عبيدالله بن العباس السلمي أنه يبكي لما صار إليه من الأمر ، فأنكر عليه ذلك وقال له : " ان من يطلب مثل الذي تطلب إذا انزل به مثل الذي نزل بك لم يبك " ^(٨) فرد عليه مسلم ما توهمه فيه قائلاً : " أني والله ما لنفسي ابكي ، ولا لها من القتل ارثي ، وان كنت لم احب لها طرفة عين تلفا ، ولكن ابكي لأهلي المقبلين إلي ، ابكي الحسين وآل الحسين " ^(٩) لان مسلم أدرك ان مصير الإمام (t) وأهل بيته هو نفس المصير الذي لاقاه ، هذا فضلاً عن علمه بأن محمد بن الاشعث سوف يعجز عن أمانه لذلك توجه إليه في سبيل إيصال رسالته إلى الإمام (t) وان يخبره بأنه أسير بيد القوم وهو يرى ان ترجع ولا

(٢) البيهقي ، الشيخ إبراهيم بن محمد (من أعلام القرن الخامس) ، المحاسن والمساوىء ، ط ١ ، مطبعة شريعت ، دار شريف الرضي للنشر ، (قم / ١٤٢٣هـ) ، ٦٠ .

(٣) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٥٣ -- ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٢ .

(٤) الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص ٢٣٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٤ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص ٢٣٤ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٥٣ .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٣ .

* أنبهر : انقطاع النفس من السعي الشديد ، ويقال أنبهر وابتهر ، أي بالغ في الشيء ولم يدع شيئاً . ينظر : الصنعاني ، أبو بكر عبدالرزاق (ت ٢١١هـ) ، مصنف عبدالرزاق ، تح حبيب الرحمن الاعظمي ، نشر المجلس العلمي ، (بلات) ، ج ٧ ص ٣٨٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٧٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٣ .

يغرك أهل الكوفة فأنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل ، ان أهل الكوفة قد كذبوني وكذبوك وليس لمكذب رأي فقال ابن الاشعث : والله لافعلن ولاعلمن ابن زياد أني قد أمنتك^(٢) .
 وفعلاً دعا ابن الاشعث إياس بن العتل الطائي وقال له : الق حسيناً فأبلغه هذا الكتاب وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل^(٣) . وقال لابن زياد ما كان بينه وبين مسلم بن عقيل من الأمان فقال له ابن زياد : ما أنت والأمان ، كأنا أرسلناك تؤمنه ، إنما أرسلناك لتأتينا به^(٤) ، وبعد هذه الأحداث جيء بمسلم أسيراً تحف به الشرطة وقد شهرت عليه السيوف ، فلما انتهى إلى قصر الإمارة رأى جرة فيها ماء بارد ، وقد أخذ العطش منه مأخذاً أليماً فالتفت إلى من حوله قائلاً : " اسقوني من هذا الماء ، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم"^(٥) .

٩. مسلم واللحظات الأخيرة

دخل مسلم على ابن زياد ، فلم يسلم عليه بالامرة فقال له الحرس : إلا تسلم على الأمير ، فقال له : ان كان يريد قتلي ، فما سلامي عليه ، وان كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه ، فقال ابن زياد : لعمري لتقتلن^(٦) ، عندها أيقن مسلم بأنه مقتول فأراد الوصية إلى الإمام (t) فنظر في مجلس ابن زياد فرأى عمر بن سعد فأحب ان يعهد إليه بوصيته وقال له : " ان بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وقد يجب لي عليك نجاح حاجتي وهو سر "^(٧) ، وربما أن مسلم أراد بهذا العمل ان يفهم ابن زياد بأنه ليس من قریش وأنه لصيق بني أمية ، لكن عمر بن سعد أفشى بهذا السر إلى ابن زياد فقال ابن زياد لمسلم : أنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن^(٨) ! ، والغرض من هذا الانتفاص من قيمة ابن سعد .

وكان ابن سعد قد رفض هذا الاختيار في بداية الأمر استرضاءً لابن زياد ولكن أمره ابن زياد " ان تنظر في حاجة ابن عمك " ، فقام معه فجلس في ناحية حيث ينظر إليه ابن زياد قال له : " إن علي بالكوفة ديناً استندته منذ قدمت الكوفة ، سبعمائة درهم ، فاقضها عني ، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد ، فوارها وابعث إلى حسين من يرده فاني قد كتبت إليه اعلمه ان الناس معه ، ولا أراه إلا مقبلاً "^(٩) .

نستنتج من هذا الأمور الآتية :

٧. أدرك مسلم بأنه مقتول لذلك اعلم عمر بن سعد بأن عليه ديناً يجب عليه ان يقضيه بأن يبيع سيفه ودرعه ليوفيهما عنه .
٨. أدرك مسلم ان ابن زياد سوف يمثل بجثته لذلك أشار عليه ان يستوهب جثته فيوارها .
٩. ان يكتب إلى الإمام (t) يخبره بأمره ، لأنه سبق ان كتب إليه بأن أمر الناس معه .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٥ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ص٣٧٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ص٣٤ .

وأفشى عمر بن سعد بسرّه إلى ابن زياد وقال له أنه ذكر كذا وكذا وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على مدى ضعف وخوف عمر بن سعد من ابن زياد ، فكانت إجابة ابن زياد له : أما مالك فهو لك ، ولسنا نمنعك ان تصنع فيه ما أحببت وأما حسين فإنه ان لم يردنا لم نرده ، وان أردنا لم نكن عنه ، وأما جثته فانا لن نشفعك فيها ، أنه ليس بأهل منا لذلك ، قد جاهدنا وخالفنا وجهد على هلاكنا^(١) ، وهناك رواية أخرى تقول زعموا انه قال : أما جثته فانا لا نبالي اذ قتلناه ما صنع بها^(٢) . ويبدو لنا ان الرواية الأولى هي الأكثر صواباً بدليل ان ابن زياد قال لمسلم : " قتلني الله ان لم أقتلك قتلة لم يقتلها احد في الإسلام "^(٣) .

ثم ان ابن زياد قال لمسلم : " بماذا أتيت هذا البلد ، شئت أمرهم وفرقت كلمتهم ورميت بعضهم على بعض "^(٤) وهذا الكلام فيه من الخدوش ما يجعل أمره غير مقبول لأسباب منها :

٥. أن مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة جاء بناءً على كتبهم ورسائلهم ، هذا فضلاً عن ان عدد المبايعين وصل إلى ثمانية عشر ألف شخصاً^(٥) ، كيف أذن شئت أمرهم ؟!

٦. ان ابن زياد لم يكن والياً على الكوفة فكيف يعرف بأنه فرق بعضهم على بعض ، هذا فضلاً عن أن قسماً من المؤرخين^(٦) يذكرون بأنه عندما قدم الكوفة أقبلت الشيعة إليه ، فلما اجتمعت إليه

جماعة منهم قرأ عليهم كتب الإمام (t) فأخذوا يبكون ولم توجد رواية عند احد المؤرخين تقول بأنه فرق أهل الكوفة .

لذلك أجابه مسلم بكل ثقة وفخر : " لست لذلك أتيت هذا البلد ، ولكنكم أظهرتم المنكر ، ودفنتم المعروف ، وتأمّرت على الناس من غير رضى ، وحملتوهم على غير ما أمركم الله به ، وعملت فيهم بإعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر وندعوهم الى حكم الكتاب والسنة وكذا أهـ " لذلك "^(٧) .

ويمكن ان نستنتج من هذا النص عدة أمور ونستدل بها من رسالة سليمان بن صرد الخزاعي إلى

الإمام (t) الآتية :

٧. إظهارهم المنكر ودفعهم المعروف وقد أظهر سليمان بن صرد ذلك في رسالته إلى الإمام (t)

عندما كتب إليه ، أنه ليس علينا إمام ، فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق^(١) .

٨. تأمرهم على الناس من غير رضى ووضح سليمان بن صرد الخزاعي ذلك حينما قال في رسالته

للإمام (t) : الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - أبين عساكر ، ترجمة الإمام (t) ، ص٣٢٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٤ .

(٣) أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٤) أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص٥٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٥ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٥ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٢ .

(٧) أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص٥٧ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ - أبين الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .

أمرها وغضبها فينها وتآمر عليها بغير رضا منها ، أي أنهما أرادوها كسروية يقتل خيارها واستبقى شرارها^(٢) .

٩. ان ساسة بني أمية لا يعملون بكتاب الله وسنة رسوله الكريم (ﺉ) ولا يأمررون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فأخذوا مال الدولة وجعلوه بين جبابرتها وأغنيائها^(٣) ، وهذا ما جعل الرعية يشكون من قلة المال .

فغضب ابن زياد عندما سمع هذه الكلمات من ابن عقيل وقال له : أو لم تكن نعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ، قال : أنا اشرب الخمر والله ان الله يعلم انك غير صادق ، وانك قلت بغير علم ، واني لست كما ذكرت "^(٤) وربما بهذا الكلام أراد ابن زياد تشويه سمعة مسلم او انه أراد استفزازه بهذه الكلمات ، لذلك قال له مسلم : " وان أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً ، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ، ويقتل النفس بغير نفس ، ويسفك الدم الحرام ، ويقتل على الغضب والعدواة وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً "^(٥) . وهذا النص يوضح فيه أن مسلم بن عقيل قد وصف ابن زياد وشخصيته في البصرة طوال فترة ولايته قبل مجيئه الى الكوفة وربما كان قصده من هذا كله هو قتله عروة بن ادية التميمي وأبنته وكما وضحنا ذلك في التمهيد .

وبعدها ازداد غضب ابن زياد من كلام مسلم فاقسم على قتله ، قتله لم يقتلها احد في الإسلام^(٦) ، فرد عليه مسلم فقال : " إما انك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما انك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة ، وخبت السيرة ، ولوم الغلبة ولا أحد من الناس أحق بها منك "^(٧) .

ويبدو ان مسلم قد حدد صفات شخصية ابن زياد من خلال أعماله :

٥. يذكر البلاذري^(١) عن عمر بن شبة أنه أتى ابن زياد بابن مكعب فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه لذا فانه أول من أحدث سمل العين في الإسلام .
٦. يذكر البلاذري^(٢) عن المدائني قوله " ما رأينا أحداً شراً من ابن زياد .

فلم يجد ابن زياد مسلماً من إطفاء نار غضبه سوى سب آل بيت النبوة فأخذ بسب حسيناً وعلياً وعقيلاً وأخذ مسلم لا يكلمه^(٣) ، لأنه خرج عن ما أوصى به رسول الله (ﺉ) عن النهي في سب

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٨٢ - الشريف المرتضى ، علي بن الطاهر (ت٤٣٦ هـ) ، امالي المرتضى ، تح السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، ط١ ، دار ومطبعة مكتبة آية الله العظمى المرعشي ، (قم / ١٣٢٥ هـ) ، ج١ ص٢٠٠ .

(٦) أبو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٥٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .

(٧) انساب الاشراف ، ج٤ ف٢ ص٨٢ .

(٨) انساب الاشراف ، ج٤ ف٢ ص٨٢ .

صحابة رسول الله أو أئمة المسلمين^(٤)، فيقول الدميمري^(٥) ان علي بن عبد الله بن عباس قال كنت مع أبي بعد ما كف بصره وهو بمكة فمررنا على قوم من أهل الشام في صفة زمزم ، فسبوا علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) ، فقال لسعيد بن جبير وهو يقوده : أردني إليهم ، فردده فقال : أيكم الساب لله ولرسوله ، فقالوا : سبحان الله ، ما فينا أحد سب الله ورسوله ، فقال : أيكم الساب لعلي ؟ قالوا : أما هذا فقد كان ، فقال ابن عباس : أني اشهد لسمعت رسول الله (ﷺ) يقول : من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله تعالى على منخريه في النار .

ويبدو ان ابن زياد كان سريع الغضب من كلام مسلم وبما ان الغضب مفتاح الشر لذلك أيقن مسلم بأنه مقتول فادخل مسلم القصر ثم دعا رجلاً من أهل الشام ، وقد كان مسلم ضربه على رأسه ضربة منكراً ، فقال له خذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك^(٦) ، فصعد مسلم إلى أعلى القصر وهو في ذلك يسبح لله تعالى ويستغفر وهو يقول : " اللهم أحكم بيننا وبين قريش غرورنا " .

وخذلونا^(٧) ، فلم يزل على ذلك حتى تقدم الشامي فضرِب عنقه ، فقتل شبيهه رسول الله (ﷺ)^(٨) ، حينما قال ابو هريرة : ما رأيت في ولد عبدالمطلب أشبه بالنبي (ﷺ) من مسلم بن عقيل^(٩) ، وعلقت جثته في سوق الكناسة* وهي أول جثة علقت^(١٠) ، ويذكر قسم من المؤرخين^(١١) ان مسلم بن عقيل قال لابن زياد : لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلنتي ، وبعد قتله قتل هاني لأنه آواه ونصره^(١٢) .

وأن ابرز ما أفرزته سفارة مسلم بن عقيل بالكوفة هي :

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥ .
 (٤) ابن يونس ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ) ، عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، تح د. نزار رضا ، مكتبة الحياة ، (بيروت / بلات) ، ج١ ص٢٩٣ .
 (٥) كمال الدين (ت ٨٠٨هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، مراجعة عبدالحميد الدوافلي ، مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة / بلات) ، ج١ ص٨٧ .
 (٦) ابن اعثم الكوفي ، مج٣ ج٥ ص٥٨ .
 (٧) ابن اعثم الكوفي ، مج٣ ج٥ ص٥٨ .
 (٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٨ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص٢٣٥ .
 (٩) البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير ، تح مصطفى عبد القادر أحمد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢هـ) ، ج٧ ص١٤٣ .
 * الكناسة : محلة بالكوفة يباع بها الدواب ، وقيل الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ ، لذلك كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيه كناساتهم . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ص١١٣٦ - السمعاني ، الانساب ، ج٥ ص٩٧ - ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ص٣٣٥ .
 (١٠) ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر بن فرغلي (ت ٦٥٤هـ) تذكرة الخواص في خصائص الأئمة ، ط١ ، ترجمة محمد صادق بحر العلوم ، دار العلوم للتحقيق ، (بيروت / ٢٠٠٤) ، ص٣١١ .
 (١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٧٨ - الطبرسي ، أعلام الوري بأعلام الهدى ، ص٢٣٥ .
 (١٢) المقرئزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) ، النزاع والتخاصم ، تح السيد علي عاشور ، (بلات) ، ص٣٧ .

٥. ظاهرة تعليق الجثث في الأسواق منكوسة^(٤)، وهي من ظواهر المثلة وقد نبذها الإسلام للإنسان والحيوان، وقد نهى عنها الرسول محمد (ﷺ) حتى ولو بالكلب العقور^(٥)، وفي تاريخنا كره المثلة حتى بالنسبة إلى العدو^(٦)، فيذكر الشافعي^(٧) أن الإمام علي (ت) قال بع دماض ربه أبـ نـ ملجم : أطعموه واسقوه وأحسنوا إسماره، فأن عشت فانا ولي دمي، أعفو إن شئت وإن شئت استقدمت، وإن مت فقتلتموه فلا تمثلوا، وهذا دليل على كره المثلة، لكن نجد أن الأمويين وأعوانهم كانت سياستهم وفق ما حرم الله هو القاعدة العامة لتثبيت حكمهم، فمثلاً أن معاوية قطع يد ورجل الحجاج بن عبد الله الصريمي^{**}، وأقام بالبصرة فبلغ زياداً أنه قد ولد له، فقال له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله^(٨).

٦. إهمال أهل الكوفة لواجباتهم قبل مجيء الإمام (ت) وهي :

أ. السيطرة على الأوضاع في الكوفة :

كان لأهل الكوفة واجب القيام بالسيطرة على الأوضاع السياسية قبل مجيء الإمام (ت) وذلك باعتقال الوالي الأموي وجميع معاونيه وأركان أدارته وهذا ما عبر عنه عبد الله بن عباس عندما قال للإمام (ت) : " فأن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فأكتب إليهم فلينفوا عدوهم ، ثم أقدم عليهم " ^(١).

ب. السرعة والعزم في الأمور والجد فيه :

(٤) أبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم، تح محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت / ٢٠٠٠)، ج ٥ ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٥) أبن هشام الحميري، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، سيرة النبي محمد، تح محمد محي عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، (١٣٨٣هـ)، ج ٣ ص ٦١١ - الشيباني، محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ)، السير الكبير، تح د. صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، (١٩٦٠)، ج ٣ ص ١٠٢٩ - الطبراني، المعجم الكبير، ج ١ ص ١٠٠ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور، ط ١، مطبعة الفتحة، دار المعرفة، (جدة / ١٩٦٥)، ج ٢ ص ٢٧٨ - الجامع الصغير، ط ١، مطبعة ودار الفكر للنشر، (١٤٠١هـ)، ج ٢ ص ٦٩٣.

(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٥ ص ٤٢٨.

(٧) أبو عبد الله محمد بن أدريس (ت ١٥١هـ)، الام، إعداد رياض عبد الله عبد الهادي، ط ١، دار احياء التراث، (لبنان / ٢٠٠٢)، ج ١ ص ٥٥٦.

**الحجاج بن عبد الله : الحجاج بن عبد الله الصريمي من بني سعيد بن زيد مناة السعد من تميم اللات. ينظر : الزركلي، الاعلام، ج ٢ ص ٢٠٠.

(٨) المبرد، الكامل في اللغة، ج ٣ ص ١١٧ - الزركلي، الاعلام، ج ٢ ص ٢٠٠، يذكر أن معاوية قتله.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٨٣.

وبدا هذا واضحاً في رسالة الإمام (ت) الثانية التي أرسلها بيد قيس بن مسهر الصيداوي والتي لم تصل إليهم لأن أعوان وشرطة ابن زياد قد القوا القبض عليه " فإذا أقدم عليكم رسولي فاكمشوا* أمركم وجدوا "(٢) .

ج. دور الفقهاء والقضاة :

لم يكن هناك دورٌ للفقهاء والقضاة في الكوفة بتهينة الأوضاع والظرف المناسب لاستقبال الإمام (ت) ، وبشكل علني خاصة إذا عرفنا ان من فقهاء الكوفة آنذاك النعمان بن بشير الأنصاري ومن هنا نعلم ان اغلب الفقهاء والقراء هم موظفون في الدولة الأموية(٣) .

أولاً. موقف أهل الحجاز من لإمام (ت)

هـ. موقف الناصحين في مكة

كان الإمام (ت) محبوباً محترماً لدى كل من يعرفه لاسيما أهله(١) ، لذلك عندما أراد المسير نحو الكوفة تخلصاً من سياسة بني أمية ، لم يكن لدى أشرف أهل مكة شيء يقدمونه له سوى النصيح كون الإمام (ت) كان يمثل أكبر قوة دينية آنذاك لأنه بقية آل الرسول والبضعة الطاهرة منه ولا أحد يعدله بالمنزلة والشرف الرفيع وهذه النصائح لا تعدو كونها آراء حول أهل الكوفة وجاءت هذه بسبب السياسة الأموية التي تعمل بطرق مباشرة أو غير مباشرة لتهينة جو الحجاز بعيداً عن الوقائع السياسية - منشغلين باللهو والغناء وشرب الخمر - وطبيعة حكم يزيد كانت مشجعة لذلك(٢) .

فكان أول الناصحين للإمام (ت) عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عندما قال له : " أني آتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك ، ... ، وأنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرأوه ومعه بيوت الأموال وإنما الناس عبيد الدنيا والدرهم "(٣) ثم آتاه عبدالله بن عباس فقال له الإمام (ت) : قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى فقال له ابن عباس : " فأني أعيزك بالله من ذلك ، خبرني رحمك الله ، أفتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونقوا عدوهم ، فإن كانوا فعلوا ذلك

*أكمشوا : مفردهما الكمش في الأمر هو العزم عليه أو الاشرع . ينظر : أبن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ص٧٢٩ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٥ .

(٢) حسين عطوان ، الرواية التاريخية في العصر الأموي ، ط١ ، دار الجيل للنشر ، (١٩٨٦) ، ص٧٣ .

(٣) محمد رضا ، الحسن والحسين سبطا رسول الله (ﷺ) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٧) ، ص٨٦ .

(٢) العزاوي ، منيرة عبد حسن ، الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٤) ، ص١٠٠ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٧ .

فسر إليهم ، وأن كانوا ، إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبى بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ^(٤) ثم آتاه عبدالله بن الزبير فحدثه ساعة ثم قال : " ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم ، فقال الحسين ، والله لقد حدثت باتيان الكوفة ، ولقد كتبت إلي شيعتي بها وأشرف الناس ، ... ، فقال له عبدالله : أما لو كان بها مثل شيعتك لما عدلت عنها ^(٥) .

ثم آتاه عبدالله بن عباس مرة أخرى وقال له : " يا ابن عم أنصبر ولا أصبر ، أني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، أن أهل العراق قوم غدر فلا تقرنهم ، أقم في هذا البلد فأنتك سيد أهل الحجاز ، ... ، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعباً ^(٦) .

والذي يبدو أن عبدالله بن عباس كان حريصاً على بقاء الإمام (ت) في مكة ، لأنه يدرك أن عبد الله بن الزبير يخبيء في نفسه نوايا ضد بني هاشم ، وقد وضحاها عبدالله بن الزبير بعد خروج الإمام (ت) من مكة عندما قال لأبن عباس : أنكم ترون أنفسكم أحق بهذا الأمر من سائر الناس ، فقال : إنما يرى من كان في شك ونحن فعلى يقين ^(١) .

لذلك قال ابن عباس لعبدالله بن الزبير بعد ما أيقن بأن الإمام (ت) سائر إلى الكوفة ولم يبق في مكة ^(٢) :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيبضي وأصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

ولكن هل ظن الإمام بأهل العراق خيراً ؟ مثلما قال الخضري ^(٣) لذلك ذهب إليهم ! .

أن أهل مكة لم يقدموا للإمام (ت) بعدما عرفوا برفضه البيعة ليزيد ما ثبت أن موقفهم كان معه ، وحتى الإمام (ت) كان يعرفهم ويعرف انخذاً لهم ويدرك أنهم لم يقدموا شيئاً من الشجاعة في حروبهم مع الإمام علي (ت) في فترة خلافته عندما جاء إليهم رجل السوء ^(٤) بسر بن أبي أرطاة* في مكة

^(٤) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ج ١ ص ٢٣٥ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ص ٣٢٨ .

^(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .

^(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .

^(١) مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ، أخبار الدولة العباسية ، تح د. عبدالعزيز الدوري وآخرون ، مطبعة دار صادر ، (بيروت / بلات) ، ص ١٠٨ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ .

^(٢) النيسابوري ، مجمع الأمثال ، ج ١ ص ٢٤٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٩ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ص ١٣٤ - الأسترباذي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج ٢ ص ١٥٥ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ - السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٢ .

^(٣) الشيخ محمد ، الدولة الأموية ، ط ٢ ، دار المعرفة ، (بيروت / بلات) ، ص ١٢٩ .

^(٤) الجرجاني ، عبدالله بن عدي (ت ٣٦٥ هـ) ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تح د. سهيل زكار ، ط ٣ ، دار الفكر ، (بيروت / ١٤٠٩) ، ج ٥ ص ٥ - الغطفاني ، يحيى بن معين بن عون (ت ٢٣٣ هـ) ، تاريخ ابن معين ، تح عبدالله أحمد حسن ، دار القلم ، (بلات) ، ج ٢ ص ٣٤٥ .

* بسر بن أرطاة : عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سبار بن نزار بن معيص بن عامر بن لوي القرشي ، توفي النبي محمد (ﷺ) وهو صغير ولم يرو عنه أحد من المدنيين أنه سمع من النبي شيئاً . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٥٣٩ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ٤٥٣ .

ودخلها من دون قتال يذكر^(٥) ، وقتل فيها كل رجل يقال له أنه أعان على قتل عثمان ومن أتباع الإمام علي (ت) ^(٦) .

لكن لماذا رفض الإمام (ت) الذهاب إلى اليمن وفيها شيعة أبيه ؟

الذي يبدو لنا أن الإمام (ت) كان له واجب شرعي هو الذهاب إلى الكوفة بسبب الرسائل التي جاءت إليه من دون الأمصار الإسلامية الأخرى ، وقد حددها الإمام (ت) حينما قال أنه بيننا وبينهم موعد^(٧) ، هذا فضلاً عن أن شيعة أهل اليمن لم يقدموا من شجاعة تذكر في عهد خلافة الإمام علي (ت) عندما قدم إليهم بسر بن أبي أرطاة بل دخلها بعد أن قتل جماعة كثيرة من شيعة الإمام علي (ت) ^(٨) ، إضافة إلى أن والي اليمن بحير بن ريسان الحميري كان قد عينه يزيد على مال معلوم يؤديه كل عام ، وتسعين رأساً ما بين وصيف ووصيفة^(٩) ، وما إرساله القافلة المحملة بالمنتجات إلى يزيد إلا دليل على ذلك .

٦. أسباب اختيار الإمام (ت) للكوفة

بالرغم من وجود عدد من الناصحين للإمام (ت) قبل خروجه من المدينة إلى مكة ، وفي أثناء تواجده في مكة وخلال مسيرته إلى الكوفة بعدم التوجه إلى العراق ، إلا أنه أصر بالتقدم نحو الكوفة لأمر هو أعلم به من غيره ، مع وجود بعض الأسباب المهمة الأخرى لاختيارها :

١١. إدراك الإمام علي (ت) بأن الحجاز ليست الأرض الملائمة للخلافة بسبب افتقارها

اقتصادياً ، وانطلاقاً من هذا اختار الإمام (ت) مدينة الكوفة لتكون قاعدته الثورية ، لما تمتاز به من ماء وهواء ونخيل وعيون^(١٠) ، فقد وصفها سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب بأنها " بين الحيرة والفرات برياً بحرياً ينبت الحلّى والنص* " ^(١١) ، هذا فضلاً عن معرفة الإمام (ت) بها من خلال تواجده مع أبيه خلال فترة خلافته .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص١٣٩ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٥٤٠ .

(٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٠٦ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤ ص٣٦٩ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٣٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص١٣٩ .

(٩) الأسعد ، حسام الدين أحمد محمود ، اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ١٩٩٥) ، ص ٧٨ .

(١٠) ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧ هـ) ، صور الأرض ، مكتبة الحياة للنشر ، (بيروت / بلات) ، ص ٢١٥ .

* النص : نبت سبط ناعم ابيض من افضل نبات المرعى . ينظر : هامش الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٤٣ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٤٣ .

١٢. وجود أنصار الإمام (ت) من الشيعة فيها وهذا ما عبر به الإمام في جوابه لعبدالله بن الزبير حين قال " وقد كتبت إلي شيعتي بها وأشرف أهلها " (٤).

١٣. مضايقة الأمويين للإمام (ت) في مكة ، وما قوله إلى أبي هرة الأزدي إلا دليل على ذلك " أن بني أمية قد أخذوا مالي فصبرت ، وشتموا عرضي فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت " (٥) ، إضافة إلى مبادرة الإمام (ت) بالوصول إلى الكوفة قبل أن يتفرق شمل المبايعين وتبرد همهم من طول الانتظار (٦) ، بعد أن علم من مسلم أن عدد المبايعين له بلغ ثمانية عشر ألفاً (٧).

١٤. إن العراق أكثر الأقاليم ثروة في صدر الإسلام بدليل إن الجباية المتأتية منه كانت من أكثر الجبايات ثم إن تراث العراق الحضاري القديم كونه مركزاً لإمبراطوريات قديمة لها نظمها الإدارية والسياسية جعل العراق يتمتع بمركز متميز في الدولة الإسلامية (٨).

١٥. أن أهل الكوفة معروفون بعدائهم للأمويين ، وظلوا يكتابون الإمام (ت) منذ صلح الإمام الحسن (ت) مع معاوية إلى وفاته وكان يدعوهم إلى الصبر (٩) ، لذا فإن أهل الكوفة هم الذين عبروا عن موقفهم تجاه الإمام (ت) دون غيرهم من الأمصار الأخرى ، إضافة إلى إن عدد الأشخاص الذين خرجوا مع الإمام (ت) من مكة إلى الكوفة بلغ عددهم ستين شيخاً (٣) ، في حين لم يذكر مثل هذا العدد أو نصفه أو ثلثه من أي مصر من الأمصار العربية الإسلامية الأخرى .

قد يتبادر سؤال هو هل أخطأ الإمام (ت) بخروجه على يزيد بن معاوية بالرغم من وجود عدد من الناصحين له في مكة .

أختلف المؤرخون في ذلك فيرى قسم (٤) من المؤرخين والكتاب المحدثين أنه قد أخطأ عند خروجه ومسيره من مكة إلى الكوفة ، ولم يأخذ بأراء الناصحين له . لكن ابن طباطبا (٥) يقول أن الإمام (ت) صمم على الوصول إلى الكوفة لأمر هو أعلم به من الناس ، بينما يرى ابن خلدون (٦) أن الصحابة والتابعين لهم رأوا أن الخروج على يزيد ، أن كان فاسقاً لا يجوز ، ثم يكمل حديثه ويقول لم يوجد عدل من الإمام (ت) في عدالته وإمامته ، في حين يقول د. طه حسين (٧) لم يكن الإمام مخطئاً فيما يقتر ،

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .
(٥) ابن طاووس ، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤ هـ) ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ط ٢ ، مطبعة مصر ، دار انوار الهدى للنشر ، (إيران / ١٤٢٣ هـ) ، ص ٤٣ - الطريحي ، الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن محمد (ت ١٠٨٥ هـ) ، المنتخب ، ط ٣ ، مطبعة شريعت ، دار الشريف الرضي ، (إيران / ١٤٢٢ هـ) ، ج ٢ ص ٣٨١ .
(٦) بارا ، انطوان ، الحسين في الفكر المسيحي ، ط ١ ، مطبعة سرور ، مؤسسة نور الكوثر ، (إيران / ٢٠٠٤ م) ، ص ٢٤٠ .

(٧) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٥ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٩٩ .
(٨) فاروق عمر فوزي ، تاريخ العراق في عصور الخلافة الإسلامية ، ط ١ ، مطبعة النهضة ، دار العربية للطباعة ، (بغداد / ١٩٨٨) ، ص ٢٤ .

(٩) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٢٢ .
(٣) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ١٤ ص ٢٠٧ .
(٤) المالكي ، العواصم من القواصم ، ص ٢٣٧ - إحسان الهي ظهير ، الشيعة والتشيع ، ط ١ ، إدارة ترجمان للنشر ، (باكستان / ١٩٨٤) ، ص ١٧٨-١٨٠ - الجبري ، عبدالعال ، حوار مع الشيعة ، ط ١ ، دار الصحو للنشر ، (١٩٨٥ م) ، ص ٢٤٧ .

(٥) الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٠٧ .
(٦) عبدالرحمن (ت ٨٠٨ هـ) ، تاريخ ابن خلدون ، ط ٢ ، مكتبة المدرسة ، دار الكتب اللبنانية ، (١٩٦١ م) ، ج ١ ص ٢٨١-٢٨٤ .
(٧) الفتنة الكبرى علي وبنوه ، دار المعارف ، (مصر / ١٩٥٣ م) ، ص ٥٥ .

فهو قد عرف ما كان من غضب يزيد على ابن الزبير حيث امتنع عن البيعة ، وأقسم ألا يرضى حتى يحمل إليه ابن الزبير في الجامعة* .

في تقديرنا ان الرأي الثاني هو الأكثر صواباً للأسباب الآتية :

٩. مضايقة أعوان يزيد للإمام (t) في مكة وإرغامه على الخروج ، وهذا ما عبر به عبدالله بن عباس رداً على رسالة يزيد فقال : " وما أنس من الأشياء ، فلست بناسٍ اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله (t) إلى حرم الله ، ودسك إليه الرجال تغتاله فاشخصته من حرم الله إلى الكوفة " (٨) ، وما يعزز هذا القول أن الإمام (t) خرج ولم يتمكن من أتمام الحجة وجعلها عملاً مخافة أن يقبض عليه (٩) .

١٠. كان هدف يزيد الرئيس لما تولى الأمر هو التخلص من الإمام (t) لأنه الخصم الوحيد الذي يخافه على ملكه والذي يمثل المقاومة والوعي في العالم الإسلامي (١٠) ، وما قاله الإمام (t) لعبدالله بن عباس حينما أشار عليه الأخير بالإقامة في المسجد الإلهي على ذلك " لو كنت في حجر هامة من الهوام لاستخرجوني حتى يفضوا في حاجتهم " (١١) إضافة إلى أن يزيد أمر الوليد بن عتبة بأن أول من يبايعه هو الحسين (١٢) .

١١. رغبة الإمام (t) بالخروج من مكة وهذه الرغبة ربما جاءت بسبب الأمور الآتية :

أ. استغلال مكة من بعض الأشخاص لهيبتها ، وقد عبر الإمام (t) عن ذلك بعد أن قدم له ابن الزبير نصيحته بالخروج من مكة نحو العراق ، وقد أدرك الإمام (t) تلك النية عند ابن الزبير لذلك قال " فؤد أني خرجت منها لتخلو له " (١٣) .
ب. عدم وجود حرمة وقديسية عند الأمويين لمكة ، لأنه رأى حملة عمرو بن الزبير الأموية على عبدالله بن الزبير بمكة (١٤) .

ج. خروج الإمام (t) ليس طالباً للحكم والرئاسة في نهضته حتى يكون خاسراً لعدم وصوله

إليه ، وإنما كان يريد يقظة الأمة وتحركها ضد الظالمين (١٥) .

د. ما قاله الإمام (t) لعبدالله ابن الزبير " أن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها فما أحب

*الجامعة : الغل لأنها تجمع اليد إلى العنق . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٣ .

(٩) ابن نما الحلبي ، مثير الأحزان ، ص ٣٨ .

(١٠) الأصفى ، محمد مهدي ، تأملات في زيارة وارث الأنبياء ، ط ١ ، مطبعة تمونة ، مركز دراسات النهضة الحسينية ، (قم / ١٤١٢هـ) ، ص ١٦١ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٥ .

(١٢) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٢٤ .

(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٨ .

*سيوضح الدارس في فص ٣ ص ١٢٠-١٢١ أحداث هذه الحملة .

(١٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٨ .

(١٥) الشيرازي ، محمد الموسوي ، ليالي بيشاور ، تح السيد حسن الموسوي ، ط ٣ ، دار العلوم للطباعة ، (بيروت / ٢٠٠٤) ، ص ٥٩١ .

أن أكون أنا ذلك الكبش" ^(٨) ، أي فضل أن يقتل بمكان آخر لقدسية مكة عند الإمام (ت).

هـ . رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام (ت) تخبره أن معه جمع من أهل الكوفة ، فأقبل حين تقرأ كتابي ^(٩) ، وهذا يعني بأن أهل الكوفة قد وثقوا دعوتهم بكتاب ابن عمه ، فقد صار عليه لزاماً أن يسارع إلى تلك الجهة ^(١٠) .

١٢ . طبيعة مكة الجغرافية من أرضها وأنها بواد غير ذي زرع ومياهاها القليلة كونهم يعتمدون على ما ينزل من السماء ولا يوجد ماء جار مع قلة وجود الآبار ^(١) ، هذا فضلاً عن طبيعة حياتهم الاجتماعية قد أخذت طابع الترف واللهو ^(٢) ، لذلك يقول ابن مغنية ^(٣) : " أن الذين يقولون بأن الإمام (ت) أخطأ في خروجه فأنهم يخطئون الفهم ولا ينظرون إلى أبعد من أنوفهم لذلك نقول أن خروجه كان لأمر هو أعرف به من غيره .
قد يتساءل البعض لماذا لم يخرج الإمام (ت) في عهد الخليفة معاوية ؟

أكبر الظن ان الإمام (ت) لو ثار في عهد الخليفة معاوية لما استطاع ان يسبغ على ثورته هذا الوهج الساطع الذي خلدها في ضمائر الناس وقلوبهم ^(٤) ، لذا فهناك من الأمور التي حددت الإمام (ت) بعدم القيام بها في عهد معاوية ومن أبرز هذه الأمور :

٩. العناية الإلهية

السفر في عدم قيام الإمام (ت) في ثورته في عهد الخليفة معاوية يكمن في كلمة البيعة التي وصفها (ت) بأنه كان كارهاً لها ^(٥) ، وكان من نبل أخلاقه أن رضخ لتصرف أخيه الإمام الحسن (ت) الذي قطع العهد مع معاوية ثم يطلب من شيعته بأن يكون كل امرئ منهم حلساً من احلاس بيته ما دام ابن هند حياً ^(٦) ، فإن يهلك وهم أحياء يرجو أن يخير الله لهم ويأتهم رشدهم ولا يكلمهم إلى أنفسهم ثم يقول لهم " فإن يهلك وأنتم أحياء رجونا أن يخير الله لنا " ^(٧) ويتجلى أكثر بربطه بالجملة التي تليها " ويؤتينا رشداً " ^(٨) مما يستدل معها على أن الله تعالى هو الذي سيمده بالأمر ويؤتية رشده كي يصبح قادراً على الحركة والقيادة .

(٨) ابو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٤ .
(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨ ص ٥٣٢ .
(١٠) خالد مجذ ، أبناء الرسول في كربلاء ، ص ٧٤ .
(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٨٧ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٥ .
(٢) منيرة العزاوي ، الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، ص ١٠٠ .
(٣) محمد جواد مغنية ، المجالس الحسينية ، ط ١ ، مطبعة الهادي ، مؤسسة السفار الثقافية ، (٢٠٠٣ م) ، ص ٢٢ .
(٤) شمس الدين ، محمد مهدي ، ثورة الإمام الحسين (ت) ، ص ١٥٣ .
(٥) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٤ .
(٦) ابن قتيبة ، الأخبار الطوال ، ص ٢٢١ .
(٧) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٣ ص ١٥٠ .
(٨) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٣ ص ١٥٠ .

١٠. الوضع النفسي والاجتماعي

كانت حروب الجمل وصفين والنهروان ، قد ولدت عند أصحاب الإمام (ت) حنيناً الى السلم والموادعة^(٩) ، وقد أدرك الإمام الحسن (ت) ذلك عندما سئل عن أسباب صلحه مع معاوية قال : " ما حملك على ما فعلت ، فقال : كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحد أبداً إلا غلب " (١٠) ، ولم يكن الإمام (ت) أقل إدراكاً لواقع مجتمع العراق من أخيه الحسن (ت) فقد رأى من هذا المجتمع وتخاذله مثل ما رأى أخوه وجوابه إلى أهل الكوفة عندما راسلوه يوضح ذلك : " أن الإمام يطلب من شيعته أن يكون لكل أمرىء منهم جلس من أحلاس بيته ما دام أبن هند حياً " (١١) ، لأنه يعد هذا نقضاً لشروط صلح الإمام الحسن (ت) مع معاوية ، فضلاً عن أن الإمام (ت) أراد تعبئة نفوس أهل الكوفة خاصة والمسلمين عامة على مخازي بني أمية ، وبذلك يكسب مزيداً من الوقت لنجاح هذه التعبئة النفسية ، حتى إذا ما قام بحركته التي هي في جوهرها حرب نفسية وروحية ، أكثر منها حرباً عسكرية ، وبذلك يكون قد أوجد له أرضاً ممهدة .

١١. العهد والميثاق

أن قيام الإمام (ت) بثورته في عهد معاوية قد يكون مبرراً لمعاوية كي يصوره بصورة المستغل الناقض لعهد وميثاقه والإمام لا يسعى إلى هذه الصورة وأن كانت من باب التجني الواضح عليه لأنه في جوهره بعيد عن الاستغلال ونقض العهود ، هذا فضلاً أنه عندما مات الإمام الحسن (ت) أستدعى أهل الكوفة الإمام في خلع معاوية فقال : " أن بيني وبين معاوية عهداً لا يجوز نقضه " (١٢) .

١٢. شخصية معاوية

أقرب الظن أن الأسلوب الذي يتبعه الخليفة معاوية في القضاء على ثورة الإمام (ت) بأنه كان سيتخلص منه بالسهم قبل أن يتمكن الإمام (ت) من القيام بثورته ، وهي طريقته المثالية للتخلص من منائيه بأقل ما يمكن من الضجيج مثلما فعل مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد^(٣) والإمام الحسن (ت) وسعد بن أبي وقاص^(٤) وغيرهم ، ثم أن الإمام (ت) كان يدرك بالرغم من مواقفه الشجاعة ضده أن ثورته لو قامت في عهده لوجد لها معاوية طريقة خاصة للقضاء عليها .

(٩) العاملي ، علي أحمد السيد ، صفحات من تاريخ كربلاء ، ط ١ ، دار البلاغ للطبع ، (بيروت / ١٤٢٠هـ) ، ص ١٢١ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٤٠٧ .

(١١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٤ - الأميني ، السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ط ٥ ، دار التعارف للطبع ، (بيروت / ١٩٩٨) ، ج ٢ ص ٤٠١ .

(١٢) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج ٤ ص ٨٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٢٢٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٣ .

(٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٨٠ .

ثانياً . مرحلة الإمام (ت) إلى الكوفة

٩. موقف بني أمية

خرج الإمام (ت) من مكة يوم الثلاثاء يوم التروية* لثمان مضين من الحجة^(١) ، وخرج معه أهل بيته وستون شيخاً من أهل الكوفة^(٢) ، وكان قد خطب في المسلمين لمناسبة خروجه من مكة فقال : " ... ، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولعني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وصير لي مصرع أنا لاقيه " ^(٣) ، وهي دعوة غريبة من نوعها في تاريخ الثائرين ، فلا يمنيهم الإمام (ت) بملك ولا سلطان ، وإنما يدعوهم إلى القتل ^(٤) .

* التروية : هو يوم قبل يوم عرفة ، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة ، سمي بذلك لأنهم كانوا يتروون من الماء ، ولم يكن بعرفة ماء ، وأول من بنى بها حياضاً وسقى الناس عبدالله بن عامر بن كريز . ينظر : الحربي ، غريب الحديث ، ج ٢ ص ٧٧٩ - الفاكهي ، محمد بن اسحاق (ت ٢٧٥هـ) ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تح عبد الملك عبدالله ، ط ٢ ، دار خضر للنشر ، (بيروت / ١٤١٤هـ) ، ج ٣ ص ١٨٩ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٤ ص ١٣١٦ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ص ٢٨٠ - الرازي ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٢١هـ) ، مختار الصحاح ، تح أحمد شمس الدين ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ج ٢ ص ١١١ - البري ، محمد بن بكر الأنصاري ، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ، تح د. محمد التونجي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ص ٣٤ .

^(١) ابو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦١ - ابن أثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٦٩ .
^(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٤ ص ٢٠٧ - ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ) ، ترجمة الإمام الحسين (ت) من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح محمد الطباطبائي ، ط ١ ، مطبعة تكارشي ، (قم / ١٤٢٣هـ) ، ص ١٢٠ .

^(٣) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) ، المسائل العكبرية ، ط ٢ ، دار المفيد للنشر ، (١٤١٤هـ) ، ص ٧١ - الحلواني ، الحسين بن محمد (ت القرن الخامس) ، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، ط ١ ، مدرسة الإمام المهدي (عج) ، (قم / ١٤٠٨هـ) ، ص ٨٦ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (ت) ، ج ٢ ص ٨ - ابن نما الحلبي ، مثير الأحزان ، ص ٢٩ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٤٤ ص ٣٦٦ .
^(٤) الأصفى ، في رحاب عاشوراء ، ص ١٥١ .

عندما خرج الإمام (t) من مكة اعترضه رُسُل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد** فقالوا له : أين تذهب فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان ، فاضطربوا بالسياسات ، ثم أن الإمام (t) وأصحابه امتنعوا امتناعاً قوياً^(٥) ، ومضى الإمام (t) على وجهه فنادوه : يا حسين إلتقي الله ، تخرج من الجماعة ، وتفرق بين هذه الأمة^(٦) ، فقال لهم الإمام (t) : " ((لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَتُمُّ بَرِيئُونَ مِنَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ))^(٧) .

فأبى عليهم ومضى الإمام (t)^(١) فوصل إلى التنعيم* ، ولكن هل ضرب الإمام (t) آراء الناصحين له عرض الحائط ؟ ثم سار بنفسه إلى التهلكة بسيره نحو الكوفة وهو يعرف غدرهم ويعرف بنوايا بني أمية^(٢) !!!

أن الإمام (t) عندما ذهب إلى العراق ولم يأخذ بآراء الناصحين له ، لأنه ذهب من أجل هدف قد وضحه عندما لحق عبدالله بن جعفر** ويحيى بن سعيد به فقال لهما : " أني رأيت رؤيا فيها رسول الله (ﷺ) وأمرت فيها بأمر أنا ماض له ، علي كان أولى ، فقالا له : فما تلك الرؤيا ؟ قال : ما حدثت أحداً بها ، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربي "^(٣) ، هذا فضلاً عن أن هدف الإمام (t) في خروجه ليس ضد يزيد بن معاوية مثلما يتصور البعض** فقد قال الإمام (t) : " إنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي "^(٤) ، وهل أن من يريد طلب الإصلاح يؤدي بنفسه إلى التهلكة !؟

أما مسألة أن الإمام (t) يعرف بنوايا بني أمية ولم يعد إلى مكة بالرغم من توسط عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد والي مكة وكتابه إليه على لسان عبدالله وختمه عمرو وأرسله بيد أخيه يحيى بن سعيد وفيه يدعوه " إلى الطاعة وعدم مفارقة الجماعة ويدعوه إلى الأمان والصلة والبر وحسن الجوار ، أني أعينك بالله من الشقاق ، فأني أخاف عليك فيه هلاك ، ... ، فإن لك عندي الأمان والصلة

**يحيى بن سعيد : يحيى بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، أمه العالية بنت سلمى بنت يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك بن سعد ، قليل الحديث . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢٣٥ - الزبير ، نسب قريش ، ج٥ ص١٧٩ - ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ج١ ص٨١ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٥ .
(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٥ .
(٧) سورة يونس ، آية ٤١ .
(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٩ .

* التنعيم : موضع بين مكة وشرف ، على فرسخين من مكة وقيل أربعة . ينظر : الحموي ، مع البلدان ، ج٢ ص٤٩ .
(٢) شلبي ، أحمد ، الدولة الأموية ، مطابع سجل العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، (بلات) ، ص٨ .
** عبدالله بن جعفر : عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ويكنى أبا جعفر ، لم يخرج مع الإمام (t) في ثورته . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٤٧٣ .

(٤) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص٦٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٨ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (t) ، ص٢٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٤١ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤ ص٣٦٦ .
*** تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية ، ص٨١ .
(٥) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ص٢١ .

والبر وحسن الجوار لك" ^(٦) ، فبعد أن قرأ الإمام (ت) الرسالة أعتمر منهم وكتب إلى عمرو بن سعيد " أما بعد ، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال أنني من المسلمين ، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة ، فخير الأمان أمان الله ، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا ، ... ، فإن كنت نويت بالكتاب صلتني وبري ، فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام " ^(٧) .

ونستنتج من هذا النص عدة أمور منها :

٧. أن الإمام (ت) لم يشاقق الجماعة ، وأن دعوته لله ورسوله (ع) وهذا هو هدف الإمام

(ت) المباشر في ثورته حينما قال : " أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً وظالماً " ^(٨) .

٨. أن الإمام يخاف الله في الدنيا فكيف أذن يكون عمله فيها وهو يعلم أن الله من ورائه حسيب ، لذلك قال : " لن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا " ^(٩) .

٩. من الدلائل على عدم صدق نيتهم في عودة الإمام (ت) إلى مكة ما كتب به إليهم الإمام (ت)

: " فإن كنت نويت بالكتاب صلتني وبري ، فجزيت خيراً " ^(١٠) ، ولهذا نقول ان الإمام (ت)

كان يعرف نواياهم واتجاهاتهم وأفكارهم ودليل ذلك ما ذكره الزمخشري ^(١١) أن عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق سمع صراخ نساء بني هاشم حين بلغ أهل المدينة قتل الحسين

(ت) فقال ذلك ، هذا بيوم عثمان ثم تمثل :

عجت نساء بني زياد عجةً كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

١٠. الحملة الإعلامية في ثورة الإمام (ت)

يمكن ملاحظة الحملة الإعلامية في ثورة الإمام (ت) في أثناء حركته من المدينة إلى مكة ومنها

إلى الكوفة من خلال بعض المواقف السياسية والعسكرية للإمام (ت) ، ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

أ. الحملة الإعلامية للإمام (ت)

^(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٧٠ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٨ .

^(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٨-٣٨٩ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (ت) ، ص ٢٩٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٣٦ .

^(٨) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٢١ .

^(٩) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٧٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٨ .

^(١٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٣٦ .

^(١١) الزمخشري ، المستقصى في أمثال العرب ، ج ٢ ص ٤١٥-٤١٦ .

بعد خروج الإمام (ت) من مكة مر بموضع التنعيم ، فلقى بها عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وعلى العير الورس* والحل فأخذها الإمام (ت) (٥) ، وقال لأصحاب الابل : لا أكرهكم ، من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسننا صحبته ، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض ، وفارقه قسم منهم فأوفى حقهم ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه (٦) . والذي يبدو ان الإمام (ت) كان غرضه هو أن يعلن السلم والسلم واليمن بخروجه من مكة ضد يزيد ، هذا فضلاً عن ما سوف تقوم به افراد القبائل العربية بتناقل اخباره فيما بينهم وبهذا ينتشر خبر الثورة .

ثم يخطب الإمام (ت) في منطقة البيضة* خطبة أخرى بعد أن وقف اصحاب الحر بن يزيد الرياحي أمامه وقال : " أيها الناس أن رسول الله (ﷺ) قال ، من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله " (١) ، والذي يبدو بأنه قد حدد إعلامياً عدم الاعتراف بشرعية الخلافة الأموية كونها غير مقرونة بطاعة الرحمن وملزمة بطاعة الشيطان واستغلالهم (٢) .

ب. الحملة الإعلامية لأهل بيته (ت) بعد مقتله

والسؤال الذي يطرح نفسه هل أخطأ الإمام بإخراج أهله ونسائه معه حين سار إلى الكوفة أم أصاب؟! بالرغم أن ابن عباس قد نصحه بعدم أخذ عياله معه " فأنت كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فوالله أني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونسأوه وولده ينظرون إليه " (٣) وللجواب عن هذا السؤال وجهان ، الوجه الأول لو فرضنا أن الإمام (ت) لم يخرج أهله ونسائه معه فما الذي كان سيحدث من بقائهم في مكة ؟ واغلب الظن أنه سيحتمل رأيين :

٥. الحفاظ على حياتهم من القتل .

* الورس : نبت أصغر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه . ينظر : الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٤٥ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ص ٢٧٣ .

(٥) أبو مخنف ، مقتل الإمام الحسين (ت) ، ص ٦٨ - النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٤٠٩ - الشيخ البحراني ، عبدالله (ت ١١٣٠هـ) ، العوالم ، الإمام الحسين (ت) ، ط ١ ، مطبعة أمير ، (قم / ١٤٠٧هـ) ، ص ٢١٧ - الأسعد ، حسام الدين أحمد ، اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ص ٧٨ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٦ .
* البيضة : ماء بين واقصة إلى العذيب متصلة بالحزن لبني يربوع . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٣٢ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٣ - النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٤١٩ .
(٢) الشيرازي ، ليالي بيشاور ، ص ٥٩١ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٦٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٤ .

٦. اعتقالهم واستخدامهم كوسيلة ضغط على الإمام وربما يؤدي ذلك إلى قتلهم .
أما بالنسبة إلى الرأي الأول فاغلب الظن أنهم لم يكن يعيرونه أي أهمية لأن الحياة لا تمثل لهم غاية " القتل لنا عادة " ^(٤) وهي مجازفة تحتمل الكثير من المخاطرة لما عرف عن يزيد وأعوانه من البطش والفتك ووجودهم معه خير من أبعادهم عنه ولأن يكونوا كثرة خير من أن يكونوا أفراداً متفرقين يسهل قتلهم الواحد تلو الآخر والرأي الثاني فلا يسلم إن يؤدي اعتقالهم إلى فقدان ثورة الإمام (t) الجوهر الذي خرج من اجله وهو الإصلاح ولا يسلم أيضاً إن يؤدي إلى قتله وقتلهم معه أيضاً .

والوجه الثاني ما الذي أفاده الإمام من خروج أهله ونسائه معه ؟ يمكن ملاحظة هذا بالآتي :

٧. الجانب الإعلامي : إذ لولا أهله ونسائه لما ظهرت ثورة الإمام (t) بهذا الشكل الذي ظهرت به من بروز ثورته ضد الظلم والطغيان ويبدو هذا واضحاً من خلال خطبهم في الكوفة او الشام ، هذا فضلاً عن ان وجودهم معه بين بأن خروجه كان بناءً على رسائلهم إليه فلو أن الإمام (t) قتل وأهله ليسوا معه لقليل بأنه جاء طالباً للحرب وخارجاً عن ولي الأمر ولصوروه بأنه رجل خارجي لا يهمه سوى الحكم وبذلك تفقد ثورته الغرض الذي رسمه لها الإمام لأنه لا يخفى عليه أنه كان يعرف مصيره الذي خط له " خط الموت على ولد آدم مخط القلادة " ^(٥) .

٨. الجانب السياسي : ويتمثل هذا بإظهار مكانة آل البيت (i) وبأنهم بيت النبوة ومختلف الملائكة ومعدن الرسالة وبأنهم ولاة الأمر والأحق به من أبناء الطلقاء* وبيان موقف أهل الكوفة المتخاذل وتشحيد الهمم ضد يزيد .

٩. الجانب الأخلاقي : ويتمثل هذا بقيم الأخلاق والآباء التي أظهرها الإمام (t) وأهل بيته مع إظهار جانب التحدي سواء في مجلس ابن زياد أو مجلس يزيد في حين عجزت كبار الشخصيات حتى عن إبداء الرأي فما بالك بمخالفته خوفاً من بطش يزيد وأعوانه .

والذي يتبين لنا بعد كل هذا أن مبرر الإمام (t) وفكرته في خروج أهل بيته معه كان اقرب إلى

الصواب منه إلى الخطأ بل هو الصواب بعينه ، وصدق ابن طباطبا ^(٦) حينما قال أن الإمام (t) " سار إلى أمر هو أعلم به من غيره " .

١١. الناصحون للإمام (t) بين مكة والكوفة

(٤) ابن طاووس ، اللهوف في قتلى الطفوف ، ص ٩٥ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٤٥ ص ١١٨ .

(٥) الشيخ المفيد ، المسائل العكبرية ، ص ٧١ - الخوارزمي ، مقتل الحسين (t) ، ج ٢ ص ٨ .

*الطلاق : الذين أدخلوا في الإسلام كرهاً ، وهم الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يستر منهم من أمثال أبي سفيان بن حرب والحكم بن العاص ، وأبنة مروان الحكم ، فقد أسلم يوم فتح مكة ولم يدخل مدينة الرسول إلا في عهد خلافة عثمان (رضي الله عنه) . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٣٦ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٦٣٠ .

(٦) الفخري في الأدب السلطانية ، ص ١٠٧ .

خلال سير الإمام (ت) كان يسأل الناس عن أحوال الكوفة ، فعندما وصل الإمام (ت) إلى منطقة ذات عرق ** لقيه بشر بن غالب *** قادماً من العراق فسأل عن أحوال أهل العراق^(٣) فقال : " يا ابن رسول الله خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية "^(٤) ثم يستمر الإمام (ت) بالمسير نحو الكوفة إلى أن وصل منطقة الصفاح* وفيها يلتقي الشاعر الفرزدق ** ، فسأله الإمام (ت) عن أحوال الناس خلفه فقال الفرزدق : " من الخبير سألت ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية "^(١) ، فقال له الإمام (ت) : ما أراك إلا صدقت الناس عبيد المال والدين لعق على أسنتهم "^(٢).

ثم أكمل الإمام (ت) المسير حتى انتهى إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبدالله بن مطيع العدوي ، فلما رأى الإمام (ت) قام إليه وقال : بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، ... ، والله أنها لحرمة الإسلام تنتهك ، وحرمة قريش وحرمة العرب ، فلا تفعل ، ولا تأت الكوفة ، ولا تعرض لبني أمية "^(٣) ، فأبى إلا أن يمضي فاستمر إلى أن وصل منطقة زرود *** ، ثم سار الإمام حتى نزل بطن العقبة **** ، فلقاه رجل ***** من العرب فقال له : " أنشدك الله لما انصرفت ، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف ، أن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطنوا لك الأشياء ، فقدمت عليهم لكان ذلك رأياً "^(٤) ، ثم في منطقة عذيب الهجانات ***** لقيه الطرماح بن عدي *****

** ذات عرق : هو الحد الفاصل بين نجد وتهامة وقيل هو جبل بمكة وكان على مسيرة يومين شمال شرقي مكة . ينظر : ابن الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٦٩ - السمعاني ، الأنساب ، ج ٤ ص ٣٩ .

*** بشر بن غالب : بشر بن غالب أحد أصحاب الإمام علي (ت) . ينظر : البرقي ، رجال البرقي ، ج ١ ص ٨ .

(٣) أبين أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٦٩ .

(٤) الأربلي ، علي بن عيسى (ت ٦٩٣ هـ) ، كشف الغمة ، تح هاشم رسولي المحلاتي ، مكتبة بني هاشم ، (إيران / ١٣٨١ هـ) ، ج ٢ ص ٣٢ .

* الصفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحرم علي يسرة الداخل إلى مكة من مشاش . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤١٢ .

** الفرزدق : أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن دارم التميمي ، أمه ليلى بنت حابس ، شاعر معروف صاحب جرير . ينظر : التبريزي ، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ) ، ديوان الحماسة بشرح التبريزي ، شرح محمد عبدالقادر سعيد ، دار القلم ، (بيروت / ١٣٣١ هـ) ، ج ١ ص ٢٧٧ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨٦ - الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١ ص ٣٩٥ - الزمخشري ، المستقصى من أخبار العرب ، ج ٢ ص ١٦٤ - المقرم ، مقتل الحسين ، ص ١٧٧ .

(٢) الأربلي ، كشف الغمة ، ج ٢ ص ٣٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٥-٣٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤١ .

*** زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق من الكوفة وتسمى زرود العتيق وهي دون الخزيمية بميل . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٣٩ .

**** بطن العقبة : موضع بين زباله وشراف ، تم استنتاج ذلك من خلال مسيرة الإمام (ت) ، يذكر ابن الأثير ، أن الإمام

(ت) في منطقة زباله آتاه خير مقتل أخاه من الرضاة عبدالله بن بقطر ، ثم سار حتى نزل بطن العقبة ، ويذكر القاضي نعمان أن الإمام سار من بطن العقبة حتى نزل شراف ، إذن بطن العقبة تقع ما بين الأثنين . ينظر : القاضي المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ١٤٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٢-٤٣ .

***** لوزان أحد بني عكرمة . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ .

(٤) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ .

***** عذيب الهجانات : هو من منازل حاج الكوفة وقيل حد السواد . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٩٢ .

فقال للإمام (ع) بأنه رأى أهل الكوفة "اجتمعوا ليعرضوا ، ثم يسرحون إلى الحسين" ^(٥) ، لكن نجد الإمام (ت) يتقدم إلى الكوفة بالرغم من هذه النصائح ، فهل هذا يعني بأن الإمام (ت) قد سار بنفسه إلى الموت ؟ أو كانت لديه رؤية بأنه مقتول لذلك لا يأخذ بأرائهم .

ان الإمام (ت) في منطقة ذي حسم* قال " إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها ، واستمرت حداً ، فلم يبق منها إلا صباية** كصباية الإناء ، وخسيس** عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، وأن الباطل لا يتناهي عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً ، فأني لا أرى الموت إلا شهادة والحياة مع الظالمين إلا برماً" ^(١) .

والذي يستنتج من هذه النص الأمور الآتية :

٥. أن القوم الذين بايعوا الإمام (ت) نكثوا بيعتهم ، بل لم يكتفوا بذلك فجهزوا أمرهم لقتله ^(٢) .
 ٦. أن الإمام (ت) قد وضع الموت أو الشهادة عشية خروجه من مكة لذلك وصف الموت بالقلادة في رقبة الفتاة .
- هذا فضلاً عن ان هنالك من الأمور ما يدل على ان الإمام (ت) سار في طريق إرادة الله والدليل قوله الى لوزان عندما أشار إليه بعدم التقدم إلى الكوفة فقال الإمام (ت) : " أنه ليس يخفى عليّ ، الرأي ما رأيته ، ولكن الله لا غالب على أمره" ^(٣) ، إضافة إلى أن الإمام (ت) سار إلى الكوفة وهو يعلم غدرهم لذلك قال في منطقة البيضة " وأن لم تفعلوا ونقضتم عهدي ، وخلعتم بيعتي ، فلعمري ، ما هي لكم بنكير ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل ، والمغرور من أغتر بكم" ^(٤) .

١٢. الإمام (ت) وأصحابه

بعد أن وصل الإمام (ت) إلى منطقة زباله**** سقط عليه مقتل عبدالله بن بقطر***** ، وكان قد سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم أنه قد أصيب ، فتلقاه خيل الحصين بن تميم

***** الطرمّاح بن عدي : الطرمّاح بن عدي بن عبدالله بن خبيوي وهو الطرمّاح الأكبر ، كان من الخوارج الصفريّة ، وكان شاعراً معروفاً . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٤٠١ .

^(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٤٦ .
*ذي حسم : موضع في الطريق إلى الكوفة . ينظر : ابن الأبار ، محمد بن عبدالله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ) ، درر السمط في خير السبط ، تح عز الدين عمر موسى ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (١٤٠٧هـ) ، ص ٩٩ .
**صباية : بقية الماء في الإناء ، وهي البقية اليسيرة من الشراب يبقى في الإناء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٢٦٠ .
***خسيس ، الدنيء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٩١ .

^(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٣-٤٠٤ - الاصفهاني ، أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط ٢ ، دار الكتب العربي ، (بيروت / ١٩٦٧) ، ج ٢ ص ٣٩ - ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين (ت) ، ص ٣١٤ - الطبري ، محب الدين أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ) ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، دار المعرفة للطباعة ، (بيروت / بلات) ، ص ١٤٩-١٥٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٤٣ .

^(٢) القاضي نعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ج ٣ ص ١٤٦ - الشيخ المفيد ، المسائل العكبرية ، ص ٧١ .
^(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٣ .

^(٤) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٨ .
****زباله : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٢٩ .

*****عبدالله بن بقطر : رضيع الإمام (ت) قتل بالكوفة . ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج ٢ ص ٣١٠ .

بالقادسية ، فسرح به إلى عبيدالله بن زياد ، فقال له أصدع فوق القصر ، فالتعن الكذاب ابن الكذاب ، ثم أنزل حتى أرى فيك رأي ، وعندما صعد عبدالله وأشرف على الناس قال : أيها الناس ، أني رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) لتنصروه وتوازره على ابن مرجانة ، ابن سمية* الدعوي ، فأمر به عبيدالله فالتقى من فوق القصر إلى الأرض ^(١) .

والذي يمكن ان نستنتجه من هذا الأمور الآتية :

١٣. لن يستطيع أحد من دخول الكوفة بسبب احتياطات الحصين بن تميم صاحب شرطة ابن زياد .

١٤. ظاهرة سب الإمام علي (t) التي أصبحت سنة لدى الساسة الأمويين من الخلفاء

والأعوان مع وجود أحاديث للرسول محمد (ﷺ) تنهي عن سب الإمام علي (t) منها " من سب علياً ، فقد سبني ومن سبني ، فقد سب الله " ^(٢) ، وفي حديث آخر " من سب علياً فقد سبني " ^(٣) ، لكن ما نجده استمرار وجود هذه الظاهرة** إلى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي نهى عنها ^(٤) ، ثم عاد الخلفاء الأمويون من بعده باستئنافها .

١٥. أن عبدالله بن بقطر وضح لأهل الكوفة أن الإمام (t) هو ابن بنت رسول الله

(ﷺ) ويجب الخروج إليه لمساعدته ومناصرته وذكر نقيضه ابن سمية ، وبهذا يكون قد ألقى الحجة عليهم.

١٦. طريقة قتل سفراء الإمام (t) طريقة واحدة هي الرمي من فوق القصر كان الغرض منها هو إثارة الخوف والفرع في نفوس الناس .

*ابن سمية : زياد بن أبي سفيان ، أما سمية فهي أمه ، كانت لدهقان من دهاقين الفرس بزندرو بكسكر ، مرض الدهقان فدعا الحارث بن كعدة الطبيب الثقفي فعالجه فبرأ ، فوهبه سمية وزوجها الحارث غلاماً له رومياً قال له (عبيد) فولد زياداً على فراشه وكانت أمه من البغايا المشهورة بالطائف ذات راية . ينظر : الكوفي ، أبو صادق سليم بن قيس (ت ٧٦هـ) ، سليم بن قيس الهلالي ، تح محمد باقر الأنصاري ، (بلا ت . ط .) ، ص ٢٨٢ .

^(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٧٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٨ .

^(٢) الكوفي ، محمد بن سليمان (من أعلام القرن الثالث) ، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (t) ، تح الشيخ محمد باقر المحمودي ، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية ، (بلا ت) ، ج ٢ ص ٥٩٨ - الحميري ، علي بن محمد (ت ٣٢٣هـ) ، جزء علي بن محمد الحميري ، تح أبو طاهر زبير بن مجدد علنيرني ، ط ١ ، دار الضحاوي ، (الرياض / ١٤١٣هـ) ، ص ٢٨ - الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) ، الأمالي ، تح قسم الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، مؤسسة البعثة ، قم ، إيران ، ١٤١٧هـ ، ص ١٥٧ ، عيون أخبار الرضا ، تح حسين الأعظمي ، (بيروت / ١٤٠٤هـ) ، ج ١ ص ٧٢ - ابن بابويه ، منتخب الدين علي (ت ٥٨٥هـ) ، الفهرست ، تح د. سيد جلال الدين محدث ، مطبعة مهر ، مكتب المرعشي للنشر ، (قم / ١٣٦٦هـ) ، ص ٣٥٢ .

^(٣) النسائي ، عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، السنن الكبرى ، تح د. عبدالغفار سليمان وسيد كسروي ، ط ١ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤١١هـ) ، ج ٥ ص ١٣٣ ، خصائص أمير المؤمنين ، تح محمد هادي الأميني ، مكتبة نينوى الحديثة ، (بلا ت . ط .) ، ص ٩٩ - الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ج ٣ ص ١٣٠ .

**من أجل أن يستبد لهم الحكم وقد اعترف مروان بن الحكم بقوله إلى الإمام علي بن الحسين (t) : ما كان في القوم أحد دفع عن صاحبنا من صاحبكم - يعني علياً من عثمان ، قلت (له) : فما لكم تسبونونه على المنابر ، قال : لا يستقيم الأمر إلا بذلك . ينظر : البلاذري ، انساب الأشراف ، ص ١٨٥ .

^(٤) الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ص ٥٠ .

أدرك الإمام (ت) أن الغرض من قتل السفراء بهذه الطريقة المراد به الإمام (ت) نفسه ، لذلك خطب في أصحابه وقال : " أما بعد ، فإنه قد أتانا خبر فظيع ، قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبدالله بن بقطر ، وقد خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب منكم ألا نصرف فلينصرف ، ليس عليه منا ذمام " (١) ، وكان من نتيجة هذا الخطاب تفرق عنه الذين انضموا إليه في الطريق فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي من أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة (٢) ، وكانوا قد انضموا إليه على أساس وجود القاعدة الجماهيرية له في الكوفة لذلك سيحظون بالمكانة المرموقة في نفوس أهل الكوفة ، لذلك كره الإمام (ت) أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه (٣) . فبقي الإمام (ت) في أصحابه الذين جاءوا معه ووصفهم خير الأصحاب لأنهم يعلمون أن لا سبيل أمامهم سوى الموت لذلك وصفهم " فأنى لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ... ، ألا وأنى قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ، ليس عليكم مني ذمام ، هذا الليل قد غشيكم ، فاتخذوه جملاً " (٤) .

وما يمكن أن نستخرجه من هذا النص أن هناك ترابطاً ما بين الإمام (ت) وأصحابه ، فالكل يعرفون أنهم أموات فالإمام (ت) قال عشية خروجه من مكة إلى الكوفة " خط الموت على ولد آدم مخط القلادة " (٥) ، أما أصحابه فبعد أن سمعوا خطاب الإمام (ت) كانت ردة فعلهم قوية فقال مسلم بن عوسجة " نحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك " (٦) ، وقال سعيد بن عبدالله الحنفي " والله لو علمت أني أقتل ثم أحيى ثم أحرقت حياً ثم أذّر يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك ، وإنما هي قتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا أنقضاء لها أبداً " (٧) . ثم قال زهير بن القين * : " والله لو وددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة وأن الله يدفع عنك القتل عن نفسك ، ومن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك " (٨) .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٨-٣٩٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٤٣

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٤٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٩٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٧ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ - الحلواني ، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، ص٨٦ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤ ص٣٦٦ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص١٠٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٨ .

(٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص١٠٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ .

* زهير بن القين : زهير بن القين بن الحارث بن عامر بن سعد بن مالك بن ذهل بن عمرو بن يشكر بن علي بن سعد بن نذير ، وقد أنظم إلى الإمام (ت) في الطريق على أثر حديث كان قد سمعه من سلمان الفارسي في غزوة بلنجر وقول سلمان الفارسي في هذه الغزوة : إذا أدركتم سيد شباب أهل مجد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم . ينظر : أبن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٣٨٨ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ص٢٧٦ - الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص٤٨٩ .

(٨) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص١١٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٩ .

لذا فإن وصف الإمام (t) لهم كان محققاً في أنهم خير الأصحاب لأن في قتلهم كانوا يجددون الوفاء مع الإمام (t) ^(٢).

١٧. الخوارج وموقفهم من الإمام (t)

يتفق الخوارج في مبادئهم مع الإمام (t) بالخروج على الإمام الجائر*، خدمة للإسلام ^(٣)، وانطلاقاً من هذا يذكر المبرد ^(٤) أن أبا مرداس، كتب إلى الحسين بن علي صلوات الله عليه بأني لست أرى رأي الخوارج وما أنا إلا على دين أبيك. وربما أن هذا الكتاب قد وقع بيد ابن زياد لذلك تابعهم في البصرة بشدة فنجده تارة يحبسهم وتارة أخرى يأمر بقتلهم، ولم يتح لهم الفرصة المناسبة لممارسة أعمالهم السياسية لذلك نجدهم مكثوا في البصرة طوال فترة وجود ابن زياد لسهولة الهروب إلى خارجها في الظروف الحرجة بهم. لكن ما يذكره قسم من المؤرخين ^(٥) أن الطرماح بن عدي دنا من الإمام (t) في منطقة عذيب الهجانات وقال له: "والله أني لانظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيني في صعيد واحد جمعاً أكثر منه".

والذي يمكن ان نكتشفه من هذا الأمور الآتية:

١. كثرة الخارجين من أهل الكوفة لحرب الإمام (t) ربما عددهم كان يفوق ما أشار إليه قسم من المؤرخين ^(٦) بأن عددهم كان أربعة آلاف مقاتل خرجوا لقتال الإمام (t).

٢. قلة أصحاب الإمام (t) مقارنة بحجم القوى المستعصية ضده في الكوفة، لذلك فإن الطرماح بن عدي قد طرح على الإمام (t) أن لا يقدم على الكوفة، وبعد أن وجد الإمام (t) مصراً على التقدم أشار عليه بأن ينزل بلده "فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك متاع جبلنا يدعى أجاً*، امتنعنا والله به من ملوك

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤١٩-٤٢٠.

*الجائر: المائل أو الظالم وهو الباغي الذي يرد الحق مع العلم به. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج٣ ص١٢٥١ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣ ص٣٠٨ - الطريحي، مجمع البحرين، ج٣ ص٢٥٧ - الزبيدي، تاج العروس، ج٤ ص٣٣٠.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ)، نيل الأوطار في أحاديث سير الأخيار، دار الجيل للطباعة، (بيروت / ١٩٧٣)، ج٧ ص٣٤١.

(٤) الكامل في اللغة، ج٣ ص١٥٥.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠٦ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٥٠ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج٤ ص٨٤٦.

(٦) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٣ - البعقوبي، تاريخ البعقوبي، ج٢ ص١٦٩ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٥٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج٤ ص٨٤٩.

*أجاً: أحد جبلي طيء والأخر سلمى وينسب إليهما الأجيئيون وبينهما قرى كثيرة. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج١ ص٣٢ - البكري، معجم ما استعجم، ج١ ص١٠٩ - الحموي، معجم البلدان، ج١ ص٩٢ - الزبيدي، تاج العروس، ج٩ ص٢١١.

غسان** وحمير*** ومن النعمان بن المنذر*** ومن الأسود**** والأحمر***** ، فأسير معك حتى أنزلك القرية ثم نبعث الرجال ممن بأجأ وسلمى من طيء ، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى تأتيت طيء رجالاً وركباناً ، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي ، يضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف^(١) . والذي يمكن ان نستنتجه من هذا النص أمر مهم هو أن في هذه الجبال قرى كثيرة يعود نسب أهلها الى قبيلة طيء المعروفة وأنه زعيمهم لذلك طلب من الإمام (ت) البقاء فترة عشرة أيام^(٢) ، وربما أن الطرماح قد حدد هذه الفترة لأنه يدرك أن السير والدوران في منازل طيء وجمعهم قد يستغرق هذه الفترة .

ولكن لم يتفق الإمام (ت) مع الطرماح بن عدي في أمرهما بسبب أن الإمام (ت) كان على موعد مع قوم لن يستطيع أن يخلف به، بينما كان للطرماح أمر مهم بالنسبة إلى عياله وهو جلب المتاع وهو كذلك لم يستطع تركه^(٣) ، لذلك لم يبرز موقف الخوارج في هذه الفترة .

١٨. تشبيه حالة الإمام (ت) بالخليفة عثمان (رضي الله عنه)

كانت أيدي بعض الأمويين المقربين للخليفة عثمان (رضي الله عنه) والطامحين بالوصول إلى الخلافة وراء قتله من أجل تحقيق ميولهم ورغباتهم ، واتخذوا في نفس الوقت مسألة قتله ذريعة لتحقيق هذه الميول والرغبات ، لذا فقد ربطوا هذه المسألة بالإمام (ت) كما ربطوها سابقاً مع الإمام علي (ت) لقتله والتخلص منه كونه الرجل الوحيد آنذاك صاحب الكلمة والفكر الإسلامي الصحيح الذي ينسجم مع مبادئ الرسالة الإسلامية .

**غسان : هم ملوك نزحوا من اليمن إلى الشام وأول من لجأ إليهم من الملوك هو الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس ، وهو غسان بن الأزدي بن الغوث وكان نزوحهم بعد سيل العرم . ينظر : أبين المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ص ٩٧ - أبين حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص ٣٣١ - أبين منظور ، لسان العرب ، ج٦ ص ٦٢٣ - عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطابع رويال ، مؤسسة شباب الجامعة ، (الإسكندرية / ١٩٩٧م) ، ص ١٩٥ .

***حمير : حمير بن سبأ الهميعة ، وأنهم أيضاً وصلوا إلى جبال طيء ووضعوا حاميات عسكرية ، قريبة من الجبال لحماية تجارتهم . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج٥ ص ٥٦٠ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٣٨٨هـ) ، ج ١ ص ١٠ .

****النعمان بن المنذر : النعمان بن المنذر بن عمر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن أمريء القيس من لخم ، آخر ملوك الحيرة . ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ص ٩٧ - أبين حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص ٤٢٢-٤٢٣ .

*****الأسود : الأسود بن فار الجديس هرب من حسان ونزل جبال طيء . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٩٨-٩٩ .

*****الأحمر : هو سبا بن حمير سمي بذلك لأنه كان له تاج وكان له جوهر أحمر فإذا أجلس أضاء على بعد منه ف قيل له الملك الأحمر ثم قيل له حمير . ينظر : المسعودي ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) ، اخبار الزمان ، تح لجنة من الأساتذة ، ط ٢ ، مكتبة النجف ، دار الأندلس للطباعة ، (١٣٨٦هـ) ، ص ١٠٢ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٤٦ .

(٢) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٠ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٨٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٥٠ .

نحن نعرف أن أحد أسباب قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) هو مروان بن الحكم كونه زور كتاباً على لسانه وأرسله إلى والي مصر يدعوه فيه أن يقتل الوفد بعد وصولهم إليه^(١) ، وقد أقسم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بالله بأنه ما كتب إلى الوفود ولا له علم ولا أمر به^(٢) . هذا فضلاً عن أن حصار الخليفة عثمان (رضي الله عنه) قد استمر أربعين يوماً^(٣) .

وهنا نتساءل ونقول أين كان محبوبو الخليفة عثمان (رضي الله عنه) من بني أمية خلال هذه الفترة ؟

أما موقف أهل البيت (i) من دم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فيتوضح لنا بما قاله الإمام علي (t) يوم قتله حينما قال " تباً لكم سائر الدهر " ^(٤) ، هذا فضلاً عن أن مروان بن الحكم يذكر للإمام علي بن الحسين (t) : بأنه لم ير أحداً في القوم دافع عن صاحبنا من صاحبكم - يعني علياً عن عثمان^(٥) - إضافة إلى أن الاندلسي^(٦) يذكر في أحداث حصار الخليفة عثمان (رضي الله عنه) أن أول القوم إجماعاً له هو الإمام علي (t) الذي جاء في آخر الليل ، وأن ابنه الإمام الحسن (t) كان أحد الحرس لدار الخليفة ولم ينصرف إلا بأمر الخليفة نفسه^(٧) وكان آخر من أنصرف^(٨) ، وحينما أنصرف تمثل بأبيات من الشعر تبرر موقفه من دم الخليفة عثمان (رضي الله عنه)^(٩) :

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير إلى الطمر * شمام *

وقيل أن الحسن (t) حمل جريحاً من الدار في يوم الدار^(١) ، لذلك نجد أن الأمويين مثلما وصلوا إلى الخلافة باسم النثار للخليفة عثمان (رضي الله عنه) وهو الأساس الذي بنى عليه معاوية حقه في وراثة الخلافة^(٢) .

ولكن هل تنبأ بنو هاشم لذلك ؟ أم أن الأمويين استطاعوا أن يعيدوا الكرة مرة أخرى ؟!

ويبدو لنا أن عبدالله بن عباس قد تنبأ بذلك حينما أشار بنصيحته إلى الإمام (t) قبل خروجه من مكة بقوله : " فأن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك فوالله أني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ص ٣٧٤ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ص ٣٧٤ - الاندلسي ، القاضي محمد بن يحيى (ت ٧٤١هـ) ، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان ، تج د. أكرم حلمي فرحات ، ط ٢ ، دار الأفاق العربية ، (مصر / ٢٠٠٢) ، ص ٢٨٦ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١٧٢ - الاندلسي ، التمهيد والبيان ، ص ٢٧٦ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٣ ص ٢٧ .
(٥) البلاذري ، انساب الأشراف ، ص ١٨٥ .
(٦) التمهيد والبيان ، ص ٢٧٦ .
(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٣ ص ٦٦ - ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، ج ٤ ص ١٢١٢ - الصلابي ، علي محمد ، تاريخ خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، (١٤٢٥هـ) ، ص ١٦٩ .
(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٣ ص ١٧٩ .
(٩) الاسدي ، سيف بن عمر (ت ٢٠٠هـ) ، الفتنة ووقعة الجمل ، تج احمد راتب ، ط ١ ، دار النفائس للنشر ، (بيروت / ١٣٩١هـ) ، ج ١ ص ٦٩ - الاندلسي ، التمهيد والبيان ، ص ٢٨٢ ، يذكر كلمة نصير بدلاً من كلمة أسير .
* الطمر : الفرس الجواد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ٦٤٢ .
** شمام : جبل بالعالية . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ص ١٩٨ .
(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٣٩٧ .
(٢) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية إلى نهاية العصر الأموي ، ص ١٣٠ .

ونسأوه وولده ينظرون إليه " (٣) لأنه أدرك سياستهم في ظاهرها وباطنها هي ضد بني هاشم ، لذلك نجد أن الإمام (ت) كان يؤكد طوال مسيره من مكة إلى الكوفة على فتياه بأن يكثرُوا من الماء " أكثرُوا من الماء فاستقوا وأكثرُوا " (٤) ، هذا فضلاً بأن الإمام (ت) سار في مناطق يكثر فيها المياه من زرود ، بطن العقبة ، شراف* ، قصر مقاتل** .

وفعلًا ما فطن به أبين عباس وما أحترس منه الإمام (ت) حصل ، لأن أوامر عبيدالله إلى عمر بن سعد كانت تأمره بأن يضيق على الإمام (ت) وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان (٥) !! لذلك أرسل عمر بن سعد ، عمرو بن الحجاج الزبيدي على خمسمائة فارس أنزلوا الشريعة*** ، وحالوا بين الإمام (ت) وبين الماء أن يسقوا منه قطرة (٦) . ويتبين أن ابن زياد قد خطط أن تكون أول بوادر معركة الطف**** حول الشريعة بمنعهم من ملء قرايبهم***** بالماء ، وفعلًا أشد العطش على الإمام (ت) وأصحابه فدعا العباس بن علي بن أبي طالب ، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم بعشرين قربة ، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً واستقدمهم إمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي* ، فقال عمرو " من الرجل ؟ فاجابه نافع ، فقال له : ما جاء بك ، قال : جننا نشرب من هذا الماء الذي حلائموننا** عنه ، قال : فاشرب هنيئاً ، فرفض نافع ذلك (١) ، حتى يملؤوا القرب ويشرب الإمام (ت) وأصحابه ، فلم يرضى عمرو بن الحجاج وأصحابه بذلك ، فأقرب أنصار الإمام (ت) من نافع فقال لهم : أملوا قرايبكم ، وعند ذلك ثار عمرو بن الحجاج وأصحابه فحمل عليهم العباس بن علي ونافع الجملي ، فكفؤهم ، ثم انصرفوا إلى رحالهم وجاء أصحاب الإمام بالقرب فأدخلوها عليه (٢) .

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا هو :

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٨٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٩ .
 (٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٤٤ .
 *شراف : موضع بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الإحساء التي لبني وهب . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص٣٣١ .
 **قصر مقاتل : قصر كان بين عين تمر والشام . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٣١٤ .
 (٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٢ .
 ***الشريعة : مشرعة الماء وهو مورد الشاربة التي يشربها الناس فيشربون بها ويستقون . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ص١٧٨ - ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ص٨٢ .
 (٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٢ - القاضي نعمان ، شرح الأخبار ، ج٣ ص١٨٢ .
 ****الطف : هي أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٣٦ .
 *****قرايبهم : مفردا قربة ، الوُطْبُ من اللّث ، وقد تكون للماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ص٢٩١ .
 *نافع بن هلال : نافع بن هلال بن نافع البجلي المرادي ، كان من أصحاب الإمام علي (ت) ومن أصحاب الإمام (ت) . ينظر : القاضي نعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ج٣ ص٢٤٧ - ابن طاووس ، علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ) ، إقبال الأعمال ، تح جواد القيومي ، ط١ ، مطبعة مدار الإعلام الإسلامي ، (١٤١٦هـ) ، ج٣ ص٧٨ - التقرشي ، نقد الرجال ، ج٥ ص٦ .
 **حلائموننا : يقال حلاه عن الماء ، أي طرده ومنعه منه . ينظر : الطبري ، هامش الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٢ .
 (١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٢ - الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص١١٧ .
 (٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٢ - الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص١١٧ .

٥. سياسة التضليل الإعلامي التي استخدمها معاوية ومن بعده ابنه وأعوانه وهم يعلمون إنها أشد أسلحة الحرب إمضاء وأبلغها نفاذاً^(٣) ، فاستعمل هذا السلاح ليصرف الناس عن أهل البيت (i) ويحول قلوبهم عنهم^(٤) .

٦. شجاعة أنصار الإمام (t) وبالذات أخوه العباس بن علي بن أبي طالب ، في الدفاع عن أهل البيت (i) وتضحيته بنفسه من أجل أن يجلب إليهم الماء من الشريعة ، وهذا أن دل على شيء فإنه يدلل لنا بأنهم يقاتلون من أجل مبدأ الإمام (t) الذي هو مبدأ الإسلام نفسه لذلك وصفهم بأنهم خير الأصحاب .

ومن هذا كله يمكن القول أن الأمويين حاولوا تهيئة النفوس في الكوفة إلى قتل الإمام (t) باسم الثار لعثمان وهم أبرياء منه براءة الذنب من دم يوسف (t) .

ثالثاً . الموقف العام لأهل العراق

٥. بعد مجيء الإمام (t) في هذه الظروف والأوضاع التي خطط لها ابن زياد في الكوفة وخارجها ، لم تكن هناك مشاركة فعلية من أهل العراق وخاصة أهل الكوفة مع الإمام (t) بالرغم من محاولة حبيب بن مظاهر الاسدي في بني أسد من أجل جلبهم لنصرة الإمام (t) لكنه فشل في ذلك بسبب وجود عيون وجواسيس ابن زياد في أحياء الكوفة ، فيذكر ابن أعثم الكوفي^(١) ، أن حبيب بن مظاهر الاسدي أقبل على الحسين بن علي فقال : ههنا حي من بني أسد بالقرب مني أو تأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك فعسى الله

(٣) أسد حيدر ، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ط٤ ، مكتبة الصدر ، (إيران / ١٤٢٠هـ) ، ج٣ ص٤٥٣ .

(٤) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٥٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٣ .

(١) الفتوح ، مج٣ ص٩٠-٩١ .

ان يدفع بهم عنك بعض ما تكره ، فقال له الحسين ، قد أذنت لك يا حبيب ، فخرج حبيب بن مظاهر الاسدي في جوف الليل منكرأ حتى صار إلى أولئك القوم فحياهم وحيوه وعرفوا انه من بني أسد ، ... ، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله (ﷺ) فأنه في عصابة من المؤمنين ، فتبادر رجال الحي مع حبيب بن مظاهر الاسدي ، وخرج رجل من الحي في ذلك الوقت صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل فخبّره بذلك ، فدعا رجل من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيداوي فضم إليه أربعة آلاف فارس ، ووجه به في جوف الليل إلى حي بني أسد ، لذلك فشل حبيب في إخراج أفراد قبيلته لنصرة الإمام (ت) إلا إن هذا لم يمنع من خروج بعض الرجال لنصرة الإمام (ت) كما فعل عبدالله بن عمير من بني عليم وزوجته أم وهب عندما خرجا لمساعدة الإمام (ت) فاستشهدا بين يديه^(٢) .

أما موقف أهل البصرة فلم يذكر المؤرخون شيئاً عنهم إلا رواية واحدة عند قسم من المؤرخين^(٣) ، ذكروا فيها خروج يزيد بن نبيط مع أبنيه عبدالله وعبيدالله إلى الإمام (ت) في مكة ، ثم أقبلوا معه حتى استشهد مع أبنائه بين يدي الإمام (ت) ، وهذه المشاركة هي مشاركة أفراد قلائل وهذا يعني أن موقفهم كان غير موال للإمام (ت) ليس بسبب الولاة الذين حكموا البصرة طيلة الحكم الأموي كونهم قساة فقط وإنما بسبب طبيعة أهل البصرة الذين كانت لديهم الرغبة بالمحافظة على الأمن بسبب مصالحهم الشخصية^(٤) ، هذا فضلاً عن اهتمام خلفاء بني أمية بمدينة البصرة وبأمرها وأحوالها وكثرة القبائل المحيطة بها ذات الشكيمة والقوة وشدة المراس فبقيت موالية لهم حتى أواخر عهدهم^(٥) .

٦. طبيعة المقاتلين في الكوفة

قد يتساءل البعض منا لماذا لم يخرج أهل الكوفة مع الإمام (ت) بعد قدومه إلى الكوفة ووصله إلى كربلاء ؟ وللجواب عن هذا السؤال فمن الأجدر بنا أن نعرف طبيعة أهل الكوفة آنذاك قبل أن نتطرق إلى الأسباب ، فكان مجتمع الكوفة ينقسم إلى فئات متعددة بناءً على مصالحهم الشخصية ليس إلا ، فمنهم من خرج لقتال الإمام (ت) بغضاً لأبيه الإمام علي (ت) كشبث بن ربعي ويزيد بن رويم

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٢٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٥٣ .

(٣) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص١٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٥٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢١ ، يذكر اسم نبيط بدلاً من نبيط .

(٤) محمد جابر عبدالعال ، حركات الشيعة المتطرفين ، مطبعة السنة المحمدية ، (١٣٧٣ هـ) ، ص١٧٥ .

(٥) الساعدي ، كاظم جواد ، تاريخ البصرة ، مطبعة القضاء ، (النجف / ١٩٥٩ م) ، ج٣ ص٢٣٤ .

الشيباني وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم من أشراف الكوفة كونه قتل رجالهم وصناديدهم في معركة بدر نشرأ للإسلام ودفاعاً عنه^(١)، ومنهم^(٢) من خرج لقتال الإمام (ت) من أجل المنصب والجاه عند ابن زياد ومثال ذلك عمر بن سعد قائد الجيش فحينما رشحه ابن زياد لقتال الإمام (ت) ارتد في أول الأمر لكن ابن زياد هدده بأن يسترجع منه العهد الذي أعطاه، وكان قد أعطاه العهد أن يسير إلى دستبى* ويكون والياً على الري** أن ظفر بالإمام (ت) أو قتله^(٣)، لذلك تقدم عمر بن سعد لقتال الإمام (ت) بعد أن قدم الدنيا على الدين^(٤)، وفي ذلك مقولته الشهيرة^(٥):

أترك ملك الري والري رغبة
أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها
حجاب وملك الري قرة عين

والبعض الآخر وهم الأغلبية من الفقراء في الكوفة وهو جنود لا يملكون شيئاً سوى العطاء وكانوا يعتمدون عليه لذلك أستغل ابن زياد هذا الأمر وقال لهم: "قد زاد أمير المؤمنين في إكرامكم وكتب إلى يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومائتي ألف درهم أصرفها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين بن علي"^(٦).

وهناك أحد الأشخاص* الذين غادروا الكوفة قبل وصول الإمام (ت) لكي لا تقع عليهم الحجة بعدم مناصرة الإمام (ت)، لأنهم أدركوا قول الرسول محمد (ﷺ): "أن أبني هذا يقتل بأرض من أهل العراق، فمن أدركه منكم فلينصره"^(١)، ويرى السيد أبو سعيدة^(٢) أن البعض من أهل الكوفة خرجوا

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٥٣ - العاملي، الصحيح من السيرة النبوية الاعظمية، ج٢ ص٤١٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠٩ - ابن الأبار، درر السمط في خير السبط، ص٩٨.

*دستبى: كورة كبيرة مقسومة بين الري وهمدان، قسم منها يسمى دستبى الرازي وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمى دستبى همدان وهو عدة قرى. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢ ص٤٥٤.

**الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثير الفواكه والخيرات وهي محط الحاج السابلة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣ ص١١٦.

(٣) ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، مطبعة مصطفى محمد، دار الكتب المصرية، (١٣٥٨هـ)، ج١ ص٣٧٧.

(٤) الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، منهاج السنة النبوية، تح. د. محمد رشاد سالم، ط١، مؤسسة قرطبة للنشر، (١٤٠٦هـ)، ج٢ ص٧٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٥٣.

(٦) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، مج٣ ص٨٩.

*عبيد الله بن الحر: عبيد الله بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن حريم بن جعفر، أمه العالية بنت الأسمر بن عبيد الله بن الحر، وكان لا يقاتل لديانة وإنما كان همه الفتك والتصعلك والغارات. ينظر: البلاذري: انساب الأشراف، ج٥ ص٢٩٠-٢٩١ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠٧.

(٧) القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت / ١٩٨٥)، ص٦٤٣.

(٨) بلاغة الإمام الحسين (ت)، ج٣ ص٢٨٧.

لقتال الإمام (t) بغضاً لأبيه ، من أمثال حجار بن ابجر ، قيس بن الاشعث ، وغيرهم كون سياسة الإمام علي (t) كانت سياسة عادلة ضد المصالح الشخصية .

وبعد أن عرفنا طبيعة هذا المجتمع وموقفه من الإمام (t) وابن زياد ، نأتي لنذكر أهم وأبرز العوامل التي ساهم بعضها مع بعض في منع أهل الكوفة من مناصرة الإمام (t) وهي :

٩. انقسام الولاء السياسي ليس ما بين أفراد القبيلة الواحدة فحسب بل داخل البيت الكوفي نفسه فمثلاً نجد أن عمرو بن قرظة بن كعب كان مع الإمام (t) في حين أن علياً أخاه كان مع جيش عمر بن سعد^(٣) .
١٠. دور الأشراف ومن أبرزهم عمرو بن الحجاج الزبيدي في توجيه أهل الكوفة لمقاتلة الإمام (t) وتشويه الحقائق من خلال مقولته " يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام " ^(٤) ، إضافة إلى أن المقاتلة من أهل الكوفة كان لهم أهل ومك وقبيلة يتخوفون عليهم من التخلف ^(٥) .

١١. ابن زياد واستقبال الإمام (t)

لما بلغ يزيد نبأ مسير الإمام (t) كتب إلى ابن زياد " أنه قد بلغني أن حسيناً صائر إلى الكوفة وقد أبتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان ، وأنت من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبداً " ^(١) .

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا أمر مهم هو :

أن ابن زياد ليس من بني أمية ، وإنما من الناس الملحقين بهم وبنسبهم وأن بقاءه في حق النسب يتوقف على أطاعته للأوامر وأخذ بيعة الإمام (t) ليزيد بن معاوية ، لذلك كان لهذه الرسالة الأثر الكبير في إجراءات عبيد الله بالكوفة ، فقد ذكر ابن الأثير^(٢) أن أول أعماله أنه بعث الحصين بن تميم صاحب شيرطته حتى نزل القادسية* ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان** ، وما بين القادسية إلى القطقانة*** وإلى لعلغ**** ، وقد حفظت له هذه الإجراءات تلك المناطق من الاشتراك بأي عمل ضد الدولة الأموية في الكوفة ، كما حافظت على طرق المواصلات بين الكوفة ومكة^(٣) .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٣٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٦٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٣٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٦٧ .

(٥) ابن فهد الحلي ، جمال الدين أبو العباس أحمد بن فهد (ت ٨٤١هـ) ، الرسائل العشرة ، تح السيد مهدي الرجائي ، ط ١ ، مطبعة سيد الشهداء ، مكتبة آية الله المرعشي ، (قم / ١٤٠٩هـ) ، ص ٤١٣ .

(٦) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٤ ص ٢٠٦ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٠٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٣٨ .

(٧) الكامل ، ج ٤ ص ٤١ .

*القادسية : قرية قريبة من الكوفة إذا خرجت منها أشرفت على النجف ، بينها وبين النجف خمسة عشر فرسخاً . ينظر : الطريحي ، مجمع البحرين ، ج ٣ ص ٤٧٠ .

**خفان : موضع قرب الكوفة يسلكها الحجاج أحياناً . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٧ .

***القطقانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطرف كان سجن النعمان بن المنذر . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٧٤ .

****لعلغ : منزل بين البصرة والكوفة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٨ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٩٤ .

إذ لولا هذه الخطة لما استطاع الحصين من إلقاء القبض على عبدالله بن بقطر في موضع القادسية وهو يحمل كتاب الإمام (t) إلى أهل الكوفة^(٣).

وكان لأبن زياد بعض الإجراءات خارج الكوفة كان الغرض منها هو أبعاد الإمام (t) من مدينة الكوفة لذا فقد قدم الحر بن يزيد الرياحي ***** ومعه ألف فارس من القادسية يستقبل حسيناً^(٤)، ثم دفع إليه كتاباً آخر يدعوه فيه أن يجعجع ***** الإمام (t) حين يبلغه كتابه ويقدم رسوله^(٥)، ولم يكتفِ ابن زياد بهذا فقط بل جعل الرسول مراقباً للحر حتى ينفذ أمر ورأي ابن زياد^(٦)، ثم يحاول أن يسيطر على مناطق المياه من خلال إرساله عمرو بن الحجاج، لذا فقد كان لسياسته هذه نتيجتان مهمتان هما :

٥. عدم قدرة الناس في الكوفة من الخروج إلى الإمام (t) ومناصرتة، إذ لم يستطع الخروج من أهل الكوفة سوى أفراد قليلين جداً، ربما بسبب سياسة القتل التي أتبعها ابن زياد حتى مع غير أهل الكوفة، فإنه قد جعل مؤيد بن عبدالرحمن المنقري يطوف في خيل داخل مدينة الكوفة فوجد رجلاً من أهل الشام في طلب ميراث له فقتله ابن زياد^(٧).

٦. إبعاد الإمام (t) عن الكوفة وتضييق المكان عليه من أجل أن يبايع ليزيد، لذلك أدرك الإمام (t) نواياه فقال: "هيهات منا الذلة"^(٨).

وبهذه الإجراءات سيطر ابن زياد على الكوفة وخارجها قبل مجيء الإمام (t)، لذلك لم يكن لهم مشاركة بارزة.

١٢. ابن زياد وقتل الإمام (t)

ت. أمر ابن زياد بقتل الإمام (t)

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٣٩٨.
 ***** الحر بن يزيد: الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب الرذن بن هرمي بن رياح بن يربوع. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ج١ ص٢٧٧ - الأردبيلي، محمد علي (ت ١١٠١هـ)، جامع الرواة، مكتبة المحمدي، (قم / بيات)، ج١ ص١٨٢.
 (٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠١ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٤٦ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج٢ ص٤٦.
 ***** جعجع: أي ضيق عليهم المكان، ويقال جعجع القوم إذا أناخوا، والجعجاع أي الموضع الضيق، أي أحبسه. ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، العين، تح. د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، ط١، مؤسسة الأعلمي، (بيروت / ١٤٠٨هـ)، ج١ ص٦٨ - الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تح. فاطمة محمد أصلان، ط١، دار إحياء التراث، (بيروت / ٢٠٠١م)، ج١ ص٥٦ - الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج١ ص٢١٨ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١ ص٢٧٤.
 (٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠٨ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص٥٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج٤ ص٨٦.
 (٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٠٨.
 (٧) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٥.
 (٨) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من أعلام القرن الرابع)، تحف العقول عن آل الرسول، تح. حسين الأعلمي، ط٦، (١٩٩٦)، ص١٧٢.

عندما تأخر عمر بن سعد في قتله للإمام (ت) دعا عبيدالله شمر بن ذي الجوشن ، وأمره أن يخرج بالكتاب إلى عمر وقال له " فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فأن فعلوا فليبعث بهم إلي سلماً ، وأن هم أبوا فليقاتلهم ، فأن فعل فاسمع له وأطع ، وأن هو أبى فقاتلهم ، فأنت أمير الناس ، فثب عليه فاضرب عنقه وأبعث إلي برأسه " (٣) .

والذي يمكن ان نستنتجه من هذا هو :

٥. النزول على حكم عبيدالله ، وحكم عبيدالله هو حكم يزيد بن معاوية ، لذلك كان ابن زياد يدرك رفض الإمام (ت) لهذا الطلب ، فقال الإمام (ت) " أنا أنزل على حكم ابن مرجانة ؟ والله لا أفعل ل هذا " (٤) .

٦. إذا نفذ عمر بن سعد أمر الكتاب سوف يكون شمر أحد قواده ، وأن رفض ذلك فأن الشمر له الحق في قتله وإرسال رأسه إلى ابن زياد (٥) ، وان تكون له أمرة الجيش ، وهذا يبين لنا أمران مهمان هما :

ج. ان ابن زياد أدرك ان عمر بن سعد ليس قادراً على قتل الإمام (ت) وتأخر عليه " فأني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ، ولا لتقصده له عذري شافعاً " (١) . إذ قال عمر بن سعد لشمر بن ذي الجوشن حينما جاءه بالكتاب " لا قرب الله دارك ، وقبح الله ما قدمت به علي " (٢) ، ثم قال له " أنا أتولى ذلك " (٣) .

ح. ان ابن زياد أرسل شمر بن ذي الجوشن لربما بسبب ان هناك نزاعاً ما بين الاثنين وما ذكر أعلاه دليل على ذلك ، وبعد هذا تحرك ابن الجوشن ونهض بالكتاب عشية الخميس لتسع مضين من المحرم (٤) ، وجاء بالكتاب إلى ابن سعد ، وبسبب تصرفات ابن الجوشن مع ابن سعد بدأت المعركة يوم العاشر منه ، وانتهت بنفس اليوم سنة ٦١هـ / ٦٨٠م (٥) ، باستشهاد الإمام (ت) وجل أهل بيته وأنصاره ولم ينج منهم أحد سوى الإمام علي بن الحسين (ت) بسبب مرضه (٦) .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٧ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج٢ ص٢٦٩ .

(٤) ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج٢ ص٢٦٩ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٤٣٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٧ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج٢ ص٢٦٩ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٨ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج٢ ص٢٦٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٤٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤١٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٦ .

(٥) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ، العبر في خبر من غير ، تج د. صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، مصورة ، (الكويت / ١٩٤٨) ، ج١ ص٦٥ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢١٠ .

وبسبب حرص ابن سعد على بقاء مكانته في نفس ابن زياد استعجل بإرسال رأس الإمام (t) ورؤوس أصحابه إليه بالكوفة^(٧) ، فأرسلها عصر يوم عاشوراء نفسه مع بعض من أصحابه ، وبقي هو في كربلاء مع بقية الجيش^(٨) ، وكان قد أرسل رأس الإمام (t) بيد خولي بن يزيد الأصبحي وحמיד بن مسلم الأزدي^(٩) ، وبعث ببقية الرؤوس مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، وعزرة بن قيس ، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيدالله بن زياد^(١٠) .

وقد يتساءل البعض منا هل ظاهرة قطع الرؤوس تتعارض مع مبادئ الإسلام ؟ ثم أن أمر قطع الرؤوس هل تم بأمر من عمر بن سعد ؟ أو أنها كانت بأمر من عبيدالله ؟ وهل هناك دلالة سياسية لهذه الظاهرة ؟ وأن أمر قتل الإمام (t) هل كان من يزيد ؟ أم تصرف خاص من ابن زياد ؟

من الثوابت في الشريعة الإسلامية النهي عن التمثيل بالمسلم وتحريمه وهذا باتفاق المذاهب الإسلامية ، بل أن من الثابت النهي عن المثلة حتى بالنسبة إلى الكلب العقور وقد ثبت عن رسول الله (ﷺ) النهي عن ذلك ، ولم يحدث مثله في حياته (ë) على كثرة ما خاض من حروب وغزوات ضد المشركين ، أما في عهد الخلفاء الراشدين فما كان من هذه الظاهرة سوى في عهد الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) حين عدا خالد بن الوليد على مالك بن نويرة وقومه فقتلهم بزعم أنهم مرتدون فقد قطعت رؤوس القتلى^(١) .

وفي خلافة الإمام علي (t) لم يكن هنالك أمر بقطع رأس أحد المسلمين بل كان هنالك أمر بقطع يد المخدج* ، وقال : " سيماه** أن يده كالثدي فيها شعيرات كشارب السنور ، إيتوني بيده المخدجة ، فأتوه بها فنصبها " ^(٢) ، لأنه من الخوارج وقد وصفهم رسول الله (ﷺ) وقال سيماهم التحليق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد " ^(٣) ، ويذكر قسم من المؤرخين وأحد اللغويين أن الإمام علي (t) عندما شاهده قال : " الله أكبر ما كذب ، ولا كُذبت ، لولا ان تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه (ë) عن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي

(٧) قانصو ، الشيخ محمود ، ما بعد كربلاء ، ط ١ ، مطبعة سرور ، دار مدين للنشر ، (قم / ٢٠٠٥) ، ص ٢٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٥ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٠ - ابن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص ٦٥ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٥٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨١ ، يذكر عروة بن قيس بدلاً من عزرة بن قيس .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ص ٢٧٩ .

*المخدج : هو نافه المخدج ، خرج الإمام علي (t) يوم النهروان في طلبه فوجده في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً ، فلما استخرجه ، نظر إلى عضده ، فإذا لحم مخيم كثدي المرأة وحلما عليها شعيرات سود ، فإذا أمدت حتى تحاذي يده الطولي ثم تترك فتعود إلى منكبيه . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٣٤٨ .

**سيماه : أي علامته . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١ ص ٣٩٠ .

(٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٣٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٣٤٨ .

(٣) الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ) ، مسند الشاميين ، تح د. حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت / ١٤١٧هـ) ، ج ٤ ص ٤٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٣٤٨ .

نحن عليه ^(٤) لذلك نصب يده الإمام علي (ت) ، وفي عهد الخليفة معاوية تم قطع رأس عمرو بن الحمق الخزاعي ^(٥) .

ويذكر قسم من المؤرخين أن عبيد الله بن زياد قد أرسل كتاباً إلى عمر بن سعد بيد شمر بن ذي الجوشن وفيه " ، ... ، وأن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، فأنهم لذلك مستحقون " ^(٦) .

والذي يمكن الخروج به من هذا النص هو وجود أمر التمثيل بالإمام (ت) وأنصاره لكن هل التمثيل المقصود به قطع الرؤوس ، إذا كان ذلك فإنه أيضاً لم ينفذ بدقة ، فلم تقطع رؤوس الجميع إلا أنه من الواضح أنه ليس المراد بالتمثيل قطع الرؤوس ، لذا نقول ربما هناك أمر بقطع الرؤوس من ابن زياد إلى عمر بن سعد بسبب الحقد الذي يحمله ابن زياد كما هو الشأن في رض الأجساد بحوافر الخيل والتمثيل بها ^(٧) .

وهو ليس إجراءً انتقامياً فقط لا غاية له إلا الانتقام وارواء غليل الحقد ، بل له هدف سياسي وهو القضاء على كل أمل عند الجماهير بنجاح أي محاولة ثورية خاصة بعد أن علم ابن زياد أن غالبية الثائرين مع الإمام (ت) قياديون يتبوؤن مراكز الزعامة في قبائلهم من أمثال حبيب بن مظاهر الاسدي ، الحر بن يزيد الرياحي ، ومسلم بن عوسجة وغيرهم .

ويمكن ان نستدل على هذا الهدف من خلال ان الرؤوس في المعركة لم تقطع جميعها بل قطعت الرؤوس للشخصيات البارزة .

أما في كربلاء فإن الموالي الذين استشهدوا مع الإمام (ت) والرجال العاديين ^(٨) لم تكن رؤوسهم تعنى شيئاً بالنسبة إلى الناقمين على الحكم الأموي ، ان الذي يشل القدرة الثورية ويسبب الهزيمة النفسية لدى الجماهير هو ان ترى زعماءها وقادتها قد قتلوا ، لذا فإن ابن زياد قد نصب رأس الإمام (ت) فجعل يدار به في الكوفة ^(٩) ، لكي يكون عبرة لغيره من الثوار في عصره .

ان الإسلام ينهى عن قطع الرأس ، هذا فضلاً عن حمله من بلد إلى آخر ، وقد أنتهك الأمويون هذا الحكم الشرعي الواضح ولا يعرف من أين اقتبس الأمويون هذا الأسلوب في معاملة قتلاهم فلعله من آثار عقليتهم الجاهلية التي لم تزل عنهم يوم من الأيام ، أو أنهم اقتبسوه من الأمم الأجنبية وخاصة الروم الذين قلدوهم في حياتهم .

ب. ابن زياد ورأس الإمام

أذن ابن زياد أذنأ عاماً بالدخول إلى قصر الإمارة ^(١٠) ، وإظهاراً للكبرياء والجبروت أمر عبيدالله بوضع رأس الإمام (ت) في طست ، فبدأ ينكت بقضيبه بين ثنيتيه ساعة فلما رآه زيد بن أرقم * لا

(٤) المبرد ، الكامل ، ج٣ ص ١٣٠ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ص ٤٧٧ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٥٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤١٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٥٥ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٦٩ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ٨٣ .

(١٠) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٢٠٤ - البديخشاني ، محمد بن معتمد خان (ت ١١٢٦هـ) ، نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل النبي الأطهار ، تح د. محمد هادي الأميني ، ط ٢ ، دار الكتبي للطباعة ، (بيروت / ١٩٩٣م) ، ص ١٦٣ .

ينجم عن نكته بالقضيب قال له : أعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالذي لا إله غيره ، لقد رأيت شفتي رسول الله (ﷺ) على هاتين الشفتين يقبلهما ، ثم أنفض الشيخ يبيكي ، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك فوالله لو لا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك " (٤) ، فخرج وهو يقول : " ملك عبد عبداً فاتخذهم تلدأ ، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة ، وأمرتم ابن مرجانة ، فهو وقتل خير أركم ويسر تعبد**

شراركم فرضيتم بالذل ، فبعداً لمن رضى بالذل "(١) .

والذي يمكن ان نستنتجه من هذا النص الأمور الآتية :

٥. تخوف أهل الكوفة من أبْن زياد وسياسته الظالمة ، ولم يكن من يقدر على إظهار رأيه ضد تصرفات ابن زياد سوى زيد بن ارقم ودليل ذلك ما قاله أنس بن مالك* الذي شاهد نفس ما شاهده زيد وهو قد وصف نفسه قائلاً : " لما قتل الحسين بن علي جيء برأسه إلى عبيدالله بن زياد فجعل ينكت بقضيب على ثناياه وقال انه كان لحسن الثغر ، فقلت في نفسي لأسؤونك ، لقد رأيت رسول الله يقبل موضع قضيبك " (٢) وصمت أنس بالرغم أنه من الصحابة المعروفين بالكوفة لدليل على تخوف أهلها من سياسة أبْن زياد .

٦. ان سياسة ابن زياد كانت ليست ضد الإمام (t) وأنصاره بل كانت ضد الرسول محمد (ﷺ)

ودليل ذلك ان زيد بن أرقم قد ذكرهم وأكد له أن رسول الله (ﷺ) كان يقبله من هاتين

الشفعتين ، وفيه قال الرسول (ﷺ) " حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً "

، حسن بن سعيد بن مطهر بن عيسى بن الحسين بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

وما أيقن به زيد بن أرقم ، حصل لأهل الكوفة فأنهم أصبحوا العبيد لابن زياد ، ولم يستطيعوا حتى الكلام معه ، ولم يحدثنا التاريخ من أمرهم شيئاً بشكل علني إلا بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة

*زيد بن أرقم : زيد بن أرقم بن قيس بن النعمان بن مالك بن مالك الأغر ، غزا مع رسول الله (ﷺ) عشر غزوات ومن صحابة رسول الله . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ص ٣٥٧ .

****لا ينجم:** ينجم: ظهر وطلع: أي لا يظهر نكته. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج ٥ ص ١٥٤ - الشيخ الطريحي، مجمع البحرين، ج ٤ ص ٢١٥.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥٦ - ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين (ع)، ص ٣٨١، الراوندي، أبو الحسن سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)، الخراج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي (عج)، (قم/ ١٤٠٩هـ)، ج ٢ ص ٥٨١ - ابن حجر، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقه، ج ٢ ص ٥٧٨ - المتقي الهندي، (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال، تح بكر الحياي وأخرون، مطبعة مؤسسة الرسالة، (بيروت/ بلات)، ج ١٣ ص ٦٧٢.

(^١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٥٦ - ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٢٦.

*أنس بن مالك : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن زيد النجار ، يكنى أبا حمزة ، صاحب رسول الله وخادمه ، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج٥ ص ٣٥٦ - ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج١ ص ١١١ .

(٢) أبو بكر الشيباني، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧هـ)، الأحاد والمثاني، تح باسم فيصل أحمد، ط ١، دار
الراية للطباعة، (الرياض / ١٩٩١)، ج ١ ص ٣٠٧ - الحلي، شمس الدين أبو الحسن يحيى بن الحسن (ت ٦٠٠هـ)،

العمدة، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم / ١٤٠٧ هـ)، ج ١ ص ٣٥٩ - ابن العديم، ترجمة الإمام الحسين (ع)، ص ١٥٩

– ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ص ١٦٣ .
(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٧٧ .

٦٤هـ/٦٨٣م^(٤) ، وكان الفرزدق قد قال مقولته الكبرى بعد استشهاد الإمام (t) والتي ربما تتوافق مع قوله زيد بالمضمون " فأن غضبت العرب لأبن سيدها وخيرها فأعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها ، وأن جدت عليه ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر " ^(٥) .

السؤال هو هل يزيد بن معاوية قد أمر عبيدالله بن زياد بقتل الإمام (t) أم أنه كان تصرفاً شخصياً منه ؟

كنا قد وضعنا سابقاً بأن يزيد كتب عدة كتب إلى أعوانه من الولاة في الأمصار العربية الإسلامية بشأن أمربيعة الإمام (t) للوليد في المدينة* ، ولعبيدالله بن زياد عندما سار الإمام (t) من مكة إلى الكوفة** .

وهناك من الدلائل التي تشير إلى وجود أمر من يزيد إلى الوالي لقتل الإمام (t) منها :

١٧. يذكر ابن سعد^(١) أن يزيد كتب إلى الوليد في أمر البيعة " ليكن أول من يبايعك هو الحسين بن علي "

١٨. يذكر ابن أعثم الكوفي^(٢) أن ابن زياد قال : " قد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، أن لا أتوسل الوتير ، ولا أشبع من الخبز ، أو الحقك باللطيف الخبير ، أو ترجع إلى حكمي أو حكم يزيد بن معاوية "

١٩. عن مسافر بن شريح الشكري قال أن عبيدالله بن زياد قال في قتله للإمام (t) أن يزيد أشار إلي بقتله أو قتلي فاخترت قتله " ^(٣) .

٢٠. أن يزيد لم يظهر إنكاره لقتل الإمام (t) والانتصار له والأخذ بثأره بل كان الواجب عليه أن كان لا يوجد منه أمر لعبيدالله بقتله أن يعاقب ابن زياد على ذلك ، فصار أهل الحق يلومونه على تركه الواجب^(٤) .

٢١. لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد - رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه - أخذ بقضيبه

ينكت في ثغر الإمام (t) ثم تمثل بما قاله الحصين بن الحمام المري*** :
يفلقن هاماً من رجال أحية
إلينا وهم كانوا أعق وأظلمات^(٥)

وهناك رواية أخرى تقول أن يزيد عندما وضعت الرؤوس أمامه قال : " والله يا حسين لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك " ^(٦) ، وقد حاول يزيد أن يبرر عمله هذا على عبيدالله بن زياد وهذا لا يمكن لأن من

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٥ .

(٥) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢١ ص ٢٦١-٢٦٢ .

* ينظر فص ١ ص ٢٧ من هذه الدراسة .

** ينظر فص ٢ ص ١٠٠ من هذه الدراسة .

(١) الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٢٤ .

(٢) الفتوح ، مج ٣ ص ٨٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٠ .

(٤) ابن تيمية ، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ، ج ٣ ص ٤١٠ .

*** الحصين بن همام : الحصين بن همام بن ربيعة المري الذيباني أبو يزيد الشاعر ، فارس جاهلي كان سيد سهم بن مرة (من ذبيان) وهو من نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية . ينظر : الزركلي ، خير الدين ، ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٥) ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣٣١ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢١٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٥ - ابن تيمية ، رأس الحسين

(t) ، ص ٢٠٧ .

الولاية من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم ألبس على الأثم على الأمير لا عليك ، وهذا باطل لأنه معين على الظلم^(٧) ، لكن هناك أحد المؤرخين^(٨) حاول تبرير عمل يزيد ونفي ما وجه إليه من تهمة ضربه بالقضيب في ثغره وتمثله بالشعر ، وإذا كان هذا العمل ليس منه فما يقولون في أباحة المدينة ورمي الكعبة وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين^(٩) .

٢٢. أن يزيد لما وصل إليه رأس الإمام (t) حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل ، ثم لم يلبث إلا يسيراً ، حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم فندم على قتله للإمام (t)^(١٠) .

والذي يظهر لنا أن يزيد كان يظهر تصرفين في آن واحد وهذا السلوك الجديد الذي صدر منه صادر عن الاندفاع الخارجي له بعيداً عن السيطرة الإرادية^(١١) .

٢٣. بعد دخول سبائيا أهل البيت (i) إلى مجلس يزيد وطلب الشامي أن يأخذ السيدة فاطمة بنت علي* كونها من السبائيا ، قالت له زينب : " كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله " ، فعضب يزيد وقال : " كذبت وأن ذلك لي ! ، ولو شئت أن أفعله لفعلت " ^(١٢) ، فقالت له زينب : " كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا " ^(١٣) .

٢٤. بعد وصول نبأ مقتل الإمام (t) في كربلاء أرتد من كان في المجلس وقال يحيى بن الحكم وهو من الأمويين :

لهام بجنب الطف أدنى قرابة

من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى

وبنت رسول الله ليس لها نسل

فأسكته يزيد وضربه في صدره^(١٤) .

وهنا نقول بأن مسؤولية يزيد من هذه الفاجعة لا سبيل إلى أنكارها فهو الذي أطلق يد عبيد الله بن زياد في العراق إطلاقاً لا يدل على بعد نظر وحسن إدارة ، وهو الذي أمره بقتل الإمام (t) ان لم ينزل على
يزيد .

^(٧) ابن الجوزي ، الإمام جمال الدين أبو الفرج بن عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ) ، تلبس إبليس ، تح محمد منير الدمشقي ، الطبعة المنيرية ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٣٦٨هـ) ، ص ١٣٤ .

^(٨) ابن تيمية ، رأس الحسين ، ص ٢٠٦ .
^(٩) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، رسائل الجاحظ ، تح عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة / ١٩٦٤م) ، ص ١٢ .

^(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٨٧ .
^(١١) علي كمال ، النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجها ، ط ٤ ، دار واسط للطباعة والنشر ، (١٩٨٨م) ، ج ١ ص ٨٧ .

*فاطمة بنت علي : فاطمة بنت علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ، وامها ام ولد تزوجها ، ولها رواية ، ثقة ، ماتت سنة مائة وسبع عشرة وقد جاوزت الثمانين لقبت فاطمة الصغرى . ينظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ٢ ص ٦٥٤ - الذهبي ، من له رواية في كتب السنة ، ج ٢ ص ٥١٥ - الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ص ١٣١ .

^(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦١ .

^(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦٦ .

^(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦٠-٤٦١ - الكتبي ، محمد بن شاعر (ت ٧٦٤هـ) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تح د. إحسان عباس ، دار صادر للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٤م) ، ج ٢ ص ٢٧٧-٢٧٨ .

مربعاً. أسباب الثورة وتائجها .

٥. أسباب الثورة

بواعث الثورة لدى الإمام (ت) لم تبدأ في عصره وعصر خصمه يزيد ، بل كان لها جذور تاريخية بدأت منذ عهد عبد شمس وهاشم ، إذ كان بنو هاشم أخلاقيين ومحبوبين من قبل الناس بينما بنو أمية نفعيين دهاة لاسيما من كان منهم من أصل عبد شمس من الآباء^(١) ، هذا فضلاً عن أن هاشم كان دائماً يصلح الناس ما أفسده عليهم حرب وخاصة بسرقة أموال التجار اليهود بالمؤامرات^(٢) ، لذا يمكن القول أن من أهم أسباب ثورة الإمام (ت) هو ما بينه في كتابه إلى أخيه محمد بن الحنفية " وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي محمد (ع) ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد (ع) وسيرة أبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين " ^(٣) .

والذي يستنتج من هذا أن أسباب الثورة هي :

١١. أن ثورة الإمام (ت) ليس من أجل سلطة أو مال ، وإنما عمله هذا إظهار عدل الدين^(٤) ، لذلك قال من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس^(٥) .
١٢. خروج الإمام (ت) بعد أن استبد بالأمر يزيد بن معاوية^(٦) .
١٣. طلب الإصلاح في أمة جده محمد (ع) والتي لم يلجأ إليها سوى العقلاء من هذه الأمة^(٧) .
١٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول الماوردي^(٨) أن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فعن رسول الله محمد (ع) : " ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم إلا عمهم الله بعذاب

(١) بارا ، الحسين في الفكر المسيحي ، ص ١٩٥ .

(٢) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٥ ص ٧٩ .

(٣) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ٧٣ .

(٤) المرتضى ، أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ) ، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، وبهامشه جواهر الأخبار والآثار ، تح د. محمد محمد ناصر ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ٢٠٠١ م) ، ج ٦ ص ٦٩٣ .

(٥) الطبرسي ، علي بن الحسن (ت بحدود ٦٠٠ هـ) ، مشكاة الأنوار ، المكتبة الحيدرية ، (النجف / ١٣٨٥ هـ) ، ص ٣٢ .

(٦) القلشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) ، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تح علي الخاقاني ، مطبعة النجاح ، (بغداد / ١٩٥٨) ، ص ٤٣٢ .

(٧) العاملي ، السيد جعفر مرتضى ، مختصر مفيد ، ط ١ ، المركز الإسلامي للدراسات ، (بيروت / ٢٠٠٢ م) ، ص ٦٩ .

(٨) الماوردي ، علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ) ، أدب الدنيا والدين ، ط ٤ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٧٨ م) ، ص ١٠١ .

محتضر^(١) وعن ابن عباس قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعذاب^(٢). وأن الأمر بالمعروف واجب على كل مسلم لأنها شريعة الإسلام^(٣)، ويرى ابن حزم^(٤) أن على الأمة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقول الله تعالى ((وَلَا تَكُونُوا أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ))^(٥)، ويقول ابن الاخوة^(٦) أن الإمام علي (t) قال أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فانطلاقاً من هذا حدد الإمام (t) أسباب ثورته وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٥. حدد الإمام (t) بأن الإسلام أمام خطر يهدده هو الخلافة الأموية، وأنها ليست خلافة شرعية

لذلك قال : " على الإسلام السلام إذا ابتليت براع مثل يزيد "^(٧)، ويكتب الإمام (t) بذلك إلى

أهل البصرة فيقول : " أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ë) ، فإن السنة قد أميتت وأن البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد "^(٨).

وفي منطقة البيضة وضع الإمام (t) أن سبب خروجه هو السلطان الجائر حينما قال : " أن

رسول الله (ë) قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ، ... وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله ، وحرّموا حلاله "^(٩).

والذي يمكن أن نستنتجه من هذا الأمور الآتية :

(١) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص ١٠١ .
(٢) الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تح صدقي جميل العطار ، مطبعة دار الفكر ، بيروت / ١٤١٥ هـ) ، ج ٩ ص ٢٨٨ - الجصاص ، أحمد بن علي (ت ٣٧٠ هـ) ، أحكام القرآن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت / ١٤١٥ هـ) ، ج ٣ ص ١٤ - الشيخ الطوسي ، البيان في تفسير القرآن ، ج ٥ ص ١٠٣ - ابن حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) ، فتح الباري ، ط ٢ ، مطبعة دار المعرفة ، (بيروت / بلات) ، ج ١٣ ص ٣ - الثعالبي ، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٧٥ هـ) ، تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، تح د. عبدالفتاح أبو حسن وآخرون ، ط ١ ، مطبعة دار إحياء التراث ، (١٤١٨ هـ) ، ج ٣ ص ١٢٥ .
(٣) الخطيب ، عبدالكريم ، الخلافة والإمامة ديانة وسياسة ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، (القاهرة / ١٩٦٣) ، ص ٢٨٤ .
(٤) ابن حزم ، علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تح أحمد شمس الدين ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٠ هـ) ، ج ٣ ص ١٠٠ .
(٥) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .
(٦) ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٩ هـ) ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، تح محمد محمود شعبان وآخرين ، مكتبة الإعلام الإسلامي للنشر ، (١٩٧٦ م) ، ص ٦٤ .
(٧) ابن نما الحلي ، مثير الأحزان ، ص ١٥ - الشيخ البحراني ، عوالم الإمام الحسين ، ص ١٧٥ - الأميني ، السيد محسن ، لوائح الأشجان في مقتل الحسين (t) ، مكتبة بصيرتي ، (بلات) ، ص ٢٦ .
(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٥٧ .
(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٠٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٤٨ .

٧. أن الإمام (t) يعرف أن السلطان الجائر إذا لم يجد من يردعه ولو بالكلمة عن جوره ويرده إلى الصواب أزداد جوراً وطغياناً^(١).
٨. أن الإمام (t) قد وصف سياستهم تجاه الرعية بأنها سياسة السلطان الجائر الذي أن أحسنت لم يقبل وأن أساءت لم يتجاوز ، وأن رأى خيراً دفنه وأن رأى شراً أذاعه^(٢).
٩. أن مبدأ ثورة الإمام (t) هو مبدأ الثورة على الإمام الجائر لذلك فهو مبدأ لا غبار عليه^(٣).

٦. نتائج الثورة

لهذه الثورة نتائج على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية ومن أهمها في الجانب السياسي :

- ج. الارتباط الوثيق ما بين صلح الإمام الحسن (t) مع معاوية وثورة الإمام (t) بسبب موقف أهل الكوفة في الحالتين كليهما ، لقد عاب أهل الكوفة الإمام الحسن (t) بصلحه مع معاوية ودخل عليه أحد* أشرافها فسلم عليه وقال : " السلام عليك يا مذل المسلمين !! " ^(٤) ، لأنه لجأ إلى الصلح ولم يذهب إلى الحرب . لذلك فإن ثورة الإمام (t) جاءت لتثبت وتبرهن أن الصلح لم يكن نتيجة اعتباطية وإنما بسبب معرفة الإمام الحسن (t) برجال أهل الكوفة وغدرهم^(٥) ، وانطلاقاً من هذا فقد قدم الإمام (t) نفسه وجل أهل بيته وأصحابه ليثبت بأن لو ثار الإمام الحسن (t) في الكوفة آنذاك لوجد نفس المصير الذي وجده الإمام (t) .
- ح. سياسة بني أمية وأعاونهم ليست ضد أهل البيت (i) فحسب بل هي ضد الإسلام ، وما يثبت هذا مخالفتهم للشريعة الإسلامية في عدد من الأمور فعلى سبيل المثال قتل الطفل عبدالله الرضيع ابن الإمام (t) وهو في حجر أبيه^(٦) ، في حين أن الرسول محمد (ë) لم يجوز قتل الأطفال والنساء السبي من أهل الكتاب^(٧) ، إضافة إلى ظاهرة سب الإمام علي (t) التي أقرها معاوية في سياسته الدينية وسار عليها من بعده أبنه وولاته على الرغم من كثرة الأحاديث الواردة عن الرسول محمد (ë) في منع سب الصحابة ، هذا فضلاً عن مسألة مهمة هي قتل السفراء لأن رسول الله (ë) نهى عن قتل الرسول " لولا أنك رسول لقتلتك " ^(٨) .

(١) السجستاني ، سنن أبي داود ، ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٢) الجرجاني ، الكامل في ضعفاء الرجال ، ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٣) السابعي ، ناصر بن سليمان ، الخوارج والحقيقة الغائبة ، دار المنتظر للنشر ، (بيروت / ٢٠٠٠م) ، ص ١٧٥ .

*يقال بأنه سليمان بن صرد الخزاعي . ينظر : ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٥) أختلف المؤرخون في ذلك فيرى البعض منهم أن الرجل هو أبو عامر سفيان بن ليلى ، ويرى ابن قتيبة أن سليمان بن صرد الخزاعي والذي يبدو أن الرجل هو أبو عامر لاجتماع أكبر عدد من المؤرخي عليه . ينظر : ابن شبة الكوفي ،

المصنف ، ج ٨ ص ٦٣١ - ابن عساكر ، الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) ، ترجمة الإمام الحسن (t) ، تح محمد باقر ، ط ١ ، مطبعة المؤسسة ، (بيروت / ١٤٠٠هـ) ص ٢٠٠ - ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٣ .

(٦) أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٩٤ .

(٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٧ .

(٨) النيسابوري ، أبو محمد عبدالله بن علي بن الجارود (ت ٣٠٧هـ) ، المنتقى وبهامشه أتحاف أهل التقى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٦م) ، ص ٣٩٨ .

ج. إثارة الشعور بالإثم في ضمير كل مسلم استطاع نصرته الإمام (t) ولم ينصره ، وقد كان هذا الشعور أقوى ما يكون في ضمائر أولئك الذين كفوا أيديهم عن نصرته بعد أن وعدوه بالنصر وعاهدوه على الثورة لذلك كانت حركة التوابين واحدة من الحركات الشيعية التي ظهرت بالكوفة على هذا الأساس ، وليس مثلما يقول بروكلمان^(٢) بأن ميتة الشهداء التي آمنتها الإمام (t) لم يكن لها أثر سياسي .

د. تحطيم الإطار الديني للأُمويين بأنهم يحكمون بتفويض ألهي وأنهم خلفاء رسول الله (ﷺ) حقاً ، هادفين من ذلك أن يجعلوا من الثورة عليهم عملاً محظوراً ، وأن ظلّموا وجوعوا وشرّدوا المؤمنين^(٣) ، وأن يجعلوا لأنفسهم باسم الدين الحق في قمع أي تمرد تقوم به جماعة من الناس وأن كانت محقة في طلباتها ، فمثلاً في خطبة ابن زياد مع أهل الكوفة عندما خذل مسـلم بن عـقـيل كـان يـقـول لهم : " اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم "^(٤) ، ونجد نفس الأسلوب يتكرر مرة أخرى في قول عمرو بن الحجاج الزبيدي في أصحابه وهو يعد الجنود لقتال الإمام (ت) : " يا أهل الكوفة ، أئزموا طاعتكم وجماعتكم ، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام "^(٥) . لذا فقد كان أضمن السبل لتحطيم هذا الإطار هو أن يثور عليه رجل ذو مركز ديني مسلم به عند الأمة المسلمة بأسرها ، ولم يكن هذا الرجل إلا الإمام (ت) الذي فضح الزخرف الديني الذي يتظاهر به الحكام الأمويون وان يكشف هذا الحكم على جاهليته وحقيقته وبعده عن مفاهيم الإسلام .

هـ. ظهور التشيع كمبدأ باطني وليس ظاهرياً ، وأخذة دوراً سياسياً بارزاً في الأحداث السياسية في خلافة يزيد^(٦) .

و. ثورة الإمام (ت) رَوَّعت العالم الإسلامي بأسره فولدت في بلاد فارس شعوراً وطنياً ساعد بني العباس من بعد على تحطيم الأمويين^(٧).

ز. أن من قتل الإمام (ت) هم أهل الكوفة ، ولم تكن هناك أي مشاركة من أهل الشام معهم^(١) .
ح. أن الندم لا يأتي إلا بعد الخطيئة وما البكاء إلا دليل الندم ، لذا نقول بأن يزيد وأعوانه قد اخطأوا بقتل الإمام (ت) فبكاء يزيد^(٢) ، وعمر بن سعد^(٣) ، وقول شبيب بن ربعي في أمانة مصعب ابن الزبير : " لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ، ولا يسددهم لرشد ، ... ، ثم عدونا على أبنة وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وأبن سمية الزانية " ^(٤) .

(^٢) كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقلها إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، طه ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٩٦٨) ، ص١٢٨ .

(٣) محمد مهدي شمس الدين ، ثورة الإمام الحسين (ع) ، ص ٢٠٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٦٧ .

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٦٨ - ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٦٧.

(٦) عبدالله فياض، تاريخ الإمامية منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع، مؤسسة الاعلمي للطبع، (بيروت / ١٩٨٦م)، ص ٤٦ - عبدالله فياض، تاريخ الإمامية وأسلابهم من الشيعة، تقديم: السيد محمد باقر الصدر، ط ٣، مؤسسة الاعلمي للطبع، (بيروت / ١٩٨٦م)، ص ٤٦.

(^٧) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العربية ، نقله إلى العربية ، عفيف البعلبكي ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، (لبنان / ١٩٦١م) ، ص ٩٣ .

(^١) ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣٢٠ .

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٤٦١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٧٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٤٣٦-٤٣٧.

ط. بروز الدور السياسي للإمام علي بن الحسين (t) وما خطبته في مجلس يزيد وتعريفه بأنهم أهل بيت النبوة وليسوا من الخوارج مثلما كانت أفكار معاوية في أهل الشام ضد أهل البيت (i) فقال : " أيها الناس ، أنا ابن مكة ومنى وزمزم والصفاء ، أنا ابن خير من حج ، وطاف وسعى ولبي ، أنا ابن خير من حمل على البراق ، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " (٥) فخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن أن يؤذن حتى يقطع عنه الكلام .

ي. بروز دور المرأة المسلمة سياسياً وإعلامياً متمثلاً بأخت الإمام (t) زينب بنت علي حينما قامت في مجلس يزيد بإفهام الناس بأنهم ليسوا سبائاً أو خوارج فقالت له : " أمن العدل يا ابن الطلقاء تخدريك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله (ﷺ) قد هتكت ستورهن وأسمعت صوتهن مكتنبات تحذي بهن الاباعر ويحدد به الأعادي من بلد إلى بلد لا يراقبن ولا يؤوين يتشوفهن الغريب والبعيد ليس معهن ولي من رجالهن " (٦) . ونستنتج من هذا أمرين مهمين هما :

٥. أن أهل بيت النبوة ليسوا سبائاً لكي يستطيع يزيد وأعوانه ان يتقاسموا السبائاً لذلك قالت له : " إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا " (٧) .

٦. أن يزيد لم يستطع أن يفعل ما يضيف إليه الحماسة أكثر فأنه قد قتل الإمام (t) قبل أيام قلائل ويأتي اليوم ويفعل أمراً لا يجوزه الإسلام .

ك. الجانب البطولي في الثورة : أصبحت ثورة الإمام (t) منار لكل الثائرين الرافضين للذل ، لذلك اقتدى بثورته حتى أعداؤه أنفسهم فيذكر الاصفهاني (٨) إن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عندما رأى كثرة الخارجين ضده ، فإنه انتص سيفه وقاتل قتال مستقتل ، فقيل له لا تهلك نفسك ولك الأمان ، فتمثل بأبيات قالها الإمام (t) يوم استشهاده :

أذل الحياة وذلل الممات وكلا أراه طعاماً وبيلاً

فأن كان لابد أحدهما فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

ل. الجانب الأخلاقي في الثورة : يمكن ملاحظة هذا الجانب عندما كان الإمام مطوق بألف فارس وعلى رأسهم الحر بن يزيد الرياحي وقد جاؤوا لمناجزته وإقصائه عن المدينة أو القدوم على حكم ابن زياد ، لكننا نجد الإمام (t) يأمر أصحابه " أن أسقوا القوم واروهم من الماء ورشفوا الخيول " (٩) .

(٥) ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ص١٣٣ .

(٦) ابن طيفور ، أحمد بن ظاهر (ت ٢٨٠هـ) ، بلاغات النساء ، دار الشريف الرضي ، (قم / بلات) ، ص ٣٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٣٦١ .

(٨) محاضرات الأدباء ، ج٢ ص٦٠ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٤٦ .

م. الجانب النفسي في الثورة : أن الجانب النفسي في الثورة يتبين لنا من خلال الإمام (t) نفسه عندما خرج على يزيد فأنه كسر حاجز الخوف الموجود لدى الناس بعد عشرين عاماً من الخضوع والتسليم .

خامساً . الخوارج وموقفهم من ابن زياد (٦٠ // ٦١ هـ - ٦٧٩ / ٦٨٠ م)

كان عامة أهل العراق قد انهارت آمالهم بالبيعة ليزيد لاعتقادهم أنهم سيظلون يعانون من ظلم الولاة الأمويين^(١) ، ومن بين أهل العراق من ظن ذلك الخوارج الذي بقي ابن زياد يحاربهم ويحبسهم تارة

(١) الراوي ، ثابت إسماعيل ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١٠٦ .

ويقتلهم تارة أخرى ، ربما بسبب ما لقي منهم في الأهواز من قتل أصحابه* مما ولد عند ابن زياد الخوف من كلامهم وأفعالهم وقد وصف ابن زياد ذلك فيذكر المبرد^(٢) انه قال : " أن يجمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع** " ، أما أفعالهم ضده فقد أشار ابن زياد إلى ذلك أيضاً حينما قال : " ما أدري ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلاً بقتل رجل منهم فتكوا بقتاله " ^(٣).

فإن انتصار الخوارج بقيادة مرداس بن أدية على اسلم بن زرعة كما وضحنا ذلك سابقاً ، قد أثار غضب ابن زياد غضباً شديداً ، فانتدب لهم عباد بن أخضر*** ، فوجهه في أربعة آلاف^(٤) ، فاتبعه حتى لحقه بتوج**** ، فناداه ابو بلال : أخرج إلي يا عباد فاني أريد أن أحاورك ، فخرج إليه فقال : ما الذي ينفع ، قال : أن أخذ بأقفاكم ، فاردكم إلى الأمير عبيدالله بن زياد أو تعرض عليك غير ذلك ، قال : وما هو ، قال : أن ترجع^(٥) ، فرفض مرداس ذلك لأنه كان يرى في كلام عباد أمرين هما :

٥. عودتهم إلى ابن زياد تعني أمرين بالنسبة إلى مرداس وأنصاره هما أما الحبس أو القتل ، لأنه سبق لهم أن رأوا وشاهدوا حكمه فيهم طوال سبع سنوات من حكمه بالبصرة (٥٣-٦٠هـ) .
٦. الرجوع إلى ابن زياد بالطرق السلمية وهذه الحالة أيضاً رفضها مرداس لأن سبب خروجهم هو سياسة الظلم والبطش وقد أشار إلى ذلك حريث بن مجل السدوسي عندما قال إلى عباد بن أخضر " أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبار عنيد " ^(٦) .
ومن هذا نستكشف أن الخوارج وجدوا ان إمكانياتهم لا تتوافق مع طموحاتهم بالخروج مع السلطان الجائر لذلك غادروا البصرة إلى الأهواز .

وبعد هذه المناقشات حمل عليهم أبو بلال فيمن معه ، فثبتوا واشتد القتال حتى دخل وقت العصر ، فقال أبو بلال : هذا يوم جمعة ، وهو يوم عظيم ، وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلي ، فاجابهم ابن الاخضر وتحاجزوا ، فعجل ابن الاخضر الصلاة^(١) ، والخوارج يبطنون ولا يسرعون الوقت في الصلاة ، فشد عليهم هو واصحابه وهم ما بين قائم وراكم وساجد فقتلوا من اخرهم واخذ رأس ابي بلال^(٢) ، وهكذا انتهى الامر إلى الخوارج بالمكر والخداع .

*تم الإشارة إلى ذلك في التمهيد . ينظر ص ٢٤ من الدراسة .

^(٢) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٤٧ .

**اليراع : أي القصب . ينظر : الكتاني ، محمد أبين جعفر (ت ٣٤٥هـ) ، من هدى الحديث النبوي ، تح شرف حجازي ، ط ٢ ، دار الكتب السلفية ، (مصر / بلات) ، ص ١٧٢ .

^(٣) المبرد ، الكامل في اللغة ، ، ج ٣ ص ١٤٧ .

***عباد بن أخضر : عباد بن علقمة بن عباد المازني المصري التميمي المعروف بابن خضر ، وهو راو ثقة . ينظر : الغطفاني ، تاريخ ابن معين ، ج ٣ ص ٨١ - المناوي ، فيض الغدير ، شرح الجامع الصغير ، ج ٥ ص ١١٧ - المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٤ .

^(٤) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٠ .

****توج : مدينة بفارس قريبة من كازرون شديدة الحر لأنها في غور الأرض ، ذات نخل . ينظر : الحموي ، المعجم ، ج ٢ ص ٥٦ .

^(٥) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٠ .

^(٦) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥١ .

^(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٤ .

^(٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٤-٩٥ .

أولاً. حركة عبد الله بن الزبير

١. جذور الحركة

بالرغم من ان حركة عبد الله بن الزبير كانت بداياتها بعد استشهاد الإمام (ت) إلا إن لها جذوراً عميقة في التاريخ السياسي لابن الزبير ، الذي كان ذا طموح ورغبة للوصول إلى الخلافة الإسلامية^(١) ، إلا إن وجود الصحابة الكبار* جعله لا يكشف عن هذه الرغبة ولكنه ظل يراقب الأحداث من منظور قريب^(٢).

وعندما نقرأ تاريخه السياسي نجد بأنه ذو أطماع للوصول إلى الخلافة خاصة بعد أن أعطاه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) صفة الدفاع عنه يوم الدار^(٣) ، وإقراره له بأن يصلي بأهل الدار عند حصاره^(٤) ، ودوره في إقناع السيدة عائشة أم المؤمنين في المشاركة بحرب الجمل^(٥) ، وترشيحها له بأن يصلي بالخارجين على الإمام علي (ت) يوم الجمل^(٦) ، ووقوفه ضد والده الزبير بن العوام عندما أرتد عن مقاتلة الإمام علي (ت) في حرب الجمل^(٧) ، وأقنعه بالاشتراك بالحرب بعد أن يحرر مولاه سرجس^(٨) ، وفعلأً أشترك والده بعد تدخل عبد الله في أمره لذلك وصفه الإمام (ت) بابن السوء حينما قال للزبير " لقد كنا نعدك من بني عبدالمطلب حتى بلغ أبئك السوء ففرق بيننا "^(٩).

وحينما هُزمت السيدة عائشة أم المؤمنين في حرب الجمل ، انطفأت تلك الآمال الدنيوية في نفس ابن الزبير وبسبب ذلك أبتعد عن جو المعارضة ريثما يتهيأ الوقت المناسب لذلك^(١٠) ، فلما جاء عهد

(١) النجار ، محمود الطيب ، الدولة الأموية في المشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، مطبعة دار الكتاب العربي ، (مصر / ١٣٨٢هـ) ، ص ٦٧ .

*الصحابة الكبار : الإمام علي (ت) ، طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام ، سعد بن أبي وقاص ، عبدالرحمن بن عوف وهم أصحاب الشورى بعد خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٦٩ .

(٢) النجار ، محمود الطيب ، الدولة الأموية في المشرق ، ص ٦٧ .

(٣) الأسدي ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص ٦٩ - ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٧٥ ، ج ٣ ص ٦٧ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٧٥ ، ج ٣ ص ٦٧ .

(٥) الشيخ المفيد ، الجمل ، ص ٢٣ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٢٤٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٧ ص ٢٣٩ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٢٤٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٧ ص ٢٣٩ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٢٤٠ .

(١٠) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مطبعة السنة المحمدية ، (مصر / ١٩٦٤م) ، ج ١ ص ٤١٠ .

معاوية بعد صلح الإمام الحسن (ت) وبيعة الناس له دخل ابن الزبير فيما دخل فيه الناس^(١)، لكن عندما أعلن معاوية البيعة بولاية العهد لابنه يزيد سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م^(٢)، قام ابن الزبير ورفع لواء المعارضة فيمن رفعها من أعداء الأمويين من أبناء الصحابة في المدينة والتي سبق الحديث عنها في التمهيد .

وعند وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ / ٦٧٩م^(٣)، وتولى ابنه يزيد الخلافة رفض ابن الزبير مثلما رفض الإمام (ت) البيعة له لذلك هاجر من مدينة رسول الله إلى مكة^(٤)، ولزم عبدالله الحجر^(٥)، فإ

المعافري*، وفي مكة وجد ابن الزبير أن منزلة الإمام (ت) أفضل من منزلته، لذلك أدرك أنه لا يستطيع أن يمارس أي نشاط سياسي طوال فترة وجوده، لذلك أخذ يصير نفسه ويلقب نفسه بأنه "عاند البيت"^(٦)، لعلمه أن قدسية وحرمة البيت تحرم القتال فيها، لذلك اتخذ شعاراً " لا حكم إلا لله"^(٧).

وأخيراً نقول ان ابن الزبير كان رجلاً طموحاً يحب السلطان والمجد وليس مثلما يقول الأستاذ النجار^(٨)، بأنه لم يفكر إيجابياً بالخلافة إلا بعد ان أعلن معاوية البيعة لابنه يزيد ولكن وجود الصحابة الكبار أخفى الطموح الحقيقي له .

٦. ابن الزبير والخلافة الأموية

بعد أن رفض عبدالله بن الزبير البيعة ليزيد، وثب مروان وقال للوليد في مجلسه أضرب عنقه أن لم يبايع فإنه صاحب فتنة وشر، فقال لهذا يا ابن الزرقاء فاستبأ فقال الوليد: أخرجهما عني^(٩)، ثم بدأ إلحاح الوليد في طلب البيعة بإرسال الرسل إليه، وبعد ان انصرف الرسل عنه تحمل عبدالله من ليلته وهي السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين هجرية^(١٠)، فلما أصبح الوليد في طلبه فلم يجده، قال مروان: ما أخطأ مكة، فوجه الوليد في طلبه حبيب بن كره مولى لبني أمية في ثلاثين راكباً من موالي بني أمية فلم يلحقوه^(١١)، لذلك عزل يزيد والي المدينة وعين بدلاً منه عمرو بن سعيد الأشدق^(١٢)،

(١١) النجار، محمود الطيب، الدولة الأموية في المشرق، ص ٦٨.
(١٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٠١ - الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، دار الكتب الإسلامية، (طهران / ١٣٦٥هـ)، ج ٤ ص ١٥٨ - الصدوق، محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه، تح علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم / ١٤٩٣هـ)، ج ٢ ص ٥٣٠ - الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التهذيب، ط ٤، دار الكتب الإسلامية، (طهران / ١٣٦٥هـ)، ج ٥ ص ٩٩ - أبين كثير، البداية والنهاية، مج ٤ ج ٨ ص ٤٥٢ - النووي، الحاج ميرزا حسين، مستدرک الوسائل ومستنبط الوسائل، مؤسسة آل البيت (ع)، (قم / ١٤٠٨هـ)، ج ٩ ص ٣٢٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٥.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٦.
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦١-٨١هـ، ص ٥.
* المعافري: برد باليمن منسوب الى معافر وهي قبيلة باليمن. ينظر: الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، المبسوط، تح محمد باقر، مطبعة المكتبة المرتضوية، (قم / ١٣٩٧هـ)، ج ٣ ص ٣٦.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٨٣.
(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر، (بيروت / ١٤٢٤هـ) - الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج ٤ ص ٢٠.
(٧) النجار، محمود الطيب، الدولة الأموية في المشرق، ص ٦٧.

(٨) المالكي، العواصم من القواصم، ص ٢٣٥.
(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٤٠.
(١٠) البلاذري، انساب الاشراف، ج ٤ ق ٢ ص ١٣.
(١١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٣٤٣ - ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٨.

وبعد أن أظهر عبدالله شتمه ليزيد وفجوره وشربه للخمر ، ومعرفة يزيد بذلك اقسم بأن لا يقبل منه بيعة حتى يوتي به في جامعة^(٢) ، فقال له معاوية أبنه بأن يدفع الشر عنه ما أندفع وأن عبدالله رجل لخر* لجوج ولا يرضى بهذا أبداً^(٣) ، حينها أدرك يزيد أن رأي أبنه صائب لذلك أرسل وفداً* إلى ابن الزبير من الشخصيات المهمة في الشام من أبرزهم النعمان بن بشير الأنصاري لغرض إقناعه بالبيعة وأنه يريد السلامة^(٤) .

وبعد وصول الوفد إلى مكة تكلم النعمان بن بشير مع عبدالله بن الزبير في كيفية سبب يزيد ، أمام الناس وقد بايعه الناس ، فقال ابن الزبير: ان الفاسق لا غيبة له ، وما ذكرته إلا ما قد علمه الناس فيه^(٥) ، وعندما سمع ابن عضاة الأشعري كلام عبدالله غضب عليه وقال له : تشبه نفسك بحمام الحرم وتشتم أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وما حرمة حمام الحرم يا ابن الزبير !^(٦) ، ويبدو ان عبدالله بن الزبير شبه نفسه بحمام الحرم بسبب كونه يضرب به المثل في الأمانة والسلام^(٧) ، ولحمام الحرم قدسية خاصة عند أهل مكة^(٨) .

ثم أشد الكلام ما بين ابن عضاة الأشعري وابن الزبير ، فقال ابن عضاة : " يا غلام أنتني بقوسي وسهم ! فأتاه بقوسه وسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدده نحو حمام من حمام المسجد وقال : يا حمامة أيشرب يزيد الخمر ؟ ، قولي نعم ، فوالله لنن فعلت لأرمينك ، يا حمامة أتخلعين يزيد وتفارقين أمة محمد ، وتقيمين في الحرم حتى يستحل بك والله لنن فعلت لأرمينك فقال ابن الزبير : ويحك أو يتكلم الطائر ، قال : ولكنك يا ابن الزبير تتكلم " ^(٩) .

وتدخل عندئذ المختار للدفاع عن ابن الزبير وقد كثر الكلام بينهما وتشاتما فيما بينهما ، ثم اسكت ابن الزبير المختار وبقي ابن عضاة الأشعري يتهدد وتوعد بأنه سوف يأخذ البيعة منه بالقوة ، فلم يجبه ابن الزبير إلى ما يريدون^(١٠) .

ويتبين لنا ان سبب قوة موقف ابن الزبير هو عدم وجود بيعة سابقة له مع يزيد^(١) ، هذا فضلاً عن شعور ابن الأشدق بأن الناس في مكة قد بايعوا ابن الزبير^(٢) ، وعدم وجود حامية عسكرية أموية في مكة^(٣) .

لكن ما اغضب يزيد هو سماعه خبر عزل عامله الحارث بن خالد المخزومي* من عبدالله بن الزبير في مكة^(٤) ، لأن هذا العمل له مدلول سياسي وتشريعي بوجود شخص يقف في وجه يزيد وعدم

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٥ - الاصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج١ ص٣٣١ ، القضاعي ، محمد بن عبدالله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ) ، الحلة السيرة ، تح د. حسين مونس ، ط٢ ، دار المعارف للنشر ، (القاهرة / ١٩٨٥) ، ج١ ص٢٥ .

*لخر : الضيق الشحيح النفس الذي لا يكاد يعطي شيئاً فأعطى فقليل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ص٤٦ .

(٣) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج٣٠ ص١٥٧ .

**الوفد : عبدالله بن عضاة الأشعري ، روح بن زنباخ الجذامي ، سعيد بن حمزة الهمداني ، مالك بن هبيرة السكوني ، أبو كيشة السكسكي ، زمل بن عمرو العذري ، عبدالرحمن بن مسعود ، شريك بن عبدالله الكناني ، عامر بن عبدالله الهمداني ثم يضيف إليهم البلاذري الحصين بن نمير السكوني ، مسلم بن عقبة المرى ، زخر بن الحارث الكلابي ، الضحاك بن قيس ، نائل بن قيس الجذامي . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٢٠ - الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص٢٧ .

(٤) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٦٣ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٥١ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٥٠ .

(٧) الثعالبي ، عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تح محمد أبو الفضل

ابراهيم ، ط١ ، دار المعارف ، (القاهرة / ١٩٦٥م) ، ج١ ص٤٦٥ .

(٨) الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ج١ ص٤٦٥ .

(٩) الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص٢٧ .

(١٠) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٥٠-١٥١ .

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ص٢٣٩ - الاصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ج١ ص٩٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ .

الاعتراف الشرعي بخلافته ، لذلك كتب يزيد إلى عامله في مكة أن يبعث جيشاً لقتال ابن الزبير^(٥) ، وان يختار هذا الجيش من أهل العطاء والديوان^(٦) .

وعندما وصل الكتاب إلى الأشدق أخذ بالسؤال عن أشد الناس كرهاً وبغضاً لعبدالله بن الزبير ف قيل : " أخوه لأبيه عمرو بن الزبير " ، وكان الأمويون يكرمونه لأنه ابن أختهم^(٧) فعينه قائداً لشروطه^(٨) ، وقد رحب عمرو بهذا المنصب^(٩) ، وبدأ يتابع شيعة عبدالله بن الزبير بالمدينة وأخذ يضرب نفراً*** منهم ضرباً شديداً^(١٠) ، وفر*** منه بضع من أنصاره خارج المدينة إلى مكة بسبب قساوته^(١١) .

وبعد خروج أغلب المواليين من آل الزبير ومواليهم إلى مكة بدأ عمرو الأشدق يعد المقاتلين للخروج بجيش كثيف نحو مكة لقتال عبدالله وخرج معه سبعمائة رجل من أهل المدينة بزعامه أنيس بن عمرو الأسلمي^(١) ، وأرسل يزيد قوة من أهل الشام إلى عمرو بن الزبير يقدر بنحو ألف رجل لتعزيزه^(٢) ، وسبب هذا الإعداد استياء بعض صحابة رسول الله (ﷺ) مما حدا بهم التذكير بحرمه

مكة)) وَمَنْ دَخَلَ مَكَّةَ

آمناً^(٣) ، لذلك جاء أبو شريح الخزاعي* الصحابي وقال لعمر بن سعيد الأشدق : لا تغز مكة فأنى

*الحارث بن خالد : الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، أمه فاطمة بنت أسد بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام ، شاعر غزل من أهل مكة . ينظر : الزبيري ، نسب قريش ، ج ٩ ص ٣١٣ - الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ٣ ص ٧٣ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ١٥٤ .

^(٤) الزبيري ، نسب قريش ، ج ١١ ص ٣٩٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٢ .

^(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ .

^(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٢٣ .

** عمرو بن الزبير : عمرو بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي ، أمه أم خالد وهي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص ، وكان من أعدى الناس لعبدالله بن الزبير . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ .

^(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٥ ص ١٥٣ .

^(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٤٩ ص ٨ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ .

***النفر : المنذر بن الزبير ، محمد بن المنذر ، عبدالرحمن بن الأسود بن عبد ، عثمان بن عبدالله ، خبيب بن عبدالله ، محمد بن عمار بن ياسر . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ .

^(١٠) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٨٤ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٩ ص ٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٢ - ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٤ ص ٣٦ .

****عبدالرحمن بن عثمان : عبدالرحمن بن عثمان بن عمرو بن سهيل . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ .

^(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ .

^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٢٢ .

^(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٩ ص ٨ .

^(٣) سورة آل عمران ، آية ٩٧ .

*أبو شريح الخزاعي : خويلد بن عمرو بن صخر بن عبدالعزي بن معاوية بن الخثرشي الخزاعي الكعبي . ينظر : الطوسي ، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) ، الخلاف ، تح سيد علي الخراساني وآخرون ، ط ١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (١٤١٧ هـ) ، ج ٥ ص ١٥٧ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٤ ص ٣٠٥ .

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إنما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كالأمس^(٤) ، فقال الأشدق : نحن اعرف بحرمتها منك يا شيخ^(٥) .

وقبل ان يلتقي الجيشان الأموي والزبيري ، كانت هناك مراسلات بين عبدالله بن الزبير وأخيه عمرو حول البيعة ولم يتوصلا إلى حل بسبب ان عبدالله كان مدعياً بأنه تحت انطواء وأمرة يزيد دون ان يبايع^(٦) ، وما صلاته خلف عمرو إلا انه سامع مطيع للخليفة ، باعتبار ان أخاه عمرو هو أحد أركان وأعوان الخليفة ، ولا يوجد خلاف على ذلك^(٧) .

وبعد ان فشلت كل الحلول بينهما التقى الجيشان وتحاربا ، فهزم جيش عمرو بن الزبير الذي كان أكثره بدلاء من العطاء وجلهم يهودون عبدالله بن الزبير^(٨) ، وهذا قد يفسر لنا ان موقف أهل المدينة كان موالياً لعبدالله بن الزبير ، وباتتهاء الحرب استطاع عبدالله من أسر أخيه عمرو^(٩) ، وأحضر كل من لديه طلب منه لأخذ منه ما يطلبه وأودعه السجن وقيل مات بالسياط^(١٠) ، ولكن انتصار ابن الزبير على أخيه لم يكن ليغفل حقيقة مهمة هي وجود منافس له هو الإمام (ت) الذي يزيد عنه في الاستحواذ على قلوب الناس ، فقد ذكر ابن كثير الدمشقي^(١١) ، انتصر ابن الزبير على من أراد هلاكه من الزبيريين ، ومع هذا كله ليس هو معظم عند الناس مثل الحسين ، وما خرج به عبدالله من هذا الانتصار ان شوكرته قد قويت^(١٢) .

٧. بداية الحركة

انتهت ثورة الإمام (ت) إلى أهل الحجاز فصدموها بها وفضعوا لها ورأوا ان يزيد أمعن في التجبر والخلاف عن أمر الله ، فلم تصبح طاعته لازمة بل أصبح الخروج عليه واجباً حين يمكن الخروج^(١) ، وقد استفاد عبدالله بن الزبير من حادث استشهاد الإمام (ت) واستغله لصالحه فقد كان الإمام (ت) أعظم قدراً منه عند أهل الحجاز^(٢) ، لذلك لما وصلت الأنباء باستشهاد الإمام (ت) استغل ابن الزبير

(٤) الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) ، السيرة النبوية ، تح أحمد جاد ، ط ١ ، دار الغدير ، (٢٠٠٣م) ، ج ٤ ص ٥٢ - البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٣٦ - الكليني ، الكافي ، ج ٤ ص ٢٢٥ - النيسابوري ، روضة الواعظين ، ج ٢ ص ٤٠٥ - العاملي ، وسائل الشيعة ، ج ١٢ ص ٤٠٢ .

(٥) ابن هشام الحميري ، سيرة النبي (ﷺ) ، ج ٤ ص ٨٧٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٨ - ابن كثير ، إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) ، السيرة النبوية ، تح مصطفى عبدالواحد ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت / ١٣٩٦هـ) ، ج ٣ ص ٥٧٩ .

(٦) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٦٣ .

(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٩ ص ٨ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٤ .

(٩) الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٨ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٤٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨ - ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج ٤ ص ٣٦ .

(١١) البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٩ .

(١٢) الفاضي ، نعمان ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، دار المعارف ، (مصر / بلات) ، ص ٢٣٧ .

(١) أحمد إبراهيم شريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ط ١ ، مطبعة الرسالة ، دار الفكر العربي ، (١٩٦٨م) ، ص ٤٢٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٣٩ .

سخط الناس فجعل يُعَظَّم من استشهاده^(٣) ، ويعيب أهل الكوفة بشكل خاص وأهل العراق بشكل عام^(٤) ، لكن هل كان ابن الزبير صادقاً حين ترحم على الإمام (t) وفضله على يزيد ؟ ، وهل كان جاداً حين هاجم أهل العراق لأنهم لم ينصروا الإمام (t) مع أنه أغرى أباه الزبير بقتال الإمام علي (t) في معركة الجمل !!؟

والذي يبدو ان عبدالله بن الزبير كان غير صادق النية حين ترحم على الإمام (t) لأن موقفه كان مضاداً إلى أهل بيت رسول الله (ﷺ) ^(٥) لأنه سبق ان بيتنا في ثورة الإمام (t) بأنه حاول ان يستغل الموقف لغرض تحقيق طموحه السياسي لذلك أخذ بالتشجيع على أهل الكوفة والتعرض ليزيد^(٦) . وسوف نجد موقفه البارز ضد أهل بيت الإمام (t) من خلال موقف الإمام علي بن الحسين (t) من حركة عبدالله .

أما أنه كان جاداً في مهاجمة أهل العراق بشكل عام والكوفة بشكل خاص ، فإنه في بداية حركته أستغل موقف استشهاد الإمام (t) وبدأ بخطبة مليئة بالطعنات القاتلة ليزيد بن معاوية حتى ثار جماعة من أنصار ابن الزبير بعد سماعهم لخطبته فقالوا له : " أيها الرجل أعلن بيعتك فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر " ^(٧) ، وكان ابن الزبير يدعو إلى الشورى^(٨) ، ويتظاهر للناس أنه عائد بالبيت^(٩) ، من أجل ان يستغل حرمة بيت الله في سبيل تحقيق أطماعه وأنه كان حذراً جداً من الولاة الأمويين ، وما قاله عمرو بن سعيد ليزيد عندما ذهب إليه لمعاتبته بشأن أمر عزله من ولاية مكة " وقد كان يحذرني ويتحرز مني " ^(١٠) لذلك فإنه في مكة ظل يدعو بها إلى الحكم لله وإلى الشورى ومن خلال هذه النبوة استطاع ان يكسب جلّ أهل مكة إليه .

فلما أستقر عند يزيد ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة ، أعطى الله عهداً ليوثقنه في سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضة ، فمر بها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة ، فأخبر خبر ما قدم إليه وبالسلسلة فقال مروان^(١١) :

خذاها فليست للعزير بخطة وفيها مقال لأمرىء متضعف

(٣) الانباري ، عبدالرزاق علي العمران ، تاريخ الدولة العربية في العصر الراشدي والأموي ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد / ١٤٠٦هـ) ، ص ١٨١ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ١٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٤ .

(٥) نوري جعفر ، علي ومناؤه ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء للنشر ، (بيروت / ١٩٨٤م) ، ص ١٤١ .

(٦) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٤٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٣ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ١٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٨ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٣ .

ثم مضى من عنده حتى قدم على ابن الزبير ، وبعد ان علم بقول مروان رفض ابن الزبير وقال " والله لا أكون أنا المتضعف " (٣) ، في تلك الأوضاع أعلن أهل المدينة موقفهم من عبدالله فقالوا له " أما إذ قتل الحسين فليس ينازع أحد ابن الزبير " (٤) .

ثانياً . الاتجاه العلوي وموقفه من الحركة

٣. موقف المختار من حركة عبدالله بن الزبير

استطاع المختار ان يفلت من عقاب السلطة الأموية حيث شفعت له قرابته من النعمان بن بشير الأنصاري وعبدالله بن عمر* ، كما أن موقفه لم يكن جدياً يستحق عليه عقاباً صارماً (١) .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص١٧ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٩٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٨٣ .

وبعد خروج المختار من السجن غادر الكوفة إلى الحجاز بتهديد من ابن زياد^(١) ، وعند ذلك أقسم المختار ان لا يلقي ابن زياد في موضع إلا أن يقطع أنامله وإباجله وأعضاءه أرباً أرباً^(٢) ، وأن يقتل قتلة الإمام (t) وأهل بيته " لأقتلن بقتلة الحسين - عدد القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا (t) " ^(٣) .

ونستنتج من هذا النص أمرين مهمين هما :

٥. أن المختار هو أول من رفع شعار الثأر لأهل بيت رسول الله (ﷺ) وبشكل علني في أثناء مسيره من الكوفة إلى الحجاز ، وفي أثناء محاورته مع ابن الغرق مولى ثقيف^(٤) .

٦. ربط تاريخ الإمام (t) مع تاريخ نبي الله يحيى بن زكريا (t) عند المختار له مدلول سياسي كون رؤوسهما علقت على باب جيرون بالشام ، لذلك فأن هدف المختار البارز هم قتلة الإمام (t) ابن زياد وأعوانه .

بعد ان وصل المختار إلى مكة علم ان عبدالله بن الزبير كان يبايع الناس سراً ، لذلك لجأ إليه من أجل مبايعته فقال له : " أبسط يدك أبايعك ، ... ، وثب على الحجاز فأن أهلها كلهم معك " ^(٥) ، فرفض عبدالله ذلك بسبب عدم ثقته بالمختار^(٦) ، مما حدا به أن يغادر مكة إلى الطائف وهو يدرك أن عبدالله بن الزبير في حاجة إليه أكثر من حاجته إليه " وأني لما رأيته استغنى عني أحببت أن أريه أني مستغن عنه أنه والله لهو أحوج ألي مني إليه " ^(٧) .

وبعد مرور عام جاء المختار إلى مكة وفي أثناء وجوده في المسجد ، عرف ان أهل الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وثقيف قد بايعت ابن الزبير^(٨) ، لذلك قدم المختار إلى ابن الزبير وسأومه على ان يبايعه ويناصره على إلا يقضي ابن الزبير أمراً دونه وعلى أن " أكون أول من تأذن له وآخر من يخرج عنك ، فإذا أظهرك الله على يزيد بن معاوية فاستخلفني على أجل أعمالك " ^(٩) .

والذي نستنتج من هذا النص أمران مهمان هما :

٥. أن يكون المختار هو نائبه في الوقت الحاضر بمكة .

*كانت صفية اخت المختار زوجة عبدالله بن عمر . ينظر : ابن سلام ، غريب الحديث ، ج٤ ص٢٤٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧١ .

(١) فاروق عمر فوزي ، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، ط١ ، مؤسسة المطبوعات ، (بيروت / ١٩٨٠م) ، ص٥٢ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٤٦ .

(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢١٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٢ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٥ ص١٤٦ .

(٧) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج١ ص٤٠٢ - الخربوطلي ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص١٤٠ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٠ .

(١٠) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٥ ص١٤٨-١٤٩ .

٦. تولية المختار أفضل مصر من الأمصار إذا انتصر ابن الزبير على يزيد بن معاوية وبسبب حاجة ابن الزبير إلى خدمات المختار فإنه وافق على شروطه لذلك وقف المختار معه وأبلى في قتال الحصين بن نمير السكوني عند حصاره لابن الزبير في مكة بلاءً عظيماً^(٣) ، وباعتراف ابن الزبير حينما وصفه قائلاً : " أني لم أر أشجع منه قط "^(٤) ، ولكن حينما مات يزيد وباع أهل الأفاق عبدالله بن الزبير عدا الأردن^(٥) ، لم يجد المختار عهد ابن الزبير له ، فأدرك المختار بأن ابن الزبير لم يوله على أي مصر من الأمصار لذلك فارقه إلى العراق حين علم باضطراب الأوضاع السياسية فيه في أول خلافة ابن الزبير^(٦) .

ويتبين لنا ان ابن الزبير كان يماكر المختار ويتخوف منه لذلك لم يستخلفه على أي مصر من الأمصار وما قاله ابن الزبير لصفوان في حق المختار عند الطواف حول البيت إلا دليل على ذلك " أنظر إليه فوالله لهو أحذر من ذنب قد أطافت به السباع "^(٧) .

٢. موقف الإمام علي بن الحسين (ت)

لا توجد روايات كافية صادرة عن الإمام علي بن الحسين (ت) تلقى ضوءاً على طبيعة موقفه من حركة ابن الزبير ، إنما ثمة رواية واحدة أطلق الإمام علي بن الحسين (ت) فيها وصف الفتنة على حركة ابن الزبير لأنه يدرك أنه ما كان يصبو من ورائها إلا المجد والسلطان^(٨) لذلك كان يتخوف منها .

أما أسباب في عدم بيعته له أو مشاركته في الحركة رغم أنها كانت ضد بني أمية فهي :

٥. أن الإمام علي بن الحسين (ت) قد تنكب طريق السياسة بمعنى السعي وراء السلطة ، وآثر اتجاهات أخرى منها تعميق مفهوم الإمامة ، وتحصين الأمة من الاتجاهات الدنيوية المنحرفة ، وتربية القواعد الموالية للإمام من أهل البيت^(٩) .

٦. اضطراب الأحوال السياسية في العالم الإسلامي حيث كان يلي السلطة في الشام الأمويون وفي مكة عبدالله بن الزبير ، وقد امتد هذا الصراع العنيف إلى سنة ٧٣هـ / ٦٩٣م سنة وفاة ابن الزبير^(١٠) ، لذلك لم يشترك بها .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٤٩ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٥٩ .

(٦) عبدالوهاب ، سلمان بن عبدالله بن محمد (ت ١٢٣٣هـ) ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، مكتبة الرياض الحديثة ، (الرياض ، / بلات) ، ج١ ص٣٢٩ .

(٧) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٧٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ .

(٨) المروزي ، نعيم بن حمادة (ت ٢٨٨هـ) ، الفتن ، تحقيق سمير امين الزهيري ، ط١ ، (القاهرة / ١٤١٢هـ) ، ص٥٥ - ابن عساكر ، علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) ، ترجمة الإمام علي بن الحسين (ت) ، محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (إيران / ١٤١٣هـ) ، ص٤٩ - تاريخ دمشق ، ج٤ ص١٦٥ - الشافعي ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، ص٢٧١ - الشبراوي الشافعي ، عبدالله بن محمد بن عامر (ت ١١٧١هـ) ، الاتحاف بحب الاشراف ، المطبعة الادبية ، دار الذخائر للطبع (قم / بلات) ، ص١٣٧ .

(٩) الساعدي ، نوري حاتم ، دراسات سياسية في حياة الإمام السجاد (ت) ، ط٢ ، مطبعة غدير ، جامعة الإمام الباقر

(ت) للعلوم الإسلامية ، (١٤٢٥هـ) ، ص١٧٢ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٣٥٥ .

٣. أن أهل بيت الرسول محمد (ﷺ) أخذوا جانب الحياد بين التيارات السياسية لمعرفةهم بأن هذه الأطراف تحب السلطة والملك وما قتالهما داخل المدن المقدسة (مكة والمدينة) إلا دليل على ذلك .

والذي يمكن الاستنتاج فيه هو ان الإمام علي بن الحسين (ت) قد ابتعد عن طريق السياسة^(٣)

بسبب ما شاهده من قتل لأهل بيت النبوة أمام عينيه ، إضافة إلى ان الإمام علي بن الحسين (ت) استخفى بالإمامة مع من اتبعه من المؤمنين^(٤) وهذا يعني ان الإمام تجنب كل ما من شأنه ان يصدع وحدة الأمة متجاوزاً جراحه وجراح الهاشميين العلويين في فاجعة كربلاء متعالياً على الواقع السياسي^(٥) .

أما موقف محمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس فهما أيضاً لم يشتركا في الحركة ولم يبايعا أبين الزبير وقالوا : أنهما يبايعانه عندما تكون هناك بيعة عامة من قبل الناس^(٦) ، ويعلل المبرد^(٧) ذلك ان ابن الزبير كان يظهر الغيظ لابن الحنفية بسبب كرهه لأهل بيت رسول الله محمد (ﷺ) إضافة إلى حسده ابن الحنفية لقوته وكان ابن الزبير يكره الحديث في هذا الأمر ويرتعد منها ، فيذكر المبرد^(٨) انه كلما ذكر ر ح د ي ت ي د ا ب ن الحنفية " غضب واعتراه له أفكـل * " . أما موقف عبدالله بن عباس فيذكر الاشبيلي^(٩) ان سبب عدم بيعة ابن عباس لابن الزبير هو أن ابن عباس وجد بني أمية وابن الزبير قد احلوا القتال داخل الحرم بينما امتنع هو عن ذلك ، إضافة إلى حقد ابن الزبير عليه وقد عبر عن ذلك الحقد حينما قال لابن عباس " أني لا أكرم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة " ^(١٠) لذلك خطب أربعين جمعة لا يصلي على النبي محمد (ﷺ) وقال : لا يمنعي أن اصلي عليه إلا ان تشمخ رجال بانافها^(١١) .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢١٧ - دكسن ، عبدالأمير ، الخلافة الأموية ، ط١ ، دار النهضة العربية للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٣) ، ص ٦٢ .

(٤) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) ، اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب (ت) ، مطبعة ثامن الأئمة ، ط٣ ، دار انصار بيان للنشر ، (قم / ٢٠٠١ م) ، ص ١٧١ .

(٥) محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والادارة في الإسلام ، ط٣ ، دار الثقافة للطباعة ، (قم / ١٩٩٢ م) ، ص ٣٨٦ .
(٦) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٣٠ ص ١٥٥ - الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير ، ص ٣٥ - سير اعلام النبلاء ، ج ٤ ص ١١٨ .

(٧) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٩ .

(٨) الكامل في اللغة ، ج ٣ ص ١٥٩ .

* أفكـل : رعدة تعلق الإنسان من خوف أو برد . ينظر : أبـن أبي شبيب الكوفي ، المصنف ، ج ٨ ص ٦٨٥ - الجوهري ، الصحاح ، ج ٥ ص ١٧٩٢ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج ٣ ص ٤٦٦ .

(٩) عبدالحق بن عبد الرحمن (ت ٥٨٢ هـ) ، الجمع بين الصحيحين ، تح طه علي ، ط١ ، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت / ٢٠٠٣ م) ، ج ٤ ص ٥٤٣ .

(١٠) الجوهري ، أحمد بن عبدالعزيز (ت ٣٢٣ هـ) ، السقيفة وفدك ، تح محمد هادي الأميني ، ط٢ ، شركة الكتبي ، (بيروت / ١٤١٣ هـ) ، ص ١٣١ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٩ - الطبري ، محمد بن جرير بن رستم (اوائل القرن الرابع

والذي يبدو ان هذا الحقد والكراهة لآل الزبير ضد بني هاشم بدأ بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد عبر الخليفة عمر (رضي الله عنه) عن ذلك حينما قال لابن عباس " كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً* بجحاً ، فاختارت قريش لنفسها فأصابته ووفقت " (٥) ، لذا فالذي يبدو ان أهل البيت (i) كانوا يدركون ما يحمل ابن الزبير من حقد ضدهم لذلك لم يبايعوه ، ولم نجد رواية واحدة تؤكدبيعة شخصيات أهل البيت (i) لعبدالله بن الزبير لسببين هما :

٥. أن أهل البيت (i) كانوا يرون أنفسهم أفضل من آل الزبير في تمثيل الخلافة (٦) حتى ابن الزبير كان يدرك ذلك لذلك كان حاسماً شديداً جدياً في أخذ البيعة منهم لأنهم لا يمثلون الحجاز فقط بل يمثلون اغلب الموالين لهم من أهل العراق واليمن ، هذا فضلاً عن ان بيعتهم تعني إضافة الصفة الشرعية لها (٧) لذلك نجده يتابعهم ويسجنهم*** ويضيق الأرض من اجل أخذ البيعة (٨) وما خروج محمد بن الحنفية إلى الطائف (٩) ومراسلة عبدالله بن عباس إلى مروان بن الحكم بالشام لغرض الأمان إلا دليل على هذا الضغط (١٠) ، لكن بالرغم من هذا الضغط فإنهم لم يبايعوا (١١) .

٦. ان شخصية ابن الزبير نفسها لا تتوافق مع سيرة ومنهج أهل بيت الرسول محمد (ﷺ) كونه شخصية ذات طابع حاد تسعى لتحقيق أهدافها بكل ثمن ومن هذا نكته شروط البيعة مع المختار بن أبي عبيدة الثقفي حينما بايعه في الحجاز (١٢) .

(الهجري) ، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين ، تح أحمد المحمودي ، ط ١ ، مطبعة سلمان الفارسي ، (قم / بلات) ، ص ٦٨٤ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٢٨ - اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٨٢ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٩ .

**بجحاً : معجبات بمكانهن . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ص ٨٠١ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٣ ص ٣٠٥ .
(٥) الازدي ، الفضل بن شاهان (ت ٢٦٠ هـ) ، الإيضاح ، تح جلال الدين الحسيني ، (بلات. ط .) ، ص ١٦٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ص ٦٣ .

(٦) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ .
(٧) شريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني ، ص ٤٣٩ .
***سجن آل بيت الرسول في سجن زمزم . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٠ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٠ .
(٩) ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) ، المعارف ، تح محمد إسماعيل ، ط ١ ، المطبعة الإسلامية ، (مصر / ١٣٥٣ هـ) ، ص ٩٥ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٤ .
(١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٥٤ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٧٥ .

ثالثاً . الخوارج وموقفهم من الحركة

٥. الخوارج والتحاقهم بعبد الله بن الزبير

شهدت الدولة العربية الإسلامية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣ م ، تلاهماً مشتركاً للقوى السياسية المناوئة للخلافة الأموية ، وهناك اتفاق شبه مطلق بين المؤرخين في أمر هذا التلاحم فيرى قسماً منهم^(١) ان

(١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص ١٩٤ - الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٧٠ - النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٠ ص ٥٢١ .

سياسة القسوة والظلم والقتل على الظن التي اتبعها عبيد الله بن زياد ضد أهل العراق عامة والخوارج خاصة كانت من أول أسباب خروج الخوارج من العراق إلى الحجاز ، بينما يرى القسم الآخر^(١) منهم ان خروج خوارج اليمامة من أصحاب نجدة بن عامر إلى مكة من أجل منع أهل الشام من ضرب بيت الله ، لكن يرى الآخرون^(٢) ان نافع بن الأزرق قال لأصحابه " فأخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل ، فأن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو ، وان يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا " .

اما الكتاب المحدثون فيرى السابعي^(٣) ان الحوادث التي ارتكبتها بنو أمية وولاتهم سبب مقتع وكاف لثورة جميع التيارات عليهم واقرب مثال يجمع بين التيارات المختلفة في التصدي لبني أمية هو الدفاع عن الكعبة المشرفة ، أما الرئيس^(٤) فيرى ان خروج الخوارج إلى ابن الزبير هو خروج للجهاد ، لكن السيد أبو النصر^(٥) يقول ان خروجهم إلى ابن الزبير كونهم يجمعون على محاربة الإمام الجائر ، فقد رحلوا يصدون هذا الجيش عن اقتحام مكة إلى بلد الله الحرام ، أما السيد الاعظمي فيرى^(٦) ان سبب خروجهم كان نتيجة حادثة كربلاء ، بينما يرى السيد الشورتاني^(٧) ان الخوارج كانوا يريدون عمل تحالف قوي ضد الخلافة الأموية ، فأرادوا كسب ابن الزبير لصفهم بسبب كثرة مؤيديه وإلا لماذا حاججوا ابن الزبير بعد انتهاء الحرب وانسحاب أهل الشام ، لكن منيرة العزاوي^(٨) تقول ان الخوارج وجدوا لهم متنفساً لتحقيق أهدافهم .

والذي يبدو لنا أن الرأي الثالث هو الأصوب بسبب : ان خروج الخوارج من البصرة إلى مكة كان لهدفين أولهما هو الدفاع عن حرمة البيت فيذكر البلاذري^(٩) ان الخوارج كانوا يقاتلون مع ابن الزبير نصرة للبيت وذباً عنه إذ تعوذ به فلما رماه أهل الشام ازدادوا عليهم حقناً ، وثانيهما عسى ان يكون ابن الزبير على رأيهم وبهذه الحالة يكون توحدهم ضد ساسة بني أمية ، لكون الطرفين من الكارهين للخلافة الأموية .

والسؤال هو كيف كان استقبال عبدالله بن الزبير للخوارج ؟

في رحاب مكة انضم الخوارج إلى عبدالله بن الزبير الذي سَرَّ بمقدمهم ورحَّب بهم وأظهر أنه على رأيهم^(١٠) ، لكن لم يكن ترحيبه بهم هذا إلا عملاً سياسياً وطمعاً بمعاونتهم له ضد الأمويين ، والدليل على هذا عندما عوتب على استعانتة بالخوارج وهم الذين قاتلوا أباه وخرجوا على الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)^(١١) ، أجابهم مبرراً ذلك : " لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشام لشايعتها " ^(١٢) ، وفي

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٩٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٥ .

(٣) الخوارج والحقيقة الغائبة ، ص١٧٥ .

(٤) ضياء الدين ، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، ط٢ ، مطابع سجل العرب ، (١٩٦٩م) ، ص١٤١ .

(٥) عمر ، الخوارج في الإسلام ، مكتبة المعارف ، (بيروت / ١٩٥٦) ، ص٤٨ .

(٦) علي ظريف ، مختصر تاريخ البصرة ، مطبعة الفرات ، (١٩٢٧م) ، ص٣٤ .

(٧) قحطان عدنان بكر ، تطور الفكر السياسي لحركة الخوارج ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية

الأداب ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٢م) ، ص١١٤ .

(٨) الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، ص١٠٢ .

(٩) انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٥٨ .

(١٠) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص٢٦٢ - المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٥٩ - ابن الأثير ، الكامل ،

ج٤ ص١٦٥ .

(١١) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٦٥ .

(١٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٦٨ .

كلام آخر : " لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم " (٥) ، وحارب الخوارج إلى جانب ابن الزبير بعد أن عرفوه بأنفسهم (٦) ، ودافعوا عن الحرم بكل بسالة نصره للبيت (٧) إلى أن جاء نعي يزيد ، وانصرف أهل الشام عن مكة (٨) .

ثم اجتمع الخوارج فيما بينهم واخذوا يتساعلون كيف يقاتلون مع رجل لم يتأكدوا من نواياه ، فاستقر رأيهم أن يمتحنوه قبل الاستمرار في تأييده والمحاربة إلى جانبه (٩) ، فاجتمعوا بعبدالله بن الزبير وسألوه عن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وسيرته وموقفه منه (١٠) .

وكان لهذا السؤال أثره المهم في افتراق الخوارج عن عبدالله بن الزبير فيذكر المبرد (١١) أنهم قالوا له : " ماذا تقول في عثمان الذي أحمى وأوى الطريد وظهر لأهل مصر شيئاً كتب بخلافه وأوطأ إلى أبي معيط رقاب الناس وأثرهم بفيء المسلمين " (١٢) ، فكانت إجابته لهم بأن ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته ثم وصلهم بالسنين التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وخبرهم أنه أوى الحكم بن العاص بإذن رسول الله (ﷺ) .

ومن خلال الإجابة عن بعض أسئلة الخوارج مع ابن الزبير تبين أن ابن الزبير نفسه لم يكن راضياً عن استمرار وجودهم بين عسكره خصوصاً بعد أن تأكد له عدم إخلاصهم له وإنهم يقاتلون إلى جانبه حباً للحرم الشريف ، نكاية بأهل الشام ليس غير (١) ، وربما جاء هذا الإحساس بعد أن عاشهم طوال فترة حصار الكعبة الأول فوجدتهم أنهم غير أتباعه ولا ناصريه لذلك جاءت فرصة السؤال عن موقفه من الخليفة عثمان (رضي الله عنه) هي الأمر الذي كان يتوقعه منهم عبدالله لغرض التخلص منهم (٢) .

٦. ابن الزبير وحصار الكعبة

بعد قدوم المسور بن مخرمة الزهري* الذي كانت له صحبة (٣) ورواية (٤) إلى عبد الله بن الزبير واعلمه ما جرى للمدينة وأهلها وما نيل منهم أيقن عبد الله أن مسلم بن عقبة المري بعد أن فرغ من

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٤٩ .

(٦) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٥٩ - الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي ، ص ٧٣ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٥٨ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٥ - ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٦٠ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٥ - ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٦٠ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٦ - ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٦٠ .

(١١) الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٦٥ .

(١٢) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج٣ ص١٦٧ .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٥ .

(٢) ابن كثير ن البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٦٠ .

*المسور بن مخرمة : المسور بن مخرمة بن نوفل بن أصيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب يكنى أبا عبد الرحمن ، أمه عاتكة بنت عوف بن عبدالحارث ، وقد حفظ الحديث عن رسول الله (ﷺ) ولما توفي الرسول كان عمره ٨ سنوات . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٥٢١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٢٢ - أبو الحسين ، عبد الباقي بن قانع بن مرزوق (ت ٣٥١هـ) ، معجم الصحابة ، تح صلاح بن سالم ، ط ١ ، دار مكتبة الغرباء الاثرية ، (المدينة المنورة / بلات) ، ج٢ ص٢١٩ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص١٢٩ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١ ص٢٦٤ - ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٦ ص١٢١ - الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ص٢٢٥ .

(٣) ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٦ ص١٢١ .

المدينة نازل به فاخذ يَد ويستعد لملاقاته^(٥) وفعل ما أيقن به حصل ، إذ بدأ الأمويون بعد أن اشفي غليلهم من أهل المدينة بالزحف على مكة حيث عبد الله بن الزبير قد بويع بالخلافة^(٦) ، لذلك تخوف وندم والي مكة** من الخليفة يزيد على انحيازه إلى عبد الله فكتب إليه : " أصلح الله الأمير أتاني بما لا قبل لي به فاتحزت "^(٧) ، ورد عليه مسلم بن عقبة " ... ما أبالي على أي جنب سقطت ، إلا ان أشرهما لك احبهما لي "^(٨) ، وفي ظل هذه الأوضاع التحقت بعبد الله بن الزبير جماعات ممن بقى من أشراف أهل المدينة^(٩) ، ثم يذكر البلاذري^(١٠) " ان النجاشي أرسل مائتي رجل إلى عبد الله بن الزبير " ، الذي استقبلهم وضمهم إلى أخيه مصعب ، بالإضافة إلى التحاق الخوارج الازراقة* والنجيدات** الذين جمعهم رجاء النميري وقال لهم ، ان أهل الشام ساروا إلى المدينة ولاشك أنهم يأتون مكة ان ظهروا وغلبوا على أهل المدينة فأخرجوا نمنع مكة ونقاتل عن حرم الله^(١١) ، والذي يبدو ان تجمع هذه التيارات السياسية مع عبد الله بن الزبير كانت لغرض أساسي هو الدفاع عن الحرم .

وبعد ان هزم مسلم بن عقبة المرى أهل المدينة وأباحها ذهب بمن معه من الجند متوجهاً إلى مكة^(١٢) ، واستخلف روح بن زبناغ الجذامي*** ، فلما انتهى إلى المشلل**** ، نزل به الموت^(١٣) ، إلا أنه أحضر

(٥) الواسطي ، أسلم بن سهل (ت ٢٩٢هـ) ، تاريخ واسط ، تح كوركيس عواد ، ط ١ ، دار عالم الكتب ، (بيروت / ١٤٠٦هـ) ، ج ١ ص ٥٠ - ابن حبان ، محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ) ، مشاهير علماء الامصار ، تح مرزوق علي إبراهيم ، ط ١ ، دار الوفاء ، (١٤١١هـ) ج ١ ص ٢١ - الطبرسي ، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٦٤هـ) ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ، تح عيسى عبد الله محمد ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت / ١٩٩٦م) ، ج ٢ ص ٣٦ - الذهبي ، محمد بن أحمد بن قايماز (ت ٧٤٨هـ) ، المعين في طبقات المحدثين ، تح د. همام عبد الرحيم السعيد ، ط ١ ، دار العرفان للنشر ، (عمان / ١٤٠٤هـ) ، ج ١ ص ٢٦ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٢ - الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٢ .

(٧) السيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٩٤ .

(٨) والي مكة : يزيد بن خالد بن المخزومي . ينظر : ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(٩) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، عيون الأخبار ، تح د. مفيد محمد ، ط ٣ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤٢٤هـ) ج ١ ص ٢٩٥ .

(١٠) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(١١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٢ ج ٨ ص ٥٩٦ .

(١٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٨ .

*خوارج الازراقة : أصحاب أبي راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز فغلبوا عليه . ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ٥٢ .

**خوارج النجيدات : اصحاب نجدة بن عامر الحنفي وكان من شأنه أنه خرج من اليمامة مع عسكره يريد الحقوق بالازراقة . ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ٥٣ .

(١٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٩٥ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٣ .

***روح بن زبناغ : روح بن زبناغ بن روح بن سلامة الجذامي أبو زرة أمير فلسطين ، وسيد اليمانية في الشام . ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٣٤ .

****المشلل : جبل يهبط منه الى قديد من ناحية البحر . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٣٦ .

(١٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٣ .

الحصين بن نمير السكوني ***** وحذره من ان يقرب قرشياً منه^(٧) ، وقال له " يابن بردعة الحمار ***** لو كان الأمر إليّ ما وليتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك " ^(٨) .

ويتبين لنا من خلال هذا النص ان العلاقة بين قائد الجيش الأموي ونائبه كانت غير طيبة إلا أنهم كانوا محبين للخلافة الأموية وكارهين لأهل المدينة ومكة ، وما وصية مسلم المرى إلى الحصين السكوني إلا برهان لهذا الكره حينما قال : " أسرع السير وعجل الوقاع ، وعم الأخبار ، ولا تمكن قرشياً من اذنك " ^(١) ، هذا فضلاً عن ان مسلم قد علم من خلال عيونه في مكة وضعية وصفات المقمّاتلين فيها ، لذلك نصح الحصين قـانلاً له : " أعلم أنك تقدم قوم لا منعة لهم ولا عدة ولا سلاح ولهم جبال مشرفة عليهم ، فانصب عليهم المجانيق* فإن عاذوا بالبيت فأرمه فما أقدرك على بنائه " ^(٢) .

ويبدو ان هناك أمراً من مسلم المرى للحصين السكوني بهدم الدور والكعبة في مكة لأن المنجنيق ينصب لتدمير الأبنية والحصون ^(٣) كما هو معروف .

فنزل الحصين ظاهر مكة وخرج إليه عبدالله بن الزبير في أهل مكة ومن التفّ معه فاقتتلوا عند ذلك قتالاً شديداً ، وتبارز المنذر بن الزبير* ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد منهم صاحبه ^(٤) .

وفعلأ أخذ الحصين بوصية مسلم فقد نصب المجانيق^(٥) ، والعرادات* ، على أبي قبيس* وعلى قيقعان* ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وخرق الحيز^(٦) ، وغير ذلك من

***** الحصين بن نمير : الحصين بن نمير بن نائل بن لبيد بن جعفة بن الحارث بن سلمة بن شكامة بن السكون وهو ليس صاحب شرطة ابن زياد مثلما يذهب إليه الأستاذ ماجد عبد المنعم في كتابه التاريخ السياسي . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٢٩٤ - ماجد عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة الأموية ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة / ١٩٥٧م) ، ج٢ ص٨٨ .

^(٧) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ص٧٢٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٣ .
***** بردعة الحمار : كنية للتحقير ، الحلس الذي يلقي تحت الرجل وخص به بعضهم الحمار . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ص٣٨٠ .

^(٨) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج٦١ ص٨٣ .
^(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٣ ، يذكر كلمة الناجزة بدلاً من كلمة الوقاع .

* المجانيق : مفرد ما منجنيق ، وهي آلة من آلات الحرب القديمة استخدمها اليهود قبل ان يستخدمها العرب المسلمون . ينظر : الاسترأبادي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج١ ص٢٦٢ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٥ ص٥٨ .
^(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص١٤٧ .

^(٣) السرخسي ، محمد بن أبي سهل (ت ٤٨٣هـ) ، المبسوط ، تح جمع من الأفاضل ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / ١٤٠٦هـ) ، ج٢٦ ص١٢٣ .

** المنذر بن الزبير : المنذر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزيز بن قصي وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، من وجوه قریش وشجعانها ، وكان معاوية قد اوصى ان يحضر المنذر غسله عند موته لمكانته في صدر الدولة الأموية . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص١٨١ - الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ص٢٩٣ .

^(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٧ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٢ .
^(٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٦٨ - الكليني ، الكافي ، ج٢ ص٦٤ - الشامي ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ) ، سبل الهدى في سيرة خير العباد ، تح عادل أحمد عبد الموجود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / بلات) ، ج١ ص٢٢٣ .

*** العرادات : جمع عرادة وهي آلة من آلات الحرب التي استخدمها العرب قبل الإسلام وهي منجنيق صغير ، يرمى بها الحصون والثغور . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ص٥٠٨ - أبين البراج ، القاضي عبدالعزيز (ت ٤٨١هـ) ، المهذب ، تح الشيخ السبحاني ، جامعة المدرسين ، (قم / ١٤٠٦هـ) ، ج١ ص٣٠٢ - السمعاني ، الانساب ، ج٤ ص١٧٢ - أبين أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٨ ص١٩١ .

***** أبي قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٣٠٨ .
***** قيقعان : جبل بمكة قيل سمي بهذا الاسم لأن جرهم لما تحاربوا أكثرت قعقة السلاح هناك . ينظر : أبين الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٤ ص٨٨ .

المحروقات ، فلم يستطع أحد ان يطوف بالبيت^(٦) ، وهذا يدل لنا بأن الأمر كان شديداً على أهل مكة وأنصار ابن الزبير وأتصل الأذى بالأحجار والنار والسيوف لذلك قام عبدالله بن عمير الليثي قاضي عبدالله بن الزبير بدعوة أهل الشام إلى الكف عن رميهم وضرب حرم بيت الله حينما يتوقف القتال في بعض الأوقات ، فيقول أهل الشام إنها الطاعة غلبت الحرمة ، وقد وصف يزيد بن عبيد السلمي السعدي* هذه الهجمات من خلال أبياته^(٧) :

أبن نمير بنس ما تولى قد أحرق المقام والمصلى

وبسبب شدة رمي وضرب الأحجار فأن الزبير قد اسند الحرم بألواح من ساج على البيت وألقى عليها الفرش والقطائف** وعمل له فسطاطاً في ناحية فكلما جرح رجل من أصحابه أدخله ذلك الفسطاط^(٨) ، واستمر الحصار أربعة وستين يوماً^(٩) ، واستمر أهل الشام بحربهم ضد ابن الزبير أربعين يوماً بعد وفاة يزيد ولم يعلموا وقد حاصروهم حصاراً شديداً وضيقوا عليهم ، ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه ولم يبلغ الحصين بن النمير وأصحابه ، فصاح بهم عبدالله " أن طاعتكم قد هلك "^(١٠)

أما مسألة احتراق الكعبة نتيجة الحصار الذي فرضه ابن السكوني على ابن الزبير في مكة فقد اختلفت الآراء بذلك فيذكر قسماً منهم^(١١) ان سبب احتراق الكعبة هو ان رجلاً من أهل الشام قد جاء بنار في طرف سنانها فأشعلها في الفسطاط وكان يومها شديد الحر فتحرقت الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب والسقف وانصدع الركن واخرقت الأستار وتساقط على الأرض ، أما البلاذري^(١٢) فيقول ان رجلاً من أصحاب الزبير يقال له مسلم اخذ ناراً في ليف على رأس رمح في يوم ريح فطارت شررة فتعلقت بأستار الكعبة فأحرقتها ، بينما يرى القسم الآخر^(١٣) بأن أهل الشام رموا البيت بالمنجنيق وحرقوه بالنار وهناك رأي آخر^(١٤) يقول بأن ابن الزبير قد سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء فظن أنهم أهل الشام ، فرفعت نار على رمح لينظروا من هولاء على الجبل فطارت الريح شرارة من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من الكعبة فعلمت أستارها وأخشابها فاحترقت .

ونرى إن الرأي الثالث هو الأكثر صواباً للأسباب الآتية :

(٦) ابن طاووس ، علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ) ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، ط ١ ، مطبعة الخيام ، (قم / بلات) ، ص ١٦٦ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٥ .

*يزيد بن عبيد : يزيد بن عبيد السلمي السعدي ، أبو وجزة ، شاعر محدث مقرئ من التابعين ، اصله من بني سليم .

ينظر : الزركلي ، الاعلام ، ج ٨ ص ٥٦٣ .

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٢ .

**القطائف : مفردا قطيفة ، دثار مخمل وقيل كساء له خمل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ص ٤٢٤ .

(٢) أبن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٢ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٨٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٦٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٩٧ .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٤٧ - ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٩٠ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٤ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٢ .

(٦) انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٥٥ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخه ، ج ٢ ص ١٩٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٨ - أبن اعثم الكوفي ،

مج ٣ ص ١٦٤ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٤ - ابن خلدون ، مقدمة ابن

خلدون ، ص ٣٨٧ - الفلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٨ .

٥. إجماع اكبر عدد من المؤرخين على ان حرق الكعبة جاء نتيجة رميها بالمنجنيق ، وان الغرض من نصب المنجنيق هو تدمير الحصون والأبنية والثغور بالإضافة إلى الحرق^(١) .
٦. رمي الكعبة بالمنجنيق والعرادة فترة أربعة وستين يوماً تعد كافية لحرق الكعبة خاصة إذا ما عرفنا طبيعة تكوين هذه الآلات من مواد نفطية وقماش هذا فضلاً عن وجود الفرش والقطائف التي هي أصلاً داخل الكعبة ، لذا يبدو ان إحراقها بالمجانيق والعرادات يكون أكثر من نار شرارة الرمح في جو عاصف .

وخرج من هذا الحصار بنتائج مهمة هي :

٥. عدم وجود حرمة للاماكن المقدسة (المدينة ، مكة) في سياسة يزيد وأعوانه من القادة ، وقد أشار الجاحظ^(٢) إلى ذلك عندما قال : " كيف تقومون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام وقبله المسلمين ، فإن قلتم ليس ذلك أرادوا ، بل إنما أرادوا التخرز به والمتحصنين بحيطاته ، أفما كان من حق البيت وحريمه ان يحصروه فيه إلى ان يعطي بيده ، وأي شيء يقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدميه " .
٦. توافق طموحات يزيد وأشراف أهل الشام ضد العادات والتقاليد العربية الخاصة بحرمة البيت قبل الإسلام وبعده لان العرب القدماء كانوا لا يقتلون عدوهم داخل حرم البيت الشريف^(٣) .
٣. قتل عدد من صحابة رسول الله (ﷺ) بسبب قصف الكعبة بأحجار المنجنيق ومن أبرزهم هو المسور بن مخرمة الزهري الذي أصابته الحجر وهو يصلي وتوفي بعد ضربه بالحجر بخمسة أيام^(٤) .
٤. التعمد بابقاء الكعبة محترقة فقد ذكر ابن الأثير^(٥) في الكامل ان البخاري في صحيحه قال ان ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة ليحرضهم على أهل الشام .
٥. هدم الكعبة بسبب ميلان جدرانها وإعادة بنائها من ابن الزبير وهو أول من كساها^(٦) .

مربعاً. الأوضاع السياسية بعد وفاة يزيد بن معاوية

١. الحسين بن نمير السكوني وموقفه من ابن الزبير

وجاءت الأخبار بوفاة يزيد ، فاضطرب أمر جند الشام وبخاصة بعد ان بلغتهم أخبار تفرق الأمر في الشام^(١) ، فشرع الحسين في مفاوضة ابن الزبير على ان يبايع له بالخلافة فقال له " إن يك هذا الرجل

(١) السرخسي ، المبسوط ، ج ٢٦ ص ١٢٣ - الكاشاني ، أبو بكر بن مسعود (ت ٥٨٧هـ) ، بدائع الصنائع ، مكتبة الحبيبية (باكستان / ١٤٠٩هـ) ، ج ٧ ص ١٠٠ .

(٢) رسائل الجاحظ ، ص ١٢-١٣ .

(٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٥ ص ٦١ .

(٤) الربيعي ، محمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٣٩٧هـ) ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تح د. عبدالله أحمد سلمان ، ط ١ ، (١٤١٠هـ) ، ج ١ ص ١٧٩ - الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب (ت ٤٧٤هـ) ، التعديل والتجريح ، تح الاستاذ أحمد اليزاز ، (مراكش / ٧٠٩هـ) ، ج ٢ ص ٨٢٣ - الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ١٠ ص ١٣ - الميسر ، خليل محي الدين (ت ١٠١٤هـ) ، شرح مسند أبي حنيفة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / بلات) ، ص ٣٩٢ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٥) الكامل ، ج ٤ ص ١٢٤ .

(٦) المالكي ، أبو بكر عبدالله بن أبي عبدالله (ت) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية ، تح د. حسين مؤنس ، ط ١ ، مكتبة النهضة العربية ، (١٩٥١م) ، ج ١ ص ٤٣ .

قد هلك فانت أحق الناس بهذا الأمر هلم فلنبايعك ثم أخرج معي إلى الشام" (٢) ، ويرى السيد القيسي (٣) أن ابن السكوني أراد مبايعة الزبير بسبب وجود الفراغ السياسي ولم يكن هناك أفضل من ابن الزبير في تحمل المسؤولية لكن وعلى ما يبدو أن الحصين أدرك أن الأمور تتجه لمصلحة ابن الزبير لذلك أراد مبايعته .

أما موقف ابن الزبير من الحصين فيتبين أنه قد قبل الأمر الأول ولكنه رفض الأمر الثاني من خلال رفضه الذهاب إلى الشام لأن الحصين كان يريد أن تبقى عاصمة الخلافة الإسلامية في دمشق (٤) ، وهو بذلك قد يعبر عن رأي أهل الشام ورغبتهم (٥) ، وكان ابن الزبير يريد أن تنتقل عاصمة الخلافة إلى الحجاز وهو بذلك يعبر عن رأي أهل الحجاز ورغبتهم (٦) .

لكن هل كان ابن الزبير يتخوف أهل الشام ؟ لذلك رفض الذهاب معه .

لم يكن ابن الزبير ليأمن غدر هؤلاء الذين أحرقوا بيت الله وقتلوا الآمنين وأفرعوهم وما قوله للحصين إلا دليل على تخوفه حينما قال له بعد عرضه بالذهاب معه إلى الشام أن يؤمن النساء ويهدر الدماء التي كانت بينهم وبين أهل الحرم فأبى الحصين ذلك (٧) .

لكن وعلى ما يبدو من النص الآتي " وأخذ الحصين يكلمه سراً ، وهو يجهر جهراً " (٨) أن عبدالله بن الزبير كان حريصاً جداً على مشاعر الحجازيين وهذا ما جعله يخاطب الحصين جهراً في حين كان الحصين يخاطبه سراً ، فقد كان أنصاره قرييين منه فلم يشأ أن يثير شكوكهم بل حرص على أن يسمعهم ما يرضيهم حين قال للحصين أنه لا يرضيه إلا أن يقتل بكل واحد منهم عشرة من أهل الشام (٩) .

وبعد أن فشل الحصين في إقناع عبدالله بن الزبير بالذهاب معه إلى الشام قال له " قبح الله من يعدك بعدداً هياً وأريباً " (١٠) ثم غادر مكة متوجهاً إلى الشام مع جنده وبنى أمية ، وبذلك ارتفع شأن عبدالله بن الزبير في الحجاز وأخذت الناس تبايعه بعد أن أعلن نفسه خليفة (١١) ، والذي يبدو أن عبدالله كان خائفاً من أهل الشام لذلك لم يذهب معهم والدلائل على ذلك هي :

يرى ابن سعد (١٢) أن عبدالله بن الزبير قال للحصين أن ابعث رسولاً مني إليكم يأخذ البيعة فرفض الحصين ذلك ، إضافة إلى أن ابن قتيبة (١٣) يقول أن عبدالله قال للحصين في أمر الذهاب معه إلى الشام "

(١) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ص ١٦٩ .
 (٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ص ٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٢ .
 (٣) قبيلة ثقيف ودورها ، أطروحة دكتوراه ، ص ١٨٣ .
 (٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ص ٥٧ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٣ .
 (٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٤ .
 (٦) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٦٠ .
 (٧) الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٩ .
 (٨) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ص ٥٥ - الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٠ .
 (٩) الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٩ - المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) ، الخطط المقرئية والواعظ والاعتبار ، مطبعة النيل ، (مصر / ١٣٢٤ هـ) ، ج ٢ ص ٨٤ - الناصري ، أحمد بن خالد (ت ١٢١٥ هـ) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ١ ص ١٨٩ .
 (١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٩ .
 (١١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٠ .
 (١٢) الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٨٧ .
 (١٣) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٩١ .

لا والله لا أفعل لا أومن من أخاف الناس ، وأحرق بيت الله ، وأنتهك حرمة " وهذا قد يجعلنا لا نقبل الرأي القائل^(٥) بأن عبدالله بن الزبير ندم على عدم ذهابه مع الحصين بن نمير السكوني .

هذا فضلاً عن انه كان يدرك عاملاً له خطورة وهو السبب في ازورار القرشيين عن الإمام علي (t) عندما نقل عاصمة الدولة من الحجاز إلى الكوفة^(٦) ، ثم ان ابن السكوني أراد ان يخرج معه ابن الزبير على غيربيعة له عنده وإنما هو مجرد وعد بأن يأخذ البيعة في الشام " فأن هؤلاء الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، لا يختلف عليك اثنان "^(٧) ، ولكن هل كان ابن السكوني يمثل تلك القوة السياسية في الشام لكي يتكلم هو بالنيابة عن أهلها ؟

لم يكن الحصين بن نمير السكوني يمثل قوة أهل الشام كلها فهناك روح بن زنباع الجذامي في أنصاره من بني جذام وحسان بن مالك الكلبى خال أولاد يزيد الذي يطمح هو الآخر في بقاء الخلافة عند أولاد أخته معاوية وعبدالله^(٨) .

ولا يمثل قوة القبائل الكبرى منها ففيها القبائل القيسية والقبائل اليمانية بالرغم من انه من قبيلة كندة التي هي بطن من القبائل اليمانية^(٩) ، إلا ان هذا لا يعني بأنه صاحب الحظ الأوفر في أوامر هذه القبيلة ، هذا فضلاً عن ان الأمويين في الشام كانوا يقربون أبناء قبيلة تغلب دائماً إليهم^(١٠) وغيرها من القبائل الأخرى الموالية لهم من جذام ولخم وكتب^(١١) فلو أطاعه ابن الزبير ولم يستطع الحصين ان يحقق له البيعة لكان ألقى بنفسه في يد بني أمية وأهل الشام .

يتبين لنا أن ابن الزبير كان يدرك ويعرف جيداً بأن أهل الشام لا يدينون بالولاء لغير بني أمية لأنهم لا يعرفون غير الفرع السفيفاني كما لم تكن له حتى ذلك الوقت العصبية المطلوبة والمساندة له في الشام .

٢. بيعة عبدالله بن الزبير سنة ٦١هـ / ٦٨٣ م .

علا شأن عبدالله بن الزبير ليس في مكة فحسب بل في كل الأمصار العربية الإسلامية لذلك جاءت إليه بيعة أهلها ، بينما كانت أوضاع الدولة الأموية تأخذ طريقاً آخر نحو التفكك بسبب الفتن الداخلية بين القبائل العربية القاطنة في الشام ، لما اقترفته الدولة الأموية من مظالم وما غرسته من أحقاد .

يرى قسماً من المؤرخين^(١) إن عبدالله أخذ يبايع سراً بعد استشهاد الإمام (t) وهذا الرأي هو رأي الأغلبية بينما نجد الرأي الآخر^(٢) يقول ان عبدالله أظهر بيعته بعد وفاة يزيد لكن نجد هناك أحد

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٠٢ .

(٦) ابن عدي ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٣ - القاضي نعمان ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ص٢٤٢ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٩ .

(٨) ابن عدي ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٥ .

(٩) عبدالباسط الالوسي ، قبيلة كندة ، أطروحة دكتوراه ، ص٢٦ .

(١٠) احمد محمد الحوفي ، أدب السياسة في العصر الأموي ، ص٤٢٢ .

(١١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٨٢ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٥٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٠١ - ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) ، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، تح د. أحسان عباس وآخرون ، دار المعارف ،

المؤرخين^(٣) يقول ان عبدالله بايع لنفسه في سنة اثنتين وستين من الهجرة ، في حين يذكر الرويحي^(٤) بأن مكة وأهلها بقيت جمادين بلا خليفة .

والذي يبدو بأن عبدالله بن الزبير اظهر بيعته بعد وفاة يزيد حيث كانت البيعة سرية في حياته لأسباب منها :

٩. ان ابن الزبير قد أرسل عماله إلى الأمصار الإسلامية التي بايعت له بعد وفاة يزيد لقبولهم الخلافة الزبيرية^(٥) ولم توجد رواية واحدة تقول ان ابن الزبير أرسل عماله في حياة يزيد .
١٠. لم تكن عند ابن الزبير قبل وفاة يزيد تلك الإمكانيات المالية أو العسكرية الواضحة والكبيرة في سبيل ان يرسل منه عمال إلى الأمصار الإسلامية .
١١. ان ابن الزبير كان في حياة يزيد يدعو إلى الشورى ، وبعد وفاة يزيد ألغى تلك الدعوة ودعا لنفسه^(٦) .
١٢. اتفاق أكبر عدد من المؤرخين على ان البيعة جاءت بعد وفاة يزيد .

١. الأوضاع السياسية في البصرة

بعد وفاة يزيد أنحل أمر الخلافة وصار الأمر فوضى^(١) ، لذلك جمع ابن زياد أهل البصرة وخطب فيهم وحاول استمالتهم من خلال إعطائهم الأموال " هذا فينكم فخذوا اعطياتكم وأرزاق ذراريكم منه " من اجل ان يدعو لنفسه بالخلافة الأموية في الشام إلى حين تستقر الأوضاع^(٢) . فبايعه أهل البصرة ثم انصرفوا ومسحوا أيديهم بالجدران وقالوا أيظن ابن مرجانه أننا ننقاد له في الجماعة والفرقة^(٤) .

ومن خلال ذلك يتبين ان أهل البصرة رفضوا ابن زياد عاملاً عليهم لأنهم أدركوا بأن الخلافة الأموية لا تستطيع ان تقدم إلى ابن زياد ما يريده منها من اجل ان يثبت حكمهم لذلك رفضوا أمره .

(مصر / بلات) ، ص ٣٥٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٢٩ - الفاسي ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، ج ٢ ص ١٦٩ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٦٣ .

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٥٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٠ - المقرئ ، الخطط المقرئية ، ج ٢ ص ٨٤ .

(٢) دحلان ، أحمد زيني (ت ١٠٣١ هـ) ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، ط ١ ، المطبعة المحمدية ، (مصر / ١٣٠٥ هـ) ، ص ٤-٥ .

(٤) علي بن أبي عبد الرحمن (ت هـ) ، بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء ، (القاهرة / ١٩٠٩ م) ، ص ٢٠ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٦ ص ٤٨٧ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٨ .

(١) ابن الغملاس ، ولاة مصر ومتسلموها ، مطبعة دار البصري ، (بغداد / ١٩٦٢) ، ص ١٨ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٠٣ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٩ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

لكنهم لم يظهروا نواياهم إلا بعد معرفة أوضاع الكوفة السياسية بسبب الترابط القبلي الموجود بين المصريين^(٥)، لذلك جاءت فرصة إرسال الوفد* من ابن زياد إلى الكوفة هي الفرصة المناسبة من أجل الإطلاع على أوضاع الكوفة السياسي آنذاك .

وبعد رجوع هذا الوفد من الكوفة إلى البصرة وأخبارهم بما جرى من أمر خلعه في الكوفة انعكس الأمر على وضع البصرة فقال أهل البصرة أيخلعه أهل الكوفة ونوليّه نحن^(٦) .

وكان من نتيجة هذا العزل أن ضعف سلطان ابن زياد بالبصرة فكان يأمر بالأمر فلا يقضى ويرى الرأي فيرد عليه ويأمر بحبس المحض فيحال بين أعوانه وبينه^(٧) هذا فضلاً عن وجود عامل آخر ساعد في أضعاف ابن زياد في البصرة وإيصال أوضاعها إلى ما هي عليه ، هو مجيء سلمة بن ذويب الحنظلي** . وهو من الفقهاء^(٨) واحد الدعاة للبيعة لابن الزبير بالبصرة ، مما سبب استياء ابن زياد ، فحاول الاحنف والناس أن يأتوا به إلى ابن زياد لكنهم تركوه بعد أن وجدوا أن أتباعه قد كثرت " نحن نأتيك بسلمة ، فاتوه سلمة فإذا جمعة قد كثف والفتق قد اتسع " ^(٩) ، عندها عرض ابن زياد على الشرط البخارية وأخوته للقتال معه فرفضوا ذلك بسبب عدم وجود خليفة^(١٠) ، إزاء هذه الفوضى والتطورات السياسية في البصرة كسر الخوارج أبواب السجون^(١١) ، وفروا منها واخذوا يعملون في سبيل إفساد البيعة لابن زياد وفشوا في الناس يدعون إلى محاربة السلطان^(١٢) ، أدرك ابن زياد حينها بأن موقفه ضعيف جداً لذلك لجأ إلى الحارث بن قيس الأزدي* بناءً على وصية والده** " أن احتجت إلى الهرب يوماً أن اختاركم " ^(١٣) ، فعلاً قدم الحارث إليه المساعدة في سبيل إيصاله إلى مسعود بن عمرو الأزدي*** زعيم القبيلة وذو المكانة والشرف والطاعة في قومه الذي بدوره أدخله القبيلة وقام بإبلاغها باستنجد ابن زياد لهم^(١٤) ، ويذكر الطبري^(١٥) أن مسعود بن عمرو الأزدي أجار ابن زياد (تسعين يوماً) بعد وفاة يزيد .

(٥) ماسينون ، خطط الكوفة ، ص ٣٧ .

*الوفد : عمرو بن مسمع ، سعد بن القرصا التميمي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٤ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

**سلمة بن ذويب : سلمة بن ذويب بن عبدالله بن محكم بن زيد بن رباح بن يربوع بن حنظلة ، وهو من الفقهاء اشترك في

فتح تستر مع عمار بن ياسر في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٠٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٧ - ابن حزم ، جمهرة

انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٣ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥١١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٣ .

(١١) محمود قانصو ، ما بعد كربلاء ، ص ١٥٣ .

(١٢) المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج ٣ ص ١٦٩ .

*الحارث بن قيس : الحارث بن قيس بن صهبان بن عون بن علاج بن مازن بن أسود بن جهضم بن جذيمة بن مالك بن

فهم . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٩ .

**وصية والده : كان سبب أجارتهم زياداً ، أن الإمام علي بن أبي طالب (ع) في خلافته ولي زياداً البصرة وعند خروجه

إلى صفين ، فوجه معاوية إلى البصرة عامر بن الحضرمي في جمع فغلّب على البصرة وهرب منه زياد ، فلما نزل إلى

الأزد أجاروه . ينظر : الدنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٨٣ .

(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٩ .

***مسعود بن عمرو : مسعود بن عمرو بن عبد بن محارب بن ضيم بن مليح بن شريطان بن معن بن مالك بن فهم بن غنم

بن دوس ، المعروف بالقمر ، زعيم من بني عتيك من الأزد اليمانيين . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،

ج ٥ ص ٥١٠ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٣٨١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٢١٩ .

(١٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج ٣ ص ١٦٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٥ .

ولما فقد ابن زياد بقى أهل البصرة من غير أمير^(٧) ، واختلفوا فيمن يؤمرون عليهم ثم تراضوا على عبدالله بن الحارث بن نوفل المضري الهاشمي^(٨) ، أما ابن زياد فإنه عندما ترك البصرة وذهب إلى الازد كان قد حمل أموال بيت المال كلها معه وقدرها ثمانية آلاف درهم^(٩) ، فأخذ بإنفاق أموال كثيرة في سبيل تعزيز ودعم الحلف الذي كان موجود بين قبيلة الازد وربيعه^(١٠) .

إزاء هذه الأحداث خرج نافع بن الأزرق في ثلاثمائة عند وثوب الناس على ابن زياد وكسروا ابواب السجون وخرجوا إلى الأهواز واستغلوا فرصة انشغال الناس بالحرب الأهلية بين قبيلتي الازد وربيعه من جهة وتميم من جهة أخرى^(١١) والتي جاءت نتيجة قتل مسعود بن عمرو الأزدي ، لكن هذا لا يعني أن الخوارج كلهم خرجوا إلى الأهواز بل تخلف عنهم عبدالله بن الصفار* وعبدالله بن أباض** ورجال ممن كان على رأيهما^(١٢) ، وكان خروج نافع إلى الأهواز في شهر شوال سنة أربع وستين^(١٣) .

والذي يتبين لنا أن خروج نافع وأصحابه إلى الأهواز جاء بعد مقتل مسعود بن عمرو الأزدي الذي أحدث قتله حرب أهلية بين قبائل الازد وربيعه من جهة وتميم من جهة أخرى ، وهناك رواية مفادها بأن الخوارج هم الذين قتلوا مسعود الأزدي^(١٤) ، لكن على ما يبدو أن الخوارج بعيدون عن مسألة قتل مسعود الأزدي لسبب واحد هو ان الاحنف بن قيس زعيم قبيلة تميم ذهب لمفاوضة الازد وربيعه بأمر مقتل مسعود وأعلمهم بأنه يريد دفع الدية فلذلك طلبوا منه الازد عشر ديات فوافق عليها^(١٥) ، ولو كانوا قبيلة تميم ليسوا هم القاتلين لما وافقوا على دفع الديات وما دفع الاحنف إلى هذا العمل هو حالة الاضطراب في البصرة وعدم الاستقرار التي تؤثر في حياتهم الاقتصادية^(١٦) ، وبالإضافة إلى ما ذكره السيد الخربوطلي^(١٧) في كتابه تاريخ العراق بأن سبب كتابة أهل البصرة البيعة لابن الزبير هو وجود خطر الخوارج والعصبية القبلية هذا فضلاً عن أنهم كانوا دائماً يميلون إلى العمل بالتجارة وهذا العمل يتطلب الأمان والاستقرار .

ونحن نرى انه ربما عرف أهل البصرة بأن أهل الكوفة قد كاتبوا ابن الزبير لذلك كاتبوه هم أيضاً .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٥ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٠٤ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥١٣ .

(١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ١٠٢ .

(١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٦ .

(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٦٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٧ .

* عبدالله بن الصفار : عبدالله بن الصفار ، أحمد زعماء الخوارج المعروفين وإليه ينسب الخوارج الصفريه . ينظر : الجوهرى ، الصحاح ، ج ٢ ص ٧١٥ .

** عبدالله بن أباض : عبدالله بن أباض التميمي ، احد زعماء الخوارج المعروفين ، وإليه ينسب الخوارج الأباضية . ينظر : عبدالرحمن بن قدامة (ت ٦٨٢ هـ) ، الشرح الكبير ، دار الكتاب ، (بيروت / بلات) ، ج ١٠ ص ٦٣ .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٧ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٦ .

(٥) محمد جابر عبدالعال ، حركات الشيعة المتطرفين ، ص ١٤٧ .

(٦) تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١٣٢ .

٢. أهل الكوفة وبيعتهم لعبدالله بن الزبير

بعد ان اخذ عبدالله بن زياد البيعة لنفسه بالخلافة الأموية أرسل وفداً^{**} من أهل البصرة إلى الكوفة حيث نائبه عمرو بن حريث لكي يأخذ البيعة له بالكوفة^(٧) ، وعندئذ قام خليفته بجمع الناس وقاما الرسولان فخطبا بأهل الكوفة وذكروا لهم ما يريد عبد الله^(١) ، فقام إليه يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني ويذكر المسعودي^(٢) انه قال : " لا حاجة لنا في بني أمية ولا في إمارة ابن مرجانة ، ان البيعة لأهل الحجر ".*

وبعد رجوع الوفد أخذت قبيلة كندة دورها في الكوفة في محاولة لأخذ البيعة لعمر بن سعد بن أبي وقاص لأنه ابن أختهم كمحاولة للمحافظة على الولاء الأموي ، مما سبب هذا الموقف رد فعل قوي ليس لرجال الكوفة وإنما لنسائهم فأقبلت نساء الكوفة من همدان^(٣) وكهلان والأنصار وربيعه والنخع^(٤) نحو المسجد صارخات باقيات لقتل الإمام (ع) وقلن " أما رضى عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى أراد ان يكون أميراً علينا على الكوفة " (٥) ، مما سبب كلامهن هذا استياء محمد بن الاشعث حينما قال بعد مجيئهن " جاء أمير غير ما كنا فيه " (٦) ، واستطاعت هذه النسوة ان تكسب الناس إلى جانبهن ، وبالتالي ترك محاولة تعيين عمر والياً على الكوفة ، لكن هذا لا يعني عدم وجود دور للرجال في هذا التجمع فقد اجمع أشرف أهل الكوفة على اختيار عامر بن مسعود بن أمية والياً عليهم وكاتبوا بذلك ابن الزبير فاقره عليهم^(٧) .

أما الشيعة بالكوفة فآخذوا طريقاً أخرى هي إعلان بداية حركتهم (التوابين)^{**} وبدأت تكسب الناس في الكوفة ويزداد نفوذهم يوماً بعد يوم إلى انتهت حركتهم بمعركة عين الوردة^{**} سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م^(٨) .

***الوفد : سبق ان وضحنا اسماء شخصيات الوفد في الصفحات الماضية ، ينظر : ص ١٣٩ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٩٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٢٤ .

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٣٢ .

(٢) مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

*أهل الحجر : أهل الحجاز . ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

(٣) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٩٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٣ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٤ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٣ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٤ .

**التوابين : هناك شرح للطالب عن الحركة بكل جوانبها في الفصل السادس .

***عين الوردة : وهي رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٨٠ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٨ .

٣. أهل الحجاز والبيعة لابن الزبير

كنا قد بيّنا فيما مضى من الصفحات الماضية ان البيعة لابن الزبير قد تمت بعد وفاة يزيد بن معاوية باتفاق الآراء لدى المؤرخين لكن كيف اظهر ابن الزبير هذه البيعة لنفسه في الحجاز بعد ان كان يدعو إلى الشورى ويدعو نفسه العائد بالحرم ؟

اختلفت الآراء لدى المؤرخين والدارسين فيذكر ابن سعد^(١) في طبقاته أن ابن الزبير قال لابن السكوني " أنا أحق الناس بهذا الأمر - الخلافة - لأن عثمان عهد إلي في ذلك عهداً ، صلى به خلفي طلحة والزبير وعرفته أم المؤمنين فبايعني وادخل فيما دخل فيه الناس معي يكن لك مالهم وعليك ما عليهم " ، ويذكر ابن خياط^(٢) في تاريخه أن ابن الزبير استغل الوضع السياسي الموجود في الحجاز فأعلن نفسه خليفة " فقال مقاتلاً - رجل من المقاتلين معه - يا ابن الزبير ، ما سفكنا الدماء ولا قتلنا الناس إلا في ملكك ، قال : ممن تبايعون سواي ، قال : فهلا انتظرت حتى نكون نحن ندعوك ففارقه " ، ويرى قسم من المؤرخين^(٣) ان ابن الزبير اظهر الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة وقال إنما بطني شبر ، فما عسى ان تسع من الدنيا وأنا العائد بالبيت والمستجير بالرب ، بينما نجد احد الدارسين المحدثين^(٤) يقول بأن ابن الزبير اظهر البيعة بعد وفاة المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن كونهما من الشخصيات المهمة في مكة والمنافسين له بالخلافة وما يفند هذا الرأي ان ابن كثير^(٥) يقول بأن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف هو أول من بايع لعبد الله بن الزبير .

ويبدو أن الرأي الثاني هو الأكثر صواباً لأسباب عديدة منها :

٧. ان ابن الزبير في حياة يزيد كان يدعو إلى الشورى^(٦) والعائد بالحرم حتى بعد استشهاد الإمام (t) حينما طلب أهل مكة البيعة له أجابهم " لا تعجلوا " ^(٧) .

٨. بعد وفاة يزيد بن معاوية لم تكن هناك شخصية سياسية تطمح بالسياسة غير عبد الله بن الزبير خاصة إذا عرفنا بان عبد الله بن عمر عندما عرض عليه مروان بن الحكم البيعة رفض ذلك^(٨) ،

وابتعاد الإمام علي بن الحسين (t) عن طريق السياسة وكذلك انعزال أهل بيته عن حركة ابن الزبير كما بيّنا ذلك .

٩. كره أهل الحجاز الخلافة الأموية بسبب قتلهم الإمام (t) وقتل أهل المدينة في ثورتهم المعروفة بالحرّة ، هذا فضلاً عن نقل عاصمة الدولة العربية إلى الشام لذلك ربما وجدوا بابن الزبير الشخصية الطموحة في إعادة الخلافة كما كانت عليها في عهد الرسول والخلفاء الراشدين الأوائل .

(١) الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ٤٨٧ .

(٢) تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٥ - الاصفهاني ، الاغانى ، ج ١ ص ٢٥ .

(٤) القبلان ، حركة عبد الله بن الزبير ، رسالة ماجستير ، ص ١٤٦ .

(٥) البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٠ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٥٨ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٥ .

(٨) ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١هـ) ، الاشراف في منازل الاشراف ، تح د. نجم عبد الرحمن خلف ، ط ١ ، (الرياض / ١٤١١هـ) ، ص ٥ .

أما بيعة أهل الطائف فذكر ابن اعثم الكوفي^(١) بأنها كانت قسرية بالقوة ، وهذا يؤيد بأنه استغل الوضع السياسي آنذاك في الحجاز فاخذ بيعتهم .

خامساً . أسباب إخفاق حركة عبدالله بن الزبير

هناك عوامل ساهمت في إخفاق هذه الحركة أهمها :

٧. لم يقدم ابن الزبير مساعدات عسكرية تذكر إلى الثوار في المدينة بثورتهم سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م^(١) ، بالرغم من ان عدوهم واحد وهذا الأمر ان دل على شيء فإنه يبرهن لنا أن الحالة الاقتصادية للحركة ضعيفة جداً بسبب عدم وجود موارد ثابتة لها^(٢) .
٨. لم يتبين لنا وجود رواية واحدة عند احد المؤرخين توعد بأمر من ابن الزبير إلى والي الكوفة تدعوه بتقديم المساعدات لزعماء الحركة التوابية سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م^(٣) ، بالرغم من ان عدوهم السياسي واحد وهذا ان دل على شيء فإنما يدل لنا بأن عبدالله بن الزبير لم يكن سياسياً أو فطناً يستطيع ان يماكر بالسياسة مثلما كان الأمويون معه .
٩. ان ابن الزبير قد تحصن داخل مكة ولم تكن بيعة الأمصار العربية له إلا نتيجة حاجة أهل الأمصار وهذا فضلاً عن انه لم يفتن لأمر مهم هو ان مكة لم تكن الأرض المناسبة لقيادات الحركة الثورية لسببين مهمين هما :
 - ج. طبيعة مكة الاقتصادية كونها تعتمد على التجارة فقط لان أراضيها ليست صالحة للزراعة^(٤) .
 - ح. طبيعة أفرادها ليسوا مقاتلين وإنما انشغلوا باللهو والتجارة وجمع المال ، وخاصة في فترة خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) مما ولد منهم طبقة أرستقراطية غير محبة للحرب والقتال عكس طبيعة أهل العراق^(٥) .
٤. شخصية ابن الزبير نفسها كانت واحدة من أسباب إخفاق الحركة بسبب عدم ثباته على أمر واحد فنجد مثلاً أنه رفض بيعة يزيد ودعا إلى الشورى وأنه عاين بالحرم^(٦) ، ويدعوهم إلى الصبر وعدم التعجل^(٧) ، ومرة أخرى يدعو إلى البيعة لنفسه بالخلافة لذلك عابه احد مقاتليه بذلك^(٨) .
٥. ان ابن الزبير كانت فيه صفات لا تصح معها الخلافة " كان بخيلاً ، ضيق العطاء ، سيء الخلق حسوداً ، كثير الخلاف "^(٩) ، وقد عابه عبدالله بن عباس في ذلك حينما قال له : " سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره "^(١٠) .

أولاً . جذور ثورة الحررة وطبيعة أهدافها

(١) الفتوح ، مج ٣ ص ١٥٦ .
 (٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٩١ .
 (٣) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٥٤٠ .
 (٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨٢٤ .
 (٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٥٤٠ .
 (٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ص ٢٨٠ .
 (٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ص ٤٧٥ .
 (٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ .
 (٩) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٥٣ .
 (١٠) الشهيد نور الله التستري (ت ١٠٩٩هـ) ، الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة ، تح السيد جلال الدين المحدث ، مطبعة نهضة ، (طهران / ١٣٦٧هـ) ، ص ٩٧ .
 (١١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٩ .

٣. أوضاع الحجاز السياسية سنة ٦١ هـ .

بعد استشهاد الإمام (ت) في واقعة الطف سنة ٦١هـ / ٦٨٠م^(١) . قام عبدالله بن الزبير بدور إعلامي كبير ضد أهل العراق عامة والكوفة خاصة ، لذلك أخذت الناس في مكة تباعب ابن الزبير سرّاً^(٢) ، فظن عمرو بن سعيد الأشدق بأن الناس قد تمت مبايعتها لعبدالله بن الزبير ، لذلك استشار الأشدق عبدالله بن عمرو بن العاص* لمنزلته الكبيرة في قريش التي كانت تعدّه عالماً في أمرهم ، فأجابه قائلاً " لا أرى صاحبك إلا أحد الملوك الذين تتم لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك " فكان من نتيجة هذا القول ان الأشدق أخذ بمتابعة عبدالله بن الزبير وأنصاره بشدة^(٣) ، لكن ما ان قال الوليد بن عتبة وناس معه من بني أمية قالوا ليزيد " لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك " ^(٤) فكانت هذه الكلمات ذات تأثير في تفكير ورأي يزيد مما سبب عزلة للأشدق وتعين الوليد بن عتبة أميراً على الحجاز^(٥) .

وبمجيء الوليد إلى الحجاز ثار عبدالله بن الزبير في مكة ، ونجدة بن عامر الحنفي باليمامة^(٦) ، وجاء نجدة إلى مكة وكان يكثر اللقاء مع ابن الزبير حتى ظن الناس أنه سيبايعه ، وحاول الوليد متابعته لكنه لم يفلح بسبب فطنة ابن الزبير له ، وهذا سبب شدة الوليد في متابعته لكن ابن الزبير عمل بالمكر في سبيل خلع هذا الأمير ، فلذلك كتب إلى يزيد " أنك بعثت إلينا رجل أخرج لا يتجه لأمر رشد ، ... ، ولو بعث إلينا رجل سهل الخلق ، لين الكتف ، رجوت ان يسهل من الأمور ما استوعر منها ، ... ، فأن فيه صلاح خواصنا وعوامنا ان شاء الله " ^(٧) ، وفي هذا الكتاب ظن الخليفة أن ابن الزبير وأهل الحجاز يريدون ان ينفادوا تحت أمرة الخلافة فلذلك عزله وعين عثمان بن محمد بن أبي سفيان* ، الذي وصف بأنه " فتى غر حدث غمر ، لم يجرب الأمور ، ولم يحنكه السن ولم تضرسه التجارب وكان لا يكاد ينظر في شئ من سبطه ولا عمله " ^(٨) ومن هذا نرى أن أغلب الولاة في المدينة كانوا من الأمويين بغض النظر عن العمر والتجربة بل تقودنا إلى مجمل مهم هو احتكار المناصب المهمة في الدولة .

ولما أعلن ابن الزبير عن كرهه ليزيد ، فأن أكثر أهل المدينة كاشفوا بعداوتهم للخلافة الأموية ، فكتب يزيد إلى عثمان بن محمد بن أبي سفيان أن يوجه إليه وفداً ليستمع إلى مقالته ويستميل قلوبهم ، فأوفدا إليه المنذر بن الزبير وعبدالله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، وعبدالله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر الأنصاري في آخرين من الأشراف ، فلما قدموا عليه أكرمهم ووصل كل منهم بخمسين ألف درهم ، ووصل المنذر بمائة ألف درهم ثم انصرفوا من عنده^(٩) .

بعد عودة الوفد من الشام إلى المدينة عدا المنذر بن الزبير الذي ذهب إلى البصرة لزيارة ابن زياد فأنهم اجمعوا على شتم يزيد وقالوا " إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، ... ، ويلعب بالكلاب ويسامر

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٦٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٨-٩٩ .

*عبدالله بن عمرو بن العاص : عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمي القرشي ابو محمد وابو عبدالرحمن احد الفقهاء ، من قريش ، صحابي ، من النساك ، من اهل مكة كان يكتب في الجاهلية ويحسن السريانية واسلم قبل ابيه . ينظر : ابن ماکولا ، إكمال الدين ، ج ٤ ص ٣٠٤ - الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٤١ - ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج ١ ص ٥١٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٤ ص ١١١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٠ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ج ٤ ق ٢ ص ٢٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٢ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٢ .

*عثمان بن محمد بن أبي سفيان : لم أجد له ترجمة .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٢ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٢١ .

الحراب والفتيان ، وانا نشهدكم أنا قد خلعناه" ^(٢) ولما بلغ يزيد خلع أهل المدينة وتوليتهم ابن الغسيل أمرهم كتب إلى ابن زياد في حمل المنذر بن الزبير إليه فكره ابن زياد ذلك إذ كان ضيفه وصديق أبيه فكتب إليه أنه إنما صار إلي متبرئاً من أصحابه مخالفاً لقولهم وفعلهم ثم أمر المنذر ان يأذنه على رؤوس الناس في إيتانه الحجاز ، فلما فعل ، اذن له ^(٣) .

وبعد ان لحق المنذر بن الزبير المدينة أظهر هو الآخر شتمه ليزيد وتحريض الناس عليه وكان أشد من أصحابه فقال " والله انه ليشرب الخمر وانه ليسكر حتى يدع الصلاة " ^(٤) .

إزاء هذه الأحداث أصبح الوضع السياسي في الحجاز صعباً بالنسبة إلى الخلافة الأموية حيث ان ابن الزبير كان قد اخذ البيعة من أهل مكة سراً ، وبايع أهل المدينة عبدالله بن حنظلة الغسيل ^(٥) ، وهكذا الحال أصبحت الخلافة الأموية منقسمة أحدهما في الشام والأخرى في الحجاز وهذا مما لا يمكن السكوت عنه بالنسبة إلى الأمويين ، لذلك أرسل يزيد النعمان بن بشير الأنصاري ، كونه أخا لعبدالله بن حنظلة الغسيل لأمه ^(٦) ، كمحاولة لردهم " أنت الناس وقومك فافتأهم عما يريدون " ^(٧) .

وعندما جاء النعمان إلى قومه ودعا الناس إليه وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوفهم الفتنة ، وقال لهم : انه لا طاقة لكم بأهل الشام ، فقال عبدالله بن مطيع العدوي : ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من امرنا ، فقال النعمان : أما والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو بها ، ... ، ودارت رحى الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبيها إلى مكة ، وقد خلفت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يقتلون في سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم ، فعصاه الناس فاتصرف ^(٨) ، ويبدو أن النعمان كان يعرف طبيعة تكوين جيش الشام وأسلحته ، وفي نفس الوقت كان يدرك قوة أهل المدينة لذلك حذر عبدالله بن مطيع العدوي ، وان نصيحته جاءت مثلما توقع .

ان أهل المدينة بعدما بايعوا عبدالله بن حنظلة الراهب ^(٩) ، على خلع الخليفة يزيد وثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قریش ^(١٠) ، وحاصروهم في دار مروان بن الحكم حصاراً ضعيفاً ^(١١) ، لكن ابن كثير ^(١٢) يقول ان بني أمية اجتمعوا في دار مروان بن الحكم وأحاط بهم أهل المدينة ، ويبدو ان رأي ابن كثير هو الأكثر صواباً بسبب أنه لم يكن حصاراً بمعنى الكلمة وإلا كيف راسلوا الخليفة يزيد ان كان حصاراً .

لذلك كتب مروان وجماعة من بني أمية كتاباً إلى الخليفة يزيد ، فأخذ الكتاب عبدالملك بن مروان وأرسله بيد حبيب بن كره وفيه " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أما بعد ، فإنه قد حُصِرنا في دار مروان ابن الحكم ، ومنعنا العذب ، ورمينا بالجيوب ، فيا غوثاه يا غوثاه " ^(١٣) ، وأرسل هذا الكتاب عندما كان بنو أمية لا يزالون في المدينة ولم يخرجوا منها .

^(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٧ - الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ص ٤٥-٤٦ - محمد كرد علي ، خطط الشام ، المطبعة الحديثة ، المجمع العلمي العربي ، (دمشق / ١٩٢٥ م) ، ج ١ ص ٤١٥ .

^(٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢٠ ص ٣١ .

^(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٤ .

^(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ .

^(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٠ .

^(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٤ .

^(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٠٤ .

^(٩) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج ١ ص ٥٢ .

^(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٢ .

^(١١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١١ .

^(١٢) البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٨٩ .

^(١٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٢ .

وعندما وصل الكتاب إلى يزيد ، قال : " أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة " (٦) ، فأجابه حبيب بن كرة : " بل أكثر ، فقال : فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من نهار " (٧) ، فقال له حبيب : " قد اجمع كلهم عليهم " (٨) . ومن هذا نستنتج ان جُلَّ أهل المدينة قد خرجوا على بني أمية في المدينة مما سبب فزع ورهب الخليفة يزيد بسبب تخوفه من وجود ابن الزبير في مكة ، لذلك قال الخليفة يزيد بعد غضبه (٩) :

لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان

وهذه إشارة إلى انه سوف يبدأ بسياسة الشدة مع أهل المدينة .

٢ . أهل المدينة وحركة عبدالله بن الزبير

لا يمكن بأي حال من الأحوال تصنيف ثورة أهل المدينة وحركة عبدالله بن الزبير على أنها ثورتان مختلفتان بسبب ان الفواسم المشتركة بينهما تكاد تكون واحدة ، لكن ما هو موقف ابن الزبير من هذه الثورة ؟

اختلف المؤرخون في مسألة علاقة ابن الزبير بالثورة ، فيقول بعض المؤرخين (١٠) أن ابن الزبير لما قتل أخاه عمرو فإنه خطب في الناس وشم يزيد ودعا الناس إلى إظهار خلعه وكتب إلى أهل المدينة بذلك ، ويقول ابن اعثم الكوفي (١) أن أهل المدينة بلغهم ان أهل مكة والطائف وسائر الحجاز قد بايع ابن الزبير فوثب أهل المدينة على عاملهم عمرو بن سعيد* فأخرجوه من المدينة وبايعوا عبدالله بن الزبير ، ويرى أبو الفرج الاصفهاني (٢) أن ابن الزبير أقام على خلع يزيد ومالاً على أكثر الناس فدخل عليه أهل المدينة .

والذي يبدو أن الرأي الأول هو الأكثر صواباً لأن هناك ترابطاً وثيقاً بين ثورة أهل المدينة وعبدالله بن الزبير كونهما يضدان الخلافة الأموية في الشام هذا فضلاً عن وجود رغبة لديهما بجعل الخلافة الإسلامية في الحجاز .

(٦) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١ ص٣٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١١١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٨٩ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١١١ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٤٨٣ .

(٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١١١ - ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٠٨ .

(١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٣٠ - المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٢٦٣ - الرافعي ، حضارة العرب ، ص١٦٣ - برولكمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص١٢٩ .

(١) الفتوح ، مج٣ ص١٥٦ .

* عمرو بن سعيد : والي المدينة عند ابن اعثم ، لكن عند اغلب المؤرخين هو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وهو الاصبوب .

(٢) الاغاني ، ج١ ص٢٧ .

ويتبين ان سبب خلع يزيد من أهل المدينة هو سوء شخصيته فيرى بعض المؤرخين^(٣) بأن سبب خلع أهل المدينة البيعة للخليفة يزيد هي أخلاقه كونه يشرب الخمر وتعزف عنده القيان بالمعازف ، أما ابن الوردي^(٤) فيذكر بأن أهل المدينة اتفقوا على خلع الخليفة يزيد وإخراج نائبه عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، أما ابن طباطبا^(٥) فإنه يقول ان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد وخلعوه وحصره من كان بها من بني أمية واخافوهم ، ويذكر السيوطي^(٦) أن أهل المدينة خلعوا يزيد بعد ما أسرف في المعاصي ، أما ابن عماد الحنبلي^(٧) فيرى ان أهل المدينة خرجوا على يزيد لقلّة دينه .

أما أسباب خلع يزيد لعمر بن سعيد الأشدق فهي :

٧. علو شأن ابن الزبير بمكة بعد استشهاد الإمام (ت) لذلك فقد كاتبه أهل المدينة " أما إذ هلك

الحسين (ت) فليس أحد ينازع ابن الزبير " ^(٨) .

٨. اعتراف عمرو بن سعيد بن العاص ليزيد بن معاوية بعد ان عزله بتنامي قوة ابن الزبير السياسية فقال ليزيد " الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وان جل أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه وأحبوه وأعطوه الرضا ، ودعا بعضهم بعض سراً وعلانية " ^(٩) .

٩. قوة شخصية ابن الزبير بمكة وكان صوتاً إعلامياً يدوي في مكة ضد الخليفة يزيد وسياسته ولم يكن لسياسة بني أمية أي تأثير ضده لربما بسبب عدم وجود قوة عسكرية أموية في مكة تمنعه من ذلك وقد أشار عمرو بن سعيد إلى ذلك في عتابه للخليفة يزيد " ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته " ^(١٠) ، هذا فضلاً عن ان ابن الزبير بعد قتله لأخيه عمرو وإفشال حملة الأمويين ضده دعا الناس إلى إظهاره وخلع الخليفة يزيد وحربه وكتب إلى أهل المدينة بذلك ^(١١) .

٣. أهل المدينة وموقفهم من خلافة يزيد

وبلغت الأخبار أهل المدينة فرأوا ان يتخلصوا من بني أمية حتى لا يكونوا عوناً للجيش الأموي عند القتال^(١٢) ، فعمدوا إلى تهديدهم بالقتل أو يعطوا عهداً وألا يدلوا على عورة^(١٣) ولا يظاهروا عليهم عدوا وان يخرجوا من المدينة فأعطاهم بنو أمية العهد على ذلك^(١٤) .

^(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ص٥٨٧ .

^(٤) تاريخ ابن الوردي ، ص٦٥ .

^(٥) الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٠٨ .

^(٦) تاريخ الخلفاء ، ص١٦٤ .

^(٧) أبو الفلاح عبدالحى (ت ١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار احياء ، (بلات) ، ج١ ص٧١ .

^(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٥٩ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ - اما ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٨٦ فإنه لم يذكر دعا بعضهم بعض سراً وعلانية .

^(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٨٦ .

^(١١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٣٠ .

^(١٢) ابراهيم محمود شريف ، دور الحجاز السياسي ، ص٤٣١ .

^(١٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٥ - الاصفهاني ، الاغاني ، ج١ ص٢٨ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦ ص٢٢٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨ ص٥٩٠-٥٩١ .

^(١٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٣ .

فخرجوا من المدينة إلا ولد الخليفة عثمان بن عفان (رض) ^(١) ، وأقاموا في موضع ذي خشب* عشرة أيام ^(٢) .

بعد مجيء أهل الشام بقيادة مسلم المروى التقى بنو أمية عند وادي القرى فحاول المروى الاستفسار منهم عن أحوال أهل المدينة وطبيعة المقاتلين فيها ، لكن الأمويين قد أعطوا العهد على إلا أن يظاهروا عليهم عدواً فيما ترى هل حافظوا على العهد ؟

اجمع المؤرخون ^(٣) عدا ابن سعد في طبقاته ^(٤) على أن بني أمية قد التزموا العهد مع أهل المدينة إلا عبد الملك بن مروان الذي اطلع مسلماً على عورة المدينة ونصحه بأن يأتيها من قبل الحرة** الشرقية ^(٥) عند الصباح ، فعندئذ سوف تكون الشمس في وجوههم فيؤذيهم حرها ويصيبهم أذاها ، وربما كان تصرف عبد الملك هذا بأمر من أبيه مروان وما يدل على ذلك أن مسلم بن عقبة المروى لقي مروان بن الحكم وتكلم معه على عبد الملك وصفاته التي قلما توجد في رجال قريش فقال له مروان وإذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني فقال : اجل ^(٦) ، وبعد دخول مسلم الحرة عسكر فيها ودعا أهل المدينة إلى الدخول في طاعة الخليفة يزيد ، وأعلمهم أنه يؤجلهم ثلاثاً فإن أجابوا تركهم وسار إلى مكة لقتال ابن الزبير ^(٧) ، فرفض أهل المدينة ما طرحه عليهم مسلم وقالوا له " والله لو أردتم أن تجوزا إليهم ما تركناهم حتى نقاتلكم ، نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام ، وتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمة " ^(٨) .

والذي نستنتجه من هذا الأمر ما يلي :

٥. أن أهل المدينة رفضوا ليس الدخول في طاعة يزيد فقط بل عارضوا أن تمر قوات مسلم بن عقبة من خلال المدينة إلى ابن الزبير .

٦. أن أهل المدينة أرادوا الدفاع في مدينتهم عن حرمة بيت الله ولم يذكروا فيه الدفاع عن عبد الله بن الزبير .

وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقاً في جانب المدينة ونزله جمع عظيم منهم استعداداً لملاقاة جند الشام ^(٩) ، واقبل مسلم من جهة الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة ثم وجه الخيل نحو ابن

^(١) الأزرقى ، محمد عبدالله بن أحمد (ت هـ) ، اخبار مكة المشرفة ، مكتبة خياط ، (بيروت / بلات) ص ١٦٨ .

*ذي خشب : موضع على مرحلة من المدينة على طريق الشام . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ص ٢٩٩ .

^(٢) الأصفهاني ، الاغانى ، ج ١ ص ٣٠ .

^(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .

^(٤) الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٣ ، يرى ابن سعد أن مروان بن الحكم هو الذي اخبر مسلم بن عقبة عن عورة المدينة ولكن على ما يبدو أنه عبد الملك لاجتماع اغلب المؤرخين عليه .

**الحرة : حرة واقم إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية سميت بهذا الاسم نسبة الى رجل من العماليق اسمه واقم وكان قد نزلها في الدهر الأول ، وهي الارض التي البسها حجارة سود كأنها أحرقت بالنار . ينظر : ابن سلام ، غريب الحديث ، ج ١ ص ٣١٥ - الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٤٩ .

^(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٤ .

^(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٢٢٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٦٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٤ .

^(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٤-١١٥ .

^(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .

^(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .

الغسيل ، فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه^(٥) ، واشتبك الجيشان الأموي وأهل المدينة يوم الجمعة لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين^(٦) في قتال شديد أوشك جند المدينة ان يحققوا نصراً على جند الشام والوصول إلى فسطاط مسلم وقتل حامل رايته الرومي إلا ان مسلم بن عقبة نهض بأصحابه وخطب في الجند وهددهم بمنعه العطاء ونقلهم إلى أقاصي الثغور^(٧) ، مما زاد في همة مقاتلي أهل الشام هذا فضلاً عن انه قام بدور آخر له أهميته في المعركة من خلال خطبة أخرى في جنده يذكرهم بأنهم أهل الطاعة والاستقامة لانتمهم " وان هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا فغير الله بهم "^(٨) وبدأ يحثهم على القتال^(٩) ، ويوعدهم بان مينة الشهادة هي أفضل مينة لذلك يجب عليهم ان يغتتموها " فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها "^(١٠) وهذه الخطب والكلمات جعلت جند الشام يتقدمون للقتال كأنهم فاتحوا البلاد غير العربية وغير الإسلامية .

ثم اقبل طائفة من أهل الشام فدخلوا المدينة من قبل بنو حارثة* من جانب الخندق^(١١) ، وهم الذين قالوا ((إِنِّي بَيِّنَاتٌ عَوْرَةٌ ^(١٢)) ، أي خالية فقد أمكن من أراد دخولها^(١٣) ، لذلك دخلوا وهم يقاتلون من يليهم إلا وأهل الشام يضربونهم من أديارهم ، فقتل عبدالله بن حنظلة الراهب أمير الأنصار ، وقتل عمرو بن حزم الأنصاري قاضي المدينة^(١٤) ، فدخل جند الشام المدينة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٦٣هـ / ٦٨٣م^(١٥) ، وانتهكوا حرمتها^(١٦) ، ويبدو ان مسلم بن عقبة لم يتمسك باحترام المدينة وبذلك فإنه قد أباحها ثلاثاً^(١٧) ، وكان يشجع أهل الشام على قتل أهل المدينة حتى وان كرهوا أهل الشام ذلك فيذكر ابن الأثير^(١٨) ان أهل الشام كرهوا ان يقاتلوا أهل المدينة بعد ان دخلوها ، فلما رأهم مسلم المري وكان شديد الوجد سبهم وذمهم وحرضهم فقاتلوهم .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٥ .
 (٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٢٤١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٠ ، يذكر انها لليلتين من ذي الحجة .
 (٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٨ .
 (٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٨ .
 (٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٦ .
 (١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٠ .
 * بنو حارثة : بنو حارث بن جناب الكلبي وهم اخوال يزيد بن معاوية . ينظر : الزبيدي ، تارح العروس ، ج٧ ص٢٢٢ - الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ص٣٣٩ .
 (١١) ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج١٣ ص٦٠ .
 (١٢) سورة الاحزاب ، آية ١٣ .
 (١٣) ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، تح محمد عبدالرحمن ، ط١ ، مطبعة دار الفكر ، (بيروت / ١٤٠٧هـ) ، ج٦ ص١٨٦ .
 (١٤) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص٢٦٥ .
 (١٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٠ .
 (١٦) مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ص٧٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٩٤ .
 (١٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٤ .
 (١٨) الكامل ، ج٤ ص١١٨ .

ثانياً . موقف الإمام علي بن الحسين (t) من ثورة اهل المدينة

تشير الروايات التاريخية الواردة في أحوال الإمام علي بن الحسين في أثناء ثورة المدينة سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م إلى انه اعتزل المدينة ثم جاءه مروان بن الحكم بحرمة بعد ان رفض عبد الله بن عمر استجارة حرمة^(١) ، فخرج الإمام علي بن الحسين (t) بحرمة وحرمة مروان بن الحكم حتى وضعهم بينبع* وكتب بذلك رسالة إلى يزيد يبين فيها عدم اشتراكه في هذه الثورة وقد وضع يزيد لمسلم ذلك " فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه وقد آتاني كتابه "^(٢) والسؤال هو لماذا اتخذ الإمام علي بن الحسين (t) هذا الموقف مع ان قادة الثورة وخصوصاً عبد الله بن حنظل الغسيل من المعروفين بالورع والعبادة ؟ وهل كان يتخوف بطش الأمويين ؟

الذي يبدو ان هناك عدداً من الأسباب كانت وراء موقف الإمام علي بن الحسين (t) من هذه الثورة أهمها :

٧. ان الإمام علي بن الحسين (t) كان يعلم ان ثورة المدينة سوف تؤدي إلى فجائع كبيرة ، وتقتل النفوس الكثيرة وذلك لأنه شاهد بنفسه ما فعله الأمويون وأنصارهم في كرىلاء بحق الإمام (t) وأهله وأنصاره ولم تكن لديهم حرمة لرسول الله (ﷺ) ولا لأهل بيته^(٣) ، هذا فضلاً عن ابتعاده عن السياسة وانشغاله بأمور الزهد والسلام^(٤) . وكان النعمان بن بشير الأنصاري قد حذر القائمين بالثورة من مغبة تلك الثورة وخوفهم بان القتل والهتك سيكون شاملاً وجاء ذلك من خلال المحاوراة مع عبدالله بن مطيع فقال " ، ... ، وقد خلفت هؤلاء المساكين يقتلون في سكناهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس فاتصرف "^(٥) .

(١) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص ٢٩ .

* بينبع : حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب (t) يتولاها ولده . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص ٤٥٠ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١١٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٤٨٥ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٠٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٥٨٧ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٠٤ - دكسن ، الخلافة الاموية ، ص ٦٢ .

وربما جاء كلامهما** هذا لانهما شاهدا واقعة الطف وما أحدثه والي بني أمية من قتل وتمثيل بالإمام (t) وأصحابه .

٨. أن ثورة أهل المدينة كانت متأخرة ، إذ كان ينبغي لها ان تتحرك حين رفض الإمام (t) البيعة ليزيد بن معاوية في أثناء حكم معاوية بن أبي سفيان او تتحرك بعد وفاة معاوية إلا ان ذلك لم يحصل حتى استقر الوضع لصالح يزيد بن معاوية ، لذلك كان الإمام علي بن الحسين (t) يراها متأخرة زمنياً فلا فائدة أو جدوى من الاشتراك بها^(١) .

٩. بشكل عام لا يميل الأئمة من أهل البيت (i) إلى نقض البيعة وأعمال العنف السياسي ، فمثلاً

بعد صلح الإمام الحسن (t) مع معاوية وفي حياته كاتب أهل الكوفة أخاه الإمام (t)

لغرض ان يخرج على هذا الصلح لأن الإمام (t) كان كارهاً له لكن على الرغم من هذا لم

يخرج الإمام (t) احتراماً للعهد الذي قطعه أخوه الإمام الحسن (t) مع معاوية^(٢) ، وحتى

بعد وفاة الإمام الحسن (t) وعندما كتبت الشيعة من أهل الكوفة إلى الإمام (t) في خلع معاوية والبيعة له امتنع عليهم وقال أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً ولا يجوز له نقضه حتى نقض المدة ، فإذا مات معاوية نظرنا في ذلك^(٣) .

٤. واغلب الظن ان نهاية المعركة لو كانت لأهل المدينة لكان المستفيد منها هو عبدالله بن الزبير الذي كان نفوذه في مكة يتصاعد يوماً بعد آخر وهذا ما عبر به عمرو بن سعيد الاشدق ليزيد بن معاوية عندما ذهب لمعاتبته بسبب عزله عن مكة حينها قال الاشدق " أن جل أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه - عبدالله بن الزبير - وأحبوه وأعطوه الرضا ودعا بعضهم بعضاً سراً وعلانية " ^(٤) ، على الرغم من ان ابن الزبير لم يقدم أي توضيحات يذكرها المؤرخون لذلك لم يشترك فيها الإمام علي بن الحسين (t) .

٥. بالرغم ان قادة الثورة من الأشخاص الورعين أمثال عبدالله بن حنظلة الغسيل إلا أن ثمة خيوطاً زبيرية تواجدت في الحركة أمثال ، المنذر بن الزبير الذي ذهب الى الشام مع الوفد ثم رجع الكوفة ومن ثم جاء إلى المدينة بعد أن اخبره ابن زياد بأمر يزيد منه ، نجده يقترح بيزيد أكثر من بقية أصحابه فيقول " ان يزيد والله لقد أجازني بمائة ألف درهم ، وانه لا يمنعني ما صنع إلى ان أخبركم خبره ، ... ، والله انه يشرب الخمر وأنه ليسكر حتى يدع الصلاة ، وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وكانوا معه وأشد " ^(٥) ، ومن الواضح ان المنذر بن الزبير هو أخو عبدالله بن الزبير فليس من المستبعد ان يكون هذا اتفاقاً خاصاً قد جرى بين الاثنين لتحريك الناس في المدينة لحساب عبدالله ، هذا فضلاً عن ان عبدالله بن مطيع العدوي هو زبيري الهوى .

**كلامهما : الامام علي بن الحسين (t) والنعمان بن بشير الانصاري .

(١) الساعدي ، دراسات سياسية في حياة الإمام علي بن الحسين (t) ، ص ١٧٨ .

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ١ ص ١٣٤ .

(٣) الشيخ المفيد ، الارشاد ، ص ١٤٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٧٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨١ .

أما مسألة المراسلة له من يزيد بن معاوية فنعتقد انه هنالك ثلاث احتمالات لهذه المراسلة ، كان على الإمام علي بن الحسين (ت) ان يتصرف بها :

١. السكوت أو الوقوف على الحياد ، وهي مخاطرة لا يسلم ان تؤدي إلى قتله لو لم يتمسك الإمام بجانب الحياد أو السكوت أو الوقوف لكان أول المقتولين في المدينة من مسلم بن عقبة المري والدليل أنه عند مجيئه مروان بن الحكم وابنه عبدالملك قال مسلم " أنما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي ، والله لو كان هذا الأمر اليهما لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك " ^(١) ، ومعنى ان أمان مروان وابنه عبدالملك لا يؤخذ به على الرغم من حيادية الإمام تجاه الثورة
٢. الوقوف إلى جانب الحركة والاشتراك فيها ، وهذا غير ممكن للأسباب التي ذكرناها في الصفحة الماضية .
٣. الإعلان عن عدم الاشتراك بالثورة ، وهو الموقف الذي تصرف به الإمام علي بن الحسين (ت) وكان تصرفه ضرورة تقتضيها الإمامة ليس إلا ... وجاء نتيجة انه عرّف يزيد بموقفه من الثورة ولولا هذه الخطوة لقتله مسلم بن عقبة فيما خاطبه وقال له " أخبرني يزيد أنك كاتبته ، فذلك نافعك عندي " ^(٢)

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ق٢ ص٣٩ .
 (٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٩٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٩ ، لم يذكر " ذلك نافعك عندي " .

ثالثاً : مجربات الثورة

٥. أسبابها .

هنالك عدد من الأسباب لهذه الثورة أبرزها :

أ. شخصية يزيد بن معاوية وما وصف به بأنه ليس له دين ، وشربه للخمر ، فقد ذكر البلاذري^(١) ان المسور بن مخرمة الزهري وفد إلى يزيد قبل ولاية عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، فلما قدم من عنده شهد عليه بالفسق وشربه للخمر ، وبعد ان علم يزيد ذلك كتب الى عامله بأمره ان يضرب مسوراً الحد فقال أبو حسرة شعراً فيه :

أيشربها صهباء كالمسك ريحها أبو خالد ويضرب الحد مسور

ب. يمكن القول بأن ثورة الإمام (t) كانت السبب الآخر في ثورة أهل المدينة فيذكر ابن

سعد^(٢) ان أهل المدينة بعدما علموا بقتل الإمام (t) من قبل السلطة الأموية طلبوا منه - عبدالله بن الزبير - ان يظهر بيعته للناس ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على تمسك أهل المدينة بمبدأ الأفضل للخلافة من بين أبناء الصحابة .

ج. سياسة العطاء التي كان يعاني منها أهل المدينة ، فقد ذكر ابن قتيبة^(٣) ان يزيد أمر صاحب أول جيش يصل إلى المدينة ان يخبرهم ، ان لأهل المدينة عهداً عليه ، أن أقروا بالطاعة سوف يجعل لهم عطاءين في كل عام ، وان يخرج العطاء الذي أحتبس عنهم في عهد معاوية

ر. رغبة أهل المدينة بشكل عام والأنصار بشكل خاص ان تعود الخلافة إلى مدينة رسول الله محمد

(ë) وما بيعتهم لعبد الله بن حنظلة الغسيل إلا دليل هذه الرغبة^(٤) ، هذا فضلاً عن مشاركة معظم القبائل العربية في المدينة في هذه الثورة^(٥) ، وما التضحيات والخسائر إلا دليل ذلك .

(١) انساب الاشراف ، ج٤ ص٣١ .

(٢) الطبقات الكبير ، ج٧ ص٢٢٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٩٩ .

(٣) الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٦ - البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص٦٥ ، يذكر فيه عطاءين فقط .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٣ .

(٥) خليفة ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج١ ص٢٣١ . ينظر : خليفة بن خياط في تاريخه ، ج١ ص٢٣١-٢٤٥ لتجد أسماء القتلى من أهل المدينة من مختلف القبائل الساكنة في المدينة .

هـ. تضعضع الأوضاع السياسية في الدولة العربية الإسلامية بسبب وجود عبدالله بن الزبير في مكة والذي بدوره اخذ يبايع لنفسه سراً ، هذا فضلاً عن التحاق الخوارج النجدية بابن الزبير^(١) ، وربما كسرت حاجز الخوف الذي كان موجود عند أهل المدينة .

٦. واقعة الحرة .

بعد عودة النعمان بن بشير الأنصاري إلى الشام وفشله في رد أهل المدينة عما يردونه كتب يزيد إلى أهل المدينة كتاباً فيه تهديد ووعد أمر واليه عثمان بن محمد أن يقرأه عليهم وفيه " ... ، لئن أثرت أن أضعكم تحت قدمي لأطانكم وطأة اقل فيها عددكم وأترككم أحاديث تتناسخ كأحاديث عاد وثمود "^(١) وكان لهذا الكتاب الأثر الكبير في أهل المدينة لذلك أيقنوا بأن يزيد سوف يرسل لهم جيوشاً تحاربهم فعملوا في أخراج بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش وكانوا نحواً من ألف رجل فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم ، فحاصروهم أهل المدينة حصاراً ضعيفاً^(٢) ، وهتفوا بخلع الخليفة يزيد^(٣) .

عندما تجمع بنو أمية في دار مروان كونه أكبرهم وأشهرهم ، فكتبوا إلى الخليفة كتاباً وأرسلوه بيد حبيب بن كره يسألونه الغوث^(٤) .

بعد ان وصل الكتاب إلى الخليفة يزيد فرزع اشد الفزع وقال : أهل المدينة اخرجوا قومنا منها والله لان تقع الخضراء* على الغبراء** أحب إلى من ذلك^(١) .

فبعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد لقيادة الجيش نحو المدينة فرفض ذلك وقال " والله لاجمعتهما للفاسق ، قتل ابن بنت رسول الله ، وغزو الكعبة "^(٢) ثم أشار مرة أخرى على عمرو بن سعيد الأشدق فأقره الكتاب وأخبره وأمره أن يسير إليهم في الناس فرفض أيضاً وقال : قد كنت ضبطت لك البلد وأحكمت الأمور وأردت أن ألطف للرجل فأخذه في رفق أو أقتله وحده بحيلة ، فأما الآن فأني لا أحب إهراق دماء قريش^(٣) ، ويتولاها منهم من هو أبعد منهم مني^(٤) ، ثم أرسل أخيراً إلى مسلم بن عقبة

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٧٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٠٢ .

(٢) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج١ ص٣٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٢ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٣٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٥٨٩ .

(٥) الاصفهاني ، الاغانى ، ج١ ص٣٠ .

*الخضراء : السماء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ص١٢٣ .

**الغبراء : الارض ، في قوله (غ) : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ص٥٦٤ .

(٦) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٨ - البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ص٦٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١٢ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ص٣٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١١١ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٨٣ .

المرى* ، وهنا اختلف المؤرخون في إجابة مسلم ليزيد فيرى البلاذري^(٢) ان مسلم قال ليزيد بعد ان عرض عليه قيادة الجيش : أما قدروا وهم ألف رجل ان يقاتلوا عن أنفسهم ساعة واحدة ، بينما يرى الاصفهاني^(٣) ان مسلم قال ليزيد : ما كنت مرسلأ إلى المدينة أحدأ إلا قصر وما صاحبهم غيري ، أني رأيت في منامي شجرة غرق تصيح على يدي مسلم فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول أدرك تارك أهل المدينة قتلة الخليفة عثمان (رضي الله عنه) .

والذي يبدو ان الرأي الثاني هو الأكثر صواباً بسبب ان اتجاه شخصية يزيد مع مسلم بن عقبة المرى هو اتجاه واحد وهما لديهما الرغبة للحرب ولللاضطهاد والقتل ، وما يدل على هذا ان بعض المؤرخين⁽⁴⁾ ذكروا : ان يزيد قال لمسلم ان شئت أعفيتك فأن أراك مدنفاً منهوكةً ، فقال مسلم نشدتك الله ان لا تحرمني أجراً ساقه الله لي ، ويقول اليعقوبي⁽⁵⁾ ان مسلم بعدما قص عليه يزيد القصة فقال مسلم يا أمير المؤمنين ، وجهني إليهم فوالله لادعن أسفلها أعلاها .

بالإضافة إلى ذلك فإن هنالك سبباً آخر مهماً هو وصية معاوية لابنه يزيد حينما قال له " ان لك من أهل المدينة يوماً فأن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته " ^(٦) من هذا يمكن القول ان سبب اختيار يزيد لمسلم بن عقبة كونه سامعاً مطيعاً ، وأنه ذو آراء سديدة ^(٧) ، هذا فضلاً على انه احد جبابرة العرب ^(٨) .

أما الرغبة عند يزيد في قتال أهل المدينة فيتضح لنا ذلك من خلال رفضه اقتراح مسلم بن عقبة ترك بني أمية يقاتلون أهل المدينة بأنفسهم فقال له " أنه لا خير في العيش بعدهم " ^(١) لذلك أهتم بشدة بهذه الحملة وسير مع مسلم بن عقبة المرى اثنتي عشر ألف رجل ^(٢) ، وأعطاهم أعضياتهم كاملة ومعونة مائة دينار

توضع في يد الرجل من ساعته^(١) ، وخرج الخليفة يزيد إلى الخيل يتصفحها وينظر إليها وهو يقول :

أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى وأشرف القوم على وادي القرى

أجمع سكران ان هن القوم ترى

*مسلم بن عقبة : مسلم بن عقبة بن رياح بن اسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع بن نحيط بن مرة بن المرى ، من اصحاب الخليفة معاوية وشارك معه في حرب صفين . ينظر : الزبيرى ، نسب قريش ، ج ٤ص ١٧٢ - ابن حزم ، جمهرة انبياء العرب ، ج ١ص ٢٢٤ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٤ص ١٢٣ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٦١ص ٧٦ .

(٢) انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٣٣ .

(٣) الاغانى، ج ١ ص، ٣١-٣٢

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٦٨ - البيهقي، المحاسن والمساويء، ص ٦٤.

(٥) تاريخ العقوب، ج ٢، ص ١٧٢

(٦) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ج١ ص٢٢٩ - البلاذري، انساب الاشراف، ج٤ ق٢ ص٤٣ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٤٩٥ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤ ص٣٨٧ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦١ ص٨٤ - ابن الأثير، الكامل، ج٤ ص١١٢ - ابن حجر، مقدمة فتح الباري، ج١ ص٦٠.

(۷) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ،

(^٨) ابن طباطبا، الفخرى، في الاداب السلطانية، ص ١٠٨.

(٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٤٨٣ - ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١١٢.

(١٠) العياشي، محمد بن سعيد (ت ٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، المطبعة العلمية، (١٣٠٨هـ)، ج ٢ ص ٥٨ - ابن تغري

بردى، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ١٢٧٤هـ)، تفسير النجاشي، المطبعه الحسينيه، (١٩٧٧)، ج ١، ص ٥١٠ - ابن عسك
حاتم، المؤسسة العربيه، (القااهرة ١٩٦٣)، ج ١، ص ١٦٠، المحلص، بحار الانوار، ج ٥٢، ص ٣٤٣.

(^١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٣ .

والذي يبدو ان هذا القول كان يراد به عبدالله بن الزبير كونه كان يكنى أبا بكر^(٢) ، وكان ابن الزبير يسمى يزيد ، يزيد السكران الخمير^(٣) ، بسبب كثرة شربه للخمر .

وأهتم يزيد بهذه الحملة فقد عين بديلاً لمسلم بن عقبة في حالة حدوث حادث ما به^(٤) ، لأنه كان مريضاً فلذلك عين الحصين بن نمير السكوني ، وأوصى يزيد وصيته إلى مسلم " أدع القوم ثلاثاً ، فإن هم أجابوك والا فقاتلهم ، فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً ، فما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهم للجنـد " ^(٥) .

ويمكن ان نستنتج من هذا النص الأمور الآتية :

٥. وجود أمر قتل أهل المدينة من يزيد بن معاوية وإباحتها وربما ان هذا الأمر متوارث في البيت الأموي لأن معاوية أخذ وصية جده نهد بن زيد* وأوصى بها لأولاده " أوصيكم بالناس شراً ، ضرباً ، ... ، قصروا الأعنة واشرعوا الأسنة ، ... ، فإن غش الناس يدعو إلى سوء الظن ، وسوء الظن يدعو إلى ... " ^(٦) ، فانطلاقاً من هذا أوصى معاوية سفيان بن عوق الغامدي عندما غار على الانبار بأن اقتل من لقيت ممن ليس على مثل رأيك^(٧) ، فجاءت سياسة يزيد مكملة لسياسة الأجداد حينما أمر مسلم بن عقبة بإباحة المدينة وقتل أهلها لان في قتالهم يتحقق ما يأتي :

أ. قتل المعارضين لسياسته بدون استثناء سواء كانوا أصحاباً أم فقهاء أم قراء أم من قریش أو من بني أمية وليس كما يذهب إليه احد الدارسين^(٨) بان مسلم بن عقبة توجه من دمشق قاصداً حصار المدينة .

ب. عودة مدينة رسول الله (ﷺ) إلى طاعة الخلافة الأموية وبالتالي يعرف المجتمع العربي آنذاك أنه لا توجد لدى الأمويين فضائل أو قدسية مدن وإنما ملكهم فوق كل شيء .

٦. وجود أمر إباحة للمدينة من يزيد بن معاوية^(٩) ، لكن بالرغم من هذا الأمر نجد ان المؤرخين قد اختلفوا في هذا فيرى البعض منهم^(١٠) أن أمر الإباحة قد جاء بعد ان يعرض عليهم شروطاً وأن رفضوها فيدخل ويبحها ثلاثة أيام من مال أو سلاح أو رقة ، ويرى ابن قتيبة^(١١) ان يزيد قال لمسلم بن عقبة " أن صدوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وأنهبها " . أما ابن أعثم

(٢) الشيرازي ، ابراهيم بن علي (ت ٤٧٦ هـ) ، طبقات الفقهاء ، تح خليل الميس ، دار القلم ، (بيروت / بلات) ج ١ ص ٣٢ .

(٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٣ - مروج الذهب ، ج ٣ ص ٧٠ .

(٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٣ - الفاسي ، شفاء الغرام ، ج ٢ ص ١٦٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٤ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣١ ، يذكر فيه كلمة رثة بدلاً من رقة - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ ، يذكر فيه دابة بدلاً من كلمة رقة .

*نهد بن زيد : نهد بن زيد بن ليث بن أسلم بن قضاة ، جد جاهلي يمني كان يسكن بقرب نجران ، عاش عمراً طويلاً . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ٢ ص ٢١٦ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٨ ص ٤٩ .

(٦) السمعاني ، الانساب ، ج ٢ ص ٢١٦ .

(٧) الشيخ الصدوق ، محمد بن علي (ت ٣٨١ هـ) ، كمال الدين وتمام النعمة ، تح علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر لجماعة المدرسين ، (قم / ١٤٠٥ هـ) ، ص ٥٦١ .

(٨) الراوي ، قصي اسعد الحميد ، آل الزبير ودورهم في الدولة العربية حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، مقدمة الى كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٤ م) ، ص ٢٥٤ .

(٩) الزبيري ، نسب قریش ، ج ٤ ص ١٢٧ - الفاكي ، اخبار مكة ، ج ٢ ص ٣٥٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٤ - ابن أبي يعلى ، أبو الحسين محمد (ت ٥٢١ هـ) ، طبقات الحنابلة ، تح محمد حامد الفقي ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / بلات) ، ج ١ ص ٣٤٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ -

المحامي ، محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية ، تح د. إحسان حققي ، ط ٢ ، دار النفائس ، (بيروت / ١٤٠٣ هـ) ، ج ١ ص ٣٤ .

(١٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٠ .

(١١) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٦٨ .

الكوفي^(٤) فيذكر ان يزيد قال لمسلم ان كان أهل المدينة قتلوا أحداً من بني أمية فادخلها بالسيف وأرق الـ دماء فيها ثلاثة .

ومن خلال مناقشة الآراء نجد ان رأي ابن أعثم الكوفي مُستبعداً بسبب عدم وجود رواية واحدة تثبت أن هناك رجلاً واحداً من بني أمية قد قتل في المدينة قبل مجيء جند الشام ، أما رأي ابن قتيبة فينبغي علينا أن نوضح أن أهل المدينة لم يحاربوا ابن عقبة أكثر من عملهم الحصون لحماية أنفسهم من الجيش الكبير القادم من الشام ولم يقاتلوهم إلا ان دخل جند الشام بقتالهم وكان هو البادي في الحرب وليس جيش أهل المدينة ، أما الرأي الأول فهو وجود أمر الإباحة ولكن لا توجد فيه إباحة للنساء ، والسؤال هو هل كانت إباحة النساء بأمر يزيد أو من ابن عقبة نفسه .

لم توجد رواية تحدد فيها أمر إباحة النساء من يزيد إلى مسلم بن عقبة بل أن أمر إباحة النساء قد تم بأمر مسلم بن عقبة المرى نفسه لذلك وصف بأنه احد جبابرة العرب ، فقد ذكر الحموي^(٥) بأن أهل الشام سبوا الذرية واستباحوا الفروج وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدت ، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة ، وبسبب هذه الأعمال الشنيعة التي صنعها مسلم بالمدينة فقد سماه أهل المدينة مسرفاً^(٦) .

مربعاً . مسلم بن عقبة المرى في المدينة .

بعد دخول مسلم بن عقبة المرى وجنده مدينة رسول الله (ﷺ) فإنه أفرع من كان بها من الصحابة والشيوخ والكبار ، فيذكر بعض المؤرخين^(١) أن من بين الصحابة الذين هربوا من جند الشام وأفرعوا هو أبو سعيد الخدري* الذي أقحم عليه رجل من أهل الشام الغار الذي آوى إليه ، واختفاء جماعة من سادات العرب منهم جابر بن عبدالله** ، وقتل عبدالله بن يزيد المازني*** وهو من

(٤) الفتوح ، مج ٣ ج ٥ ص ٣٤ .

(٥) معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٦) البغدادي ، محمد بن حبيب ، المحبر ، ص ٤٨٢ ، المنق ، ص ٣١٦ - الجوهرى ، الصحاح ، ج ٤ ص ١٣٧٣ - الشيخ المفيد ، الافصاح ، ص ٤٤ - القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ٧ ص ١١٠ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ - الفيروز آبادي ، نصر الهوتي (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، (بلات) ، ج ٣ ص ١٥٢ .
(١) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٣٠ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٧ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٨ - ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٠٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٢ .

*أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن الابجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، مدني ، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين والانصار . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ٣٥٠ - البرقي ، رجال البرقي ، ص ٢ .
**جابر بن عبدالله : جابر بن عمرو بن حزام الانصاري ، عظيم الشأن ، كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ﷺ) وكان من محبي أهل البيت (t) . ينظر : ابن داود الحلبي ، تقي الدين بن داود الحلبي (ت ٧٠٧هـ) رجال ابن داود ، المطبعة الحيدرية ، (النجف / ١٣٩٢هـ) ، ص ٦٠ .

الصحابه^(٢) وكذلك قتل سبعمئة رجل من حملة القرآن^(٣) ، وبذلك هتكت حرمة مدينة الرسول محمد)

(هـ) فيذكر مالك^(٤) انه قال عنها " هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرم مكة ، وأنا أحرم ما بين لايتهها*** " ، وقوله : " لا يكيد أهل المدينة أحداً الا أنماع كما ينماع الملح في الماء " ^(٥) وانتهت هذه المأساة الكبيرة بأمر لا يحبه الله^(٦) .

هذا فضلاً عن النتائج الأخرى منها :

- ١١ . قتل عدد كبير من الأنصار والمهاجرين بلغ عددهم ثلاثمئة رجل وستة رجال^(٧) .
- ١٢ . قتل عدد كبير من الموالي والعرب بلغ عددهم عشرة آلاف رجل^(٨) .
- ١٣ . الانكسار النفسي أهل المدينة فلم يستطيعوا ان يقيموا بأي عمل عسكري على المدى القريب ، وما ذكره بعض المؤرخين^(٩) من ان مروان بن الحكم وجه حبيش بن دلجة العتيبي إليهم في سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م فدخلها من دون مقاومة إلا دليل على ذلك .
- ١٤ . هروب أغلب الناجين من هذه المعركة إلى مكة ، مما زاد في قوة عبدالله بن الزبير وربما اعلموا ابن الزبير بحجم القوة العسكرية القادمة إليه من المدينة لذلك تحصن في مكة وابرز من لجأ إليه عبدالله بن مطيع العدوي^(١٠) وأخيه المنذر بن الزبير^(١١) .
- ١٥ . البيعة على أنهم خول^{**} ليزيد بن معاوية^(١٢) ، وهذا أمر جديد في حياة العرب المسلمين لذلك يجب علينا ان نعرف كيف كانت البيعة على عهد رسول الله محمد (هـ) ، وما الغرض من هذه البيعة على أنهم خول .

أجمع المؤرخون^(١٣) على ان مسلم بن عقبة قد دعا الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول يحكم في دمائهم وأموالهم وأهاليهم فيما شاء ، فمن أمتنع عن ذلك قتله ، وهذا مخالف للبيعة التي أقرها الله

***عبدالله بن يزيد : عبدالله بن يزيد بن عاصم بن عمرو بن كعب الانصاري وهو من مشاهير علماء أهل المدينة . ينظر : أبن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ج ١ ص ١٩ - السخاوي ، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩١) ، ج ٢ ص ٣٨ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٢ .
(٣) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٣٢٥ - عيسى ، أحمد بن ابراهيم ، شرح قصيدة ابن القيم ، تح زهير الشاوشيش ، ط ٣ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤٠٦هـ) ، ج ٢ ص ٤ .
(٤) ابن أنس ، الموطن ، ج ٢ ص ٨٨٩ .

***لايتها : معناها حراتها وطفافها . ينظر : المنذري ، زكي الدين عبدالعظيم (ت ٦٥٦هـ) ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٤هـ) ، ج ٢ ص ١٥٢ .
(٥) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٤٥ - أبن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٢٨٨ - المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج ٢ ص ١٤٤ - أبن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٤ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ق ٢ ص ٣٧ .
(٧) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٤٤ .
(٨) أبن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٤ - أبن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩٢ .
(٩) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٢٢٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ١٦٧ .

*حبيش بن دلجة : حبيش بن دلجة العتيبي ، أحد بني وائل بن حيشم ، من المعروفين بولائه للأمويين ، أشترك معهم في معركة صفين . ينظر : المنقري ، وقعة صفين ، ص ٢٠٧ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٤٠-١٤١ - السمعاني ، الانساب ، ج ٢ ص ٤٨٨ .

(١٠) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ١٤٦ .
(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٧ .
(١٢) خول : أسم يقع على العبد . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ج ١ ص ٨١ .
(١٣) ابن حجر ، مقدمة فتح الباري ، ج ٣ ص ٦٠ ، لسان الميزان ، ج ٦ ص ٢٩٤ .

ورسوله (ë) فيذكر عبدالله بن عمر " كنا إذا بايعنا رسول الله (ë) على السمع والطاعة يقول لنا رسول الله (ë) ، فيما استطعتم " (١).

أما البيعة التي أمر بها وأقرها مسلم بن عقبة المري ، فإنها كانت غير مألوفة وما أتى به الإسلام من أمر البيعة ، ولكن لماذا أصر عليها ابن عقبة هل انه أراد قتل أهل المدينة أم أنه أراد أثبات نفسه بأنه مطيع وعارف للنصيحة مثلما وصفه معاوية ، فيذكر بعض المؤرخين (٢) ان ابن عقبة جلس للبيعة فكان أول من اتاه يزيد بن عبدالله بن زمة بن الاسود** ، فقال : بايع لأمر المؤمنين على أنك عبد قن يحكم في مالك ودمك ، قال : أبايح على كتاب الله وسنة نبيه وعلى أني ابن عمه ، فقدمه مسلم فضرب عنقه ، وكان الأسود من ضمن شخصيات الوفد التي ذهبت إلى يزيد وشهدت عليه بشربه للخمر وربما ان سبب قتله لأنه شهد على يزيد بذلك والا فإنه دخل على ابن عقبة المري بعد ان أعطاه الأمان ، ويقول الطبري (٣) ان ابن عقبة أمر بقتل معقل بن سنان الاشجعي* لمجرد انه قال في يزيد كلام غير مقبول ، مع انه قد أعطاه الأمان في ذلك ، لذلك قيل عنه انه قتل صبراً (٤).

من هذا يتضح لنا أمران هما :

٥. ان مسلم بن عقبة أراد قتل أهل المدينة لذلك شرط عليهم أنهم خول له يحكم فيهم ما يشاء (٥) لأنه يدرك إنهم يرفضون ذلك لذلك أخذ باستخدام الحيلة مع بعض الشخصيات البارزة من اجل قتلهم وكما بينا أعلاه .
٦. ربما ان هناك أمر من يزيد إلى مسلم بن عقبة المري باستخدام هذا الشرط لدخول الطاعة ، والا كيف لم يتناس المري وصية يزيد بالإمام علي بن الحسين (t) .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٣٠ - البغدادي ، المنمق ، ص ٣١٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٣ - البيهقي ، المحاسن والمساوي ، ص ٦٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٨ .
 (٦) ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، ج ٦ ص ٢٥٦ - مالك بن أنس ، الموطأ ، ج ٢ ص ٩٨٢ .
 (٧) الزبير ، نسب قریش ، ج ١٠ ص ٣٧١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٨٢ .
 ***يزيد بن عبدالله : يزيد بن زمة بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي . ينظر ، الطبري ، هامش تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٢ .
 (١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٩ .
 *معقل بن سنان : معقل بن سنان بن مظهر بن عركي بن قتيان بن سبيع بن بكر بن اشجع ، شهد الفتح مع النبي محمد (ë) . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ١٧٠ .
 (٢) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٥ ص ١٧١ - الذهبي ، من له رواية في كتب السنة ، ج ٢ ص ٢٨١ .
 (٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٨ .

خامساً : أسباب إخفاق ثورة الحرة ونتائجها

١. أسباب إخفاق الثورة

تضافر عدد من الأسباب لإخفاق هذه الثورة التي كادت ان تمسح ذكر بني العاص من هذه المدينة وأهمها :

١١. تجهيز جيش الخلافة الأموية إذ كان ذا سلاح شاك وأداة كاملة ومعه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حين خرج^(١) ، في حين ان جيش أهل المدينة لا تتوافر فيه هذه الإمكانيات .
١٢. دور مروان بن الحكم في توضيح طبيعة عسكر المدينة لأهل الشام ، مما ساعد على رفع نفوسهم ومعنوياتهم للقتال حيث قال " ليس لهم نيات ولا بصائر ، وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف "^(٢) .
١٣. خيانة بني الحارثة لأهل المدينة كونهم أخوال يزيد بن معاوية^(٣) ، فيذكر ابن قتيبة^(٤) ان أحد رجال بني حارثة فتح لهم الطريق للدخول إلى المدينة مقابل ان يضاعف له العطاء ويكتب له إلى الخليفة يخبره بمساعدته لهم .

(١) أبن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص ١٦٨ .

(٢) أبن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص ١٦٩ .

(٣) الزركلي ، الاعلام ، ج٧ ص ٣٣٩ .

١٤. دور عبد الملك بن مروان في توجيه الجيش الشامي نحو منطقة الحرة الشرقية^(٥) ، وبذلك فإنه قد ساعد بشكل مباشر في دخولهم المدينة .
١٥. ان ثورة أهل المدينة خاصة بأهل المدينة ولم تقدم لها أي مساعدات تذكر من الأقاليم الإسلامية الأخرى المعادية للخلافة الأموية وبالأخص إقليم الحجاز أي عبدالله بن الزبير ، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى سهولة حصر المدينة والقضاء على عناصر الثورة وفرار القسم القليل منهم إلى مكة ومن أبرزهم عبدالله بن مطيع العدوي^(٦) ، والمنذر بن الزبير^(٧) .

٢. نتائج الثورة

بالرغم من ان ثورة أهل المدينة أخفقت إلا إنها خرجت بمجموعة من النتائج القاسية منها :

١١. ان سياسة بني أمية وأعوانهم كانت ضد مبادئ الإسلام الحنيف ويتجلى لنا ذلك من خلال الأمور الآتية :
- أ. انتهاك حرمة مدينة رسول الله محمد (ﷺ) فقد ذكر البخاري^(١) عن ثابت بن زيد عن النبي محمد (ﷺ) قال " المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث منها حدثاً ، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " ولم يجاهرهم أحد من الأمة بنكيرهم^(٢) ، بسبب انتهاك قدسية حرم الرسول (ﷺ) حيث يذكر الجندي^(٣) عن عمرة بنت عبدالرحمن بأنها سمعت مروان بن الحكم يخطب بمكة فذكر فضلها فأطنب فيها ، فقال رافع بن خديج له : ذكرت مكة وفضلها وهي على ما ذكرت ولم أسمعك ذكرت المدينة ، أشهد لسمعت رسول الله (ﷺ) يقول المدينة أفضل من مكة .
- ب. البيعة التي أقرها رسول الله محمد (ﷺ) هي بيعة على قدر الاستطاعة ولكن وجدنا ابن عقبة المري يريد خولاً .
١٢. كره بني أمية لأهل المدينة وقد أشار مروان بن الحكم إلى ذلك حينما قال " أنا والله ماضٍ مع مسلم إلى المدينة ، فمدرك ثاري من عدوي وممن أخرجني من بيتي " ^(٤) وقد ذكر

(٤) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٠ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٣٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٨٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٦ .

(٧) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٧ .

(١) صحيح البخاري ، ج ١ ص ٤٤٣ .

(٢) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد (ت ٤١٣ هـ) ، الافصاح في إمامة أمير المؤمنين ، مؤسسة البعثة ، (قم / ١٤١٢ هـ) ،

ص ٤٤ .

(٣) الفضل بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٠٧ هـ) ، فضائل المدينة ، (بلا ت. ط.) ، ص ٢٢ .

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٣ - ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٣ .

الاصفهانى^(٥) ذلك حينما قال ان مسلم بن عقبة عندما توجه نحو المدينة " سمعتُ قائلاً يقول أدرك تارك أهل المدينة ، قتلة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

١٣. كره قريش لبني أمية وقد أشار القرشيون إلى ذلك عندما جاء مروان يعتذر إليهم فقالوا له " أنت والله الذي قتلتنا ، ما عذرك الله ولا الناس " ^(٦) ، ولم يكن خروج بني أمية من المدينة باجمعهم بل خروج الموالين ليزيد ، ودليل هذا وجود عدد من القتلى من بني أمية في هذه الثورة ^(٧) .

١٤. الخسائر البشرية الكبيرة التي أخضعت إمكانات أهل المدينة عسكرياً ، لذلك قال المسعودي ^(٨) عنها كانت من أعظم الأحداث في الإسلام وأجلها وافضعها رزءاً بعد استشهاد الإمام (ت) لما حدث فيها من شر عظيم وفساد عريض ^(٩) .

١٥. دور مسلم بن عقبة المرى في الخطابة مع أهل الشام ، وحثهم على قتال أهل المدينة ^(١٠) وتذكيرهم بأن أهل الشام هم أفضل عند الله من بقية الناس في الأمصار الأخرى ^(١١) ، إضافة إلى دوره في تحويل المعركة إلى ما يحب الإنسان إلى سياسة المال فقد كان يوعد كذا من جاء بكذا فازدادت حماسة أهل الشام لان قتالهم ليس عن الدين أو الإسلام والخلافة بل من اجل المال كأى فتح من الفتوح العربية الإسلامية آنذاك لذلك فإن مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغري قوماً لا دين لهم ، فقتلوا وظهروا على أكثر المدينة ^(١٢) .

أولاً. أوضاع الشام السياسية بعد وفاة يزيد

١. خلافة معاوية بن يزيد سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م .

(٥) الاغانى ، ج ١ ص ٣١-٣٢ .
(٦) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٣ .
(٧) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٤٤ .
(٨) التنبيه والاشراف ، ص ٢٦٤ .
(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٥٩١ .
(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٩٩ .
(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٤٩٠ ،
(١٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٧٠-١٧١ .

بعد وفاة الخليفة يزيد بويج لابنه معاوية بالخلافة في الشام وكذلك لعبدالله بن الزبير بالحجاز والعراق واليمن ومصر وأكثر الشام^(١) ، ولم تكن هناك بوادر للحرب الأهلية بين القبائل القيسية والكلبية في الشام بسبب قصر فترة خلافة معاوية ، فقد قيل في حكمه انه حكم عشرين يوماً^(٢) ، وقيل أربعين يوماً^(٣) وقيل مئة يوم^(٤) ، لكن على ما يبدو انه حكم أربعين يوماً لإجماع أغلب المؤرخين عليه .

توفي الخليفة معاوية بن يزيد^(٥) من دون أن يرشح أو يعين له ولياً للعهد أو الخلافة وقد أشار الخليفة إلى سبب ذلك في خطبته عندما قال " ، ... ، وان جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به فركب ردعه واستحسن خطاءه ولا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم " ^(٦) .

والذي يمكن أن نستكشفه من هذا النص هو ميل الخليفة معاوية إلى أهل بيت رسول الله (ﷺ) وإنكاره الشديد على جده وأبيه^(٧) ، هذا فضلاً عن إن الحكم لم يكن لبني أمية وإنما الخلافة للإمام علي وأولاده ، وهذا رد اعتبار من البيت الأموي بحق أهل بيت رسول الله (ﷺ) ^(٨) ، إضافة إلى انه لم يعترف بأهله وأخوته في إدارة الخلافة^(٩) لذلك نجده يترك أمور السياسة وينشغل بأمور الدين حتى وصـف بأنـه رـجـل دین^(١٠) ولقب الراجع إلى الله^(١١) ، وكان من نتيجة هذه الخطبة قتل عمر المخصوص مؤدب الخليفة معاوية بن يزيد^(١٢) .

(١) السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ) ، اسعاف المبطأ برجال الموطأ ، تح موفق فوزي جبر ، مطبعة دار الهجرة ، (بيروت / ١٤١٠هـ) ، ص ٥٧ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ص ٦٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٠٣ - ابن حبان ، الثقات ، ج ٢ ص ٣١٤ - ابن حزم ، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، ص ٣٥٨ - ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت ٦٦٦هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت / ١٩٥٨م) ، ص ١١١ - العاملي ، بهاء الدين محمد بن الحسين (ت ١٠٣٠هـ) ، توضيح القاصد ، مكتبة آية الله المرعشي للنشر ، (قم / ١٤٠٦هـ) ، ص ١٢ - الشيرازي ، محمد طاهر القمي ، (ت ١٠٩٨هـ) ، الأربعين في إمامة الإئمة الطاهرين ، تح مهدي الرجائي ، ط ١ ، مطبعة الامير ، (١٤١٨هـ) ، ص ٥٠٢ .

(٤) الجرجاني ، عبد القادر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ) ، ديوان الحماسة ، تح د. محمد النتنجي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٩٩٥م) ، ص ٢١٣ .

(٥) البسوي ، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ) ، المعرفة والتاريخ ، تح د. أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد / ١٩٧٤م) ، ص ٣٥ .

(٦) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٥ ص ١٧ .

(٧) الكركي ، علي بن الحسين (ت ٩٤٠هـ) ، رسائل الكركي ، تح محمد الحسون ، ط ١ ، مطبعة الخيام ، مكتبة آية الله المرعشي ، (قم / ١٤٠٩هـ) ، ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٨) الراوي ، العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ١٢٤ .

(٩) الطائي ، نجاح ، هل قتل معاوية علناً ، ط ١ ، دار الهدى لإحياء التراث ، (لندن / ٢٠٠٤م) ، ص ١٦٢ .

(١٠) أبي الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ) ، المختصر في اخبار البشر ، تع محمود يوب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٧هـ) ، ج ١ ص ٢٦٨ .

(١١) القلقشندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ص ١٢١ .

(١٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١١١ .

بعد وفاة الخليفة معاوية بن يزيد تضعضعت الأوضاع السياسية في الشام نتيجة اختلاف الأهواء فيها ، ليس بين الأمويين أنفسهم فقط وإنما بين القبائل العربية في من يكون خليفة للمسلمين فهناك الفرقة الزبيرية والفرقة البحدلية هوام لبني أمية والباقيون لا يبالون لمن كان الأمر من بني أمية^(٤) .

استغل عبدالله بن الزبير هذا الوضع بعد أن عرف بعدم وجود منافس له فكتب إلى الضحاك بن قيس الفهري وكان صاعياً إليه وقد كاتبه فبعث إليه بعهد كتاباً من قبله يدعو إلى طاعته^(٥) ، وبعث إلى النعمان بن بشير الأنصاري بعهد على حمص وكان النعمان مائلاً إليه ، وولي ناتل بن قيس الجذامي* في فلسطين بعد أن طرح عليه فكرة أن يكفيه قومه من فلسطين وكان ناتل عند عبدالله بن الزبير في الحجاز فقال له عبدالله : " ألا تكفيني قومك فخرج ناتل حتى أتى فلسطين " ^(٦) .

يبدو إن عبدالله قد كاتب واخذ بيعة أمراء الأجناد في الشام في الوقت الذي لم يكن عندهم خليفة أو من ينوب عنه ولم تكن في أعناقهم بيعة للأمويين ولعل هذا السبب هو الذي جعل الضحاك لا يظهر بيعته أمام الأمويين أو أمام بني كلب في دمشق في الوقت الذي كان دور حسان بن مالك الكلبى يظهر إلى الساحة السياسية بالدعوة لابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية^(٧) .

في الجهة المقابلة له وقف الحصين بن نمير السكوني الذي اخبر مروان بن الحكم بعد رجوعهما من مكة إلى الشام بأنه عرض البيعة على عبدالله بن الزبير فرفض ذلك، لذا فقد حذر الحصين مروان من احتمال مجيء ابن الزبير إلى الشام وخوفه منه ، ويبدو لنا ذلك من خلال نصيحته عندما قال له : "نراكم في اختلاط شديد فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شامكم ، فتكون فتنة عمياء صماء"^(٨) ، وربما جاءت هذه النصيحة نتيجة حرص الحصين على بقاء الخلافة في الشام دون غيرها من الأمصار الإسلامية الأخرى وبالأخص الحجاز.

فكان أول من خالف فيها من الأمراء هو النعمان والي حمص الذي دعا إلى بيعة عبدالله بن الزبير^(٩) ، وثار زفر بن الحارث* على حسان بن بحدل الكلبى في قنسرين** وأخرجه منها وباع لعبدالله بن الزبير وكان زفر سيد قيس في زمانه^(١٠) وقال على المنبر : " الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر

(٤) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ، ج ٢٦ ص ٢٠٣ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٧ .

*ناتل بن قيس : ناتل بن زيد بن حيان بن أمري القيس الجذامي ، من التابعين كان سيد جذام بالشام ، شهد صفين مع معاوية . ينظر : المنقري ، وقعة صفين ، ص ٢٠٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ص ٣٤٣ .

(٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

(٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٠ .

(٩) أبى عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٨٥ - أبى عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٦ ص ٢٠٣ - ج ٦٠ ص ٢٢٥ .

*زفر بن الحارث : زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابى أبو الهذيل ، أمير من التابعين بالجزيرة ، روى عن عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . ينظر : الرازي ، الجرح والتعديل ، ج ٣ ص ٦٠٧ - ابن ماكولا ، اكمال الكمال ، ج ٥ ص ١٨١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٤٥ .

**قنسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٤ .

(١٠) الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٤٥ .

«^(٣) ، أما الضحاك فكان يدعو إلى بيعة ابن الزبير في دمشق سرّاً^(٤) لوجود بني أمية والقبائل الكلبية إلى جانبه^(٥) .

لذلك يبدو لنا إن الناس قد انقسمت أهواؤهم إلى قسمين أحدهما لهم هوى في بني أمية وهم أتباع حسان بن مالك الكلبى والقسم الآخر لهم هوى في ابن الزبير وهم أتباع الضحاك بن قيس الفهري ، فما كان من حسان إلى إن قام خطيباً في أهل الأردن وأراد من خلال هذه الخطبة أن يكسب ود أهلها بعد أن وضع لهم أن ابن الزبير منافق وإن قتل أهل الحرة من أهل المدينة في النار^(٦) واستطاع من خلال هذه الكلمات أن يكسب بيعة أهل الأردن له على أن يجنبهما الغلامين*** من أبناء يزيد^(٧) .

وهكذا لاحظت في الأفق بوادر الحرب الأهلية في الشام لرغبة أهل الأردن من الأمويين والمواليين لهم من القبائل العربية اليمانية بأن تكون الخلافة أموية في الشام ورغبة أمراء الأجناد في الشام بأن تكون الخلافة زبيرية في الحجاز .

٦. الأوضاع السياسية في الشام بعد وفاة معاوية بن يزيد

لما مات الخليفة معاوية بن يزيد مال أكثر الناس إلى عبدالله بن الزبير وقالوا هو رجل كامل السن وقد نصر أمير المؤمنين عثمان (رضي الله عنه) وهو ابن حواري رسول الله (ﷺ) وأمه بنت أبي بكر بن أبي قحافة وله فضل في نفسه ليس لغيره^(١) .

(٣) الاصفهاني ، الاغانى ، ج ١٩ ص ٢٠٨ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١ ص ٤٥ - احمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج ٣ ص ٣٥٣ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٨٥ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

*** الغلامين ، خالد وعبدالله أبناء يزيد بن معاوية . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٦ ص ١٠٧ .

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

فعندما ورد كتاب ابن الزبير إلى الضحاك بتوليته دمشق سارع أهلها بإعلان الطاعة والبيعة له فأخذها عليهم بينما انخل حسان بن مالك الكلبى إلى فلسطين فأقام بها وكان يدعو إلى خالد بن يزيد^(١) ، لذلك أرسل ابن الزبير ناتل بن قيس من أجل إخراجها منها ليسهل عليهم متابعتها ومن ثم حربه فعندما جاء ناتل إلى فلسطين قال لحسان : " أما أن تخرج من بلاد قومي وأما أن ادخل عليك فأقاتلك " (٢) ، فعندها أدرك حسان أن هوى أهل فلسطين في ابن الزبير أقوى من هوى بني أمية ، لذلك خرج منها متوجها نحو الأردن حيث ترك نائبه عليها روح بن زنباع الجذامي الذي ثار عليه ناتل وأخرجه من فلسطين وباع لابن الزبير^(٣) ، ولم يبق أمام الأمويين ومواليهم سوى الأردن لإعادة تنظيم صفوفهم ضد ابن الزبير .

فبعدها وصل حسان الكلبى إلى الأردن أدرك أنه لابد من إنهاء أمر ابن الزبير فيها ، لذلك خطب فيهم خطبته فقال : " ... ، أن الزبير في شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة لجماعة المسلمين فانظروا رجلاً من بني حرب فبايعوه " (٤) ، وفعلاً كانت استجابتهم له سريعة بسبب منزلته العظيمة فيهم ، فقال رجال بني أمية بعضهم لبعض : " أن الملك كان فينا أهل الأردن فانتقل عنا إلى الحجاز ، لا نرضى بذلك ، هل لكم أن تأخذوا رجلاً منا فينظر في هذا الأمر " (٥) .

والذي يبدو لنا أن أهل الأردن ولاسيما بني أمية والقبائل اليمانية الموالية لهم كانت تكره انتقال الخلافة إلى الحجاز ، لذلك كانوا شديدي الحرص على بقائها في الشام فوحدوا كل خلافتهم في مؤتمرهم* بعد أن وجدوا أنفسهم أمام خطر يهددهم .

٧. يوم جيرون

بعد مجيء حسان الكلبى من فلسطين إلى الأردن اخذ يدعو إلى بني أمية " قال لهم : ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلى الحرة ؟ قالوا : نشهد أنه منافق وإن قتلى الحرة في النار " (١) ، والذي يتبين لنا أن حسان أراد ربط أحداث الحرة بأحداث الشام آنذاك باعتبار ابن الزبير لا يزال موجوداً وخليفة في الحجاز واخذ الناس تباع له في الشام ، لذلك اخذ يذكرهم بقتلهم في واقعة الحرة وبالنتيجة استطاع أن

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٤ ص٢٦٥ .

(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٥ ص١٢٨ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١ - الفلقشدي ، صبح الاعشى في صناعة الانشى ، ج١ ص٤٥٠ .

(٤) أبين عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٥ .

(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٤ .

*مؤتمر الجابية : سيتم بيان ذلك في الصفحات الآتية .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٤٦ .

يكسب ثقة وود أهل الشام بهذه الكلمات بسبب منزلته الكبيرة والرفيعة عندهم^(٢) ومن ثم استطاع اخذ بيعتهم لذلك قالوا له : " نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك وأطاع ابن الزبير " (٣) ، عند ذلك كتب حسان الكلبي إلى الضحاك الفهري " يعظم فيه حق بني أمية وحسن بلائهم عنده ، ويذم ابن الزبير وانه خلع خليفتين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس " (٤) ، والذي يتبين لنا أن حسان بن مالك الكلبي أدرك بأن الضحاك كان يبايع الناس بدمشق لابن الزبير (٥) ، لذلك أرسل إليه كتابه الذي أمره بقراءته على الناس ، وما إرساله كتاباً آخر بيد ناغظة* إلا دليل آخر على ذلك " إن قرأ الضحاك كتابي على الناس كان بها ، والا فقم وأقرأ هذا الكتاب عليهم " (٦) .

وحدث ما توقعه حسان فقد اعتلى الضحاك المنبر يوم الجمعة^(٧) ، ولم يشر قط إلى موضوع الكتاب الذي تسلمه من حسان بالرغم مما كان يتظاهر به الضحاك أمام القبائل اليمانية وشيعة بني أمية من انه أموي الهوى^(٨) .

عندئذ قام مبعوث حسان وقرأ كتابه على المجتمعين ولم ينته حتى تعالت الأصوات من بعض الجوانب فقال الوليد بن أبي سفيان " صدق حسان وكذب ابن الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبي النمس** ، فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير " (٩) ، لكن أبا رجاء عمر بن يزيد الحكمي اظهر تأييده لابن الزبير وشتم حسان بن مالك وكذبه^(١) وكان من نتيجة هذه الأوضاع اضطراب الناس في المسجد ، لذلك أمر الضحاك بحبس الوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الكلبي^(٢) .

ويبدو إن الأحداث التي وقعت كانت نتيجة التعصب القبلي ودليل ذلك إن قبيلة كلب جاءت فأخرجت سفيان وجاءت قبيلة غسان فأخرجوا يزيد^(٣) ، فعند ذلك قال الوليد لو كنت من كلب أو غسان أخرجت ، لذلك جاء خالد بن يزيد وأخوه عبدالله ومعهما اخوالهما من كلب فأخرجوا الوليد^(٤) ، فكان هذا اليوم عند أهل الشام يسمونه يوم جيرون* الأول^(٥) ، ومن أبرز نتائج هذا اليوم هو انقسام الشام إلى قسمين ،

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٦ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣١-٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٨ .

*ناغظة : ناغظة بن كريب الطابخي . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٦ ص ٢٠٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ ، لكنه يذكر ان أسمه باغظة - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٦١١ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٨) الاصفهاني ، الاغانى ، ج٩ ص ٢٠٨ .

**يزيد بن أبي النمس : الأسود بن المعد بن شراحيل الغساني ، وكان قد أرتد عن الإسلام ثم عاود وشهد صفين مع معاوية وعاش إلى أيام عبدالملك . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٥٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٦ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٦ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٤٧ .

(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٣ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ص ١٥٦ .

*جيرون : باب من أبواب دمشق ، اختلف في بانيها ويقال ان جيرون بن سعد بن عاد هو الذي بناها وعلق عليها رؤوس

الصالحين من امثال نبي الله يحيى بن زكريا (ت) والإمام (ت) . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ص ٩٥-١٠٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص ١٤٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٦١١ .

يتمثل القسم الأول بالقبائل اليمانية والكلبية بصحبة حسان بن مالك الكلبي ، والأخرى القيسية بصحبة الضحاك بن قيس الفهري وكل منها ترى نفسها أحق من غيرها^(٦) .

ثانياً . المجابية* أسبابها ومجريات أحداثها

(٦) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج١ ص٤٨٩ .
 * المجابية : قرية من قرى دمشق ، قيل عنها حوض يجتبى فيها الماء ، أو الأرض النزهة البعيدة عن الوباء . ينظر :
 الجوهري ، الصحاح تاج اللغة ، ج٤ ص١٥٤٦ - أبن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٥ ص٤٣ - القرطبي ، الجامع
 لاحكام القرآن ، ج٣ ص٣٠ - الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) ، فتح الغدير ، مطبعة عالم الكتب ، (بلات) ،
 ج٤ ص٣١٧ .

٣. أسباب مؤتمر الجابية

تجمعت أسباب عدة لعقد هذا المؤتمر ولكن أبرزها هي :

١. طرد بني أمية من المدينة بعيالاتهم ونسائهم إلى الشام بأمر من عبد الله بن الزبير إلى واليها فقدموا دمشق وفيهم مروان بن الحكم^(١).
٢. هروب عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام والذي كان يتخوف من الهلاك في حالة تولي غير بني أمية الخلافة^(٢) ، لذلك فإنه قد أدى دوراً كبيراً في الأحداث السياسية لهذا الإقليم فاستطاع من إقناع الضحاك بأن يدعو الناس إلى بيعته وقال له : " يا أبا أنيس العجب لك وأنت شيخ قريش تدعو لابن الزبير وتدع نفسك وأنت أرضى عند الناس منه " ^(٣) ، مما ولد عند أنصار الضحاك حالة من الاستياء فقالوا له : أخذت بيعتنا وعهودنا لرجل ثم دعوتنا إلى خلعه من غير حدث أحدثه^(٤) ، ثم عاد الضحاك بعد كلامهم هذا إلى البيعة لابن الزبير وبهذا وجد أنصاره تذبذب في شخصيته ، إضافة إلى أنه استطاع إقناع مروان بن الحكم عن العودة عن مبايعة عبدالله بن الزبير حينما قال له : " انك على حق وابن الزبير على باطل " ^(٥).
٥. رغبة الكلبيين ومواليهم من القبائل اليمانية في إبقاء الخلافة في بني أمية ثم إلى خالد بن يزيد من بعده لأنه ابن أختهم^(٦) ، على أن لا يتم انتقال مقر الخلافة من الشام إلى الحجاز ، فعلى سبيل المثال إن حسان بن مالك الكلبي بعد وفاة معاوية بن يزيد كان يدعو لنفسه تارة ، ولابن أخته تارة أخرى ، ولكن حينما وجد أن رغبة أهل الأردن في بيعه مروان بن الحكم فإنه أعلن بيعته وموافقة على الرغم مما كان يدعو إليه على شرط عدم انتقال الخلافة إلى الحجاز .

٤. مجريات مؤتمر الجابية

بعد أن أيقن حسان بن مالك الكلبي إن عموم مناطق إقليم الشام عدا الأردن كان توجههم نحو ابن الزبير ، سار في قبيلة كلب حتى نزل الجابية فاجتمع إليه بها أشراف ورجال قبائل اليمن* وصار إليه

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٠٦-١١ .

(٣) أبين عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٦ ص٢٠٤ - المقرئزي ، النزاع والتخاضم ، ص٥٤ .

(٤) أبين عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٦ ص٢٠٤ .

(٥) أبين عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٦ ص٢٠٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣١-٥٣٢ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٤٦ .

* رجال قبائل اليمن : الحصين بن نمير الكوني ، روح بن زنباع الجذامي ، زميل بن عمرو العذري ، عبدالله بن مسعدة الفزاري ، عبدالله بن عضاة الأشعري وأبو كبشة صيويل بن يسار السكسي . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٢٨ .

مروان بن الحكم وخالد بن يزيد وعمر بن سعيد الأشدق ، وكان حسان قد دعا قوماً من أهل البلقاء** واذرعات*** إلى الجابية فأجابوه^(١) ، وهذا يدل لنا على ان القوة السياسية لبني أمية كانت تتوزع في دمشق متمثلة بابن زياد وبتدمر*** متمثلة ببني أمية^(٢) .

لكن هل كان هناك طموح لحسان الكلبى بالوصول إلى الخلافة ؟ أم أنه كان يريد لها لابن أخته خالد ؟ وكيف انتهت مقررات المؤتمر بانتخاب مروان بن الحكم الذي لم يكن معروفاً عند أهل الشام ؟

بالنسبة إلى حسان الكلبى فقد اختلف المؤرخون واللغويون في ذلك ، فيرى ابن عبدربه^(٣) إن حسان قد نصح الناس إلى انتخاب رجل من بني حرب فبايعوه ، بينما يذكر بعض المؤرخين^(٤) إن حسان سلم بالخلافة أربعين ليلة ثم سلم الأمر إلى مروان بن الحكم ، ويرى ابن الأثير^(٥) إن حسان كان يدعو إلى بني أمية ، أما ابن كثير^(٦) فيقول إن حسان كان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد .

ونرى إن الرأي الثاني هو الأكثر صواباً لوجود رغبة لديه بالوصول إلى الخلافة ومن الأدلة على ذلك هي :

٥. صلاته بالناس أربعين يوماً والناس يتشاورون^(٧) .

٦. قد عبر عبدالرحمن بن الحكم اخو مروان عن تلك الرغبة حينما قال شعراً في ذلك^(٨) :

وما الناس إلا بحدلي عن الهوى والا زبيري عسى فتزبرا

وهناك من قال من بعض الكلبيين^(٩) :

نزلنا لكم عن منبر الملك بعدما ضللتكم وما أن تستطيعون منبرا

هذا فضلاً عن دور حسان في تحذير أهل الأردن والأمويين ومواليهم من انتخاب مروان بسبب تخوفه من انتقال الخلافة من الفرع السفيفاني إلى الفرع المرواني ، لذلك قال عنه " إن مروان أبو عشرة ، واخو عشرة ، فأن بايعتم له كنتم عبيداً لهم "^(١٠) .

** البلقاء : كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى بها قرية الجبارين ومدينة الشراة وبها الكهف والرقيم ، وفيها مزارع واسعة وتمتاز بجودة خطتها ويضرب بها المثل . ينظر : البغدادي ، المنمق ، ص ١٥٤ - القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت / ١٩٦٠ م) ، ص ١٥٦-١٥٧ .

*** اذرعات : بلد في اطراف الشام ، يجاور ارض البلقاء وعمان ، ينسب اليه الخمر . ينظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٣٠ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٨ .

**** تدمر : مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١٧ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨١٣ .

(٣) العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٤ .

(٤) ابن عسك ، تاريخ مشق ، ج ١٣ ص ٣١٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٢ ص ١٧٦ .

(٥) الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

(٦) البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨١٣ .

(٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١٣ ص ٣١٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٧ .

(٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٣٢ .

(٩) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١٣ ص ٣١٧ .

(١٠) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ .

كان الناس في الجابية لهم أهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني* فكان يهوى أبناء يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم^(٤) ، لأنه كان يرى فيهم مستقبله السياسي^(٥) ، لذلك قال للحصين : " وقد عرفت منزلتنا من أبيه فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً " ^(٦) ، وأما الحصين بن نمير السكوني فقد رفض هذا المرشح كونه صبياً ، لذلك قال : " لا لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ " ونأتيها بصبي ^(٧) ، وهناك محاوراة أخرى بين ابن عضاة الأشعري وحسان بن مالك الكلبي كان الغرض منها أن يبرهن ابن عضاة الأشعري بأن خالد بن يزيد ليس أهلاً للخلافة ولا يستحقها ، فيذكر البلاذري^(٨) إن ابن عضاة الأشعري قال لحسان بن مالك الكلبي : أراك تريد هذا الأمر - الخلافة - لخالد بن زيد وهو حدث السن ، فقال له : انه معدن الملك ومقر السياسة والرئاسة ، مما حدا بالأشعري ونظرائه أن يأتوا إلى خالد بن يزيد فوجدوه نائماً متصبحاً فقال : يا قوم أنجعل نحورنا أغراضاً للأسنة والسموم بهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة ، وإنما صاحب هذا الأمر المجد المثمر الحازم المتيقظ ، ثم أتوا إلى مروان بن الحكم فوجدوه " فآلقاه في فسطاط له وإذا درعه إلى جانبه والرمح مركز بفتانه وفرسه مربوط إلى جانب فسطاطه والمصحف بين يديه وهو يقرأ القرآن الكريم ، فقال ابن عضاة : يا قوم هذا صاحبنا الذي يصلح له الأمر وهو ابن عم الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وشيخ قريش وسنها " .

فرجعوا إلى حسان فأخبروه بخبر خالد ومروان واعلموه إنهم يجمعون على مروان لأنه كبير قريش وشيخها وقال حسان رأيي لرأيكم تبع^(٩) .

وهناك دور لروح بن زبناغ الجذامي إذ خطب بالناس وذكر في خطبته إن عبدالله بن عمر بن الخطاب بالرغم من انه من صحابة رسول الله (ﷺ) وقدمه في الإسلام إلا انه رجل ضعيف وليس بصاحب امة محمد بالضعيف^(١٠) ، لكن أبى الجذامي لم يعلم أن عبدالله بن عمر رفض أمر الخلافة لأنه لا يريد أن يقتل رجلاً واحداً بسببها^(١١) ، ثم أكمل الجذامي خطبته وجاء إلى ذكر سيرة عبدالله ابن الزبير فقال للناس عنه بالرغم من فضله في الإسلام لكنه منافق خلعت خليفتين* وسفك الدماء وشق عصي المسلمين وليس صاحب امة محمد المنافق ، وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع قط ، إلا

*مالك بن هبيرة : مالك بن الحارث بن بكر بن ثعلبة بن عقبة بن السكون وكان شريفاً بالشام . ينظر : أبى حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٣٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٧-١٤٨ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ .

**الشيخ : المقصود به مروان بن الحكم ، والصبي هو خالد بن يزيد بن معاوية . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ .

(٨) انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٢٨-١٢٩ .

(٩) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٢٩ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ - أبى أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٦ ص ١٦١ .

(١١) ابن أبي الدنيا ، الاشراف في منازل الاشراف ، ص ٥ .

*خليفتين : يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، لكن يرى الطالب بأنه لم تكن هناكبيعة له في عنقه وقد اشار ابن الزبير الى ذلك . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٦ - الاصفهاني ، محاضرات الادباء ، ج ١ ص ٩٣ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٦ .

كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار والذي قاتل علي يوم الجمل ، وإنا نرى أن يبايعوا الكبير ويستشبهوا الصغير^(٤) .

وبهذه السياسة الإعلامية التي زرعتها الأمويون في قادة الشام استطاعوا أن يغيروا الأهواء في كثير منهم لذلك جاءت بيعتهم لمروان بن الحكم وفق انتخابات ظاهرية تحمل آثار الديمقراطية لكن في باطنها كثير من الاتفاقيات والمعاهدات والمصالح لكل الأطراف الموجودة في الجابية ومن أهم هذه الاتفاقيات هي :

٩. أن الحصين بن نمير السكوني كان قد اشترط على مروان أن ينزل البلقاء من كان بالشام من قبيلة كندة وأن يجعلها لهم مأكله فأعطاه ذلك^(٥) .

١٠. اشترط عمرو بن سعيد على مروان " أدعو الناس إليك ، وأخذها علي أن تكون الخلافة لي من بعدك ، فقال مروان : لا ، بل بعد خالد بن يزيد فرضي عمرو بذلك " ^(٦) .

١١. ذكر بعض المؤرخين^(٧) أن الحصين بن نمير ومالك بن هبيرة قد اشترطا على مروان شروطاً لهم ولخالد بن يزيد ، فلما توطن ملكه قال ذات يوم ومالك عنده " أن قوما يدعون شروطاً ، منهم عطارة مكحلة يعني- مالك بن هبيرة - كان يتطيب بها ويتكحل ، قال مالك : هذا ولما تردى تهامة ويبلغ الحزام الطيبين ، فقال مروان : مهلاً يا أبا سليمان إنما داعبناك " . ويبدو من هذا أن مروان أراد معرفة هوى وفطنة مالك السياسية ، وهذه الشروط نفذها لهم مروان لأنها لا تقف في طريق تحقيق رغباته وطموحه .

١٢. اشترط حسان بن مالك الكلبي وكان سيد قحطان بالشام على مروان ما كان لهم من الشروط على الخليفة معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية منها " أن يفرض لهم لألفي رجل ألفين ألفين ، وإن مات قام ابنه أو ابن عمه مكانه وعلى أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منهم ومشورة " ^(٨) ، والذي يبدو أن سياسة التمييز في العطاء بين القبائل الكلبية والقبائل القيسية كانت من أسباب كره القبائل الأخيرة لحكم بني أمية في الشام .

بعد أن عرفنا كيف جرت الاتفاقيات والشروط ، لابد لنا أن نعرف كيف تمت البيعة لمروان بن الحكم بالخلافة في هذا المؤتمر ، اختلف المؤرخون في ذلك ، فيرى البعض^(٩) منهم إن خالد بن يزيد قال عنها " أمر قضي لبيل " ، وجاءت مقولته هذه بعد أن خطب عبدالعزيز بن مروان بن الحكم وقال : ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان كبير قریش وسيدها . بينما يرى الطبري^(١٠) " أن أهل الأردن قالوا لمروان : أنت شيخ كبير وابن يزيد غلام وابن الزبير كهل ، ... ، أبسط يدك فبسطها ، فبايعوه " . والذي يبدو أن الرأي الأول هو الاصول لسببين :

٥. أن روح بن زنباع الجذامي قال لمروان بن الحكم أن معي أربعمائة من جذام ، فأنا أمرهم أن يتقدموا في المسجد غداً ، وأمر أنت ابنك عبدالعزيز أن يخطب الناس ويدعوهم إليه فإذا فعل ذلك تنادوا من كل جانب في المسجد : صدقت ، صدقت فيظن الناس إن أمرهم واحد^(١١) .

٦. رغبة المبايعين لمروان بن الحكم في أن يسير بهم بسيرة الخليفة معاوية وابنه يزيد وقد أوضحوا ذلك حينما قالوا لمروان : " انه ليس لك في أعناقنا بيعة ، وليس نقاتل إلا عن عرض

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٦ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٤٨ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٤٤ .

(٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٨٥ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٤٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص١٥٤ .

(٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٨٦ .

(٩) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٩١ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٤ ، لكنه يذكر كلمة غير بدلاً من كلمة قضى .

(١٠) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٣٤ .

(١١) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٩١ - ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٤ .

- دنيا ، فإن تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك ، وإن تكون الأخرى فوالله ما قريش عندنا إلا سواء ^(٥) .
- هذا فضلاً عن الشروط والاتفاقيات التي سبق ذكرها قبل قليل ، لذلك تم توحيد الأمويين في هذا المؤتمر الذي خرج بمجموعة من النتائج المهمة أبرزها :
٧. البيعة لمروان بن الحكم في ثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين ^(٦) علي أنه خليفة الأمويين في الشام ثم إلى خالد بن يزيد من بعده ثم لعمر بن سعيد بن العاص ^(٧) ، على أن تكون إمرة دمشق لعمر بن وإمرة حمص لخالد بن يزيد ^(٨) .
 ٨. تحقيق رغبة الكلبيين بشكل عام ببقاء الخلافة في الشام حصراً من دون نقلها إلى الحجاز وقد عبر حسان الكلابي عن هذه الرغبة عندما بايع لمروان فقال : " إنما كرهت أن تعدل الخلافة إلى ابن الزبير وتخرج من هذا البيت " ^(٩) .
 ٩. عجز حسان بن مالك الكلابي بالتوصل إلى أمر خالد بالخلافة وهذا ما عبر عنه خالد حينما قال لحسان : " ... ، أن الناس أبوك لحدثة سنك ، ... ، وما أبايح مروان إلا نظراً لكم فقال له خالد بن يزيد : بل عجزت عنا " ^(١٠) .
- والذي يتبين لنا أن هذا المؤتمر قد سن سنة شكلت فيما بعد خطراً على الخلافة الأموية ، فقد بدأت أول بوادر تعيين أكثر من ولي عهد للخليفة في آن واحد من خلال الاتفاقيات .

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٦ .

(٦) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ج ٦٠ ص ٢٢١ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٩ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٢ .

(٧) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٦ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ١٢٩ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٨ .

ثالثاً. مرج راهط وتائجها

١. معركة مرج راهط

بعد أن بايع أهل الأردن وموالوهم لمروان بن الحكم سار بهم إلى الجابية حتى نزل مرج راهط* ، على الضحاك بن قيس الفهري في أهل الأردن من كلب ، وافته السكاسك** والسكون*** وغسان^(١) ، وكان الضحاك قد خرج إلى المرج بفضل دهاء ابن زياد حينما أشار عليه بقوله أن من يريد الخلافة لا يبقى في الحصون وإنما يخرج إلى الصحراء^(٢) ، وفعلاً سمع الضحاك نصيحة ابن زياد المخدعة مما وفر الجو المناسب ليزيد بن أبي النمى الذي كان مختبئاً بدمشق^(٣) ، ولم يشهد الجابية^(٤) ، والذي ثار بدمشق فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح فكان أول فتح لبنى أمية^(٥) ، ولهذا النصر أهمية كبرى كونه أعطى لمروان مغنويات مادية ومغنوية كبيرة في دمشق كان يحتاج إليها مروان بسبب عدم وجود قاعدة مناصرة له

* مرج راهط : موضع في الغوطة من دمشق من شرقيه بعد مرج عذراء ، إذا منت في القصير طالباً لثنية القصاب تلقاء حمص فهو عن يمينك . ينظر : ابن قتيبة ، هامش الإمامة والسياسة ، ص ١٩٢ - الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٠١ .
** السكاسك : بطن من قبيلة كندة يرجع نسبها إلى سكسك بن أشر من بن كندة ، وهي من قبائل اليمن التي سكنت الشام . ينظر : ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت ٨٣٨هـ) ، الفهرست ، تح محمد أحمد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، (بلات) ، ص ١٤١ - البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ص ١٨ - السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ) ، لب الباب في تحرير الانساب ، دار صادر ، (بيروت / بلات) - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ١٠٥ - عمر كماله ، معجم قبائل العرب ، ج ٢ ص ٥٢٧ .
*** السكون : بطن من قبيلة كندة يرجع نسبها إلى اشرس بن ثور بن كندة أخر السكاسك وهي من قبائل اليمن . ينظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٤١ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ١٠٦ - عمر كماله ، معجم قبائل العرب ، ج ١ ص ٩٩ .
(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٤٩ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦١٣ .

في الشام قبل قدومه ، ولربما عدم وجود هذه القاعدة وقلة أنصاره كانت وراء لجوئه إلى بيعة عبدالله بن الزبير في أول الأمر^(١) .

أما في الجهة الأخرى فهناك الضحاك بن قيس الفهري ومعه ألف فارس ثم استمد قوات أخرى من الأجناد التابعة له فأمدّه النعمان بن بشير الأنصاري وهو على حمص بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص ، واستمد أيضاً زفر بن الحارث وكان على قنسرين وكان سيد قومه في زمانه^(٢) ، فأمدّه بأهل قنسرين ، وأمدّه نائل بن قيس الجذامي بأهل فلسطين فاجتمعوا عنده لمناصرة عبدالله بن الزبير^(٣) .

والذي يبدو لنا إن نفوذ ابن الزبير السياسي قد شمل أغلب مناطق الشام وخاصة القبائل القيسية منها .

والتقى جيش الضحاك الذي كان في ثلاثين ألفاً^(٤) ، مع جيش مروان الذي كان في ثلاثة عشر ألفاً^(٥) ، في مرج راهط في النصف من ذي الحجة سنة أربع وستين^(٦) ، وتحاربوا عشرين يوماً^(٧) ، يلتقون في المرج كل يوم فيقتتلون قتالاً شديداً وبسبب قوة الضحاك وأنصاره أشار عبيدالله بن زياد على مروان بقوله انك على حق وابن الزبير ومن معه على باطل وهم أكثر منا عدداً وعدة ، ومع الضحاك فرسان قيس واعل^(٨) .

لا تنال منهم ما تريد إلا بمكيدة وإنما الحرب خدعة فادعهم إلى المودعة ، فإذا امنوا وكفوا عن القتال فكو عليهم^(٩) .

وفعلاً تم التوصل بينهما إلى المودعة وامسك الضحاك والقبائل القيسية الملحقة به عن القتال وهم يطمعون أن يبايع مروان لابن الزبير وقد عد مروان خطة لم يشعر الضحاك وأصحابه إلا والخيل قد شدت عليهم ففزع الناس إلى راياتهم من غير استعداد وقد غشيتهم الخيل ، وصبر الضحاك وقاتل قتالاً بليغاً لكنه قتل في المعركة قتله زحمة بن عبدالله بن كلب ، وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فر أنصار الضحاك بين يديه^(١٠) ، وقتل مع الضحاك ثمانون رجلاً من أشرف أهل الشام كلهم كانوا يأخذون القطيفة* ، وقتلت القبائل القيسية مقتلة لم تقتل مثلها في موطن قط^(١١) .

والذي يبدو إن مروان قد اعد لهذه المعركة أعداداً كبيراً ، فيذكر ابن عبد ربه^(١٢) إن مروان بن الحكم قال عندما نزل إلى ساحة القتال " قبح الله من ولاهم اليوم ظهره ، حتى يكون الأمر لإحدى الطائفتين "

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨١٣ .

(٢) ابن ماكولا ، الكمال في رفع الأرتياح ، ج ٧ ص ٢٧٣ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٤٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٠ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ - المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٦ - ابن كثير ، البداية والنهاية ،

مج ٤ ص ٨١٣ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ - خليفة ، تاريخ خليفة ، ج ١ ص ٢٥٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ،

مج ٤ ص ٨١٣ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨١٣ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج ٧ ص ٤٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ - ابن الأثير ، الكامل ،

ج ٤ ص ١٥٠ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٣٧ .

(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٨١٣ .

* القطيفة : وهي كل ثوب له خمل من أي شيء كان ، وقيل الخميل الأسود من الثياب . ينظر : ابن الأثير ، النهاية في

غريب الحديث ، ج ٢ ص ٨١ - الشيخ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج ١ ص ٧٠٤ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٠ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٤٥ .

(١١) العقد الفريد ، ج ٤ ص ٣٩٦ .

، وهذا دليل آخر على رغبته بالقتال ضد الضحاك والقبائل القيسية إضافة إلى أنه قد خدع وماكر خصمه من أجل دحرهم في المعركة ، وما قاله مروان عندما تقدم لقتالهم^(٩) إلا تأكيد لذلك .

لما رأيت الأمر أمراً نهياً سيرت غسان لهم وكلبا

والسكسين رجالاً غلبا وطيناً تأباه إلا ضربنا

لكن هل ندم مروان على تلك المعركة فيقول البعض من المؤرخين^(١) ، إن مروان بن الحكم ساء عندما رأى رأس الضحاك وقال : " الآن حين كبرت سني ودق عظمي وصرت في مثل ظم الحمار* أقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض " ، ويرى ابن كثير^(٢) إن مروان عندما رأى رأس الضحاك بكى ، وهذه الروايات على اختلافها إلا إنها تدلل لنا بأنه اظهر أمراً مهماً ليس الندم وإنما الأمر جاء إليه بعد أن كبر سنه ليس إلا .

٢ . نتائج معركة مرج راهط

ابرز ما يمكن أن نخرج به من نتائج من هذه المعركة هي :

- ١١ . إن أنصار الضحاك ليسوا من القبائل القيسية فقط بل هناك مالك بن يزيد الكلبي** وعبدالله بن معاوية بن أبي سفيان^(٣) ، وهذا يوضح لنا انقسام الولاء السياسي داخل القبيلة الكبيرة والبيت الأموي ووقوفهم ضد الخلافة الأموية .
- ١٢ . شجاعة وصبر أنصار مروان بن الحكم في القتال وقد عبّر عن ذلك زفر بن الحارث بشعر واصفاً صبرهم وشجاعتهم^(٤) :
سقيانهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت اصبر

- ١٣ . استقرار الخلافة في الشام لمروان بن الحكم بشكل مطلق بعد قتل الضحاك وأنصاره من القبائل اليمانية في موقعة مرج راهط^(٥) .

(٩) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص ٨٥ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص ١٣٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٨ - ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٥٠ - القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الأنشئ ، ج١ ص ١٧٨ .

*ظم الحمار : أنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمناً من الحمار وتعني (الاظماء) ، هي الأيام التي تنظم فيها الابل أي تعطش لا ترد الماء قالوا : والحمار لا يصبر أكثر من غب . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ص ١٧٨ .

(٢) البداية والنهاية ، مج٤ ص ٦١٤ .

**مالك بن يزيد : مالك بن يزيد بن مالك بن كعب من بني عليم الكلبي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٣٨ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص ٣٩٧ .

(٤) المقرئزي ، ديوان الحماسة ، ج١ ص ٤٦ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٥٠ - الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٣ ص ٣٧٣ .

١٤. ضعف شخصية الضحاك كانت من أبرز أسباب خسارته وأنصاره في المعركة كونه دعا الناس إلى بيعه عبد الله بن الزبير باديء الأمر ومن ثم دعا لنفسه مما جعله يفقد ثقة أنصاره^(١)

١٥. إن واقعة مرج راهط كانت الشرارة الأولى التي أشعلت نار العداوة المباشرة بين مضرية الشام التي كانت تمثلها قبيلة قيس وبين القبائل اليمانية فيها وكثرتها من كلب^(٢) ، وما التفاخر بشعراء كلب وأحلافهم بما تحقق لهم من النصر على القيسية^(٣) إلا دليل على ذلك .

(١) المزي ، تهذيب الكمال ، ج ٣ ص ٤٧٧ .

(٢) محمد حامد ناصر ، الحياة السياسية عند العرب ، ص ١٦٩ .

(٣) نعمان القاضي ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ص ٤٨٠-٤٨١ .

مربعاً. خلافة مروان بن الحكم

خلافة مروان بن الحكم

لا ينبغي لنا أن نغفل ذكر طموح مروان بن الحكم في منصب الخلافة بالرغم مما زعمه بعض المؤرخين^(١) انه هم بالسير إلى عبدالله بن الزبير ليباعه ويأخذ منه أماناً لبني أمية ، وقال احد المؤرخين^(٢) انه حرض عبدالله بن عمر ليباع بالخلافة لنفسه لكنه رفض ذلك .

فقد سبق ان وضحنا في الدراسة* كيف انه زور على لسان الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، هذا فضلاً عن خروجه مع أم المؤمنين عائشة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام لقتال الإمام علي (ع) في معركة الجمل ، وأدى دوراً كبيراً في هذه المعركة حيث قتل طلحة بن عبيد الله كونه احد قتلة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)^(٣) وبهذا الأسلوب المخادع حاول الوصول إلى الخلافة آنذاك ولكن وجود الأفضل من الصحابة منعه من أن يظهر نواياه .

وصدق الإمام علي (ع) حينما قال " ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة الكلب انفه " ^(٤) ، لذلك كان معاوية يتخوفه مما جعل ولايته على المدينة لفترات قصيرة وبالتناوب مع سعيد بن العاص وكان يغري بينهما^(٥) ، هذا فضلاً عن حقد مروان على معاوية بسبب اخذ بيعة أهل

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٤ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص١٢٨ - الجرجاني ، ديوان الحماسة ، ج٢ ص٢١٣ .

(٢) ابن أبي الدنيا ، الاشراف في منازل الاشراف ، ص٥ .

* ينظر فص٢ ص٩٥ من هذه الدراسة

(٣) ابن أبي شبة النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، ج٤ ص١١٧ - الشريف المرتضى ، رسائل المرتضى ، ج٤ ص٧٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٦ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦ ص٢٢٧ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٢٩٣ .

الحجاز وولاية العهد لابنه يزيد بدلاً عنه وهذا ما دفع مروان أن يحرض عمرو بن عثمان بن عفان على معاوية بقوله " ما أخذ هؤلاء - يعني بن حرب بني أمية - الخلافة إلا باسم أبيك " (١).

وهناك من الأدلة التي تثبت وجود الرغبة عند مروان بالخلافة منها :

٧. ذكر المقدسي (٢) أن الخليفة معاوية عندما كتب إلى مروان بأخذبيعة أهل المدينة لابنه يزيد بولاية العهد غضب مروان لان معاوية لم يجعل له الامر ، فسار الى الشام فكلمه وجعله ولي عهد يزيد .

٨. ذكر اليعقوبي (٣) عندما وصل مروان الشام وأمرها مضطرب دعا إلى نفسه بالخلافة .
٩. ذكر المسعودي (٤) إن مروان أول من أخذ الخلافة بالسيف كرهاً بغير رضا عصابة من الناس .
٧. إن مروان بعد معركة مرج راهط أخذ يوسع نفوذه على حساب عبدالله بن الزبير فقاد جيش أهل الشام بنفسه إلى مصر (١) ، وبعد ان ضمها إلى الخلافة عين ابنه عبدالعزيز والياً عليها ورجع إلى دمشق (٢) ، وكان قد أخذ بيع أهلها بشكل قسري وانه قتل من رجالها ثمانين رجلاً بسبب امتناعهم عن تركبيعة ابن الزبير (٣) .

٨. إن مروان بعد أن أعاد مصر إلى أحضان الخلافة الأموية (٤) أرسل حملتين عسكريتين أحدهما إلى قرقيسياً* بقيادة عبيدالله بن زياد لمحاربة زفر بن الحارث الهارب إليها من قنسرين (٥) ومن ثم يتوجه إلى العراق لأعادته إلى الخلافة الأموية (٦) ، والحملة الثانية إلى المدينة بقيادة حبش بن دجلة القيني ، فيذكر البلاذري (٧) عن هذه الحملة بأنها من الحملة التي عد لها مروان بجيش عده ستة آلاف وأربعمائة فيهم يوسف بن الحكم الثقفي ومعه ابنه الحجاج بن يوسف بقيادة حبش بن دجلة القيني إلا إن وفاته جاءت بالوقت الذي كان فيه الجيش قد وصل إلى المدينة ، لذلك لم يتابع هذه المهمة التي انتهت أول الأمر بانتصار أهل الشام على أهل المدينة وهروبهم واخذوا منهم الضريبة ، ولم يتمكن أهل المدينة من إخراجهم إلا بعد أن استعان عبدالله بن الزبير بأهل العراق ، فأرسل والي البصرة الحننف بن النحف التيمي** لإنقاذهم وفعلاً استطاع من الانتصار على جيش أهل الشام في يوم الربرة*** .

(١) الزبيري ، نسب قریش ، ج ٤ ص ١٠٩ .

(٢) البدء والتاريخ ، ج ٥ ص ٦ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٨ .

(٤) مروج الذهب ، ج ٣ ص ٨٥ .

(٥) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٩٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٤٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٤ .

(٦) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٦٩ .

(٧) المقرئ ، الخطط المقرئية ، ص ٨٤ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٠ - ابن نما الحلي ، ذوب النصار ، ص ١١٠ .

*قرقيسياً : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصب الخابور على الفرات فهي مثلث بين الخابور والفرات . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٢٨ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥١ .

(١٠) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ع) ، ص ٣٤٩ .

(١١) انساب الأشراف ، ج ٥ ص ١٥١ .

**الحننف بن الحنف : الحننف بن السجف بن سعد بن عون بن زهير بن مالك بن ربيعة بن مالك بن حنظلة ، أمه بنهارة بنت يزيد بن الانوس من بني عيس ، يكنى أبا عبدالله . ينظر : خليفة ، طبقات خليفة بن خياط ، ص ٣٣١ .

***الربرة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها ، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز ، إذا وصلت من فيد تريد مكة ، بها قبر أبي ذر الغفاري . ينظر : ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج ٢ ص ٤٢٧ - الجواهري ، الصحاح ، ج ٢ ص ٥٦٤ .

ومن أهم نتائج هذا اليوم هو إن أهل المدينة قد اخذوا ثأرهم من أهل الشام ، فيذكر البلاذري^(٨) إن المرأة من أهل المدينة تأتي الحننف فتقبل رأسه وتقول شفيت النفوس وثارت لنا بقتلى أهل الحرة .

٩. عدم التزام مروان بالعهود والمواثيق التي اتفق عليها مع خالد بن يزيد بن معاوية وعمرو بن سعيد بن العاص والتي سبق ان تم ذكرها ، وجعل ولاية العهد من بعده لابنيه عبد الملك ومن بعده لابنه عبدالعزيز ، إضافة إلى انه جعل ولاية العهد لاثنتين بدلاً من واحد^(١) وهذا ما أكد رغبته بالخلافة بقائها في البيت الأموي والمرواني حصراً .

١٠. ما ساعد على تنمية هذه الرغبة لدى مروان هم أصحابه عندما قالوا له : لا نتخوف عليك سوى خالد بن يزيد ، فتزوج أمه فأثك تكسره بذلك^(٢) ، لأن أهل الشام كانوا يرون خالد انه البديل المناسب عن أخيه معاوية وبهذا الزواج يضعف في أعين الناس^(٣) .

وان أبرز ما نخرج به من خلال هذا الموضوع :

٩. استقرار الخلافة في الشام لمروان بن الحكم وبهذا تكون الخلافة الإسلامية قد انشطرت إلى نصفين أحدهما في الشام والآخر في الحجاز تحت قيادة عبدالله بن الزبير ، هذا فضلاً عن انتقال الخلافة الأموية من الفرع السفيني إلى الفرع المرواني ، وهذا ما كان معاوية كارهاً له في حياته .

١٠. رغبة أهل الأردن ولاسيما بني أمية والقبائل اليمانية أن يكون مقر الخلافة في الشام بدلاً من نقلها إلى الحجاز .

١١. توسع نفوذ عبدالله بن الزبير حتى شمل معظم أجناد الشام عدا الأردن .

١٢. إن مروان بن الحكم أول من سن ولاية العهد لأكثر من واحد وبهذا فإنه قد ساعد على انشقاق البيت الأموي نفسه .

أولاً. جذور الحركة وطبيعتها

١. بداية الحركة وفكرتها

بعد استشهاد الإمام (t) في واقعة الطف سنة ٦١هـ / ٦٨٥م^(١) ورجوع ابن زياد ، المنفذ الرئيس لهذه المجزرة إلى الكوفة يحمل في كفيه وزر الجريمة النكراء من دون أن يرتعش لهولها أو يدخل في روعه الندم ، تلاقت الشيعة بالتلاوم والندم " ورأت إنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين وتركهم

(٨) انساب الأشراف ، ج٥ ص١٥٤ ، ولمزيد من الاطلاع عن يوم الربة ينظر المصدر نفسه .

(١) أبن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٧ ص٤٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٦١٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٩ .

(٢) مؤلف مجهول ، أخبار الدولة العباسية ، ص١٣٩ - أبن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ص٣٩٠ .

(٣) أبن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٦٢٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٥٣ .

نصرته وإجابته حتى قتل إلى جانبهم ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عليه إلا قتل من قتله أو القتل فيهم^(٢).

والذي نكتشفه من هذا إن ثمة موالين عديدين لأهل البيت (i) وللإمام (t) خاصة ثبتوا على ولائهم وحبهم لهم غير إن الفرصة لم تتح لهم لنصرته ، أما لأنهم سجنوا أو اختفوا أو انسحبوا تحت تأثير أقاربهم وزعمائهم ، وإن غالبيتهم لم يشاركوا في الجيش الذي تقدم لقتال الإمام (t) ولو أنهم شاركوا في قتله لما رفعوا الثأر له^(٣).

لذلك التجأ الشيعة إلى خمسة من رؤسائهم البارزين إلى سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري ، وإلى عبدالله بن وال التميمي وإلى رفاعه بن شداد البجلي* ، وإلى عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي** المعروفين بالصحة والولاء للإمام علي (ع)^(٤) فاجتمع هؤلاء في منزل سليمان بن صرد^(٥).

كان أول ما ابتدءوا به أمرهم بعد استشهاد الإمام (t) بشكل سري فأخذوا يجمعون آلة الحرب ودعاء الناس في السر إلى الطلب بدم الإمام (ع)^(٦) فكان يجيبهم النفر وما زالوا على ذلك إلى إن هلك يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م^(٧).

كان الاتجاه العام للمناقشات يدور حول التكفير عن الذنب والمخطط الذي يمكن أن يزيل عنهم الشعور بالإثم وذلك في جو من الانفعال الشديد وكان أول المتكلمين المسيب بن نجبة الفزاري الذي خطب وقال : " فأننا قد ابتلينا بطول العمر ، والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً ، ((أَوْكُمْ مَعْرُكُكُمْ مَا تَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ))"^(٨) ، فأن أمير المؤمنين قال : العمر الذي اعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، ... ، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا (ع) وقد قتل فينا ولده وحبيبه ، وذريته ونسله ، ... ، ولوا عليكم رجلاً منكم فأنه لابد لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحفون بها"^(٩).

(٢) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٤٨-٢٤٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٢ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٩٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٨ .

(٣) السماوي ، محمد نعمة ، موسوعة الثورة الحسينية ، ط ١ ، دار المرتضى للطباعة ، (بيروت / ٢٠٠١) ، ج ٨ ص ١٨٧ .

* رفاعه بن شداد : رفاعه بن شداد بن عبدالله بن قبيس بن حيال بن بد ابن فتيان الفتياني ، وفتيان بطن من بطون بجيلة ، يكنى أبا عاصم ، تولى القضاء لمدينة الاهواز في عهد الإمام علي (t) . ينظر ابن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، العلل ومعرفة الرجال ، تح د. وحي الله بن محمود بن عباس ، ط ١ ، مطبعة المكتب الإسلامي ، دار الخاني ، (الرياض / ١٤٠٨هـ) ، ج ٣ ص ١٤٥ - المغربي ، نعمان بن محمد (ت ٣٦٣هـ) ، دعائم الإسلام ، تح ، أصفي بن علي أصغر ، دار المعارف للطباعة ، (١٩٦٣م) ، ج ٢ ص ١٧٦ - ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٧٢ - الثقات ، ج ٤ ص ٢٤٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ص ٢٩٠ .

** عبدالله بن سعد : عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي من أزد شنة ، أحد رؤساء الكوفة وشجعانها . ينظر : ابن نما الحلي ، ذوب النضار ، ص ٧٤ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٤ ص ٨٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٢ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ٢٠٣ .

(٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢٠٥ - الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج ٩ ص ١٨٠ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٢ .

(٨) سورة فاطر ، آية ٣٧ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٥٢-٥٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٥٩ .

ثم تكلم رفاعه بن شداد البجلي بعد المسيب وقال : أما بعد ، فإن الله قد هداك لأصوب القول ، ودعوت إلى ارشد الأمور ، ... ، ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم^(٣) ، ثم تكلم عبدالله بن وال وعبدالله بن سعد فحمدا الله وتكلما بنحو من كلام رفاعه بن شداد ، فذكر المسيب بن نجبة بفضلته وذكر سليمان بن صرد وسابقه ورضاهما بتوليته وكان أكبرهم سنأ وشيخ الشيعة وصاحب رسول الله (ص)^(٤) .

ثم تكلم سليمان بن صرد الخزاعي : " ، ... ، إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ، ونمنيههم النصر ونحثهم على القدوم ، فلما قدموا ونينا ، وعجزنا ، وادهنا ، وتربصنا ، وانتظرنا ما يكون قد قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارتة وبضعة من لحمه ودمه ، ... ، كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم ((إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ))^(٥) ((تَوْبُوا إِلَىٰ فِكْهِكُمْ بِكُمْ لَوْ قَدْ دَعَيْتُمْ إِلَىٰ مِثْلِ مَا دَعَى الْقَوْمَ إِلَيْهِ أَحَدُوا السِّيفِ وَرَكِبُوا الْأَسِنَّةَ))^(٦) ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ))^(٧) حتى تدعوا وتستغفرون ")^(٨) .

الذي يبدو من هذه الخطب الحماسية لزعماء الحركة ، أن التوبة كانت في مقدمة منهاج عملهم استناداً لقوله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ))^(٩) ، أي يثيبهم وينعم عليهم^(١٠) ، وعن انس بن مالك قال : سمعت رسول الله محمد (ﷺ) قال : " التائب من ذنب كمن لا ذنب له " ^(١١) وعلامة التوبة هي الندم^(١٢) .

إضافة إلى تجسيد فكرة الاستشهاد وبالتنازل عن الأملاك واعتزال النساء ، وهذا ما أشار إليه سليمان بن صرد حينما قال لأنصاره " ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله " ^(١٣) ، لذلك قالوا لا توبة لنا إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه^(١٤) .

٢. اتصالات الحركة

بسبب الظروف القسرية التي عاشها أهل الكوفة طوال فترة خلافة معاوية (٤٠هـ - ٦٠هـ / ٦٦٠م - ٦٧٩م) فإنهم قد عانوا من سياسة القسوة والبطش والتظلم من الولاة الذين عينهم الخليفة معاوية على العراق عامة والكوفة خاصة ، لذلك فقد زرع في نفوسهم الخوف والتردد .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٥٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٠ .

(٥) سورة البقرة ، آية ٥٤ .

(٦) سورة الانفال ، آية ٦٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦١ .

(٨) سورة البقرة ، آية ٢٢٢ .

(٩) الإصفيهاني ، الحسين بن حمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، ط ١ ، دار الكتاب للنشر ، (١٤٠٤هـ) ، ص ١٠٥ .

(١٠) ابن النجار البغدادي ، محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود ، (ت ٦٤٣هـ) ذيل تاريخ بغداد ، تح مصطفى عبدالقادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٧١هـ) ، ج ٣ ص ٢٦ .

(١١) ابن النجار البغدادي ، ذيل تاريخ بغداد ، ج ٣ ص ٢٦ .

(١٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٧٩ .

(١٣) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٤ ص ١٢٧٧ .

ودليل ذلك بعد استشهاد الإمام (ت) وعودة عبيد الله بن زياد إلى الكوفة وصعد المنبر وقال : " الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب بن الكذاب ، الحسين بن علي وشيعته " (٣) ، فلم يجبه احد من أهل الكوفة سوى رجل* من بني الازد ، وكان ضريراً بالرغم من وجود زعيم قبيلته وسبعمانه من رجال القبيلة (٤) إلا إنهم كانوا خائفين من سطوة ابن زياد . وهذا يوضح لنا طبيعة الحياة الاجتماعية التي عاشها أهل الكوفة آنذاك ، لذلك رسم زعماء الحركة التوابية خطة سرية فبدأت حركتهم تسير وفق هذه الخطة ، فبدأوا بالدعاء للناس وجمع آلة الحرب من رجال الشيعة (٥) ، فكان بعضهم يمشي إلى بعض ويديرون آراءهم ولا يطلعون أحداً على ما هم فيه (٦) ، وبقيت الحركة هكذا طوال فترة خلافة يزيد لتخوفهم من أهل الكوفة أنفسهم " وكان أشد خووفهم من أهل مصرهم لان أكثرهم قتلوا الإمام (ت) " (٧) .

إن الحركة كانت سرية في العمل من حيث جمع آلة الحرب والاجتماعات ، وهذا لا يبعدنا عن القول والاعتراف بأنهم فعلاً كانوا خائفين من أهل الكوفة حتى بعد هلاك الخليفة يزيد بن معاوية ، وما يدل على خوفهم أن الشيعة في الكوفة ذهبوا إلى سليمان بن صرد الخزاعي وطلبوا منه الذهاب لإخراج عامل عبيد الله بن زياد فقال لهم : " رويداً ، لا تعجلوا ، ... ، فرأيت إن قتلنا الحسين أهم أشرف أهل الكوفة " (٨) .

لذلك تعامل معهم سليمان بمنتهى الحيلة والحذر لأنه وجدهم العدو الشرس للحركة والخصم الدائم لكل الحركات التحررية المناوئة للسلطة الحاكمة سواء كانت أموية أم زبيرية .

وكان زعماء الحركة قد اتفقوا على أن يعقدوا لقاءات دورية لتقويم نشاطاتهم التي قاموا بها والإنجازات التي حققوها ومن ثم تحديد موعد للخروج وإعلان الثورة واستقر رأيهم أخيراً على أن يكون التجمع في النخيلة نهاية ربيع الآخر سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م (٩) .

كانت أولى الخطوات التنفيذية التي قام بها سليمان بن صرد في محاولة استقطاب واستمالة اكبر عدد ممكن من الجماهير هو الكتابة إلى رجالات الحزب الشيعي في البصرة والمدائن وكانت هذه الكتب فيها مفهوم وأهداف الحركة ثم الدعوة إلى المشاركة معهم في الموعد المذكور أعلاه .

فقد كتب سليمان إلى عامل المدائن* سعد بن حذيفة** ، وهو أول أمير على المدائن (١٠) ، " ، ... ، إن أولياء من إخوانكم ، وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم في ما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذي دعي فأجاب ، ودعا فلم يُجب ، ... ، دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم ، فقد جد إخوانكم

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٨٢ .

*عبدالله بن عفيف الازدي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٨٣ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٤٥٩ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٠٣ .

(٧) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٠٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

(٩) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٠٥ .

*المدائن ، بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص٧٥ .

**سعد بن حذيفة : سعد بن حذيفة بن اليمان العيس ، روى عن أبيه حذيفة ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي ومنذر الثوري أبو يعلى . ينظر : الرازي ، الجرح والتعديل ، ج٤ ص٨١ - ابن حبان ، الثقات ، ج٤ ص٢٩٤ .

(١٠) ابن نما الحلي ، ذوب النصار ، ص٧٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص٦١٨ .

فجدوا ، واعدوا واستعدوا ، وقد ضربنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه ، وموطنا يلقوننا فيه ، فأما الأجل فغرة شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأما الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخيلة ^(٣) .

كان وقع هذا الكتاب مؤثراً جداً في شيعه المدائن ، ولاسيما ان عدداً من الكوفيين قد نزحوا إليها ، وهؤلاء ظهروا شديدي الحماس للاستجابة الفورية إلى دعوة التوابين ، وما لبث أن جاء الرد ايجابياً من عامل المدائن وشيعتها والاستعداد الكامل للتحرك في اليوم الموعود " أما بعد ، فقد قرأنا كتابك وفهمنا الذي دعوتنا إليه ، ... ، فإذا جاء الصريخ *** أقبلنا ، ولم نخرج إن شاء الله " ^(٤) ، وكان سليمان قد أرسل نسخة ثانية من هذا الكتاب إلى المثنى بن مخرمة العبدي *** في البصرة لكسب تأييده مع الشيعة هناك ، فأجابوا إلى دعوته فكان رد المثنى إليه " قرأت كتابك وأقرأته على إخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك " ^(٥) .

والذي يتبين لنا أمر مهم هو ان تحديد هذا الوقت كان لكي يتمكن زعماء الحركة إكمال شؤونهم العسكرية ، لأننا نعلم بأن هذه الحركة لا يوجد لها أي وارد مادي سوى التبرعات من أهل الكوفة ^(٦) ، وتحديد هذا الوقت بالذات للقيام بالحركة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م هو لغرض إكمال كافة الاستعدادات العسكرية ليس في الكوفة فقط وإنما في المدائن والبصرة ، هذا فضلاً عن كسب اكبر عدد من الشيعة إلى جانبهم .

أما اتصالات الحركة فكانت بعد وفاة يزيد بن معاوية تسير بدعوتها على مركز الكوفة من دون اللجوء إلى أطرافها وهذا يجعلنا نتصور ربما احد أسباب إخفاقها هو عدم كسب القبائل الساكنة في أطراف الكوفة ، والدليل هو عندما نتابع سير المختار بن أبي عبيدة الثقفي من الحجاز إلى الكوفة فنجد أنه كان يدعو القبائل العربية القاطنة من نهر الحيرة (بني بدء من قبائل كندة ، وبني هند) إلى نصرته ومساعدته في قتال الملحدين واخذ الثأر لرسول الله محمد (ﷺ) والدفاع عن الضعفاء فبايعوه ^(٧) .

وهذا يؤدي بنا إلى الاعتقاد ان هذه القبائل كانت لا تعرف بطبيعة الحركة وأهدافها بالرغم من أن مجيء المختار كان بعد وفاة يزيد ، وهذا يعني أن الحركة كانت معروفة لأهل الكوفة في مركزها دون أطرافها .

٣. طبيعة الحركة

من خلال الإطلاع على أبرز شخصيات هذه الحركة تتبادر لدينا فكرة بأنها حركة دينية الغرض منها التكفير عن الذنب ، لكن من خلال دراسة طبيعتها بدقة ومعرفة أهدافها نجد إنها تحمل في صفحاتها أهداف سياسية واجتماعية .

^(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٦ .

***الصريخ : الصارخة بمعنى الصريخ الغيث ، وفي الحديث : ان النبي (ﷺ) كان يقوم من الليل اذا سمع صوت الصارخ يعني الديك لانه كثير الصياح في الليل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ص٣٠٩ .

^(٤) ابو مخنف الازدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٥٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٦ .

***المثنى بن مخرمة العبدي : المثنى بن مخرمة العبدي من اصحاب الامام علي (ت) واشترك معه في معركة الجمل . ينظر : سيف بن عمر الضبي ، الفتنة ووقعة الجمل ، ص١٧١ .

^(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٨ - المجلسي ، بحار الانوار ، ج٤٥ ص٣٥٦ - البحراني ، العوالم الامام الحسين (ت) ، ص٦٧٥ .

^(٦) ابن ماکولا ، اكمال الدين ، ج١ ص٤١٩ .

^(٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٢ .

فقد شارك في هذه الحركة عدد من الشخصيات البارزة من الكوفة من أمثال سليمان بن صرد الخزاعي ، الذي كان يعرف في الجاهلية باسم يسار^(٣) وان النبي محمد (ﷺ) غير اسمه وسماه سليمان بعد اعتناقه الإسلام^(٤) ، سكن الكوفة وابتنى بها داراً في خزاعة وكان نزوله بها في أول ما نزلها المسلمون^(٥) ، وكان له سن عالية وشرف في قومه^(٦) ، شهد مع الإمام علي (ت) معركة صفين^(٧) ، أما معركة الجمل فاختلف المؤرخون فيها فيرى بعضهم^(٨) بأنه اشترك فيها ، بينما يرى البعض الآخر^(٩) بأنه لم يشترك فيها . والذي يبدو أنه لم يشترك في هذه المعركة بإجماع اكبر عدد من المؤرخين بسبب ضعفه وعجزه وقد وضع سليمان بن صرد سبب ذلك حينما عاتبه الإمام علي (ت) عن عدم مشاركته في هذه المعركة فأجابته سليمان : " تربصت وتناأت* ، فكيف ترى صنع الله ، فأجابه سليمان : الشوط بطين** ، وقد بقي من الأمر ما تعرف له صديقك من عدوك"^(١٠) ، أي ممكن للإنسان أن يستدرك ما فاتته^(١١) .

بعد استشهاد الإمام علي (ت) ظل سليمان بن صرد على ولائه لأهل بيت رسول الله (ت) وعاتب الإمام الحسن (ت) نتيجة صلحه وبيعته معاوية بن أبي سفيان وقال له : " ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك مئة ألف مقاتل من أهل الكوفة كلهم يأخذ العطاء"^(١٢) ، ثم يستقر في ولائه ويظهره لكن هذه المرة بشدة للإمام (ت) بعد وفاة معاوية ويعرض عليه بأن يأتي الكوفة وكان ممن كتب إلى الإمام (ت) بالقدوم^(١٣) .

أما رفاقه الباقون من أمثال المسيب بن نجبة الفزاري فهو تابعي وكان على رأس قومه شهد مع الإمام علي (ت) مشاهدته كلها^(١٤) ، وكذلك رفاعة بن شداد البجلي فهو من قرأ الكوفة وخيار أصحاب الإمام علي (ع) وكذلك عبدالله بن وال التميمي^(١٥) .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٩٦ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص٢٨٤ .
 (٤) الطبري ، ذيل تاريخ الرسل والملوك ، ص٥٧٧ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص٢٨٤ .
 (٥) ابن الأثير ، أسد الغاية في معرفة الصحابة ، ج٢ ص٣٥١ .
 (٦) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٩٦ - المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣ ص٢٨٤ .
 (٧) البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ص٢٠٠ .
 (٨) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٩٦ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ - الشيخ المفيد ، الجمل ، ص١٠٨ - ابن الأثير ، أسد الغاية في معرفة الصحابة ، ج٢ ص٣٥١ .
 (٩) ابن أبي شيبه الكوفي ، المصنف ، ج٨ ص٧٢١ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٢٧١ - الطوسي ، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، رجال الطوسي ، تح جواد القيومي الاصفهاني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، (قم / ١٤١٥هـ) ، ص٦٦ - البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ص٢٠٠ - الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر ، (ت ٨٠٧هـ) ، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تح مسعد عبد الحميد محمد ، مطبعة دار الطلائع للنشر ، (بلات) ، ص٢٤٠ - النقرشي ، نقد الرجال ، ج٢ ص٣٦٥ - الجابلي ، السيد علي اصغر ، طرائف المنال ، تح مهدي الرجائي ، ط١ ، مطبعة بهمن ، مكتبة المرعشي ، (قم / ١٤١٠هـ) ، ج٢ ص٨٨ .
 *تتناأت : تتأناأ الرجل ، عف واسترخى . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف هامش ، ص٢٧٢ .
 **بطين : البعيد أي الزمان الطويل . ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف هامش ، ص٢٧٢ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج١ ص١٠ .
 (١٠) ابن سلام ، غريب الحديث ، ج٣ ص٤٧٥ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٢٧٢ - الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، ج٢ ص٥ - ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ص٥٠٩ - ابن الدمشقي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ت) ، ج٢ ص٢٦ .
 (١١) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج١ ص١٠ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج٥ ص١٧٢ .
 (١٢) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٣٣ .
 (١٣) ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٥ ص١٩٦ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠ .
 (١٤) ابن نما الحلبي ، ذوب النضار هامش ، ص٧٤ .
 (١٥) الذهبي ، من له رواية في كتب السنة ، ج١ ص٣٩٧ - الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ص٢٩ .
 (١٦) الشيخ الطوسي ، رجال الطوسي ، ص٧٨ .

والذي نستنتجه من خلال هذه الأسماء إنها حركة فقهاء وقراء وقصاصين خاصة إذا ما عرفنا انه كان من دعائها عبيد الله بن عبد الله المري***، ذو المنطق والبلاغة في المصر، الذي أدى دوراً كاملاً في إعلان أهداف الحركة وكان كلما اجتمعت إليه جماعة جديدة من أهل الكوفة يخطب فيهم قائلاً "، ... ، فويل للقاتل وملامة للخاذل، أن الله لم يجعل لقائله حجة ولا لخاذله معذرة، إلا أن يناصح الله في التوبة، ... ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته وإلى جهاد المحليين*** والمارقين، فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا" (٨)، وكان يوضح في خطبه أهداف الحركة والتي تبرز في:

٧. التوبة من خذلانهم للإمام (t) وهذه التوبة تتطلب منهم الطلب بدماء أهل بيت رسول الله (ﷺ)

(هـ) جهاد المحليين والمارقين (١).

٨. عدم الاعتراف بشريعة الخلافة الأموية، وهذا نجده من خلال مقولته " ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه" (٢).

٩. إعادة الخلافة إلى أهل بيت النبوة (i) (٣) وهذه كانت أهم الأفكار في الحركة وإن الشهادة في

سبيلها هي أفضل ما تكون لهم، هذا فضلاً عن إن عبيد الله بن عبد الله المري قد استمر في هذا الخطب حتى بعد هلاك يزيد بن معاوية وهذا يدلنا على أمرين هما:

ج. عدم الاعتراف الشرعي بخلافة عبد الله بن الزبير، وهذا الأمر قد نجده من خلال اعتزال زعماء الحركة وأنصارهم أوضاع الكوفة السياسية خاصة بعد قيام أشراف الكوفة بعزلهم لعمر بن حريث المخزومي ومبايعة عبد الله بن الزبير (٤).

ح. هدفهم المباشر هو قتل عبيد الله بن زياد وهذا الهدف نجده واضحاً عندما التقى الجيشان التوابون والشامي في عين الورد، فكانت مطالب سليمان وأنصارهم إن يدفعوا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلوه (٥).

ومن خلال انتماءات زعماء الحركة القبلية نلاحظ إنهم ينحدرون جميعاً من اصل يمانى (خزاعة، فزارة، الازد، تميم اللات، بجيلة، مزينة، كنانة، حمير، عبد القيس)، لكن لا يعني هذا إن كل القبائل اليمانية قد اشتركت في هذه الحركة لأن قبيلة مذحج بالرغم من ولائها العلوي المعروف ووقوفها إلى جانب أهل البيت (i) إلا أنهم لم يشتركوا في هذه المعركة.

أما بالنسبة إلى الموالي واشترائهم في هذه المعركة فانفرد الطبري (٦) برواية واحدة يذكر فيها إن مولى للمسيب بن نجبة الفزاري كان يقاتل في هذه المعركة وقد انضم فيما بعد إلى شبيب بن يزيد الخارجي وقد وصف المعركة - عين الورد - وهذا ما دعا أحد الكتاب المحدثين (٧) إلى نفي اشتراك الموالي في هذه الحركة. ولكن نقول أن من طبيعة المولى أن يتبع سيده في كل شيء ولا يصبح حراً إلا

***عبيد الله بن عبد الله المري: لم أجد له ترجمة.

***المحليين: هم الذين أحلوا القتال في الأشهر الحرام (ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب)، وكانت العرب تستحل دماءهم خاصة في هذه الشهور وكان المحلون ينتسبون إلى حيان، خثعم وطي. ينظر: ابن سلام، غريب الحديث، ج٣ ص٦ - الجوهرى، الصحاح، ج٥ ص١٨٩٥.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٥٩-٥٦٠.

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين (t)، ص٢٥٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٦٠.

(٣) أبو مخنف الازدي، مقتل الحسين (t)، ص٢٥٨ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٦٠ - الزركلي، الاعلام، ج٣ ص١٢٧.

(٤) أبين الأثير، الكامل، ج٤ ص١٦٣ - الزركلي، الاعلام، ج٣ ص١٢٧.

(٥) أبين الأثير، الكامل، ج٤ ص١٨٢.

(٦) تاريخ الرسل والملوك، ج٥ ص٥٩٩.

(٧) جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص١٤٠.

بعد وفاة سيده بالوصية أو بيعه في حياة مولاه ، ونحن نعلم أن هناك الكثير من الشخصيات الكبيرة التي اشتركت في هذه المعركة وبطبيعة الحال فقد اشترك معهم مواليهم إلا إن المؤرخين لم يذكروا ذلك وتجاهلوه لكون الموالي لا يمثلون ثقلاً مهماً في هذه المعارك .

قد يتساءل البعض منا لماذا لم ينصر زعماء الحركة التوابية الإمام (ت) في حياته وخرجوا يطالبون بدمه من بعد استشهاد ؟

إن هناك من الأسباب التي أدت إلى عدم خروج سليمان بن صرد الخزاعي وأنصاره لمؤازرة الإمام (ت) كنا قد بينا البعض منها في الفصل الثاني* ونضيف الآن سبباً مهماً آخر هو : إن سليمان بن صرد الخزاعي قد عبر عن حالته في عدم المشاركة عندما قال : " الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين ، اللهم إذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده " (١) ، والذي يبدو أن هناك عائناً في عدم مشاركته بثورة الإمام (ت) ضد الخلافة الأموية وقد وضح ذلك السيد البراقي (٢) عندما قال إن عبيدالله بن زياد نفى الرجال العاملين لمعونة مسلم بن عقيل من بلده ، وزج في السجن من وجوه الشيعة أمثال المختار وسليمان والمسيب ورفاعة وغيرهم .

أما دور القرّاء والقصاصين في هذه الحركة فكان دوراً بارزاً من خلال خطب صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني ، الذي كان يذو أنصاره بأن هدفهم في الحركة هو التوبة من ذنبهم والطلب بدم ابن بنت نبيهم وليس معهم دينار ولا ذهب (٣) ، وكان إجابة الناس من حوله ، إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا (٤) ، وكان دوره واضحاً في المعركة حيث كان يدور في المقاتلين ويقول لهم " ابشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه ، محق والله لمن ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة والراحة من ابرام الدنيا وأذاها إلا فراق هذه النفس الأمارة بالسوء " (٥) ، ويبدو أن صخير بالإضافة إلى دوره في الخطابة وحث أصحابه على القتال إلا أنه كان مقاتلاً شجاعاً ، فيذكر الطبري (٦) أنه جمع ثلاثين مقاتلاً من مزينة* وقال لهم إن الموت لا يقيم وإن الدنيا زائلة فمضوا معه فقاتلوا حتى قتلوا .

أما أبو الجويرية العبدى*** فإنه كان من القصاصين في المعركة بالرغم من جرحه إلا أنه لم يترك المعركة إلا بعد انسحاب جيش التوابين (٧) ، كما لا ننسى رفاعة بن شداد البجلي بالإضافة إلى كونه أحد زعماء الحركة إلا أنه كان من قرّاء الكوفة البارزين (٨) ، وكان دائماً يشدد أزر المقاتلين للحرب (٩) ، ثم يأخذ دور القيادة للحركة بعد استشهاد أصحابه ، ويؤدي دوراً مهماً في إنقاذ ما تبقى من أنصاره في عبور الخابور* ، فضلاً عن وضع أبا الجويرية العبدى في سبعين فارساً يسترون الناس ، فإذا مروا

*ينظر فص ٢ ص ٩٩-١٠٠ من الدراسة .

(١) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٢٩١ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٠ .

(٢) تاريخ الكوفة ، ص ٢٩٧ .

(٣) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٢٨٥ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٥ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٦٠٤ .

** مزينة : قبيلة من مضر ، وهي مزينة بن آد بن طانحة بن الياس بن معن بن نزار بن معد بن عدنان والنسب اليهم المزني . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج ٦ ص ٢٢٠٤ - السمعاني ، الأنساب ، ج ٥ ص ٢٧٧ - ابن الأثير ، اللباب ، ج ٣ ص ١٣٢ .

*** أبو الجويرية العبدى : عبدالرحمن بن مسعود من أهل الكوفة ، يروى عن محمد بن النفي وروى عنه الصلت بن الهرام . ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج ٢ ص ٩٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٨ .

(٨) الزركلي ، الأعلام ، ج ٣ ص ٢٩ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٨ .

*الخابور : أسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٣٤ .

برجل قد سقط حمله ، أو بمتاع قد سقط قبضه حتى يعرفه إلى ان مروا بقرقيسيا من جانب البر^(٣) ، ويقف عبدالله بن وال التميمي طليعة المفتيين للجهاد ويوعد المقاتلين في الجنة^(٤) . والذي يبدو إنها حركة فقهاء وقراء وقصاصين ، لذا نرى ان تكون تسمية حركتهم هي حركة وجهاء الكوفة .

ثانياً . الاتجاه العلوي وموقفهم من الحركة

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٦٠٥ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٥ .

١. الإمام علي بن الحسين (ع) وموقفه من الحركة

لم نجد نصاً واحداً للإمام علي بن الحسين (ت) يتناول فيه مدح الحركة أو ذمها ، بل حتى لم يجد نصاً من غيره من أهل المدينة آنذاك في تقييم الحركة ، وهذا ما جعل إبراز موقف الحركة يبدو صعباً إلا من خلال الاستنتاج ، لذلك يبدو إن أسباب عدم وجود رواية عند المؤرخين لموقف الإمام علي بن الحسين (ت) هي :

٥. إن طبيعة اتصالات الحركة اتسم بالسرية التامة إلى لحظة وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م^(١) ، فإذا كانت سرية فليس من المعقول أن يصدر عن الإمام علي بن الحسين

(ت) كلام بخصوصها لأنه سوف يؤدي إلى كشفها وبالتالي يتم القضاء عليها .
٦. هدف الحركة الأساسي كان طلب التوبة والتكفير عن الذنب ، فلا موجب لصدور نص من الإمام علي بن الحسين (ت) أو تعليمات أو إرشادات محددة ، ولا سيما ان زعماء الحركة من كبار الصحابة والتابعين .

ولكن يبدو إن موقف الإمام علي بن الحسين (ت) كان موالياً للحركة التوابية لأسباب منها :

٥. عدم وجود رواية واحدة تقدر بزعماء الحركة من الإمام علي بن الحسين (ت) .
٦. إن ما حفز الشيعة للخروج في هذه الحركة لأنهم رأوا إن الخلافة حق في بني هاشم^(٢) ، لذلك فمن المستبعد عدم معرفة الإمام علي بن الحسين (ت) بنشاطهم بالرغم من إنها كانت سرية في الكوفة طوال فترة ثلاث سنوات من عمرها ، لان الشيعة في اتصال مستمر مع الأئمة (ت) سواءً في حياة الإمام الحسن (ت) في عهد معاوية أو في حياة الإمام (ت) في عهد يزيد .

٢. موقف المختار من الحركة

بعد وفاة يزيد بن معاوية بخمسة أشهر^(٣) وأيام^(٤) ، أدرك المختار إن عبدالله بن الزبير لا يستعمله على أي عمل من أعماله لذلك فكر بالخروج إلى الكوفة ، لكن ما هي الأسباب التي أدت المختار أن يعود مرة أخرى إلى الكوفة ، هل كونها مدينة موالية لأهل بيت النبي (ص) ؟ أم مدينة المال والرجال مثلما وصفت ؟

إن المختار على الرغم من انه كان في الحجاز إلا انه كان لا يغفل عن السؤال عن هذه المدينة ومتابعة أخبارها باستمرار ، فلما قدم هاني بن أبي حية الوادي* مكة ، يريد عمرة رمضان ، فسأله المختار عن حاله وعن حال الناس في الكوفة وهيئتهم ، فقال له: " إنهم في صلاح وانشقاق على

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

(٢) مغنية ، محمد جواد ، الشيعة في الميزان ، مؤسسة صدر الخلائق ، مكتبة الآداب الشرقية للنشر ، (النجف / ١٤٢٤هـ) ، ص١٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ .

*هاني بن أبي حية الوادي : لم أجد له ترجمة .

طاعة ابن الزبير إلا إن طائفة من الناس إليهم عدد أهل مصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم ، أكل بهم الأرض" (١) .

والذي نكتشفه من هذا النص إن أهل الكوفة منقسمون جماعة تتبع ابن الزبير وهناك طائفة من أهلها ليس لهم قائد يجمعهم على رأيهم ، لذلك ربما كان هذا الوصف هو الحافز للمختار بالذهاب إلى الكوفة وأنه ذلك الرجل الذي يجمعهم " أنا أبو إسحاق ، أنا والله لهم " (٢) ، وما يؤكد على إن أهل الكوفة بدون قائد يجمعهم ويقودهم ما وصفه مسلمة بن حرثة للمختار " هم كغنم ظل راعيها " (٣) .

ويبدو إن عودة المختار إلى الكوفة مرة أخرى هي كونها موالية لشيعة أهل البيت (i) وقد عبر عن ذلك المختار نفسه عندما حاول إقناع عبدالله بن الزبير بالذهاب إلى الكوفة حيث قال له " أني لأعرف قوماً لو إن لهم رجلاً له رفق وعلم مما يأتي لاستخرج منهم جنداً تغلب بهم أهل الشام ، قال : من هم ؟ قال : شيعة بني هاشم بالكوفة ، فكن أنت ذلك الرجل فبعثه إلى الكوفة " (٤) ، وبعد إقناعه لعبدالله بن الزبير جاء المختار إلى الكوفة ودخلها يوم الجمعة نصف رمضان سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م (٥) وكان الناس يتهياؤون للصلاة (٦) ، فكما كان المختار سياسياً ماهراً ، كذلك كان خطيباً من خطباء الشيعة البارزين فإنه يمتلك قوة ساحرة للتأثير (٧) ، لذلك قيل عنه أنه من دهاة ثقيف (٨) ، كان دارساً لأحاسيس الناس ونفسياتهم فوظف هذه المواهب من أجل تحقيق هدفه الذي جاء من أجله وهو أخذ ثأر أهل البيت (i) وقتال الفاسقين (٩) ، لكنه وجد إن الشيعة قد بايعت سليمان بن صرد الخزاعي (١٠) ، بالرغم من ذلك دخل المختار الكوفة فأخذ البعض من الشيعة بتأييده لأنه كان معروفاً فيهم سابقاً (١١) .

ولكن كيف صور المؤرخون العلاقة ما بين المختار وسليمان بن صرد الخزاعي ؟

اختلفت آراء المؤرخين في مسألة العلاقة التي كانت بينهما فيرى البعض (١) منهم ان المختار حرّض الشيعة على سليمان بن صرد الخزاعي في محاولة من تقليل شأنه بالحروب " ليس له بصراً بالحروب ولا تجربة بالأمر إنما يريد ان يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه " ، بينما يرى احد المؤرخين (٢) " ان الناس قالوا للمختار لا تعجل إلا ان تنظر (وينظر) ، ... ، فسكت المختار فأقام بالكوفة ينتظر ما يكون

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٢) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢١٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص٧٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٩ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ص٨٦٠ .

(٧) عبدالحسين طه حميد ، أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، ط١ ، مطبعة السعادة ، (مصر / ١٩٥٦) ، ص١٨٨ .

(٨) الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ) ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ، تح د. معيد محمد ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٦) ، ج٢ ص١٩٩ .

(٩) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٠٧ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص١٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ص١٧٩ - الشيرازي ، السيد محمد الموسوي ، الفرقة الناجية ، تح فاضل الفراتي ، ط٢ ، دار الأمين للطباعة ، (بيروت / ١٤٢٥هـ) ، ص٦٢٧ .

(١١) أبو مخنف ، لوط بن يحيى الغامدي (ت١٥٧هـ) ، أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي ، تح كامل سلمان الجبوري ، ط١ ، مطبعة دار المحجة البيضاء ، (بيروت / ١٤٢٠هـ) ، ص٤٨ .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ص٢١٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦١ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ص١٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٢ .

(٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ج٦ ص٢٠٨ .

أمر سليمان بن صرد " ، ولكن يرى ابن كثير^(٣) انه عند مجيء المختار إلى الكوفة وجد الشيعة قد التفتت على سليمان بن صرد وعظموه وهم معدون للحرب .

والذي يبدو ان الرأي الثاني هو الاصول من بين هذه الآراء للأسباب الآتية :

١. ان المختار وزعماء الحركة كانوا في السجن في أحداث الطف سنة إحدى وستين^(٤) ، وعندما جاء إلى الكوفة في فترة وجود الحركة التوابية ذهب بعض من أشرف الكوفة من أمثال عمر بن سعد وشبث بن ربعي وقال لأهل الكوفة ان المختار اشد عليكم من سليمان ، لان سليمان خرج لقتال عدوكم والمختار إنما يريد أن يثب عليكم فساروا إليه فأوثقوه بالحديد وخلدوه في السجن^(٥) في حين ظل سليمان يمارس عمله السياسي دون أي ضرر من المختار .

٢. ان المختار وزعماء الحركة التوابية كان هدفهما هو اخذ الثأر وقتل قتلة الإمام (t) وأهل بيته . وقد وضح المختار ذلك بعد خروجه من السجن وذهابه إلى الحجاز حيث قال لابن العرق " فإذا سمعت بـمكان قد ظهرت به فقل إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المرسلين وابن بنت سيد المرسلين ، وابن سيدها الحسين بن علي ، فورك لاقتل بقتله عدة من قتله على دم يحيى بن زكريا " ^(٦) ، وهذا يوضح لنا ان المختار قد حدد هدفه وهو اخذ الثأر لأهل بيت رسول الله (ﷺ) في حين زعماء الحركة لم يعلنوا حركتهم إلا بعد وفاة يزيد .

٣. ان المختار لم ينضم إلى الحركة التوابية بسبب عدم وجود خبرة وتجربة عند زعيم الحركة سليمان بن صرد^(٧) ، لأن المختار كان موجوداً في أحداث الطف في الكوفة ثم أودع السجن وكان معه ، فكان يعرفه أو ربما تعرف عليه في السجن بأنه ليس شخصية قيادية أو عسكرية .

ثم ما يجمع عليه عدد من المؤرخين^(٨) ان المختار خرج من الحجاز إلى الكوفة باسم الدعوة لمحمد بن الحنفية وانه سفيره " ان المهدي بن الوصي بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدم أهل بيته ، والدفع عن الضعفاء ، فكونوا أول خلق استجابة " ، والذي يمكن ان نستخرجه من هذا هو :

٥. ان المختار له الفضل كونه أول من طور فكرة المهدي كمنقذ ديني وإنها فكرة كانت موجهة إلى الطبقات ذات المستوى الاجتماعي الواسع التي نظرت إلى محمد بن الحنفية كمنقذ لها^(٩) .

٦. ان المختار أول من أدرك وحاول ان يعالج التمايز القائم في الحقوق الاجتماعية والاقتصادية بين العرب والموالي^(١٠) .

وعلى ما يبدو ان المختار ربما وجد هذه الصيغة من اجل كسب الشيعة في الكوفة ، لكن هل هذا الخطاب كان سبباً في انقسام الشيعة بالكوفة مثلما يرى بعض المؤرخين^(١١) واحد الكتاب المحدثين .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦١٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٣٨١ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢١٤ - ابن نما الحلبي ، ذوب النضار ، ص ٨٠ - الشيخ البحراني ، العوالم ، ص ٨٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٧٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٠ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٢ .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ١٨٠ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٠ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٢ ص ٢٠٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٠ .

(٩) دكسن ، الخلافة الأموية ، ص ٦٧ .

(١٠) دكسن ، الخلافة الأموية ، ص ٦٧ .

لم نجد رواية واحدة عند المؤرخين عن سليمان بن صرد الخزاعي تدين عمل المختار بن أبي عبيد الثقفي ، والدليل عن ذلك ان حميد بن مسلم احد رواة الحركة قال : قلت لسليمان ، " ان المختار والله يثبط الناس عنك ، أني كنت عنده أول ثلاث ، فسمعت نفرأ من أصحابه يقولون ، قد كملنا ألفي رجل ، فقال وهب ان ذلك كان ، فأقام عنا عشرة آلاف ، أما هؤلاء بمؤمنين " ^(٩) ، ومن هنا يبدو لنا ان أهل الكوفة أنفسهم هم السبب المباشر في إخفاق هذه الحركة وليس المختار كونه ادعى بأنه سفير للمهدي ، لأن مسألة المهدي (١٢) هي ليست موجودة عند الشيعة من أهل الكوفة فقط وإنما موجودة حتى عند الأمويين في الشام ، فكان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى نفسه السفيناني المنتظر ^(١٠) .

أما موقف أهل الكوفة من هذه الأمور فقد أرسلوا وفداً* إلى محمد بن الحنفية للاستفسار عن ما جاء به المختار بن أبي عبيد الثقفي فأجابهم " وأما ما ذكرتم من أمر المختار بن أبي عبيد فوالله لقد وددت ان الله تعالى قد انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه والسلام" (٧). وفي هذا الجواب أدرك أهل الكوفة انه فعلاً مرسل من ابن الحنفية ، هذا فضلاً عن ان المختار كان يرسل الأموال إلى محمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر (١). ولو كانت هذه الشخصيات ترى فيه رؤية غير طيبة لرفضت هذه الأموال ، فضلاً عن ان سبب قتل المختار بالكوفة من مصعب بن الزبير هو لأنه حاول اخذ البيعة في الكوفة إلى محمد بن الحنفية (٢) وخلع عبدالله بن الزبير (٣).

ونرى ان شخصية المختار هي من الشخصيات الموالية لآل بيت رسول الله محمد (ﷺ) بالرغم مما كتبه عنها المؤرخون والدليل على ذلك :

ننظر إلى ما قاله الحجاج بن يوسف الثقفي فيه " لله دره رجلٌ ديناً ، ومسعر* حرب ومقارع**
 أع_____
 كان " (٤) ، ويقول عنه السيد البراقي (٥) بأنه تربى في وسط شيعي مشبع بالإخلاص والولاء والحب
 لعلی وأبنائه.

أما موقف الإمام علي بن الحسين (t) من المختار فلا توجد رواية تثبت ان الإمام (t) كان يدعو مؤيديه إلى الالتحاق بالمختار لكن يوجد هناك نص يؤيد بأنه مدحه بعد ان وصل إليه رأس

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٥٨٠ - أبن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ١٧٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٤ ج ٨ ص ٦٢٠ - الخربوطلي، علي حسني، ١٠ ثورات في الإسلام، ط ١، دار الأداب، (بيروت / ١٩٦٨) - ص ١٦٦-١٦٧.

(^٥) أبو مخنف الأزدي، مقتل الحسين (ت)، ص ٢٨٤ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥ ص ٥٨٤.

(٦) المروزي ، الفتن ، ص ٢٨ .

*الوفد : عبدالرحمن بن شريح الشيامي ، سعد بن منقذ ، سعد بن أبي مسعر الحنفي الاسود الكندي ، قدامة بن مالك الجشفي . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ص ٢١٤ ، يذكر سعيد بدلاً من سعد بن منقذ ، ومسعر بن أبي مسعر بدلاً من سعد بن أبي مسعر – المجلسي ، بحار الانوار ، ج ٥ص ٣٦٤ – البحراني ، العوالم ، ص ٦٨٤ .

(٧) أبو مخنف الأزدي، مقتل الحسين (٤)، ص ٣٢٠ - ابن اعثم الكوفي، الفتوح، مج ٣ ج ٦ ص ٢٢٨.

(^١) ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ص ٣٣٦ - ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ ص ٣٥١ .

(^٢) الأشعري، أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٢٤هـ)، مقالات الاسلاميين، تح هلموت ريتير، ط ٣، دار احياء

التراث ، (بيروت / بلات) ، ج ١ ص ١٨ .

(٣) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج ٢ ص ١٩٨ .

*مسعر: مسعر حرب تعجباً من شجاعته وجرأته وإقدامه. ينظر: أبْن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج ٥ ص ٢٣٦.

****مقارعة:** مفردھا مقرعة: السوط وكل ما تحركت به. ينظر: هامش البغادي، المنمق، ص ٣٦٨.

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧٠

(٥) تاريخ الكوفة ، ص ٣١٥ .

عبدالله بن زياد وعمر بن سعد ، حيث يذكر الحلي^(٦) أنه لما أتى برأس عبدالله بن زياد ورأس عمر بن سعد قام فخر ساجداً وقال الحمد لله الذي أدرك ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً ، وهذا دليل أن الإمام كان راضياً عن تحركات المختار لأنه أخذ بالثأر من قتلة أهل بيت النبوة ، هذا فضلاً عن أن المختار كان يدعي الكذاب ولكن عبدالله بن عباس قد فند ذلك في محاورته مع عبدالله بن الزبير بعد قتل المختار في الكوفة حينما قال ابن الزبير لابن عباس " ألم يبلغك قتل الكذاب ؟ قال : ومن الكذاب ؟ قال أبي عبيد ! قال : قد بلغني قتل المختار ، قال : كأنك نكرت تسميته كذاباً ، ومتوجع له ، قال : ذاك رجل قتل قتلنا وطلب ثأرنا وشفى غليل صدورنا ، وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة " ^(٧) ، هذا فضلاً عن دور زوجته عمرة بن النعمان بن بشير الأنصاري والدفاع عنه في مسألة وصفه بالكذب وقالت " رحمه الله كان عبداً لله صالحاً " ^(٨) .

٣. التوابون وموقفهم الصعب

لما استهل هلال شهر ربيع الآخر سنة خمسة وستين ، خرج سليمان في وجوه أصحابه ، وكان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة ، فخرج حتى أتى عسكره ، فدار في الناس ووجوه أصحابه ، فلم يعجبه عدة الناس^(١) ، لذلك عمد بالدعوة الإعلامية لأنصار هذه الحركة في الكوفة فأرسل حكيم بن منقذ الكوفي والوليد بن غصين الكوفي ، وقال : اذهبوا حتى تدخلوا الكوفة فناديا " يالثرات الحسين " ^(٢) ، وطافت الخيل تلك بالكوفة ينادون " يالثرات الحسين " ، ونادوا في المسجد الجامع والناس يصلون العشاء " يالثرات الحسين " ^(٣) ، وكان أول من نادى إلى أخذ ثأر الإمام (t) بعد وفاة يزيد^(٤) .

والذي يبدو أن غرض سليمان بن صرد من هذا العمل هو تذكيرهم بالعهود والمواثيق التي أعطوها أهل الكوفة لسليمان " وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليجاهدون ولينصروا " ^(٥) .

وقد أعطت هذه الحملة الإعلامية بعض من ثمارها ولاقت قدراً من التجاوب ولكن المسألة لم تكن في تجمع المؤيدين في أسواق الكوفة ، بل فيمن يمتلك القدرة على الصمود والاستمرار عندما ترفع راية الحرب ويتعالى صوت النفير وهؤلاء لم يتجاوز عددهم في بادئ الأمر ألف مقاتل ، ثم ارتفع إلى أربعة آلاف مقاتل مع التصعيد الإعلامي .

أما أسباب عدم تجاوب أهل الكوفة مع هذه الحركة فهي :

(٦) ذوب النضار ، ص ١٤٤ .
 (٧) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٧٨ - البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٥ ص ٢٦٥ ، يتوقف الى كلمة صدورنا .
 (٨) الاصفهاني ، الاغانى ، ج ٩ ص ٢٦٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ٢٧٥ .
 (١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج ٤ ص ٦٢٢ .
 (٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٣ .
 (٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٤ .
 (٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٥ .
 (٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٤ .

٩. جو الكوفة المشحون سياسياً والصراعات فيما بينهم وانقسام سكانها إلى فئات زبيرية وتوابية وفئة ثالثة لا مع الزبيرية ولا مع التوابية .

١٠. بعض المؤرخين^(١) يعزّون ميل بعض الشيعة من أهل الكوفة إلى المختار وهذا ما سبب في قلة عدد أصحاب سليمان بن صرد الخزاعي ، وقد تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية .

١١. هدف الحركة كان يبدو لأهل الكوفة الانتقام فقط ، لذلك كانت تبدو لهم حركة مثالية ليس إلا ، أي إنها مجردة من الأهداف السياسية لذلك لم يشتركوا بها بالرغم من أن أهدافها كانت سياسية بحتة .

١٢. خطبة سليمان بن صرد الخزاعي التي أبدت كثيراً من أصحابه حينما قال " ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي شيئاً نستفيئ ولا غنيمة نغنمها " (٧) ، لأن سليمان بن صرد أدرك أن انضمام البعض من أهل الكوفة إليه وهم معروفون بأنهم مقاتلون من أجل الغنيمة فقط ، فلذلك حدد أن أصحابه هم حملة السيوف والرماح ، أما غيرهم فليسوا من أصحابه^(٨) ، لذلك سببت خطبته هذه بتفرقهم عنه .

عندما خرج سليمان وأصحابه من النخيلة دعا حكيم بن منقذ العبدي الناس إلى المبيت في دير الأعور* ، وخطب سليمان فيهم خطبة بعد أن وجد تخلف ناس كثيرين عنه فقال لهم : " ما أحب أن من تخلف عنكم معكم ، ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالاً** ، أن الله عز وجل كره انبعاثهم فثبطهم ، وخصكم بفضل ذلك فاحمدوا ربكم " (٩) ، والذي يبدو أن أصحاب سليمان بدأوا يتفرقون عنه وهو في مسيره نحو ابن زياد ..

فلما وصل سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه إلى قبر الإمام (t) نادوا صيحة واحدة^(٣) " يا رب انا قد خذلنا ابن بنت نبينا ، فاغفر لنا ما مضى منا ، وتب علينا أنك التواب الرحيم " (٤) ، ثم اجتمعوا على قبر الإمام (t) أكثر من اجتماع الناس على الحجر الأسود^(٥) .

ثم سار سليمان بن صرد من موضع قبر الإمام (t) حتى وصل الحصاصة*** ، ثم الانبار**** ثم الصدود***** ، ثم على القيارة***** .

(١) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مج٤ ج٨ ص ٦٢٠ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٨٥ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧٦ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٨٥ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص ٢١١ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧٦ .

* دير الاعور : موضع بظاهر الكوفة بناه رجل من اياد ويقال له الاعور بن بني حذافة بن زهر بن اياد . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص ٤٩٩ .

** خبالاً : أي فساداً . ينظر : الشيخ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج١ ص ٦٢١ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٨٩ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص ٢١٤ .

(٣) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص ١٧٨ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص ٥٨٩ - أبين اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص ٢١٤ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص ٢١٥ .

*** الحصاصة : وهي من قرى السواد قرب قصر أبين هبيرة من اعمال الكوفة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ص ٢٦٣ .

**** الانبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ ،، ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص ٢٥٧ .

***** الصدود : بلدة في الطريق ما بين الشام والطريق . ينظر : ابن مزاحم ، واقعة صفين ، ص ٥٢٨ .

***** القيارة : منزل للحاج من واسط على مرحلتين وهو بئر لبني عمل ماؤها غليظ ، وهو قريب من الوحل . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص ٢١٩ .

والسؤال هو هل قدمت مساعدات لسليمان بن صرد الخزاعي من غير أهل الكوفة ؟ يذكر بعض المؤرخين^(١) ان سليمان وأنصاره قد مروا بجانب قرقيسيا ، فنزل قريب منها ، وكان زفر بن الحارث الكلابي قد تحصن بها بعد هروبه من حمص بعد معركة مرج راهط ، لذلك أرسل سليمان المسيب بن نجية الفزاري وطلب منه ان يخرج ابن عمه سوفا ، والذي يبدو من غرض السوق عند سليمان ان يعرف طبيعة القوى العسكرية التي سوف يحاربها لأنه ربما يعلم ان زفر هو احد الهاربين من معركة مرج راهط ، هذا فضلاً عن المعلومات الأخرى التي سوف يستفسر عنها زفر بن الحارث وأنصاره عن طبيعة المنطقة جغرافياً .

وفعلاً تحقق لسليمان ذلك عندما وصف زفر بن الحارث القوات القادمة وعددهم " وقد جاءكم في مثل الشوك والشجر "^(٢) ، وأمرأؤهم الخمسة* ثم أشار زفر علي سليمان ان تتوحد قواتهما معاً للوقوف بوجه القوات الأموية القادمة من الرقة* باتجاه الجزيرة*** " ان شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها ، فكان امرنا واحداً وأيدينا واحدة ، وان شئتم نزلتم على باب مدينتنا ، وخرجنا فعسكرنا إلى جانبكم "^(٣) ، فرفض سليمان ذلك لان هدفه وطموحه لا يتوافق مع زفر بن الحارث ، وهو نفس ما أشار عليه والي الكوفة قبل خروجه منها^(٤) ، وهذا يعني ان سليمان رفض الآراء والمشاورات من الأطراف السياسية الجانبية لأنه يعلم أنهم يقفون إلى جانبه بسبب ان الخلافة الأموية في الشام لا تتركهم بدون حرب وإعادة مناطقهم إلى أحضان الخلافة الأموية^(٥) .

بعدما أيقن زفر بن الحارث ان سليمان بن صرد الخزاعي مصر على التقدم وجه له مشورة عسكرية هذه المرة بأن يتقدم أولاً ويصل إلى موضع عين الوردية وان يجعل المدينة في ظهورهم حينئذ يكون الرستاق والماء والمادة في أيديهم^(٦) ، وتكون المنطقة من قرقيسيا إلى عين الوردية أمامه ، وكانت هذه المشورة بسبب كره زفر للدولة الأموية^(٧) .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٣ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٢٠ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٤ ص١٣٣٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٩ .
(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٤ - ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٢١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٠ .

*أمرأؤهم : الحصين بن نمير السكوني ، شرحبيل بن ذي الكلاع ، أدهم بن محرز الباهلي ، جبلة بن عبدالله الخثعمي ووايد بن مالك بن ادهم وربيعه بن المخارق الغنوي . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٠ ، ويضيف ابن الاثير عبيدالله بن زياد .

**الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران أيام معدودة في بلاد الجزيرة ، لأنها في جانب الفرات الشرقي . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص٥٩ .

***الجزيرة : يريد بالجزيرة التي بين دجلة والفرات . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ص٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٠ .

(٣) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٢١ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٠ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٠ .

(٦) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص٢٢١ .

ثالثاً. موقف الخلافة الزيرية من حركة التوابين

٥. موقف أهل الكوفة من عبدالله بن الزبير

بعد وفاة يزيد بن معاوية ٦٤هـ / ٦٨٣م^(١) ، بدأت استجابة الناس إلى حركة التوابين تتضاعف " فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والنفر بعد النفر " ^(٢) ، بسبب ضعف أمر نائب الوالي وهذا ما عبر عنه أهل الكوفة حينما قالوا لسليمان " قد مات هذا الطاغية والأمر الآن ضعيف " ^(٣) ، لذلك بدأت مرحلة جديدة من انتقال العمل في الحركة التوابية من مرحلتها السرية والعمل تحت جنح الظلام إلى دور النشاط العلني والمجاهرة الصريحة ، وعند ذلك أعلن أهل الكوفة حركتهم وهاجموا دار الإمارة وطردوا ممثل ابن زياد الذي كان يقيم في البصرة والذي تعرض بدوره لحركة مماثلة ، وقد أعقب ذلك خلال تلك الفترة من الفراغ في السلطة إلى ان جرى تسليم الحكم إلى رجل اتفق عليه وجهاء الكوفة وزعمائها وهو عامر بن مسعود* ، الذي ما لبث ان دان بالولاء لعبدالله بن الزبير حيث تمكن من توطيد مركزه في الكوفة^(٤) .

ولم يكن هذا الإجراء عائداً إلى اقتناع الكوفيين بسلامة هذا الموقف ، وإنما كان ضرورة اقتضتها المصلحة ليس أكثر ، فالأشراف يبدو أنهم هم الذين شغلوا دوراً بارزاً في حركة التمرد ضد نائب ابن زياد وما قاله يزيد بن الحارث بن يزيد إلا دليل على ذلك " الحمد لله الذي أراحنا من ابن سمية أنحن نبايعه ، لا ولا كرامة " ^(٥) ، وجاء موقف الأشراف هذا بعد ان رياح الحركة الحجازية بدأت تهب بشكل عاصف على العراق فسارعوا إلى التودد لابن الزبير لضمان مصالحهم السياسية والاقتصادية واستمراراً لها ، أما زعماء الحركة التوابية فقد أظهروا استنكافهم عن تسلم الحكم بالرغم من توفر فرص النجاح آنذاك عندهم إلا أنهم أراودوا المسير وفق الخطة التي وضعها لهم اجتماعهم الأول في دار سليمان وتدور حول هدف محدد ثابت هو الانتقام لقتلة الإمام (ت) وما قاله سليمان بن صرد الخزاعي إلا دليل على ذلك حينما قال " أيها الناس ، من كان إنما أخرجه أراد وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ... ، ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فيناً نستفيئه ولا غنيمة نغنمها " ^(٦) .

لذلك بايع أهل الكوفة عبدالله بن الزبير وبسرعة أصبحت الكوفة تابعة إلى خلافة عبدالله بن الزبير الذي كان يحمل في نفسه ما يحمله أهل الكوفة من الكره والحقد للخلافة الأموية ، لكن هذا لا يعني بأن زعماء الحركة التوابية قد بايعوا عبدالله بن الزبير بل أنهم رفضوا الاعتراف حتى بهذه الخلافة وما قاله سليمان بن صرد إلا دليل على ذلك " أنا وهؤلاء مختلفون ، ان هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٠١ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٢٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٢ .

* عامر بن مسعود : عامر بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي المكي القريشي ، له صحبة وله حديث في صوم الشتاء ، روى عنه عبدالعزيز بن رفيع وكان يلقب بحروجة العجل . ينظر : أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٥٨ - البغدادي ، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) ، الكفاية في علم الرواية ، تح أحمد عمر هاشم ، ط١ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، (١٤٠٥هـ) ، ص٦٨ - الذهبي ، الكاشف في معرفة من رواة في الكتب الستة ، ج١ ص٥٢٦ - ابن المبرد ، يوسف بن عبد الهادي

(ت ٨٤٠هـ) ، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ، تح د. روحية عبدالرحمن السويقي ، ط١ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٣هـ) ، ص٨٢ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ص٦١٨ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٣٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

ابن الزبير ، ... ، ان لنا شكلاً ، وان لابن الزبير شكلاً^(١) ، لذا فقد كان أهل الكوفة وكما اشرنا سابقاً منقسمين إلى عدة فئات منها أتباع سليمان بن صرد الخزاعي وأخرى مع أشرف أهل الكوفة وفئة أخرى منعزلة عن هذه الفئات السياسية والتي استطاع المختار عندما جاء إلى الكوفة ان يأخذ بيعتها وخاصة مناطق أطراف الكوفة ، وهذا ما جعل الأوضاع السياسية في الكوفة مفككة يسهل اختراقها لمن يجيد القابلية في الكلام والإقناع والحجة عليهم ، فاستغل المختار هذا الوضع .

٦. موقف والي الكوفة من حركة التوابين

بعد هلاك يزيد بن معاوية بستة اشهر^(٢) ، قدم المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكوفة في النصف من شهر رمضان^(٣) ، وبعده بثمانية أيام^(٤) ، قدم من عبدالله بن الزبير الوالي الجديد عبدالله بن يزيد الانصاري* ، والياً عليها وإبراهيم بن محمد بن طلحة** عاملاً للخارج^(٥) .

ويبدو ان إرسال الوالي الجديد من ابن الزبير إلى الكوفة ربما بسبب معرفته بشخصية المختار وأثره في مجتمع الكوفة وانه كان يتخوف منه " فوالله لهو احذر من ذنب قد أطاف به السباع " ^(٦) ، لكن كيف تعامل الوالي الجديد بالكوفة ؟ وكيف ناصره الأشرف ؟ وهل سياسته تجاه الحركة كانت ناجحة ؟

يذكر الطبري^(٧) ، ان يزيد بن الحارث الشيباني قدم إلى الوالي وحثه على محاربة الحركة التوابية حينما قال له " ان الناس يتحدثون ان هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد ، ومنهم طائفة أخرى مع المختار ، ... ، فأنت رأيت ان تجمع الشرطة المقاتلة ووجوه الناس ، ثم تنهض إليهم ، ونهض معك " .

والذي نكتشفه من هذا انه وضع الوضع السياسي في الكوفة ونوعية القوتين السياسيتين الموجودتين فيها وإبداء المساعدة إليه في حربه ضد الحركة التوابية ، وهذا يعني أن موقف يزيد بن الحارث كان ضد كل من يريد ان يقف او يعرقل الوالي الزبيري في الكوفة .

أما والي الكوفة فكان رأيته بمنتهى الفطنة السياسية وبرز موقفه من الحركة التوابية بعد ان عرف هدف الحركة " ، ... ، الله بيننا وبينهم ، ان هم قاتلونا قتلناهم ، وان تركونا لم نطلبهم ، ... ، لعن الله قاتل الحسين ، ... ، فوالله ما أنا قتلت حسيناً ، ولا أنا ممن قاتله ، ولقد أصبت بمقتله رحمه الله عليه ، فأن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين ، ... ، وأنا لهم على قاتله ظهير " ^(٨) . وبهذه الكلمات استطاع الوالي ان يكسب لنفسه ولمستقبله السياسي مجموعة من الأهداف السياسية المهمة أبرزها :

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٩٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٣) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٤) أبو مخنف ، مقتل الحسين (ت) ، ص٢٥٩ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

*عبدالله بن يزيد : عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصين بن عمرو بن الحارث بن خزيمة ، شهد الحديبية وهو ابن سبع سنين وقد رأى النبي محمد . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبير ، ج٦ ص٥٦٠-٥٦٢ .

**إبراهيم بن محمد : إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله النعيمي أبو اسحاق المدني ، الاعرج . ينظر : أبو مخنف ، مقتل

الحسين (ت) ، ص٢٥٩ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج١ ص١٣٩ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٧ .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦١ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦١-٥٦٢ - أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

٩. كسب ود شيعة سليمان بن صرد الخزاعي إلى جانبه بعد ان عرف ان اتجاههم السياسي ضد ابن زياد " فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين " (٢).

١٠. عدم إثارة النزاع بين أشراف الكوفة وقادة الحركة التوابية وبالتالي كسب الاثنين معاً .

١١. أراد الوالي ان يوجه زعماء الحركة نحو جيش ابن زياد الذي أخرجه مروان بن الحكم نحو قرقيسيا ومنها إلى العراق " وانه قد أقبل إليكم أعدى فلق الله لكم " (٣).

١٢. حدد الوالي العدو المباشر لأصحاب الحركة من خلال ما قاله لهم " من ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يقتلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذي قتلكم ومن قبله أتيتم والذي قتل من تثارون بدمه " (٤) ، وربما أدرك والي الكوفة ان هدفهم هو عبيدالله بن زياد لذلك فإنه قد وصفه ووصف أبيه كذلك وكيف كانت سياستهما .

وبعد كلام الوالي قام إبراهيم بن محمد بن طلحة وخطب خطبة أخرى فيها تهديد ووعد " والله لننخرج علينا خارج لنقتلنه ، ولنن استقينا ان قوماً يريدون الخروج علينا لنأخذ الوالد بولده والمولود بوالده ، ولناخذن الحميم بالحميم ، ... ، والعريف بما في عرافته حتى يدينوا للحق ويدلوا للطاعة " (٥) ، ويبدو ان ما قام به الوالي من محاولة كسب لزعماء الشيعة قد ساء عامل الجزية له ، فخطب فيهم وذكرهم بسياسة بني أمية التي مارسها في أهل الكوفة قبل مجيئهم مما حدا المسيب بن نجبة الفراري ان يرد عليه وان يذكره بأن سياسة البغض التي وعدهم بها هي سياسة أبيه وجده مع شيعة الإمام علي

(t) " وقد قتلنا أباك وجدك " (٦) ، ثم قدم عليه عبدالله بن وال التميمي الذي رد عليه بأنه عامل جزية وليس له بأمور السياسة شيء " ولا لك علينا سلطان ، إنما أنت أمير الجزية ، فأقبل على خراجك " (٧) ، وأنه ابن الناكثين من أبيه وجده ، ثم قدموا على عبدالله بن يزيد بسبب غضب الناس من عمال إبراهيم بن محمد بن طلحة (٨) ، عند ذلك أقسم إبراهيم ان يكتب إلى عبدالله بن الزبير ، فعلم عبدالله بن يزيد ما نوى عليه إبراهيم ، فجاءه وأقنعه بأن الغرض من عمله هذا هو التوحد وعدم التفرقة " فرأيت ان أقوم فيهم بما سمعت إرادة ألا تختلف الكلمة ، ولا تتفرق الألفة وألا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم " (٩) .

ويبدو أن الوالي قد قرب زعماء الكوفة وأشرافها الذين ساهموا في قتل الإمام (t) وفي الوقت نفسه اتاح لزعماء الحركة التوابية ان يمارسوا نشاطهم السياسي وبالنتيجة فإنه استفاد كثيراً من هذه السياسة ودليل ذلك ان إبراهيم بن محمد بن طلحة عندما أراد الكتابة إلى ابن الزبير عن خطبته علم عبدالله بن يزيد عن طريق الأشراف* ما أراد نائبه عامل الخراج عمله ، لذلك يتبين لنا أنه كان يقربهم إليه حتى يحاول ان يلاقيهم مع زعماء الحركة التوابية من اجل ان ينقلوا إليه أخبار الكوفة ، هذا فضلاً عن منعهم من الاصطدام مع زعماء الحركة " قال عبدالله بن يزيد لكل رجل معروف قد علم انه شرك في دم الحسين ، لا تصحبني إليهم مخافة ان ينظروا إليه فيعدوا عليه " (١٠) ، في حين انه امر عمرو بن حريث المخزومي ان يصلي بالناس ان تأخر هو عنهم " (١١) .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣-١٦٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٣ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٣ .

*الأشراف : شيبث بن ربعي ، يزيد بن الحارث بن رويم . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٣ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٧ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٧٨ .

ويبدو ان عبدالله بن يزيد قد اعتمد على الأشراف من أهل الكوفة من اجل وحدة الكلمة ، هذا فضلاً عن ان اشراف الكوفة كانوا يظهرن الولاء لكل الولاة الذين يحكمونهم ، وهذا من مساويء الأخلاق^(٥)

لكن هل قدم عبدالله بن يزيد الأنصاري مساعدات مالية الى زعماء الحركة التوابية ؟

لا توجد هناك رواية واحدة تقول ان الوالي قدم مساعدات (عينية أو مالية) إلى قادة الحركة التوابية ، لكن توجد هناك رواية اجمع عليها بعض المؤرخين^(٦) هي " ان عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة قد عرضا على سليمان بن صرد ان يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشام على ان يحضاه وأصحابه بخراج جوخي ** خاصة لهم دون الناس " ، والذي نكتشفه من هذا النص ان هناك شروطاً قد وضعت على سليمان منها الإقامة في الكوفة والقتال تحت سيطرة والي الكوفة ، لذلك رفض سليمان ذلك .

اما أسباب الرفض فهي :

٣. ما قاله سليمان بن صرد الخزاعي بأن العمل مع ابن الزبير هو ضلالة " ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً " ^(٧) ، وهذا يدلنا على أن سليمان وأنصاره كانوا لا يعترفون بشرعية خلافة ابن الزبير .

٨. ان سبب رفض سليمان بن صرد اقتراحات والي الكوفة تخوفه من الوالي نفسه بسبب وجود أشراف الكوفة بجانبه الذين يقترحون عليه الأمور التي يريدونها وهم أنفسهم من راسل الإمام

(t) وخذلوله خوفاً على مصالحهم العامة والخاصة ، وما يدل على خوف سليمان من الوالي ان الطبري^(٨) يذكر " ان سويد بن عبدالرحمن اتى سليمان بن صرد فقال له : ان عبدالله وإبراهيم يقولان : انا نريد ان نجيتك الآن لأمر عسى الله ان يجعل لنا ولك فيه صلاحاً ، ... ، قال سليمان لرفاعة بن شداد البجلي : قم أنت فأحسن تعبئة الناس فأن هذين الرجلين قد بعثا بكيت وكيت " ، وهذا النص يوح لنا أن سليمان بن صرد كان يتحاشى الأشراف بسبب ما عرفوا به من سمات الغدر والمكر .

٩. ان احد أهداف الحركة هو ان تعود الخلافة إلى أهل بيت النبي محمد (ﷺ) " وانا ان نحن ردنا هذا الأمر إلى أهله " ^(٩) ، لذلك رفض العمل مع الوالي تحت خلافة ابن الزبير .

١٠. ان عبيدالله بن زياد كان خارجاً إلى العراق بجيش كثيف في محاولة لإعادته إلى سيطرة الخلافة الأموية^(١٠) ، لذلك حاول والي الكوفة جاداً في إبقائهم إلى جانبه ليستفيد منهم كمقاتلين وما قوله في خطبته " فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين ، فقد اقبل إليهم " ^(١١) .

(٥) القرشي ، باقر ، مسلم بن عقيل (t) ، ص ١٩٥ .

(٦) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (t) ، ص ٢٨٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٨٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٧٧ .

**خراج جوخي : بلغ خراجه ثمانين ألف ألف ، وهي بلد بالعراق ، وهو ما سقى من نهر جوخي . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ص ٤٠٢ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٢ .

(٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٧٨ .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٩٢ - جمال الدين ، الحياة السياسية في الدولة العربية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، ص ١٣٩ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٠ .

(١١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٦٢ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٣ .

مربعاً. أسباب إخفاق الحركة وتناجها

٥. أسباب إخفاق حركة التوابين

هناك مجموعة من العوامل ساهمت في إخفاق حركة التوابين من أبرزها هي :

١٥. تخاذل أهل الكوفة عن نصرة سليمان بن صرد الخزاعي وأنصاره في الوقت الصعب من الحركة ولم يذهب مع سليمان سوى أربعة آلاف رجل من ضمن المبايعين له في الديوان^(١) ، إضافة إلى تخلف طائفة من الناس عنه في أثناء مسيره نحو الشام^(٢) ، في حين ان أصحاب مروان بن الحكم كانوا ستين ألفاً^(٣) .

١٦. خطبة سليمان بن صرد الخزاعي حينما قال لهم : " من كان إنما أخرجته إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ... ، ومن كان يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فيناً

(١) الذهبي ، العبر في خير من غير ، ص ٧٢ .

(٢) أبن كثير ، البداية والنهاية ، مد٤ ج ٨ ص ٦٢٣ .

(٣) أبن عماد الحنبلي ، شذرات من ذهب ، ج ١ ص ٧٣ .

- نستفيذه ولا غنيمة نغنمها ، ... ، فمن كان غير هذا فلا ينوي فلا يصحبنا " (٤) ، كان لهذه الخطبة تأثير كبير في تفريق المتطوعين للحرب لأن البعض كان يسعى وراء الغنائم .
- ١٧ . ان طبيعة تكوين عدة جيش التوابين يعتمد على تبرعات المقاتلين وأهلهم (٥) ، لذلك عين سليمان بن صرد عبدالله بن وال التميمي لجمع هذه التبرعات (٦) ، في حين ان الجيش الأموي كان كامل العدد (٧) .
- ١٨ . عدم الاتفاق في الآراء ، فيما بين قادة الحركة أنفسهم ، فمثلاً كان رأي عبدالله بن سعد بن نفيّل الأزدي وهو احد ابرز زعماء الحركة يدعمه رأي أغلبية الشيعة الذين معه ان يبدأوا بالكوفة ويقتلوا قتلة الإمام (ت) ، عمر بن سعد ورؤوس الأرباع وأشرف القبائل (٨) ، لكن سليمان رفض ذلك ، لذلك ولدت هذه الأمور اختلافاً في الرأي وهي أول علامات الاختلاف بين زعماء الحركة .
- ١٩ . تمركز نشاط الحركة في مركز الكوفة دون أطرافها ، فعندما جاء المختار من الحجاز إلى الكوفة بايعته القبائل العربية الساكنة في الحيرة (جبانة كندة ، وبني بداء ، بني هند) (٩) .
- ٢٠ . لم يقدم والي الكوفة عبدالله بن يزيد الانصاري ، مساعدات تذكر إلى قادة الحركة التوابية لكنه عرض عليهم ان يقيموا معه ، ويدافعوا عن الكوفة مقابل إعطائهم خراج جوخي (١) ، فرفض سليمان وأنصاره ذلك لانه يعني العمل تحت ظل خلافة ابن الزبير .
- ٢١ . تأخر وصول قوات أهل المدائن والبصرة إلى منطقة القتال ، وحينما وصل سعد بن حذيفة إلى منطقة هيت* استقبله الإعرابي فأخبره بما لقي الناس فانصرف فتلقي المثنى بن مخزومة العبدي الذي جاء في ثلاثمائة من أهل البصرة (٢) ، بصندوقاء فأخبره (٣) ، فرجع الى العراق .

٦. نتائج حركة التوابين

- ان حركة التوابين قد أخفقت وبالرغم من ان احد الكتاب المحدثين (٤) قال بأنها لم تحقق أهدافها إلا أننا نرى إنها حققت النتائج الآتية :
- ٩ . إنها حركة بعثت روح التضحية والجهاد في الأمة الإسلامية بعد ان رفضت كل الأحداث السياسية الجانبية في الكوفة ورسمت طريقها إلى حق الاستشهاد والتكفير عن الذنب .
- ١٠ . إنها حركة رفضت الخلافة الأموية متمثلة بيزيد بن معاوية وكذلك الخلافة الزبيرية متمثلة بعبدالله بن الزبير ووجدت ان الخلافة حق كان لبنى هاشم (٥) .

(٤) أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٦ .

(٥) أبن ماكولا ، اكمال الدين ، ج١ ص٤١٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٥٥ .

(٧) أبن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج١ ص١٦٨ .

(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٥ .

(٩) أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧١ .

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٨٨ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٧٧ .

* هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص٤٥١ .

(٢) أبن ماكولا ، اكمال الدين ، ج٧ ص٢١١ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ص٢٣١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٦٠٥ - أبن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٨٥ .

(٤) نبيلة عبدالمنعم داود ، نشأة الشيعة الإمامية ، ط ١ ، دار المؤرخ العربي ، (بيروت / ١٤١٥هـ) ، ص ٧٨ .

(٥) أبو مخنف الأزدي ، مقتل الحسين (ت) ، ص ٢٥٨ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٠ .

١١. إنها حركة تسير وفق خطة مدروسة وثابتة وإلا لماذا حددوا المكان والزمان لخروجهم وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على التهيق الكامل لها ونجاحها في رسم الموعد المحدد لها .
١٢. إنها حركة وجهاء وقراء الكوفة من الشيعة فقط .

خامساً. الخوارج في البصرة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م

بعد ان جمع الخوارج الجموع الكثيرة خرجوا* من البصرة إلى الأهواز** ، فغلبوا عليها وعلى جميع كنوزها وقتلوا أعمالها^(١) ، وجبوا أموالها^(٢) ، ورئيسهم هو أبو راشد^(٣) ، نافع بن الأزرق الحنفي وقد بايعته الازارقة وسموه أمير المؤمنين^(٤) .

إزاء هذه الإحداث السياسية كتب والي البصرة عبدالله بن الحرث إلى عبدالله بن الزبير أخبره أن الخوارج أخذوا الأموال وقتلوا العمال والناس في الأهواز وقد لحق بهم من لحق من أهل البصرة وغيرهم ممن كان على دينهم ويرى رأيهم ، فكان رد ابن الزبير سريعاً بعد وصول الكتاب إليه ، فقام واليه بجمع أشرف*** البصرة ، وعرض عليهم الأمر قبل ان يكثر جمع الخوارج ان يختاروا رجلاً

*كان خروجهم بسبب اختلاف في العقائد لكن ظل في البصرة عبدالله بن أباض وعبدالله بن صفار واتباعهما . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ص٥٦٧ .

**الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس وسوق الأهواز من مدنها . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ص٢٨٥ .

(١) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص١٧٨ .

(٢) أبين الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٦٨ .

(٣) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٦٠ .

(٤) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص١٧٨ .

***أشرف البصرة : الاحنف بن قيس التميمي ، سويد بن منجوق الذهلي ومالك بن مسمع الجحدري . ينظر : ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص١٧٩ .

لقتالهم يرتضيه أهل البصرة وانه يسنده بالمال والسلاح والرجال^(٥) ، فطلبوا مهلة ثلاثة أيام ليختاروا الرجل المناسب لهذا الأمر ، وبعد انتهاء المدة^(٦) ، تم الاتفاق على مسلم بن عبيس بن كرز القرشي*** ، الذي جمع الجموع معه فخرج معه سبعمائة رجل لقتال الأزارقة ، وكان ابن الأزرق هو الآخر قد اشتدت شوكته وكثرت جموعه وأقام بالأهواز يجبي الخراج ويتقوى به ثم أقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر ، يريد قتال أهل البصرة الذين ساروا باتجاه الخوارج يريدون حربهم والقضاء عليهم^(٧) .

ثم خطب ابن عبيس القرشي خطبته المشهورة بأنه لم يخرج لامتياز ذهب ولا فضة ، واتي ليحارب قوماً ان ظفر بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم ، فمن كان الجهاد شأنه فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع ، فرجع نفر يسير منهم ومضى الباقيون معه ، فلما صاروا بدولاب* خرج إليهم نافع فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيول وكثرت الجراح وتضاربوا بالسيوف فقتل كل من ابن عبيس القرشي ونافع بن الأزرق^(٨) .

وبعد مقتل نافع بن الأزرق لم يتوقف الخوارج في نشاطهم وإرادتهم بالتوجه نحو البصرة^(٩) ، وتم اختيار عبدالله بن الماحوز** ، قائداً للخوارج ، فوجد الاحنف بن قيس إن أفضل من يقاتل الخوارج هو المهلب بن أبي صفرة*** ، لما يعلم فيه من الشجاعة والرأي والمعرفة بالحرب^(١٠) ، وكان آنذاك المهلب والياً على خراسان ، فذهب إليه أشراف أهل البصرة وواليها فاعتذر عن ذلك ، لذلك زوروا كتاباً وأرسلوه إليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتاب ، عند ذلك جاء إلى قتالهم^(١١) .

فعندما جاء المهلب إلى البصرة ، أخذ باختيار اثني عشر ألف رجل من أهلها ممن يعرف بالشجاعة وخرج المهلب لقتالهم - الخوارج - وهم عند الجسر الأصغر ، فحاربهم وهو في وجوه الناس وأشرفهم فدفعهم عن الجسر ولحق بهم نحو الجسر الأكبر ، فلما رأوه قد قاربهم ابتعدوا عنه^(١٢) ، وكان المهلب يعرف إخبارهم عن طريق جواسيسه الذين سيرهم إلى معسكر الخوارج ، فلما علم أنهم بالأهواز ، استخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر تيري*** وذهب هو بجيشه نحو الأهواز فلما

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٨ .

(٦) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٥٢٣ .

****مسلم بن كرز : مسلم بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وكان فاضلاً . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٧٥ .

(٧) ابن اعثم الكوفي ، هامش الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٩ .

*دولاب : موضع بقرب الاهواز . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ص ٥٦٣ .

(٨) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٩ - النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٥٢٣ .

(٩) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٥ .

**عبدالله بن الماحوز : عبيدالله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي . ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ص ١٤٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٤ ص ١٩١ .

***المهلب بن أبي صفرة : المهلب بن ظالم بن سراف بن صبح ابن كندي بن عمرو بين عدي بن وائل بن الحارث بن العشيك بن الازد بن عمران . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ٢ ص ٣٦٧ - ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٦ ص ٣٨٧ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٦ .

(١١) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٨٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٦ .

(١٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٦ .

****نهر تيري : قرية بنواحي البصرة . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج ٥ ص ٥٤٣ .

وصلوا قاتلت الخوارج مقدمته وعليه ابنه المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة ، فجال أصحابه ثم عادوا^(٦) .

فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى مناذر**** ، فسار يريداهم ، فلما قاربهم سير الخوارج جمعاً عليهم واخذ مولى أبي صفرة إلى نهر تيرى وبها المعارك فقتلوه وصلبوه وبلغ الخبر إلى المهلب فسير ابنه المغيرة إلى نهر تيرى ، فأنزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة وعاد إلى أبيه وقد نزل سولاف* .

والذي يبدو أن المهلب كان قيادي شديد الاحتياط والحذر لا ينزل إلا في خندق وهو على مهارة في التعبئة ويتولى الحرس بنفسه وما حربه وأصحابه ضد الخوارج في يوم سولاف إلا دليل هذه التعبئة وقتالهم وصبرهم ضد الخوارج ، فيذكر ابن الأثير^(١) إن المهلب قد نزل قريباً من الخوارج وخندق عليهم ووضع المسالحي وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة فكان الخوارج إذا أرادوا ببياته وغرته وجدوا أمراً محكماً فرجعوا فلم يقاتلهم إنسان كان اشد على الخوارج من المهلب .

وعندما التقى المهلب وأصحابه مع الخوارج في قتال شديد ظل نهاراً كاملاً وبعد أن رأى الخوارج شجاعتهم شدوا عليهم شدة منكراً ، فأجفلوا وانهمزوا حتى بلغت الهزيمة أهل البصرة وخاف أهلها السبي ، لذلك أسرع المهلب حتى سبق المنهزمين وصعد إلى مكان مرتفع وحث الناس إليه فأجابه ثلاثة آلاف أكثرهم قومه من الأزد ، فلما رآهم في عدتهم فخطبهم وحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم أن يأخذ كل رجل منهم عشرة أحجار ، وأمرهم أن يسيروا في طلب الخوارج لأنهم آمنون الآن بسبب خروجهم في طلب الهاربين من أنصار المهلب^(٢) ، فلقبهم عبدالله بن الماحوز والخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالأحجار حتى اثخنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف فاقتتلوا ساعة وقتل عبدالله بن الماحوز^(٣) ، في موضع سلي* سلبري^(٤) ، وقتل عدد كبير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم ، وقال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة^(٥) :

أتانا بأحجار ليقتلنا بها وهل تقتل الأقران ويحك بالحجر

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٧ .

****مناذر : قرية من قرى الأهواز ، وهي قريتان ، مناذر الكبرى ومناذر الصغرى ، ويبدو ان المقصود هنا مناذر الصغرى التي كان بها انحياز عبيدالله بن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج فيها . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ص١٢٦٣-١٢٦٤ .

*سولاف : قرية في غربي دجيل من ارض خوزستان قرب مناذر الكبرى . ينظر الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص٢٨٥ .

(١) الكامل ، ج٤ ص١٩٨ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٩ .

(٣) الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ص٤٢ .

**سلي سلبري : موضع بناحية الأهواز معروف . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ص٧٤٨ .

(٤) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ص٧٤٨ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧ ص٣٧٩ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠٠ .

وبهذا استطاع المهلب من كسر شوكة الخوارج فخرجوا إلى كرمان *** وجانب أصفهان *** ، والذي يبدو إن الخوارج كانوا مضطهدين من قبل الخلافة الأموية وابن الزبير ولم يتخلصوا من اضطهادهم حتى خارج إقليم العراق بسبب تفقههم بالدين .

الخاتمة

بعد أن بينّا الأوضاع السياسية في العراق والحجاز (٦٠-٦٥هـ / ٦٧٩-٦٨٤م) ، توصل في دراسته إلى النتائج الآتية :

٢٠. أن سياسة بني أمية كانت ضد مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، ويتضح ذلك من خلال ، التمثيل بجسد الميت ، سبّ صحابة رسول الله (ص) ، وبالأخص الإمام علي (ع) ، هذا فضلاً عن انتهاك حرمة المدن المقدسة من أجل مناصبهم السياسية كمكة والمدينة .
٢١. أن ثورة الإمام (ع) عكست أسباب صلح الحسن (ع) مع معاوية ، لأنه في ثورته وضع طبيعة أهل الكوفة الاجتماعية وما يمتاز به من تناقضات ، لذلك لم يكن صلح الإمام الحسن (ع) شيئاً اعتباطياً وإنما جاء من أجل أن يثبت حقيقة غدر وتخاذل أهل الكوفة .
٢٢. أن ثورة الإمام (ع) كشفت ضعف سياسة يزيد بن معاوية وعدم أخذه بنصيحة أبيه معاوية بن أبي سفيان " فإن ظفرت بالحسين فلا تقتله " .
٢٣. أن الإمام (ع) كان يريد الشهادة ، فهو يعرف بأن بني أمية أقوى من أن يستطيع القضاء عليهم بهذه الثورة ، وهو لا بد هالك في سبيله الذي سار فيه ، ولعله أراد بهذه الشهادة أن تكون صرخة مدوية تقض مضاجع بني أمية ، وهي التي مهدت للقضاء عليهم فيما بعد .
٢٤. أن ثورة الإمام (ع) قد وضحت لأهل الشام بأنهم ليسوا من الخوارج مثلما كان التصليل الإعلامي ضدهم ، وقد وضع الإمام علي بن الحسين (ع) وزينب بنت علي (ع) ، هذا الدور ، لذلك نقول بأن هذه الثورة هي ثورة سياسية وإعلامية ، فالأولى قادها الإمام (ع) والثانية قادها الإمام علي بن الحسين (ع) مع عمته زينب بنت علي (ع) .
٢٥. أن حركة عبدالله بن الزبير كانت ذات جذور لكنها لم تظهر إلا بعد استشهاد الإمام (ع) ، لأن استشهاد وُلد استياء لدى الناس في الأمصار وبالأخص في العراق والحجاز من سياسة يزيد وأعوانه .
٢٦. أن حركة عبدالله بن الزبير لم تقدم عوناً أو مساعدات تذكر لكثير من الحركات والثورات التي ظهرت طوال فترة الدراسة وبالأخص ثورة أهل المدينة وحركة التوابين .
٢٧. أن حركة عبدالله بن الزبير قد جمعت كل التيارات السياسية المناوئة للسلطة الأموية في حصار الكعبة الأول ، ولكن بسبب عدم فطنة ابن الزبير السياسية تفرقت عنه هذه الأطراف لتعمل ضده من جديد امثال الخوارج والمختار بن أبي عبيد الثقفي .
٢٨. أن حركة عبدالله بن الزبير قد امتدت إلى إقليم الشام وأصبح هذا الإقليم مالياً له عدا الأردن ، وهذا يدلنا على توسع نفوذ عبدالله بن الزبير في الأمصار الإسلامية لكنه لم يحسن التصرف .
٢٩. أن ثورة أهل المدينة ضد يزيد بن معاوية كانت بسبب سوء سيرته ، وكانت خاصة بأهل المدينة حصراً ، ولم تكن هناك أي مساعدات أو تداخلات جاءت إليهم من الأمصار الإسلامية مما سهل على الأمويين القضاء عليهم خاصة بعد أن قدم بنو حارثة المساعدة لهم بالدخول الى المدينة عن طريق الحرة الشرقية .

***كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص ٤٥٤ .

****أصفهان : مدينة مشهورة وتعرف بجي وهي الآن تعرف بشهرستان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص ٢٠٨ .

٣٠. أن من أسباب إخفاق ثورة أهل المدينة هو زعماء الثورة أنفسهم إذ ليس فيهم قياديون عسكريون أو سياسيون لأنهم اخطأوا عندما حاصروا بني أمية في دار مروان بن الحكم لأن حصارهم كان ضعيفاً ، هذا فضلاً أنهم بعد أن علموا بقدوم قوات مسلم بن عقبة المرمي أخرجوهم من المدينة وهذا ما أدى إلى مساعدتهم لمسلم وأنصاره وتوضيح طبيعة وإمكانات المقاتلين في المدينة .

٣١. بسبب واقعة الحرة سنة ٦٣هـ / ٦٨٧م وما نتج عنها من خسائر فإن أهل المدينة لم يستطيعوا أن يقفوا بوجه أي تعرض لهم مهما كان صغيراً ، لذلك أدرك ابن الزبير ذلك عندما قدم المدينة الحنتف بأمر من مروان بن الحكم ، وجدنا ابن الزبير قد استعان بأهل البصرة لمحاربتهم وقتالهم وأخذ ثار أهل المدينة في يوم الربذة المعروف .

٣٢. اعتراف معاوية بن يزيد بن معاوية بأن الخلافة حق لبني هاشم وقد أخذ منهم ، وهذا رد اعتبار كبير لهم .

٣٣. ظهور أول بوادر إعطاء ولاية العهد لأكثر من واحد من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي جرت بين مروان بن الحكم وخالد بن يزيد وعمرو بن سعيد الأشدق .

٣٤. رغبة أهل الشام من القبائل الكلبية واليمانية في بقاء الخلافة الأموية في الشام بدلاً من نقلها إلى الحجاز ، وقد وحدوا صفوفهم في مؤتمر الجابية من أجل تحقيق هذه الرغبة .

٣٥. كان من نتائج مؤتمر الجابية انتقال الخلافة من الفرع السفيفاني إلى الفرع المرواني وعدم رجوعها إليهم .

٣٦. ان حركة التوابين سرية في مركز الكوفة في بادئ الأمر - أي قبل وفاة يزيد - فلم تستقطب الناس الموجودين خارجها ، لذلك قد يكون هذا احد أسباب إخفاقها .

٣٧. لم يتوافق هدف وطموح زعماء الحركة التوابية مع والي الكوفة وكذلك مع زفر بن الحارث ، بسبب اختلاف الأهداف الرئيسية لكل الأطراف .

٣٨. ان حركة التوابين ناجحة جداً في رسم أهدافها وتحقيق خطواتها ودليل هذا النجاح هو انضمام بعض زعماء الشيعة في البصرة والمدائن وموافقتهم على اللقاء في النخيلة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م

٣٩. أن دور الخوارج لم يكن بارزاً طوال فترة خلافة يزيد بن معاوية وهذا يدل على أن سياسة ابن زياد كانت قاسية جداً معهم وما يدل على هذه السياسة القاسية أنهم لجأوا إلى البصرة وتمركزوا بها لكي يسهل عليهم الهروب إلى الأهواز بسبب طبيعة الأرض وعدم وجود الموانع لهم .

٤٠. ان الخوارج حاربوا ابن الزبير سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م واستعان بالمهلب في القضاء عليهم خارج حدود العراق وبهذا استطاع ان يكسر شوكتهم .

٤١. زياد كانت قاسية جداً معهم وما يدل على هذه السياسة القاسية أنهم لجأوا إلى البصرة وتمركزوا بها لكي يسهل عليهم الهروب إلى الأهواز بسبب طبيعة الأرض وعدم وجود الموانع لهم .

٤٢. ان الخوارج حاربوا ابن الزبير سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م واستعان بالمهلب في القضاء عليهم خارج حدود العراق وبهذا استطاع ان يكسر شوكتهم .

خامساً . الخوارج في البصرة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م

بعد ان جمع الخوارج الجموع الكثيرة خرجوا* من البصرة إلى الأهواز** ، فغلبوا عليها وعلى جميع كنوزها وقتلوا أعمالها^(١) ، وجبوا أموالها^(٢) ، ورئيسهم هو أبو راشد^(٣) ، نافع بن الأزرق الحنفي وقد بايعته الازارقة وسموه أمير المؤمنين^(٤) .

إزاء هذه الإحداث السياسية كتب والي البصرة عبدالله بن الحرث إلى عبدالله بن الزبير أخبره أن الخوارج أخذوا الأموال وقتلوا العمال والناس في الأهواز وقد لحق بهم من لحق من أهل البصرة وغيرهم ممن كان على دينهم ويرى رأيهم ، فكان رد ابن الزبير سريعاً بعد وصول الكتاب إليه ، فقام واليه بجمع أشرف*** البصرة ، وعرض عليهم الأمر قبل ان يكثر جمع الخوارج ان يختاروا رجلاً لقتالهم يرتضيه أهل البصرة وانه يسنده بالمال والسلاح والرجال^(٥) ، فطلبوا مهلة ثلاثة أيام ليختاروا الرجل المناسب لهذا الأمر ، وبعد انتهاء المدة^(٦) ، تم الاتفاق على مسلم بن عبيس بن كرز القرشي**** ، الذي جمع الجموع معه فخرج معه سبعمائة رجل لقتال الازارقة ، وكان ابن الأزرق هو الآخر قد اشتدت شوكته وكثرت جموعه وأقام بالأهواز يجبي الخراج ويتقوى به ثم أقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر ، يريد قتال أهل البصرة الذين ساروا باتجاه الخوارج يريدون حربهم والقضاء عليهم^(٧) .

ثم خطب ابن عبيس القرشي خطبته المشهورة بأنه لم يخرج لامتياز ذهب ولا فضة ، واتى ليحارب قوماً ان ظفر بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم ، فمن كان الجهاد شأنه فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع ، فرجع نفر يسير منهم ومضى الباقيون معه ، فلما صاروا بدولاب* خرج إليهم نافع فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيول وكثرت الجراح وتضاربوا بالسيوف فقتل كل من ابن عبيس القرشي ونافع بن الأزرق^(٨) .

وبعد مقتل نافع بن الأزرق لم يتوقف الخوارج في نشاطهم وإرادتهم بالتوجه نحو البصرة^(٩) ، وتم اختيار عبدالله بن الماحوز** ، قائداً للخوارج ، فوجد الاحنف بن قيس إن أفضل من يقاتل الخوارج هو

* كان خروجهم بسبب اختلاف في العقائد لكن ظل في البصرة عبدالله بن أباض وعبدالله بن صفار واتباعهما . ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ص ٥٦٧ .

** الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس وسوق الأهواز من مدنها . ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٨٥ .

(١) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٨ .

(٢) أبين الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٦٨ .

(٣) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٦٠ .

(٤) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٨ .

*** إشراف البصرة : الاحنف بن قيس التميمي ، سويد بن منجوق الذهلي ومالك بن مسمع الجحدري . ينظر : ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٩ .

(٥) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٨ .

(٦) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٥٢٣ .

**** مسلم بن كرز : مسلم بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وكان فاضلاً . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ص ٧٥ .

(٧) ابن اعثم الكوفي ، هاشم الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٩ .

* دولاب : موضع بقرب الأهواز . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ص ٥٦٣ .

(١) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ٣ ج ٦ ص ١٧٩ - النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٠ ص ٥٢٣ .

(٢) أبين الأثير ، الكامل ، ج ٤ ص ١٩٥ .

** عبدالله بن الماحوز : عبيدالله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي . ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ص ١٤٠ - الزركلي ، الاعلام ، ج ٤ ص ١٩١ .

المهلب بن أبي صفرة***، لما يعلم فيه من الشجاعة والرأي والمعرفة بالحرب^(٣)، وكان آنذاك المهلب والياً على خراسان، فذهب إليه أشراف أهل البصرة وواليها فاعتذر عن ذلك، لذلك زوروا كتاباً وأرسلوه إليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتاب، عند ذلك جاء إلى قتالهم^(٤).

فعندما جاء المهلب إلى البصرة، أخذ باختيار اثني عشر ألف رجل من أهلها ممن يعرف بالشجاعة وخرج المهلب لقتالهم - الخوارج - وهم عند الجسر الأصغر، فحاربهم وهو في وجوه الناس وأشرفهم فدفعهم عن الجسر ولحق بهم نحو الجسر الأكبر، فلما رأوه قد قاربهم ابتعدوا عنه^(٥)، وكان المهلب يعرف إخبارهم عن طريق جواسيسه الذين سيرهم إلى معسكر الخوارج، فلما علم أنهم بالأهواز، استخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر تيري*** وذهب هو بجيشه نحو الأهواز فلما وصلوا قاتلت الخوارج مقدمته وعليه أبنة المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، فجال أصحابه ثم عادوا^(٦).

فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى منازل****، فسار يريدهم، فلما قاربهم سير الخوارج جمعاً عليهم واخذ مولى أبي صفرة إلى نهر تيري وبها المعارك فقتلوه وصلبوه وبلغ الخبر إلى المهلب فسير ابنه المغيرة إلى نهر تيري، فأنزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة وعاد إلى أبيه وقد نزل سولاف*.

والذي يبدو أن المهلب كان قيادي شديد الاحتياط والحذر لا ينزل إلا في خندق وهو على مهارة في التعبئة ويتولى الحرس بنفسه وما حربه وأصحابه ضد الخوارج في يوم سولاف إلا دليل هذه التعبئة وقتالهم وصبرهم ضد الخوارج، فيذكر ابن الأثير^(١) إن المهلب قد نزل قريباً من الخوارج وخندق عليهم ووضع المسالحي وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة فكان الخوارج إذا أرادوا بيّاته وغرته وجدوا أمراً محكماً فرجعوا فلم يقاتلهم إنسان كان اشد على الخوارج من المهلب.

وعندما التقى المهلب وأصحابه مع الخوارج في قتال شديد ظل نهائياً كاملاً وبعد أن رأى الخوارج شجاعتهم شدوا عليهم شدة منكراً، فأجفلوا وانهزموا حتى بلغت الهزيمة أهل البصرة وخاف أهلها السبي، لذلك أسرع المهلب حتى سبق المنهزمين وصعد إلى مكان مرتفع وحث الناس إليه فأجابه ثلاثة آلاف أكثرهم قومه من الازد، فلما رآهم في عدتهم فخطبهم وحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم

***المهلب بن أبي صفرة : المهلب بن ظالم بن سراف بن صباح بن كندى بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيق بن الازد بن عمران . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج٢ ص٣٦٧ - ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٦ ص٣٨٧ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٦ .

(٤) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، مج٣ ج٦ ص١٨٩ - ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٦ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٦ .

****نهر تيري : قرية بنواحي البصرة . ينظر : السمعاني ، الانساب ، ج٥ ص٥٤٣ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٧ .

*****مناذر : قرية من قرى الاهواز ، وهي قريتان ، مناذر الكبرى ومناذر الصغرى ، ويبدو ان المقصود هنا مناذر الصغرى التي كان بها انحياز عبيدالله بن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج فيها . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ص١٢٦٣-١٢٦٤ .

*سولاف : قرية في غربي دجيل من ارض خوزستان قرب مناذر الكبرى . ينظر الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ص٢٨٥ .
(١) الكامل ، ج٤ ص١٩٨ .

أن يأخذ كل رجل منهم عشرة أحجار ، وأمرهم أن يسيروا في طلب الخوارج لأنهم آمنون الآن بسبب خروجهم في طلب الهاربين من أنصار المهلب^(٢) ، فلقبهم عبدالله بن الماحوز والخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالأحجار حتى اثنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف فاقتتلوا ساعة وقتل عبدالله بن الماحوز^(٣) ، في موضع سلي** سلبري^(٤) ، وقتل عدد كبير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم ، وقال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة^(٥) :

أتانا بأحجار ليقتلنا بها وهل تقتل الأقران ويحك بالحجر

وبهذا استطاع المهلب من كسر شوكة الخوارج فخرجوا إلى كرمان*** وجانب أصفهان**** ، والذي يبدو إن الخوارج كانوا مضطهدين من قبل الخلافة الأموية وابن الزبير ولم يتخلصوا من اضطهادهم حتى خارج إقليم العراق بسبب تفقهم بالدين .

الخاتمة

بعد أن بينّا الأوضاع السياسية في العراق والحجاز (٦٠-٦٥هـ/٦٧٩-٦٨٤م) ، توصل في دراسته إلى النتائج الآتية :

٤٣. أن سياسة بني أمية كانت ضد مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، ويتضح ذلك من خلال ، التمثيل بجسد الميت ، سبّ صحابة رسول الله (ص) ، وبالأخص الإمام علي (ع) ، هذا فضلاً عن انتهاك حرمة المدن المقدسة من أجل مناصبهم السياسية كمكة والمدينة .
٤٤. أن ثورة الإمام (ع) عكست أسباب صلح الحسن (ع) مع معاوية ، لأنه في ثورته وضع طبيعة أهل الكوفة الاجتماعية وما يمتاز به من تناقضات ، لذلك لم يكن صلح الإمام الحسن (ع) شيئاً اعتباطياً وإنما جاء من أجل أن يثبت حقيقة غدر وتخاذل أهل الكوفة .
٤٥. أن ثورة الإمام (ع) كشفت ضعف سياسة يزيد بن معاوية وعدم أخذه بنصيحة أبيه معاوية بن أبي سفيان " فإن ظفرت بالحسين فلا تقتله " .
٤٦. أن الإمام (ع) كان يريد الشهادة ، فهو يعرف بأن بني أمية أقوى من أن يستطيع القضاء عليهم بهذه الثورة ، وهو لا بد هالك في سبيله الذي سار فيه ، ولعله أراد بهذه الشهادة أن تكون صرخة مدوية تقض مضاجع بني أمية ، وهي التي مهدت للقضاء عليهم فيما بعد .
٤٧. أن ثورة الإمام (ع) قد وضحت لأهل الشام بأنهم ليسوا من الخوارج مثلما كان التضييل الإعلامي ضدهم ، وقد وضع الإمام علي بن الحسين (ع) وزينب بنت علي (ع) ، هذا الدور ، لذلك نقول بأن هذه الثورة هي ثورة سياسية وإعلامية ، فالأولى قادها الإمام (ع) والثانية قادها الإمام علي بن الحسين (ع) مع عمته زينب بنت علي (ع) .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص١٩٩ .

(٣) الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ص٤٢ .

**سلي سلبري : موضع بناحية الاهواز معروف . ينظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ص٧٤٨ .

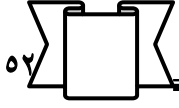
(٤) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٣ ص٧٤٨ - الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧ ص٣٧٩ .

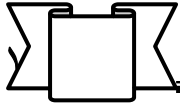
(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ص٢٠٠ .

***كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ص٤٥٤ .

****أصفهان : مدينة مشهورة وتعرف بجي وهي الآن تعرف بشهرستان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ص٢٠٨ .

٤٨. ان حركة عبدالله بن الزبير كانت ذات جذور لكنها لم تظهر إلا بعد استشهاد الإمام (ع) ، لأن استشهاد ولد استياء لدى الناس في الأمصار وبالأخص في العراق والحجاز من سياسة يزيد وأعوانه .
٤٩. ان حركة عبدالله بن الزبير لم تقدم عوناً أو مساعدات تذكر لكثير من الحركات والثورات التي ظهرت طوال فترة الدراسة وبالأخص ثورة أهل المدينة وحركة التوابين .
٥٠. ان حركة عبدالله بن الزبير قد جمعت كل التيارات السياسية المناوئة للسلطة الأموية في حصار الكعبة الأول ، ولكن بسبب عدم فطنة ابن الزبير السياسية تفرقت عنه هذه الأطراف لتعمل ضده من جديد امثال الخوارج والمختار بن أبي عبيد الثقفي .
٥١. أن حركة عبدالله بن الزبير قد امتدت إلى إقليم الشام وأصبح هذا الإقليم موالياً له عدا الأردن ، وهذا يدلنا على توسع نفوذ عبدالله بن الزبير في الأمصار الإسلامية لكنه لم يحسن التصرف .
٥٢. ان ثورة أهل المدينة ضد يزيد بن معاوية كانت بسبب سوء سيرته ، وكانت خاصة بأهل المدينة حصراً ، ولم تكن هناك أي مساعدات أو تداعلات جاءت إليهم من الأمصار الإسلامية مما سهل على الأمويين القضاء عليهم خاصة بعد ان قدم بنو حارثة المساعدة لهم بالدخول الى المدينة عن طريق الحرة الشرقية .
٥٣. أن من أسباب إخفاق ثورة أهل المدينة هو زعماء الثورة أنفسهم إذ ليس فيهم قياديون عسكريون أو سياسيون لأنهم اخطأوا عندما حاصروا بني أمية في دار مروان بن الحكم لأن حصارهم كان ضعيفاً ، هذا فضلاً أنهم بعد أن علموا بقدوم قوات مسلم بن عقبة المري أخرجوهم من المدينة وهذا ما أدى إلى مساعدتهم لمسلم وأنصاره وتوضيح طبيعة وإمكانات المقاتلين في المدينة .
٥٤. بسبب واقعة الحرة سنة ٦٣هـ / ٦٨٧م وما نتج عنها من خسائر فأن أهل المدينة لم يستطيعوا ان يقفوا بوجه أي تعرض لهم مهما كان صغيراً ، لذلك أدرك ابن الزبير ذلك عندما قدم المدينة الحنتف بأمر من مروان بن الحكم ، وجدنا ابن الزبير قد استعان بأهل البصرة لمحاربتهم وقتالهم وأخذ ثار أهل المدينة في يوم الربذة المعروف .
٥٥. اعتراف معاوية بن يزيد بن معاوية بأن الخلافة حق لبني هاشم وقد أخذ منهم ، وهذا رد اعتبار كبير لهم .
٥٦. ظهور أول بوادر إعطاء ولاية العهد لأكثر من واحد من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي جرت بين مروان بن الحكم وخالد بن يزيد وعمر بن سعيد الاشدق .
٥٧. رغبة أهل الشام من القبائل الكلبية واليمانية في بقاء الخلافة الأموية في الشام بدلاً من نقلها إلى الحجاز ، وقد وحدوا صفوفهم في مؤتمر الجابية من أجل تحقيق هذه الرغبة .
٥٨. كان من نتائج مؤتمر الجابية انتقال الخلافة من الفرع السفيني إلى الفرع المرواني وعدم رجوعها إليهم .
٥٩. ان حركة التوابين سرية في مركز الكوفة في بادئ الأمر - أي قبل وفاة يزيد - فلم تستقطب الناس الموجودين خارجها ، لذلك قد يكون هذا احد أسباب إخفاقها .
٦٠. لم يتوافق هدف وطموح زعماء الحركة التوابية مع والي الكوفة وكذلك مع زفر بن الحارث ، بسبب اختلاف الأهداف الرئيسية لكل الأطراف .
٦١. ان حركة التوابين ناجحة جداً في رسم أهدافها وتحقيق خطواتها ودليل هذا النجاح هو انضمام بعض زعماء الشيعة في البصرة والمدائن وموافقتهم على اللقاء في النخيلة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م .
٦٢. أن دور الخوارج لم يكن بارزاً طوال فترة خلافة يزيد بن معاوية وهذا يدل على أن سياسة ابن زياد كانت قاسية جداً معهم وما يدل على هذه السياسة القاسية أنهم لجأوا إلى البصرة وتمركزوا بها لكي يسهل عليهم الهروب إلى الأهواز بسبب طبيعة الأرض وعدم وجود الموانع لهم .
٦٣. ان الخوارج حاربوا ابن الزبير سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م واستعان بالمهلب في القضاء عليهم خارج حدود العراق وبهذا استطاع ان يكسر شوكتهم .





الدوريات

ناجي حسن .

١. البداوة والتحضر ، مجلة الجمعية التاريخية ، العدد ٣ ، (بغداد / ١٩٧٤) .

الرسائل الجامعية

الأسعد ، حسام الدين احمد محمود .

١. اليمن في القرنين الأول والثاني الهجريين ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ١٩٩٥) .

الالوسي ، عبدالباسط عبدالرزاق حسين .

٢. قبيلة كندة ودورها في التاريخ الإسلامي من ٤١-١٣٢ هـ ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٣ م) .

الراوي ، قصي اسعد عبدالحميد .

٣. آل الزبير ودورهم في الدولة العربية حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، مقدمة الى كلية التربية ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٤ م) .

الشورتاني ، قحطان عدنان بكر .

٤. تطور الفكر السياسي لحركة الخوارج ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٢ م) .

الطائي ، أسامة كاظم عمران.

٥. الاتجاهات السياسية القبلية في الكوفة خلال العصر الأموي (٤١ - ٦٥ هـ / ٦٦١ - ٦٨٤ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، (جامعة بابل / ٢٠٠٥) .

الغزاوي ، منيرة عبد حسن .

٦. الحياة الفكرية والاجتماعية في الحجاز خلال العصر الأموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى كلية التربية ابن رشد ، (جامعة بغداد / ٢٠٠٤ م) .

القبلان ، قبالان محمد .

٧. عبدالله بن الزبير حركته وخلافته ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية ، (جامعة بغداد / ١٩٧٣) .

القيسي ، عاطف عباس حمودي .

٨. تقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، (جامعة بغداد / ١٩٩١ م) .

الكتب المترجمة



أرنولد ، توماس .
١. الخلافة ، تاريخ الحضارة الإسلامية حتى آخر العهد العثماني ، ترجمة الأستاذ حسن حيدر اللباني ، ط ٢ ، مطبعة أوفست ، دار التضامن للطباعة والنشر ، (بغداد / ١٩٦١ م) .

بروكلمان ، كارل .

٢. تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقلها إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٩٦٨) .

حتي ، فيليب .

٣. الدولتان الأموية والعباسية ، نقله إلى العربية محمد يرموك نافع ، مطبعة النجاح ، (بغداد / ١٩٤٥) .

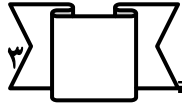
فلهاوزن ، يوليوس .

٤. الخوارج والشيعة ، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي ، ط ٢ ، (الكويت / ١٩٧٦) .
٥. الدولة العربية وسقوطها ، نقله إلى العربية د. يوسف العش ، مطبعة الجامعة السورية ، (١٣٧٩ هـ) .

٦. تاريخ الدولة العربية ، نقله عن الألمانية د. محمد عبدالهادي ، ترجمة د. حسين مؤنس ، (القاهرة / ١٩٨٥) .

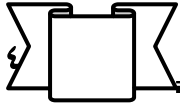
ل. ماسينيون .

٧. خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة تقي محمد المصبيعي ، مطبعة العرفان ، صيدا ، (بيروت / ١٩٣٩ م) .

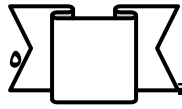


المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	العنوان
ب	الآية القرآنية
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	إقرار المشرف
و	إقرار اللجنة
ز	الرموز المستعملة في الرسالة
ي	مختصرات أسماء أهل البيت (ع)
٧ - ٥	المقدمة
٩ - ٨	تحليل المصادر
٢٤ - ١٠	التمهيد
١٣ - ١٠	المغيرة وفكرة ولاية العهد سنة ٥٦ هـ / ٦٧٥ م
١٩ - ١٤	موقف الأمصار العربية من ولاية العهد
١٥ - ١٤	١. موقف أهل العراق
١٩ - ١٦	٢. موقف أهل الحجاز
٢٤ - ٢٠	موقف الخوارج من الخلافة الأموية لغاية سنة ٦٠ هـ / ٦٧٩ م
٧٦ - ٢٥	الفصل الأول . أوضاع الشام السياسية وأثرها على العراق والحجاز من سنة ٦٠-٦١ هـ / ٦٧٩-٦٨٠ م
٣٤ - ٢٥	أولاً. خلافة يزيد بن معاوية
٤٣ - ٣٥	ثانياً. الإمام في مكة
٣٦ - ٣٥	١. أوضاع مكة السياسية
٣٩ - ٣٦	٢. رسائل أهل الكوفة إلى الإمام (ع)
٤٣ - ٣٩	٣. موقف أهل البصرة من الإمام (ع)
٤٨ - ٤٤	ثالثاً. موقف الإمام (ع) من أهل الكوفة
٤٥ - ٤٤	١. إرسال مسلم بن عقيل
٤٦ - ٤٥	٢. أهل الكوفة ومبايعتهم مسلم بن عقيل
٤٨ - ٤٦	٣. دور الحزب الأموي في الكوفة
٥٧ - ٤٩	رابعاً. أبين زياد ومهمته تجاه مسلم
٥٠ - ٤٩	١. أبين زياد ومكره مع أهل الكوفة
٥٢ - ٥٠	٢. سياسة أبين زياد بعد أن وصل الكوفة
٥٤ - ٥٣	٣. التجسس على مسلم
٥٧ - ٥٤	٤. مسلم والغدر
٥٨-٥٦ص	٥. أسباب عدم قتل مسلم بن عقيل لعبيد الله بن زياد

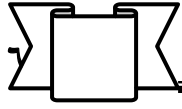


الموضوع	رقم الصفحة
خامساً. أبْن زياد وإجراءاته تجاه هاني	٥٨ - ٦٧
١. اعتقال هاني بن عروة	٥٨ - ٦٢
٢. انتفاضة مسلم بن عقيل	٦٢ - ٦٣
٣. أسباب فشل مسلم بن عقيل في مهمته	٦٣ - ٦٧
سادساً. أبْن زياد وإجراءاته تجاه مسلم	٦٨ - ٧٦
١. أبْن زياد ومهمته الجديدة تجاه مسلم	٦٨ - ٧٠
٢. موقف مسلم بن عقيل	٧٠ - ٧١
٣. مسلم واللحظات الأخيرة	٧١ - ٦٧
الفصل الثاني. ثورة الإمام (ع) وأثرها في أوضاع العراق والحجاز سنة ٦١هـ / ٦٨٠م	٧٧ - ١١٦
أولاً. موقف أهل الحجاز من الإمام (ع)	٧٧ - ٨٣
١. موقف الناصحين في مكة	٧٧ - ٧٩
٢. أسباب اختيار الإمام (ع) للكوفة	٧٩ - ٨٣
ثانياً. رحلة الإمام (ع) إلى الكوفة	٨٤ - ٩٧
١. موقف بني أمية	٨٤ - ٨٦
٢. الحملة الإعلامية في ثورة الإمام (ع)	٨٦ - ٨٨
٣. الناصحون للإمام (ع) بين مكة والكوفة	٨٨ - ٩٠
٤. الإمام (ع) وأصحابه	٩٠ - ٩٣
٥. الخوارج وموقفهم من الإمام (ع)	٩٣ - ٩٤
٦. تشبيه حالة الإمام (ع) بالخليفة عثمان (رض)	٩٤ - ٩٧
ثالثاً. الموقف العام لأهل العراق	٩٨ - ١٠٨
١. بعد مجيء الإمام (ع)	٩٨
٢. طبيعة المقاتلين في الكوفة	٩٩ - ١٠٠
٣. بن زياد واستقبال الإمام (ع)	١٠٠ - ١٠٢
٤. أبْن زياد وقتل الإمام (ع)	١٠٢ - ١٠٨
رابعاً. أسباب الثورة ونتائجها	١٠٩ - ١١٤
١. أسباب الثورة	١٠٩ - ١١١
٢. نتائج الثورة	١١١ - ١١٤
خامساً. الخوارج وموقفهم من أبْن زياد	١١٥ - ١١٦
الفصل الثالث. حركة عبدالله بن الزبير وأثرها على أوضاع الحجاز العراق من سنة ٦١-٦٥هـ / ٦٨٠-٦٨٤م	١١٧ - ١٤٤
أولاً. حركة عبدالله بن الزبير	١١٧ - ١٢٣
١. جنود الحركة	١١٧ - ١١٨
٢. أبْن الزبير والخلافة الأموية	١١٨ - ١٢١
٣. بداية الحركة	١٢٢ - ١٢٣
الموضوع	رقم الصفحة
ثانياً. الاتجاه العلوي وموقفه من الحركة	١٢٤ - ١٢٨

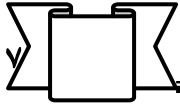


١٢٥ - ١٢٤	١. موقف المختار من حركة عبدالله بن الزبير
١٢٨ - ١٢٥	٢. موقف الإمام علي بن الحسين (ع)
١٣٥ - ١٢٩	ثالثاً. الخوارج وموقفهم من الحركة
١٣١ - ١٢٩	١. الخوارج والتحاقهم بعبدالله بن الزبير
١٣٥ - ١٣١	٢. ابن الزبير وحصار الكعبة
١٤٤ - ١٣٦	رابعاً. الأوضاع السياسية بعد وفاة يزيد بن معاوية
١٣٧ - ١٣٦	١. الحصين بن نمير السكوني وموقفه من ابن الزبير
١٤٣ - ١٣٨	٢. بيعة عبدالله بن الزبير سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ م
١٤٤ - ١٤٢	خامساً. أسباب إخفاق حركة عبدالله بن الزبير
١٦٥ - ١٤٥	الفصل الرابع. ثورة أهل المدينة وأثرها على الحجاز من سنة ٦٢ - ٦٥ هـ / ٦٨١ - ٦٨٢ م
١٥١ - ١٤٥	أولاً. جذور ثورة الحرة وطبيعة أهدافها
١٤٧ - ١٤٥	١. أوضاع الحجاز السياسية سنة ٦١ هـ
١٤٩ - ١٤٧	٢. أهل المدينة وحركة عبدالله بن الزبير
١٥١ - ١٤٩	٣. أهل المدينة وموقفهم من خلافة يزيد
١٥٤ - ١٥٢	ثانياً. موقف الإمام علي بن الحسين (ع) من ثورة أهل المدينة
١٥٩ - ١٥٥	ثالثاً. مجريات الثورة
١٥٥	١. أسبابها
١٥٩ - ١٥٦	٢. واقعة الحرة
١٦٢ - ١٦٠	رابعاً. مسلم بن عقبة المري في المدينة
١٦٥ - ١٦٣	خامساً. أسباب إخفاق ثورة الحرة ونتائجها
١٦٣	١. أسباب إخفاق الثورة
١٦٥ - ١٦٤	٢. نتائج الثورة
١٦٦ - ١٨٤	الفصل الخامس. مروان بن الحكم وأثره في أوضاع الشام والحجاز والعراق من سنة ٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٤ م
١٧١ - ١٦٦	أولاً. أوضاع الشام السياسية بعد وفاة يزيد
١٦٨ - ١٦٦	١. خلافة معاوية بن يزيد
١٦٩	٢. الأوضاع السياسية في الشام بعد وفاة معاوية بن يزيد
١٧١ - ١٧٠	٣. يوم جبرون
١٧٧ - ١٧٢	ثانياً. الجابية أسبابها ومجريات أحداثها
١٧٢	١. أسباب مؤتمر الجابية
١٧٧ - ١٧٣	٢. مجريات مؤتمر الجابية
١٨١ - ١٧٨	ثالثاً. معركة مرج راهط ونتائجها
١٨٠ - ١٧٨	١. معركة مرج راهط
١٨١ - ١٨٠	٢. نتائج معركة مرج راهط
١٨٤ - ١٨٢	رابعاً. خلافة مروان بن الحكم

رقم الصفحة	الموضوع
١٨٥ -	الفصل السادس. التوابين وأثرهم السياسي في أوضاع العراق

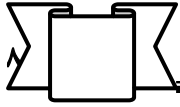


٢١١	من سنة ٦١ هـ - ٦٥ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٤ م
١٨٥ - ١٩٣	أولاً. جذور الحركة وطبيعتها
١٨٥ - ١٨٧	١. بداية الحركة وفكرتها
١٨٧ - ١٨٩	٢. اتصالات الحركة
١٨٩ - ١٩٣	٣. طبيعة الحركة
١٩٤ - ٢٠١	ثانياً. الاتجاه العلوي وموقفهم من الحركة
١٩٤	١. موقف الإمام علي بن الحسين (ع)
١٩٤ - ١٩٨	٢. موقف المختار من الحركة
١٩٩ - ٢٠١	٣. التوابون وموقفهم الصعب
٢٠٢ - ٢٠٦	ثالثاً. موقف الخلافة الزبيرية من حركة التوابين
٢٠٢ - ٢٠٣	١. موقف أهل الكوفة من عبدالله بن الزبير
٢٠٣ - ٢٠٦	٢. موقف والي الكوفة من حركة التوابين
٢٠٧ - ٢٠٨	رابعاً. أسباب إخفاق الحركة ونتائجها
٢٠٧ - ٢٠٨	١. أسباب أخفاق حركة التوابين
٢٠٨	٢. نتائج حركة التوابين
٢٠٩ - ٢١١	خامساً. الخوارج في البصرة سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م
٢١٢ - ٢١٣	الخاتمة
٢١٤ - ٢١٧	الملاحق
٢١٤ - ٢١٥	قائمة أسماء
٢١٦	خريطة
٢١٧ - ٢٥٣	مصادر ومراجع الدراسة
١-٣	ملخص الدراسة باللغة الإنكليزية



المراجع

- أبو النصر ، عمر .
١. الخوارج في الإسلام ، مكتبة المعارف ، (بيروت / ١٩٥٦) .
- أبو رية ، محمود .
٢. شيخ الغيرة أبو هريرة ، ط٣ ، مطبعة المعارف ، (مصر / بلات) .
- أبو سعيدة ، حسين الموسوي .
٣. بلاغة الحسين (ع) ، ط١ ، مركز العترة للدراسات والبحوث ، (بيروت / ١٩٩٨)
- إحسان الهي ظهير .
٤. الشيعة والتشيع ، ط١ ، إدارة ترجمان للنشر ، (باكستان / ١٩٨٤) .
- أحمد إبراهيم شريف .
٥. دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ط١ ، مطبعة الرسالة ، دار الفكر العربي ، (١٩٦٨ م) .
- أحمد بن إبراهيم عيسى .
٦. شرح قصيدة ابن القيم ، تح زهير الشاوشيش ، ط٣ ، دار الكتب ، (بيروت / ١٤٠٦ هـ)
- أحمد حسين يعقوب .
٧. النظام السياسي في الإسلام ، ط٣ ، مطبعة بهمن ، مؤسسة أنصاريان للطباعة ، (قم / ٢٠٠٣) .
- إدريس حسن .
٨. الخلافة المغتصبة ، دار البيضاء للنشر ، (١٩٩٤ م) .
- أسد حيدر .
٩. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ط٤ ، مكتبة الصدر ، (إيران / ١٤٢٠ هـ) .
١٠. مع الحسين في نهضته ، مطبعة المعارف ، (لبنان / بلات) .
- الاسفرايني ، أبو إسحاق .
١١. نور العين في مشهد الحسين (ع) ، مطبعة المنار ، (تونس / بلات) .
- الآصفي ، محمد مهدي .
١٢. تأملات في زيارة وارث الأنبياء ، ط١ ، مطبعة تمونة ، مركز دراسات النهضة الحسينية ، (قم / ١٤١٢ هـ) .



١٣. دراسات وبحوث مؤتمر الحسين (ع) ، ط ١ ، المجمع العالمي لأهل البيت ، (إيران / ٢٠٠٣) .

١٤. في رحاب عاشوراء ، تح مؤسسة نشر الثقافة ، ط ٣ ، مطبعة الباقری ، (ایران / ١٤٢٤ هـ) .

الاعظمي ، علي ظريف .

١٥. مختصر تاريخ البصرة ، مطبعة الفرات ، (١٩٢٧ م) .

الأميني ، السيد محسن .

١٦. أعيان الشيعة ، ط ٥ ، دار التعارف للطبع ، (بيروت / ١٩٩٨) .

١٧. الغدير ، ط ١ ، دار الكتاب العربي للنشر ، (بيروت / ٣٩٧ هـ) .

١٨. لوائح الأشجان في مقتل الحسين (ع) ، مكتبة بصيرتي ، (بلات) .

الانباري ، عبدالرزاق علي العمران .

١٩. تاريخ الدولة العربية في العصر الراشدي والأموي ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد / ١٤٠٦ هـ) .

بارا ، أنطوان .

٢٠. الحسين في الفكر المسيحي ، ط ١ ، مطبعة سرور ، مؤسسة نور الكوثر ، (إيران / ٢٠٠٤ م) .

البراقی ، السيد حسين بن أحمد .

٢١. تاريخ الكوفة ، تح محمد صادق بحر العلوم ، ط ٤ ، دار الأضواء ، (بيروت / ١٤٠٧) .

البري ، محمد بن بكر الأنصاري .

٢٢. الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ، تح د. محمد التونجي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت / ١٤١٥ هـ) .

الجابلقی ، السيد علي اصغر .

٢٣. طرائف المنال ، تح مهدي الرجائي ، ط ١ ، مطبعة بهمن ، مكتبة المرعشي ، (قم / ١٤١٠ هـ) .

الجبري ، عبدالعال .

٢٤. حوار مع الشيعة ، ط ١ ، دار الصحوة للنشر ، (١٩٨٥ م) .

جرجي زيدان .

٢٥. تاريخ التمدن الإسلامي ، ط ٢ ، مطبعة الهلال ، (مصر / ١٩١٤ م) .

جواد علي .

٢٦. المفصل في تاريخ العرب ، ط ١ ، مطبعة شريعت ، دار الشريف الرضي للنشر (قم / بلات) .

الحائري ، محمد مهدي .

٢٧. معالم السبطين في احوال الحسن والحسين ، ط ٢ ، مطبعة أمير ، منشورات الشريف الرضي ،

قم ، (ایران / ١٣٤٧ هـ) .

حسن إبراهيم حسن .



٢٨. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ، مطبعة السنة المحمدية ، (القاهرة / ١٩٦٤م) .

الحسني ، هاشم معروف
٢٩. مسيرة الأئمة الاثني عشر ، دار التعارف للمطبوعات ، (لبنان / ١٤٢٢ هـ) .

حسين عطوان .

٣٠. الرواية التاريخية في العصر الأموي ، ط ١ ، دار الجيل للنشر ، (١٩٨٦) .

الحسيني ، محمد بن عقيل بن عبدالله .

٣١. تقوية الإيمان ، ط ١ ، دار البيان العربي ، (بيروت / ١٤١٤ هـ) .

الحوفي ، أحمد محمد
٣٢. أدب السياسة في العصر الأموي ، ط ١ ، مكتبة النهضة للطباعة والنشر ، (مصر / ١٩٦٠م) .

خالد محمد خالد .

٣٣. أبناء الرسول في كربلاء ، (بلات. ط.) .

الخبوطلي ، علي حسني .

٣٤. ١٠ ثورات في الإسلام ، ط ١ ، دار الآداب ، (بيروت / ١٩٦٨) .

٣٥. الحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة / بلات) .

٣٦. تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي والاجتماعي والديني ، دار المعارف ، (مصر / ١٩٥٩م) .

الخشري بك ، الشيخ محمد .

٣٧. الدولة الأموية ، ط ٢ ، دار المعرفة ، (بيروت / بلات) .

الخطيب ، عبدالكريم .

٣٨. الخلافة والإمامة ديانة وسياسة ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، (القاهرة / ١٩٦٣) .

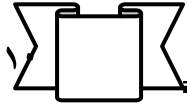
الخوئي ، السيد أبو القاسم الموسوي .

٣٩. معجم رجال الحديث ، ط ٥ ، (١٤١٣ هـ) .

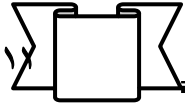
دكسن ، عبدالأمير .

٤٠. الخلافة الأموية ، ط ١ ، دار النهضة العربية للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٣) ، ص ٦٢ .

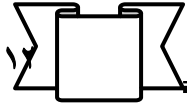
الرافعي ، مصطفى .



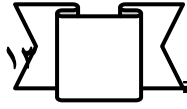
٤١. حضارة العرب في العصور الإسلامية ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت / ١٩٧٨) .
الربيعي ، عبد العظيم .
٤٢. سياسة الحسين ، مطبعة الرشدية ، بالافست ، (١٣٧٨ هـ) .
الرواي ، ثابت إسماعيل .
٤٣. الدولة العربية الإسلامية في الخلافة الراشدة والأموية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٦ .
الريس ، ضياء الدين .
٤٤. عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، ط٢ ، مطابع سجل العرب ، (١٩٦٩ م) .
الزركلي ، خير الدين .
٤٥. الاعلام ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٩٨٠) .
السابعي ، ناصر بن سليمان .
٤٦. الخوارج والحقيقة الغائبة ، دار المنتظر للنشر ، (بيروت / ٢٠٠٠ م) .
الساعدي ، كاظم جواد .
٤٧. تاريخ البصرة ، مطبعة القضاء ، (النجف / ١٩٥٩ م) .
الساعدي ، نوري حاتم .
٤٨. دراسات سياسية في حياة الإمام السجاد (ت) ، ط٢ ، مطبعة غدير ، جامعة الإمام الباقر (ت) للعلوم الإسلامية ، (١٤٢٥ هـ) .
السماوي ، محمد تقى .
٤٩. موسوعة الثورة الحسينية ، ط١ ، دار المرتضى للطباعة ، (بيروت / ٢٠٠١) .
سيد أمير علي .
٥٠. مختصر تاريخ العربية ، نقله إلى العربية ، عفيف البعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، (لبنان / ١٩٦١ م) .
شلبي ، أحمد .
٥١. الدولة الأموية ، مطابع سجل العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، (بلات) .
الشيرازي ، السيد محمد الموسوي .
٥٢. الفرقة الناجية ، تح فاضل الفراتي ، ط٢ ، دار الأمين للطباعة ، (بيروت / ١٤٢٥ هـ) .
٥٣. ليالي بيشاور ، تح السيد حسن الموسوي ، ط٣ ، دار العلوم للطباعة ، (بيروت / ٢٠٠٤) .
الصدر ، محمد محمد صادق .
٥٤. شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين (ت) ، تح الشيخ أسعد الناصري ، دار الأضواء للنشر ، (بيروت / ١٤٢٣ هـ) .
الصلابي ، علي محمد .
٥٥. تاريخ خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، (١٤٢٥ هـ) .



- الطائي ، نجاح .
٥٦. هل قتل معاويةً علياً ، ط ١ ، دار الهدى لإحياء التراث ، (لندن / ٢٠٠٤ م) .
- طه حسين .
٥٧. الفتنة الكبرى علي وبنوه ، دار المعارف ، مصر ، (١٩٥٣ م) .
- العالمي ، السيد جعفر مرتضى .
٥٨. مختصر مفيد ، ط ١ ، المركز الإسلامي للدراسات ، (بيروت / ٢٠٠٢ م) .
٥٩. الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ط ١ ، دار الهادي ، (بيروت / ١٤١٥ هـ) .
- العالمي ، علي أحمد السيد .
٦٠. صفحات من تاريخ كربلاء ، ط ١ ، دار البلاغ للطبع ، (بيروت / ١٤٢٠ هـ) .
- عبدالحسين طه حميد .
٦١. أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، (مصر / ١٩٥٦) .
- عبدالعزیز سالم .
٦٢. تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطابع رويال ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ م .
- عبدالله فياض .
٦٣. تاريخ الإمامية منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ١٩٨٦ م) .
٦٤. تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ، ط ٣ ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ١٩٨٦ م) .
- العسكري ، مرتضى .
٦٥. أحاديث أم المؤمنين عائشة ، مطبعة النهضة ، (١٤١٨ هـ) .
- العسكري ، نجم الدين الشريف .
٦٦. أبو طالب حامي الرسول ، مطبعة الآداب ، (النجف / بلات) .
- علي كمال .
٦٧. النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها ، ط ٤ ، دار واسط للطباعة والنشر ، (١٩٨٨ م) .
- عمر كحالة .
٦٨. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٣٨٨ هـ) .
- الغريزي ، سامي .
٦٩. البيعة وولاية العهد والشورى وأثارها في تنصيب الخليفة ، ط ١ ، مطبعة تكارش ، (قم / ١٤١٥ هـ) .
- ابن الغملاس .
٧٠. ولاية البصرة ومتسلموها ، تح علي البصري ، دار البصري ، (بغداد / ١٩٦٢ م) .



- الفاتح ، حسن شيخ
٧١. الحرب الأهلية في صدر الإسلام ، دار الجيل ، (بيروت / ١٩٩٩) .
- فاروق عمر فوزي.
٧٢. التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ، ط١ ، مؤسسة المطبوعات ، (بيروت / ١٩٨٠ م) .
٧٣. تاريخ العراق في عصور الخلافة الإسلامية ، ط١ ، مطبعة النهضة ، دار العربية للطباعة ، (بغداد / ١٩٨٨) .
- فاضل زكي محمد.
٧٤. الفكر السياسي العربي الإسلامي بين ماضيه وحاضره ، ط٢ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد / ١٩٧٦ م) .
- الفراجي ، عدنان علي .
٧٥. حركات المعارضة للخلافة الأموية ، ط١ ، منشورات المكتبة العالمية ، (بغداد / ١٩٩٠) .
- القاسم ، أسعد .
٧٦. أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة ، ط١ ، مركز الغدير ، (بيروت / ١٩٩٧ م) .
- القاضي ، نعمان .
٧٧. الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، دار المعارف ، (مصر / بلات) ، ص ٢٣٧ .
- قانسو ، الشيخ محمود .
٧٨. ما بعد كربلاء ، ط١ ، مطبعة سرور ، دار مدين للنشر ، (قم / ٢٠٠٥) .
- القرشي ، باقر شريف .
٧٩. حياة الإمام الحسين (ع) ، ط١ ، مطبعة الآداب ، (النجف / ١٣٩٥ هـ) .
٨٠. مسلم بن عقيل ، ط١ ، مطبعة شريعت ، دار الهدى ، (١٤٢٤ هـ) .
- القرشي ، الشيخ مهدي
٨١. معاوية أمام محكمة الجزاء ، ط١ ، دار الحجة البيضاء للطباعة ، (بيروت / ١٩٨٨ م) .
- القزويني ، السيد جواد .
٨٢. يزيد في محكمة التاريخ ، مطبعة أمير ، (إيران / ١٩٩٩ م) .
- قلعجي ، محمد.
٨٣. معجم لغة الفقهاء ، ط٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر ، (بيروت / ١٤٠٨ هـ) .
- ماجد عبد المنعم .
٨٤. التاريخ السياسي للدولة الأموية ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة / ١٩٥٧ م) .
- المحامي ، محمد فريد بك .
٨٥. تاريخ الدولة العثمانية ، تح د. إحسان حقي ، ط٢ ، دار النفائس ، (بيروت / ١٤٠٣ هـ) .
محمد بن فتح الله بدران .
٨٦. غصن الرسول ، تح جواد علي رضا ، ط٢ ، مكتبة المعارف ، (بيروت / ١٩٧٣) .



محمد جابر عبدالعال .
٨٧. حركات الشيعة المتطرفين ، مطبعة السنة المحمدية ، (١٣٧٣ هـ) .

محمد جمال الدين سرور
٨٨. الحياة السياسية في الدولة العربية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، (القاهرة / ١٩٦٤) .

محمد جواد مشكور .
٨٩. موسوعة الفرق الإسلامية ، تعريب علي هاشم ، ط ١ ، مجمع البحوث الإسلامية ، (بيروت / ١٤١٥ هـ) .

محمد صبيح عبدالقادر .
٩٠. معاوية ، دار الثقافة العامة ، (مصر / ١٩٣٨) .

محمد رضا .
٩١. الحسن والحسين سبطا رسول الله (ﷺ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٧) .

محمد كرد علي .
٩٢. خطط الشام ، المطبعة الحديثة ، المجمع العلمي العربي ، (دمشق / ١٩٢٥ م) .

محمد مهدي شمس الدين .
٩٣. نظام الحكم والإدارة في الإسلام ، ط ٣ ، دار الثقافة للطباعة ، (قم / ١٩٩٢ م) .
٩٤. أنصار الحسين (ع) ، ط ٣ ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، (بيروت / ١٩٦٠ م) .
٩٥. ثورة الإمام الحسين (ع) ، ط ٥ ، دار التعارف للمطبوعات ، (بيروت / ١٩٧٩) .

مطهري ، السيد مرتضي .
٩٦. الملحمة الحسينية ، ط ١ ، مطبعة فيضية ، (إيران / ١٤٢٥ هـ) .

مغنية ، محمد جواد .
٩٧. الشيعة في الميزان ، مؤسسة صدر الخلائق ، مكتبة الآداب الشرقية للنشر ، (النجف / ١٤٢٤ هـ) .
٩٨. المجالس الحسينية ، ط ١ ، مطبعة الهادي ، مؤسسة السفار الثقافية ، (٢٠٠٣ م) .

المقرم ، السيد عبدالرزاق .
٩٩. مسلم بن عقيل ، ط ١ ، دار الأضواء للنشر ، (بيروت / ٢٠٠١) .
١٠٠. مقتل الحسين (ع) ، ط ١ ، مطبعة غدير ، (١٤٢١ هـ) .

الناصر ، محمد حامد .
١٠١. الحياة السياسية عند العرب ، ط ٢ ، مكتبة السنة ، دار الجيل ، (بيروت / ١٤١٤ هـ) .

نبيلة عبدالمنعم داود .

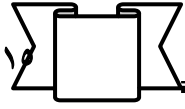
١٠٢. نشأة الشيعة الإمامية ، ط ١ ، دار المؤرخ العربي ، (بيروت / ١٤١٥ هـ) .

النجار ، محمود الطيب .
١٠٣ . الدولة الأموية في المشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، مطبعة دار الكتاب العربي ،
(مصر / ١٣٨٢ هـ) .

نوري جعفر .
١٠٤ . الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام ، مطبعة الزهراء ، (بغداد / ١٩٥٦) .
١٠٥ . علي ومناؤه ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء للنشر ، (بيروت / ١٩٨٤ م) .

النووي ، الحاج ميرزا حسين .
١٠٦ . مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل ، مؤسسة آل البيت (i) ، (قم / ١٤٠٨ هـ) .

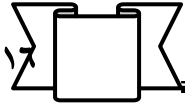
الهاشمي ، علي بن الحسين .
١٠٧ . محمد بن الحنفية ، تح المؤسسة الإسلامية ، ط ١ ، دار الهدى للنشر ، (١٤٢٤ هـ) .



المصادر

القرآن الكريم

- ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) .
١. شرح نهج البلاغة ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة آية الله المرعشي ، (قم / بلات) .
- ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن عبيد (ت ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م) .
٢. الورع ، تح محمد عبد حمد الحمود ، ط ١ ، دار السلفية ، (١٤٠٨ هـ) .
٣. الاشراف في منازل الاشراف ، تح د. نجم عبدالرحمن خلف ، ط ١ ، (الرياض / ١٤١١ هـ) .
- ابن أبي يعلى ، أبو الحسين محمد (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) .
٤. طبقات الحنابلة ، تح محمد حامد الفقي ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / بلات) .
- أحمد زكي صفوت (ت ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م) .
٥. جمهرة خطب العرب ، المكتبة العلمية ، (بيروت / بلات) .
- أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م) .
٦. خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، ط ١ ، المطبعة المحمدية ، (مصر / ١٣٠٥ هـ) .
- ابن اعثم ، أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) .
٧. الفتوح ، علي شريعتي ، ط ١ ، دار الأضواء للطباعة ، (١٩٩١ م) .
٨. مقتل الحسين (ع) ، ط ١ ، دار أنوار الهدى ، (١٤٢١ هـ) .
- ابن الابار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) .
٩. درر السمط في خير السبط ، تح عز الدين عمر موسى ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (١٤٠٧ هـ) .
- الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد (ت ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م) .
١٠. المستطرف في كل فن مستظرف ، تح د. معيد محمد ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٦) .
- الابي ، أبي سعيد منصور بن الحسين (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) .
١١. نثر الثو ، تح عدة من الفضلاء ، دار النهضة العربية العامة ، (مصر / ١٩٨٩) .
- ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .
١٢. الكامل في التاريخ ، دار صادر للطباعة ، (بيروت / ١٩٩٦) .
١٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ترجمة شهاب الدين النجفي ، مطبعة الأفسيت ، المكتبة الإسلامية ، (طهران / ١٣٤٢ هـ) .
- ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) .
١٤. النهاية في غريب الحديث ، تح طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، مطبعة ودار إسماعيليان للنشر ، (قم / ١٣٦٤ هـ) .



ابن الاخوة ، محمد بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨ م) .
١٥ . معالم القرية في أحكام الحسبة ، تح محمد محمود شعبان وآخرين ، مكتبة الإعلام الإسلامي للنشر ، (١٩٧٦ م) .

الأربلي ، علي بن عيسى (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣ م) .
١٦ . كشف الغمة ، تح هاشم رسولي المحلاتي ، مكتبة بني هاشم ، (إيران / ١٣٨١ هـ) .

الأردبيلي ، محمد علي (ت ١١٠١هـ / ١٦٨٩ م) .
١٧ . جامع الرواة ، مكتبة المحمدي ، (قم / بلات) .

الازدي ، الفضل بن شاهان (ت ٢٦٠هـ / ٨٧٣ م) .
١٨ . الإيضاح ، تح جلال الدين الحسيني ، (بلات. ط) ، ص ١٦٩ .

الازرق ، محمد عبدالله بن أحمد (ت هـ) .
١٩ . أخبار مكة المشرفة ، مكتبة خياط ، (بيروت / بلات) .

الازهري ، أبي منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠ م) .
٢٠ . تهذيب اللغة ، تح فاطمة محمد أصلان ، ط ١ ، دار إحياء التراث ، (بيروت / ٢٠٠١ م) .

الاستراباذي ، محمد بن الحسن (ت ٦٨٦هـ / ١٢٨٧ م) .
٢١ . شرح شافية ابن الحاجب ، تح ، محمد نور الحسن وآخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٣٩٥ هـ) .

الاسدي ، سيف بن عمر (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥ م) .
٢٢ . الفتنة ووقعة الجمل ، تح احمد راتب ، ط ١ ، دار النفائس للنشر ، (بيروت / ١٣٩١ هـ) .
الاسدي ، عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩ م) .
٢٣ . الأخبار الموفقيات ، تح د. سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٧٢) .

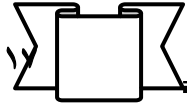
الاشبيلي ، عبدالحق بن عبدالرحمن (ت ٥٨٢هـ / ١١٨٦ م) .
٢٤ . الجمع بين الصحيحين ، تح طه علي ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت / ٢٠٠٣ م) .

الاشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ / ٩٣٥ م) .
٢٥ . مقالات الإسلاميين ، تح هلموت ريتز ، ط ٣ ، دار إحياء التراث ، (بيروت / بلات) .

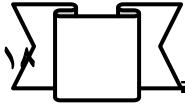
الأصفهاني ، أبي القاسم حسين بن محمد بن المفضل (ت هـ) .
٢٦ . محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء ، تح راجي عفو ربه الكريم ، مطبعة العامرية الشرقية ، (١٣٢٦ هـ) .

الاصفهاني ، أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨ م) .
٢٧ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط ٢ ، دار الكتب العربي ، (بيروت / ١٩٦٧) .
٢٨ . معرفة الصحابة ، تح محمد حسن محمد وآخرين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢ هـ) .

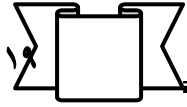
الاصفهاني ، الحسين بن حمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨ م) .



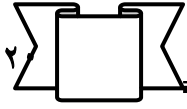
٢٩. المفردات في غريب القرآن ، ط١ ، دار الكتاب للنشر ، (١٤٠٤ هـ) .
- الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) .
٣٠. مقاتل الطالبين ، تح السيد أحمد صقر ، ط١ ، مطبعة عترة ، (إيران / ١٤٢٥ هـ) .
٣١. الأغاني ، تح سمير جابر ، ط٢ ، دار الفكر للنشر ، (بيروت / ١٩٨٥) .
- الاندلسي ، القاضي محمد بن يحيى (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) .
٣٢. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان ، تح د. أكرم حلمي فرحات ، ط٢ ، دار الآفاق العربية ، (مصر / ٢٠٠٢) .
- الباجي ، أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب (ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١م) .
٣٣. التعديل والتجريح ، تح الأستاذ أحمد البزاز ، (مراکش / ٧٠٩ هـ) .
- البحراني ، عبدالله (ت ١١٣٠هـ / ١٧١٧م) .
٣٤. العوالم ، الإمام الحسين (ع) ، ط١ ، مطبعة أمير ، (قم / ١٤٠٧ هـ) .
- البخاري ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) .
٣٥. التاريخ الكبير ، تح مصطفى عبد القادر أحمد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢ هـ) .
٣٦. صحيح البخاري ، دار الفكر ، (بيروت / ١٤٢٤ هـ) .
- البخشاني ، محمد بن معتمد خان (ت ١١٢٦هـ / ١٧١٤م) .
٣٧. نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل النبي الأطهار ، تح د. محمد هادي الأميني ، ط٢ ، دار الكتب للطباعة ، (بيروت / ١٩٩٣م) .
- ابن البراج ، القاضي عبدالعزيز (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م) .
٣٨. المذهب ، تح الشيخ السبحاني ، جامعة المدرسين ، (قم / ١٤٠٦ هـ) .
- البرقي ، أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ / ٨٨٧م) .
٣٩. المحاسن ، تح السيد جلال الحسين ، ط١ ، دار الكتب الإسلامية ، (بلات) .
٤٠. رجال البرقي ، مؤسسة النشر في جامعة طهران ، (١٣٨٣ هـ) .
- البسوي ، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م) .
٤١. المعرفة والتاريخ ، تح د. أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد / ١٩٧٤م) .
- البصري ، الحسن بن يسار (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م) .
٤٢. فضائل مكة والسكن فيها ، تح سامي مكي العاني ، مكتبة الفلاح للنشر ، (الكويت / ١٤٠٠ هـ) .
- البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) .
٤٣. الفرق بين الفرق ، تح مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية ، (القاهرة / بلات) .
- ابن البغدادي ، محب الدين أبي عبدالله محمد بن محمود النجار ، (ت ٦٤٣هـ / ١٢٠٤م) .
٤٤. ذيل تاريخ بغداد ، تح مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٧١ هـ) .



- البكري ، أبو عبيدة (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥ م) .
٤٥ . فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، تح د. احسان عباس ود. عبدالمجيد عابدين ، دار الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٩٨٣) .
البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤ م) .
٤٦ . معجم ما أستعجم ، تح مصطفى السقا ، ط ٣ ، دار عالم الكتب ، (بيروت / ١٤٠٣ هـ) .
البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م) .
٤٧ . جمل من انساب الأشراف ، تح د. سهيل زكار ود. رياض زركلي ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة ، (بيروت / ١٤١٧ هـ) .
٤٨ . أنساب الأشراف ، مطبعة مكتبة المثنى ، (بلات) .
٤٩ . أنساب الأشراف ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت / ١٣٩٤ هـ) .
٥٠ . فتوح البلدان ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة / ١٣٧٩ هـ) .
البيهقي ، الشيخ إبراهيم بن محمد (من أعلام القرن الخامس) .
٥١ . المحاسن والمساوي ، ط ١ ، مطبعة شريعت ، دار شريف الرضي للنشر ، قم ، ١٤٢٣ هـ .
التبريزي ، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥ م) .
٥٢ . ديوان الحماسة بشرح التبريزي ، شرح محمد عبدالقادر سعيد ، دار القلم ، (بيروت / ١٣٣١ هـ) .
التفرشي ، مصطفى (ت ١٠١٥هـ / ١٦٠٦ م) .
٥٣ . نقد الرجال ، تح مؤسسة آل البيت (ع) ، مطبعة ستارة ، (قم / ١٤١٨ هـ) .
الثعالبي ، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٧٥هـ / ١٤٧٠ م) .
٥٤ . تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، تح د. عبدالفتاح أبو حسن وآخرون ، ط ١ ، مطبعة دار إحياء التراث ، (١٤١٨ هـ) .
الثعالبي ، عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧ م) .
٥٥ . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار المعارف ، (القاهرة / ١٩٦٥ م) .
الثقفي ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦ م) .
٥٦ . الغارات ، تح عبدالزهراء الحسين ، ط ١ ، دار الأضواء للنشر ، (بيروت / ١٩٨٧) .
الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٢٦٨ م) .
٥٧ . كتاب التاج في أخلاق الملوك ، تح أحمد زكي باشا ، ط ١ ، المطبعة الأميرية ، (القاهرة / ١٩١٤) .
٥٨ . رسائل الجاحظ ، تح عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة / ١٣٨٤ هـ) .
٥٩ . البيان والتبيين ، تح المحامي فوزي عطور ، ط ٢ ، دار صعب ، (بيروت / ١٩٦٨ م) .
الجرجاني ، عبدالقادر بن عبدالرحمن (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨ م) .
٦٠ . ديوان الحماسة ، تح د. محمد المنتجي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٩٩٥ م) .
الجرجاني ، عبدالله بن عدي (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥ م) .



٦١. الكامل في ضعفاء الرجال ، تح د. سهيل زاكار ، ط ٣ ، دار الفكر ، (بيروت / ١٤٠٩ هـ) .
- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م) .
٦٢. التعريفات ، تح إبراهيم الايباري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٤٠٥ هـ) .
- الجصاص ، أحمد بن علي (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) .
٦٣. أحكام القرآن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٥ هـ) .
- الجمحي ، محمد بن سلام (ت ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) .
٦٤. طبقات فحول الشعراء ، تح د. محمود محمد شاكر ، ط ٣ ، دار المدني للنشر ، (جدة / ١٩٨٣) .
- الجندي ، المفضل بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) .
٦٥. فضائل المدينة ، (بلات. ط.) .
- الجهشياري ، أبي عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) .
٦٦. الوزراء والكتاب ، تح عبدالله إسماعيل الصاوي ، ط ١ ، مطبعة عبدالحميد أحمد ، (مصر / ١٩٣٠) .
- ابن الجوزي ، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .
٦٧. المنتظم ، تح محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ٢٠٠٠) .
٦٨. تلبيس إبليس ، تح محمد منير الدمشقي ، الطبعة المنيرية ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٣٦٨ هـ) .
٦٩. زاد المسير في علم التفسير ، تح محمد عبدالرحمن ، ط ١ ، مطبعة دار الفكر ، (بيروت / ١٤٠٧ هـ) .
- ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر بن فرغلي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) .
٧٠. تذكرة الخواص في خصائص الأئمة ، ط ١ ، ترجمة محمد صادق بحر العلوم ، دار العلوم للتحقيق ، (بيروت / ٢٠٠٤) .
- الجوهري ، أحمد بن عبدالعزيز (ت ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م) .
٧١. السقيفة وفدك ، تح محمد هادي الأميني ، ط ٢ ، شركة الكتبي ، (بيروت / ١٤١٣ هـ) .
- الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) .
٧٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح أحمد عبدالغفور عطا ، دار العلم للملايين ، (بيروت / ١٤٠٧ هـ) .
- الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ / ١٦٨٢ م) .
٧٣. وسائل الشيعة ، الناشر مؤسسة آل البيت (ع) ، (قم / ١٤٠٩ هـ) .
- الحراني ، أبو محمد الحسن بن علي ن شعبة (من أعلام القرن الرابع) .
٧٤. تحف العقول عن آل الرسول ، تح حسين الأعلمي ، ط ٦ ، (١٩٩٦) .
- الحراني ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) .
٧٥. منهاج السنة النبوية ، تح د. محمد رشاد سالم ، ط ١ ، مؤسسة قرطبة للنشر ، (١٤٠٦ هـ) .



أبو الحسين ، عبد الباقي بن قانع بن مرزوق (ت ٣٥١هـ / ٩٦٢م) .
٧٦. معجم الصحابة ، تح صلاح بن سالم ، ط ١ ، دار مكتبة الغرباء الأثرية ، (المدينة المنورة / بلات) .

الحلواني ، الحسين بن محمد (ت القرن الخامس) .
٧٧. نزهة الناظر وتنبيه خاطر ، ط ١ ، مدرسة الإمام المهدي (ع) ، (قم / ١٤٠٨هـ) .

الحلي ، أبن نما (ت ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م) .
٧٨. ذوب النصار في شرح الثار ، تح فارس حسون كريم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / ١٤١٦هـ) .

الحلي ، الحسن بن يوسف (ت ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م) .
٧٩. منتهى المطلب ، (تبريز / ١٣٣٣هـ) .
٨٠. تذكرة الفقهاء ، تح ونشر مؤسسة آل البيت (i) لإحياء التراث ، ط ١ ، مطبعة ستارة ، (قم / ١٤١٧هـ) .

الحلي ، الحسن بن يوسف بن مطهر (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م) .
٨١. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (ع) ، تح حسين الدراكهي ، ط ١ ، طهران ، ١٤١١هـ .

الحلي ، تقي الدين بن داود الحلي (ت ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م) .
٨٢. رجال أبن داود ، المطبعة الحيدرية ، (النجف / ١٣٩٢هـ) .

الحلي ، جعفر بن أبي إبراهيم (ت ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م) .
٨٣. مثير الأحزان ، الناشر مؤسسة الإمام المهدي (ع) ، ط ٣ ، (قم / ١٤٠٦هـ) .

الحلي ، جمال الدين أبي العباس أحمد بن فهد (ت ٨٤١هـ / ١٤٣٧م) .
٨٤. الرسائل العشرة ، تح السيد مهدي الرجائي ، ط ١ ، مطبعة سيد الشهداء ، مكتبة آية الله المرعشي ، (قم / ١٤٠٩هـ) .

الحلي ، شمس الدين أبو الحسن يحيى بن الحسن (ت ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) .
٨٥. العمدة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / ١٤٠٧هـ) .

الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .
٨٦. معجم البلدان ، ط ٢ ، دار صادر للطباعة ، (بيروت / ١٩٩٥م) .
٨٧. معجم الأدباء ، تح د. أحمد فريد رفاعي ، المطبعة الأميرة ، دار إحياء التراث ، (لبنان / بلات) .
٨٨. المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تح د. ناجي حسن ، ط ١ ، دار العربية للنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ .

الحميري ، علي بن محمد (ت ٣٢٣هـ / ٩٣٤م) .
٨٩. جزء علي بن محمد الحميري ، تح أبو طاهر زبير بن مجدد عليوي ، ط ١ ، دار الضحاوي ، (الرياض / ١٤١٣هـ) .

الخصيبي ، أبي عبد الله الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) .
٩٠. الهداية الكبرى ، ط ٤ ، مؤسسة البلاغة للطباعة ، (بيروت / ١٤١١هـ) .

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) .

٩١. تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، (بلات) .
٩٢. الكفاية في علم الرواية ، تح أحمد عمر هاشم ، ط ١ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، (١٤٠٥ هـ) .

- الخوارزمي ، الموفق بن أحمد بن محمد (ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) .
٩٣. مقتل الحسين (ع) ، تح محمد السماوي ، مطبعة مهر ، (قم / ١٤٢٣) .
٩٤. المناقب ، إعداد مالك المحمودي ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، (قم / ١٤١١ هـ) .

- الدرامي ، عبدالله بن بهرام (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) .
٩٥. سنن الدرامي ، مطبعة الاعتدال ، (بلات) .

- الدميري ، كمال الدين (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
٩٦. حياة الحيوان الكبرى ، مراجعة عبدالحميد الدوافلي ، مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة / بلات) .

- الديوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) .
٩٧. الأخبار الطوال ، تح عبدالمنعم عامر ، طبع مكتبة المثنى ، (بغداد / ١٩٥٩) .
الديوري ، عبدالله بن مسلم (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م) .
٩٨. غريب الحديث ، تح عبدالله الجبوري ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٨ هـ) .

- الديار بكري ، حسين بن محمد (ت ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م) .
٩٩. تاريخ الخميس في أحوال أنفوس نفيس ، مطبعة عثمان بن عبدالرزاق ، (مصر / ١٣٠٢ هـ) .

- الديلمي ، الحسن بن ابي الحسن (ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م) .
١٠٠. أعلام الدين ، مؤسسة آل البيت (ع) للنشر ، (قم / ١٤٠٨ هـ) .

- الذهبي ، أبي عبدالله بن شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
١٠١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تح علي محمد معروف ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٥ م) .

١٠٢. دول الإسلام ، ط ٢ ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، (الهند / ١٣٦٤ هـ) .

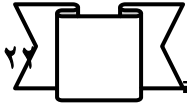
١٠٣. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، ط ١ ، مطبعة دار الثقلين ، مؤسسة علوم القرآن للنشر ، (جدة / ١٤١٣ هـ) .

١٠٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تح عمر عبدالسلام ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٩٩٠ م) ، حوادث سنة ٦١-٨٠ هـ .

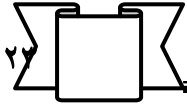
١٠٥. العبر في خبر من غبر ، تح د. صلاح الدين المنجد ، ط ٢ ، مصورة ، (الكويت / ١٩٤٨) .
١٠٦. سير أعلام النبلاء ، تح شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوي ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٤١٣ هـ) .

١٠٧. المعين في طبقات المحدثين ، تح د. همام عبدالرحيم السعيد ، ط ١ ، دار العرفان للنشر ، (عمان / ١٤٠٤ هـ) .

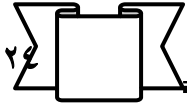
- الرازي ، عبدالرحمن بن علي بن حاتم (ت ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م) .
١٠٨. الجرح والتعديل ، ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت / ١٣٧١ هـ) .



- الرازي ، فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) .
 ١٠٩ . المحصول في علم أصول الفقه ، تح ، د. طه جابر فياض العلواني ، ط ٢٢ ، مطبعة ودار
 مؤسسة الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٤١٢ هـ) .
- الرازي ، محمد بن أبي بكر (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) .
 ١١٠ . مختار الصحاح ، تح أحمد شمس الدين ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، (بيروت /
 ١٤١٥ هـ) .
- الراوندي ، أبو الحسن سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) .
 ١١١ . الخراج والجرائح ، مؤسسة الإمام المهدي (عج) ، (قم / ١٤٠٩ هـ) .
- الربيعي ، محمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م) .
 ١١٢ . تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تح د. عبدالله أحمد سلمان ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ) .
- الروحي ، علي بن أبي عبدالرحمن (ت هـ) .
 ١١٣ . بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء ، (القاهرة / ١٩٠٩ م) .
- الزبيدي ، محب الدين أبي الفيفي السيد محمد (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) .
 ١١٤ . تاج العروس من جواهر القاموس ، مكتبة الحياة ، (بيروت / بلات) .
- الزبيري ، أبي عبدالله المصحب بن عبدالله (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م) .
 ١١٥ . نسب قریش ، تح إ. ليفي ، بروفنسسال ، دار المعارف للطباعة والنشر (باريس /
 ١٩٥٣) .
- الزمخشري ، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) .
 ١١٦ . المستقصى في امثال العرب ، تح طاهر احمد الزاوي ومحمد الطناحي ، ط ٢ ، دار الكتب
 العلمية ، (بيروت / ١٩٨٧) .
- ١١٧ . ربيع الأبرار ونصوص الاخبار ، تح د. سليم النعيمي ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٨٢) .
- السجستاني ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) .
 ١١٨ . سوالات الأجرى داود ، تح عبدالعليم عبدالعظيم البستوني ، ط ١ ، مطبعة ودار الاستقامة
 للنشر ، (١٤١٨ هـ) .
- السخاوي ، شمس الدين (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) .
 ١١٩ . التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩١) .
- السرخسي ، محمد بن أبي سهل (ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) .
 ١٢٠ . المبسوط ، تح جمع من الأفاضل ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت / ١٤٠٦ هـ) .
- السمعاني ، عبدالكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .
 ١٢١ . الأنساب ، تح عبدالله عمر البارودي ، ط ١ ، مطبعة دار الجنان ، (١٤٠٨ هـ) .
- السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١ / ١٥٠٥ م) .
 ١٢٢ . تاريخ الخلفاء ، تح قاسم الشماخي ، محمد العثماني ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، (بلات) .



١٢٣. إسعاف المبطأ برجال الموطأ ، تح موفق فوزي جبر ، مطبعة دار الهجرة ، (بيروت / ١٤١٠هـ) .
١٢٤. لب اللباب في تحرير الأنساب ، دار صادر ، (بيروت / بلات) .
١٢٥. الجامع الصغير ، ط ١ ، مطبعة ودار الفكر للنشر ، (١٤٠١هـ) .
١٢٦. الدر المنثور ، ط ١ ، مطبعة الفتحة ، دار المعرفة ، (جدة / ١٩٦٥) .
- الشافعي ، أبي عبد الله محمد بن إدريس (ت ١٥١هـ / ٧٦٨م) .
١٢٧. ألام ، إعداد رياض عبد الله عبد الهادي ، ط ١ ، دار إحياء التراث ، (لبنان / ٢٠٠٢) .
- الشافعي ، كمال الدين محمد بن طلحة (ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م) .
١٢٨. مطالب المسؤول في مناقب آل الرسول ، ط ١ ، طبع مؤسسة البلاغ ، (بيروت / ١٩٩٩م) .
- الشافعي ، محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧١هـ / ١٤٦٦م) .
١٢٩. جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، مكتبة إحياء ، مطبعة بإسدار السلام ، ، (قم / ١٤١٦هـ) .
- الشمسي ، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) .
١٣٠. سبل الهدى في سيرة خير العباد ، تح عادل أحمد عبدالموجود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / بلات) .
- الشبراوي الشافعي ، عبد الله بن محمد بن عامر (ت ١١٧١هـ / ١٧٩١م) .
١٣١. الاتحاف بحب الأشراف ، المطبعة الأدبية ، دار الذخائر للطبع (قم / بلات) .
- الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) .
١٣٢. تنزيه الأنبياء ، ط ٢ ، دار الأضواء ، (بيروت / بلات) .
١٣٣. المجازات النبوية ، تح طه محمد ، مكتبة بصيرتي ، (قم / بلات) .
١٣٤. آمالي المرتضى ، تح السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، ط ١ ، دار ومطبعة مكتبة آية الله العظمى المرعشي ، (قم / ١٣٢٥هـ) .
- الشهرستاني ، أبو الفتحة محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) .
١٣٥. الملل والنحل ، تح د. حسين جمعة ، ط ١ ، منشورات دار دانية للطباعة والنشر ، (بيروت / ١٩٩٠) .
- الشهيد نور الله التستري (ت ١٠٩٩هـ / ١٦٨٧م) .
١٣٦. الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة ، تح السيد جلال الدين المحدث ، مطبعة نهضت ، (طهران / ١٣٦٧هـ) .
- الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م) .
١٣٧. نيل الأوطار في أحاديث سير الأخبار ، دار الجيل للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٣) .
- الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) .
١٣٨. فتح الغدير ، مطبعة عالم الكتب ، (بلات) .
- أبو بكر الشيباني ، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧هـ / ٩٠٠م) .
١٣٩. الأحاد والمثاني ، تح باسم فيصل أحمد ، ط ١ ، دار الراية للطباعة ، (الرياض / ١٩٩١) .



- الشيباني ، محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ / ٨٠٤م) .
 ١٤٠ . السير الكبير ، تح د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة مصر ، (١٩٦٠) ، ج ٣ ص ١٠٢٩ .
- الشيرازي ، إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) .
 ١٤١ . طبقات الفقهاء ، تح خليل الميس ، دار القلم ، (بيروت / بلات) .
- الشيرازي ، محمد طاهر القمي ، (ت ١٠٩٨هـ / ١٦٨٦م) .
 ١٤٢ . الأربعين في إمامة الأنمة الطاهرين ، تح مهدي الرجائي ، ط ١ ، مطبعة الأمير ، (١٤١٨هـ) .
- الصدوق ، أبي جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م) .
 ١٤٣ . الأمالي ، تح قسم الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، مؤسسة البعثة ، (قم / ١٤١٧هـ) .
 ١٤٤ . عيون أخبار الرضا ، تح حسين الأعظمي ، (بيروت / ١٤٠٤هـ) .
 ١٤٥ . كمال الدين وتمام النعمة ، تح علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر لجماعة المدرسين ، (قم / ١٤٠٥هـ) .
 ١٤٦ . من لا يحضره الفقيه ، تح علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / ١٤٩٣هـ) .
 ١٤٧ . الهداية ، تح مؤسسة الإمام المهدي ، ط ١ ، مطبعة الاعتماد ، (قم / ١٤١٨هـ) .
- الصقلي ، محمد بن محمد بن ظفر (ت هـ) .
 ١٤٨ . أبناء نجباء الأبناء ، مطبعة التقدم ، (مصر / بلات) .
- الصنعاني ، أبي بكر عبدالرزاق (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م) .
 ١٤٩ . مصنف عبدالرزاق ، تح حبيب الرحمن الأعظمي ، نشر المجلس العلمي ، (بلات) .
- الطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) .
 ١٥٠ . مسند الشاميين ، تح د. حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت / ١٤١٧هـ) .
 ١٥١ . المعجم الكبير ، تح حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط ٢ ، مكتبة ابن تيمية ، دار إحياء التراث للنشر ، (القاهرة / بلات) .
- الطبرسي ، أحمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٦٤هـ / ١٥٥٦م) .
 ١٥٢ . الرياض النضرة في مناقب العشرة ، تح عيسى عبدالله محمد ، ط ١ ، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت / ١٩٩٦م) .
- الطبرسي ، الشيخ بن الحسن (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) .
 ١٥٣ . أعلام الوري بأعلام الهدى ، تح علي أكبر الغفاري ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي للطبع ، (بيروت / ٢٠٠٤م) .
- الطبرسي ، علي بن الحسن (ت بحدود ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) .
 ١٥٤ . مشكاة الأنوار ، المكتبة الحيدرية ، (النجف / ١٣٨٥هـ) .
- الطبري ، محب الدين أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) .
 ١٥٥ . ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، دار المعرفة للطباعة ، (بيروت / بلات) .
- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) .

١٥٦. تاريخ الرسل والملوك ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر ، (بلات) .
١٥٧. المنتخب من ذيل الطبري ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٥ ، دار المعارف (مصر / بلات) .
١٥٨. جامع البيان عن تأويل القرآن ، تح صدقي جميل العطار ، مطبعة دار الفكر ، (بيروت / ١٤١٥هـ) .
- الطبري ، محمد بن جرير بن رستم (اوائل القرن الرابع الهجري) .
١٥٩. المسترشد في إمامة أمير المؤمنين ، تح أحمد المحمودي ، ط١ ، مطبعة سلمان الفارسي ، (قم / بلات) .
- الطريحي ، الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن محمد (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م) .
١٦٠. المنتخب ، ط٣ ، مطبعة شريعت ، دار الشريف الرضي ، (ايران / ١٤٢٢هـ) .
١٦١. مجمع البحرين ، تح السيد أحمد الحسيني ، ط٢ ، مكتبة الثقافة الإسلامية للنشر ، (بلات) .
- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩) .
١٦٢. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تح محمد بن عوض بك وعلي حازم ، مطبعة المعارف ، (مصر / ١٩٢٣م) .
- الطوسي ، ابي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) .
١٦٣. البيان في تفسير القرآن ، تح أحمد حبيب قصير العاملي ، ط١ ، مكتب ومطبعة الإعلام الإسلامي ، (١٤٠٩هـ) .
١٦٤. التهذيب ، ط٤ ، دار الكتب الإسلامية ، (طهران / ١٣٦٥هـ) .
١٦٥. الخلاف ، تح سيد علي الخراساني وآخرون ، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (١٤١٧هـ / ج٥ ص ١٥٧) .
١٦٦. رجال الطوسي ، تح جواد القيومي الاصفهاني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، (قم / ١٤١٥هـ) .
١٦٧. المبسوط ، تح محمد باقر ، مطبعة المكتبة المرتضوية ، (قم / ١٣٩٧هـ) .
- العاملي ، بهاء الدين محمد بن الحسين (ت ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠م) .
١٦٨. توضيح القاصد ، مكتبة آية الله المرعشي للنشر ، (قم / ١٤٠٦هـ) .
- العاملي ، زين الدين علي بن أحمد (ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م) .
١٦٩. مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد ، مطبعة مهر ، تح ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، (قم / ١٤٠٧هـ) .
- العاملي ، علي بن يونس (ت ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) .
١٧٠. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ، تح محمد الباقر البهيوودي ، مطبعة الحيدري ، دار المكتبة المرتضوية للنشر ، (بلات) .
- ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م) .
١٧١. تاريخ مختصر الدول ، ط٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت / ١٩٥٨م) .
- العتبي ، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) .

١٧٢. عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، تقديم محمد أحمد خلاف ، ط ١ ، دار احياء التراث ، (بيروت / ٢٠٠٣ م) .
- سبط ابن العجمي ، برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن محمد (ت ٨٤١هـ / ١٤٣٧ م) .
١٧٣. نهاية الرسول في رواة الستة الاصول ، تح عبدالمعزم إبراهيم ، ط ١ ، دار الفكر ، (بيروت / ٢٠٠٣ م) .
- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١ م) .
١٧٤. ترجمة الإمام الحسين (ع) من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح محمد الطباطبائي ، ط ١ ، مطبعة تكارشي ، (قم / ١٤٢٣ هـ) .
- العصفري ، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤ م) .
١٧٥. طبقات خليفة بن خياط ، تح سهيل زكار ، دار الفكر للنشر ، (١٤١٤ هـ) .
١٧٦. تاريخ خليفة بن خياط ، تح أكرم ضياء العمر ، (بلات. ط) .
- العمرائي ، محمد بن علي (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤ م) .
١٧٧. الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تح د. قاسم السيد أحمد ، (ليدن / ١٩٧٣) .
- العياشي ، محمد بن سعيد (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢ م) .
١٧٨. تفسير العياشي ، المطبعة العلمية ، (١٣٠٨ هـ) .
- الغطفاني ، يحيى بن معين بن عون (ت ٢٣٣ هـ) .
١٧٩. تاريخ ابن معين ، تح عبدالله أحمد حسين ، الناشر دار القلم ، (بلات) .
- الفاكهي ، محمد بن إسحاق (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م) .
١٨٠. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تح عبدالمك عبد الله ، ط ٢ ، دار خضر للنشر ، (بيروت / ١٤١٤ هـ) .
- أبو الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١ م) .
١٨١. المختصر في أخبار البشر ، تع محمود يوب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٧ هـ) .
- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ / ٧٩١ م) .
١٨٢. العين ، تح د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت / ١٤٠٨ هـ) .
- الفيروزآبادي ، نصر الهوتي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤ م) .
١٨٣. القاموس المحيط ، (بلات) .
- القالبي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦ م) .
١٨٤. ذيل الآمال والنوادر ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة / ١٩٩٢) .
- القرطبي ، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢ م) .
١٨٥. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٨٥) .
١٨٦. الجامع لأحكام القرآن ، ط ١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، (بلات) .

- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) .
 ١٨٧. آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت / ١٩٦٠م) .
- القضاعي ، محمد بن عبدالله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) .
 ١٨٨. الحلة السيرة ، تح د. حسين مونس ، ط ٢ ، دار المعارف للنشر ، (القاهرة / ١٩٨٥) .
 القلشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) .
 ١٨٩. نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تح علي الخاقاني ، مطبعة النجاح ، (بغداد / ١٩٥٨) .
 ١٩٠. مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، تح عبدالستار أحمد خراج ، ط ١ ، عالم الكتب ، (بيروت / ١٩٦٨م) .
 ١٩١. صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، تح د. علي الطويل ، دار الفكر ، (دمشق / ١٩٨٧م) .
- القيرواني ، أبي اسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م) .
 ١٩٢. جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تح علي محمد البجاوي ، ط ١ ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، دار إحياء الكتب المصرية ، (١٩٥٣م) .
- الকাশاني ، أبو بكر بن مسعود (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م) .
 ١٩٣. بدائع الصنائع ، مكتبة الحبيبية ، (باكستان / ١٤٠٩هـ) .
- الكتاني ، محمد أبن جعفر (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م) .
 ١٩٤. من هدى الحديث النبوي ، تح شرف حجازي ، ط ٢ ، دار الكتب السلفية ، (مصر / بلات) .
- الكتبي ، محمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) .
 ١٩٥. فوات الوفيات والذيل عليها ، تح د. إحسان عباس ، دار صادر للطباعة ، (بيروت / ١٩٧٤م) .
- الكركي ، علي بن الحسين (ت ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م) .
 ١٩٦. رسائل الكركي ، تح محمد الحسون ، ط ١ ، مطبعة الخيام ، مكتبة آية الله المرعشي ، (قم / ١٤٠٩هـ) .
- الكليني ، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م) .
 ١٩٧. الكافي ، دار الكتب الإسلامية ، (طهران / ١٣٦٥هـ) .
- الكندي ، ابي عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) .
 ١٩٨. الولاية وكتاب القضاة ، تصحيح رفن كست ، طبع بمطبعة الآيا اليسوعيين ، (بيروت / ١٩٠٨) .
- الكوفي ، أبن أبي شيبه (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م) .
 ١٩٩. المصنف أبن أبي شيبه في الأحاديث والآثار ، تح سعي محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة ، (١٤٠٩هـ) .
- الكوفي ، أبو صادق سليم بن قيس (ت ٧٦هـ / ٦٩٥م) .
 ٢٠٠. سليم بن قيس الهلالي ، تح محمد باقر الأنصاري ، (بلات. ط.) .
 الكوفي ، محمد بن سليمان (من أعلام القرن الثالث) .

٢٠١. مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ت) ، تح الشيخ محمد باقر المحمودي ، مجمع احياء الثقافة الإسلامية ، (بلات) .

المالكي ، أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) .
٢٠٢. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تح نخبة من كبار العلماء ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (١٩٥٦م) .

المالكي ، أبي بكر عبدالله بن أبي عبدالله (ت) .
٢٠٣. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية ، تح د. حسين مؤنس ، ط ١ ، مكتبة النهضة العربية ، (١٩٥١م) .

المالكي ، محمد بن عبدالله محمد (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٣م) .
٢٠٤. العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة ، تح د. محمد جميل غازي ، ط ٢ ، دار الجبل للنشر ، (بيروت / ١٤٠٧هـ) .

الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) .
٢٠٥. الأحكام السلطانية ، تح القاضي نبيل عبدالرحمن حياي ، دار الأرقم بن الأرقم للطباعة ، (بيروت / بلات) .
٢٠٦. أدب الدنيا والدين ، ط ٤ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٧٨م) .

ابن المبرد ، أبي العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) .
٢٠٧. الكامل للمبرد ، المطبعة الأزهرية ، (مصر / بلات) .

ابن المبرد ، يوسف بن عبدالهادي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) .
٢٠٨. بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ، تح د. روية عبدالرحمن السويقي ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٣هـ) .

المتقي الهندي ، (ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) .
٢٠٩. كنز العمال ، تح بكر الحياتي وآخرون ، مطبعة مؤسسة الرسالة ، (بيروت / بلات) .

المجلسي ، محمد باقر (ت ١١١هـ/ ٩٢٧م) .
٢١٠. بحار الأنوار ، ط ٣ ، دار إحياء التراث ، (بيروت / ١٤٠٣هـ) .

أبو المحاسن ، شمس الدين محمد بن علي بن الحسن (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م) .
٢١١. الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد ، تح ، عبدالعاطي أمين قلمجي ، ط ١ ، جامعة الدراسات الإسلامية ، (كراتشي / بلات) .

المرتضى ، أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) .
٢١٢. البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، وبهامشه جواهر الأخبار والآثار ، تح د. محمد محمد ناصر ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ٢٠٠١م) .

المرصفي ، سيد بن علي (ت ٨٠هـ/ ١٠٨٧م) .
٢١٣. رغبة الأمل من كتاب الكامل ، مطبعة النهضة ، ط ١ (مصر / ١٩٢٧) .

- المروزي ، نعيم بن حمادة (ت ٢٨٨هـ / ٩٠٠م) .
 ٢١٤ . الفتن ، تحقيق سمير أمين الزهيري ، ط ١ ، (القاهرة / ١٤١٢هـ) .
- المزي ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) .
 ٢١٥ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح د. بشار عواد معروف ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت / ١٩٩٨) .
- المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) .
 ٢١٦ . إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب (ت) ، مطبعة امن الأئمة ، ط ٣ ، دار أنصاريان للنشر ، (قم / ٢٠٠١م) .
 ٢١٧ . أخبار الزمان ، تح لجنة من الأساتذة ، ط ٢ ، مكتبة النجف ، دار الأندلس للطباعة ، (١٣٨٦هـ) .
 ٢١٨ . التنبيه والإشراف ، تح عبدالله اسماعيل الصاوي ، دار الصاوي لطباعة والنشر ، (القاهرة / ١٣٥٧هـ) .
 ٢١٩ . مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح السيدين أبي ليلى ، المكتبة التوفيقية ، (مصر / بلات) .
- المشهدى ، محمد بن جعفر (ت ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) .
 ٢٢٠ . فضل الكوفة ومساجدها ، تح محمد سعيد الطريحي ، دار المرتضى للنشر ، (بيروت / بلات) .
- المغربي ، النعمان بن محمد (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) .
 ٢٢١ . شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تح محمد الحسيني ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم / بلات) .
 ٢٢٢ . دعائم الإسلام ، تح ، أصفي بن علي أصغر ، دار المعارف للطباعة ، (١٩٦٣م) .
- المفيد ، محمد بن محمد (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م) .
 ٢٢٣ . الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين ، مؤسسة البعثة ، (قم / ١٤١٢هـ) .
 ٢٢٤ . الإرشاد ، تح حسين الاعلمي ، ط ٥ ، (بيروت / ٢٠٠١) .
 ٢٢٥ . المسائل العكبرية ، ط ٢ ، دار المفيد للنشر ، (١٤١٤هـ) .
 ٢٢٦ . الجمل ، تح علي مير شريفي ، ط ٢ ، مكتب الإعلام الإسلامي ، (قم / ١٣٧٤هـ) .
- المقدسي ، مظهر بن طاهر (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م) .
 ٢٢٧ . البدء والتاريخ ، ترجمة كلثوم هوار ، مطبعة برطوند ، (مدينة شالون / بلات) .
- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) .
 ٢٢٨ . النزاع والتخاصم ، تح السيد علي عاشور ، (بلات) .
 ٢٢٩ . الخطط المقرية والواعظ والاعتبار ، مطبعة النيل ، (مصر / ١٣٢٤هـ) .
- المنائي ، محمد عبدالرؤوف (ت ١٠٣١هـ / ١٦٢١م) .
 ٢٣٠ . التوقيف على مهمات التعاريف ، تح د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، (بيروت / ١٤١١هـ) .
- المنذري ، زكي الدين عبدالعزيز (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) .
 ٢٣١ . الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٤هـ) .

المنقري ، نصر بن مزاحم (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م) .
٢٣٢ . وقعة صفين ، ، تح عبدالسلام محمد هارون ، ط ٢ ، المؤسسة الحديثة للطبع ، (القاهرة /
١٣٨٢ هـ) .

الميس ، خليل محي الدين (ت ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م) .
٢٣٣ . شرح مسند أبي حنيفة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / بلات) .

الناصري ، أحمد بن خالد (ت ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م) .
٢٣٤ . الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح جعفر الناصري وآخرين ، ط ١ ، دار الكتاب
للنشر ، (١٩٩٧ م) .

ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م) .
٢٣٥ . الفهرست ، تح محمد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، (بلات) .

النسائي ، عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) .
٢٣٦ . خصائص أمير المؤمنين ، تح محمد هادي الأميني ، مكتبة نينوى الحديثة ، (بلات . ط) .
٢٣٧ . سنن النسائي ، ضبط نصها أحمد شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت /
٢٠٠٢ م) .
٢٣٨ . السنن الكبرى ، تح د. عبدالغفار سليمان وسيد كسروي ، ط ١ ، دار الكتب ، (بيروت /
١٤١١ هـ) .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) .
٢٣٩ . نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح محمد رفعت فتح الله ، الهيئة المصرية للكتاب ، (١٩٧٥) .

النيسابوري ، أبو الفضل احمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) .
٢٤٠ . مجمع الأمثال ، تح محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ٢ ، دار المعرفة للنشر ، (بيروت /
١٩٨٨) .

النيسابوري ، أبي محمد عبدالله بن علي بن الجارود (ت ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) .
٢٤١ . المنتقى وبهامشه إتحاف أهل التقى ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٦ م) .

النيسابوري ، محمد بن القتال (ت ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م) .
٢٤٢ . روضة الواعظين ، تح السيد محمد مهدي وآخرون ، منشورات الشريف الرضي ، (قم /
بلات) .

الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) .
٢٤٣ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
٢٤٤ . بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، تح مسعد عبدالحميد محمد ، مطبعة دار الطلائع للنشر ،
(بلات) .

الواسطي ، أسلم بن سهل (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) .
٢٤٥ . تاريخ واسط ، تح كوركيس عواد ، ط ١ ، دار عالم الكتب ، (بيروت / ١٤٠٦ هـ) .

الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) .
٢٤٦ . السيرة النبوية ، تح أحمد جاد ، ط ١ ، دار الغدير ، (٢٠٠٣ م) .

- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) .
 ٢٤٧ . تاريخ ابن الوردي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٩٩٦) .
 اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) .
 ٢٤٨ . تاريخ اليعقوبي ، تح خليل منصور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤١٩ هـ) .
- أنس ، مالك (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) .
 ٢٤٩ . الموطأ ، تح محمد فواد عبد الباقي ، مكتبة عيسى البابي وشركاؤه ، دار إحياء الكتب المصرية ، (١٩٥١ م) .
- ابن بابويه ، منتخب الدين علي (ت ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) .
 ٢٥٠ . الفهرست ، تح د. سيد جلال الدين محدث ، مطبعة مهر ، مكتب المرعشي للنشر ، (قم / ١٣٦٦ هـ) .
- بحر العلوم ، السيد محمد مهدي (ت ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م) .
 ٢٥١ . الفوائد الرجالية ، تح محمد صادق بحر العلوم ، ط ١ ، مكتبة الصادق ، (إيران / ١٣٦٣ هـ) .
- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) .
 ٢٥٢ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، بقلم د. محمد عبدالقادر حاتم ، المؤسسة العربية ، (القاهرة / ١٩٦٣) .
- ابن تيمية ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) .
 ٢٥٣ . كتب ورسائل فتاوى ابن تيمية في العقيدة ، تح عبدالرحمن محمد قاسم ، مكتبة ابن تيمية ، (بلات) .
 ٢٥٤ . رأس الحسين (ع) ، تح د. السيد الجميلي ، (بلات . ط) .
- ابن جبير ، زين الدين علي بن يوسف (ت القرن السابع) .
 ٢٥٥ . نهج الإيمان ، تح السيد أحمد الحسيني ، ط ١ ، مطبعة ستارة ، مجمع الهادي للنشر ، (شهد / ١٤١٨ هـ) .
- ابن حبان ، محمد بن حبان (ت ٣٥٤ هـ / ٦٩٥ م) .
 ٢٥٦ . مشاهير علماء الأمصار ، تح مرزوق علي إبراهيم ، ط ١ ، دار الوفاء ، (١٤١١ هـ) .
 ٢٥٧ . الثقات ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الركن (الهند / بلات) .
- ابن حبيب ، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) .
 ٢٥٨ . المنمق في أخبار قریش ، تصحيح خورشيد أحمد فاروق ، (بلات) .
 ٢٥٩ . المحبر ، ورقة الأصل الخطية ، (بلات) .
 ابن حجر ، شهاب الدين بن الفضل بن أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) .
 ٢٦٠ . فتح الباري ، ط ٢ ، مطبعة دار المعرفة ، (بيروت / بلات) .
 ٢٦١ . لسان الميزان ، ط ٢ ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت / ١٣٩٠ هـ) .
 ٢٦٢ . الإصابة في تمييز الصحابة ، تح علي محمد البجاوي ، ط ١ ، دار الجيل ، (بيروت / ١٩٩٣) .
 ٢٦٣ . تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، دار صادر ، (بيروت / ٣٢٥ هـ) .

ابن حجر الهيتمي ، أحمد بن محمد (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥ م) .
٢٦٤ . الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، تح ، عبدالرحمن بن عبدالله وآخرون ، ط ١ ، دار الرسالة للنشر ، (بيروت / ١٩٩٧ م) .

ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٧٢ م) .
٢٦٥ . الفصل في المال والأهواء والنحل ، تح أحمد شمس الدين ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٠ هـ) .
٢٦٦ . جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، تح د. أحسان عباس وآخرون ، دار المعارف ، (مصر / بلات) .

ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت ٢٦٦هـ / ٨٧٩ م) .
٢٦٧ . مسائل الإمام أحمد ، تح د. فضل الرحمن بن محمد ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (داهي / ١٩٨٨) .

ابن حنبل ، احمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥ م) .
٢٦٨ . العلل ومعرفة الرجال ، تح د. وحي الله بن محمود بن عباس ، ط ١ ، مطبعة المكتب الإسلامي ، دار الخاني ، (الرياض / ١٤٠٨ هـ) .

ابن حوقل ، أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧ م) .
٢٦٩ . صور الأرض ، مكتبة الحياة للنشر ، (بيروت / بلات) .

ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥ م) .
٢٧٠ . مقدمة ابن خلدون ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، (بيروت ، بلات) .
٢٧١ . تاريخ ابن خلدون ، ط ٢ ، مكتبة المدرسة ، دار الكتب اللبنانية ، (١٩٦١ م) .

ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢ م) .
٢٧٢ . وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تح د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، (بيروت / ١٩٦٨) .

ابن سعد ، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤ م) .
٢٧٣ . الطبقات الكبير ، تح علي محمد عمير ، ط ١ ، مكتبة الخانجي (القاهرة / ١٤٢٦ هـ) .

ابن سلام ، القاسم بن الهروي (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨ م) .
٢٧٤ . غريب الحديث ، تح محمد عبد المعبد خان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، دار الكتاب العربي ، (بيروت / ١٣٩٤ هـ) .

ابن سلامة ، القاضي أبي عبدالله محمد (ت ٤٥٤هـ / ١٠٦٢ م) .
٢٧٥ . دستور معالم الحكم ، مطبعة محمد ، المكتبة الأزهرية ، (قم / بلات) .

سلمان بن عبدالله بن محمد عبدالوهاب (ت ١٢٣٣هـ / ١٨١٧ م) .
٢٧٦ . تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، مكتبة الرياض الحديثة ، (الرياض ، / بلات) .

ابن شبة النميري ، أبو زيد عمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥ م) .
٢٧٧ . تاريخ المدينة المنورة ، تح فهم محمد شلتوت ، ط ٢ ، مطبعة قدس ، منشورات دار الفكر ، (قم / ١٤١٠ هـ) .

ابن شهر آشوب ، محمد (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢ م) .

٢٧٨. مناقب آل أبي طالب ، مؤسسة العلامة للنشر ، (قم / ١٣٧٩ هـ) .
٢٧٩. ابن طاووس ، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م) .
اللهوف في قتلى الطفوف ، ط ٢ ، مطبعة مصر ، دار أنوار الهدى للنشر ، (إيران / ١٤٢٣ هـ) .
٢٨٠. إقبال الأعمال ، تح جواد القيومي ، ط ١ ، مطبعة مدار الإعلام الإسلامي ، (١٤١٦ هـ) .
٢٨١. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، ط ١ ، مطبعة الخيام ، (قم / بلات) .
٢٨٢. ابن طاووس الحلبي ، أحمد بن موسى (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) .
عين العبرة ، دار الشهاب للنشر ، (قم / بلات) .
٢٨٣. ابن طيفور ، أحمد بن ظاهر (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) .
بلاغات النساء ، دار الشريف الرضي ، (قم / بلات) .
٢٨٤. ابن ظهيرة ، محمد بن أبي بكر (ت ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م) .
الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها ، تح د. عمر علي ، ط ١ ، مكتبة الثقافة ، (القاهرة / ٢٠٠٣) .
٢٨٥. ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) .
العقد الفريد ، شرح أحمد أمين وآخرون ، مكتبة المثنى ، (بغداد / ١٩٦٧) .
٢٨٦. ابن عبد البر القرطبي ، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) .
الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، مطبعة مصطفى محمد ، دار الكتب المصرية ، (١٣٥٨ هـ) .
٢٨٧. عبدالرحمن بن قدامة (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) .
الشرح الكبير ، دار الكتاب ، (بيروت / بلات) .
٢٨٨. ابن عساكر ، علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) .
ترجمة الإمام الحسن (ت) ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، مطبعة المؤسسة ، (بيروت / ١٤٠٠ هـ) .
٢٨٩. ترجمة الإمام الحسين (ت) ، تح محمد باقر المحمودي ، ط ٢ ، مطبعة فروردين ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، (١٤١٤ هـ) .
٢٩٠. تاريخ دمشق ، تح علي عاشور ، ط ١ ، دار إحياء التراث ، (بيروت / ١٤٢١) .
٢٩١. ترجمة الإمام علي بن الحسين (ت) ، محمد باقر المحمودي ، ط ١ ، (إيران / ١٤١٣ هـ) .
٢٩٢. ابن عماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبدالحق (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء ، (بلات) .
٢٩٣. ابن عنبه ، جمال الدين أحمد بن علي (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م) .
عمدة الطالب في أنساب أبي طالب ، مطبعة حيدر ، مؤسسة أنصاريان ، (قم / ١٤٢٥ هـ) .
٢٩٤. ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) .
الإمامة والسياسة ، تع ، خليل المنصور ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٢ هـ) .
٢٩٥. المعارف ، تع محمد إسماعيل عبدالله ، ط ١ ، المطبعة الإسلامية ، (مصر / ١٣٥٣ هـ) .

٢٩٦. عيون الأخبار ، تح د. مفيد محمد ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت / ١٤٢٤ هـ)
- ابن كثير ، إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
٢٩٧. السيرة النبوية ، تح مصطفى عبدالواحد ، ط ١ ، دار المعرفة ، (بيروت / ١٣٩٦ هـ) .
٢٩٨. قصص الأنبياء ، تح مصطفى عبدالواحد ، دار الكتب الحديثة ، (١٣٨٨ هـ) .
٢٩٩. البداية والنهاية ، ط ١ ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، (بلات) .
- مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري .
٣٠٠. أخبار لدولة العباسية ، تح د. عبدالعزيز الدوري وآخرون ، مطبعة دار صادر ، (بيروت / بلات) .
- ابن ماکولا ، علي بن هبة الله (ت ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م) .
٣٠١. إكمال الكمال في رفع الارتياح ، تح نايف عباس ، دار الكتاب الإسلامي ، (القاهرة / بلات) .
- أبو مخنف ، لوط بن يحيى (ت ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م) .
٣٠٢. مقتل الحسين (ع) ، تح ميرزا حسن الغفاري ، المطبعة العلمية ، (قم / ١٣٩٨ هـ) .
٣٠٣. أخبار المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، تح كامل سلمان الجبوري ، ط ١ ، مطبعة دار المحجة البيضاء ، (بيروت / ١٤٢٠ هـ) .
- مسلم ، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م) .
٣٠٤. صحيح مسلم ، تح فاضل عرفات العشاحسونة ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت / بلات) .
- ابن منظور ، جمال الدين محمد (ت ٧١١ هـ / ١٠٨٢ م) .
٣٠٥. لسان العرب ، تح لجنة من الأساتذة ، دار الحديث للطباعة ، (القاهرة / ٢٠٠٣) .
- ابن هشام الحميري ، محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ / ٧٦٨ م) .
٣٠٦. سيرة ابن هشام ، تح محمد محي عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح ، (١٣٨٣ هـ) .
- ابن يونس ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) .
٣٠٧. عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، تح د. نزار رضا ، مكتبة الحياة ، (بيروت / بلات) .